جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

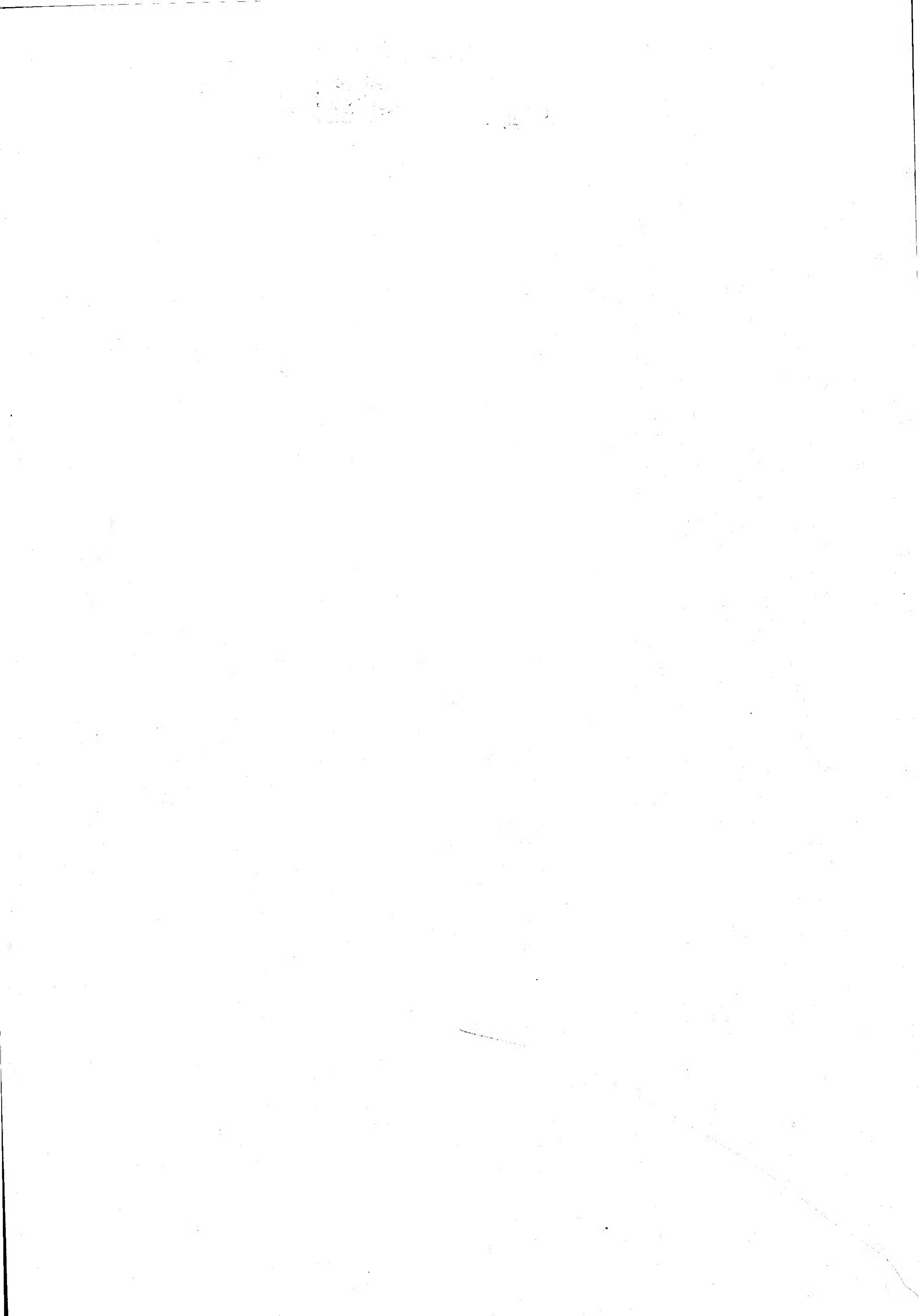
سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد ﷺ

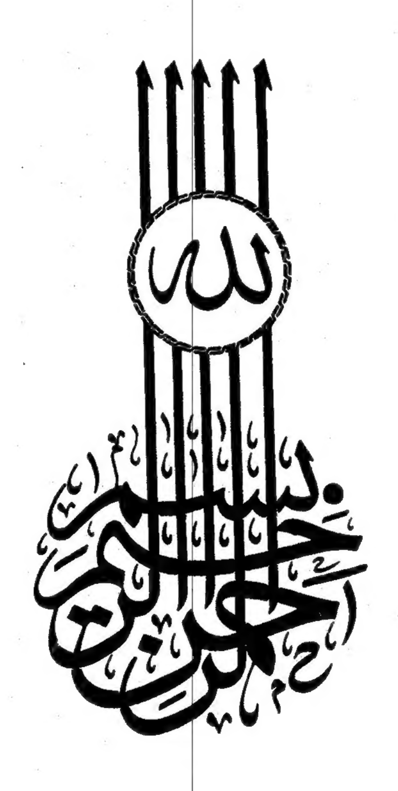
للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

الجزء الثالث

تحقيق
الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمي

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م







مقدمة

يتناول المؤلف شمس الدين محمد بن يوسف بن على الشامى الصالحى فى هذا الجزء من كتابه : « سُبُل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » ، أو بما أسماه الزرقانى : بالسيرة الشامية ستة موضوعات فى السيرة النبوية ، أولها : معراجه عليه الصلاة والسلام ، وقد عقد له عشرة أبواب ، وثانيها : بدء إسلام الأنصار فى تسعة أبواب ، وثالثها : الهجرة إلى المدينة فى ستة أبواب ، ورابعها فى بعض فضائل المدينة الشريفة فى عشرة أبواب ، وخامسها فى بعض حوادث من السنة الأولى والثانية للهجرة فى ستة أبواب ، وسادسها فيما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين فى ثلاثة عشر باباً . فصارت جملة الأبواب فى هذا الجزء أربعة وخمسين باباً تستغرق من النسخة رقم ٥٠ المرموز لها بالحرف م ، الورقات من ٣٢٤ إلى ٤٦٩ ، وبعض هذه الموضوعات يمكن أن يعد كتاباً كاملاً مثل المعراج الذى يستغرق ما يقرب من ثلثمائة صحيفة .

ويتعرض المؤلف فى هذا الجزء من كتابه لنواحٍ من التفسير والأصول والفقه والكلام مع الاستشهاد بروايات المحدِّثين وأسانيدهم ، وهو فى هذا يزيد على ما صنعه السهيلى فى شرحه لسيرة ابن هشام . كما لم ينس المؤلف أن يُذَيِّل كل باب بتنبيهات كثيرة يدلل فيها على ما يذهب إليه من آراء ، كما يختمها بشرح الغريب فيما سبق أن أورده من النصوص . وقد أكثر من التفسير وشرح الغريب بما جعل هذا الجزء من كتابه أقرب ما يكون كتاباً فى التفسير واللغة .

والنقول التى يسوقها المؤلف بذكرها مسندةً إلى أصحابها أو إلى أسماء كتبهم ، وقد يكتفى بكلمة الحافظ التى يقصد بها ابن حجر العسقلانى ، وفيما يذكره من أسماء قد يشترك فيها أكثر من واحد مثل عبد الله بن الحارث أو يسند قولاً لابن منده دون أن يذكر اسمه

كاملاً لتحديد من يقصده من بنى منده الذين أخرج بيتهم أكثر من حافظ وفقيه ، وينطبق هذا أيضاً على النَّسَفيين المنتسبين إلى بلدة نَسَف . وقد التزمنا ما وسعنا الجهد تحديد هؤلاء وكتابة حواش موجزة فى تراجمهم مع سياقة أنسابهم والإشارة إلى مآثرهم أو مؤلفاتهم زيادةً فى تعريف القارئ بهم ، كما عُنينا بما يتطرق إليه المؤلف من ذكر الأماكن والبلدان ، فأدرجنا حواشى مستمدة مما كتبه عنها البُلْدانيون والرحالة العرب وغيرهم .

أما فيما يتعلق بشرح الغريب فكنا نتابع ما يذكره المؤلف ونقابله على ما ورد فى أمهات المعاجم ودواوين اللغة والأدب ومصنفات غريب القرآن والحديث ونضع من التعقيبات ما نستدركه بما يزيد فى شرح هذه الألفاظ وتبيانها . وقد يذكر المؤلف أحياناً فى شرحه لما يذيل به كل باب تحت عنوان : «بيان غريب ما سبق» ألفاظا لم يسبق له أن ذكرها ظناً منه أنه أوردها فى نقوله ، فنشير فى هذه الحالة إلى مواضعها من النصوص التى سها عن إيرادها . وفى حالاتٍ غير قليلة ينقل المؤلف نصاً مبتوراً أو مختصراً بصورة تجعله أقل وضوحاً ، فنُضطر إلى إثباته كاملا مع وضع الزيادة بين مُعَقَّفَيْن ونشير فى الحواشى إلى مصدره وأن به يستقيم مراد المؤلف . كما نجد أحياناً فى نقل المؤلف ما يخالف لفظ المصدر الذى نقل عنه فنشير عند ذلك إلى هذا الخلاف . ومن المحتمل أن النسخ المطبوعة من كتابات المؤلفين الذين نقل عنهم الشامى قد تكون مختلفة عن النسخ الخطية التى رجع إليها لأن كثيراً من المصادر العربية المطبوعة لم تُنشر نشراً علمياً محققاً . ومع ذلك فقد وجدنا أن التنويه بهذا الخلاف مما يزيد فى فائدة كل من القراء والباحثين .

وقد كان العمل فى تحقيق هذا الجزء من السيرة الشامية شاقاً نظراً للّوائح الجديدة المعمول بها فى دار الكتب بالقاهرة وذلك فيما يتعلق بالمخطوطات إذ صار النسخ محظوراً حتى بالنسبة للمكلفين رسمياً بتحقيق مخطوطات معينة ، ولا شك أن الباعث على إصدار هذه اللوائح هو صيانة التراث الثقافى العربى . ولكن كيف يتفق هذا مع واجبنا فى العمل على إحيائه ؟ ولقد وجدنا أن موظفى الدار لا يدخرون وسعاً فى خدمة المترددين عليها ولكنهم مضطرون إلى تنفيذ هذه التعليمات الجديدة فى حدود الواجبات التى يضطلعون بأدائها . وقبل حظر النسخ كنت قد استنسخت جانباً من هذا الجزء ، وعند المقابلة على

النسخ الخطية وجدت أن الناسخ ارتكب كثيرا من الأخطاء ، وعند قيامى بتصحيحها كنت أكثر من الكتابة مما جعل مراقبى الدار يظنون أنى أقوم بالنسخ ، فأدفع عن نفسى هذه التهمة بإظهار النسخة الخطية المشوهة التى استنسختها .

هذا بالإضافة إلى مشقة العمل فى المقابلة بين مخطوطات السيرة الشامية . ولم نجد القسم الذى قمنا بتحقيقه فى نسخة مكرم رقم ٤٥١١ تاريخ ، المرموز لها بالحرف ك . كما أن مخطوطة صنعاء المرموز لها بحرف ص ، وجدناها مليئة بالأخطاء بعد أن اشتغلنا بها لفترة من الزمن ، فتعذر علينا اتخاذها أصلاً . ولكنا وجدنا مخطوطة طلعت رقم ٢١٠٠ تاريخ ، المرموز لها بالحرف ط ، تفوق غيرها من حيث الدقة وقلة السقط ؛ فآثرنا جعلها أصلاً نعتمد عليه . ويقع الجزء الذى كُلِّفنا بتحقيقه فى أواخر المجلد الأول منها . ومما يؤسف له أن المجلد الثانى من هذه المخطوطة به نحو ثمانى عشرة ورقة فقط يتصل مضمونها بما سبق فى المجلد الأول ، وبعد ذلك لا يستقيم الكلام فى بقية أوراق المجلد الثانى على الرغم من الاتفاق فى تسلسل الأرقام ، ولكن الكلام غير متصل مع موضوع الجزء الذى نحققه ، فاضطررنا إلى الاعتماد على مخطوطتى تيمور ، رقم ٩٣٥ تاريخ ، المرموز لها بحرف ت ، ومخطوطة مصطفى فاضل ، رقم ٥٠ تاريخ ، المرموز لها بحرف م . واتبعنا فى الترقيم أوراق ٥٠ م ، فيما عدا الأبواب الأخيرة التى أثبتنا فيها أرقام المخطوطة التيمورية لاشتمالها على ما لم نجده فى المخطوطة ٥٠ م . وقد تداركنا السقط فى هاتين المخطوطتين من مخطوطة طلعت ومنه على سبيل المثال ، ثبت بأسماء الصحابة الذين رووا قصة المعراج ويستغرق ما يقرب من ثلاث صفحات . أما ما عسى أن يوجد منها فى المجلد الثانى من مخطوطة طلعت التى لم نعثر عليها ، فقد تداركناه بمقابلة نقول المؤلف عن المصادر التى تيسر لنا الرجوع إليها .

وكثيراً ما ساعدتنا هذه النقول على تقويم النص وتدارك أغلاط النساخ أو سهوهم وقد عارضناها بما هو مطبوع من مؤلفات أصحابها . ولم نشر إلى أنواع ظاهرة من التصحيف والتحريف ولكن أثبتنا الخلافات التى تعتبر وجهاً آخر للقراءة يتقارب من المعنى المراد ولا يناقضه ، هذا مع إثبات الاختلاف فى رواية الأشعار ونسبتها إلى قائليها . وقد رجعنا فى ضبط أسماء الأعلام ، وفيما كتبنا من حواش للتعريف بهم ، إلى معاجم تراجم الصحابة ورواة

الحديث وكتب الطبقات والأعلام وتراجم فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم تنويهاً بما خلفوه من تراث وزيادة فى فائدة القارئ .

ولا شك أن كتاب الشامى موسوعة زاخرة فى السيرة النبوية لا نظير لها ، تتصل بعصر تصنيف الموسوعات فى القرن التاسع الهجرى . وقد قال فيها الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ، «إن مؤلفها مشى فيها على أنموذج لم يسبق إليه أحد» . ففيها من صنوف العلوم الإسلامية والعربية علاوة على التاريخ مالا يوجد فى غيرها . ومن المرجح أنها كانت مصدراً رجع إليه من كتبوا فى السيرة بعده مثل الديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ ، والحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ ، والشهاب الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ، والزرقانى المتوفى سنة ١١٢٢ هـ ، وفى شرح الأخير على المواهب اللدنية للقسطلانى كثيراً ما يصرح بالنقل عن شمس الدين الصالحى والاستشهاد بحججه قائلا : «قال الشامى» ، «وجاء فى السيرة الشامية» . ونعتقد أن رفاعة رافع الطهطاوى رجع إليها عند تأليف كتابه : «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ) حيث نهج نهجه فى إيراد إشارات إلى الأصول والفقه واللغة وغيرها .

هذا وقد نقل ابن العماد فى شذرات الذهب (حـ ٨ ص ٢٥٠ : ٢٥١) عند ترجمته للشامى فى وفيات سنة ٩٤٢ هـ ، ما كتبه عنه العلامة الشعرانى فى ذيله على كتابه : «لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار» ، مما يدل على تقدير الشعرانى لكتابه وذيوع شهرته بين الباحثين . غير أن ضخامة الكتاب كانت تحول دون سهولة الانتفاع به حتى أن الشامى «سئل فى اختصاره وترك ألفاظ الغريب وأن يحكى السيرة على وجهها كما فعل ابن سيد الناس» . وذكر ابن العماد فى ترجمته للشامى ثبتاً بمؤلفاته ، ومنها ما أحال الشامى القارئ عليه فى أول هذا الجزء مثل : «الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة» ، ومختصره المسمى : «بالآيات البينات فى معراج سيد أهل الأرض والسموات» ، و «الجامع الوجيز الخادم للغات القرآن العزيز» .

إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليهنأ على عنايته بإخراج هذا السفر النفيس ، ونرجو أن يكون هذا حافزاً إلى تحقيق مالا يزال مخطوطا من المؤلفات المتعلقة بالسيرة

النبوية وإعادة نشر ما ظهر منها فى طبعات سقيمة . فنى إحيائها ما يحقق معنى العنوان الذى اختاره الشامى لموسوعته وهو (سبل الهدى والرشاد) .

ولا يفوتنى أن أقدم جزيل الشكر للأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم الذى يسر لى العمل على تحقيق هذا الجزء وأعاننى بتوجيهه وإرشاده .

عبد العزيز عبد الحق حلمى

١٩ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ

٢٢ من فبراير سنة ١٩٧٣ م



٣٢٤ظ

جُمَّاع أبْوَاب مِعْرَاجِهِ[1]

صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم

قد كنتُ أفردتُ كتاباً حافلاً فى هذا الباب سَمَّيْتُه : « الآيات البَيِّنات فى معراج سيد أهل الأرض والسموات » ، ثم ظَفِرْتُ بأشياء لم يتيَسَّر الوقوف عليها إذ ذاك ، فجمعتُ كتاباً سَمَّيْتُه : « الفضل الفائق فى معراج خير الخلائق » ، فاجتمع فيه فوائد ونفائس لا توجد مجموعة إلا فيه ، فرأيتُ أن أذكر هنا خلاصته :

---

(١) انظر فى الإسراء والمعراج سيرة ابن هشام (ج٢ ص ٢ : ١٥) والروض الأنف للسهيلى (ج ١ ص ٢٤٢ : ٢٥٧) وعيون الأثر لابن سيد الناس (ج ١ ص ١٤٠ : ١٤٤) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٨ : ١٠ : ١٧) .



الباب الأول

فى بعض فوائد قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَه لِنُرِيَهُ من آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير)[1]

الكلام على هذه الآية من وجوه :

الأول : فى سبب نزولها : قال الإمام العالِم العَلاَّمة أبو حَيَّان أثير الدين محمد بن يوسف الغَرْنَاطِى[2] – بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالطاء المهملة – فى تفسيره المسمى بالنهر[3] : « سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذَكَر الإسراء به كَذَّبوه ، فأنزلها الله تعالى » .

الثانى : فى وجه اتصال هذه السورة بما قبلها : قال الإمام فخر الدين الرازى ، والبرهان النسفى[4] : « وجه الاتصال بما قبلها أن فى تلك السورة ذِكْرَ الخليل صلى الله عليه وسلم وذِكْرَ أوصافه الشريفة ، وتشريعاته العَلِيَّة من الحضرة الأَزَلية ، والأمر باتباع مِلَّة الحنيفية ، والاقتداء به فى العقائد الدينية ، وفى هذه السورة ذكر من اتَّبع مِلَّتَه بالصدق ، وأقام سُنَّتَه على الحق ، ثم فى آخر تلك السورة أُمِر نَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم : (ادْعُ إلى سَبِيل

---

(١) الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٢) هو أبو حيان اللغوى المفسر الأديب . توفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ترجم له الكثيرون فى مقدمتهم تلميذه الصلاح الصفدى الذى ترجم له ترجمة مستفيضة فى كتابه : أعيان العصر وأعوان النصر ، وقد أوردها بطولها المقرى فى نفح الطيب (بولاق سنة ١٢٧٩ هـ . جـ ١ ص ٥٩٨ : ٦١٣) .

(٣) أورد ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية (جـ ٢ ص ٢٨٦) ثبتاً بمؤلفات أبى حيان جاء فيه : « وله التفسير الذى لم يسبق إلى مثله «سماه البحر المحيط» فى عشر مجلدات كبار واختصره فى ثلاث مجلدات سماه «النهر» . هذا وقد طبع البحر المحيط فى القاهرة فى سنة ١٣٢٨ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل المعروف بالبرهان النسفى ، ترجم له أبو الحسنات اللكنوى فى كتابه : الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ ص ١٩٤ : ١٩٥) وقد ذكر أنه توفى سنة ٦٨٦ هـ .

رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنة)[1] . وأمره بعد ذلك بالصَّبْر فقال : (وَاصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِم ولاتَكُ فى ضَيقٍ مِمَّا يَمْكُرُون[2]) . والصَّبر هو التَّحَملُ للمكاره ، والتَّحَملُ من جملة ما يُؤَدِّى إلى التَّجَملُ ، ومنه ما ذُكِر فى أول هذه السورة .

النَّهْر : لما أمره الله تعالى بالصبر ، ونهاه عن الحُزْن عليهم ، وأن يَضِيقَ صَدْرُه من مَكْرِهم ، وكان من مكرهم نِسْبَتُه إلى الكذب والسِّحْر والشِّعْر وغير ذلك مما رَمَوْهُ به ، فأعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه به وعلوّ منزلته عنده .

الشيخ[3] رحمه الله تعالى فى مناسباته[4] : « هذه السورة والأربعة بعدها من قديم ما نزل ، روى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال فى سورة بنى إسرائيل[5] والكهف ومريم وطه والأنبياء : هُنَّ من العِتَاق الأوَل وهُنَّ من تِلادى[6] »..

التِّلاد ـ بكسر المُثَنَّاة الفوقية وتخفيف اللام أى مما حُفِظ قديماً ، وهذا وجه فى ترتيبها ، وهو اشتراكها فى قِدَم النزول وكونها مَكِّيَّات ، وكلها مشتملة على القصص .

وظهر لى فى وجه اتصالها بسورة النحل أنه سبحانه وتعالى لما قال فى آخرها : (إنَّما جُعِلَ السَّبْتُ على الذين اخْتَلَفُوا فيه[7]) . فَسَّر فى هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم ، فذكر فيها جميع ما شُرع لهم فى التوراة .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ . (٢) سورة النحل آية ١٢٧ .

(٣) أشار المؤلف فى مقدمته إلى أنه إذا أطلق كلمة « الشيخ » فإنه يقصد جلال الدين السيوطى .

(٤) إذا كان المقصود من كلمة « مناسباته » كتاباً بهذا الاسم للسيوطى فإننا لم نعثر عليه فى الثبت المطول لتصانيفه الذى أورده السيوطى عندما ترجم لنفسه فى كتابه حسن المحاضرة (جـ ١ ص ١٥٥ : ١٦١) ولعل المؤلف يقصد من كتب السيوطى فى فن التفسير وتعلقاته والقراءات كتاب : « تناسق الدرر فى تناسب السور » . وسماه اختصاراً : مناسبات .

(٥) فى الإتقان للسيوطى (جـ ١ ص ٥٤) أن سورة الإسراء تسمى أيضاً سورة سبحان ، وسورة بنى إسرائيل .

(٦) إسناد هذا الحديث ولفظه فى البخارى كتاب التفسير (جـ ٦ ص ١٥٤ : ١٥٥) : حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبى إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق وهن من تلادى .

(٧) سورة النحل آية ١٢٤ وجاء فى تفسير القرطبى (جـ ١٠ ص ١٩٩) فيما يتعلق بهذه الآية : وكان السبب تغليظاً على اليهود فى رفض الأعمال وترك التبسط فى المعاش بسبب اختلافهم فيه .

كما روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « التوراة كلها فى خمس عشرة آية من سورة بنى إسرائيل » . وذكر عصيانهم وفسادهم وتخريب مسجدهم ، ثم ذكر استفزازهم النبى صلى الله عليه وسلم وإرادتهم إخراجه من المدينة وسؤالهم / إياه عن الروح . ٣٢٥و
ثم ختم السورة بآيات موسى التسع ، وخطابه مع فرعون . وأخبر أن فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض فأُهلِك ، وَأَوْرَثَ بنى إسرائيل الأرض من بعدهم . وفى ذلك تعريض بهم أنهم كما استفزوا النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فسيخرجون منها ويَرِثها هو وأصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم . وقد وقع ذلك أيضاً . ولما كانت السورة مُصَدَّرة بتخريب المسجد الأقصى افتتحت بذكر إسراء سيدنا محمد المصطفى إليه ، تشريفاً لحلول ركابه الشريف (و)[1] جَبْراً لما وقع من تخريبه . انتهى .

الثالث : فى حكمة استفتاحها بالتسبيح :

ابن الجوزى فى زاد المسير : الحكمة فى الإتيان به هنا وجهان : أحدهما : أن العرب تُسَبِّح عند الأمر العجيب ، فكأن الله تعالى عَجَّب خَلْقَه بما أسدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإسراء به .

الثانى : أن يكون خرج مخرج الرد عليهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم لما حَدَّثهم عن الإسراء به كَذَّبوه ، فيكون المعنى تَنَزَّه الله تعالى أن يَتَّخذ رسولاً كَذَّاباً .

القاضى تاج الدين السبكى فى تذكرته سأل الإمام : ما الحكمة فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد ؟ وأجاب بأن التسبيح حيث جاء قُدِّم على التحميد نحو : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ[2]) سبحان الله والحمد لله .

وأجاب ابن الزَّمْلَكانى[3] **ـ بفتح الزاى واللام ـ : [أن][4] سورة سبحان لما اشتملت**

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) سورة النصر آية ٣ .

(٣) هو كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزَّمْلكانى الدمشقى توفى سنة ٧٢٧ هـ ، ترجم له كثيرون نخص بالذكر منهم التاج السبكى فى طبقات الشافعية (جـ ٥ ص ٢٥١ : ٢٥٩) والزملكانى نسبة إلى زملكا من قرى غوطة دمشق كما فى معجم البلدان لياقوت (جـ ٤ ص ٤٠٣ : ٤٠٤) وقد أورد ياقوت وجوهاً مختلفة فى ضبطها .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

على الإسراء [و][1] كَذَّب المشركون به النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبه تكذيب لله تعالى ، أُتِيَ « بِسُبْحَان » لتنزيه الله عز وجل عما يُنْسَب إليه من الكذب ، وسورة الكهف لما نزلت مُبَيِّنَةً أن الله تعالى لم يقطع نعمته على نَبِيِّه ولا على المؤمنين ، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

الرابع : فى الكلام على « سبحان » :

محمود الكرمانى فى « برهانه » : « كلمة استأثر الله تعالى بها ، فبدأ بالمصدر فى بنى إسرائيل ثم بالماضى فى الصَّفّ والحَشْر ، ثم بالمضارع فى الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر فى الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها » ، انتهى .

وقوله : « فبدأ بالمصدر » أى بالاسم الموضوع موضع المصدر .

وروى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى « سبحان الله » ، فقال : « تنزيه الله من كل سوء » .

وروى ابن أبى حاتم عن على رضى الله تعالى عنهما ، قال : « سبحان الله ، اسم يُعَظِّم الله تعالى به نفسه ويتحاشى به عن السوء » .

الماوردى رحمه الله تعالى : « هو ذِكْرٌ يُعَظِّم اللهُ تعالى به لا يصلح إلا له » .

وأما ذِكْرُهُ فى قول الشاعر[2] : « سبحان من علقمة الفاخر » ، فعلى سبيل الشذوذ .

صاحب النَّظْم : « السَّبْح - فى اللغة - التباعد ، يدل عليه قوله تعالى : (إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً[3]) ، أى تباعداً طويلاً . فمعنى سبح الله تعالى بعده عما لا ينبغى . وللتسبيح مَعَانٍ أُخَر ذكرتُها فى كتاب : القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) هو أعشى بنى ثعلبة وسيرد صدر البيت فيما يلى ، وقد قاله الأعشى لعلقمة بن علاثة الجعفرى فى منافرته لعامر بن الطفيل ، وكان الأعشى قد فضل عامراً وتبرأ من علقمة وفخره على عامر ، وأورد أبو الفرج أخبار هذه المنافرة (الأغانى جـ ١٦ ص ٢٨١ : ٢٩٧) .

(٣) سورة المزمل آية ٧ . وذكر القرطبى فى تفسيره (جـ ١٩ ص ٤١) أن السبح هو الجرى والدوران ومنه السابح فى الماء ، وقيل السبح الفراغ أى أن لك فراغاً للحاجات بالنهار . وقيل (إن لك فى النهار سبحاً طويلا) يعنى فراغاً طويلا لنومك وراحتك . . وقال الزجاج : إن فاتك فى الليل شئ فلك فى النهار فراغ الاستدراك . وفى الكشاف للزمخشرى (جـ ٢ ص ٤٣٢) : إن سبحاً تعنى تصرفاً وتقلباً فى مهماتك وشواغلك ، ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التى تقتضى فراغ البال وانتفاء الشواغل .

الإمام موفق الدين بن يعيش رحمه الله تعالى فى شرح المُفَصَّل : « اعلم أنهم قد عَلَّقوا الأعلام على المعانى فأطلقوها على الأعيان ، فمن ذلك قولهم : سبحان ، وهو عندنا / عَلَمٌ واقِعٌ ٣٢٥ظ على معنى التسبيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه وليس منه فِعْل ، وإنما هو واقع موقع التسبيح الذى هو المصدر فى الحقيقة ، جُعِل عَلَمًا على هذا المعنى فهو معرفة لذلك ، ولا ينصرف للتعريف وزيادة الألف والنون . وأما قول الشاعر[1] : « سُبْحَانَهُ ثم سُبْحَانًا يعود له » ، ففى تنوينه وجهان : أحدهما : أن يكون ضرورة ، والثانى : أن يكون أراد الفكرة» .

الضياء بن العِلْج رحمه الله ، فى البسيط : « لفظ المصدر لأنه مصدر سَبَّح إذا قال : سبحان الله ، ومدلول سبحان التنزيه لا اللفظ » .

قلنا : التسبيح بمعنى التنزيه أيضاً لأن معنى سَبَّحْتُ نَزَّهْتُ الله تعالى ، فتطابقا حينئذ على معنى التنزيه ، فصَحَّ تعليق سبحان على التسبيح ، واستعماله عَلَماً قليل ، وأكثر استعماله مُضَافاً إما إلى فاعله أو إلى مفعوله . فإذا أُضِيف فليس بعَلَم لأن الأعلام لا تُضَاف.

قال : وقيل «سبحان» فى البيت مضاف حُذِف المضاف إليه للعلم به وليس بعلم»

أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى فى أماليه : «الدليل على أن سبحان عَلَم للتسبيح قول الشاعر :

قد قُلْتُ لما جاءنى فَخْرُه سُبْحَانَ من علقمة الفاخر

ولولا أنه عَلَم لوجب صَرْفُه لأن الألف والنون فى غير الصفات إنما تمنع مع العَلَمية .

الشهاب السمين رحمه الله تعالى فى إعرابه : «قيل هو مصدر لأنه سُمِع له فِعْلٌ ثلاثى ، وهو من الأسماء اللازمة للإضافة . وقد يُفْرَد ، وإذا أُفْرِد منع [من] الصرف ، وزيادة الألف والنون كما فى البيت السابق . وقد جاء مُنَوَّناً كقوله :

سُبْحَانَهُ ثم سُبْحَاناً يَعُودُ له وقبلنا سَبَّح الجُودِىُّ والجُمُد[2]

---

(١) هو أمية بن أبى الصلت كما فى اللسان وتاج العروس وذكر ياقوت فى معجم البلدان (ج ٣ ص ١٣٧) إنه ورقة بن نوفل . وفى تفسير القرطبى (ج ٩ ص ٤٢) أنه زيد بن عمرو بن نفيل ، وسيرد البيت بتمامه فيما يلى .

(٢) الجودى فى معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ١٦٢ : ١٦٣) جبل مطل على جزيرة ابن عمر فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح – عليه السلام – لما نضب الماء . وأشار إلى ذلك القرطبى فى تفسيره=

فقيل ضرورة وقيل هو بمنزلة قبل وبعد ، إن نوى تعريفه بَقِى على حاله ، وإن نُكِّر أُعْرِب ، منصرفاً . وهذا البيت يساعد على كونه مصدراً لا اسم مصدر لوروده منصرفاً . ولقائل القول الأول أن يجيب عنه بأن هذا نكِرة لا معرفة . وهو من الأسماء اللازمة النصب على المصدرية فلا تنصرف . والناصب له فِعْلٌ مُقَدَّر لا يجوز إظهاره » .

أبو شامة رحمه الله : «حيث جاء منصوباً نصب المفعول المطلق اللازم إضمار فعله ، وفعله إما فعل أَمْر أو خَبَر . وهو فى هذه السورة مُحْتَمِلٌ للأَمْرَيْن أى سَبِّحوا الذى أسرى بعبده أو سُبِّح الذى أسرى بعبده ، على أن يكونِ إبتداء ثناء الله تعالى على نفسه كقول (الحمد لله رب العالمين) » .

القرطبي رحمه الله تعالى : « العامل فيه على مذهب سيبويه الفِعْل الذى من معناه لا من لفظه إذ لم يجئ من لفظه فِعْل ، وذلك مثل قعد القُرْفُصَاء واشتمل الصَّمَّاء . فالتقدير [عنده][1] أُنَزِّه الله تعالى تنزيهاً ، فوقع «سبحان [الله][1]» مكان قولك تنزيهاً» . انتهى .

الزمخشرى رحمه الله تعالى : «[سُبْحَانَ عَلَمٌ للتسبيح كعثمان لرجل[2] و] انتصابه بفِعْل مُضْمَر [متروك إظهاره ، تقديره[2]] أُسَبِّحُ الله سبحان . ثم نزل سبحان منزلة الفعل فَسَدَّ مَسَدَّه ودَلَّ على التنزيه البليغ [من جميع القبائح التى يضيفها إليه أعداء الله[2]] » .

الطيبي رحمه الله تعالى : «وذلك فى جلب هذا المصدر فى أصل هذا التركيب للتوكيد ، وهو أُسَبِّح تسبيحاً ثم أسبح سبحان ، ثم فى حذف العامل وإقامته مقامه للدلالة على أن المقصود بالذات هو المصدر ، والفعل تابع ، فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه » .

= (جـ٩ ص٤١ و ٤٢) لقوله تعالى : (واستوت على الجودى) (سورة هود آية ٤٤) ثم أضاف قائلا : « ويقال إن الجودى من جبال الجنة فلهذا استوت عليه . ويقال أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر : الجودى بنوح ، وطور سيناء بموسى ، وحراء بمحمد – صلى الله عليه وسلم .

هذا «والجمد» بضمتين جبل لبنى نصر بنجد . انظر معجم البلدان لياقوت (جـ٣ ص١٣٧) ومعجم ما استعجم للبكرى (جـ ٢ ص ٣٩١) .

(١) إضافة من تفسير القرطبي (جـ ١٠ ص ٢٠٤) وشرح القرطبي كلمة سبحان بقوله إنها اسم موضوع موضع المصدر ، وهو غير متمكن ، لأنه لا يجرى بوجوه الإعراب ، ولا تدخل عليه الألف واللام ، ولم يجر منه فعل ، ولم ينصرف لأن فى آخره زائدتين ، تقول : سبحت تسبيحاً وسبحاناً ، مثل كفرت اليمين تكفيراً وكفراناً ، ومعناه التنزيه والبراءة لله عزوجل من كل نقص . فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره .

(٢) إضافة من تفسير الكشاف للزمخشرى (بولاق سنة ١٢٨١ هـ . جـ ١ ص ٤٤٧) .

ورُوِى عن / الكسائى أنه جُعِل مُنَادَى تقديره ياسبحانك ، وأباه الجمهور . ٣٢٦و

السفاقسى والسمين : «ورُدَّ بأنه لم يُسْمَع دخول حرف النداء عليه ، وزعم بعضهم أن لفظه لفظ التثنية ومعناه كذلك كَلَبَّيْك . وهو غريب . ويلزمه أن يكون مُفْرَدُه سُبْحاً وألا يكون منصوباً بل مرفوعاً ، وأن نونه لم تسقط بالإضافة وأن فتحها يلزم » .

ومن الغرائب أيضاً ما حكاه الماوردى عن أبان بن تَغْلِب – بالمثناة الفوقية والغين المعجمة – أن سبحان كلمة أصلها بالنبطية «شبهانك[1] » فعُرِّبَت «سبحانك» . والذى أضيف إلى سبحان مفعول به لأنه المُسَبَّح ، ويجوز أن يكون فاعلاً لأن المعنى تنزّه الذى أسرى بعبده .

الخامس : فى الكلام على «أَسْرَى» .

البرهان النسفى : قال أهل اللغة : أَسْرَى وسرى لغتان . زاد غيره : يختصان بسَيْر الليل

السمين : فيكون سَرَى وأَسْرَى كسقى وأسقى . والهمزة هنا ليست للتعدية ، خلافاً لابن عطية[2]، وإنما المُعَدِّى الباء فى «بعبده» . وتقدم فى البقرة أنها [لا][3] تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول عند الجمهور ، خلافاً للمبرد . وبسط الكلام على ذلك هنا وفى البقرة .

السفاقسى : الباء للتعدية وترادف الهمزة عند الجمهور خلافاً للمبرد والسهيلى فى أنها تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيلى[4] : إذ قلت قَعَدْتُ به فلابُدَّ من مشاركة ولو باليد . ورُدَّ عليهما بالآية : (ذَهَبَ اللهُ بنورهم[5]) ، لأن الله تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور . ورُدَّ عليهما أيضاً بقول الشاعر :

دِيارُ التى كانت[ونحن][6] على مِنِى تَحِلُّ بنا لولا نِجَاءُ الركائبِ

(١) لم يرد ما يدل على أن « سبحانك » من الألفاظ الدخيلة فى المعرب لجواليقى (القاهرة سنة ١٣٦١ هـ) ولا شفاء الغليل للخفاجى – القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ) ولا الألفاظ الفارسية المعربة لإدى شير الكلدانى (بيروت سنة ١٩٠٨ م) .

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن أبى بكر بن غالب بن عطية الغرناطى له المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز توفى سنة إحدى وقيل ست وأربعين وخمسمائة ، انظر بغية الوعاة للسيوطى (ص ٢٩٥) .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) الروض الأنف جـ ١ ص ٢٤٣ .

(٥) سورة البقرة آية ١٧ .

(٦) إضافة من شرح المواهب (جـ ٦ ص ١٠) .

أى تحلنا فالباء هنا للتعدية ، ولم تَقْتَضِ المشاركة لأَن الديار لم تكن حراماً فتصير حلالاً ، ولكون الباء بمعنى الهمزة لا يُجْمَع بينهما ، فلا يُقال أَذْهَبْتُ بزيد .

وَجَزَمَ ابن دِحْيَة - بفتح الدال وكسرها - وابن المنير ، بما قاله المُبَرِّد فقالا : «يُؤْخَذ بن قوله : «أَسْرَى بعبده» ما لا يُؤْخَذ إن قيل : بَعَثَ إلى عبده ، لأَن الباء تفيد المصاحبة ، أى صَحِبَهُ فى مَسْرَاه بالإلطاف والعناية والإسعاف» . زاد ابن دحية : «ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «اللهم أنت الصاحب فى السفر[1] » .

ويؤخذ من ذلك أن من قال : لله عَلَيَّ أَن أَحُجَّ بفلان ، يلزمه الحَجّ معه ، بخلاف ما لو قال : للهِ علىَّ أَنْ أُحِجَّ فلانا ، فإنه يلزمه أن يُجَهِّزه للحج من ماله . والفرق بين الصورتين ما تعطيه الباء من المصاحبة» . انتهى . وتقدم رَدُّ ذلك .

الحافظ[2] : «أَسْرَى مأخوذ من السُّرَى وهو سَيْر الليل ، فقول العرب أَسرى وسرى إذا سار ليلاً ، هذا قول الأَكثر» .

وقال الحوفى : «أَسرى سار ليلاً ، وسرى سار نهاراً» .

قال الحافظ فى موضع آخر : «وقيل أَسرى سار من أَول الليل ، وسرى سار من آخره» وهذا أَقرب . ولم يختلف القراء فى أَسْرَى ، بخلاف قوله تعالى فى قصة لوط : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)[3] . فقُرِئت بالوصل والقطع ، وفيه تعقيب على من قال من أَهل اللغة : إن أَسرى وسرى بمعنى .

قال السهيلى : «السُّرَى من سَرَيْتُ إذا سِرْتُ ليلاً ، يعنى فهو لازم . والإسراء يتعدى فى المعنى ، لكن حُذِفَ مفعوله حتى ظَنَّ من ظَنَّ أَنهما بمعنى واحد ، وإنما معنى «أَسرى بعبده» ، جعل البراق يُسْرِى به ، كما تقول : أَمْضَيْتُ كذا أَى جعلته يَمْضِى ، لكن حُذِفَ المفعول لقوة الدلالة عليه ، والاستغناء عن ذِكْرِه ، إذ المقصود بالذكر المصطفى لا الدابة التى سارت

---

(١) عن مالك أنه بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كان إذا وضع رجله فى الغرز وهو يريد السفر يقول: « بسم الله اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم أزولنا الأرض وهون علينا السفر ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن سوء المنظر فى المال والأهل » . (تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٠ و ٢١) .

(٢) هو الحافظ ابن حجر العسقلانى كما أشار المؤلف إلى ذلك فى مقدمته .

(٣) سورة هود آية ٨١ .

به . وأما قصة لوط فالمعنى : سِرْ بهم على ما يتحملون عليه / من دابة ونحوها ، هذا معنى **٣٢٦ظ** قراءة القطع . ومعنى الوصل : سِرْ بهم ليلاً ، ولم يأت مثل ذلك فى الإسراء ، إلا أنه لا يجوز أن يُقال : «سَرَى بعبده» بوجه من الوجوه[١] » .

قال الحافظ والنسفى : «الذى جزم به إنما هو من هذه الحيثية التى قَصَر فيها الإشارة إلى أنه سار ليلاً على البُرَاق . والآن لوقال قائل : سِرْتُ بزيد بِمَعْنَى صاحبته لكان المعنى صحيحاً .

السادس : فى الكلام على العبد :

أَجمع المسلمون على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لُغَةً المملوك من نوع مَنْ يَعْقِل . قال فى المُحْكَم[٢] : «العَبْدُ الإنسانُ حُرّاً كان أو رقيقاً ، لأنه مملوك لبارئه» . وقال غيره : «إنه مُشْتَقٌ من التَّعَبُّد وهو التَّذَلُّل» .

قال ابن الأنبارى : «العبد الخاضع لله ، من قولهم : طريق مُعَبَّد إذا كان قد وَطِئَها الناس» .

وللإمام جمال الدين بن مالك بيتان فى جموع عَبْد ، وذَيَّل الشيخ رحمة الله عليهما بمثلهما ووَطَّأ قبلهما ببيت ، فقال :

جُمُوعٌ لِعَبْدٍ لابنِ مَالِك نَظْمُهـا ... وَزِدْتُ عليها مِثْلَها فَاسْتَفِدْ وَجُدْ

عِبَادٌ عَبِيدٌ جَمْعُ عَبْدٍ وَأَعْبُدٍ ... أَعَابِدُ مَعْبُودا مُعَبَّدَةٌ عُبُدْ

كَذَلِكَ عُبْدَانٌ وعِبْدَانُ أُثْبِتَا ... كَذَاكَ العِبِدَّى وَامْدُدْ اِنْشِئْتَ أن تَمُدْ

وقد زِيدَ أَعْبَادٌ عُبُودٌ عِبِدَّةٌ ... وخَفِّفْ بِفَتْح والعِبِدَّانِ [إن] تَشُدْ

وأَعْبِدَةٌ عَبْدُونَ ثُمَّتَ بَعْدَها ... عَبِيدُونَ مَعْبُودا بِقَصْرٍ فَخُذْ تَسُدْ

الإسنوى رحمه الله تعالى : «قال سيبويه : العبد فى الأصل صفة ، ولكنه استُعْمِل استعمال الأسماء» .

---

(١) الروض الأنف (جـ١ ص ٢٤٢ : ٢٤٣) .

(٢) من معاجم اللغة الهامة وهو لعلى بن إسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٤٢ .

الشيخ زكريا رحمه الله تعالى فى فتح الرحمن «قال [تعالى[1]] : «بِعَبْدِهِ» دون نبيه أو حبيبه لئلا تُضِلَّ أُمته أو لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات» .

الأُستاذ أبو على الدَّقَّاق[2] رحمه الله تعالى : «ليس للمؤمن صفة أَتَمّ ولا أشرف من العبودية ، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه فى أشرف المواطن ، كقوله : (سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ[3]) ، (الحَمْدُ لله الَّذِى أَنْزَلَ على عَبْدِهِ الكتاب[4]) ، (فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى[5]) ، (تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ على عَبْدِهِ[6]) .

الشيخ عبد الباسط البلقينى[7] رحمه الله : «ومن هنا يؤخذ الجواب عن وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك ووصف يحيي عليه السلام بالسيادة فى قوله [تعالى] : (وسَيِّداً ، وَحَصُوراً[8]) .

الأُستاذ أبو القاسم القشيرى[9] رحمه الله : « فى معناه أنشدوا :

يَا قَوْمِ قلبى عند زَهْرَاءِ ... يعرفه السَّامع والرَّائى

لا تَدْعُنِى إلا بيا عَبْدها ... فإنه أشرف أسمائى[10]»

العَوْفِى رحمه الله : «والسبب فى ذلك أن الإلهية والسيادة والربوبية إنما هى فى الحقيقة لله عز وجل لا غير . والعبودية فى الحقيقة لمن دونه . فإذا كان فى مقام العبودية فهو فى رتبته الحقيقية ، والرتبة الحقيقية أشرف المراتب ،/ إذ ليس بعد الحقيقة إلا المجاز ، ولا بعد الحق إلا الضلال» . ٣٢٧ و

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) هو أبو على الحسن بن على الدقاق النيسابورى من أعلام الصوفية توفى سنة ٤١٢ هـ ترجم له ابن الجوزى فى المنتظم (جـ ٨ ص ٧) وانظر أيضاً شذرات الذهب (جـ ٣ ص ١٨٠ : ١٨١) .

(٣) الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٤) الآية الأولى من سورة الكهف .

(٥) سورة النجم آية ١٠ .

(٦) الآية الأولى من سورة الفرقان .

(٧) هو عبد الباسط بن محمد بن أحمد . البلقينى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ٤ ص ٢٩ : ٢٩) وقال بأنه ولد سنة ٨٧٠ هـ ولم يذكر سنة وفاته لأنه عاش بعد وفاة السخاوى سنة ٩٠٢ هـ .

(٨) سورة آل عمران آية ٣٩ .

(٩) هو عبد الكريم بن هوازن القشيرى صاحب الرسالة القشيرية توفى سنة ٤٦٥ هـ ، انظر فى ترجمته ابن خلكان (جـ ١ ص ٢٩٩ : ٣٠١) والتاج السبكى فى طبقات الشافعية (جـ ٣ ص ٢٤٣ : ٢٤٨) .

(١٠) أورد القرطبى هذين البيتين فى تفسيره (جـ ١ ص ٢٣٢) و (جـ ١٠ ص ٢٠٥) حيث نقل عن القشيرى أنه قال : «لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية ، وأرقاه فوق الكواكب العلوية ألزمه اسم العبودية تواضعاً للأمة» .

البرهان النسفى رحمه الله : «قيل لما وصل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المِعْراج ، أَوحى الله تعالى إليه : يامحمد أشرفك ؟ . قال : يارَبّ تنسبنى إلى نفسك بالعبودية ، فانزل الله تعالى : «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) الآية .

وأَقوال القوم فى العبد والعبودية كثيرة ، والأَلفاظ مختلفة معانيها ، وكل أَحد يتكلم بلسان حاله على قدر مقامه ، فقال أَبو حفص النيسابورى رحمه الله : «العبد هو القائم إلى أَوامر سيده على حَدّ النشاط حيث جعله محل أَمره» .

ابن عطاء رحمه الله : «العَبْد الذى لا مِلْك له» .

الجَريرى – بفتح الجيم – : «حقيقة العبد هو الذى يَتَخَلَّق بأَخلاق رَبِّه» .

رُوَيْم رحمه الله تعالى : «يتحقق العبد بالعبودية إذا أَسلم القياد من نفسه وتَبَرَّأَ من حوله وقوته ، وعلم أَن الكل له وبه» .

عبد الله بن محمد رحمه الله : «حُزْتَ صِفَةَ العبودية إن كنتَ لا ترى لنفسك مِلْكاً ، وتعلم أَنك لا تملك لها نفعاً ولا ضراً . ورحم الله من قال :

وكنتُ قديماً أَطلب الوصل منهم	فلما أَتانى الحِلْمُ وارتفع الجَهْلُ
تَيَقَّنْتُ أَن العبد لا مطلب لـــه	فإن قربوا فَضْلٌ وإن أَبعدوا عَدْلُ
وإن أَظهروا لم يُظْهِروا غيروَصْفِهم	وإن ستروا فالستر من أَجلهم يحلو

الامام الرازى رحمه الله ، دل قوله بعبده على أن الاسراء كان بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأَن العبد اسم للجسد والروح ، قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ، عَبْدًا إذا صَلَّى[1]) .

السابع : فى الكلام على قوله تعالى : «لَيْلاً» .

الحافظ رحمه الله تعالى : «ليلاً ظرف للإسراء وهو للتأكيد ، وفائدتُه رَفْع تَوَهُّم المجاز ، لأَنه قد يُطْلَق على سَيْر النهار أَيضاً ، ويُقَال بل هو إشارة إلى أَن ذلك وقع فى بعض الليل لا فى جميعه ، والعرب تقول : سَرَى فلان ليلاً إذا سار بَعْضَه ، وسَرَى فى ليلة إذا سار فى

(١) سورة العلق آية ٩ و ١٠ .

جميعها . ولا يقال أَسرى ليلاً إلا إذا وقع سَيْرُه فى أَثناءِ الليل ، وإذا وقع فى أَوله يقال أَدْلَجَ ، ومن هذا قوله تعالى فى قصة موسى وبنى إسرائيل : (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً[1]) ، أى من وَسَط الليل » .

أبو شامة رحمه الله تعالى : « إنما نُسِب السُّرَى إلى الليل لما كان السُّرَى واقعاً فيه كقوله تعالى : (والنَّهَارَ مُبْصِراً[2]) ، أى يُبْصَر فيه ، فهو من باب قوله : لَيْلٌ نائم وساهر ، أى يحصل فيه النوم والسَّهَر ، وهذا باب من أبواب المجاز معروف » .

واستشكل كثير من الناس كون « ليلاً » ظرفاً للإسراء . ووجه الإشكال أنه قد تَقَدَّم أَن الإِسراء هو سَيْرُ الليل ، فإذا أُطْلِق الإِسراء فُهِمَ أنه واقعٌ ليلاً ، فهو كالصَّبُوح فى شُرْب الصباح ، لا يحتاج إلى قوله : شَرِبْتُ الصَّبُوحَ صباحاً .

وجوابه أَن الأَمر وإن كان كذلك إلا أَن العرب تفعل مثل ذلك فى بعض الأَوقات إذا أَرادت تأْكيد الأُمور . والتأْكيد نَوْعٌ من أَنواع كلامهم وأُسلوبٌ منه . والعرب تقول : أَخذ بيده ، وقال بلسانه . وفى القرآن العزيز : (وَلَا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ[3]) ، (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم[4]) ، (فَخَرَّ عَلَيْهِم السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِم[5]) ، وقال جرير :

سَرَى نحوها ليلاً كأَن نجومَه ... قناديلُ فيهن الذُّبَال المُفَتَّل[6]

الذُّبَال : جمع ذُبَالة ـ بضمّ الذال المعجمة وهى الفتيلة .

الجوهرى : « وإنما قال ليلاً ، وإن كان السُّرَى لا يكون إلا بالليل للتأْكيد ، كقولهم : سِرْتُ أَمس / نهاراً والبارحة ليلاً .

٣٢٧ ظ

الزمخشرى : [فإن قلتَ الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذِكْرُ الليل ؟ قلت[7]] : أَراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه وقع السُّرَى به فى بعض الليل من

---

(١) سورة الدخان آية ٢٣ .
(٢) سورة يونس آية ٦٧ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٦٧ .
(٥) سورة النحل آية ٢٦ .
(٦) فى الأصول : المفضل والتصويب من ديوان جرير ص ٤٥٦ ، وفى القاموس ذبال مفتل شدد للكثرة وصدر البيت فى الديوان : سرى نحوكم ليل كأن نجومه .
(٧) إضافة من الكشاف (جـ ١ ص ٤٤٧) يقتضيها السياق .

مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دَلَّ على معنى البعضية ، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحُذَيْفَة «من الليل» أى بعض الليل كقوله تعالى : (وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ به نَافِلَةً لَكَ[1]) يعنى الأمر بقيام الليل فى بعض الليل[2] .

قال أبو شامة : «وهذا الوجه لا بأس به ، وقد زاد شيخنا أبو الحسن – يعنى السخاوى[3] فى تفسيره أيضاً وتقريراً ، فقال : وإنما قال : «ليلاً» ، والإسراء لا يكون إلا بالليل ، لأن المدة التى أُسْرِىَ به فيها لا تُقْطَع فى أقل من أربعين يوماً ، فقُطِعَت به فى ليل واحد من كذا إلى كذا ، وهو موضع التعجب» . قال : «وإنما عُدِل عن لَيْلةٍ إلى ليل ، لأنهم إذا قالوا : سَرَى ليلةً ، كان ذلك فى الغالب لاستيعاب الليلة ، فقيل : ليلاً أى فى ليل» .

وتَعَقَّب صاحب الفوائد كلام الزمخشرى بكلام تَعَقّبه فيه الطيبى ، ثم قال الطيبى : «ويمكن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم ، والمقام يقتضيه ، ألا ترى كيف افْتُتِحت السورة بالكلمة المُنْبِئَة عنه ؟ ثم وصف المُسْرَى به بالعبودية ، ثم أردف تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لِمَا حَوْلَه ، يُعَظِّم الزمان ثم يُعَظِّم الآيات بإضافتها إلى صيغة التعظيم ، وجَمَعَهَا لتشمل جميع أنواع الآيات ، وكُلُّ ذلك شاهِدُ صِدْق على ما نحن بصدده ،والمعنى ما أَعْظَمَ شأن مَنْ أُسْرِى [به] مِمَّن حُقِّق له مقام العبودية ، وصُحِّح له استنهاله للعناية السرمدية ليلاً ، أى ليل له شأن جليل .

ابن المنير رحمه الله تعالى : «وإنما كان الإسراء ليلاً لأنه وقت الخَلْوَة والاختصاص

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ .

(٢) كذا فى الأصول وفى الكشاف : بالقيام فى بعض الليل .

(٣) فى الأصول : البخاري وقد تقرأ النجارى والتصويب أولا من ترجمة أبى شامة فى فوات الوفيات (ج ١ ص ٥٢٧ : ٥٢٩) وجاء فيها إن أبا شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) : جمع القراءات كلها سنة ست عشرة (وستمائة) على الشيخ علم الدين السخاوى ، ثانياً ترجم أبو شامة لشيخه هذا فى كتابه : الذيل على الروضتين (القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ. ص ١٧٧) وذلك فى وفيات سنة ٦٤٣ هـ. وجاء فيها : « توفى شيخنا علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى رحمه الله ، علامة زمانه وشيخ عصره وأوانه » .

وهناك ترجمة أخرى لأبى الحسن السخاوى فى بغية الوعاة (ص ٣٤٩) ، هذا ويشترك فى النسبة إلى سخا مع أبى الحسن ، علماء آخرون منهم محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الضوء اللامع المتوفى سنة ٩٠٢ هـ .

عُرْفاً ، ولأنه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى : (قُم اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلا)[1] وليكون أَبْلَغَ للمؤمن فى الإيمان بالغيب ، وفِتْنَةً للكافر » .

ابن دحية رحمه الله : « أُكْرِم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلاً بأُمور منها : انشقاق القمر ، وإيمان الجنّ به ، ورأَى أصحابُه نيرانَهم ، كما فى صحيح مسلم[2] ، وخرج إلى الغار ليلاً . والليل أصل ، ولهذا كان أول الشهور ، وسوادُه يجمع ضَوْء البَصَر ، ويُحِدّ كليلَ النَّظَر ، ويُسْتَلَذُّ فيه بالسَّمَر . وكان أكثر أسفاره ليلاً . وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم ـ بالدُّلْجَة فإن الأرض تُطْوَى بالليل[3] » . والليل وقت الاجتهاد للعبادة . وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تَوَرَّمت قدماه . وكان قيام الليل فى حَقِّه واجباً ، فلما كانت عبادته ليلاً أُكْرِم بالإسراء [به] فيه ليكون أَجْرُ المُصَدِّق به أكثر ، ليدخل فيمن آمن بالغَيْب دون من عاينه نهاراً ، وقَدَّم الحَقُّ تبارك وتعالى اللَّيْلَ فى كتابه على ذِكْر النهار ، فقال عز وجل : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ[4]) ، (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا[5]) إلى غير ذلك من الآيات » .

وصَحَّ أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يَنْزِل رَبُّنَا تَبَارَكَ وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاء الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُول : مَنْ يَدْعُونِى فأَستجيب له ، مَنْ يَسْأَلُنِى فأُعْطِيه ، ومن يَسْتَغْفِرُنى فَأَغْفِر له » ، الحديث[6] .

وهذه الخَصِيصة لم تُجْعَل للنهار ، نَبَّه بها صلى الله عليه وسلم لِمَا فى ذلك الوقت من

---

(١) سورة المزمل آية ٢ .

(٢) أحاديث انشقاق القمر أخرجها مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ١٧ ص ١٤٣ : ١٤٦) مسندة إلى عبد الله ابن مسعود وأنس بن مالك . وعن الأول قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم اشهد » . وعن الثانى أن أهل مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين » .

كما أخرج مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ٤ ص ١٦٧ : ١٧٠) فى باب الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن أحاديث فى هذا الصدد مسندة إلى ابن عباس وابن مسعود .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه .

(٤) سورة الإسراء آية ١٢ .

(٥) سورة الفرقان آية ٦٢ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه (جـ ٨ ص ١٢٧ : ١٢٨) فى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ، مسنداً إلى أبى هريرة ، كما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

٣٢٨ و الليل من سَعَة الرحمة ومضاعفة الأَجر وتعجيل الإجابة ، ولإبطال كلام الفلاسفة أن/ الظُّلْمَة من شأنها الإهانة والشَّرّ ، لأَن الله تعالى أكرم أَقواماً فى الليل بأَنواع الكرامات كقوله فى قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ[1]) الآية . وفى لفظ بقوله : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ من اللَّيْلِ[2]). وفى موسى : (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثلاثين لَيْلَةً[3]) وناجاه ليلاً ، وأَمره بإخراج أَهله ليلاً .

بعض أَهل الإشارات[4]: «لما محا الله آية الليل ، (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً[5]) انكسر الليل ، فَجُبِر بأَن أُسْرِىَ فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم» . انتهى .

أَبو أُمَامة بن النَّقَّاش رحمه الله : «ليلة الإسراء أَفضل من ليلة القَدْر فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وليلة القَدْر أَفضل فى حق الأُمة ، لأَنها لهم خَيْرٌ من عَمَلٍ أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم . وأَما ليلة الإسراء فلم يأتِ فى أَرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ، ولذلك لم يُعَيِّنها النبى صلى الله عليه وسلم» .

ويؤخذ من قول الإمام البلقينى رحمه الله فى قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم :

أَوْلَاكَ رُؤْيَتَــه فى لَيْلَةٍ فَضُلَتْ ... لَيَـالَى القَدْرِ فيهـا الرَّبُّ أَرْضَاكَا

أن ليلة الإسراء أَفضل من ليلة القَدْر .

قال فى الاصطفاء : «ولعل الحكمة فى ذلك اشتمالها على رؤيته تعالى التى هى أفضل كل شىء ، ولذا لم يجعلها ثواباً عن عمل من الأَعمال مطلقاً ، بل مَنَّ بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تَفَضُّلاً منه تعالى . .

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٦ . (٢) سورة هود آية ٨١ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

(٤) أهل الإشارات هم المحققون من الصوفية والإشارات هى الحقائق التى يأخذونها من نص القرآن ولا يقصدون أن ما أخذوه تفسير صريح النص (شرح المواهب جـ ٦ ص ٨) .

(٥) سورة الإسراء آية ١٢ .

تنبيه : اختُلِف هل الليل أفضل من النهار ؟ فَرَجَّح كُلاً مُرَجِّحون[1] . وقد أَلَّف الإمام أبو الحسين بن فارس[2] اللغوى كتاباً فى التفضيل بينهما فذكر وجوهاً فى تفضيل هذا [ووجوهاً فى تفضيل هذا[3]] .

الثامن : فى الكلام على قوله تعالى (مِنَ المَسْجِدِ الحرام) :

« مِنْ » ههنا لابتداءِ الغاية .

الزركشى رحمه الله فى كتابه : «إعلام الساجد بأحكام المساجد» : «المَسْجِد لُغَةً مَفْعِل بالكسر إسم لمكان السجود وبالفتح إسم للمصدر[4]» .

قال أبو زكريا الفَرَّاء : «كل ما كان على فَعَل يَفْعُل كدَخَل يَدْخُل ، فالمَفْعَل منه بالفتح إسما كان أو مصدراً ، فلا يقع فيه الفرق مثل دَخَل مَدْخَلًا . ومن الأسماء ما ألزموها كَسْرَ العين منها : المَسْجِد والمَطْلِع والمَغْرِب والمَشْرِق وغيرها ، فجعلوا الكَسْر علامةً للاسم ، وربما فتحه بعض العرب . وقد رُوِىَ المَسْجِد والمسْجَد والمَطْلِع والمَطْلَع» . قال : «والفتح فى كله جائز وإن لم نسمعه» .

قال فى الصحاح : «والمَسْجَدَ بالفتح جُبهة الرجل حيث يصيبه السجود .

---

(١) لابن منظور صاحب اللسان كتاب فى هذا الموضوع تعرض فيه لهذه المفاضلة أسماه نثار الأزهار فى الليل والنهار ، طبعة الجوائب سنة ١٢٩٨ هـ ص ٩ وما بعدها .

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازى اللغوى توفى سنة ٣٩٠ هـ ترجم له ابن خلكان ج ١ ص ٣٥ : ٣٦ . وكتاب ابن فارس فى الليل والنهار ذكره محب الدين الخطيب فى ثبت مؤلفات ابن فارس فى مقدمة كتاب الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، (القاهرة سنة ١٩١٠ م) .

(٣) إضافة يقتضيها السياق كما وردت فى عبارة نقلها رفاعة رافع الطهطاوى فى كتابه نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ ص ١٠٥) عن السيوطى جاء فيها : قال الحافظ السيوطى – رحمه الله – : « وقد وقفت على تأليف فى التفضيل بين الليل والنهار لأبى الحسين بن فارس اللغوى صاحب المجمل ، فذكر فيه وجوهاً فى تفضيل هذا ووجوها فى تفضيل هذا فما ذكره فى تفضيل الليل . . . » .

وأورد رفاعة فى هذه المفاضلة أقوالا مختلفة (ص ١٠٤ : ١٠٧) انتهى فيها إلى أن الأزمان متكافئة فى حد ذاتها والفضل إنما هو بالخصوصيات المنسوبة إليها .

(٤) ص ٢٦ من نسخة الإعلام التى نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق فضيلة الشيخ أبى الوفا المراغى (القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ) .

وقال أبوحَفْص الصَّقَلىُّ[1] - بفتحتين - فى كتاب تثقيف اللسان « ويقال مسجد بفتح الميم ، حكاه غير واحد ، فتحصلنا فيه على ثلاث لغات » .

والمِسْجَد بكسر الميم الخُمْرة[2] بضم الخاء المعجمة وهى الحصير[3] الصغير ، قاله العسكرى[4] .

وأما عرْفاً فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم : «جُعِلت لىَ الأرضُ مسْجِدًا وطَهُوراً[5] » . قلتُ وسيأتى الكلام على هذا الحديث فى الخصائص .

ولما كان السجود أفضل أفعال الصلاة لقُرْب العبد من رَبِّه اشتُقَّ اسم المكان منه ، فقيل مَسْجِد ، ولم يقولوا مَرْكِع . ثم إن العُرْف خَصَّص المَسْجِد بالمكان المُهَيَّأ للصلوات الخمس حتى يخرج المُصَلَّى المُجْتَمَع فيه للأعياد ونحوها ، فلا يُعْطَى حُكْمُه ، وكذلك الرُّبُط[6] والمدارس فإنها هُيِّئت لغير ذلك .

التاسع : فى الكلام على قوله : الحرام / ٣٢٨ ظ

أبو شامة : أَصل الحرام المنع ، ومنه البيت الحرام ، وفلان حرام أى محرم وهو ضد الحلال ، وذلك لما مُنِع منه المُحْرِم مما يجوز لغيره ، ولِمَا مُنِع فى الحرم مما يجوز فى غيره من البلاد .

الماوردى رحمه الله فى كتاب الجزية من حاويه[7] : « كلُّ مَوْضِع ذَكَر اللهُ تعالى [فيه][8]

---

(١) هو على بن جعفر بن على المعروف بابن القطاع ، السعدى الصقلى توفى سنة ٥١٥ ، (ابن خلكان جـ ١ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) .

(٢) الخمرة بضم الخاء المعجمة الحصيرة أو السجادة تنسج من سعف النخل وترمل بالخيوط ، عن المعجم الوسيط .

(٣) من معانى الحصير البساط المنسوج . وفى تاج العروس : الحصير وجه الأرض ، وقيل : وبه سمى ما يفرش على الأرض حصيراً لكونه يلى وجهها والجمع أحصرة وحصر بضمتين .

(٤) قاله العسكرى فى كتابه الذى أسماه : « التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه » وقد نشر الجزء الأول منه فى القاهرة فى سنة ١٣٢٦ هـ والعبارة التى نقلها عنه الصالحى تقع فى نهاية ص ١١٣ . والعسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سعيد أحد أئمة الأدب توفى سنة ٣٨٢ هـ (ابن خلكان جـ ١ ص ١٣٢) .

(٥) طرف حديث خرجه البخارى (جـ ١ ص ١٤٩) فى كتاب التيمم عن جابر بن عبد الله .

(٦) الربط جمع رباط ويطلق على ملجأ الفقراء من الصوفية .

(٧) كتاب الحاوى فى الفقه الشافعى لمؤلفه أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، يقع فى نيف وعشرين جزءاً . انظر ترجمة مؤلفه فى طبقات الشافعية للتاج السبكى (جـ ٣ ص ٣٠٤ : ٣١٤) .

(٨) إضافة يقتضيها السياق كما وردت فيما نقله الزركشى عن الماوردى فى كتابه إعلام الساجد ص ٦٠ .

المَسْجِدَ الحرام فالمراد به الحَرَم ، إلا فى قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِد الحَرَام[1]) فإنه أراد به الكعبة .

الحافظ رحمه الله تعالى : «لفظ المسجد الحرام فى الأصل حقيقة الكعبة فقط ، وهو المَعْنِيُّ بقوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وهُدًى لِلعَالَمِين[2]) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم لما سأله أبو ذَرّ عن أول مسجد وُضِعَ فى الأرض فقال : «المسجد الحرام[3] » . واستعمله بعد ذلك فى المسجد المحيط بالكعبة فى قوله : «صلاةٌ فى المسجد الحرام بكذا وكذا صلاة[4] » ، على وجه التغليب المجازى . وفى قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المَسْجِدِ الحَرَام[5]) على قول من يقول المراد به مكة ، لأنه كان فى بيت أم هانئ . وفى دور مكة والحرم حولها فى قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » . كل ذلك من باب التغليب المُسَوِّغ للمجاز المُتَوَسَّع فيه وإلا لَزِم الاشتراك فى موضع لفظ المسجد الحرام ، والمجاز أولى منه ، وكيف يقال بالاشتراك ؟ والفهم ما تبادر عند الإطلاق إلى الكعبة ، أو إليها مع المسجد حولها ، ولا يتبادر إلى مكة كلها إلا بقرينة » . انتهى مُلَخَّصاً .

العاشر : فى الكلام على الأقصى :

البرهان النسفى رحمه الله : «اتفقوا على أن المراد به مسجد بيت المقدس ، وسُمِّيَ بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام» .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٤ . (٢) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(٣) فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أول مسجد وضع على الأرض فقال : « المسجد الحرام » . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل . وقال البخارى فى بعض طرقه : أينما أدركتك الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه . خرجه فى ذكر الأنبياء .

(٤) روى النسائى فى سننه من حديث ميمونة – رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة ، وروى أيضاً من حديث أبى هريرة : « إلا الكعبة » . وأخرج ابن ماجه (ج ١ ص ٤٥) عن جابر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه .

(٥) الآية الأولى من سورة الإسراء .

الزمخشري رحمه الله : «سُمِّى الأقصى لأنه لم يكن وراءه مسجد» .

الكفيل : فثبتَ له هذا النَّعْت وإن كان وراءه بعد مساجد هى أقصى منه ، لأن العَلَمية إذا أُثبتَتْ لسبب لم يَضُرّ زَوَالُ السبب» .

ابن دحية رحمه الله : «وهو مَعْدِن الأنبياء من لدن الخليل صلى الله عليه وسلم ، ولذا جُمِعُوا له هناك كلهم ، وأنهم فى محلتهم ودارهم ، ليدل ذلك على أنه الرئيس المُقَدَّم ، والإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم » .

أبو شامة : « هو بيت المقدس الذى عَمَرَهُ نَبِىُّ الله سليمان صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل ، وما زال مُكَرَّماً مُحْتَرَماً ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تُشَدُّ الرِّحالِ شرعاً إلا إليها[1] ، أى لا تقصد بالزيارة والتعظيم من جهة أمر الشارع إلا هذه الثلاثة . وكان أبعد مسجد عن أهل مكة أو من النبى صلى الله عليه وسلم ، والأقصى أفعل من القَصِىّ والقاصى هو البعيد» .

ابن أبى جَمْرَة[2] ــ بفتح الجيم وبالراء ــ رحمه الله : «والحكمة فى إسرائه صلى الله عليه وسلم أولاً إلى بيت المقدس ، لإظهار الحق على من عاند ، لأنه لو عُرِج به من مكة إلى السماء ، لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح . فلما ذكر أنه أُسْرى به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رَأَوْها وعَلِموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك. فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء به إلى بيت المقدس فى ليلة . وإذا صَحَّ خَبَرُه فى ذلك لَزِم تصديقه فى بقية ما ذُكِرَ» . انتهى .

وقيل : ليحصل له العروج مستوياً من غير تعويج لِمَا رُوِى عن كعب أن باب السماء الذى يقال له مَصْعَد الملائكة يقابل باب بيت المقدس ، قال : وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه (ج ٢ ص ١٣٦) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومسجد الأقصى » .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعد بن أبى جمرة مؤلف مختصر البخارى وشرحه بهجة النفوس توفى سنة ٦٩٩ هـ . ترجم له أحمد بابا التمبكتي فى نيل الابتهاج بتطريز الديباج على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ، (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ص ١٤٠) .

٣٢٩ و الحافظ / : «وفيه نظر . وقيل ليجمع بين القِبْلَتَيْن، لأَن بيت المقدس كان هجرة غالب الأَنبياء فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ليجمع بين أَسباب الفضائل . وقيل لأَنه محل الحَشْر ، فأَراد الله تعالى أَن تطأَه قَدَمُه ليسهل على أُمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أَثر قدميه . وقيل أَراد الله سبحانه وتعالى أَن يُرِيَه القبلة التى صلى إليها مدة ، كما عُرِفت الكعبة التى صلى إليها . وقيل لأَنه مجمع أَرواح الأَنبياء فأَراد الله تعالى أَن يُشَرِّفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم . وقيل لتفاؤل حصول التقدير له حِسًّا ومعنى .

ابن دحية : «ويحتمل أَن يكون الحق سبحانه وتعالى أَراد أَلاَّ يُخْلِيَ تربةً فاضلةً من مشهده وَوَطْءِ قَدَمَيْه ، فتَمَّم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد فيه . فلما تم تقديسه به ، أَخبر صلى الله عليه وسلم أَنه : لا تُشَدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام لأَنه مولده ومسقط رأسه وموضع نُبُوَّته ، ومسجد المدينة ، لأَنه محل هجرته وأَرض تربته ، والمسجد الأَقْصَى ، لأَنه موضع معراجه صلى الله عليه وسلم» .

رموز الكنوز : «فإن قيل الإسراء والمِعْراج كانا فى ليلة واحدة ، فَهَلَّا أَخبرهم تعالى بعروجه إلى السماء ؟ قلت : استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أَولاً ، فلما ظهرت أَمَارات صدقه ، وصَحَّت لهم براهين رسالته ، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة ، أَخبرهم بما هو أَعظم منها وهو المعراج ، فحدَّثهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأَنزل الله تعالى سورة النَّجْم» .

الإمام الرازى والبرهان : «أعلم أَن كلمة «إلى» لانتهاء الغاية فمدلول قوله تعالى : (إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى) أَنه وَصَل إلى حَدّ ذلك المسجد ، ولا دلالة فى اللفظ على أَنه دَخَل».

قلت : قال المحققون : إذا كانت «إلى» لانتهاء الغاية ، فإن دَلَّت قرينة على دخول ما بعدها عُمِل بها ، نحو قرأت القرآن من أَوَّله إلى آخره . فالقرينة هنا ذِكْرُ الآخر وجَعْلُه غاية . وقيل القرينة هى كون الكلام مسبوقاً لحفظ القرآن كله ، وذلك مُنَافٍ لخروج الغاية ، فَتَعَيَّن دخولُها ، أَو دَلَّت القرينة على خروج ما بعدها عُمِل بها نحو : (أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلى اللَّيْلِ[1]) . والقرينة فى آية الإسراء العِلْمُ بأَنه لا يُسْرَى به إلى البيت

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧ .

المقدس ولا يدخله وصَرَّحَت السُّنَّة الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس .

الحادى عشر : معنى قوله : (بَارَكْنَا حَوْلَه) :

الراغب رحمه الله : « البَرَكة ثبوت الخير الإلهى فى الشىء ، والمُبَارَك ما فيه ذلك الخير » .

المصباح : « البركة الزيادة والنَّمَاء ، وبَارَكَ اللهُ تعالى فيه فهو مُبَارَك ، والأصل مُبَارَك فيه » .

الأُنموذج : فإن قيل : كيف قال : (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) ، ولم يَقُل باركنا عليه أو فيه ، مع أن البركة فى المسجد تكون أكثر من خارج المَسْجِد وحَوْله ، خصوصاً المسجد الأَقْصَى ؟ قلنا أراد البركة الدنيوية كالأَنهار الجارية والأَشجار المُثْمِرة ، وذلك حوله لا فيه . وقيل أراد البركة الدينية فإنه مقر الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومُتَعَبَّدهم ومهبط الوحى والملائكة . وإنما قال : (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) لتكون بركته أَعَمّ وأَشمل ، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها ، وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس ، ولأنه إذا كان هو الأَصل ، وقد بَارَكَ فى لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مُبَارَكاً فيه بالطريق الأَوْلَى بخلاف العكس . وقيل أراد بالبركة : الدينية والدنيوية وَوَجْهُهما ما مَرّ . وقيل المراد : باركنا ما حوله من بَرَكَةٍ نشأَت/ منه ، فَعَمَّت جميع الأَرض، لأَن مياه الأَرض كلها أَصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس[1] » . انتهى .

٣٢٩ ظ

الكفيل : « فإن قيل إذا كانت البَرَكة حول المسجد الأَقصى فماذا يتميز عليه المسجد الحرام ؟ قلت : البَرَكَة حول المسجد الأَقصى بأعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها ، والبركة

---

(١) لسنا فى حاجة إلى التعليق على هذا التعليل العجيب الذى أورده المؤلف وهو أن مياه الأرض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس لأنه يتناقض مع حقائق العلوم الجغرافية فأنهار العالم فى القارات الست تستمد مياهها من مناطق سقوط الأمطار فى الكرة الأرضية ، وهى مناطق لا علاقة لها البتة بصخرة بيت المقدس . وإيراد المؤلف لهذا التعليل إنما يدل على تدهور العلوم الجغرافية عند المسلمين ابتداء من القرن العاشر الهجرى تلك العلوم التى عنى بها المسلمون فى العصور السابقة ونهضوا بها نهضة عظيمة . ومن العجيب أن يقول المؤلف هذا فى وقت كان معاصراً فيه لحركة الكشف الجغرافى التى كشف فيها الأوروبيون طريق رأس الرجاء الصالح وقارتى أمريكا الشمالية والجنوبية .

حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين والعاكفين والمتوطنين والوافدين ، لأن الأجر يكون على قدر النَّصَب ، وهو واد غير ذى زَرْع ، نَزَّهه الله عن خصب الدنيا وسعتها ، لئلا يكون القصد إليه ممزوجاً بقصد الدنيا ، فهذه البَرَكة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية » . انتهى .

«وحَوْلَهُ» منصوب على الظرف أى أوقعنا البَرَكَة حَوْلَه ، وقيل تقديره : بَارَكْنَا ما حوله .

أبو عبيد الهَرَوِى رحمه الله تعالى : «رَأَيْتُ الناس حَوْلَهُ وحوالَيْه وحَوْلَيْه وحَوَاله ويُجْمَع أحوالا » .

الراغب : حَوْلَ الشىء جانِبُه الذى يمكن أن يَتَحَوَّل إليه والضمير راجع إلى المسجد الأقصى » .

الثانى عشر : فى الكلام على قوله تعالى : (لِنُرِيَهُ من آيَاتِنَا) .

السَّمِين وابن عادل : «قرأ العامة بنون العَظَمة ، جَرْياً على «بَارَكْنَا» ، وفيه التفات من الغيبة فى قوله : (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) إلى التكلم فى « باركنا » و «لنُرِيَه» ، وقرأ الحسن«لِيُرِيَه» بالمثناة التحتية أى الله تعالى» .

وعلى هذه القراءة فى الآية أربع التفاتات ، لأنه التفت أولاً من الغيبة فى «أَسْرَى» إلى التكلم فى «باركنا» . ثم التفت ثانياً من التكلم فى «باركنا» إلى الغيبة «لِيُرِيَه» . ثم التفت ثالثاً إلى التكلم فى «آيَاتِنا» . ثم التفت رابعا إلى الغيبة فى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير) .

الزمخشرى : «وطريقة الالتفات من طرق البلاغة» .

الطيبي : «وذكرك أن قوله : «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ» يدلّ على مَسْرَاه من عالَم الشهادة إلى عالم الغَيْب ، فهو بالغيب أنسب . وقوله : (الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ) دالّ على إنزال البركات وتعظيم شأن المُنْزِل ، فهو بالحكاية على التفخيم أَحْرَى . وقوله : «لِيُرِيَهُ» بالياء إعادة إلى مقام السِّرِّ والغيبوبة من هذا العَالَم، فالغيبوبة بهما أَلْيَق . وقوله : «مِنْ آيَاتِنَا»

عَوْدٌ إلى التعظيم على ما سَبَق . وقوله : (إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصير) إشارة إلى مقام اختصاصه بالمَنْح والزُّلْفَى وغَيْبَة شهوده فى عين «بى يسمع وبى يُبْصر» فالعود إلى الغيبة أَوْلَى» انتهى .

ومعنى الرؤية هو. ما أُرِىَ تلك الليلة من العجائب والآيات الدَّالَّة على قُدْرَة الله تعالى ومنها ما ذكره فى القصة .

أبو شامة : «مِنْ» هنا للتبعيض ، وإنما أُتِىَ بها هنا تعظيماً لآيات الله ، فإن هذا الذى رآه محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان جليلاً عظيماً فهو بعض بالنسبة إلى جملة آيات الله وعجائب قدرته وجليل حكمته . والآية العلامة الظاهرة على ما يلازمها ، فمن عَلِم ملازمة العِلْم للطريق المنهاج ، ثم وجد العِلْم على أنه وجد الطريق ، وكذا إذا وجد شيئاً مصنوعاً ، فإنه يعلم أنه لابُدَّ له من صانع ، فآية الشيء علامته الظاهرة ، ثم غلب ذلك على صدق الرسل ، وعلى الإلهية وكرامات الأولياء وما أشبه ذلك» .

البرهان النسفى : «فإن قيل الآية تدل على أنه تبارك وتعالى ما أراه إلا بعض الآيات وقال فى حق إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وَكَذَلِكَ نُرى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوات والأَرْضِ»[1] ، يدل على أنه تعالى أراه جميع الآيات ، فيلزم أن يكون مِعْراج إبراهيم أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم ، فنقول : ملكوت السموات والأرض بعض آيات الله أيضاً بعضاً مخصوصاً ، والبعض المطلق أفضل من البعض المخصوص ، إذ المطلق يُصْرَف إلى الكامل/ . والجواب المشهور عنه هو أن بعض آيات الله أفضل من ملكوت السموات والأرض . انتهى .

٣٣٠ و

الثالث عشر : فى الكلام على قوله تعالى : (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير) .

السمين : «الصحيح أن الضمير فى «إِنَّه» لله تبارك وتعالى» .

الطيبى : «ولا يبعد أن يرجع الضمير إلى العبد ، كما نقله أبو البقاء عن بعضهم ، قال : «إنه السميع» ، لكلامنا ، «البصير» لذاتنا . وأما تَوَسُّط ضمير الفَعل فللإشعار باختصاصه بهذه الكرامة وَحْدَهُ ، ولعل السِّرّ فى مجيء الضمير مُحْتَمِلاً للأَمْرَيْن الإشارة إلى المطلوب وأنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى رب العِزَّة وسمع كلامه به» .

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٥ .

المـاوردى : «فى الحكمة بالإتيان بالسميع والبصير هنا وجهان : أحدهما : أنه تعالى وصف نفسه بهما ، وإن كانا من صفاته اللازمة لذاته فى الأحوال كلها ، لأنه حِفْظٌ لرسوله عند الإسراء به فى ظلمة الليل ، فلم يَضُرّه ألّا يُبْصِر فيها ، وسمع دُعَاءه فأجابه إلى ماسأل. الثانى : أن قومه لما كذّبوه حين أخبرهم بإسرائه ، فقال : السميع ، يعنى لما يقولونه من تصديق أو تكذيب (و) . البصير ، فيما يفعله من الإسراء والمعراج .

الزمخشرى : «إنه هو السميع» لأقوال محمد ، «البصير» بأفعاله[1] ، العالِم بتَهَذُّبِها وخلوصها فيُكْرِمه ويُقَرِّبه على حسب ذلك .

ولم يَتَعَقَّب ذلك الطيبى ولا السَّكُونى – بالفتح والضمّ – فى التمييز مع مبالغته فى التنكيب[2] والاعتراض عليه . وقال صاحب الكتميل : «ذَكَر صِفَتَيْ السمع والبصر تنبيهاً على أنه عَلِم حيث يجعل رسالاته وكراماته ، والبصير بآياته ، وكما أنه أعلم فهو أسمع وأبصر . والمراد أنه السميع لمن صَدَّق بالإسراء البصير بمن كَذَّب به» ، ثم ذكر كلام الزمخشرى السابق ، ثم قال : «وفى كلامه هذا إيماءٌ إلى القول بإيجاب الجزاء وتلويح إلى اعتقاد[3] أن فضائل النبوة مكتسبة ، فاحذر هذه العقيدة . انتهى .

الغزالى رحمه الله : المقصد الأسنى : « السميع هو الذى لا يعزُب عن إدراكه مسموع وإن خَفِى ، فيسمع السِّرّ والنجوى ، بل ما هو أدق وأخفى ،ويدرك دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصَّمَّاء ، يسمع بغير أَصْمِخَةٍ وآذان ، وسَمْعُهُ مُنَزَّه [عن][4] أن يتطرَّق إليه الحَدَثَان . ومهما نَزَّهْت السمع عن تغير المسموعات وقَدَّسْتَه عن أن يسمع بأُذن وآلة عَلِمْتَ أن السمع فى حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات . و [مَنْ] لم يدقق نظره فيه وقع بالضرورة فى بحر[5] التشبيه فخُذْ حِذْرَك[6] ودَقِّق فيه نَظَرَك» .

---

(١) فى الأصول : لأفعاله والتصويب من الكشاف . (٢) التنكيب التنحيه نكبه تنكيباً نحاه ، عن القاموس .
(٣) الأفضل أن تكون العبارة : وتلويح إلى الشبهة فى اعتقاد أن فضائل النبوة مكتسبة .
(٤) إضافة من المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للغزالى ص ٤١ طبع القاهرة دون تاريخ .
(٥) فى المقصد : فى محض التشبيه . (٦) فى المقصد : فخذ منه حذرك .

وقال أيضاً : «البصير هو الذى يُشَاهِد ويَرَى ولا يعزُب عنه ما تحت الثَّرى ، وإبصاره مُنَزَّهٌ عن أن يكون بحَدَقَة وأجفان ، مُقَدَّسٌ عن أن يرجع عن انطباع الصور والألوان فى ذاته تعالى ، كما تنطبع فى حَدَقة الإنسان ، وإن ذلك من التغير والتأثير المقتضى للحَدَثان . وإذا نُزِّه عن ذلك كان [البَصَر][1] فى حقه عبارة عن الصفة التى ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات ، والله تعالى أعلم بالصواب» .

---

(١) إضافة من المقصد الأسنى .

الباب الثانى

فى تفسير أول سورة النجم

قال الله سبحانه وتعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم . وَالنَّجْمِ إِذا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاستوَى . وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى . عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى) .

الكلام على هذه الآيات من وجوه : الأول : فى سبب نزولها .

النهر : « سَبَبُه قول المشركين إن محمداً يختلق القرآن » .

الثانى : فى مناسبة هذه السورة لما قبلها :

قال الإمام الرازى والبرهان النسفى رحمهما الله ، قد قيل : إن السُّوَر التى تقدمت وهى التى أقسم [الله تعالى][1] فيها بالأسماء دون الحروف : الصَّافَّات والذاريات والطور ، وهذه السورة[2] بعدها ، فالقَسَم فى الأولى لإثبات الوحدانية ، كما قال : (إِنَّ إِلٰهَكُم لَوَاحِدٌ[3]) وفى الثانية لوقوع الحَشْر والجزاء كما قال تعالى : (إِنَّما تُوعدُون لَصَادِقٌ . وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ[4]) . وفى الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى : (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ[5]) وفى هذه السورة[6] لبيان النبوة كما قال تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) إلخ لتكمل الأصول الثلاثة : الوحدانية والحشر والنبوة » .

والوجه الآخر فى المناسبة لما قبلها هو أن الكفرة بالغوا فى المكابرة والمعاندة فى حق النبى

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أى سورة النجم .

(٣) سورة الصافات آية ٤ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥ و ٦ .

(٥) سورة الطور آية ٧ و ٨ .

(٦) أى سورة النجم .

صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا فيما نطق به من الكلام ، كما مَرَّ بيانُه فى تلك السورة ، فقال فى هذه ما يَدُلّ على صدقه فى دعواه ، وصِدْق ما نطق به وأجراه مُؤَكّدًا بالقَسَم .

وأما مناسبة أول هذه السورة إلى آخر ماقبلها فمن وجوه : أحدها : أن اختتام تلك السورة بالنجم وافتتاح هذه السورة بالنجم[1] مع القَسَم . ثانيها : أنه تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فى آخر تلك السورة ، كما قال تعالى (واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ[2]) ، والصَّبْر أَمْرٌ صعب ، فذكر فى أول هذه السورة ما يدل على علوّ منزلته وعظم شأنه ليسهل عليه ذلك الأمر .

ثالثها : لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْه وَإِدْبَارَ النُّجُومِ[3]) ، بَيَّن له أنه جَزَاهُ بخير ، فقال : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)[4] وزاد الشيخ رحمه الله تعالى ، فى مناسبته وجهاً آخر ، وهو أن [سورة] الطور فيها ذِكْر ذُرِّية المؤمنين وأنهم تَبَعٌ لآبائهم[5] ، وهذه فيها ذِكْر ذُرِّية اليهود فى قوله تعالى :(هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ[6]) .

فقد رَوَى ابنُ المُنْذِرِ وابن حِبَّان[7] عن ثابت بن الحرث الأنصارى قال : « كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صَبِيّ صغير هو صِدِّيق ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كَذَبَتْ يهود ، ما من نَسَمة يخلقها الله فى بطن أُمِّه إلا أنه شقىّ أو سعيد » . فأنزل الله تعالى عند ذلك : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) الآية . ولما قال الله تعالى هناك فى

---

(١) الآية الأخيرة فى سورة الطور السابقة لسورة النجم تختم بكلمة النجوم والأخيرة تبدأ بالقسم بالنجم .

(٢) سورة الطور آية ٤٨ . (٣) سورة الطور آية ٤٩ .

(٤) سورة النجم آية ٢ .

(٥) وذلك فى الآية ٢١ من سورة الطور « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرئ بما كسب رهين .

(٦) سورة النجم آية ٣٢ .

(٧) ابن حبان فى ت و م ، وأبو حاتم فى ط غير أن : إسناد هذا الحديث فى كل من أسباب النزول للواحدى (ص ٢٩٨ ، طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ هـ) وتفسير القرطبى (ج ١٧ ص ١١٠ (جاء فيه : روى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ثابت بن الحرث الأنصارى .

المؤمنين : « أَلْحَقنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِم من شيء[1]) أى مانقصنا الآباء مما أعطينا البَنِين مع نفعهم بعمل آبائهم ، قال هناك فى الكفار أو فى الكبار : (وَأَن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى[2]) ، خلاف ما ذكر فى المؤمنين الصغار » . انتهى .

أبو حَيَّان رحمه الله : « هذه السورة مكية ، ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر ، لأنه تعالى قال : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ[3]) أى اختلق القرآن ، ونسبوه إلى الشِّعر ، وقالوا هو كاهن ، هو مجنون ، فأقسم تعالى أنه صلى الله عليه وسلم ما ضَلَّ ، وأن ما أتى به هو الوَحْى من الله . وهى / أول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها فى الحرم ، والمشركون يسمعون ، ٣٣١ و وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبى لهب فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال يكفى هذا » . قلت : ذكر أبى لهب هنا غريب .

روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال : أول سورة نزلت فيها سجدة ، النجم ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الناس كلهم إلا رجلاً رأيته أخذ كفًا من تراب فسجد عليه ، فرأيته قُتِل كافرًا وهو أمية بن خلف[4] . وروى ابن مردويه وابن خلف عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد من حضر من الجن والإنس والشجر ، زاد ابن أبى شيبة إلا رجلين من قريش أرادا بذلك الشهرة ، وسمى أحد الرجلين المُبْهَمَيْن فى الرواية السابقة ، والثانى الوليد بن المغيرة كما عند ابن سعد[5] . وروى البخارى عن ابن عباس قال: سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

---

(١) سورة الطور آية ٢١ . (٢) سورة النجم آية ٣٩ . (٣) سورة الطور آية ٣٣ .

(٤) هذه القصة ذكرها كل من ابن سعد فى الطبقات الكبرى (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠) والطبرى فى تاريخه (طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧) والسهيلى فى الروض الأنف (طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م ج١ص ٢٢٩) والقرطبى فى تفسيره (ج ١٢ ص ٧٩ : ٨٦) .

(٥) جاء فى طبقات ابن سعد (ج ٢ ص ١٩٠) : « ثم مضى (النبى – صلى الله عليه وسلم – فقرأ السورة كلها (سورة النجم) وسجد القوم جميعاً ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ويقال إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ تراباً فسجد عليه ورفعه إلى جبهته وكان شيخاً كبيراً . فبعض الناس يقول إنما الذى رفع التراب الوليد وبعضهم يقول أبو أحيحة وبعضهم يقول كلاهما جميعاً فعل ذلك » . وفى تاريخ الطبرى (ج ٢ ص ٢٢٦) وسجد من فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم . . . فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً فلم يستطع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها » . وناقش القرطبى فى تفسيره ما جاء فى هذه القصة .

الثالث : فى الكلام على القَسَم الواقع هنا .

الشيخ رحمه الله تعالى فى الإتقان[1] : [وقد قيل مامعنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجلِ المؤمن[2]] فالمؤمن يُصَدِّق بمجرد الإخبار من غير قَسَم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده ، وأُجيبَ بأَن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القَسَم إذا أرادت أن تؤكد أمرًا » .

وأجاب الأُستاذ – بضم الهمزة وبالذال المعجمة – أبو القاسم القُشَيْرى رحمه الله تعالى [بأَن الله][2] ذكر القَسَم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحَكَم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقَسَم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعَيْن حتى لا يبقى لهم حُجَّة فقال : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وأُولوا العِلْمِ [3]) وقال : (قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ)[4] وعن بعض الأَعراب[5] أنه لما سمع قوله تعالى : (وفِى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ[6]) (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّه لَحَقٌّ[7]) ، صاح وقال : مَنْ [ذا] الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ؟ ولا يكون القَسَم إلا باسمٍ مُعَظَّم ، وقد أقسم الله تعالى بنفسه ، فى القرآن فى سبعة مواضع ، بقوله : (قُلْ إِى وَرَبِّى)[8] ، (قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ)[9] ، (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِين[10]) ، (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين[11]) ، (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُون[12]) ، (فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغارِب[13]) ، والباقى كله قَسَم بمخلوقاته[14] . فإن قيل: كيف أقسم بالخَلْق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله تعالى ؟ قلنا أُجيبَ عنه بأَوجه : الأول

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى (ج٢ ص١٣٣) . (٢) زيادة من الإتقان لضبط السياق .

(٣) سورة آل عمران آية ١٨ . (٤) سورة يونس آية ٥٣ .

(٥) فى الأصول : العرب وفى الإتقان : الأعراب . والأعراب سكان البادية أما العرب فهم سكان القرى والمدن والبدو أكثر جفاء وغلظة وفى اللسان إذا قيل للأعرابى يا عربى فرح بذلك وهش والعربى إذا قيل له يا أعرابى غضب وكان التعرب بعد الهجرة يعدل الردة ، والأقرب أن يصدر هذا السؤال من أعرابى . . وفى التنزيل : الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (التوبة آية ٩٧) .

(٦) سورة الذاريات آية ٢٢ . (٧) سورة الذاريات آية ٢٣ .

(٨) سورة يونس آية ٥٣ . (٩) سورة التغابن آية ٧ .

(١٠) سورة مريم آية ٦٨ . (١١) سورة الحجر آية ٩٢ .

(١٢) سورة النساء آية ٦٥ . (١٣) سورة المعارج آية ٤٠ .

(١٤) مثل السيوطى فى الإتقان لذلك بقوله تعالى والتين، والزيتون ،والصافات، والشمس، والليل والضحى ، فلا أقسم بالخنس .

أنه على حذف مضاف أى ورب النَّجْم . وكذا الباقى . الثانى : أن العرب كانت تُعَظِّم هذه الأشياء وتُقْسِم بها فنزل القرآن على مايعرفونه . الثالث : أن الأقسام إنما تكون بما يُعَظِّمه المُقْسِم [و] يُجِلُّه وهو فوقه . والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء ، فأقسم تارةً بنفسه وتارةً بموضوعاته لأنها تدل على بادئٍ وصانع .

ابن أبى الإصبع رحمه الله تعالى فى كتابه أسرار الفواتح : « القَسَم بالمصنوعات يستلزم القَسَم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وروى ابن حاتم عن الحسن قال : « إن الله تعالى يُقْسِم بما شاء من خَلْقِه وليس لأحد أن يُقْسِم إلا بالله تعالى . . والقَسَم إما ظاهر وإما مُضْمَر وهو قسمان : قِسْمٌ دَلَّت عليه اللام نحو (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ[1]) وقِسْمٌ دَلَّ عليه المعنى نحو : (وإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا[2]) تقديره : والله . . . وأكثر الأقسام / فى القرآن المحذوفة الفِعْل لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذُكِرت الباء أُتِى بالفِعْل كقوله تعالى (وأَقْسَمُوا بِاللهِ[3]) (يَحْلِفُونَ بِاللهِ[4]) ولا تجد الباء مع حذف الفِعْل ، ومن ثم أخطأ من جعل قسماً بالله : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ[5]) ، (بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ[6]) . (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُه فقد عَلِمْتَه[7]) .

٢٣١ ظ

ابن القيم : « اعلم أن الله سبحانه وتعالى يُقْسِم بأُمور على أمور وإنما يُقْسِم بنفسه المَوْصُوفَة بصفاته وآياته المستلزِمة لذاته وصفاته . وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته ، فالقَسَم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقولة تعالى : (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّه لَحَقٌّ[8]) وإما على جملة طلبية كقوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلونُ[9]) ، مع أن هذا القَسَم قد يُراد به تحقيق المُقْسَم عليه ، فيكون من من باب الخَبَر ، وقد يُراد به تحقيق القَسَم فالمُقْسَم عليه يُراد بالقَسَم توكيده وتحقيقه ، فلابُدّ أن [يكونما[10]] يَحْسُن فيه ذلك كالأُمور الغائبة والخفية إذا أُقْسِم على ثبوتها

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٦ .
(٢) سورة مريم آية ٧١ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٩ .
(٤) سورة النساء آية ٦٢ .
(٥) سورة لقمان آية ١٣ .
(٦) سورة الأعراف آية ١٣٤ والزخرف آية ٤٩ .
(٧) سورة المائدة ١١٦ .
(٨) سورة الذاريات آية ٢٣ .
(٩) سورة الحجر آية ٩٢ و٩٣ .
(١٠) زيادة من الإتقان .

فأما الأمور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض ، فهذه يُقْسَم بها ولا يُقْسَم عليها . وأما ما أَقْسَمَ عليه الرَّبُّ فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مُقْسِمًا به ولا ينعكس » .

الإمام الرازى رحمه الله تعالى : « أقسم تعالى فى بعض السور بمجموع كقوله تعالى : (والذَّارِيَاتِ[1]) ، وفى بعضها بإفراد كقوله (والطُّورِ[2]) ، ولم يقل والأطوار والبحار ، والكلمة فيه أن أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات . والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حيث يقع القسم عليها ، بل هى مُتَبَدِّلة بأفرادها ، مستمرة بأنواعها ، والمقصود منها لا يحصل إلا بالتبدُّل والتغيُّر ، فقال : (والذَّارِيَاتِ) إشارة إلى النوع المستمر لا إلى الفردغير المستقر. وأماالجبل فهو ثابت غير متغيِّر عادةً ، فالواحد من الجبال قائم زمانًا ودهرا فأقسم فى ذلك بالواحد. وكذلك قوله : « والنجم » ، ولو قال : والريح ، لَمَا عُلِم المُقْسَم به وفى الطور عُلِم. والسُّوَر التى افتتاحها القَسَم بالأسماء دون الحروف ، كان القَسَم فيها لإثبات أحد الأصول الثلاثة وهى : الوحدانية والرسالة والحَشْر وهى التى يتم بها الإيمان .

ثم إنه تعالى لم يُقْسِم لإثبات الوحدانية إلا فى سورة واحدة من تلك السُّوَر وهى : « الصَّافَّات » ، حيث قال تعالى فيها : (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ[3]) ، وذلك لأنهم وإن كانوا يقولون : أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحداً ، على سبيل الإنكار فقد كانوا يبالغون فى الشرك ، لكنهم فى تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم كانوا يُصَرِّحون بالتوحيد ، وكانوا يقولون : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى[4]) وقال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ[5]) .

فلم يبالغوا فى الحقيقة والإنكار المطلوب الأوَّل ، فاكتفى بالبرهان ولم يُكْثِر من الأَيْمان فى سورتين منها أقسم لإثبات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه رسولاً فى إحداهما بأمر ، وهو قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى[6]) .

---

(١) من الآية الأولى من سورة الذاريات .
(٢) الآية الأولى من سورة الطور .
(٣) سورة الصافات آية ٤ .
(٤) سورة الزمر آية ٣ .
(٥) سورة العنكبوت آية ٦١ .
(٦) سورة النجم آية ١ و ٢ .

وفى الثانية بأمرين وهو قوله تبارك وتعالى : (والضُّحَى وَاللَّيْل إذَا سَجَى ، مَاودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاَ قَلَى[1]) وذلك لأن القَسَم على إثبات رسالته قد كَثُرَ بالحروف والقرآن العظيم ، كما فى قوله تعالى : (يٓس وَالْقُرآنِ الحكِيم ، إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِين[2]) / . وقد ذكرنا الحكم فيه أن من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم القرآن ، فأقسم به ليكون فى القَسَم إشارة واقعة إلى البرهان . وفى باقى السُّورَ كان المُقْسَم عليه الحشر والجزاء ، وما يتعلق به يكون إنكارهم فى ذلك خارجاً عن الحَد ، وعدم استيفاء ذلك فى سور القَسَم بالحروف . وأقسم تعالى بمجموع السلامة المؤنثة فى خمس سُوَر ، ولم يُقْسِم بمجموع السلامة المُذَكَّرة فى سورة أصلاً . فقال : (والصَّافَّاتِ[3]) ، (والذَّارِيَات[4]) ، ولم يقل « والصالحين من عبادى » ، ولا المقربين ، إلى غير ذلك ، مع أن الذكور أشرف وذلك لأن المجموع بالواو والنون فى الأمر الغالب ، لمن يعقل .

٣٣٢ و

وقد ذكرنا أن القَسَم بهذه الأشياء ليس لبيان التوحيد إلا فى صورة ظَهَرَ الأمر فيه ، وحصل الاعتراف منهم ، ولا للرسالة لحصول ذلك فى سورة القَسَم بالحروف والقرآن ، بقى أن يكون المقصود إثبات الحشر والجزاء ، لكن إثبات الحشر لثواب الصالح وعقاب الطالح ، ففائدة ذلك راجعة إلى من يعقل فيلزم أن يكون القسم بغيرهم . والسُّور التى أقْسَم فيها لإثبات الوحدانية أقسم فى أول الأمر بالساكنات حيث قال : (والصَّافَّاتِ) وفى السُّوَر الأربع الباقية أقسم بالمتحركات فقال : (والذَّارِيَاتِ) ، (والمُرْسَلاَتِ[5]) ، (والنَّازِعَاتِ[6]) (والْعَادِيَاتِ[7]) ، وذلك لأن الحشر فيه جمع وتفريق ، وذلك بالحركة أليَق . وفى السور الأربع أقسم بالرياح على ما بَيَّن ، وهى التى تجمع وتُفَرِّق ، فالقادر على تأليف السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة قَادِرٌ على تأليف الأجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التى يختارها بمشيئته تبارك وتعالى » .

وقال الإمام أيضاً فى موضع آخر : « اعلم أنه تعالى لم يُقْسِم على الوحدانية ولا على

---

(١) سورة الضحى آية ١ و٢ و٣ .
(٢) سورة يس آية ١ و٢ و٣ .
(٣) من الآية الأولى من سورة الصافات .
(٤) من الآية الأولى من سورة الذاريات .
(٥) من الآية الأولى من سورة المرسلات .
(٦) من الآية الأولى من سورة النازعات .
(٧) من الآية الأولى من سورة العاديات .

النبوة كثيراً ، لأنه أقسم على الوحدانية فى سورة الصافات ، وأما النبوة فأقسم عليها بأمر واحد فى هذه السورة ، وبأمرين فى سورة « والضحى » ، وأكثَرَ من القَسَم على الحشر وما يتعلق به . فإن قوله تعالى : (واللَّيْلِ إذا يَغْشَى[1]) وقوله : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا[2]) وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُروج[3]) ، إلى غير ذلك ، كلها فى الحشر وما يتعلق به ، وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة ، كلها عقلية كما قيل :

وفى كل شئٍ له آيةٌ　　　　تدل على أنَّهُ وَاحِدُ[4]

ودلائل النبوة أيضاً كثيرة ، وهى المعجزات المشهورة المتواترة ، وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل ، وهذا أظهر ، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع ، فأكثَر فيه القَسَم ليقطع به المُكَلَّف ويعتقده اعتقاداً جازماً .

الرابع : فى الكلام على النَّجْم :

صاحب القاموس : « فى المطلع النَّجْم الكوكب الطالع والجمع أَنْجُم وأَنْجَام ونُجوم ونُجُم ، والنَّجْم أيضاً الثُّرَيَّا ، والنَّجْمُ من النبات ما نجَمَ على غير ساق ، والنَّجْم الوقت المضروب » .

اللباب لابن عادل : « سُمِّى الكوكب نَجْمًا لطلوعه ، وكلُ طالع نَجْمًا ، يقال : نَجَمَ السِّنُّ والقَرْنُ والنَّبْتُ إذا طَلَع ، زاد القرطبى : « ونَجَمَ فلان ببلد كذا أى خرج على السلطان[5] .

ابن القيِّم : « اختلف الناس فى المراد بالنَّجْم ، فقال الكلبى عن ابن عباس : أَقْسَمَ بالقرآن إذ أُنْزِل نجوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع آيات وثلاث آيات والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه ، وهو قول مقاتل / ٣٣٢ ظ والضحاك ومجاهد ، واختاره الفَرَّاء » .

---

(١) سورة الليل آية ١ .　　(٢) سورة الشمس آية ١ .

(٣) سورة البروج آية ١ .

(٤) البيت لأبى العتاهية وهو أحد أبيات أربعة أوردها أبو الفرج فى الأغانى ج ٤ ص ٣٥ طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣١ م .　　(٥) وردت فى تفسير القرطبى ج ١٧ ص ٨٣ .

والهُوِىّ على هذا القول النزول من أعلى إلى أسفل ، وعلى هذا سُمِّى القرآن نجمًا لتفرقه فى النزول . والعرب تسمى التفرق تَنَجُّمًا والمتفرق مُنَجَّمًا . ونُجُوم الكتابة أقساطها ، وتقول جعلتُ مالى على فلان نجوماً مُنَجَّمة ، كلُ نجمٍ كذا وكذا . وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها ، فيقولون : إذا طلع النجم – يريدون الثُّرَيَّا – حَلَّ عليك كذا ، ثم جُعِل كل نجم تفريقًا وإن لم يكن مُوَقَّتًا بطلوع نَجْم .

قال الإمام الرازى : « فِي هذا القَسَم استدلال بمعجزات النبى صلى الله عليه وسلم على صدقه ، وهو كقوله [تعالى] : (يس وَالْقُرآنِ الحَكِيمِ ، إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِين[1]) وقال ابن عباس فى رواية على بن أبى طلحة وعطية : يعنى الثُّرَيَّا إذا سقطت وغابت ، وهُوِيُّها مغيبُها ، وهو الرواية الأخرى عن مجاهد ، والعربَ إذا أطلقت النَّجْم تعنى به الثريا ، قال الشاعر :

إذا طلع النجم عِشاءً ابتغى الراعى كساءً

وفى الحديث : « ما طلع نَجْمٌ قط وفى الأرض من العاهة شيء إلا ارتفع » ، رواه الإمام أحمد ، وأراد بالنجم الثريا . وهذا القول اختاره ابن جرير والزمخشرى . وقال السمين إنه الصحيح ، لأن هذا صار عَلَمًا بالغَلَبة » ، وقال عُمَر بن أبى ربيعة :

« أحْسَنُ النَّجْمِ فى السماء الثُّرَيَّا والثُّرَيَّا فى الأَرضِ زَيْنُ النِّساءِ »

قال الإمام الرازى : « ومناسبة هذا القول إن الثريا أظهر النجوم عند الرائى لأن له علامة لا تلتبس بغيره فى السماء ويظهر لكل أحد . والنبى صلى الله عليه وسلم يتميز عن الكل بآيات بيِّنات ، فأقسم به ، ولأن الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبلد حان إدراك الثمار ، وإذا ظهرت بالشتاء أو الخريف تقل الأمراض . والنبى صلى الله عليه وسلم إذا ظهر ، قَلَّ الشك والأمراض القلبية وأُدْرِكَتْ الثمار الحكمية » .

وقال أبو حَمْزَة ، بالحاء المهملة والزاى ، « والثمالَى – بضم المثلثة وتخفيف الميم وباللام : يَعْنِى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة . وقيل أراد به الشِّعْرَى . وقال السدِّي والثورى :

---

(١) سورة يس آية ١و٢و٣ .

« أراد به الزُّهْرَة » . وقال الأخفش : « أراد به النَّبْت الذى لا ساق له ، ومنه قوله تعالى : (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَان[1]) وهُوِيُّه سقوطه.

قال الإمام الرازى : « لِأَنَّ النَّبَاتَ به نباتُ القوى الجسمانية وصلاحها ، والقوة العقلية أولى بالإصلاح ، وذلك بالرسُل ، وإصلاح السُّبُل ، ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التى فى السماء لأنها أظهر عند السامع . وقوله تعالى : (إذا هَوَىَ) أدلُّ عليه ، ثم بعد ذلك القرآن لما فيه من الظهور ، ثم الثريا .

وقال جعفر بن محمد - رضى الله عنهما - ، كما نقله القاضى : « أراد به النبى - صلَّى الله عليه وسلَّم - إذ نزل ليلة المِعْراج والهُوِىّ النزول » .

صاحب السراج : « ويعجبنى هذا التفسير لملاءمته من وجوه ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، نَجْمُ هداية ، خصوصًا لما هُدِى إليه من فَرْض الصلاة تلك الليلة ، وقد عَلِمْتَ منزلة الصلاة من الدين ، ومنها أنه أضاء فى السماء / والأرض . ومنها التشبيه بسرعة السَّيْر ، ومنها أنه كان ليلاً ، وهو وقت ظهور النَّجْم ، فهو لا يَخْفَى على ذى بَصَر وأما أرباب البصائر فلا يمترون كأبى بكر الصِّدِّيق - رضى الله عنه - » . انتهى .

٢٣٣و

وقال مجاهد فى رواية عنه : « نجوم السماء كلها » . وجزم أبو عُبَيْدة وقال : ذهب إلى لفظ الواحد بمعنى الجمع ، قال الشاعر :

فباتَتْ تَعُدّ النَّجْمَ فى مُسْتَحِيرة[2]

أى تَعُدّ النجوم . قال ابن جرير : « وهذا القول له وجه ، ولكن لا أعلم أحداً من أهل التأويل قاله » . انتهى .

قلت : قد تقدم نقله عن مجاهد ، ونقله الماوردى عن الحسن أيضاً . وقال الإمام الرازى : « ومناسبة ذلك أن النجوم يُهْتَدَى بها فأقسم بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة » .

وقال ابن عباس فى رواية عِكْرمة : أراد التى تُرْمَى بها الشياطين إذا سقطت فى آثارها

---

(١) سورة الرحمن آية ٦ .

(٢) عجز البيت : سريع بأيدي الآكلين جمودها ، وقائله الراعى ، انظر تفسير القرطبي (جـ ١٧ ص ٨٢) .

عند استراق السمع . وهذا قول [أبى[1]] الحسن الماوردى . وسببه أن الله تعالى لما أراد بَعْثَ محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، كَثُر انقضاض الكواكب قبل مولده ، فذُعِر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن ، كان يُخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها فقال : انظروا إلى البروج الاثنى عشر فإن انْقَضَّ منها شىء فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقَضّ منها شىء فسيحدث فى الدنيا أَمْرٌ عظيم ، فاستشعروا ذلك ، فلما بُعِث النبى صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذى استشعروه ، فأنزل الله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) ، [أى ذلك النجم الذى هوى[2]] هوى لهذه النبوة التى حدثت .

الإمام الرازى : « إن الرجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والأنبياء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض .

ابن القيم : « وهذه الراوية عن ابن عباس أظهر الأقوال ، ويكون الحق سبحانه وتعالى قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المُشَاهَدَة التى نصبها آيةً وحفظاً للوحى من استراق الشياطين له ، على أن ما أتى به رسوله حَقٌّ وصِدْق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى رصدًا بين يدى الوحى وحَرَسًا له ، وعلى هذا فالارتباط بين المُقْسَم به والمُقْسَم عليه فى غاية الظهور ، وفى المُقْسَم به دليلٌ على المُقْسَم عليه ، فإن النجوم التى تُرْمَى بها الشياطين آيات من آيات الله تعالى ، يحفظ بها دينَه وَوَحْيَه ، وآياته المُنَزَّلة على رُسُله ، بها ظهر دينُه وشَرْعُه ، وأسماؤه وصفاته . وجُعِلت هذه النجوم المشاهَدة خدمًا وحَرَسًا لهذه النجوم الهادية . وليس بالبَيِّن تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هُوِيًّا ، ولا عهد فى القرآن بذلك فيُحْمَل هذا اللفظ عليه وليس بالبَيِّن أيضًا تخصيص هذا القسم بالثُّرَيَّا وحدها إذا غابت ، وليس بالبَيِّن القَسَم بالنجوم عند تناثرها يوم القيامة ، بل هذا مما يُقْسِم الرب عليه ، ويدل عليه بآياته ، فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمُخَاطَبِين ولاسيما منكرو البَعْث . فإنه سبحانه وتعالى إنما يستدل بما [لا][3] يمكن جحده ولاالمكابرة فيه ، فأظهر الأقوال قول الحسن وابن كثير وهذا القول له اتجاه » .

---

(١) الماوردى هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب .

(٢) إضافة من تفسير القرطبى (جـ ١٧ ص ٨٣) لضبط السياق . (٣) إضافة لا يستقيم المعنى بدونها .

الخامس : فى الكلام على « هَوَى » :

السمين : « العامل فى « إذا » إما فِعْل القَسَم المحذوف وتقديره : أُقْسِم بالنجم وقت هُوِيِّه » . قال أبو البقاءِ وغيره : « وهو مُشْكِل ، فإن فِعْل القَسَم إنشاء ، والإنشاء حال . و « إذا » لِمَا يُستَقْبَل من الزمان ، فكيف يتلاقيان ؟

الطيبى نقلاً عن المقتبس : « الوجه أن « إذا » قد انسلخ عنها معنى الاستقبال ، وصار / للوقت المجرد ، ونحوه : آتيك إذا احْمَرَّ البُسْر ، أى وقت إحمراره ، فقد عُرِّىَ عن معنى الاستقبال لأنه وقت الغيبة عنه ، بقوله : آتيك . .

٣٣٣ظ

قال الشيخ عبد القاهر : « إخبار الله تعالى بالمتوقع يقوم مقام الإخبار بالواقع ، إذ لا تكلف فيه ، فيجرى المستقبل مجرى المُحَقَّق الماضى » .

السمين : « وإما مُقَدَّرٌ على أنه حال من النَّجْم ، إذ أقسم به حال كونه مُسْتَقِرًّا فى زمان هُوِيِّه . وهو مُشْكِل من وَجْهَيْن : أحدهما : أن النَّجْم جُثَّة[1] والزمان لا يكون حالاً عنها ، كما لا يكون خبراً . الثانى : « إذا » للمستقبل ، فكيف تكون حالاً ؟

وأجيب عن الأول : المراد بالنجم القطعة من القرآن ، والقرآن ، نزل مُنَجَّمًا فى عشرين سنة . وهذا تفسير ابن عباس وغيره . وعن الثانى : بأنها حال مُقَدَّرَة ، وأما العامل [فهو] نفس النجم الذى أريد به القرآن ، قاله أبو البقاء . وفيه نظر لأن القرآن لا يعمل فى الظَّرف ، إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص . وقد يقال إن النَّجْم بمعنى المُنَجَّم كأنه قيل : والقرآنِ المُنَجَّم فى هذا الوقت » .

---

(١) هذه القاعدة ذكرها ابن مالك فى ألفيته قائلا : ولا يكون اسم زمان خبراً عن جثة وإن يفد فأخبرا . وقال ابن عقيل فى شرح هذا البيت : ظرف المكان يقع خبراً عن الجثة نحو : زيد عندك . وعن المعنى نحو : القتال عندك . وأما ظرف الزمان فيقع خبراً عن المعنى منصوباً أو مجروراً بفى ، نحو : القتال يوم الجمعة أو فى يوم الجمعة ، ولا يقع خبراً عن الجثة . قال المصنف : إلا إن أفاد كقولهم : الليلة الهلال ، والرطب شهرى ربيع . فإن لم يفد لم يقع خبراً عن الجثة ، نحو زيد اليوم ، وإلى هذا ذهب قوم ، منهم المصنف . وذهب غير هؤلاء إلى المنع مطلقاً . فإن جاء شئ من ذلك أول ، نحو قولهم : الليلة الهلال ، والرطب شهرى ربيع ، فإن التقدير طلوع الهلال الليلة ووجود الرطب شهرى ربيع . هذا مذهب جمهور البصريين . وذهب قوم ، منهم المصنف إلى جواز ذلك من غير شذوذ لكن بشرط أن يفيد كقولك : نحن فى يوم طيب وفى شهر كذا ، وإلى هذا أشار بقوله : وإن يفد فأخبرا ، فإن لم يفد امتنع نحو: زيد يوم الجمعة . انظر هامش حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ ١ ص ١١٧ ، بولاق سنة ١٢٩١ هـ .

المصباح : هَوَى يَهْوِى [من باب ضَرَب[1]] هُوِيًّا بضمّ الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية[2] هواءً بالمَدّ[3] ، سقط [من أعلى[1]] إلى أسفل قاله أبو زيد وغيره » . قال الشاعر[4] :

فَشَجَّ[5] بها الأَماعِزَ وهى تَهْوِى هُوِىَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَها الرِّشاءُ[6]

يُرْوَى بالفتح والضمّ[7] .

الراغب : « الهوى سقوط من علوّ » . ثم قال : « والهُوِىّ ذهاب فى إنحدار والهَوِىّ ذهاب فى ارتفاع » . وقيل : « هوى فى اللغة مَقْصِدُه السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصده » . وقال أهل اللغة : هَوَى بفتح الواو يَهْوِى هويًّا سقط من علو ، وهَوَى يَهْوَى هوًى أى صَبَا .

القرطبي : هَوَى وانهوى [فيه[8]] لغتان بمعنًى وقد جمعهما الشاعر[9] فى قوله :

[وكم منزلٍ[10]] لولاىَ طِحْتَ كماهَوَى بأَجْرَامِه من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى

النِّيق بكسر النون المُشَدَّدة أرفع موضع فى الجبل .

الإمام الرازى : « الفائدة فى تقييد القَسَم بالنجم بوقت هَوِيِّه أنه إذا كان فى وسط السماء بعيدًا عن الأرض لا يهتدى به السَّارى ، لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال : فإذا زال تَبَيَّن بزواله ، وتَميَّز جانبٌ عن جانب ، كذلك النبى صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين ، وكان على خلق عظيم وخُصَّ الهُوِىُّ دون الطلوع لعموم الاهتداء به فى الدين

---

(١) التكلة من المصباح المنير للفيومى .

(٢) نص عبارة ابن القوطية فى كتابه الأفعال (ص ١٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م) : هوى الشىء مات أو سقط فى مهواة من شرف هواء ممدود وهوياً .

(٣) فى الأصول : سراً وهو تحريف .

(٤) الشاعر هو زهير بن أبى سلمى .

(٥) فى الأصول : تسيح وهو تحريف .

(٦) جاء فى شرح ثعلب لهذا البيت : شج : علا ، بها : بالأتن ، والأمعز والمعزاء والجمع الأماعز : المكان الغليظ الكثير الحصى ، وأسلمها : خذلها ، والرشاء : الحبل وخذله انقطاعه ، ويقال : هوى الشىء يهوى هوياً إذا أسرع ، فشبه هوى الحبل إذا انقطع بهوى الأتن . وزاد محقق الشرح بقوله : الذى فى البيت أنه شبه الأتن فى سرعتها وانقضاضها فى عدوها بالدلو إذا انقطع حبلها . وقال الأعلم : وإنما ضرب المثل بالدلو لكثرة استعمالهم لها ، وهم يضربون المثل كثيراً بما يعرفونه ويستعملونه . راجع شرح ديوان زهير لثعلب طبعة القاهرة سنة ١٩٤٤ م ص ٦٧ .

(٧) أى هوى وهوى .

(٨) زيادة من تفسير القرطبى ج ١٧ ص ٨٤ .

(٩) الشاعر هو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى .

(١٠) ساقطة من الأصول والتكملة من الكشاف وتفسير القرطبى .

والدنيا . أما الدنيوى فلِمَا ذُكِر ، وأما الدينى فكما قال الخليل صلى الله عليه وسلم (لَا أُحِبُّ الآفِلِين[1]) وفيه لطيفة وهى أن القَسَم بالنجم يقتضى تعظيمه ، وقد كان من المشركين من يعبده ، فنَبَّه بهُوِيِّه على عدم صلاحيته للإلهية ، وهُوِيُّه أُفُولُهُ .

السادس : فى الكلام على قوله : « ما ضَلَّ صاحِبكُم وما غَوَى » :

السمين : « هذا جواب القَسَم » .

الإمام الرازى والبرهان النسفى : « أكثر المُفَسِّرين قالوا : لا نُفَرِّق بين الضلال والغَىّ . وقال بعضهم : إن الضلال فى مقابله الهُدَى ، والغَىّ فى مقابله الرُّشْد ، قال تعالى : (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً[2]) ، وتحقيق الفَرْق فيه أن الضلال أَعَمّ استعمالاً / فى المواضع ، [تقول[3]] : ضَلَّ بعيرى ورَحْلى ولا تقول : غَوَى ، فالمراد من الضلال ألا يجد السالك إلى مَقْصِده طريقًا مستقيماً . والغواية ألا يكون له إلى القصد طريق مستقيم ، ويدل على هذا أنك تقول للمؤمن الذى ليس على طريق السَّداد : إن سَعْيَه غَيْرُ رشيد ، ولا تقول : إنه ضالّ . فالضَّالّ كالكافر ، والغاوى كالفاسق ، فكأنه تعالى قال : : « ما ضَلَّ » أى ما كفر ، ولا أقل من ذلك ، فما فَسَق ، ويؤيد ما ذكرنا قَوْلُه تعالى : (فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُم رُشْدًا[4]) الآية . أو يقال : الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد فى الدرجة والمرتبة . ويحتمل أن يكون معنى « ما ضَلَّ » أى ما جُنَّ ، فإن المجنون ضالّ ، وعلى هذا فهو كقوله تعالى (مَاأَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ[5]) الآية . فقوله : (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ[6]) ، إشارة إلى أنه ما غَوَى بل هو رشيد مُرْشِد إلى حضرة الله تعالى . وقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ[7]) ، إشارة إلى قوله هنا : (وَمَايَنْطِقُ عَنِ الهَوَى[8]) ، فإن هذا خُلُقٌ عظيم . وقد أشار قوله تعالى « ما ضَلَّ » إلى أنه على الطريق ، « وما غَوَى » إشارة إلى أنه على الطريق المستقيم (وَمَايَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) إلى أنه مسلك الجادَّة ، رَكِب من الطريق ، فإنه إذا ركب متنه كان أسرع وصولاً إلى

٣٣٤و

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٦ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٤٦ .
(٣) إضافة لضبط السياق .
(٤) سورة النساء آية ٦ .
(٥) سورة القلم آية ٢ .
(٦) سورة القلم آية ٣ .
(٧) سورة القلم آية ٤ .
(٨) سورة النجم آية ٣ .

المَقْصِد ، ويمكن أن يقال إن قوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى) دليلٌ على أنه ما ضَلَّ وما غَوَى ، وتقديره : كيف يَضِلّ أو يَغْوِى وهو لا يَنْطِق عن الهوى ؟ وإنما يضل من يتبع هواه ، ويدل عليه قوله تبارك وتعالى : (ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ[1]) .

القرطبي : وقيل ما غوى ما خاب مما طلب [والغَيّ الخَيْبة[2]] قال الشاعر[3] :

فَمَنْ يَلْق خيرًا يَحْمَدِ الناسُ أمْـــرَه ومن يَغْوِ لا يَعْدَم على الغَيِّ لائمـا

أى من خاب فى طلبه لامه الناس ، ثم يجوز أن يكون إخبارًا عما بعد الوحى ، ويجوز أن يكون إخبارًا عن أحواله على التعميم ، أى كان أبدًا مُوَحِّدًا لله . وهو الصحيح .

ابن القيم : نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المُنَافى للهدى والغَيّ المنافى للرشد ، ففى ضمن هذا النفى الشهادة له بأنه على الهدى والرشد ، فالهدى فى علمه والرشد فى عمله ، وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد ، وهما سعادته وصلاحه ، وبهما وصف النبى صلى الله عليه وسلم خلفاءه ، فقال : « عليكم بسُنَّتِى وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى[4] » .

« فالرَّاشد ضد الغاوى ، والمهدى ضد الضال وهو الذى زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ، لا يشتبه الراشد المهدى بالضالّ الغاوى ، إلا على أجهل الخَلْق وأعماهم قلبًا وأبعدهم من حقيقة الإنسانية ، ورحم الله القائل[5] :

وما انتفاعُ أخى الدنيــا بناظـــره إذا استوت عنده الأنـــوار والظُّلَمُ

والناس أربعة أقسام : الأول : ضالٌّ فى علمه ، غاوٍ فى قصده وعمله ، وهؤلاء سواد الخَلْق ، وهم مخالفو الرسل . الثانى : مهتد فى علمه غاوٍ فى قصده وعمله ، وهؤلاء هم الأُمة الغَضِبيّة ومَنْ تَشبَّه بهم ، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به . الثالث : ضالٌ فى علمه[6] ولكن قصده الخير وهو لا يشعر ، الرابع : مهتد فى علمه راشدٌ فى قصده / وهم ورثة الأنبياء ، وهم وإن كانوا الأقلّين عدداً فهم الأكثرون عند الله قَدْرًا ، وهم صفوة الله تعالى من خَلْقه .

٣٣٤ظ

---

(١) سورة ص آية ٢٦ . (٢) إضافة من تفسير القرطبى . (٣) قائله المرقش .

(٤) أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارمى فى سننه والإمام أحمد فى مسنده .

(٥) قائله المتنبى .

(٦) فى الأصول : فى عمله والسياق يقتضى أن يكون : فى علمه .

وتَأَمَّلْ كيف قال تعالى : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) ، ولم يقل : محمدًا ، تأكيدًا لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخَلْقِ به وبحاله وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غَيٍّ ولا ضلال ، ولا ينقمون عليه أمرًا واحدًا قط . وقد نَبَّه تعالى على ذلك بقوله : (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ[1]) ، وبقوله : (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ[2]) .

السابع : فى الكلام على قوله : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) :

قال [تعالى] أولاً : « ما ضَلَّ » و « وماغوى » ، بصيغة الماضى ، وعَبَّر هنا بصيغة المستقبل ، وهو ترتيب فى غاية الحُسْن ، أى ما ضَلَّ حين اعتزلكم وما تعبدون حين اختلى بنفسه . وما ينطق عن الهوى الآن حيث أُرْسِل إليكم وجُعِل شاهدًا عليكم ، فلم يَكُنْ أولاً ضالاً ولا غاوياً ، وصار الآن مُنْقِذًا من الضلالة ومُرْشِدًا وهاديًا ، والله سبحانه وتعالى يصون من يريد إرساله فى صِغَره عن الكفر والمعايب ، فقال تعالى : « ما ضَلَّ » فى صغره لأنه لا ينطق عن الهوى .

ابن عادل : « فاعل ينطق إما ضمير النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهو الظاهر ، وإما ضمير القرآن كقوله تعالى : (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ[3]) .

ابن القَيِّم : تَنَزَّه تعالى عن نُطْق رسوله صلى الله عليه وسلم عن أن يَصْدُر عن هوىً ، وبهذا الكمال هداه وأرشده ، ولم يَقُل : وما ينطق بالهوى ، لأن نَفْىَ نُطْقِه عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضَمَّن أن نُطْقَه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ؟ فتَضَمَّن نَفْىَ الأَمْرَيْن : نَفْىَ الهوى عن مصدر النُّطْق ، ونَفْيَه عن النطق نفسه ، فَنُطْقُه بالحق ، ومصدره الهُدَى والرشاد ، لا الغَىّ والضلال

اللباب : قال النحاس : « قول قتادة أَوْلَى وَتكون » «عن» على بَابِها أى ما يَخْرُج نُطْقُه عن رأْيه ، إنما هو بِوَحْى من الله تعالى ، لأن بَعْدَه (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى[4]) . وقيل : هو بمعنى الباء ، أى ما ينطق بالهوى ، أى ما يتكلم بالباطل ، وذلك أنهم قالوا : إن محمدًا يقول من تلقاء نفسه » . المصباح : الهوى مقصور مصدر هَوِيتُه من باب تَعِب إذا أَحْبَبْتَه

---

(١) سورة المؤمنين آية ٦٩ .
(٢) سورة التكوير آية ٢٢ .
(٣) سورة الجاثية آية ٢٩ .
(٤) سورة النجم آية ٤ .

وعَلِقَتْ به ، ثم أُطْلِق على ميل النفس وانحرافها عن الشىء ثم استُعْمِل فى ميل مذموم فيقال اتَّبعَ هواه » .

الإمام البيهقى : « وأحسن ما يقال فى تفسير الهَوَى أنه المحبة ، لكن من النفس ، يقال هَويتُهُ بمعنى أحببتُه . والحروف التى فى هَوِىَ[1] تدل على الدُّنوّ والنزول والسقوط ومنه الهاوية ، فالنفس إذا كانت دَنِيَّة وتركت المعالى وتَعَلَّقت بالسفاسف فقد هَوَت فاختص الهوى بالنفس الأَمَّارة بالسوء » .

الشعبى : « إنما سُمِّى الهوى هَوًى لأنه يَهْوِى بصاحبه » . وقال بعض الحكماء : « الهوى إله معبود ، له شيطان شديد ، يخدمه شيطان مَرِيد ، فمن عَبَد أوثانه ، وأطاع سلطانه ، واتَّبَع شيطانه ، خَتَم اللهُ تعالى على قلبه ، وحُرِم الرَّشَادَ من رَبِّه ، فأصبح صريع غَيِّه ، غريقَ ذنبه ، وقال عَزَّ من قائل (أَفَرَأَيتَ مَن اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وجَعَل عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوةً ، فمن يَهْدِيه مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ[2]) وقال تعالى : (ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ[3]) » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مُنْجِيات وثلاث مُهْلِكات ، فالمنجيات : خشية الله فى السِّرِّ والعلانية ، والحكم بالعدل فى الرضا والغضب ، والاقتصاد فى الفقر والغِنى ، والمهلكات : شُحٌّ مُطاع ، وهوى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء برأْيه[4] » . رواه البَزَّار عن أَنَس .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما تحت ظل السماء من إله يُعْبَد من دون الله ، أعظم عند الله من هوًى مُتَّبع[5] » . رواه الطبرانى عن أبى أُمَامة . وقال بعض الحكماء : « الهوى خادع الأَلباب ، صادّ عن الصواب ، يُخْرِج صاحبه من الصَّحِيح إلى المعتلّ ، ومن الصريح إلى المُخْتَلّ ، فهو أَعْمَى يُبْصِر ، أصم يسمع » . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « حُبُّك الشىء يعمى

---

(١) لتحديد الفرق فى مادة هوى بين معنى السقوط والمحبة نقول : هوى يهوى من باب ضرب هوياً أى سقط من أعلى إلى أسفل بفتح الهاء وضمها فى هوياً . وهوى يهوى من باب تعب وفرح هوى أى أحب .

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣ . (٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) روى وإعجاب المرء بنفسه . انظر الجامع الصغير للسيوطى (ح١ص١٣٨) القاهرة سنة ١٣٧٣ هـ

(٥) فى رواية أبى أمامة قال : سمعت النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول : ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى . وفى هذا المعنى روى شداد بن أوس عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من اتبع هواها وتمنى على الله .

ويُصِمّ[1] » . وقال آخر : « على قدر بصيرة العقل يرى الإنسان الأشياء ، فمن سلِم عَقْلُه من الهوى يراها على حقيقتها ، والنفس الكَدِرَة المتبعة لهواها ترى الأشياء على طبعها . وقيل كان على خاتَم بعض الحكماء : « من غلب هواه على عقله افتُضِح » . وقال ابن دُرَيْد فى مقصورته :

وآفةُ العَقْلِ الهوى فَمَنْ عَلاَ ‍ ‍ ‍ على هـواه عَقْلُه فقد نَجَا

الثامن : فى الكلام على قوله تعالى : (إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) .

الإمام الرازى : « هذا تكملة للبيان ، وذلك أن الله تعالى لما قال : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) كَأَنَّ قائلا يقول فَعَمَّ ذا ينطِق ، أعَن الدليل والاجتهاد ؟ فقال : لا ، إنما ينطق عن حضرته تعالى بالوحى ، وهذا اللفظ أبلغ من أن لو قيل : هو وَحْيٌ يُوحَى . وكلمة « إنْ » استُعْمِلَت مكان « ما » للنَّفْى ، كما استُعْمِلت « ما » للشرط مكان « إنْ » .

اللباب : « يُوحَى صِفَةٌ لِوَحْى ، وفائدة المجىء لهذا الوصف أنه يَنْفِى المجاز ، أى هو وَحْىٌ حقيقةً لا مُجَرَّد تسمية كقولك : هذا قَوْلٌ يُقَال . وقيل تقديره : يُوحَى إليه ، ففيه مزيد فائدة » . ونقل القرطبى عن السجستانى أنه قال : « إن شِئْتَ أَبْدَلْتَ (إن هو إلا وَحْىٌ يُوحَى) من (ما ضَلَّ صاحِبُكُم) قال ابن الأنبارى : وهذا غلط لأن إنْ الخفيفة لا تكون مُبْدَلَة من « ما » بدليل أنك لا تقول : والله ما قُمْتُ إنْ أنا لقاعد » .

ابن القَيِّم : « أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أى ما نطقه إلا وَحْىٌ يُوحَى ، وهذا أحسن من قول مَنْ جعل الضمير عائداً إلى القرآن فإنه يَعُمّ نُطْقَهُ بالقرآن والسُّنَّة ، وأن كليهما وَحْىٌ . قال الله تعالى : (وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ[2]) وهما القرآن والسُّنَّة .

وروى الدارى عن يحيي بن أبى كثير قال : « كان جبريل ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة كما ينزل عليه بالقرآن » . قلتُ وفى الصحيحيْن أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرَانة[3] [فقال : يا رسول الله[4]] كيف ترى فى رجل أَحْرَم

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده . ‍ ‍ ‍ (٢) سورة النساء آية ١١٣ .

(٣) ضبطها ياقوت فى معجم البلدان (ج ٣ ص ١٠٩) قائلا : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه ، وأهل الإيقان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء .

(٤) زيادة من صحيح البخارى كتاب الحج باب غسل الخلوق ج ٢ ص ٢٦٩ .

بعُمْرَة بعد ما تَضَمَّخ بالخَلُوق[1] ؟ فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت[2] . فجاءه الوَحْى ، ثم سُرِّىَ عنه ، فقال : أين السائل ؟ فجىء به فقال : انزع عنك الجُبَّة واغسل أَثَر الطِّيب[3] واصنع فى عُمْرَتِك ما تصنع فى حِجَّتِك .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] رضى الله عنهما قال : كنتُ أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُريد حِفْظَه ، فنهتنى قريش وقالوا : تكتب كل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [بَشَر[4]] يتكلم فى [الرضا[4] و] الغضب . فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فأَومأَ بأَصبعه إلى فيه[4]] وقال : « اكتب فوالذى نفسى بيده / ما يخرج منى إلا حقاً » . ٣٣٥ظ

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لا أقول إلا حقاً » . وقال بعض أصحابه : « إنك تداعبنا يا رسول الله ، قال : إنى لا أقول إلا حقاً » .

وروى الإمام أحمد والطبرانى والضياء[5] فى صحيحه عن أبى أُمَامَة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّة بشفاعة رجل مثل الْحَيَّيْن أومثل أحد الحيَّيْن ربيعة ومُضَر . فقال رجل : يا رسول الله وما ربيعة ومُضَر ؟ قال : إنى ما أقول إلا ما أُقَوَّلُه ــ الثانى بضم الهمزة وفتح القاف والواو المُشَدَّدَة ــ أى ما يُقَوِّلُه الله لى من الوَحْى ، ولهذا مزيد بيان فى أبواب عِصْمَتِه .

الإمام الرازى : « هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور ، فيه وجهان : أشهرهما أنه ضمير معلوم ، وهو القرآن ، كأنه تعالى يقول « ما القرآن إلا وحى » ، وهذا على قول من قال : ليس المراد بالنجم القرآن ، وأما على قول من قال : هو الوحى فضمير مذكور . والوجه

---

(١) الخلوق ضرب من الطيب . (٢) رواية البخارى : فسكت النبى ساعة .

(٣) نص الحديث كما أخرجه البخارى : اغسل الطيب الذى بك ثلاث مرات . . . إلخ . وفى تمامه : قلت لعطاء : أراد الإنقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات . قال نعم .

(٤) زيادة من سنن أبى داود نقلا عن تيسير الوصول لابن الديبع الشيبانى (ج ٣ ص ٦ القاهرة سنة ١٣٣١هـ) .

(٥) هو الضياء المقدسى .

الثانى : أنه عائد إلى مذكور ضِمْنًا ، وهو قولُ النبي صلى الله عليه وسلم وكلامُه ، وذلك لأن قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) فى ضمنه النطق وهو كلامٌ وقَوْلٌ ، فكأنه تعالى يقول : وما كلامُه ولا نُطْقُه إلا وَحْى . وفيه وجه آخر ، وهو أن قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) رَدٌّ على الكفرة حيث قالوا : قَوْلُه قَوْلُ كاهن ، وقالوا : قَوْلُه قَوْلُ شاعر ، فقال تعالى : (إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى) ، وليس بقول شاعر كما قال تعالى : (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُون ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون[1] » .

وقوله تعالى : « إنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحَى » ، أبلغ من قول القائل : هو وَحْيٌ ، وفيه فائدة غير المبالغة ، وهى أنهم كانوا يقولون : هو قول كاهن ، هو قول شاعر . والمراد نَفْى قولهم وذلك يحصل بصيغة النفى فقال : ما هو كما تقولون ، وزاد فقال : بل هو وَحْى .

أنوار التنزيل : « احْتَجَّ بهذه الآية مَنْ لم يَرَ الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم . وأجيبَ عنه بأنه إذا أُوحِىَ إليه أنْ يجتهد كان اجتهاده وما يُسْنَد إليه واجباً وفيه نظر لأن ذلك حينئذ بالوحى » .

الطيبى : « هذه الاية واردة فى أمر التنزيل وليس فيها لمُسْتَدِلّ أن يَسْتَدِلَّ شيئًا من أمر الاجتهاد نفياً ولا إثباتاً ، لأن الضمير فى « هو » للقرآن ، بدليل من فَسَّر النجم بنجوم القرآن » . وبَسَط الكلام على ذلك ، ثم أورد حديث طلحة بن عبيد الله فى تأبير[2] النخل ، وسيأتى مع الكلام عليه فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام الرازى : « القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتهد خلاف الظاهر ، فإنه فى الحرب اجتهد وحَرَّم ، قال الله تعالى : (لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ[3]) ، وأَذِنَ ، قال الله تعالى : (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)[4] .

التاسع : فى الكلام على قوله تعالى : « عَلَّمه شديدُ القُوَى » .

التِّبْيَان : « أخبر تعالى عن وصف من عَلَّمَه بالوحى أنه مضادّ لأوصاف الشيطان

---

(١) سورة الحاقة آية ٤١ و ٤٢ .

(٢) من أبر النخل يأبره أبراً وإباراً وإبارة لقحه ، وكذلك أبر النخل تأبيراً .

(٣) من الآية الأولى من سورة التحريم . (٤) سورة التوبة آية ٤٣ .

مُعَلِّمُ الضَّلَالَة وَالغَوَاية ، وهذا نظير قوله تعالى (ذِى قُوَّة عِنْدَ ذِى العُرْشِ مَكِين[1]) وفى وصفه بذلك تنبيه على أمور :

الأول : أنه بقوته يمنع الشياطين أن تَدْنُو منه وأن ينالوا منه شيئاً أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يَقْرَبْه .

الثانى : أنه مُوالٍ لهذا الرسول الذى كَذَّبتموه ومعاضِدٌ له ومُوَادٌ له وَنَاصِرٌ ، كما قال تعالى : (فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنين[2]) الآية . ومن كان هذا القَوِىُّ وَلِيَّه ومن أنصاره وأعوانه ومُعَلِّمَه ، فهو المَهْدِىُّ المنصورُ ، واللهُ هاديه وناصِرُه .

٣٣٦و الثالث : أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبَه ووَلِيَّه / جبريل ، ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عرضة للهلاك .

الرابع : أنه قادر على تنفيذ ما أُمِر به بقوته فلا يعجز عن ذلك مُوَادٌ له كما أُمِر » .

السمين : « فاعل عَلَّمه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر . قال الماوردى والقرطبى إنه قول الجميع إلا الحَسَن ، فإنه فاعل ، قال هو البارى تعالى لقوله عَزَّ وجَلَّ : (الرَّحْمنُ ، عَلَّمَ القُرآنَ[3]) ويكون « ذو مِرَّة » تمام الكلام » .

اللباب : « يجوز أن تكون هذه الهاء للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الظاهر ، فيكون المفعول الثانى محذوفاً أى علمه النبى صلى الله عليه وسلم الوحى أى المُوحَى ، ويجوز أن يكون للقرآن والوحى ، فيكون المفعول الأول محذوفاً أى علمه النبى .

الإمام الرازى : « الأَوْلى أن يقال الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ، تقديره عَلَّم محمداً شديدُ القُوَى جبريل ، وحينئذ يكون عائداً إلى صاحبكم ، تَقْدِيرُه : ما ضَلَّ صاحبكم ، وشديدُ القُوَى هو جبريل ، أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة ، ثم فى قوله : (شَدِيدُ القُوَى » فوائد :

الأُولى : أن مدح المُعَلِّم مَدْحٌ للمُتَعَلِّم ، فلو قال : عَلَّمه جبريل ولم يصفه ما كان يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة .

---

(١) سورة التكوير آية ٢٠ .

(٢) سورة التحريم آية ٤ .

(٣) سورة الرحمن آية ١ و ٢ .

الثانية : أن فيه رَدًّا عليهم بحيث قالوا : أساطير الأَوَّلين ، فقال : لم يُعَلِّمه أحَدٌ من الناس بل عَلَّمه شديدُ القُوَى .

الثالثة : فيه الوثوق بقول جبريل صلى الله عليه وسلم ، فى قوله تعالى : « شديدُ القُوَى » جميع ما يوجب الوثوق لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل على ما عرف ، وكذلك قوة الحفظ ، فقال : (شَديدُ القُوَى) ليجمع هذه الشرائط ، فيصير كقوله تعالى : « ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِين ، مُطاعٍ ثَمَّ أَمِين[1] » .

اللباب : « شَدِيدُ القُوَى من كافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهى غير حقيقية[2] ، هذا ما جزم به الزمخشرى وتابعوه » . وقال صاحب الكفيل : « بل هى مضافة إلى مفعولها ، وبسط الكلام على ذلك ، والشديد البَيِّن القوة » .

روى ابن عساكر عن معاوية بن قُرَّة – بضم القاف وتشديد الراء – رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « مَا أَحْسَنَ مَا أَثْنَى عليك رَبُّك : « ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِين ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين » ما كانت قُوَّتُكَ وما كانت أَمَانَتُكَ ؟ قال : أما قُوَّتِى فإنِى بُعِثْتُ إلى مدائن لوط وهى أربع مدائن ، وفى كل مدينة أربع مائة ألف مقاتل سوى الذرارى ، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهلُ السماء أصواتَ الدجاج ونُباح الكلاب ، ثم هَوَيْتُ بهن فقلبتُهن . وأما أمانتى فلم أؤمر بشىء فَعَدَوْتُه إلى غيره » . وقال محمد بن السائب : « من قوة جبريل أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء[3] الأسود فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى أسمع أهل السماء نُبَاح كلابهم وصياح ديكتهم ، ثم قلبها ، ومن قوته أيضاً أنه أبصر إبليس يكلم عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على بعض عُقاب الأرض المقدسة فنفحه[4] بجناحه نفحةً فألقاه فى أقصى جبل

---

(١) سورة التكوير آية ٢٠ و ٢١ .

(٢) هكذا فى الأصول ويوضح هذه العبارة ما ذكره الزمخشرى فى الكشاف (ج ٢ ص ٣٦٠) فى تفسير « شديد القوى » إذ قال : ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام .

(٣) وفى رواية من الأرض السفلى بدلا من الماء الأسود .

(٤) فنفحه بالحاء المهملة ، نفح ينفح نفحاً من باب فتح ومن معانيها : ضرب تقول نفحت الدابة الرجل ضربته بحد حافرها ، ونفح فلاناً بالسيف ضربه به ضربة خفيفة .

بالهند . ومن قوته هبوطه من السماء على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، وصعوده إليها فى أسرع من طرفة عين » .

العاشر : فى الكلام على قوله تعالى : « ذو مِرَّةٍ » .

القرطبى : قال قطرب : تقول العرب لكل جَزْل الرأى حصيف العقل ذو مِرّة ، قال الشاعر :

قد كُنْتُ قبل لِقَاكُمُ ذا مِرَّةٍ ... عندى لكل مُخاصِم ميزانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى ائتمنه على وحيه إلى جميع رُسُله .

الجوهرى : « والمِرَّة القوة وشدة العقل ، ورجل مرير أى قوى ذو مِرَّة . قال[1] :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وحَشْوُ ثيابه أَسَدٌ مَرِيرٌ

ابن القَيِّم : « أى جميل المنظر ، حسن الصورة ، ذو جلالة ، ليس شيطانًا ء أقبح خلق الله تعالى وأشوههم صورة ، بل هو من أجمل الخَلْق وأقواهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله ، وهذا تعديل لسند الوحى والنبوة ، وتزكية له ، كما ذُكِر نظيرُه فى سورة التكوير ، فوَصَفَه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته . وهذه كانت أوصاف الرسول البشرى والملكى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأصفاهم نفساً .

الإمام : « فى قوله : « ذو مِرّة » وجوه : الأول : ذو قوة ، قلت ورواه الفَرْيَابِى عن مجاهد ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تَحِل الصدقةُ لغَنِىّ ولا لذى مِرَّةٍ سَوِىّ[2] » . رواه الإمام أحمد[3] . الثانى : ذو كمال فى العقل وفى الدين جميعاً . الثالث: ذو منظرٍ وهيبةٍ عظيمة . الرابع : ذو خُلُقٍ حَسَن » . قلت زاد الماوردى خامساً : ذو غَنَاء .

---

(١) قائله هو العباس بن مرداس السلمى .

(٢) فى النهاية لابن الأثير (ج ٤ ص ٨٨) المرة القوة والشدة والسوى الصحيح الأعضاء .

(٣) وكذلك رواه الترمذى .

قلت : ولا تنافى بين هذه الأقوال ، فإنه صلى الله عليه وسلم متصف بها . فإن قيل : على قولنا ذو مِرَّة ، قد تقدم بيان كونه شديدَ القُوَى ، فكيف تقول قواه شديدة وله قوة ؟ فالجواب من وَجْهَيْن : أحدهما : أن ذلك لا يحسن إذا كان وصفاً بعد وصف ، وأما إذا جاء بدلاً فيجوز ، كأنه قال : عَلَّمه ذو قوة ، ونزل شديد القوى فليس وصفاً له وتقديره ذو قوة عظيمة أو كاملة . الثانى : أن إفراد « مِرَّة » بالذكر ربما يكون لبيان أن قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خَصَّه الله تعالى بها .

على أنَّا نقول المراد ذو شدة وهى غير القوة ، وتقديره عَلَّمه مَنْ قَوَاه الشديدة ، وفى ذاته أيضاً شِدّة ، فإن الإنسان ربما يكون كثير القوة صغير الجُثَّة . وفيه لطيفة وهى أنه تعالى أراد بقوله : « شديد القوى » ، أى قوة العلم ، وبقوله : « ذو مِرَّة » ، أى شدة فى الجسم ، قَدَّم العِلْمِيَّة على الجِسْمِيَّة ، كما قال تعالى : « وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى العِلْمِ وَالْجِسْمِ[1] » ، وتقدم الكلام على « ذو » فى اسمه صلى الله عليه وسلم : « ذو الوسيلة » ، فراجعْه .

الحادى عشر : فى الكلام على قوله تعالى : « فاستوى ، وهو بالأُفُق الأَعلى » .

اللباب : « قال مكى : استوى يقع للواحد وأكثر مايقع من اثنين ولذلك جعل الفَرَّاء الضمير لاثنين » .

الماوردى والقرطبى : « فاستوى » يعنى جِبْريل أى ارتفع وعلا إلى مكانه فى السماء ، بعد أن عَلَّم محمداً صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن المُسَيَّب وابن جُبَيْر . وقال الإمام : « إنه المشهور » ، وقيل « فاستوى » أى ظهر فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها ، لأنه كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى [إلى] الأنبياء ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرِيَه نفسه التى خلقه الله عليها ، فأراه نَفْسَه مَرَّتَيْن : مَرَّة فى الأرض ومَرَّة فى السماء ، فأما فى الأرض ففى الأُفُق الأعلى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم بحِرَاء ، فطلع له جبريل من المشرق ، فَسَدَّ الأرض إلى المَغْرب ، فَخَرَّ النبى صلى الله عليه وسلم مَغْشِيًّا عليه ، فنزل إليه فى صورة الآدميين وضَمَّه إلى / نفسه وجعل يمسح ٣٣٧و

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧ .

الغُبَار عن وجهه ، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا جبريل ما ظننتُ أن الله تعالى خلق أحدًا على مثل هذه الصورة » . فقال : يا محمد إنما نشرتُ[1] جَنَاحَيْن من أجنحتى وأن لى ستمائة جَنَاح سعة كل جَنَاح ما بين المشرق والمغرب . فقال : « إن هذا لعظيم » . فقال له : وما أنا فى جَنْب ما خلقه الله إلا يسيراً ، ولقد خلق الله تعالى إسرافيل له ستمائة جَنَاح ، كل جناح قَدْر أجنحتى ، وإنه ليتضاءل أحياناً – يتضاءل بالضاد المعجمة والهمز – من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوَصَع – بفتح الواو والصاد وبالعَيْن المهملتين[2] ، يعنى العصفور الصغير ، دليله قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِين[3]) .

وأما فى السماء فعند سِدْرة المنتهى ، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا صلى الله عليه وسلم .

ابن كثير : « وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فى أوائل البعث بعد فترة الوحى » .

اللباب : « فى الضمير وجهان : أحدهما : وهو الأظهر أنه مبتدأ ، «وبالأُفق» خَبَرُه ، والضمير لجبريل أو للنبي صلى الله عليه وسلم . ثم فى هذه الجملة وجهان : الأول : أنها حال من فاعل « فاستوى » قاله مكى . قال القرطبى : والمعنى فاستوى جبريل عالياً على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك رآه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا » ، انتهى .

« الثانى : أنها مستأنفة ، أخبر الله تعالى بذلك ، ثانيهما : أن « وهو » معطوف على الضمير المستتر فى استوى . وضمير استوى إما أن يكون لله تعالى وهو قول الحَسَن أو لجبريل أو لمحمد ، وهذا ضعيف ، لأنه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى وفلان إلا فى ضرورة الشِّعْر ، والصحيح استوى جبريل وجبريل بالأُفق الأعلى [على صورته الأصلية[4]] لأنه كان يتمثّل للنبي صلى الله عليه وسلم [إذا نزل بالوَحْى[4]] فى صورة رجل ، فأحب النبي

---

(١) فى الأصول : نثرت ، ولا يقال نثر الجناح وإنما يقال نشره وهذه عبارة القرطبى التى نقلها المؤلف .

(٢) جاء فى النهاية لابن الأثير (ج ٤ ص ٢١٣) : إن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتواضع لله تعالى حتى يصير مثل الوصع ، يروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من العصفور والجمع وصعان .

(٣) سورة التكوير آية ٢٣ .

(٤) زيادة من تفسير القرطبى .

صلى الله عليه وسلم أن يراه على صورته الحقيقية فاستوى جبريل فى أُفُق المشرق فملأ الأُفق » .

وروى الإمام أحمد ، وعَبْد بن حُمَيْد ، وابن المنذر ، والبيهقى ، وأبو نُعَيْم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته ، له ستمائة جَنَاح ، كل جَنَاح منها قد سَدَّ الأُفُق وتسقط من أجنحته التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس فى الآية قال : سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه فى صورته ، فقال : ادعُ رَبَّك ، فدعا رَبَّه عزَّ وجلّ ، فطلع عليه سَوَادٌ من قِبل المشرق ، فجعل يرتفع وينتشر ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صُعِق ، فأتاه فَقَرُبَ منه ومَسَحَ الغُبار عن وجهه .

المصباح : « الأُفُق بضمتين الناحية من الأَرض ومن السماء والجمع آفاق ، زاد فى الصحاح : والأُفْق بضمة فسكون مثل عُسْر وعُسُر » .

الماوردى : « فى الأُفُق الأَعلى ثلاثة أقوال : أحدها : مطلع الشمس قاله مجاهد ، الثانى : هو بالأُفق الذى يأتى منه النهار قاله قتادة يعنى طلوع الفجر ، الثالث : هو أُفُق السماء وهو جانب من جوانبها ، قاله ابن زيد ، ومنه قول الشاعر :

أخذنا بآفاقِ السَّماء عَلَيْكُمُ　　　لنا قَمَراها والنجومُ الطَّوالِعُ

الثانى عشر : فى الكلام على قوله تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) .

الإمام الرازى : « فيه وجوه : الأَول : وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبى صلى الله عليه وسلم / ، أى بعد ما مَدَّ جناحه وهو بالأُفُق الأَعلى عاد إلى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها ، وقَرُبَ من النبى صلى الله عليه وسلم » . ٣٣٧ظ

القرطبى : « أى دنا جبريل بعد استوائه بالأُفق الأَعلى « فَتَدلَّى » على النبى صلى الله عليه وسلم ، المعنى أنه لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك ، رَدَّه الله تعالى إلى صورة آدمى حين قرب من النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى . هذا قول الجمهور ، انتهى . وعليه ففى تَدَلَّى ثلاثة أقوال : الأَول أن الدنوّ والتدلى بمعنى واحد كأنه قال : دنا فقَرُبَ .

اللباب : « ذهب الفَرَّاء إلى أن الفاء فى « فَتَدَلَّى » بمعنى الواو ، والتقدير : ثم تدلى عليه الصلاة والسلام ودنا . ولكنه جائز إذا كان معنى الفِعْلَيْن واحداً قَدَّمْتَ أيهما شئت ، تقول دنا فَقَرُب ، وقَرُب فدنا ، وشَتَمَنِي فأساء وأساء فشتمنى لأن الشتم والإساءة شىء واحد ، وكذلك قوله تعالى : (اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ[1]) ، أى انشقّ القمر واقتربت الساعة . القول الثانى : فى الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : ثم تَدَلَّى من الأُفق فدنا من النبى صلى الله عليه وسلم . القول الثالث : أن دنا بمعنى قصد القُرْب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان الذى فيه فتَدلَّى فنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثانى : أن المراد دنا من ربه تبارك وتعالى ، والمراد بالدنوّ هنا المنزلة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل : من تَقَرَّب منى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذراعاً ومن أتانى يمشى أتيتُه هرولة[2] وهذا إشارة إلى المعنى ، ولهذا مزيد بيان فى شرح القصة .

الوجه الثالث : دنا جبريل من ربه ، قاله مجاهد .

الوجه الرابع : أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، دنا من ربه ، ويُحْمَل هو والذى قبله كما قال الإمام الرازى على القُرْب من المنزلة . والذى عليه الجَمّ الغفير هو دنوّ جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم » .

الثالث عشر : فى الكلام على قوله تعالى : « فكان قابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى » .

اللباب : « هاهنا مضافان محذوفان نضطر لتقديرهما ، أى فكان مقدار مسافة قربه منه مقدار مسافة قاب » .

الإمام الرازى : « أى فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل ، فهذا على استعمال العرب وعادتهم ، فإن الأَميرَيْن منهم أو الكبيرَيْن إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما ، جعل كل واحد منهما قوسه بطَرَف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرعية يكون كَفُّه بكَفّ صاحبه فيَمُدان باعَيْهِما ، لذلك سُمِّى مبايعة . وعلى هذا ففيه مقدار قَوْسَيْن أو كان جبريل سفيراً بين حضرة الله تعالى عنه ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالتَّبَع لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فصار كالمُبَايع الذى يَمُدّ الباع لا القوس » .

---

(١) الآية الأولى من سورة القمر . (٢) طرف حديث أخرجه مسلم فى صحيحه (بشرح النووى جـ١٧ ص٢) عن أبى هريرة .

اللباب : القاب : القَدر تقول : هذا قاب هذا ، أى قَدْرُه ومثله : القِيب والقاد والقِيد والقِيس .

الجوهرى : «وقال بعضهم فى الآية أراد قابَىْ قَوْس فقلبه . وفى الحديث الصحيح : لقابُ قَوْس أحدكم [أو موضع قِدِّه[1]] من الجنة خَيْرٌ من الدنيا وما فيها» . والقوس معروفة ، وهى ما يُرْمَى بها وهى مؤنثة[2] وشَذُّوا فى تصغيرها ، فقالوا قويس من غير تأنيث ، وإنما ضُرب المَثَل بالقوس لأنها / لا تختلف بالقاب وإن لم يَجْر لها ذكْر لعدم اللَّبْس» . ٣٣٨و

الواحدى : «المراد بالقوس التى يُرْمَى بها عند الجمهور ، قال : وقيل المراد الذراع لأنها يُقَاس بها» .

القرطبى : «وقال سعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو إسحق الهَمْدانى ، وأبو وائل شقيق ابن سلمة «فكَانَ قَابَ قَوْسَيْن» أى قَدْر ذراعين ، والقوس الذراع يُقاس بها كل شىء ، وهى لغة بعض الحجازيين ، وقيل هى لغة أزد شنوءة أيضاً» . قلتُ : ورواه ابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود أيضاً .

قال الحافظ : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح ، فقد روى الطبرانى وابن مَرْدَويه والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال : القاب والقيد والقوسان الذراعان .

اللباب : «أو» هنا كهى فى قوله تعالى : (أَوْ يَزِيدُون) لأن المعنى بأحد هذين المقدارين فى رأى الرائى أى لتقارب ما بينهما [لا[3]] يشك الرائى فى ذلك . [وقال] ابن القَيِّم : «أو» هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة ، وأنها لا تزيد على قوسين البتة ، كما قال تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَة أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون[4]) ، تحقيقاً لهذا القدر وأنهم لا ينقصون

---

(١) تكلمة نص الحديث من النهاية لابن الأثير (ج ٣ ص ٢٨٢) .

(٢) جاء فى صحاح الجوهرى : القوس يذكر ويؤنث فن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكره قال قويس . ونقل الزبيدى فى تاج العروس عبارة الصحاح ولكنه زاد قائلا : وفى المحكم (لابن سيده) القوس التى يرمى عنها أنثى وتصغيرها قويس بغير هاء شذت عن القياس ولها نظائر حكاها سيبويه .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) سورة الصافات آية ١٤٧ .

عن مائة ألف أو يزيدون رجلاً واحداً ، ونظيره قَوْلُه تعالى (ثم قَسَت قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة[1]) أى لا تنقص قسوتها[2] عن قسوة الحجارة ، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها . وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جَعَل «أو» فى هذا الموضع بمعنى بل ، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرائى ، وقول من جعلها بمعنى الواو فتأمّله ، وجزم بذلك ابن كثير .

اللباب : «أدنى أفعل تفضيل ، والمُفَضّل عليه محذوف أو أدنى من قاب قوسين ، فمعنى الآية : ثم دنا جبريل بعد استوائه فى الأُفق الأعلى من الأرض ، فتَدَلَّى ، فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان قاب قوسين أو أدنى بل أدنى .

تنبيه : هذا الذى قلناه من المُقْتَرِب الدَّانى الذى صار بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى ، إنما هو جبريل ، نقله القاضى عن الجمهور . وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : إنه هو الصحيح فى التفسير ، كما دَلَّ عليه كلام أكابر الصحابة . قال ابن القَيِّم : لأن جبريل هو الموصوف بما ذُكر من أول السورة إلى قوله : (ولقد رآه نَزْلَةً أُخرَى ، عندَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى[3]) هكذا فَسَّره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة ، قالت عائشة رضى الله عنها : سَأَلْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال : «ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خُلق عليها إلا مَرَّتَيْن» ، رواه مسلم ، ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه :

الأول : أنه قال : (عَلَّمهُ شَديدُ القُوَى) وهذا جبريل الذى وصفه بالقوة فى سورة التكوير[4] .

الثانى : أنه قال : «ذو مرَّةٍ» أى حسن خُلُق ، وهو الكريم فى سورة التكوير[5] .

الثالث : أنه قال : «فاستوى وهو بالأُفُقِ الأعلى» وهى ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل .

---

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٢) فى الأصول : قوتها والسياق يقتضى قسوتها .

(٣) سورة النجم آية ١٣ و ١٤ .

(٤) الإشارة هنا إلى الآية العشرين من سورة التكوير : «ذى قوة عند ذى العرش مكين» .

(٥) سورة التكوير آية ١٩

الرابع : أنه قال : «ثم دنا فتدلّى ، فكان قاب قوسين أو أدنى» ، فهذا دنو جبريل ، وقد نزل إلى الأرض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم بها . وأما الدنو والتدلّى فى حديث المعْراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق سبع سموات .

الخامس : أنه قال : «ولقد رآه نَزْلَةً أخرى ، عند سدْرَة المنتهى» . والذى عند السِّدْرة قطعاً هو جبريل ، وبهذا فَسَّره النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : «ذاك جبريل» .

السادس : أن الضمير فى قوله / : «ولقد رآه» ، وقوله : «دنا فتدلَّى» ، وقوله : «فاستوى»، وقوله : «وهو بالأُفق الأَعلى» واحد، فلا يجوز أن يُخالَف بين المُفَسِّرين من غير دليل . ٣٣٨ظ

السابع : أنه سبحانه وتعالى أخبر أن هذا الذى «دنا فَتَدَلَّى» كان بالأُفق الأَعلى ، وهو أُفق السماء ، فدنا من الأَرض فتدلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدنو والتدلى الذى فى حديث شريك غير هذا ، وكذا جزم ابن كثير بأَن الدنو والتدلى فى حديث شريك غير الذى فى الآية .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، فى هذه الآية قال : «رأى بفؤاده مرتين[1]» ، فجعل هذا إحداها ، ولهذا مزيد بيان فى الباب الثالث .

الرابع عشر: فى الكلام على قوله تعالى : (فَأَوْحَى إلى عَبْده مَا أَوْحَى)[2] .

ابن عادل مُتَابعا الإمام الرازى : «فى فاعل أوحى وجهان : الأول: أن الله تعالى أوحى ، وعلى هذا فنى «عَبْده» وجهان : أحدهما : أنه جبريل ، أى أوحى الله تعالى إلى جبريل ، وعلى هذا فنى فاعل أوحى الأخير وجهان : أحدهما : أنه الله تبارك وتعالى أيضاً . والمعنى حينئذ : فأَوحى الله تعالى إلى جبريل الذى أوحاه الله تعالى أبهما [أكثر] تفخيماً وتعظيماً للموحِى ، ثانيهما : فاعل أوحى الثانى جبريل ، أى أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل ما أوحى جبريل ، وعلى هذا فالمراد من الذى أوحى إليه جبريل يحتمل وجهين : أولهما أن يكون مُبَيِّناً ، وهو الذى أوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثانيهما أن يكون عامًّا . أوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى كل رسول . وفيه بيان أن جبريل أمين لم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (حـ ٣ ص ٧) .

(٢) سوره النجم اية ١٠

يَخُنْ فى شىءٍ مما أُوحىَ إليه ، وهذا كقوله تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمين[1]) وقوله (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمين[2]) .

الوجه الثانى : فى «عَبْده» ، على قولنا هو الله تعالى ، أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، أى أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى إليه به أَبْهَمَهُ للتفخيم والتعظيم .

الوجه الثانى فى فاعل أَوحى الأَول : هو أنه جبريل أوحى إلى عبده أى إلى عبد الله يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ما أوحى إليه رَبُّه عز وجل ، قاله ابن عباس فى رواية عطاء ، والكلبى ، والحسن ، والربيع ، وابن زيد . وعلى هذا فى فاعل أوحى الثانى وجهان : أحدهما : أنه جبريل أى أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى جبريل للتفخيم ، وثانيهما : أن يكون هو الله تعالى أى أوحى جبريل إلى محمد ما أوحى الله تعالى إليه .

وفى «ما أوحى» وجوه : الأَول : فضل الصلاة ، الثانى : أنّ أحداً من الأَنبياء لايدخل الجَنَّة قبلك ولا قبل أُمَّتك . الثالث : أن «ما» للعموم ، والمراد كل ما جاء به جبريل» .

الخامس عشر : فى الكلام على قوله تعالى : «ما كَذَبَ الفؤاد ما رأى » .

ابن القَيِّم : «أخبر اللهُ تعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه ، وأن القلب صَدَّق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به ، فكَذَبَ فؤادُه بَصَرَهُ ، بل ما رآه ببصره صَدَّقه الفؤاد وعلِمَ أنه كذلك . يُقَال كَذَبَتْه عَيْنُه وكَذَبَهُ قَلْبُه وكَذَبَهُ جَسَدُه إذا أخلف ما ظَنَّه وحَدَسَهُ . قال الشاعر :

كَذَبَتْكَ[3] عَيْنُك أَم رَأَيْتَ بواسطٍ غَلَسَ الظلامِ من الرَّباب خَيَالا

أى أَرَتْكَ ما لا حقيقة له . فنَفَى اللهُ تعالى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَخْبَر أن فؤاده لم يَكْذب ما رآه» .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ . (٢) سورة التكوير آية ٢١ .

(٣) فى الأصول : كذبت . ورواية الأغانى (جـ ٧ ص ٨١ دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٥ م) كذبتك نفسك . وقائل البيت الأخطل من قصيدة يهجو فيها جريراً ويفتخر على قيس (ديوان الأخطل طبعة صالحانى ، بيروت سنة ١٨٩٠ م ص ٣١) . وفى تاج العروس الغلس محركة ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ومنه الحديث كان يصلى الصبح بغلس . وقال الأزهرى الغلس أول الصبح حتى ينتشر فى الآفاق وكذلك الغبس وهما سواد مختلط ببياض وحمرة مثل الصبح سواء .

الماوردى : « فى الفؤاد قولان : أحدهما : أنه أراد صاحب الفؤاد ، فعَبَّر عنه بالفؤاد ، لأنه قُطْب الجسد وبه قوَامُ الحياة . الثانى: أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد » .

اللباب : «قرأ هشام وأبو جعفر بتشديد/الذال من « كَذَبَ » ، والباقون بتخفيفها . ٣٣٩و فأما الأولى فإن معناها أن ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعَيْنه صَدَّقه قلبُه ، ولم ينكر الدارى «أل» لتعريف ما عُلم حالُه لسَبْق ذكْر محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله : «إلى عَبْده» » وفى قوله (وهُوَ بالأُفُقِ الأَعلى) وقوله (ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) ، أى لم يَقُل إنه خيال لاحقيقة . و «ما» الثانية مفعول له موصولة ، والعائد محذوف ، ففاعل «رأى» ضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم » .

وأما قراءة التخفيف فقيل فيها كذلك . وكَذَبَ يتعدى بنفسه . وقيل هو على إسقاط الخافض أى فيما رآه ، قاله مكى وغيره . قال حَسَّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

لو كُنْتِ صادقةَ الذى حَدَّثْتِنِى[1] لنَجَـوْتِ مَنْجَا الحارثِ بن هشامِ

أى فى الذى حَدَّثْتنى ، وجَوَّز «ما» فى وَجْهَيْن : أحدهما: أن تكون بمعنى «الذى» ، فيكون المعنى : ما كَذَبَ الفؤاد الذى رأى بعينه ، والثانى : أن تكون مصدرية .

ابن القَيِّم : فيكون المعنى : ما كَذَّبَ فؤادُه رُؤْيَتَه ، وعلى التقديرَيْن فهو إخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما ، وتصديق كل واحد منهما لصاحبه ، وهذا ظاهر فى قراءة التشديد . وقد استشكلها طائفة منهم المُبَرِّد ، وقال فى هذه القراءة بُعْد ، لأنه إذا رأى بقلبه فقد عَلمَه أيضاً بقلبه ، وإذا وقع العلم فلا كذب معه ، فإذا كان الشىء فى القلب معلوماً فكيف يكون معه تكذيب ؟

والجواب عن هذا من وَجْهَيْن : أحدهما : أن الرجل قد يتخيل الشىء على خلاف ما هو به فيُكَذِّبه قلبُه ، إذ يُريه صورةَ المعلوم على خلاف ما هى عليه كما تَكْذِبُه عينُه ، فيقال كَذَبه قلبُه وكَذَبه ظَنُّه وكَذَبَتْهُ عَيْنُه ، فنفى ذلك سبحانه وتعالى عن رسول الله صلى الله

(١) صدر البيت فى ديوان حسان بشرح البرقوقى (القاهرة سنة ١٩٢٩ م ص ٣٦٣) : إن كنت كاذبة الذى حدثتنى ، وكذلك فى الأغانى (جـ ٤ ص ١٦٩ دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣١ م) .

عليه وسلم ، وأخبر أن ما رآه الفؤاد كما رآه ، كمن يرى الشيء على حقيقة ما هو به ، فإنه يصح أن يقال لم تَكْذِبْهُ عَيْنُه . الثانى : أن يكون الضمير فى «رأى» عائد إلى الرائى لا إلى الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ، وهذا بحمد الله لا إشكال فيه ، والمعنى : ما كذب الفؤاد بل صَدَّقه ، وعلى القراءتين فالمعنى : ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يَرَ وَلَااتَّهَم بَصَرَه» . انتهى .

اللباب تبعاً للإمام الرازى : «ويجوز أن يكون فاعل «رأى» ضميراً يعود على الفؤاد [أى] لم يشك قلبه فيما رأى بعينه» . قال الزمخشرى : «[ما كَذَب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام ، أى ما قال فؤاده ، لما رآه : لم أعرفه ولو قال ذلك لكان كاذباً ، لأنه عرفه ، يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق[1]] .

فما كَذَب الفؤاد ، هذا على قراءة التخفيف ، يقال كَذَبه إذا قال له الكذب ، وأما على قراءة التشديد فمعناه : ما قال إن الذى [رآه كان[2]] خفياً لا حقيقة له . وأما الرائى فقيل هو الفؤاد كأنه تعالى قال : ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد ، أى لم يقل إنه جنّ أو شيطان ، بل تَيَقَّن أن ما رآه بفؤاده صدق صحيح . وقيل الرائى هو البَصَر أى ما كذب الفؤاد ما رآه البَصَر ، ولم يتدارك [أن][2] ما رآه البصر خيال . ويُحْتَمَل أن تكون «أل» للجنس أى جنس الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ، أى شهدت القلوب بصحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا فى المرئى ماهو ؟ فقال ابن مسعود[3] رضى الله تعالى عنه : رأى [رسول الله

(١) ورد النقل فى الأصول عن الزمخشرى هكذا : قال معناه إن قلبه لم يكذب وما قال إن ما يراه بصرك ليس بصحيح (ولو) قال فؤاده ذلك لكان كاذباً فيما قاله . وبالرجوع إلى الكشاف (جـ ٢ ص ٣٦١ بولاق سنة ١٢٨١ هـ) اتضح أن عبارة الزمخشرى مخالفة لما نقله المؤلف عنه فيما عدا جملة واحدة سقطت منها كلمة «لو» . لذلك آثرنا إثبات نص عبارة الزمخشرى .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) ورد حديث ابن مسعود فى النهاية لابن الأثير هكذا : «رأى رفرفاً أخضر سد الأفق» وجاء فى شرحه أى رأى بساطاً وقيل فراشاً . ومنهم من يجعل الرفرف جمعاً واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف ، وقد قرئ به متكئين على رفاف خضر . وقد خرج الترمذى هذا الحديث عن عبد الله قال : رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جبريل عليه السلام فى حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض قال هذا حديث حسن صحيح . وهناك روايات أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس مع اختلاف يسير فى اللفظ خرجها البيهقى .

صلى الله عليه وسلم][1] جبريلَ عليه حُلَّتا رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض . رواه الفَرْيَابِي/ والترمذي وصححه . وقيل رأى الآيات العجيبة . وقال ابن عباس رضى الله ٣٩٣ ظ تعالى عنهما : رأى رَبَّه بفؤاده مَرَّتَيْن ، رواه مسلم وغيره . وسيأتى الكلام على رؤية الله تعالى فى الباب الثالث .

السادس عشر : فى الكلام على قوله تعالى : «أَفَتُمَارُونَه على ما يرى» .

ابن القَيِّم : «أنكر عليهم سبحانه وتعالى مكابرتَهم وجَحْدَهم له على ما رآه مما يُنْكَر على الجاهل مكابرته لعالم ، ومماراته له على ما عَلِمَه» .

اللباب : «قرأ الأخوان[2] : «أَفَتَمْرُونَه» بفتح التاء وسكون الميم ، والباقون «تمارونه» ، وعبد الله بن مسعود والشعبي : «أَفَتُمْرُونه» بضم التاء وسكون الميم . فأما الأولى ففيها وجهان : أحدهما : أنه من مَرَيْتُهُ حَقَّه إذا غَلَبْتُه عليه وجَحَدْتُه إياه ، وعُدِّيَ بعَلَى لتَضَمُّنه معنى الغَلَبة ، وأنشدوا :

لئن هَجَرْتَ[3] أخا صدْقٍ ومَكْرُمَةٍ لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكا

لأنه إذا جحده حَقَّه فقد غَلَبَه عليه . قال المُبَرِّد : يُقَال مَرَاهُ عن حَقِّه وعلى حَقِّه إذا منعه منه ودفعه [عنه][4] . قال : ومثل «على» بمعنى «عن» قَوْلُ بنى كعب بن ربيعة رضى الله عليك أى [رضى][4] عنك» .

ابن القيم : «على بابها ليست بمعنى «عن» كما قاله المُبَرِّد ، بل الفِعْل مُتَضَمِّن معنى المكابرة ، وهذا فى قراءة الألف أظهر .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) هكذا فى الأصول . وفى تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٩٣) : قرأ حمزة والكسائى ، وهذان ليسا بأخوين فالأول: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات المتوفى سنة ١٥٦ هـ أحد القراء السبعة . والثانى: هو على بن حمزة بن عبد الله الكسائى الكوفى المتوفى سنة ١٨٩ هـ من أئمة النحو واللغة وهو أيضاً أحد القراء السبعة ولعل الأخوة بينهما ترجع إلى اشتغالهما بالقراءات . وقد أخذ الكسائى من قراءة حمزة . انظر ترجمة حمزة فى غاية النهاية لابن الجزرى (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ ج ١ ص ٢٦١ : ٢٦٣ رقم ١١٩٠) وترجمة الكسائى (نفس المصدر ج ١ ص ٥٣٥ : ٥٤٠ ، رقم ٢٢١٢) .

(٣) وروى هجوت ، نقلا عن محقق تفسير القرطبي . وجاء فى شرح هذا البيت فى شرح شواهد الكشاف لمحب الدين (ص ٢١٠ بولاق سنة ١٢٨١ هـ) يقول : لئن هجرتنى وأنا أخو صدق ومكرمة لقد هجرت حق أخ وفى ما كان يجحد حقك .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

الثانى : أنه من مراه كذا على كذا أى غلبه فهو من المراء وهو الجِدال[1] » .

وأما الثانية فهى من ماراه يماريه ، جادله واشتقاقه من مَرَى الناقة ، لأن كل واحد من المتجادلين يَمْرِى ما عند صاحبه . وكان من حقه أن يَتَعَدَّى [بنى] كقولك : جادله فى كذا . وإنما ضُمِّن الغَلَبة فعُدِّى تعديتها . وأما قراءة عبد الله فمن «ماراه» رباعياً ، والمعنى : «أفتجادلونه» ، أى كيف تجادلونه على ما يرى مع أنه رأى ما رأى عَيْن اليقين ؟ ولاشك بعد الرؤية .

القرطبي : «والمعنيان متداخلان لأن مجادلتهم جحود ، وقيل : إن الجحود كان دائماً منهم وهذا جدال جديد» .

ابن القَيِّم : «القوم جمعوا بين الجدال والدَّفْع فى الإنكار ، فكان جدالهم جدال جحود ودفع لا جدال استرشاد وتبيين للحق . وإثبات الألف يدل على المجادلة ، والإتيان بعلى يدل على المكابرة ، فكانت قراءة الألف مُتَضَمِّنَةً للْمَعْنَيَيْن جميعاً ، وذلك أنهم جادلوا حين أُسْرِىَ به ، فقالوا صفْ لنا بيت المَقْدِس ، وأَخْبِرْنَا عن عِيرنا فى الطريق ، وغير ذلك مما جادلوه به . والمعنى : أفتجادلونه جدالاً ترمون به دَفْعَه عَمَّا رآه وعَلَمَه وتَيَقَّنَه ؟ فإن قيل : هَلَّا قيل : أفتمارونه على ما رأى ؟ بصيغة الماضى ، لأنهم إنما جادلوه حين أُسْرِىَ به كما تقدم ، وما الحكمة فى إبرازه بصيغة المضارع ؟ فالجواب أن التقدير : أفتمارونه على ما يرى ؟ فكيف وهو قد رآه فى السماء ، فماذا تقولون فيه » ؟

السابع عشر : فى الكلام على قوله تعالى : (ولقد رآه نَزْلَةً أُخْرَى) .

ابن القَيِّم : «أخبر تعالى عن رؤيته لجبريل مرة أُخرى . فالمرة الأُولى كانت دون السماء بالأُفُق الأَعلى والثانية كانت فوق السماء عند سدْرَة المنتهى » .

---

(١) فرق الفيومى فى المصباح المنير بين المراء والجدال بقوله : يقال ماريته إذا طعنت فى قوله تزييفاً للقول وتصغيراً للقائل ، ولا يكون المراء إلا اعتراضاً بخلاف الجدال فإنه يكون ابتداء واعتراضاً . وفى التعريفات للجرجانى (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ ص ١٤٠) المراء طعن فى كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير . وفى فرائد اللغة فى الفروق (بيروت سنة ١٨٨٩ م ص ٥٤) : الجدال والمراء قيل هما بمعنى غير أن المراء مذموم لأنه مخاصمة فى الحق بعد ظهوره وليس كذلك الجدال .

ابن كثير : «هذه هى المرة الثانية التى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التى خلقه الله عليها ، وكانت ليلة الإسراء .. وتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية ، وتابعه /جماعة من السلف ٣٤٠ و والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة والتابعين» . قلتُ وسيأتى تحقيق ذلك فى بابه .

اللباب : «الواو فى «ولقد» يُحْتَمَل أن تكون عاطفة ، ويُحْتَمل أن تكون للحال ، أى كيف تجادلونه فيما رآه ، وهو قد رآه على وجهٍ لا شك فيه ؟ والنَّزْلَة فَعْلَة من النزول كجلسة من الجلوس ، وفى نَصْبِها ثلاثة أوجه : أحدها : أنها منصوبة على الظَّرْف الذى هو مَرَّة ، لأن الفَعْلَة إسم للمَرَّة من الفعْل ، فكانت فى حكمها . قال الشهاب الحلبى : وهذا ليس مذهب البصريين ، وإنما هو مذهب القُرَّاء ، نقله عنه مكى . الثانى : أنها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال ، أى رآه نازلاً نَزْلَةً أخرى ، وإليه ذهب الحوفى وابن عطية الثالث : أنها منصوبة على المصدر المؤكد ، فقَدَّره أبو البقاء مرةً أخرى أو رؤيةً أخرى . قال الشهاب الحلبى : وفى تأويل نَزْلة برؤية ، نَظَر ، وأُخرى تدل على سبق رؤيةٍ قبلها ، وعند سدْرَة ظرف مكان لرَأى» .

الثامن عشر : فى الكلام على السِّدْرَة وإضافتها إلى المنتهى .

قال الإمام الرازى : «يَحْتَمل وجوهاً : أحدها : إضافة الشىء إلى مكانه كقولك : أشجار بلدة كذا ، فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه مَلَك أو روح من الأرواح . قال كعب الأحبار : هى فى أصل العَرْش على رءُوس حَمَلة العَرْش ، وإليها ينقضى علْمُ الخلائق وما خَلْفها بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى . ثانيها : إضافة المَحَلّ إلى الحَالّ فيه ، كقولك : كتاب الفقه ، وعلى هذا فالتقدير : سدْرة عندها منتهى العلوم . ثالثها : إضافة المِلْك إلى مالكه كقولك : دَارُ زَيْد أو شجرة زيد ، وحينئذ المنتهى إليه محذوف تقديره : سدْرَة المنتهى إليه . قال الله تعالى : (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهى[1]) . فالمنتهى إليه هو الله تعالى ،

---

(١) سورة النجم آية ٤٢ .

وإضافة السِّدْرَة إليه حينئذ كإضافة البَيِّنة للتشريف والتعظيم ، كما يقال فى التسبيح : يا غاية رُغْبَاه ويا منتهى آمَالِه » .

القرطبى : « اختُلف لمَ سُمِّيت سدْرة المنتهى على أقوال تسعة : الأول : لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها فيُقْبَض[1] منها وإليها ينتهى ما يَعْرُج من الأرض ، رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود . الثانى : علْمُ الأنبياء ينتهى إليها ويَعْزُب عما وراءها ، قاله ابن عباس . الثالث : أن الأعمال تنتهى إليها وتُقْبَض منها ، قاله الضَّحَّاك . الرابع : لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها . الخامس : لأن أرواح الشهداء تنتهى إليها ، قاله الربيع بن أنس . السادس : لأنه تأوى إليها أرواح المؤمنين ، قاله قتادة . السابع : لأنه ينتهى إليها كل من كان على سُنَّة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه ، قاله على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، والربيع بن أَنَس أيضاً . الثامن : [هى شجرة على رءوس حَمَلة العَرْش[2]] إليها ينتهى علم الخلائق . التاسع : لأن من رُفع إليها فقد انتهى فى الكرامة » .

الماوردى : « فإن قيل : لمَ اختيرَتْ السِّدْرَة دون غيرها ؟ قيل لأن السدْرة تختص بثلاثة أوصاف : ظلٌّ مديد ، وطَعْمٌ لذيذ ، ورائحةٌ ذَكِيَّة ، فشابهت الإيمان الذى يجمع قولاً ونيَّةً وعملاً ، فظلُّها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه ، وطعمها بمنزلة النِّيَّة لكمونه أى استتاره ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره » .

الصحاح : « السِّدْر شجر النبق الواحدة سدْرة والجمع سِدْرَات أى بكسر فسكون وسِدِرَات بكسرتَيْن ، وسِدَرَات بكسر ففتح ، وسِدَر بكسر ففتح » ، وسيأتى فى شرح القصَّة الكلام على أصلها .

٣٤٠ ظ تنبيه : جاء فى النَّهْى / عن قطع السِّدْر أحاديث . فروى أبو داود والطبرانى والبيهقى والضياء فى صحيحه عن عبد الله بن حُبْشِىّ بضم المهملة ثم مُوَحَّدة ساكنة ، ثم معجمة

---

(١) فى تفسير القرطبى (جـ ١٧ ص ٩٥) : الأول : ما تقدم عن ابن مسعود أنه ينتهى إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتهـا .

(٢) إضافة من تفسير للقرطبى .

بعدها ياء ثقيلة ، ابن جُنَادة ، بضم الجيم وبالنون والدال المهملة ، السَّلُولى ، بفتح السين المهملة ولامَيْن ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ قطع سدْرَةً صَوَّب الله رأسه فى النار[1]» ، زاد الطبرانى يعنى من سِدْر الحَرَم . وقال أبو داود رحمه الله تعالى : يعنى من قَطَع السِّدْرَ فى فلاة يستظلّ بها ابن السبيل والبهائم عَبَثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها . وروى البيهقى عن أبى ثور أنه سأل الشافعى عن قطع السِّدْر فقال : لا بأس به . وقد رُوِىَ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اغسلها بماء وسِدْر» ، فيكون محمولاً على ما حمله عليه أبو داود . وقال البيهقى : وروينا عن عُرْوة أنه كان يقطعه وهو أحد رواة النهى ، فيشبه أن يكون النهى خاصاً كما قال أبو داود .

وقال الخَطَّابى : سُئل المُزَنى عن هذا فقال : وجهه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم سئل عَمَّن هجم على قطع سِدْرٍ لقوم أو يتيم أو لمن حَرَّم اللهُ تعالى أن يُقْطَع عليه ، فتحامل عليه فقطعه فاستحق ما قاله ، فتكون المسألة سبقت لسامع فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وجُعل نظيره حديث أسامه بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنما الربا فى النسيئة» ، فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وقد قال : «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بِمثْل يداً بيد» . واحتج المزنى بما احتج به الشافعى من إجازة النبى صلى الله عليه وسلم أن يُغْسَل الميت بالسدر ، ولو كان حراماً لم يَجُز الانتفاع به . قال : والورق من السِّدْر كالغُصْن . قال : وقد سَوَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حَرَّم قَطْعَه من شجر الحرم بين ورقه وغيره ، فلما لم يَمْنَع من ورق السِّدْر ، دَلَّ على جواز قطع السِّدْر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : «والأَوْلى عندى فى تأويل الحديث أنه محمول على سِدْر الحرم ، كما وقع فى رواية الطبرانى . قال ابن الأثير فى النهاية : «قيل أراد به سِدْرَ مكة لأنها حَرَم وقيل سِدر المدينة ، نهى عن قطعه ليكون أُنساً وظلاً لمن يهاجر إليها ، وقيل أراد السِّدْر الذى يكون فى الفلاة يستظلّ به أبناء السبيل والحيوان أو فى مِلْك إنسان ، فيتحامل عليه ظالم فيقطعه بغير حق ، ومع هذا فالحديث مضطرِب الرواية فإن أكثر ما يُرْوَى عن عروة بن الزبير ، وكان هو يقطع السدر ويتخذ منه أبواباً . قال هشام : وهذه أبواب من سدْرٍ قَطَعَهُ أبى ، وأهل العلم مُجْمعون على إباحة قطعه[2]» .

(١) الجامع الصغير (جـ ٢ ص ١٧٩) .

(٢) يقع هذا النص فى جـ٢ ص ١٥٤ من كتاب النهاية لابن الأثير طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

وروى أبو داود عن حَسَّان بن إبراهيم قال : «سألتُ هشام بن عروة عن قطع السِّدر ، وهو مُسْند ظهْره إلى قصر عروة ، قال : ترى هذه الأبواب والمصاريع إنما هى من سدْر قطعه أبى من أرضه .

التاسع عشر : فى الكلام على قوله تعالى : « عندها جَنَّة المأوى » : [قال] القرطبى : هذا تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة المنتهى ، وهى عن يمين العرش ، وقيل أوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أُخْرِج منها . وقيل : إن أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى ، وهى تحت العرش فيتنعمون [بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها[1]] . وقيل : لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها [والله أعلم] [1] :

اللباب : «جملة إبتدائية فى موضع الحال ، والأحسن أن يكون الحال الظرف ، وجنة المأوى فاعل به . والعامة أن جَنَّة إسم مرفوع / وقرأ أمير المؤمنين على ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وابن الزبير ، وأنس من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وزِرّ بن حُبَيْش ، ومحمد ابن كعب من التابعين : جَنَّهُ فعْلاً ماضياً ، والهاء ضمير المفعول يعود للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمأوى فاعل بمعنى سَتَرَهُ إيواءُ الله إياه . ويقال ضَمَّه البيت والليل ، وقيل جَنَّهُ بظلامه ودخل فيه » .

٣٤١ و

قال الإمام الرازى : «ويحتمل أن يكون الضمير فى «عندها» على هذه القراءة عائداً إلى النَّزْلَة ، أى عند النَّزْلَة جَنَّ محمداً المأوى ، أى سَتَرَهُ ، والصحيح أنه عائد إلى ، السِّدْرَة » .

اللباب : «وهذا قول الجمهور ، وقد أنكرت عائشة رضى الله تعالى عنها هذه القراءة ، وتَبِعَها جماعة وقالوا : «أجَنَّ الله من قرأها» . فإذا ثبتت قراءة عن مثل هؤلاء فلا سبيل إلى ردها . ولكن المستعمل إنما هو «أَجَنَّه» رباعياً ، فإن استُعْمل ثلاثياً تَعَدَّى «بعلى» ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيْل)[2] . وقال أبو البقاء : هو شاذّ والمستَعْمَل : أَجَنَّهُ » .

العشرون : فى الكلام على قوله تعالى : (إذ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى[3]) :

---

(١) إضافة من تفسير القرطبى (جـ ١٧ ص ٩٦) .

(٢) من الآية ٧٦ من سورة الأنعام .

(٣) سورة النجم آية ١٦ .

ابن القَيِّم : « لما ذكر سبحانه رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى ، استطرد منها وذكر أن جَنَّة المأوى عندها وأنه يغشاها من أمْرِه وخَلْقه ما يغشى ، وهذا من أحسن الاستطراد ، وهو أسلوب لطيف جداً فى القرآن » .

اللباب : « إذ » منصوب يراه » .

الإمام : « العامل فى « إذ » ما قبلها أو ما بعدها ، فيه وجهان . فإن قلنا ما قبلها ففيه احتمالان : أظهرهما رآه أى رأى وقت ما يَغْشَى السِّدْرَة الذى يَغْشَى . والاحتمال الثانى العامل فيه الفعل الذى فى النزلة أى رآه نزلة أخرى ، تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يَغْشَى ، أى نزوله لم يكن إلا بعد ما ظهرت العجائب عند السِّدْرة وغَشِيَها ما غَشيها ، فحينئذ نزل محمد نَزْلَةً ، إشارة إلى أنه لم يرجع من غير فائدة . وإن قلنا العامل فيه ما بعدها فالعامل : ما زاغ البصر ، أى ما زاغ بَصَرُه وقت غشيان السدرة ما غشيها .

واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فَرَاشٌ أو جرادٌ من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضَّحَّاك . قال القرطبي : ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «رأيتُ السِّدْرَة يغشاها فَرَاشٌ من ذهب ورأيتُ على كل ورقة ملكاً يُسَبِّح الله تعالى » .

قلتُ وقال الإمام : «إن هذا ضعيف ، لأن ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعى ، فإن صَحَّ فيه خَبَر وإلا فلا وجه له ، قصور شديد[1] ، فإن الحديث فى صحيح مسلم[2] وغيره . ومثْلُه لا يقال [فيه] بالرأى . وقيل : ملائكة يَغْشَوْنها كأنهم طيور يرتقون إليها مُتَشوِّقين مُتَبَرِّكين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة ، وقيل يغشاها أنوار الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى السِّدْرَة تجلى لها ربه تبارك وتعالى كما تجلى للجبل ، فظهرت الأنوار ، ولكن السِّدْرَة كانت أقوى من الجبل وأثبت ، فجُعل الجَبَلُ دَكًّا ، ولم تتحرك الشجرة وخَرَّ موسى صعقاً ، ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم » .

قلتُ : ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فقد ورد أن كلاً منها يغشاها كما سيأتى ذلك

---

(١) لم نهتد لوجه الصواب فى عبارة : « قصور شديد » التى وردت فى الأصول .

(٢) أخرج مسلم عدة أحاديث فى هذا الصدد مستدة إلى أبي هريرة وابن عباس وأبى ذر ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى (جـ ٣ ص ٤ وما بعدها) .

فى القصة . وقيل أبهمه تعظيماً له كأنه قال : إذ يَغْشَى السدرَة ما الله أعلم به من دلائل ملكوته وعجائب قدرته .

الإمام : «يغشى يستر ، ومنه الغواشي أو من معنى الإتيان ، يقال فلان يَغْشَانا كل وقت أى يأتينا ، الوجهان محتملان» .

٣٤١ظ الحادى والعشرون : فى الكلام /على قوله تعالى : «ما زاغ البَصَر» :

الصحاح : « الزَّيْغ المَيْل ، وقد زاغ يَزِيغ وزاغ البَصَر أى مال » .

ابن القَيِّم : «قال ابن عباس : «ما زاغ البَصَر يميناً ولا شِمالا ، ولا جاوز ما أُمِرَ به» . وعلى هذا المُفَسِّرون ، فَنَفَى تعالى عن نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم ما يَعْرِض للرائى الذى لا أدب له بين أيدى الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً لما بين يديه ، وأخبر عنه بكمال الأدب فى ذلك المقام ، وفى تلك الحضرة ، إذ لم يلتفت جانباً ، ولم يَمُدّ بَصَرَه إلى غير ما أُرِىَ من الآيات وما هناك من العجائب ، بل قام مقام العَبْد الذى أوجب أَدَبُه إطراقَه وإقبالَه على ما أُرِيد [له] دون التفاته إلى غيره، ودون تطلعه إلى ما لم يَرَه ، مع ما فى ذلك من ثبات الجأْش وسكون القلب وطمأْنينته . وهذا غاية الكمال . فزَيْغ البَصَر التفاتُه جانباً ، وطغيانُه مَدُّهُ أمامه إلى حيث ينتهى . فَنَزَّهَ فى هذه السورة عَمَلَه عن الضَّلال وقَصْدَه عن الغَيّ ونُطْقَه عن الهوى وفؤادَه عن تكذيب بَصَرِه ، وبصره عن الزيغ والطغيان . وهكذا يكون المدح :

تلْكَ المَكَارِمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيبَا بماء فعادا بَعْدُ أَبْوَالا[1]

---

(١) هذا البيت من قصيدة نسبها ابن إسحق لأبى الصلت والدأمية بن أبى الصلت ونسبها ابن هشام للأخير (سيرة ابن هشام الطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م جـ ١ ص ٦٨ : ٧٠) ونسبها أبو الفرج للنابغة الجعدى (الأغانى جـ ٥ ص ١٤ : ١٦ دار الكتب سنة ١٩٣٢ م) ولكنه عاد إلى نسبتها إلى أمية بن أبى الصلت فى جـ ١٧ ص ٣١٢ : ٣١٣ القاهرة سنة ١٩٧٠ م ونسب القصيدة لأبى الصلت كل من ابن عبد ربه فى العقد الفريد (جـ ٢ ص ٢٣ : ٢٤ طبعة لجنة التأليف بالقاهرة سنة ١٩٤٠ م) والطبرى فى تاريخه (جـ ٢ ص ١٢٠ طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٢٨١ : ٢٨٢ طبعة دى غوى بليدن سنة ١٩٠٤) وياقوت فى معجم البلدان مادة غمدان (جـ ٣ ص ٣٠٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦ م) والقعبان مثنى قعب والقعب قدح يحلب فيه ، وشيبا مزجا

اللباب تبعاً للإمام الرازى : « اللام فى البَصَر تَحْتَمِل وَجْهَيْن : أحدهما : المعروف وهو بَصَر محمد صلى الله عليه وسلم ، أى ما زاغ بَصَر محمد ، وعلى هذا فعدم الزَّيْغ لوجوه : إن قلنا الغاشى للسِّدْرَة هو الجراد أو الفَرَاش ، فمعناه لم يلتفت محمد إليه ولم يَشْتَغِل به ، ولم يقطع نظره عن مقصوده . وعلى هذا فَغَشَيَان الجراد والفَرَاش يكون ابتلاء وامتحاناً للنبى صلى الله عليه وسلم . وإن قلنا أنوارَ الله تعالى ففيه وجهان : أحدهما : لم يلتفت يُمْنَةً ويُسْرَة ، بل اشتغل بمطالعتها ، وثانيهما : ما زاغ البصر بضعفه[1] ، فنى الأول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الثانى بيان قوته . الوجه الثانى فى اللام : أنها لتعريف الجنس ، أى ما زاغ بَصَرُه أصلاً فى ذلك الموضع لِعِظَم الهيبة . فإن قيل : لو كان كذلك لقال : ما زاغ بَصَرٌ ، فإنه أدَلّ على العموم لأن النَّكِرَة فى مَعْرِض النَّفْى تَعُمّ . فالجواب هو كقوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ[2]) ولم يَقُل لم يدركه بَصَر .

الثانى والعشرون : فى الكلام على قوله تعالى : « وما طغى » :

اللباب تبعاً للإمام الرازى : « فيه وجهان : أحدهما : أنه عطف جملة مستقلة على جملة أخرى . الثانى : أنه عطف جملة تقديره مُقَدَّرَةً على جملة . فمثال المستقلة : خرج زيد ودخل عمرو ، ومثال المُقَدَّرة : خرج زيد ودخل ، الوجهان جائزان هنا . أما الأول فكأنه تعالى قال عند ظهور النور : ما زاغ بَصَرُ مُحَمَّد وما طغى محمد بسبب الالتفات ، ولو التفت لكان طاغياً . وأما الثانى فظاهر . فإن قيل بأن الغاشى للسِّدْرَة جراد ، فالمعنى لم يلتفت إليه وما طغى ، أى ما التفت إلى غير الله تعالى ، ولم يلتفت إلى الجراد ولا إلى غير الجراد ، بل إلى الله سبحانه وتعالى . أما على قول من قال غَشِيها نور ، فقوله تعالى : « ما زاغ » أى ما مال عن الأنوار وما طغى ، أى ما طلب شيئاً وراءه . وفيه لطيفة وهى أن الله تعالى قال : ما زاغ وما طغى ولم يَقُل ما مال وما جاوز ، لأن الميل فى ذلك الموضع والتجاوز مذمومان ، فاستعمل الزَّيْغ والطغيان فيه . وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون ذلك بياناً لوصول النبى صلى الله عليه وسلم إلى شدة اليقين الذى لا يقين فوقه ، ووجه ذلك أن بصره صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى بسبب ضعفه .

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

٣٤٢ و ما زاغ أى ما مال عن الطريق ، فلم يَرَ الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلاً ، ثم ينظر إلى شيء أبيض فإنه يراه أصفر وأخضر ، يزيغ بَصَرُه عن جادَّة الإبصار . وقوله : « وما طغى » أى ما تَخَيَّل المعدوم موجوداً ، وقيل : « وما طغى » أى ما تَخَيَّل المعدوم موجوداً وقيل : « وما طغى » أى ما جاوز ما أُمِر به » .

الثالث والعشرون: فى الكلام على قوله تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى[1]) .

اللباب « فى الكبرى وجهان ؛ أظهرهما أنه مفعول رأى من آيات ربه حال مَقْدَمِه ، والتقدير : لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه . والثانى أن « من آيات ربه » هو مفعول الرؤية ، والكبرى صفة لآيات ربه . وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة ، وحسنه هنا كونها فاصلة » .

الإمام الرازى : « فى الكبرى وجهان : أحدهما : أنها صفة لمحذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه . ثانيهما : صفة لآيات ربه ، فيكون مفعول رأى محذوفاً تقديره : رأى من آيات ربه الكبرى آيةً أو شيئاً .

القرطبي : « ويجوز أن تكون « من » زائدة، أى رأى آيات ربه الكبرى . وقال بعضهم[2] : آيات ربه الكبرى هى أنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته » .

قال الإمام : « والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل وإن كان عظيماً لكن ورد فى الأخبار أن لله ملائكة أعظم منه . والكبرى تأنيث الأكبر ، فكأنه تعالى قال : رأى من آيات ربه آيات هى أكبر الآيات . وروى الإمام أحمد والترمذى وصَحَّحه ، عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : « رأى جبريلَ فى حُلَّة من رَفْرَف قد ملأ ما بين السماء والأرض » .

---

(١) سورة النجم آية ١٨ .

(٢) قائل هذا عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان نقلا عن تفسير القرطبى (جـ ١٧ ص ٩٩) .

قال الحافظ : « وبهذه الرواية يُعْرَف المراد بالرفرف وأنه حُلَّة ، ويُؤيِّده قَوْلُه تعالى : (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ)[1]. وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حَسَن الصفة ، ثم اشتهر استعماله فى الستر ، وكل ما فضل من شيء وعُطِف وثُنِّي فهو رفرف » .

القرطبي : « هو ما رأى تلك الليلة فى مسراه فى عوده وبدئه وهذا أحسن » .

قال الإمام : « وهذه الآية تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَرَ الله تعالى ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله تعالى وفيه خلاف ، ووجه الدلالة أنه تعالى ختم قصة المعراج ها هنا برؤية الآيات وقال سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) إلى أن قال (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن، فكانت الآية للرؤية، وكان أكبر شيء هو الرؤية » .

ابن كثير : « وبهاتَيْن الآيتين استدل من ذهب من أهل السُّنَّة إلى أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَىَ) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس » .

خاتمة : اشتملت هذه الآيات على قَسَمِه تعالى على هداية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا ، وأنه وَحْيٌ يُوحَى ، يُوصِّله إليه جبريل الشديد القوى عن الله تبارك وتعالى العَلِيّ الأعلى ، واحتوت أيضاً على تزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمته من الارتياب فى هذا المَسْرَى ، ثم أخبر تعالى فيها عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سِدْرة المنتهى ، وتصديق بصره فيما رُوىَ أنه رأى من آيات ربه الكبرى .

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٦

الباب الثالث

فى اختلاف العلماء

فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المِعْراج /

٣٤٢ ظ

اعلم أن الصواب الذى عليه أهل الحق [أن][1] رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً ، وأجمعوا أيضاً على وقوعها فى الآخرة ، وأن المؤمنين يَرَوْن الله تعالى . وزعمت طوائف من أهل البدع أن الله تعالى لا يراه أَحَدٌ من خَلْقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً . وهذا الذى قالوه خطأٌ صريح وجهل قبيح .

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سَلَف الأُمَّة على إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة للمؤمنين . ورواها أحد وعشرون صحابياً عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وآيات القرآن العظيم فيها مشهورة ، واعتراضات المبتدعة عليها ، لها أجوبة مذكورة فى كتب المتكلمين من أهل السُّنَّة .

وأما رؤية الله تعالى فى الدنيا فممكنة عقلاً وسَمْعاً ، ومذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خَلْقه ، ولا يُشْتَرَط فيها اتصال الأَشِعَّة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك . ولكن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط .

وقد قَرَّر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجَلِيَّة ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة الله – تَنَزَّه تعالى عن ذلك – بل يراه المؤمنون لا فى جهة ، كما يعلمون أنه لا فى جهة . وبيان الدليل العقلى على جوازها بطريق الاختصار أن البارى سبحانه وتعالى موجود ، وكل

---

(١) إضافة يقتضيها السياق

موجود يَصِحُّ أن يُرَى ، فالبارى عَزّ وجَلّ يَصِحّ أن يُرَى . أما [المقدمة[١]] الصغرى فظاهرة ، وأما [المقدمة][١] الكبرى ، فلأن الحكم يدور مع عِلَّته [وجوداً وعدماً][١] . وقد تَبَيَّن أن الموجود هو العِلَّة لصحة الرؤية ، ولا يلزم من جوازها وقوعُها وعَدَمُ تَعَلُّقِها ، إنما هو لِجَرْى عادته تعالى بعَدَم خَلْقِها فينا الآن ، مع جواز خَلْقِها فينا ، إذ هى غير مستحيلة . وهنا أبحاث مَحَلُّها الكتب الكلامية .

وبيان الدليل الشَّرعى على جوازها فى الدنيا أن موسى بن عمران ، رسول الله وكليمه ، العارف به سأَل الله سبحانه وتعالى الرؤية ، فقال :(رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ[٢]) مع اعتقاده أنه تعالى يُرَى ، فسأَلها . وفى هذه الآية دليلان . الأَول: مُحَال أَن يجهل نَبِىٌّ ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأَل إلا جائزاً غَيْرَ مُحَال ، لاستحالة سؤال المُحَال من الأَنبياء ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، ومن أَعلمه إياه وأَطلعه عليه ، فقال له تعالى غَيْرُ نافٍ للجواز : « لن ترانى » ، دون لن أُرَى المُؤْذنة بنفيه أى لن تُطيق ولا تَحْتَمل رؤيتى الآن لتَوَقُّفها على مُعَدٍّ لها فى الرائى لم يوجد فيك بعد . ومَثَّل له مثالاً بما هو أقوى من نَبِيِّه موسى صلى الله عليه وسلم وأَثْبَت ، وهو الجَبَل فى قوله : (وَلَكِن انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى[٣]) .

وهذا هو الدليل الثانى : وبيانه أنه تعالى عَلَّق رؤية موسى إياه تعالى باستمرار جبل المناجاة فى مكانه وقت التجلى له ، والشيء المُعَلَّق بالممكن ممكن ، إذ معنى التعليق الإخبار بثبوت المُعَلَّق عند ثبوت المُعَلَّق به . وعلى هذا فالشرطية خبرية إذا كان الجزاء فى الأَصل خبريًّا كما ههنا . فثَبَت إمكان الرؤية ضرورة أن الله تعالى أخبر بوقوعها على بعض التقادير ، والمُحَال لا يقع على شيء من التقادير أصلاً ، وإذا ثَبَتَ الإمكان انتفى الامتناع وبالعكس وهنا أبحاث محلها الكتب الكلامية . وقول موسى صلى الله عليه وسلم : « تُبْتُ إليك[٤] » ، أى من الإقدام على سؤالى إياك فى الدنيا ما لم تُقَدِّرْه لى . وقيل : إن قوله (تُبْتُ إليك[٤])

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣

(٣) تكلة الآية القرآنية السابقة .

(٤) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

إنما كان لمـا غَشيَه من شدَّة ما أفْضَى به إلى أن صُعِق ، كما تقول من فعل جائرٍ عَرَاكَ منه مَشَقَّة : تُبتُ / عن فعل مثله . ٣٤٣ و

وقال القاضى أبو بكر الهُذَلى ، فى قوله تعالى : (لَنْ تَرَانى)[1] أى ليس لبَشَرٍ أن يُطيق النَّظَر إلَىَّ فى الدنيا وأن من نظر إلَىَّ فى الدنيا مات ، أى فى الحال ، بشهادة صَعْق موسى إذ رأى الجَبَل » وقال القاضى : « وقد رأيتُ لبعض السلف والمتأخرين أن رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة ، لا من حيث ذاتها ، لثبوت جوازها فيها بما مَرَّ ، وإنما امتنعت فيها لضعف تراكيب أهل الدنيا وقواهم ، وكونها مُتَغَيِّرة عُرْضة للآفات من نوائب مقلقلة ونواكب للأكباد معلقة تنذر بالموت والفَنَاء ، فلم تكن لهم قوة على الرؤية فى الدنيا . فإذا كان فى الآخرة ورُكِّبُوا تركيباً آخر ورُزِقوا قُوًى ثابتة باقية وأُتِمَّت أنوار أبصارهم وقلوبهم حَصَل بذلك قُوَّةٌ على الرؤية فى الآخرة » .

وقد رأيت نحو هذا للإمام مالك بن أنس رحمه الله قال : « لم يُرَ فى الدنيا لأنه باقٍ ولا يُرَى الباقى بالفانى . فإذا كان فى الآخرة ورُزِقوا أبصاراً باقية رُؤِىَ الباقى بالباقى » وهذا الذى قاله الإمام مالك كلام حسن مليح ، وليس فيه دلالة على الاستحالة إلا من حيث ضعف القُدْرَة ، فإذا قَوَّى اللهُ تعالى مَنْ شاء أقدره على حَمْل أعباء الرؤية فى حقه فى أى وقت كان .

قال الحافظ : « ووقع فى صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة فى حديث مرفوع فيه : « واعلموا أنكم لن تَرَوْا ربَّكم حَتَّى تموتوا » . وأخرجه ابن خُزَيْمَة – بخاء معجمة مضمومة فزاى مفتوحة – من حديث أبى أُمَامة ، ومن حديث عُبَادة بن الصامت . فإذا جازت الرؤية فى الدنيا عقلاً ، فقد امتنعت سمعاً . لكن من أثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم له أن يقول إن المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه » .

قال القاضى : « ولا حُجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى : (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ[2]) لاختلاف التأويلات فى الآية ، فقد قيل : المراد بالإدراك الإحاطة ، فلا نَفْىَ فيها لمطلق

---

(١) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

الرؤية ، وقيل : لا تدركه أبصار الكُفَّار ، وقيل غير ذلك . والجواب الصحيح أنه لا دلالة فى هذا النفى على عموم الأوقات ولا حال من الأحوال لانه مَسْكُوتٌ عنه . فمن أين أن المراد لا تدركه الأبصار فى وقت من الأوقات ولا حال من الأحوال ؟ بل يَتَعَيَّن الحمل على النفى بالنسبة إلى دار الدنيا جمعاً بين الأدلة السمعية » .

قال أبو العباس [أحمد بن عمر[1]] القرطبى فى المُفْهِم [فى شرح صحيح مسلم][2] : « الأبصار » جَمْع مُحَلًّى بالألف واللام ، فيقبل التخصيص ، وقد ثَبَت ذلك سَمْعاً فى قوله تعالى : (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهم يَوْمَئذ لَمَحجُوبُون[3]) فيكون المراد الكُفَّار ، بدليل قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئذٍ نَاضرَةٌ ، إِلَى ربِّها نَاظرةٌ[4]) قال : فإذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى الرائى » . انتهى .

قال الحافظ : « وهو استدلال جيد » .

وقد يُسْتَدَلّ بهذه الآية على جواز إمكان الرؤية ، إذ لو امتنعت الرؤية لما حصل التَّمَدُّح فى الآية بنفى الرؤية ، ووجه المُلازَمة أن الممتنع مُنْتَفٍ فى حد ذاته ، فلا يكون نَفْيُه صفة مدح ، لأنه ضرورى كالمعدوم الممتنع الرؤية ، لا يُمْدَح بعدم رؤيته ، إذ لا يكون : « المعدوم لا يُرَى » تمدحاً ، لامتناع رؤية المعدوم . وقد ثبت التمدح بنفى عدم رؤيته تعالى فتكون رؤيته ممكنة ، والحاصل أن التمدح بنفى عدم الرؤية إنما يكون فى إمكان رؤيته تعالى لكنه لا يُرَى للامتناع وتعذر الإبصار والتحجب بحجاب الكبرياء والجلال لا فى أنه لا يُرَى لامتناع رؤيته تعالى . لكن الصفات السلبية على هذا ، صفات تَمَدُّح ، وإن جعلنا الإدراك فى الآية عبارة عن الرؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئى وحدوده . فدلالة الآية حينئذ على جواز الرؤية بل على تحققها بالوقوع ، أظهر من دلالتها على الجواز بما ذُكِر من التَّمَدُّح . إذ المعنى على هذا لا تدركه الأبصار ، إذا نظرتَ إليه على وجه الإحاطة ، لأنه

---

(١) بياض بالأصول والتكلة من الديباج المذهب لابن فرحون (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ص ٣١٧)

(٢) تكلة عنوان الكتاب الذى رجع إليه المؤلف . نقلا عن الديباج وقد ذكر ابن فرحون أن القرطبى المفسر سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى مؤلف المفهم فى شرح صحيح مسلم بعض هذا الشرح .

(٣) سورة المطففين آية ١٥ .

(٤) سورة القيامة آية ٢٢ و ٢٣ .

٣٤٣ ظ تبارك وتعالى ، مع كونه مرئياً بالأبصار / لا تدركه الأبصار على وجه الإحاطة ، لتعاليه قطعاً عن التناهي وعن الاتصاف بالحدود التي هي النهايات والجوانب على ما تَبَيَّن في كتب الكلام .

والإحاطة بما لا يتناهى مُحال . ولهذا مزيد بيان يأتي في الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها : ومع القول بجوازها في الدنيا ، لم يحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، على ما في ذلك من الخلاف ، ومن ادّعاها غيره فهو ضالّ . كما جزم بكفره الإمام موفق الدين الكواشي - بالفتح والتخفيف وبالمعجمة - والإمام المهدوي في تفسيرهما ، والإمام جمال الدين الأَرْدُبيلي - بالفتح وسكون الراء وضم الدال المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية - في الأنوار ، إذ قد سألها نبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران ، ولم تحصل له ، أفتحصل لآحاد الناس ؟ هذا مما يُتوَقفُ فيه .

فصل : وإذا عُلِم ما تقرر في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج مذهبان : فنفتها عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وجاء مثله عن أبي هريرة ، وإليه ذهب كثيرون من المُحَدِّثين والمتكلمين . وبالغ الحافظ عثمان عن سعيد الدارمي ، فنقل فيه الإجماع ، والثاني أنه رآه . وروى عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الحسن أنه كان يحلف بالله أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه . وروى ابن خُزَيْمَة عن عروة بن الزبير إثباتها ، وكان يشتد عليه إنكار عائشة لها . وبه قال سائر أصحاب ابن عباس ، وبه جزم كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون . وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري وغالب أتباعه . وجنح ابن خُزَيْمَة إلى ترجيحه بما يطول ذِكْرُه . ثم اختلفوا : هل رآه بعينه أو بقلبه ؟ والقَوْلان رُويا عن الإمام أحمد . وقال الإمام النووي : الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رَبَّه بِعَيْنَيْ رأسه ليلة المعراج ، وبسط الكلام على ذلك واستدل بأشياء نوزع في بعضها كما سيأتي بيانه في ذكر أدلة المذهب الأول .

وذهب جماعة إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا إثبات لتعارض الأدلة ، ورَجَّح ذلك الإمام أبو العباس القرطبي في المُفْهِم ، وعَزَاه لجماعة من المحققين ، وقَوَّاه بأنه ليس في الباب دليل قاطع . وغالب ما استدلت به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة

التأويل . قال : وليست المسألة من التعظيمات فيُكْتَفَى فيها بالدلالة الظّنّية ، فإنما هى من المعتقدات فلا يُكْتَفَى فيها إلا بالدليل القطعى .

وقال السبكى[1] رحمه الله فى السيف المسلول : « ليس من شرطه أن يكون قاطعاً متواتراً بل متى كان حديثاً صحيحاً ولو ظاهراً وهو من رواية الآحاد ، جاز أن يُعْتَمدَ عليه فى ذلك لأن ذلك من مسائل الاعتقاد التى يُشْتَرَط فيها القَطْع ، على أنّا لسنا مُكَلَّفين بذلك » . انتهى.

وقال القاضى فى الشفاء وغيره : « لا مِرْيَةَ فى الجواز ، إذ ليس فى الآيات : (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ[2]) ، (لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي[3]) نَصّ فى المنع للرؤية ، بل هى مشيرة للجواز كما تَقَرَّر ذلك . وأما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والقول / بأنه رآه بعينه ، فليس فيه قاطع أيضاً ولا نَصّ يُعَوَّل عليه ، إذ المُعَوَّل عليه فيه على آيتَىْ النَّجْم : (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى[4]) و (مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى[5]) . والتنازع بين الأئمة فيهما مأثور ، والاحتمال لهما من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها ممكن ، لعدم صراحتهما بها ، ولا أثر قاطع متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وحديث ابن عباس[6] أنه رآه بعينه أو بفؤاده إنما نشأ عن اعتقادٍ لم يُسْنِدْهُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يُعْتَبَر فيجب العمل باعتقاد مُضَمَّنِه من رؤيته رَبَّه . ومِثْلُه حديث شريك عن أبى ذر[7] فى تفسير الآية بأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رَبَّه ، وحديث مُعَاذ : « رَأَيْتُ رَبِّى فى أَحْسَن صورة » ، مضطرب الإسناد والمتن . وحديث أبى

٣٤٤ و

---

(١) يقصد المؤلف هنا تقى الدين أبا الحسن على بن عبد الكافى السبكى (٦٨٣ – ٧٥٦ هـ) وكتابه الذى يشير إليه المؤلف هو السيف المسلول على من سب الرسول . وقد ترجم له ولده تاج الدين عبد الوهاب السبكى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ) ترجمة مستفيضة فى كتابه : طبقات الشافعية الكبرى (طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ج ٦ ص ١٤٦ : ٢٢٧) وذكر فى ص ٢١٤ أن كتاب السيف المسلول من بين مصنفات والده .

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام

(٣) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٤) سورة النجم آية ١١

(٥) سورة النجم آية ١٧

(٦) فى رواية مسلم عن ابن عباس : رآه بفؤاده مرتين (صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ٧) وفى رواية الترمذى عن ابن عباس : وقد رأى ربه تعالى مرتين (تيسير الوصول ج ١ ص ١٦٦) .

(٧) أخرج مسلم حديثين ينتهى إسنادهما إلى عبد الله بن شقيق عن أبى ذر جاء فى أولهما : نور أنى أراه وفى الثانى قال : رأيت نوراً (صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ١٢) .

ذَرّ مُخْتَلِفٌ من حيث اللفظ مُحْتَمِلٌ لأَن يكون رآه أَو لم يَرَه ، مُشْكِلٌ من حيث جَعَل ذاته نوراً ، فرُوِىَ : «نورٌ أَنَّى أَرَاه» ـ بفتح أَوله وتشديد النون ـ أَى نوراً لن أَراه ، أَىلِجَرْى العادة بأَن النور إذا غشى البَصَر حجبه فى رؤيته لما وراءه ، ورُوِى : «نورانِىّ ؛ أَي بكسر النون الثانية وتشديد التحتية» .

قال القاضى : «وهذه الرواية لم تقع لنا ، ولا رأَيتُها فى أَصل من الأُصول ، ومُحَالٌ أَن تكون ذاته تعالى نوراً ، إذ النور جسم يتعالى الله عَزَّ وَجَلّ عنه ، ومن ثَمَّ كانت تسميته نوراً بمعنى ذى النور أَو خالقه . وفى حديثه الآخر : سأَلتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأَيتَ ربك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَأَيْتُ نُورًا» . وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما لإفصاحهما بأَنه لم يَرَه ، فإن كان الصحيح «رأَيتُ نوراً» ، فقد أَخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأَنه لم يَرَ الله تعالى ، وإنما رأَى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى . وإلى قوله : « رأَيتُ نوراً » يرجع قوله : « نور أَنَّى أَراه» ، أَى كيف أَراه مع كون حجابه النور المُغَشِّى للبصر ، وهذا الحديث مثل الحديث الآخر من حيث المعنى : حجابُه النور ، كما رواه مسلم وغيره . وقال أَيضاً فى الإكمال : وقف بعض مشايخنا فى هذا . وقال : ليس هذا عليه دليل واضح ، ولكنه جائز ، ورؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة .

ذكر أَدلة القول الأَول

زاد الشيخان وعبد الرَّزَّاق وعَبْد بن حُمَيْد والترمذى وابن جرير وغيرهم عن مسروق ، زاد عبد الرَّزَّاق ومن بعده عنه ، قال : لَقِى ابن عباس كعباً بعرفة فسأَله عن شىء فقال ابن عباس : إنَّا بنو هاشم نَزْعُم ، وفى لفظ نقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم رأَى رَبَّه مَرَّتَيْن . فكَبَّر كعب حتى جاوبته الجبال . ثم قال : «إن الله قَسَّم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام [فكَلَّم موسى[1] مرتين] ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين» . ثم اتفقوا . قال مسروق : فدخلتُ على عائشة[2] فقلت يا أُمَّتَاه ، هل رأَى محمد رَبَّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شَعْرى بما قُلْتَ ، أَيْنَ أَنت من ثلاث من حَدَّثَكَهُنّ فقد كَذَب ، وفى لفظ :

---

(١) تكملة الحديث من تيسير الوصول (جـ ١ ص ١٦٦) .

(٢) روايات حديث مسروق عن السيدة عائشة أخرجها مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ٣ ص ٨ : ١١) .

فقد أَعْظَمَ على الله الفِرْيَة ، مَنْ حَدَّثك أن محمدًا رأى رَبَّه فقد كَذَب وفى لفظ فقد أعظم على الله الفِرْيَة ، ثم قَرَأَتْ (لا تُدْرِكُه الأَبْصارُ وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير[1]) ، (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَه اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب)[2] ، وَمَنْ حَدَّثك أنه يعلم ما فى غَدٍ فقد كَذَب ، وفى لفظ : فقد أَعْظَمَ على الله الفِرْيَة ، ثم قرأت : (وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِب غداً[3]) ومن حَدَّثك أنه قد كتم فقد كَذَب ، وفى لفظ فقد أَعْظَمَ على الله الفِرْيَة ، ثم قرأت : (يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لم تَفْعَل فما بَلَّغْتَ رسالته[4]) ولكنه رأى جبريل فى صورته مَرَّتَيْن .. زاد الإمام أحمد ومسلم قال مسروق : وكنتُ متكئاً فجلستُ فقلت : أَلم يَقُلْ اللهُ تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى[5]) . إن أول هذه الأُمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقلت : يارسول الله هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « لا ، إنما رأيتُ جبريل مُنْهَبِطاً » .

وروى الإمام أحمد عن طريق هَمَّام ، ومسلم عن طريق مُعَاذ بن هشام عن أبيه ، ومن طريق يزيد بن إبراهيم ، ثلاثتهم عن قَتَادة عن عبد الله بن شقيق ، قال : قلتُ لأبى ذر : لو رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لسأَلتُه ، فقال : عن أى شىء كنتَ تسأله ، قال : كنتُ أسأله : هل رأى ربه تبارك وتعالى . قال : إنى قد سأَلتُه قلت : يارسول الله : هل رأيت ربك ؟ فقال : « نُورٌ أَنَّى أَراهُ » وفى رواية : رأيت نوراً[6] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال جماعة : لم تَنْفِ عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ، ولو كان معها لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية وما قالوه غفلة عن قولها : إنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « لا إنما رأيتُ جبريل منهبطاً » .

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣
(٢) سورة الشورى آية ٥١
(٣) سورة لقمان آية ٣٤
(٤) سورة المائدة آية ٦٧
(٥) سورة النجم آية ١٣
(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٢

الثانى : أن من قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم خاطبها على قَدْر عقلها ، ومن حاول تخطئتها فيما ذَهَبَتْ إليه فهو مخطئ قليل الأدب .

الثالث : قول ابن الجوزى : «إن أبا ذَرّ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء ، فأجابه بما أجابه به ، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات ، ضعيف جداً ، فإن عائشة رضى الله عنها سألته بعد الإسراء ولم تثبت لها الرؤية» .

الرابع: احتجاج عائشة بالآية خالفها فيه ابن عباس ، فروى الترمذى وحَسَّنه من طريق الحَكَم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : محمد رأى ربه . قلت : أليس الله تعالى يقول : «لا تدركه الأبصار» ؟ قال : «وَيْحَكَ ، ذلك نوره إذا تَجَلَّى بنوره الذى هو نوره ، وقد رأى رَبَّه مَرَّتَيْن[1]» . والحاصل أن المراد بالآية الإحاطة به عند رؤيته ، لا نَفْى أصل رؤيته . وقال النووى : المراد بالإدراك الإحاطة ، والله تعالى لا يُحَاط به ، وإذا ورد النص بنفى الإحاطة لا يلزم منه نَفْى الرؤية بغير إحاطة ، وأما احتجاجها بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَه اللهُ إِلَّا وَحْياً[2]) فالجواب عنه من أوجه : أحدها: أنه لايلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام ، الثانى : أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة ، الثالث : ما قال بعض العلماء إن المراد بالوحى هنا الكلام من غير واسطة ، وأن القول وإن كان مُحْتَمَلًا لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الإلهام والرؤيا فى المنام وكلاهما يسمى وَحياً . وأما قوله تعالى (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ[2]) . فقال الواحدى وغيره بمعناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامَه تعالى من حيث لا يَرَوْنَه، وليس المراد أن / يكون هناك حجاب يفصل موْضِعاً عن موضع ، ويدل على تحديد المحجوب ، فهو بمنزلة ما يُسْمَع من وراء حجاب حيث لم يُرَ المُتَكَلِّم . ٣٤٥ و

الخامس : قول كعب: «وكَلَّمه موسى مرتين» ، فيه نظر . والحق أنه كَلَّمه أكثر منهما ، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى[3]) ، وقوله عز وجل :

---

(١) أخرجه الترمذى عن ابن عباس (تيسير الوصول جـ ١ ص ١٦٦) .

(٢) سورة الشورى آية ٥١

(٣) سورة طه آية ١٧

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى[1]) . وقوله تبارك وتعالى : (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ[2]) وقوله تَقَدَّس اسمُه : (فخُذْهَا بِقُوَّة[3]) وقوله تعالى : (اذْهَبَا إِلَىَ فِرْعَوْن[4]) ، وقوله عز وجل : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وِلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى إِذْ تَمْشِى أُخْتُكَ[5]) ، إلى غير ذلك من الآيات .

السادس : فى غريب ما سبق «يا أمتاه» : أصله يا أَمَهْ والهاء للسَّكْت فأُضيفت إليها ألف الاستغاثة فأُبْدِلت تاء ، ثم زيدت هاء السَّكْت بعد الألف . ووقع فى كلام الخَطَّابى إذا نادوا قالوا يا أَمَهْ عند السَّكْت وعند الوصل «يا أمتا» . فإذا تَفَجَّعُوا للنُّدْبَة قالوا : «يا أَمَتاه» والهاء للسكت . وتَعَقَّبه الكرمانى بأن قول مسروق : «يا أَمَتَاه» ليس للنُّدْبَة ، إذ ليس هو تَفَجُّعاً عليها . قال الحافظ : وهو كما قال . قَفَّ شَعْرِى : قام من الفَزَع لِمَا حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيه واستحالة وقوع ذلك . قال النَّضْر - بالنون والضاد المعجمة - ابن شُمَيْل - بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وباللام : القَفّ - بفتح القاف وتشديد الفاء - كالقشعريرة ، وأصله القَبْض والاجتماع لأن الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك . «أين أنت من ثلاث» ، أى كيف يغيب فَهْمُك عن هذه الثلاث وكان ينبغى أن يكون مُسْتَحْضِرَها ومعتقِدَ الكَذِبَ مِمَّن يَدَّعى وقوعها «الفِرْيَة» بالكسر : الكذب وجمعها فِرَى كعِنَب .

ذكر أدلة القول الثانى

تقدم حديث مسروق عن ابن عباس وكعب . وروى النَّسائى بإسناد صحيح عن طريق عِكْرِمة عن ابن عباس قال : أتعجبون أن الخَلَّةَ تكون لإبراهيم والكلام لموسى والرؤيةَ لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ ورواه ابن خزيمة : «إن الله اصطفى إبراهيم بالخَلَّة» . إلى آخره . وروى ابن إسحق عن عبد الله بن أبى سَلَمة أن ابن عُمَر أرسل إلى ابن عباس رضى الله عنهم يسأله : هل رأى محمد رَبَّه ؟ فأرسل إليه أن نَعَم .

---

(١) سورة طه آية ٨٣

(٢) سورة طه آية ٨٥

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٥

(٤) سورة طه آية ٤٣

(٥) سورة طه آية ٣٩ و ٤٠ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ ابن كثير وابن حجر وغيرهما : جاءت عن ابن عباس أخبار مُطْلَقة كما تقدم وأخبار مُقَيَّدة ، فيجب حَمْلُ مُطْلَقِها على مُقَيَّدِها . فمن المُقَيَّدة ما رواه مسلم عن أبي العالية فى قوله تعالى : (مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأَى[1]) ، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى[2]) ، قال : « رآه بفؤاده مَرَّتَيْن » . ورَوَى أيضاً عن طريق عطاء عنه قال : « رآه بقلبه » . ورَوَى ابن مَرْدَويه من طريق عطاء عنه أيضاً فى الآية قال : « لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه » . وروى النَّسائى وابن خُزَيْمة عن أبي ذَرّ فى الآية / قال : « رآه بقلبه ولم يَرَه بعينه » . ورَوَى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق موسى ابن عبيد عن محمد بن كعب القُرَظى ــ بالظاء المعجمة المشالة وبالتحتية ــ قال ابن جرير عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قلنا : يارسول الله ، هل رأيتَ رَبَّك ؟ قال : لم أره بعينى ، رأيتُه بفؤادى مَرَّتَيْن » ، ثم تلا (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى[3]) وموسى ضعيف .

٣٤٥ ظ

الثانى : قال الحافظ : المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب ، لا مجرد حصول العِلْم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله تعالى على الدوام . بل مراد من أنه أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خُلِقَت فى قلبه كما تُخْلَق الرؤية بالعين لغيره ، زاد صاحب السراج : « بخلاف غيره من الأولياء ، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لأنفسهم ، فإنهم إنما يريدون « المعرفة » فاعْلَمْه ، فإنه من الأمور المهمة التى يغلط فيها كثير من الناس » . انتهى . والرؤية لا يُشْتَرَط لها شىء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخَلْقها فى العين . قال الواحدى : « وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله تعالى بَصَرَه فى فؤاده ، أو خَلَق لفؤاده بَصَراً حتى رأى رَبَّه رؤية صحيحة كما يُرَى بالعين » .

الثالث : علىهذه الآثار المُقَيَّدة عن ابن عباس يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونَفْى عائشة ، بأن يُحْمَل نَفْيُها على رؤية البصر وإثباتُها على رؤية القلب .

---

(١) سورة النجم آية ١١

(٢) سورة النجم آية ١٣

(٣) سورة النجم آية ٨

الرابع : قال ابن كثير : [فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا حَمَّاد بن سلمة عن قتادة عن عِكْرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما[1]] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيتُ ربى عَزَّ وجَلَّ» ، فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس .

الخامس : قال ابن كثير : من روى عن ابن عباس أنه رآه ببصره فقد أغرب فإنه لا يصح فى ذلك شىء عن الصحابة . وقول البغوى : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه ، وهو قول أنس والحسَنَ وعِكْرِمة فيه نظر . قلت : سبق البغوى إلى ذلك الإمام أبو الحَسَن الواحدى وقول ابن كثير : إنه لم يصح فى ذلك شىء عن الصحابة فليس بِجَيِّد ، قال : فقد روى الطبرانى بسَنَد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول : نظر محمد إلى رَبِّه مَرتَيْن : مَرة ببصره ومَرة بفؤاده .

---

(١) إضافة من تفسير ابن كثير (جـ٤ ص ٢٥٠) .

الباب الرابع

فى أى زمان ومكان وقع الإسراء

وفيه فصلان : الاول فى مكانه . ففى رواية أنه كان عند البيت كما عند البخارى فى باب بدء الخَلْق وفى باب المِعْراج فى الحطيم ، وربما قال فى الحِجْر ، والشك من قتادَة كما بَينه الإمام أَحمد فى روايته عن عَفان عن همام ولَفْظُه : « بينا أنا فى الحطيم » ، وربما قال قتادة فى الحِجْر . قال الحافظ : والمراد بالحطيم هنا الحِجْر ، وأَبْعَدَ مَنْ قال : المراد به ما بين الركن والمقام ، أو ما بين زمزم والحجر . قال : وهو وإن كان مختلَفا فى الحطيم بل هو الحجر أَم لا فالمراد به هنا بيان البقعة التى وقع ذلك فيها لأَنها لم تتعدد لأَن القصة متحدة باتحاد مخرجها .

وفى رواية الزهرى عن أَنَس : « فُرِج سقف بيتى وأنا بمكة » ، وفى رواية الواقدى أنه : « أُسْرِى به من شِعْب أَبى طالب » ، وفى حديث أُم هانئ عند الطبرانى أنه « بات فى بيتها » ، قالت : ففقدتُه من الليل / فقال : إن جبريل أَتانى » . قال الحافظ : والجمع بين هذه الأَقوال أنه بات فى بيت أم هانئ ، وَبيْتُها عند شِعْب أَبى طالب ، ففُرِج عن سقف بيته ، وأَضاف البيت إليه لأَنه كان يسكنه ، فنزل منه منزلة المالك ، وأخرجه إلى المسجد ، وكان به أَثَر النعاس ، ثم أَخرجه إلى باب المسجد ، فأَركبه البُراق . قال : وقد وقع فى مُرْسَل الحَسَن عند ابن إسحق فأَتاه فأَخرجه إلى المسجد ، وهو يؤيد هذا الجمع » . انتهى .

٣٤٦ و

وقال بعضهم : ليس بين قوله : « بينا أنا فى المسجد الحرام » وبين قوله : « فى بيتى » وبين أُم هانئ ، تناف لأَنه قد يكون المراد بالمسجد الحرام .

الفصل الثانى : فى زمانه : الصواب الذى اتفق عليه العلماء : أَن الإِسراء كان بعد البعثة . أَما ما وقع فى رواية شريك من قوله : « جاءه ثلاثة نَفَر قبل أَن يُوحَى إليه » ، وفيه « فكانت تلكِ الليلة فلم يرهم حتي أَتَوْه ليلة أُخرى » ، ولم يُعَيِّن المدة التى بين المجيئَيْن ، فيُحْمَل

على أن المجئ الثانى كان بعد أن أُوحِىَ إليه ، وحينئذ وقع الإسراء والمعراج ، وإذا كان بين المجيئَيْن مدة فلا فرق بين أن تكون المدة ليلة واحدة أو ليال كثيرة أو عدة سنين .

قال ابن كثير : « وهذا الحمل هو الأظهر » ، وجزم به ابن القَيِّم ، وجرى عليه الحافظ ، قال : « وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ، ويحصل به الاتفاق بأن الإسراء كان فى اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ، ويسقط تشنيع الخَطابى وابن حزم بأن شريكاً خالف الإجماع فى دعواه أن المِعراج كان قبل البعثة » . قال الحافظ : « وأما ما ذكره بعض الشُّراح أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكةسبع وقيل تسع وقيل ثلاثة عشر ، فيُحْمَل على إرادة السنين كما فَهِمه الشارح المذكور ، وأجاب بعضهم بأن القَبْلِية هنا هى فى أمر مخصوص وليست مطلقة ، واحْتُمِل أن يكون المعنى قبل أن يُوحَى إليه فى شأن الإسراء والمعراج مثلا ، أى أن ذلك وقع بَغْتَة قبل أن يُنْذَرَ به . ويؤيده قوله فى حديث الزهرى : فُرِج سقف بيتى . انتهى .

واختلفوا فى أى سنة كان ، فجزَمَ جَمْعٌ بأنه كان قبل الهجرة بسنة ، وجرى عليه الإمام النووى ، وبالغ ابن حَزْم فنقل فيه الإجماع .. وقال القاضى : قبل الهجرة بخمس سنين لأنه لا خلاف أن خديجة صَلَّت معه بعد فَرْض الصلاة ، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة ، ولا خلاف أن فَرْض الصلاة كان ليلة الإسراء ، وتَعَقَّبه ابن دِحْيَة بأن المراد بالصلاة التى صَلَّتها معه هى التى كانت من أول البعثة ، وكانت ركعتَيْن بالغداة وركعتَيْن بالعَشِىّ ، وإنما الذى فُرِض ليلة الإسراء الصلوات الخَمْس . وقد قالت عائشة رضى الله عنها : « إن خديجة رضى الله عنها ماتت قبل أن تُفْرَض الصلاة » ، رواه ابن سعد ، ويعقوب بن سفيان . فالمُعْتَمَد أن مراد من قال : بعد أن فُرِضَتْ الصلاة ، ما فُرِض قبل الصلوات الخمس ، إن ثبت ذلك . ومراد عائشة بقولها : ماتت قبل أن تُفْرَض الصلاة ، أى الخمس ، فيُجْمَع بين القَوْلَيْن بذلك ، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء وقد حكى العسكرى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وسيأتى تحقيق ذلك فى ترجمتها .

واختلفوا فى أى الشهور كان [الإسراء] فجزم ابن الأثير وجَمْعٌ ، منهم النروى فى فتاويه كما في النُّسَخِ المُعْتَمَدة، بأنه كان فى ربيع الأول ، قال النووى : « ليلة سبع وعشرين » ،

٣٤٦ ظ وجرى عليه جَمْعٌ ، / وهكذا نقله عن الفتاوى الإسنوى فى المهمات ، والأَذْرَعى – بفتح أوله والراء وسكون الذال المعجمة بينهما – فى التوسط ، والزركشى فى الخادم ، والدميرى فى حياة الحيوان[1] ، وغيرهم . وكذا رأيتُه فى عدة نسخ من الفتاوى وفى بَعض النسخ من شرح مسلم كذلك ، وفى أكثرها ربيع الآخر كما فى نسخ الفتاوى . ونقله ابن دحية فى الابتهاج ، والحافظ فى الفتح ، وجَمْعٌ عن الحربى . والذى نقله عنه ابن دِحْية فى كتابيه : التنوير والمعراج الصغير ، وأبو شامة فى الباعث ، والحافظ فى فضائل رجب ، ربيع الأول . وقيل : كان فى رجب ، وجزم به النووى فى الروضة تَبَعاً للرافعى ، وقيل فى رمضان ، وقيل فى شوال .

قال ابن عطية بعد أن حكى الخِلاف والتحقيق : « إنه كان بعد شَقّ الصحيفة وقبل بيعة العقبة » . قال ابن دِحْيَة : « ويمكن أن يُعَين اليوم الذى أَسفرت عنه تلك الليلة ، ويكون يوم الاثنين » . وذكر الدليل على ذلك بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة ، وحاصل الأمر أنه استنبطه ، وحاول موافقة كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة يوم الاثنين . قال : فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوة ومِعْراجاً وهِجْرَة ووفاة ، فهذه خمسة أطوار ، فيكون يوم الاثنين فى حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه الصلاة والسلام فيه خُلِق وفيه أُنزل إلى الأَرض وفيه تاب الله عليه وفيه مات ، وكانت أطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد . انتهى .

وروى ابن أَبى شيبة عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما قالا : « وُلِد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بُعِث وفيه عرج إلى السماء وفيه مات » . وقولهما : « وفيه عرج إلى السماء » أراد الليلة لأَن الإسراء كان بالليل اتفاقاً .

---

(١) جاء فى حياة الحيوان الكبرى للدميرى مادة براق (ج ١ ص ١٠٧ : ١٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ) . واختلف الناس فى تاريخ الإسراء فقال ابن الأثير : الصحيح عندى أنه كان ليلة الاثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وبهذا جزم شيخ الإسلام محيى الدين النووى فى شرح مسلم وجزم فى فتاويه فى كتاب الصلاة بأنه كان فى شهر ربيع الآخر وفى سير الروضة أنه كان فى رجب ، وإنما كان ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلا » .

تنبيه : ذكر أبو الخَطَّاب بن دحية[1] أن الإسراء كان فى الليلة التى بين الأَحد والاثنين على القول بأَن الليلة تَتْبَع اليوم الذى قبلها . ثم قال : « ويدل على أن الليلة تَتْبَع اليوم الذى قبلها أن ليلة عَرَفة هى التى قبلها بإجماع ، وكان بعضهم يقول : ليلة السبت فى ظَنِّ الناس هى ليلة الجمعة » . انتهى . والذى ذكره النحاة فى باب التأْريخ أن ليلة كل يوم هى التى قبله ، لأَن أَول الشهر ليلة ، وآخره يوم . وبذلك صَرَّح أَئمتنا الشافعية فى غير موضع من كتبهم . وليلة عرفة وإن تأَخَّرت عن يومها شَرْعاً فذلك فى الحُكْم ، وهو مشروعية الوقوف فى هذا الوقت المخصوص ، ولا يُعْتَرَض على ما سبق بقوله تعالى : (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ[2]) لأَن المُفَسِّرين ذكروا فيه مَعْنَىً غير هذا ، فقال مجاهد[3] : « فى قضاء الله تعالى وعلمه لا يفوت اللَّيْلَ النَّهارُ حتى يدركه فيذهب بظُلْمَتِه ، وفى قضاء الله وعلمه لا يفوت النَّهَارَ الليلُ حتى يدركه فيذهب بضَوْئِه » . رواه ابن المنذر .

وقال الضَّحَّاك : « لا يذهب الليل من ههنا حتى يجىء النهار من ههنا » . رواه ابن أَبى حاتم . وقال البغوى : « أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجىءُ أَحَدُهما قبل وقته » . وقيل لا يدخل أَحدهما فى سلطان الآخر ، فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء . فإذا اجتمعا وأَدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة ، وقيل : لا يتصل لَيْلٌ بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل . والله أَعلم .

---

(١) هو الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسين بن دحية من كبار المحدثين والحفاظ الأثبات الثقات توفى سنة ٦٣٣ ﻫ ترجم له المقرى فى نفح الطيب (بولاق سنة ١٢٧٩ ﻫ جـ ١ ص ٣٧٤ : ٣٧٧) .

(٢) من الآية ٤٠ من سورة يس .

(٣) فى تفسير ابن كثير (جـ ٤ ص ٥٧٣) : قال مجاهد : « ولا الليل سابق النهار » يطلبان حثيثين يسلخ أحدهما من الآخر والمعنى فى هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار ، بل كل منهما يعقب الآخر بلامهلة ولا تراخ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا » .

الباب الخامس

٣٤٧ و

فى كيفية الإسراء / برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل تكرر أم لا .

وفيه فصلان : الأول : اعلم أنه لا خِلاَف فى صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم . إذ هو نَصّ القرآن على سُبيل الإجمال ، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة منتشرة عن جماعة من الصحابة يأْتى ذكرهم بعد فى باب مُفْرَد ، وإنما الخِلاف فى كيفية الإسراء ، فاختلف العلماء فى ذلك على أقوال : الأَول وهو قول الأَكثر إنه كان بالروح والجَسَد معاً يقظةً لا مناماً ، من مكة إلى بيت المقدس ، إلى السموات العُلا إلى سِدْرة المنتهى إلى حيث شاء العَلِيّ الأَعلى .

قال القاضى وغيره : « وهو الحق وعليه تدل الآية نَصًّا وصحيح الأَخبار إلى السموات استفاضةً ولا يُعْدَل عن الظاهر من الآية والأَخبار الواردة فيه ، ولا عن الحقيقة المتبادرة إلى الأَذهان من أَلفاظهما ، إلى التأْويل ، إلا عند الاستحالة وتَعَذُّر حَمْل اللفظ على حقيقته ، وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة تُؤْذِن بتأْويل ، إذ لو كان مناماً لقال : سبحان الذى أَسرى بروح عبده ، ولم يقل : بِعَبْدِه ، والعبد حقيقةً هو الروح والجسد ، ويدل عليه قوله تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى[1]) أى ما عَدَل عن رؤية ما أُمِر برؤيته من عجائب الملكوت وما جَاورَها لصراحة ظاهرة فى كونه بجسده يقظةً لأَنه أَضاف الأَمر إلى البَصَر ، وهو لا يكون إلا يَقَظَةً بجسده بشهادة : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبْرَى[2]) . ولو كان مناماً لَمَا كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تُورث [عدم][3] صِدْقِه ،

---

(١) سورة النجم آية ١٧

(٢) سورة النجم آية ١٨

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

وإن كانت رؤيا الأنبياء وحياً ، إذ ليس فيها من الأبلغية وخَرْق العادة ما فيه يقظةً[1] .
وأيضاً لو كان مناماً لما استبعده الكُفَّار ولا كَذَّبوه ، ولا ارْتَدَّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، لبُعْدِه عن ساحة العادة ، ووقوعه فى زمن يُسْتَبْعَد فيه جداً ، إذ مثل هذه المنامات لايُنْكَر ، بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب ، والارتداد والافتتان إلا وقد علموا أن خَبَره إنما هو عن جسمه وحال يقظته » .

وقد روى البخارى فى باب الإسراء من صحيحه[2] ، وسعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ)[3] هى رُؤْيا عَيْن أُرِيَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء » . زاد سعيد : « وليست رؤيا منام » .

قال الحافظ : « إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب . وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن بقوله : (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى)[4]، ورؤية العين بقوله : (مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى)[5]. وأما ما رواه ابن مَرْدَوَيه عن طريق العَوْفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الآية قال : « رأى أنه وصل مكة وأصحابُه . فلما رَدَّه المشركون كان لبعض الناس فى ذلك فِتْنَة » . وما رواه ابن مردويه عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، رفَعَه قال : رأيتُ كأن بنى أمية يتعاورون مِنْبَرى هذا » ، فقال : هى « دنيا تنالهم » ، ونزلت هذه الآية ، فكلاهما إسناد ضعيف والصحيح ما تَقَدَّم ، وجزم بما قاله ابن عباس إنها رؤيا عَيْن ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جُبَيْر والحَسَن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبدالرحمن ابن زيد وغير واحد .

تنبيه : قال ابن دحية : « جنح البخارى إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المِعْراج لأنه أفرد لكل منهما ترجمة » / قال الحافظ : « ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده ، ٣٤٧ ظ

---

(١) زاد القاضى عياض فيما نقله المؤلف عنه : « على أن ذلك إنما يعرفه من صدقه وصدق خبره » . وقد نقله بدوره الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ٦ ص ٨) .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير (جـ ٦ ص ١٦٠)
(٣) سورة الإسراء آية ٦٠
(٤) سورة النجم آية ١١
(٥) سورة النجم آية ١٧

بل كلامه فى أول الصلاة ظاهر فى اتحادهما ، وذلك أنه ترجم باب : كيف فُرِضت الصلاة ليلة الإسراء ، والصلاة إنما فُرِضت فى المعراج ، فدَلَّ على اتحادهما عنده ، وإنما أفرد كُلاًّ منهما بترجمة لأن كُلاً منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معاً .

القول الثانى : إن الإسراء كان بالجَسَد يقظةً إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح ، ذَهَب إلى هذا طائفة واحْتَجُّوا بقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى) فجعل المسجد الأقصى غايةً للإسراء الذى وقع التَّعَجُّب فيه من حيث أنه كان فى بعض ليلة . والتَّعَجُّب فيه من الكُفَّار تَعَجُّب استحالة ، ومن المؤمنين تَعَجُّب تعظيم القُدْرَة الباهرة . ووقع التَّمَدُّح بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه . ولو كان الإسراء إلى مكانٍ زائدٍ على المسجد الأقصى لذكره تعالى فيكون ذِكْرُه أبلغ فى المدح من عدم ذكره فيه .

وأجاب الأئمة عن ذلك بأن استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً ، فلمَّا ظهرت أَمارات صِدْقِه ، وصَحَّت لهم براهينُ رسالتِه ، واستأْنسوا بتلك الآية الخارقة ، أخبرهم بما هو أعظم منها ، وهو المِعْرَاج ، فَحَدَّثهم النبى صلى الله عليه وسلم به ، وأنزله الله تعالى فى سورة النَّجْم . ويُؤَيِّد وقوع المِعْرَاج عَقِب الإسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس رضى الله عنه عند مسلم[1] : « **أُتِيتُ بالبُرَاق فَرَكِبْتُهُ حتى أَتيتُ بيت المقدس** » ، **فذكر القصة إلى أن قال : « ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء الدنيا » وحديث أبى سعيد الخُدْرِى : بالخاء المعجمة المضمومة وبالدال المهملة ـ عند ابن إسحق : « فلما فَرَغْتُ مما كان فى بيت المقدس أُتِى بالمِعْرَاج »** . فذكر الحديث .

القول الثالث : إن الإسراء كان بالروح وإنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء وَحْى بشهادة : (يا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ)[2] ، وقوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الحديث بطوله عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك فى صحيح مسلم بشرح النووى (ج ٢ ص ٢٠٩ وما بعدها)
(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

« الأَنبياء تَنَامُ أَعْيُنُهم ولا تَنَامُ قُلوبُهم[1] » . واحتجَّ من قال بهذا القول بقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ)[2] ولو كان يقظةً لقال : « الرؤية » بالتاء ، وقول أنس فى حديثه فى رواية شريك : « وهو نائم بالمسجد الحرام » . وذكر القصة الواردة ليلة الإسراء ، ثم قال فى آخرها : « استيقظت – أى انتبهت – من منامى وأنا فى المسجد الحرام » . وهذا المذهب يُعْزَى لمعاوية بن أَبى سفيان رضى الله عنه فإن ابن إسحق[3] قال : « حَدَّثنى يعقوب بن عُتْبَة بن المُغِيرة بن الأَخْنَس أَن معاوية بن أَبى سفيان كان إذا سُئِل عن مَسْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت رُؤْيَا من الله تعالى صادقة » . ويعقوب وإن كان ثقة إلا أَنه لم يُدْرِك معاوية[4] فالحجة منقطعة .

ويُعْزَى أَيضاً إلى عائشة رضى الله عنها ، قال ابن إسحق : « حَدَّثنى بعض آل أَبى بكر أَن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول : « ما فُقِد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أُسْرِى بروحه[5] » . كذا فيما وقفتُ عليه من نُسَخ السيرة « فُقِد » بالبناء/ للمفعول . وفى الذى وقفتُ عليه من نسخ الشِّفَا للقاضى « ما فَقَدْتُ » بالبناء للفاعل وإسناد الفعل إلى تاء المُتَكلِّم .

٣٤٨ و

وأجيب عن الأَول بأَن « الرؤْيا » قد تكون بمعنى « الرؤية » فى اليقظة كما نقله أَبو الخَطَّاب ابن دحية عن ابن عباس . قال الشيخ السهيلى فى الروض[6] : « وأَنشدوا للراعى يصف صائداً :

وكَبَّرَ للرؤيا وَهَشَّ فُؤَادُه ... وبَشَّر قلباً كان جَمًّا بَلاَبلُه

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (جـ ٢ ص ٣٣ : ٣٤) فى حديث عن أنس بن مالك جاء فى ختامه : « وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » ويماثله ما جاء فى طبقات ابن سعد « جـ ١ ق ١ ص ١١٢) ومسند أحمد (جـ ١ ص ٢٧٤) ومسند ابن أبى داود الطيالسى (رقم ٢٧٣١) .

(٢) من الآية ٦٠ من سورة الإسراء .

(٣) سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٦)

(٤) يؤيد رأى المؤلف أن يعقوب بن عتبة كما جاء فى خلاصة الخزرجى (ص ٣٧٥) توفى سنة ١٢٨ هـ بينما توفى معاوية سنة ٦٠ هـ .

(٥) سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٥) .

(٦) الروض الأنف (جـ ١ ص ٢٤٣) .

وقوله : (إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يدل على أنها رؤية عَيْن ، وإسراء شخص ، إذ ليس فى الحُلْم فتنة للناس من تَعَجبُّهم تَعَجُّب استحالة ، حتى ارتدَّ كثيرٌ ممن آمن . وقال الكُفَّار : « يَزْعُم محمد أنه أتى بيت المقدس وَرَجَعَ إلى مكة فى لَيْلَتِه ، والعِيرُ تَطَّرِد إليها شهراً مُقْبِلة وشهراً مُدْبِرة . ولو كانت رؤيا نوم لم يَسْتَبْعِد أَحَدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه فى السماء وفى المَشْرِق وفى المَغْرِب فلا يُسْتَبْعَد منه ذلك ، ويؤيد كونها يَقَظَةً ما ورد من شربه تلك الليلة الماء الذى كان لسُفَّار قريش ، وضعوه فى بعض مراحلهم فى قَدَح وغَطّوه ، فأصبحوا ولاماء فيه ، فعَجِبُوا لذلك . وإرشاد أصحاب العِير الذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفره حِسُّ البُرَاق حتى دَلَّهم عليه ، فأخبر أَهلَ مكة بـأمارة ذلك ، حتى ذكر الغرارتَيْن السوداء والبَرْقاء ، وَوَعْدُهُ لقريش بقدوم العِير التى أرشد أصحابَها إلى بعيرهم وشرب مائهم أن يَقْدَموا يوم الأربعاء » . كما سيأتى بيان ذلك مبسوطاً فى القصة . وهذا كله لا يكون إلا يقظة وقد تقدم فى القول الأول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال فى الآية : هذه رؤيا عين[1] أُرِيَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فراجِعْهُ .

وأجيب عن الثانى وهو قوله : « بينا أنا بين النائم واليقظان ، ثم استيقظت » بأنه لا حجة فى ذلك إذ يَحْتَمِل قَوْلُه « بين النائم واليقظان » إلى آخره أنه أول وصول المَلَك كان وهو نائم بشهادة حديث الحَسَن : « بينا أنا نائم فى الحِجْر جاءنى جبريل فَهَزَّنى بَعقِبه ، فجلستُ فلم أَرَ شيئًا فَعُدتُ لمضجعى » ، إلى أن قال : « فَجرَّنى إلى باب المسجد فإذا أنا بِدَابَّة » أو أنه محمول على ابتداء الحال ، ثم لما خرج إلى باب المسجد ، فأركبه البُرَاق فاستمرّ فى يقظته . وليس فى الحديث أنه كان نائماً فى القصة كلها . وأما قوله : « ثم استيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام » ، فقد قال الحافظ : « إن قيل بالتَّعَدُّد فلا إشكال وإلا حُمِل على أن معناه أَفَقْتُ أى أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة عجائب الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوى فلم يرجع إلى عالم البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام » .

---

(١) انظر أيضا شرح المواهب جـ ٦ ص ٣ .

قال ابن كثير : « ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أُوحِيَ إليه يستغرق فيه فإذا انتهى رجع إلى حالته الأُولى ، فَكُنِّيَ عنه بالاستيقاظ كما فى حديث عائشة ، حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكَذَّبوه ، قال : « فرجعت وأنا مهموم فلم أَسْتَفِق إلا بقرن الثعالب » أى وهو مكان . وفى حديث أَبى أُسَيْد ـ بضم الهمزة وفتح المهملة ـ حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُحَنِّكه ، فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم . واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث / مع الناس . فرفع ٣٤٨ ظ أَبو أُسَيْد ابنَه ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجد الصبى فسأَل عنه فقالوا « رُفِع » ، فسَمَّاه المُنْذِر أَحد رواته استيقاظاً . وهذا الحَمْل أَحْسَن من تغليط شريك .

تنبيه : قال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة نائم العَيْن حاضر القلب ، غَمَّض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله . قال القاضى : « وهذا غير صحيح لأَن المقام مشاهدة عجائب الملكوت بشهادة قوله تعالى: (لِنُرِيَه مِنْ آيَاتِنا)[1]، (لَقَدْ رأَىَ مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى)[2]، إِذْ المتبادر منه رؤية العَيْن ، ولا يصح أَيضاً أَن تكون فى وقت صلاته بالأَنبياء .

وأَما ما يُعْزى لعائشة رضى الله عنها، فلم يرد بَسَند يصلح للحجة بل فى سَنَده انقطاع وارد مجهول كما تقدم . وقال أَبو الخَطَّاب بن دِحْية فى التنوير[3] : إنه حديث موضوع عليها . وقال فى مِعْراجه الصغير : « قال إمام الشافعية القاضى أَبو العباس بن سُرَيْج : هذا حديث لا يصح وإنما وُضِع رَدًّا للحديث الصحيح » . انتهى .

وعلى تقدير أَن يكون صحيحاً ورد بالبناء للمفعول فعائشة رضى الله عنها لم تُحَدِّث عن مشاهدة لأَنها لم تكن زوجة إذ ذاك ، أَو بالبناء للفاعل : « ما فَقَدْتُ جسده الشريف » فعائشة لم يدخل بها إلا بالمدينة بالإجماع ، ولا كانت وقت الإسراء فى سِنّ من يَضْبطُ الأُمور ، لأَنها فى سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين . فعلى القول بأَن الإسراء كان قبلها

---

(١) سورة الإسراء من الآية الأولى

(٢) سورة النجم آية ١٨

(٣) هو التنوير فى مولد السراج المنير نقلا عن ترجمة مؤلفه فى نفح الطيب (جـ ١ ص ٣٧٤ : ٣٧٧)

بسنة تكون بنت سبع ، وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أصغر من ذلك ، وعلى قول من قال : إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن وُلِدت .

تنبيه : قال فى زاد المعاد[1] : « ينبغى أن يُعْلَم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم . وعائشة ومعاوية لم يقولا : كان مناماً ، وإنما قالا : الإسراء بروحه ولم يُفْقَد جَسَدُه . وفَرْق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى الصُّوَر المحسوسة ، فيَرَى كأنه عُرِج به إلى السماء ، أو ذُهِب به إلى مكة أو أقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، والذين قالوا : عُرِج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان : طائفة قالت عُرِج بروحه وبَدَنِه ، وطائفة قالت عُرِج بروحه ولم يُفْقَد بَدَنُه . وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسرِىَ وعُرِج بها حقيقةً وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة . وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السموات سماءً سماءً ، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدى الله تعالى فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض » .

« والذى كان برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة . ومعلوم أن هذا أمْرٌ فوق ما يراه النائم . لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام خرق العوائد ، حتى شُقَّ بَطْنُه وهو حَىٌّ لا يتألم بذلك ، عُرِج بذات روحه المقدسة حقيقةً من غير إماتة . ومَنْ سواه : لا يَنَالُ بذات رُوحه الصُّعُودَ إلى السموات إلا بعد الموت والمفارقة[2] ، إلى آخر كلامه ، وسيأتى بتمامه فى باب حياته صلى الله عليه وسلم فى قبره .

٣٤٩ و الفصل الثانى : فى تكرره / :

ذهب جماعة منهم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبى شامة رحمه الله تعالى إلى أن الإسراء وقع مراراً ، واحْتَجَّ بما رواه سعيد بن منصور ، والبَزَّار ، والبيهقى ، وابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

(٢) يقع هذا النص فى ج ٣ ص ٣٠٤ : ٣٠٦ على هامش شرح الزرقانى على المواهب.

نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكَزَ بين كَتِفَيَّ ، فقُمْتُ إلى شجرة فيها مثل وَكْرَىْ الطَّيْر ، فقعد جبريل فى أحدهما وقَعَدْتُ فى الآخر ، فسَمَتْ وارْتَفَعَتْ حتى سَدَّتْ الخافقَيْن ، وأنا أُقَلِّب طَرْفِى ، فلو شِئْتُ أن أَمسّ السماء لمسست وفُتِح لى بابٌ من أبواب السماء فرأيتُ النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رَفْرَف الدُّرّ والياقوت ، وفى رواية فَدُلِّى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مَغْشِيًّا عليه كأنه حِلْس ، فعرفتُ فَضْلَ خشيته على خشيتى ، فأوحى الله تعالى إلىَّ ما شاء أن يُوحِى ، وفى رواية : فأَوْحَى إلىَّ نبياً ملكًا أو نبياً عبداً وإلى الجَنَّة ما أنت ، فأومأ إلىّ جبريل وهو مضطجع : أن تَوَاضَعْ . قال : قلتُ : لا بل نبياً عَبْداً

شرح غريب ما سبق

« وكَزَ » ضرب برفق . « وَكْرَى الطائر » تثنية وَكْر بفتح الواو وهو عُشّ الطائر إنْ كان فى جبل أو شجر ، والمراد هنا بيتان شبيهان بعُشّه فى الهيئة والوضع لا فى المقدار . « نَمَتْ » زادت . « الخافقان » طرفا السماء والأرض أو المشرق والمغرب وخوافق السماء جهاتها التى تهب منها الرياح الأربع . « لمَسِسْتُ » بكسر أول سينيه وفتحها وقد يُخَفَّف وتُنْقَل حركتها إلى الميم وقد تُتْرَك الميم مفتوحة « أُقَلِّبُ طَرْفِى » حال من الضمير قبله أى مُقَلِّباً بَصَرى فى آيات الله فى الآفاق . « حِلْس » بكسر الحاء والسين المُهْمَلَتَيْن: كِسَاءٌ يلى ظهر الدابَّة تحت الرَّحْل يُشَبَّه به من لَزِمَ شيئاً من خَشْيَة أو نحو ذلك . « السَّبَبُ » فى الأَصْل الذى يُتَوصَّل به إلى الماء ثم استُعِير لكل ما يُتَوَصَّل به إلى شىء .

قال الحافظ : « وحديث أَنَس السابق رجاله لا بأْس بهم إلا أن الدارقُطنى ذكر له عِلَّة تقتضى إرساله[1] . وعلى كل حال فهى قصة أُخرى ، الظاهر أنها وقعت بالمدينة ، قال ولا بُعْد فى وقوع مثل ذلك فى المنام ، وإنما المُسْتَغْرَب وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها السؤال عن كل نبى وسؤال أهل كل سماء : هل بُعِث إليه ؟ وفَرْض الصلوات الخَمْس وغير ذلك ، فإن تَعَدُّدَ مِثْل ذلك فى اليقظة لا يتجه ، فيتعَيَّن رَدّ بعض الروايات

(١) أى علة تجعل الحديث فى حكم المرسل والحديث المرسل فى علم مصطلح الحديث هو ما سقط من رواته الصحابى سواء أكان الراوى المرسل تابعيا كبيرا أم صغيرا وهو ضعيف عند الشافعى فلا يحتج به صحيح عند أبى حنيفة ومالك . انظر الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ م ص ٣٧ : ٤٠)

المختلفة إلى بعض والترجيح ، إلا أنه لا بُعْد فى وقوع جميع ذلك فى المنام ، ثم وقوعه فى اليقظة على وَفْقِهِ ولهذا مزيد بيان فى الباب الثامن .

وذهب جماعة منهم المُهَلَّب شارح البخارى ، وحكاه عن طَائفة ، وأبو نصر القشيرى ، والبغوى ، والسهيلى ، ونقل تصحيحه عن شيخه القاضى أبى بكر العربى ، وجزم به النووى فى فتاويه إلى أن الإسراء وقع مَرَّتَيْن : مَرَّة فى النوم ومَرَّة فى اليقظة . قالوا : « وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان فى بدء نُبُوَّته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة ، فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سَهَّله عليه الرؤيا لأن هَوْله عظيم ، فجاء فى اليقظة على توطئة وتَقْدِمة رِفْقًا من الله تعالى بعبده وتسهيلاً عليه » .

قال الحافظ : « ومن المستغرب قول ابن عبد السلام فى تفسيره : إن الإسراء كان فى النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة ، فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم ويكون / كلامه على طريق اللَّف والنَّشْر غير المُرَتَّب فيُحْتَمَل ، ويكون الإسراء الذى اتصل بالمِعْراج وفُرِضت فيه الصلاة بمكة ، والآخر فى المنام بالمدينة ، وينبغى أن يُزَاد فيه أن الإسراء فى المنام تكرر بالمدينة النبوية . ففى الصحيح فى الجنائز حديث سَمُرَة الطويل ، وفى غيره حديث عبد الرحمن بن سَمُرة الطويل ، وفى الصحيح حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى رؤيا الأنبياء ، وحديث ابن عُمَر فى ذلك .

٣٤٩ ظ

قلت وسيأتى فى باب مناماته صلى الله عليه وسلم ما فيه مَقْنَع .

الباب السادس

فى دفع شُبْهَة أهل الزَّيْغ فى استحالة المِعْراج

اعلم أن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُخالِف فى وقوعه أَحَدٌ من المسلمين ، وإنما طَعَن فيه أَهلُ الزَّيْغ بِشُبَهٍ باطلة . وقد تَصَدَّى الإمام الرازى وغيره للرد عليهم ، وأنا مُورِد تلك الشُّبَه ثم أُتْبِعها بالرد . قال أهل الزيغ والضلالة قَبَّحَهُم الله تبارك وتعالى : « الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد غير معقولة ، ولو صَعَد إلى السموات لوجب خَرْق الأفلاك ، وذلك مُحَال ، وصعود الجِرْم الثقيل إلى السموات غير مقبول ، ولأن هذا المعنى لو صَحّ لكان أعظم من سائر معجزاته ، وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه من ادِّعاء النبوّة ، فأما أن يحصل ذلك فى وقت لا يراه [فيه][1] أحد ولا يشاهده فإن ذلك يكون عَبَثًا لا يليق بالحكيم » .

وأجيب عن الأول أن الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد ممكنة فى نفسها ، والله قادر على ذلك ، ويدل على صحته أن الفَلَك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يَقْرُب من نصف الدور ، وثبت فى الهندسة أن نسبة القطر إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسُبْع[2] . فبتقدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك [إلا][3] إلى مقدار نصف القطر . فلما حصل فى ذلك القدر من الزمان نصف الدور كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أَوْلَى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على الارتفاع من مكة إلى ما فوق العَرْش فى مقدار ثلث الليل [وأنه][3] أَمْرٌ ممكن فى نفسه . وإذا كان كذلك كان حصوله فى كل الليل أَوْلَى بالإمكان .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) يقصد المؤلف النّسبة التقريبية بين قطر الدائرة ومحيطها .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

وأيضا ثبت فى الهندسة أن ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، ثم أنَّا نشاهد طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع ، فَدَلَّ على أن بلوغ الحركة فى السرعة إلى هذا الحد أَمْرٌ ممكن فى نفسه . فإن كان الكلام مع من لا يعرف الهندسة فنقول له : أنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تقطع من الشروق إلى الغروب مسافة لا يُقْدَر على قطعها فى أعوام كثيرة .

وأيضاً كانت الرياح تُسَيِّر لسليمان بن داود عليهما السلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات اليسيرة ، قال الله تعالى : (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شهرٌ)[1] ، والحِسُّ يدل على ذلك وهو أن الرياح تنفذ عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان آخر فى غاية البُعْد فى اللحظة الواحدة . وقد أحضر الذى عنده عِلْمٌ من الكتاب كرسيَّ بلقيس من / أقصى اليمن إلى أرض الشام فى أقل من لمح البصر . والأجسام متماثلة فى تمام ماهياتها ، فلما حصل مثل هذه الحركة فى حق بعض الأجسام وجب إمكان حصولها فى سائر الأجسام ، فهى ممكنة والله تعالى قادر على حصولها فى جسد النبى صلى الله عليه وسلم .

٣٥٠ و

والجواب عن الثانى : وهو خَرْق الأفلاك فليس بِمُحَال وقد منعه النُّفَاة للجنة والنار . قال الشيخ سعد الدين[2] : « ادّعاء استحالة المعراج باطل لأنه إنما ينبنى على أصول الفلاسفة من امتناع الخَرْق والالتئام على السموات ، وإلا فالخَرْق والالتئام على السموات واقع عند أهل الحق ، والأجسام العلوية والسفلية متماثلة مُرَكَّبة من الجواهر الفردة المتماثلة ، يصح على كل من الأجسام ما يصح على الآخر ضرورة التماثل المذكور ، فإن أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها ، فهو قادر على خَرْق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه » .

والجواب عن الثالث : فكما أنه يُسْتَبْعَد صعود الجسم الكثيف يُسْتَبعَد نزول الجسم اللطيف الروحانى من العَرْش إلى مركز العالم . فإن كان القول بمعراج النبى صلى الله عليه

---

(١) من الآية ١٢ من سورة سبأ .

(٢) يقصد المؤلف سعد الدين التفتازانى مسعود بن عمر المتوفى سنة ٧٩١ هـ اشتهر بمؤلفاته فى الأصول وعلم الكلام والمنطق والتفسير وعلوم اللغة ومن كتبه المتداولة شرحه للعقائد النسفية لنجم الدين عمر النسفى . ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة والسيوطى فى بغية الوعاة (ص ٣٩١) وابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٦ ص ٣١٩ : ٣٢٢) .

وسلم فى الليلة الواحدة ممتنِعاً كان القول بنزول جبريل عليه السلام من العَرْش إلى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعاً كذلك ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً فى نُبُوَّة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج فَرْعٌ على تسليم جواز أصل النبوة ، فيلزم القائل بامتناع حصول هذه الحركة امتناع نزولِ جبريل عليه السلام . ولما كان ذلك باطلاً ، كان ما ذكروه باطلا .

والجواب عن الرابع : أن كونه ليلاً [له][1] فوائد منها : ليزداد الذين آمنو إيماناً بالغَيْب ، ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ، وقد قال الله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ)[2] ، ومنها أنه وقت الخَلْوَة والاختصاص عُرْفاً ، فإن بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً فَرْقاً واضحاً ، والخصوصية الليل ، ورحم الله القائل :

اللَّيْلُ لى وَلأَحِبَّائِى أُنَادِمُهم   قَد اصْطَفَيْتُهُمُ كى يَسْمَعُوا وَيَعُوا

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالعلامات التى تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العِير التى مَرَّ بها فى طريقه ، وأنها تصل إليهم فى وقت كذا ، فكان كما ذَكَر كما سيأتى مُفَصَّلاً . ومع ذلك قالوا : (هَذَا سِحْرٌ مُبِين)[3] . فلا فَرْق بين أن يُرِيَهم ذلك نهاراً وأن يُخْبِرهم بِخَبَرٍ يُفيد اليقين ، وقد أراهم انشقاق القمر فقالوا : هذا : (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)[4] .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) من الآية ٦٠ من سورة الإسراء

(٣) فى الآية السابعة من سورة الأحقاف : « قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين » .

(٤) من الآية الثانية من سورة القمر .

الباب السابع

فى أسماء الصحابة الذين رَوَوْا القِصَّة عن النبي صلى الله عليه وسلم

أُبَيّ بن كعب رضى الله عنه ، رواه عنه ابن مَرْدَوَيه من طريق عُبَيْد بن عُمَيْر ، ومن طريق مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما مختصرا ، وعبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المُسْنَد ، وابن مَرْدَوِيه وابن عساكر بلفظ حديث أنَس عن أبي ذَرّ حرفاً بحرف . قال الحافظ فى أطراف المُسْنَد : « إنه وقع تحريف وكان فى الأَصل : « عن أَبى ذَرّ » فسقط من النسخة / لفظة « ذرّ » ، فظُنَّ أن « أَبِى » [هى][1] « أُبَىّ » ، فأُدْرِج فى مُسْنَد أُبَىّ ابن كعب غَلَطاً » .

٣٥٠ ظ

قلتُ : نَبَّه الدَّارقُطْنِى فى العِلَل على أن الوهم فيه من أبى ضَمْرَة أَنَس بن عياض .

وأُسَامة بن زيد ، ذكره أبو حفص النسفى فى تفسيره ولم أقف على حديثه .

وأَنَس بن مالك فروايته عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير واسطة رواه عنه الإمام أحمد ومسلم من طريق ثابت البُنَانِى . والشيخان من طريق شريك بن عبد الله ، وابن مَرْدَوَيه من طريق كثير بن خُنَيْس - بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون المُثَنَّاة التحتية فسين مهملة - والنسائى ، وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك وابن أبى حاتم من وجه آخر .

وابن جرير وابن مردويه والبيهقى من طريق عبد الرحمن بن هاشم ، ورُوِى من طريق عبد العزيز بن صهيب ، والطبرانى من طريق ميمون بن سِيَاه - بكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية - وابن جرير من طريق أبى سلمة بن سليم وابن مَرْدَوَيه [من[2] طريق أَبى هاشم عن على بن زيد وعن ثُمَامة - بضم المثلثة أوله ، وابن سعد وسعيد بن منصور ، والبزار عن أَبى عمران الجَوْنى - بفتح الجيم - وعند بعض هؤلاء ما ليس عند الآخر .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) ابتداء من هذا المعقف حتى المعقف الآخر بعد أكثر من صحيفة ساقط من ت و م .

وبُرَيْدة – بضم أوله وفتح الراء وسكون المثناة التحتية – ابن الحُصَيْب – بحاء مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين – رضى الله عنه ، ورواه الترمذى والحاكم وصَحَّحه ، وبلال بن حمامة ، وبلال بن سعد ذكرهما أبو حَفْص النسفى . وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما رواه الشيخان ورواه الطبرانى وابن مردويه بلفظ آخر بسَنَد صحيح . وحُذَيْفَة بن اليمان رضى الله عنه رواه ابن أبى شَيْبَة وأحمد والترمذى وصَحَّحه / وسَمُرَة بن جُنْدُب رضى الله عنه رواه ابن مردويه .

٢٩٨ و
ط

وسهل بن سعد رضى الله عنه رواه ابن عساكر ، وشدَّاد بن أَوْس رضى الله عنه رواه البَزَّار والطبرانى والبيهقى وصَحَّحَه . وصُهَيْب بن سِنان رضى الله عنه رواه الطبرانى وابن مردويه وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما رواه الإمام أحمد وأبو نُعَيْم وابن مردويه من طريق قابوس – بالقاف والمُوحَّدة – عن أبيه بسَنَد صحيح . والإمام أحمد وأبو يَعْلَى من طريق عِكْرِمة . والشيخان من طريق أبى العالية ومن طريق عِكْرِمة . والإمام أحمد والنسائى والبَزَّار بسند صحيح عن طريق سعيد بن جُبَيْر . والإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار بسند صحيح من طريق زُرَارة بن أَوْفَى ، وهذه الطرق كلها مُخْتَصَرة .

وعبد الله بن عمر بن الخَطَّاب رضى الله عنهما رواه أبو داود والبيهقى . وعبد الله بن عَمْرو رضى الله عنهما رواه ابن سعد وابن عساكر . وعبد الله بن الزُّبَيْر رضى الله عنهما . وعبد الله بن أبى أَوْفَى رضى الله عنهما ذكرهما أبو حَفْص النَّسَفى . وعبد الله بن أسعد بن زُرَارة رضى الله عنهما رواه البَزَّار والبغوى وابن قانع كلاهما فى معجم الصحابة . وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه رواه مسلم من طريق مُرَّة ، وابن عَرَفة من طريق أبيه عن عُبَيْد الله . والإمام أحمد وابن ماجه من طريق مُوْثِر – بضم الميم وسكون الواو وكسر المثلثة – ابن عَفَازَة بفتح المهملة والفاء ثم زاى – الكوفى .

والبَزَّار وأبو يَعْلَى والطبرانى من طريق عَلْقَمة ، والبيهقى من طريق زِرّ – بكسر الزاى وبالراء – ابن حُبَيْش – بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالشين المعجمة . وعبد الرحمن بن عابس، ذكره ابن دِحْية فى التنوير . والعباس بن عبد المطلب، وعثمان ابن عَفَّان رضى الله عنه ذكره أبو حَفْص النسفى . وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه رواه الإمام أحمد وابن مردويه . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه رواه الإمام أحمد وابن مردويه .

وأَنَس بن عياض ذكره ابن دحية . ومالك بن صعصعة رضى الله عنه رواه عنه الإمام أحمد والشيخان وابن جرير والبيهقى وغيرهم . وأَبو بكر الصديق رضى الله عنه ذكره ابن دحية . وأَبو أَيوب الأَنصارى رضى الله عنه رواه الشيخان فى أَثناء حديث أُبَىّ (بن كعب) .

وأَبو الحمراء رضى الله عنه رواه الطبرانى . وأَبو الدرداء رضى الله عنه ذكره أَبو حفص النسفى . وأَبو ذَرّ الغِفارى رضى الله عنه رواه الشيخان . وأَبو سعيد الخُدْرِى – بضم الخاء المعجمة والدال المهملة – رضى الله عنه رواه ابن جرير وابن أَبى حاتم والبيهقى من طريق أَبى هارون العبدى وهو مُتَكَلَّم فيه .

وقد روى البيهقى عن أَبى الأَزهر قال : حدثنا زيد بن أَبى حكيم قال : « رأَيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت : يا رسول الله أَين رجل من أُمتك يقال له سفيان الثورى / لا بأْس به ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا بأْس به . حُدِّثنا عن أَبى هريرة عن أَبى سعيد الخُدْرِىّ عنك أَنك ليلة أُسْرِى بك قُلْتَ : رأَيتُ فى السماء ، فَحَدَّثْتُه بالحديث ، فقال : نعم . فقلت : يا رسول الله إِن ناساً من أُمتك يُحَدِّثون عنك فى الإِسراء العجائب . فقال : ذاك حديث القُصَّاص » .

٢٩٨ ظ
ط

وأَبو سفيان بن حرب رضى الله عنه ذكره أَبو حفص النسفى . وأَبو سلمة بن دحية وأَبو سلمى راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره أَبو حفص النسفى . وأَبو ليلى الأَنصارى رضى الله عنه رواه الطبرانى وابن مردويه . وأَبو هريرة رضى الله عنه رواه مُطَوَّلا ابن جرير وابن أَبى حاتم والبيهقى والحاكم وصححه من طريق أَبى العالية ، وفى سنده أَبوجعفر الرازى وهو صدوق الحفظ ، ومختصراً الشيخان من طريق سعيد بن المُسَيِّب ، والإِمام أَحمد ومسلم من طريق أَبى سلمة . والإِمام أَحمد وابن ماجه عن طريق أَبى الصلت . وابن مردويه عن طريق سليمان التَّيْمِى . وابن سعد وسعيد بن منصور والطبرانى من طريق مولاه . وأَسماء بنت أَبى بكر رضى الله عنها رواه ابن مردويه . وأُم المؤمنين عائشةرضى الله عنها رواه الحاكم وصححه والبيهقى وابن مردويه من طريق الزهرى عن عروة عنها . وابن مردويه من طريق هشام [ابن عروة] عن أَبيه عنها .

وأُم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ذكره أَبو حفص النسفى . وأُم سلمة أُم المؤمنين رضى الله عنها رواه أَبو سعيد وابن عساكر . وأُم هانئ رضى الله عنها رواه الطبرانى وأَبو يَعْلَى وابن عساكر عن طريق أَبى صالح وابن إِسحق بلفظ آخر .

الباب الثامن

فى سياق القصة

اعلم رحمنى الله وإياك أن فى حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم فى الباب السابع ما ليس فى الآخر ، فاستخرتُ الله تعالى وأدخلتُ حديث بعضهم فى بعض ورَتَّبْتُ القصة على نَسَقٍ واحد ، لتكون أحلى فى الآذان الواعيات ، وليَعُمّ النفع بها][1] فى جميع الحالات.

فإن قلت إن أحاديث المعراج كل حديث منها مخالف للآخر ، فقد يكون المعراج تَعَدَّد بعددها فلِمَ جَعَلْتَ الكُلَّ قِصّةً واحدة ؟

فأقول : قال فى « زاد المعاد »[2] : « هذه طريقة ضُعَفاء الظاهرية من أرباب النَّقْل الذين إذا رأوا فى القصة لفظةً تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مَرَّةً أُخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عَدَّدُوا هم الوقائع والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مَرّةً واحدة بمكة بعد البعثة ، ويا عَجَباً لهؤلاء الذين زعموا أنه وقع مِراراً كيف ساغ لهم أن يَظُنُّوا أنه فى كل مرة تُفْرَض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردَّد بين رَبِّه وبين موسى حتى تصير خمسًا ، ثم يقول : « أَمْضَيْتُ فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى » ، ثم يعيدها فى المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشراً عشراً ؟

قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى فى تاريخه ، بعد أن ذكر أنه لم يقع فى سياق مالك بن صعصعة ذِكْرُ بيت المقدس : « وكان بعض الرواة يحذف بعض الخَبَر للعلم به ، أو ينساه ، أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو ينشط تارةً فيسوقه كُلَّه ، وتارةً يُحَدِّث مُخاطِبَه بما هو الأنفع له »[3] /، « ومَنْ جعل كل رواية خالفت الأُخرى مَرَّةً

٢٩٩ و
ط

(١) هذه هى نهاية ما سقط من م وقد ذكر فى م عنوان الباب السابع فى أسماء رواة القصة ولكنها لم تدرج به .

(٢) يقع النص التالى فى نسخة زاد المعاد المطبوعة على هامش شرح الزرقانى على المواهب ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٣) يقع هذا النص فى البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١١٧ وفى المطبوعة يبسط بدلا من ينشط وعبارة : يحدث مخاطبه وردت فى المطبوعة : يحذف عن مخاطبة . والنص الذى نقله المؤلف أصح .

على حِدَة ، فأَثْبَتَ إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مَهْرَب ولم يحصل على مطلب[1] » ، « وذلك أن كل السياقات فيها تعريفه بالأنبياء ، وفى كلها تُفْرَض عليه الصلوات ، فكيف يُدَّعَى تعدد ذلك ؟ هذا فى غاية البُعْد » ، « ولم يُنْقَل ذلك عن أحَدٍ من السلف ولو تَعَدَّد هذا التعدد لأَخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أُمَّتَه ولنقله الناس على التكرار » . انتهى .

وقال الحافظ فى الفتح نحوه وزاد : « ويلزم أيضاً وقوع التعدد فى سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وسؤال أهل كل باب : هل بُعِث إليه ؟ وفَرْض الصلوات الخَمْس وغير ذلك ، فإن تعدد مثل ذلك فى القصة لا يَتَّجِه ، فيتعيَّن رَدّ بعض الروايات المختلفة إلى بعض أو الترجيح إلا أنه لا يُعَدّ وقوع مثل ذلك فى المنام توطئة ثم وقوعه يَقَظَة » . انتهى مُلَخَّصًا .

إذا عُلِم ما تقرر فأقول : « بينما النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت فى الحِجْر ، إذ أتاه جبريل وميكائيل ومعهما مَلَك آخر / ، فقال أَوَّلُهم : أَيُّهم ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم . فكانت تلك الليلة ، فلم يرهم حتى ليلة أُخرى . فقال الأَول : هو هو . فقال الأوسط : نعم ، وقال الآخر : خذوا سَيِّدَ القوم الأَوسط بين الرجلين . فرجعوا عنه حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، رآهم ، فقال الأَول : هو هو ، فقال الأَوسط : نعم ، وقال الآخر : خذوا سيد القوم الأَوسط بين الرجلين . فاحتملوه حتى جاءوا به زمزم ، فأَلْقَوْه على ظهره فَتَولَّاه منهم جبريل » .

٣٥١ و

وفى رواية : « فُرِج سقف بيتى ، فنزل جبريل ، فشَقَّ من ثُغْرَة نَحْره إلى أسفل بطنه ، ثم قال جبريل لميكائيل : ائتينى بطست من ماء زمزم كيما أُطَهِّر قلبه وأشرح صدره ، فاستخرج قلبه ، فغَسَله ثلاث مرات ، ونزع ما كان فيه من أذى ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسوت من ماء زمزم ، ثم أَتى بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيماناً ، فأفرغه فى صدره ، وملأه حِلْمًا وعِلْمًا ويقيناً وإسلاماً . ثم أطبقه ثم خَتَم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم

---

(١) هذه الفقرة لم ترد فى البداية والنهاية لابن كثير إنما وردت فى تفسيره جـ ٣ ص ٢٢ .

أُتِى بالبُرَاق مُسْرَجاً مُلْجَمًا ، وهو دابة أبيض ، طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، مضطرب الأُذنين ، إذا أتى على جَبَل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يداه ، له جناحان فى فخذيه يحفز بهما رجليه » .

وعند الثعلبي بسَنَد ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما : « له خَدّ كخدّ الإنسان وعُرْف كعُرْف الفَرَس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر » . انتهى . « فاستصعب عليه » وفى رواية « فشَمَس[1] » ، وفى رواية كأنها صَرَّت[2] أُذنيها فَرَزَّها[3] جبريل وقال : مَهْ أبمحمدٍ تفعلين هذا ؟ » وفى رواية : « فوضع جبريل يده على مَعْرَفته ثم قال : « ألا تستحى يا بُرَاق ؟ فوالله ما ركبك خلق » — وفى رواية — « عَبْدٌ لِلّهِ قطّ أكرم على الله منه . فاستحى حتى ارْفَضَّ عَرَقًا ، وقَرَّ حتى رَكِبَها » — وفى رواية — « رَكِبَه . وكانت الأنبياء تركبها قبله » . وقال أنَس بن مالك : « كانت الأنبياء تركبها قبله » . وقال سعيد بن المُسَيَّب ، وأبو سَلَمة ابن عبد الرحمن : « وهى دابة إبراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام » .

فانطلق به جبريل — وفى رواية — فانطلقت مع جبريل . وعند أبى سعيد النيسابورى فى الشرف[4] : فكان الآخذ بركابه جبريل ، وبزمام البُرَاق ميكائيل — وفى رواية : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره . فساروا حتى بلغوا أرضاً ذات نخل . فقال له جبريل : انزل فَصَلِّ ههنا ، ففعل ، ثم ركب . فقال له جبريل : أتدرى أين صَلَّيْت ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ بطَيْبَة وإليها المهاجر . فانطلق البُرَاق يَهْوِى به ، يضع حافره حيث أدرك طرفه . فقال جبريل : انزل فَصَلِّ ، ففعل . ثم ركب . فقال جبريل : أتدرى أين صَلَّيْتَ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ بمَدْيَن عند شجرة موسى . ثم ركب . فانطلق البُرَاق يهوى . ثم

---

(١) شمست الدابة تشمس شموسا وشماسا جمحت ونفرت . وفى هامش ط شمس الفرس منع ظهره فهو شامس وشموس .

(٢) صر يصر صريرا ، صر الفرس ، أو الحمار أذنه وبأذنه نصبها للاستماع .

(٣) فى الأصول : فأدارها جبريل بأذنيها . وفى تفسير ابن كثير فرزها من رز يرز رزا رزها بالراء ثم بالزاى أى أثبتها .

(٤) فى الأصل بالسين المهملة وصوابه المعجمة واسم الكتاب : شرف المصطفى ، ومؤلفه هو أبو سعيد عبد الملك ابن أبى عثمان محمد بن إبراهيم ، النيسابورى من علماء نيسابور ووعاظها وقد صنف أيضا كتاب الزهد وكتاب دلائل النبوة وغير ذلك ترجم له ابن الجوزى فى المنتظم (ج ٧ ص ٢٧٩) فى وفيات سنة ٤٠٦ هـ . وكما ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٨٤ و ١٨٥) غير أنه ذكره فى وفيات سنة ٤٠٧ هـ .

قال : انزل فَصَلِّ . ففعل . ثم ركب . فقال : أتدرى أين صَلَّيْت ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ بطور سينا حيث كَلَّم الله موسى .

ثم بلغ أرضاً بدت له قصوراً . فقال له جبريل : انزل فَصَلِّ . ففعل ، ثم ركب وانطلق البُرَاق يهوى . فقال له جبريل : أتدرى أين صَلَّيْتَ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ ببيت لحم ، حيث وُلِد عيسى . وبينا هو يسير على البُرَاق إذ رأى عِفْرِيتًا من الجنّ ، يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رآه . فقال له جبريل : ألاَ أُعَلِّمك كلمات تقولهن ، فإذا قلتهن طَفِئَتْ شُعْلَتُه وخَرَّ لِفيه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، فقال جبريل : « قُلْ أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامَّات التى لا يجاوزهُنّ بَرٌّ ولا فاجر ، من شَرِّ ما ينزل من السماء ، ومن شَرِّ ما يَعْرُج فيها ، ومن شَرِّ ما ذرَأَ فى الأَرض ، ومن شَرِّ ما يخرج منها ، ومن شَرِّ فِتَن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رَحْمٰن » . / فانكَبَّ لفيه وانطفأَت شعلتُه . ٣٥١ظ

فساروا حتى أَتَوْا على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تُضَاعَف لهم الحَسَنة بسبعمائة ضِعْف ، وما أَنفقوا من شيء فهو يُخْلِفُه . ووجد ريحًا طيبة ، فقال : يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، بينا هى تَمْشُط بنت فرعون إذ سقط المشْط ، فقالت : بسم الله ، تَعِسَ فرعون . فقالت ابنة فرعون : أَوَلَكِ رَبٌّ غير أبى ؟ قالت : نَعَم ، رَبِّى ورَبُّكِ الله . وكان للمرأة ابنان وزوج فأَرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما ، فقال : إنى قاتلكما ، فقالا : إحساناً منك إن قتلتنا أن تجعلنا فى بيت – وفى رواية قالت : إن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قالت : تجمع عظامى وعظام ولدىّ ، فتدفِنَّا جميعا . قال : ذلك لَكِ بما لَكِ علينا من الحق ، فأَمَر بنُقْرَة من نُحَاس فأُحْمِيَت ، ثم أُمِر بها لتُلْقَى فيها هى وأولادُها ، فأُلْقُوا واحداً واحداً ، حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم ، فقال : يا أُمَّه قَعِى ولا تقاعسى فإنك على الحق . قال : وتكلم أربعة [فى المهد][1] وهم صِغَار : هذا وشاهد يوسف وصاحب جُرَيْج وعيسى ابن مريم عليه السلام .

---

(١) إضافة نقلا عن ابن كثير فى تفسيره (جـ ٣ ص ١٥)

ثم أتى على قَوْم تُرْضَخ رءوسُهم ، كلما رُضِخَتْ عادت كما كانت . ولا يفتر عنهم من ذلك شيء . فقال : يا جبريل مَنْ هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تتشاغل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رِقاع وعلى أدبارهم رِقاع ، يَسْرَحُون كما تَسْرَح الإبل والغَنَم . ويأكلون الضَّريع[1] والزَّقُّوم[2] ورَضْف جهنمَ وحجارتها . فقال : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يُؤَدُّون صَدَقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئاً .

وأتى على قوم بين أيديهم لَحْمٌ نضيج فى قدور ، ولَحْمٌ آخر نَيِّئٌ خبيث ، فجعلوا يأكلون من النَّيِّئ الخبيث ويَدَعُون النضيج . فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمَّتِك تكون عنده المرأة الحلال الطَّيِّب ، فيأْتى امرأةً خبيثة ، فيبيت عندها حتى يُصْبِح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طَيِّبًا ، فتأْتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تُصْبِح .

ثم أتى على خَشَبة على الطريق لا يَمُرّ بها ثَوْبٌ ولا شيء إلا خَرَقَتْه . فقال : ما هذا ياجبريل؟ فقال : هذا مثل أقوام من أُمَّتِك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، وتلا : (ولا تَقْعُدوا بكلِّ صِراطٍ تُوعِدُون[3]) ورأى رجلاً يَسْبَح فى نهرٍ من دَم ، يُلْقَمُ الحجارة ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : آكِلُ الرِّبا . وأتى على قوم قد جمع الرجل منهم حِزْمَةً عظيمة لا يستطيع حَمْلَها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمَّتِك تكون عنده أمانات الناس لا يَقْدِر على أدائها ، ويريد أن يَتَحَمَّل عليها .

ثم أتى على قوم تُقْرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرِضت عاد ، لا يَفْتُر عنهم من ذلك شيء ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خُطَباء الفتنة من أمتك يقولون ما لا يفعلون . ومَرَّ بقوم لهم أَظفار من نحاس يَخْمِشون وجوههم وصدورهم ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويَقَعُون فى أعراضهم .

---

(١) فى تفسير القرطبى للآية السادسة من سورة الغاشية : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » (ج ٢٠ ص ٢٩ : ٣٠) إن الضريع نبت ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا فإذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنعه . وعلى هذا عامة المفسرين . ثم أورد القرطبى أقوالا أخرى .

(٢) وردت فى التنزيل فى سورة الواقعة والصافات والدخان . وقال القرطبى فى تفسيرها (ج ١٥ ص ٨٥) إنها مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها .. وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلابد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها ، فيأكلون منها وكذلك يصعد إليها من كان أسفل .

(٣) سورة الأعراف آية ٨٦ .

وأتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها/ فلا يستطيع أن يردها . وأتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة كريح المسك ، ٣٥٢و
وسمع صوتاً ، فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول : يا رب إيتنى بما وعدتنى ، فقد كثرت غُرَفى واستبرقى وحريرى وسندسى ، وعبقرىّ[1] ولؤلؤى ومَرْجانى وفضتى وذهبى ، وأكوابى وصِحَافى وأباريقى ومراكبى وعسلى ومائى ، ولبَنى وَخَمْرِى . قال : لكِ كُلُّ مسلمٍ ومسلمة ومؤمنٍ ومؤمنة ، ومَن آمن بى وبِرُسُلى ، وعمل صالحاً ، ولم يُشرِك بى ، ولم يتخذ من دونى أندادًا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى أعْطيْتُه ، ومن أقرَضنِى جَزيْتُه ، ومن توكل عَلَيَّ كفيْتُه ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أُخلِف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أَحْسَن الخالقين . قالت : قد رَضِيت .

وأتى على وادٍ فسمع صوتًا مُنكرًا ووجد ريحًا مُنتِنة ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يارب إيتنى بما وعدتنى ، فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسَعيرى وحَميمى وضريعى وغسَّاقى وعذابى ، وقد بَعُدَ قعْرِى واشتدّ حَرِّى ، فاتِنِى بما وعدتنى . فقال : لكِ كُلُّ مُشرِكٍ ومُشرِكة ، وكافر وكافرة ، وخبيث وخبيثة ، وكلُّ جَبَّار لا يؤمن بيوم الحساب : قالت : قد رَضِيت .

ورأى الدَّجَّال فى صورته رؤية عين لا رؤيا منام ، فقيل : يا رسول الله كيف رأيته ؟ فقال : « رأيته فيلمانيًا[2] أقمر هجان إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دُرِّىّ ، كأن شعْر رأسه أغصان شجرة ، أُشبِّهُه بعبد العُزَّى بن قطن[3] » . ورأى عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة ، تحمله الملائكة ، فقال : ما تحملون ؟ قالوا : عمود الإسلام ، أُمِرنا أن نضعه بالشام . وبينا يسير إذ دعاه داعٍ عن يمينه : يا محمد ، أَنظِرْنى أسألك . فلم يُجِبْه . فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا داعى اليهود ، أمَا إنك لو أَجَبْته لتهَوَّدت أُمَّتُك . وبينا

---

(١) جاء فى النهاية لابن الأثير (ج ٣ ص ٦٣) العبقرى هو الديباج وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان . وفى التنزيل : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » (سورة الرحمن آية ٧٦) .

(٢) الفيلم كحيدر الرجل العظيم والجبان والعظيم الجمة ، عن القاموس المحيط .

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم مطولا عن النواس بن سمعان ، برواية مختلفة ، انظر النووى على مسلم ج ١٨ ص ٦٣ : ٧٠ .

هو يسير إذ دعاه داعٍ عن شِماله : يا محمد أَنظِرْنى أَسأَلك ، فلم يُجِبْه ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا داعى النصارى ، أَمَا إنك لو أَجَبْته لتنصَّرت أُمَّتُك .

وبينا هو يسير ، إذا بامرأَة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى . فقالت : يا محمد أَنظِرْنى أَسأَلك ، فلم يلتفت إليها ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : تلك الدنيا ، أَمَا إنك لو أَجبتها لاختارت أُمتك الدنيا على الآخرة . وبينا هو يسير فإذا هو بشىء يدعوه متنحيًا عن الطريق ، يقول : هَلُمّ يا محمد ، فقال جبريل ، سِرْ يا محمد ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا عدو الله إبليس ، أَراد أَن تميل إليه . وسار فإذا هو بعجوز على جانب الطريق ، فقالت : يا محمد أَنظِرْنى أَسأَلك ، فلم يلتفت إليها ، فقال : من هذه يا جبريل ؟ قال : إنه لم يبق من الدنيا إلا ما بقى من عُمْر هذه العجوز . وبينا هو يسير إذ لقيه خلق من خلق الله ، فقالوا : السلام عليك يا أَوّل ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال جبريل : اردُدْ السلام ، فرَدّ ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم لقيه الثالثة فقال له مثل ذلك . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : إبراهيم وموسى وعيسى .

ومَرَّ على موسى وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الأَحمر ، رجل طوال سبط آدم كأَنه من رجال شنوءة ، وهو يقول يرفع صوته : أَكرمتَه وفَضَّلْتَه ، فُدِفع إليه ، فسَلَّم عليه فَردّ عليه السلام ، وقال : من هذا معك يا جبريل ؟ فقال : هذا أَحمد ، فقال : مرحبًا بالنبى العربى الذى نصح لأُمته ودعا له بالبركة / وقال : سَلْ لأُمتك اليسر . ٣٥٢ ظ

فساروا فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا موسى بن عمران ، قال : ومن يُعَاتِب ؟ قال : يُعَاتِب رَبّه . قال : أَوَ يرفع صوته على ربه ؟ قال جبريل : إن الله تعالى قد عرف له حِدَّته . ومَرَّ على شجرة كان ثمرها السرح ، تحتها شيخٌ وعياله ، فرأَى مَصَابِيحَ وَضَوْءًا . فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : أَبوك إبراهيم . فسَلَّم عليه فَردَّ عليه السلام . وقال : منْ هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا ابنك أَحمد. فقال: مرحبا بالنبى العربى الذى بَلَّغ رسالة ربه ونَصَح لأُمَّته ، يا بُنىَّ إنك لاقٍ رَبَّك الليلة ، وإن أُمتك آخر الأُمم وأَضعفها ، فإن استطعت أَن تكون حاجتك أَو جُلَّها فى أُمتك فافعل . ودعا له بالبركة .

فسار حتى أتى الوادى الذى فى المدينة يعنى بيت المقدس ، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابى . فقيل : يا رسول الله كيف وجدتها ؟ قال : « مثل الحُمَم » ثم سار حتى انتهى إلى المدينة ، فدخلها من بابها اليمانى ، وإذا عن يمين المسجد وعن يساره نوران ساطعان . فقال : يا جبريل ما هذان النوران ؟ قال : أما الذى عن يمينك فإنه محراب أخيك داود ، وأما الذى عن يسارك فعلى قبر أُختك مريم . فدخل المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر ، فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس ، فوضع أصبعه فيها فخرقها ، فشدَّ بها البُرَاق ، وفى رواية مسلم ، فربطه بالحَلْقَة التى تَرْبُط بها الأنبياء . فلما استوى بها النبى صلى الله عليه وسلم فى صخرة المسجد ، قال جبريل : يا محمد هل سألت ربك أن يُريَك الحور العِين ؟ قال : نعم ، قال جبريل : فانْطَلِقْ إلى أُولئك النسوة فسَلِّمْ عليهن ، وهُنَّ جلوس عن يسار الصخرة ، فانتهى إليهن ، فسَلَّم عليهن ، فرَدَدْنَ عليه السلام . فقال : من أَنْتُنَّ ؟ فقُلْنَ : « خَيْرات حسان[1] » ، نساءُ قوم أبرار ، نقوا فلم يَدْرَنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخُلِّدوا فلم يموتوا .

ثم صَلَّى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثيرون ، فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، ثم أَذَّن مُؤَذِّن وأُقيمت الصلاة ، فقاموا ينتظرون من يَؤُمُّهم ، فأخذ جبريل بيده فقَدَّمه فصَلَّى بهم ركعتين . وفى رواية : ثم أُقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قَدَّموا مُحمدًا . وعند الواسطى عن كعب : فَأَذَّن جبريل ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين ، فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين ، فلما انصرف ، قال جبريل : يا محمد ، أتدرى من صَلَّى خَلْفَك ؟ قال : لا . قال : كُلُّ نبيٍّ بعثه الله تعالى .

وفى حديث أبى هُرَيْرة رضى الله عنه ، عند الحاكم وصَحَّحَه البيهقى : فلقى أرواح الأنبياء ، فأَثْنَوْا على ربهم . فقال إبراهيم : « الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى مُلْكًا عظيماً وجعلنى أُمَّةً قانتا يُؤْتَمّ بى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها علىّ بَرْدًا وسلامًا . ثم إن موسى أثنى على ربه تبارك وتعالى فقال : « الحمد لله الذى كَلَّمنى تكليماً وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى

---

(١) مقتبسة من الآية السبعين فى سورة الرحمن : « فيهن خيرات حسان » .

إسرائيل على يدى ، وجعل من أُمّتى قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون » . ثم إن داود أثنى على ربه فقال : « الحمد لله الذى جعل لى مُلْكًا عظيماً ، وعَلَّمنى الزبور ، وألان لى الحديد ، وسَخَّر لى الجبال يُسَبِّحْن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب » .

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : « الحمد لله الذى سَخَّر لى الريّاح وسَخَّر لى الشياطين والإنس يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وجفانٍ كالجوابى وقدور راسيات ، وعَلَّمنى / منطق الطير وأتانى من كل شئ فضلاً ، وسَخَّر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفَضَّلَنى على كثير من عباده المؤمنين ، وأتانى ملكًا عظيماً لا ينبغى لأحد من بعدى وجعل مُلْكى مُلْكًا طيبًا ليس فيه حساب ولا عقاب » .

٣٥٣ و

ثم إن عيسى بن مريم أثنى على ربه تبارك وتعالى فقال : « الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مَثَلى مَثَل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، وعَلَّمنى الكتاب والحكمة ، والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أُبْرِئُ الأَكمه والأَبرص وأُحْيِى الموتى بإذن الله ، ورفعنى وَطَّهرنى ، وأعاذنى وأُمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل » .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كلكم أثنى على ربه وإنى مُثْنٍ على ربىَّ » ، فقال : « الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين وكافَّةً للناس بشيرًا ونذيرًا ، وأنزل عَلَىَّ الفُرْقَان فيه تِبْيَان كل شىء ، وجعل أُمتى خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجت للناس ، وجعل أُمّتى وَسَطًا ، وجعل أُمّتى هم الأَولون والآخرون ، وشرح لى صدرى ووضع عنى وِزْرى ورفع لى ذِكْرِى وجعلنى فاتحاً وخاتماً » . فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : « بهذا فَضَلَكُمْ محمد صلى الله عليه وسلم » .

ثم تذاكروا أَمْرَ الساعة ، فَرَدُّوا أَمْرَهم إلى إبراهيم فقال : « لا عِلْم لى بها » . فردوا أمرهم إلى موسى فقال : « لا عِلْم لى بها » . فردوا أمرهم إلى عيسى فقال : « أما وَجْبَتُها[1] فلا يعلمها إلا الله ، وفيما عهد إلىَّ ربى أن الدَّجَّال خارج ، ومعى قضيبان ، فإذا رآنى ذابَ كما يذوب الرصاص ، فيهلكه الله تعالى إذا رآنى ، حتى أن الحجر ليقول : يا مسلم إن تحتى كافراً فتعالَ فاقتله ، فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فَعِنْدَ

---

(١) من وجب الشىء يجب وجوبا وجبة ووجبة ، لزم وثبت .

ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حَدْب يَنْسِلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولايمرون على ماء إلا شربوه ، ثم يرجع الناس فيشكونهم إلىّ ، فأدعو الله تعالى عليهم ، فيهلكهم ويُميتهم حتى تحوى الأرض من ريحهم ، فيُنزل الله تعالى المطر ، فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر . ففيما عهد إلىّ ربى أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المُتِمّ لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهارًا » .

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من العطش أشد ما أخذه ، فأُتِى بقدحَيْن أحدهما عن اليمين والآخر عن الشِّمال فى أحدهما لبن والآخرعَسَل ـ وفى رواية أُتِى بآنية ثلاث مُغَطَّاةٌ أفواهها ، فأُتِى بإناء منها فيه ماء فشرب منه قليلاً ، وفى لفظ أنه لم يشرب منه شيئًا ، ثم دُفِع إليه إناءٌ آخر فشرب منه حتى رَوِىَ منه ، ثم دُفِع إليه إناءٌ آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب فقال : « لا أُريده قد رَوِيتُ » . فقال جبريل : « إنها ستُحَرَّم على أُمّتك » . وفى رواية : فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، وفى رواية العسل بدل الماء فشرب من العسل قليلاً ، وتناول اللبن فشرب منه حتى رَوِىَ ، فضرب جبريل منكبيه وقال : « أَصَبْتَ الفِطْرة ، ولو شَرِبْتَ الخمر لغَوَت أُمَّتُكَ ولم يتبعك منهم إلا القليل ، ولو شَرِبْتَ الماء لغرقت أُمّتك » ، وفى رواية فقال شيخ « مُتَّكِئٌ على مِنْبَر له لجبريل : « أخذ صاحِبُك الفِطْرَة ، وإنه لمُهْتَدٍ » . ثم أُتِى بالمعراج الذى تَعْرُجُ عليه أرواح بنى آدم ، فلم ير الخلق أحسن من المعراج ، له مَرْقاةٌ من فضة ومَرْقَاة من ذهب . وفى رواية لأبى سعيد فى شرف المصطفى أنه أُتِى بالمعراج من جَنَّة الفردوس مُنَضَّدٍ باللؤلؤ ، عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ، فصعد هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب / من أبواب السماء الدنيا يُقَال له باب الحَفَظَة وعليه مَلَك يقال له إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ـ وفى حديث جعفر بن محمد عند البيهقى : « يسكن الهواء فلم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط إلا يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم » ، انتهى ـ وبين يديه سبعون ألف مَلَك مع كل مَلَك جنده مائة ألف.

٣٥٣ ظ

فاستفتح جبريل باب السماء : قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أَوَ قد أُرْسِل إليه ؟ ـ وفى رواية : بُعِث إليه ؟ قال : نَعَم ، قيل : مَرْحَبًا به وأهلاً ، حَيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنِعْمَ الأخ ونِعْمَ الخليفة ، ونعْمَ المجئ

جاء . فلما خلصا إلى السماء ، فإذا فيها آدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته ، تُعْرَضُ عليه أَرواح ذريته المؤمنين فيقول : رُوحٌ طَيِّبة ونَفْسٌ طَيِّبَة ، إجعلوها فى علِّيين ، ثم تُعْرَض عليه أَرواح ذريته الكُفَّار ، فيقول : رُوحٌ خبيثة ونَفْسٌ خبيثة ، اجعلوها فى سِجِّين وعن يمينه أسودة وباب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله أَسْوِدة وباب تخرج منه ريح خبيثة ، فإذا نظر عن يمينه ضَحِك واستبشر ، وإذا نظر عن شِماله حزِن وبكى .

فسَلَّم عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مَرْحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أَبوك آدم ، وهذه الأَسودة نَسَمَ بنيه . فأَهل اليمين منهم أَهل الجنة ، وأَهل الشِمال منهم أَهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضَحِك ، وإذا نظر عن شِماله بكى ، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر من يدخله من ذُرِّيته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شِماله باب جهنم ، إذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزِن .

ثم مضى صلى الله عليه وسلم هنيهة ، فإذا هو بأَخْوِنَةٍ عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد ، وإذا بأَخونة عليها لَحْمٌ قد أَرْوَحَ وأَنْتَن ، عنده ناس يأْكلون منه . فقال : يا جبريل مَنْ هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أُمَّتك يتركون الحلال ويأْتون الحرام . وفى لفظ : وإذا هو بأَقوام على مائدة عليها لحم مَشْوِىّ كأحسن ما رُؤِىَ من اللحم ، وإذا حوله جِيَف ، فجعلوا يُقْبِلون على الجِيَف يأكلون منها ويَدَعُونَ اللحم . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزنَاة يُحِلّون ما حَرَّم الله عليهم ويتركون ما أَحَلَّ الله لهم .

ثم مضى هنيهة فإذا هو بأَقوامٍ بطونُهم أَمثال البيوت فيها الحياة تُرَى من خارج بطونهم ، كلما نهض أَحدُهم خَرَّ ، فيقول : اللهم لا تقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون ، فتجئ السابلة فتطؤهم فسمعتهم يَضِجون إلى الله تعالى . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أُمتك (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ[1]) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥

ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوام مَشَافِرُهم كَمَشَافِرِ الإبل ، فتُفْتَح أفواههم ويُلْقَمون حجرًا ، وفى رواية : يُجْعَل فى أفواههم صَخْرٌ من جهنم ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعهم يَضِجون إلى الله تعالى . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يأْكلون فى بُطونِهِم نَارًا وَسَيَصْلَوْن سَعِيرا)[1] ثم مضى هنيهة فإذا هو بنساء مُعَلَّقات بثُدِيِّهِنّ ونساء مُنكَّسات بأرجلهن ، فَسَمِعَهُنَّ يَضْجِجْنَ إلى الله تعالى ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى يزنين ويَقْتُلْنَ أولادهن . ثم مضى هنيهة إذا هو بأقوام يُقْطَع من جنوبهم اللحم فيُلْقَمُونَه ، فيقال له : كُلْ كما كنت تأْكل من لحم أخيك . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الهَمَّازون / من أُمَّتك اللَّمَّازون . ٣٥٤ و

ثم صعدا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به وأهلاً ، حَيَّاه الله من أخٍ ومن خليفة ، فنِعْمَ الاخ ونِعْمَ الخليفة ونِعْمَ المجئ جاء . ففتح لهما . فلما خَلَصا فإذا هو بابْنَىْ الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، شبيه أحدهما بصاحبه : ثيابُهما وشَعْرُهما ومعهما نَفَرٌ من قومهما . وإذا بعيسى جَعْدٌ مربوع الخَلْق إلى الحُمْرَة والبياض سبط الشَّعْر كأنما أُخرِج من ديماس أى حَمَّام شَبَهُه بعُرْوة بن مسعود الثقفى .

فسَلَّم عليهما فردَّا عليه السلام ، ثم قالا : مرحباً بالأَخ الصالح والنبى الصالح ودَعَوَا له بخير .

ثم صعدا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ . قال : محمد . قيل : أوقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأهلاً ، حَيَّاه الله من أخٍ ومن خليفة فنِعْمَ الأَخ ونِعْمَ الخليفة ونِعْمَ المجئ جاء . ففتح لهما فلما خَلَصا فإذا هو بيوسف ومعه نَفَرٌ من قومه فسَلَّم عليه ، فَرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مرحباً بالأَخ الصالح والنبى الصالح ودعا له بخير ،وإذا هو قد أُعْطِىَ شطر الحُسْن ، وفى

---

[1] سورة النساء آية ١٠

رواية أَحْسَن ما خَلَقَ الله ، قد فضل الناس بالحُسْن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب . قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : أَخوك يوسف .

ثم صعدا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبْريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأَهلاً حَيَّاه الله من أَخٍ ومن خليفة ، فنِعْمَ الأَخ ونِعْمَ الخليفة ونِعْمَ المجئُ جاء . فلما خَلَصا فإذا هو بإدريس فقد رفعه الله مكاناً عَلِيًّا ، فسَلَّم عليه فرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مرحباً بالأَخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير .

ثم صعدا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأَهلاً ، حَيَّاه الله من أَخٍ ومن خليفة ، فنِعْمَ الأَخ ونعم الخليفة ونعم المجئُ جاء . ففتح لهما ، فلما خلصا فإذا هو بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء ، تكاد تضرب إلى سُرَّته من طولها ، وحوله قوم من بنى إسرائيل ، وهو يقص عليهم فسَلَّم عليه فرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مرحباً بالأَخ الصالح والنبي الصالح ، ثم دعا له .. فقال : يا جبريل مَنْ هذا ؟ فقال : الرجل المُحَبَّبُ فى قومه هارون بن عمران .

ثم صعدا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأَهلاً ، حَيَّاه الله من أَخٍ ومن خليفة ، فنِعْمَ الأَخ ونِعْم الخليفة ونِعْم المجئُ جاء ، ففتح لهما ، فجعل يَمُرّ بالنبي والنبيين معهم الرهط ، والنبي والنبيين معهم القوم ، والنبي والنبيين ليس معهم أَحد . ثم مَرَّ بوادٍ عظيم قد سَدَّ الأُفُق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له : هؤلاء أُمتك وسوى هؤلاء سبعون أَلفاً يدخلون الجنة بغير حساب . فلما خلصا فإذا بموسى بن عمران ، رجل آدم طوال كأَنه من رجال شنوءة ، كثير الشَّعْر ، لو كان عليه قميصان لنَفَذَ شَعْرُه دونهما .

فسَلَّم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فردَّ عليه السلام ، ثم قال : مرحباً بالأَخ الصالح والنبي الصالح ، ثم دعا له بخير ، وقال : يَزْعُم الناس أَنى أَكرم على الله من هذا ، بل هذا

٣٥٤ ظ أكرم على الله منى . / فلما جاوزه النبي صلى الله عليه وسلم بكى . فقال له : ما يُبْكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بُعِث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل الجنة من أمتى ، ويَزْعُم بنو إسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله . وهذا رجل من بنى آدم خَلَفِى فى دنيا وأنا فى أُخْرَى ، فلو أنه بنفسه لم أُبَالِ ، ولكن معه كل أمته . ثم صعد .

فلما انتهينا إلى السماء السابعة رأى فوقه رعداً وبرقاً وصواعق . فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأهلاً ، حَيَّاه الله من أخٍ ومن خليفة ، فنِعْمَ الأخ ونعم الخليفة ونعم المجئ جاء . ففُتِح لهما فسمع تسبيحاً فى السموات العُلا مع تسبيح كثير : سَبَّحت السموات من ذى المهابة مشفقات ؛ سبحان العَلِيّ الأعلى ، سبحانه وتعالى . فلما خلصا فإذا النبي صلى الله عليه وسلم بإبراهيم رَجُلٌ أشمط ، جالسٌ عند باب الجنة ، على كُرْسِىٍّ مُسْنِدًا ظَهْرَه إلى البيت المعمور ، ومعه نَفَرٌ من قومه ، فَسلَّم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فَرَدَّ عليه السلام ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح وقال : مُرْ أُمَّتَك فلْيكْثِروا من غِراس الجنة فإن تُرْبتها طَيِّبة وأرضها واسعة . فقال له : وما غِراسُ الجَنَّة ؟ قال « لا حول ولا قوة إلا بالله العَلِيّ العظيم » . وفى رواية : « أَقْرِىء أُمَّتَك منى السلام ، وأَخْبِرْهم أن الجنة طيبة التُّرْبة عَذْبة الماء وأن غِرَاسَها ؟ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » . وهو أشبه ولده به ، وعنده قَوْمٌ جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقومٌ فى ألوانهم شىء ، فقال هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء ، فدخلوا نهراً ، فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خَلَصَتْ ألوانُهم فصارت مثل ألوان أصحابهم . فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال : يا جبريل مَنْ هؤلاء البيض الوجوه ومَنْ هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء وما هذه الأنهار التى دخلوها ؟ فقال : أما هؤلاء البيض الوجوه فقومٌ لم يَلْبِسوا إيمانَهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما هذه الأنهار فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً[1])

---

(١) سورة الإنسان آية ٢١ .

وقيل له : هذا مكانك ومكان أمتك ، وإذا هو بـأُمَّتِه شطرين : [شطر] عليهم ثياب كأنها القراطيس ، وشطر عليه ثياب رُمْد[1] ، فدخل البيت المعمور ، ودخل معه الذين عليهم الثياب الرُّمْد وهم على خير ، فصَلَّى ومَنْ معه من المؤمنين فى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، آخر ما عليهم ، ثم خرج ومن معه .

وفى حديث عند الطبرانى بسَنَد صحيح : « مَرَرْتُ ليلة أُسْرِى بى على الملأ الأَعلى فإذا جبريل كالحِلْس البالى من خشية الله ، وفى رواية عند البزار « كأنَّه حِلْس لاطىء[2] » . انتهى ، ثم أُتِى بإناءٍ من خَمْر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل ، فشرِب اللبن ، فقال جبريل : اختارت أُمَّتُك الفِطْرة[3] ، وفى رواية : هذه الفطرة التى أنت عليها وأُمَّتُك . ثم رُفِع إلى سِدْرة المنتهى ، وإليها ينتهى ما يعرض من الأَرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط من فوق فيقبض منها . وإذا هى شجرةٌ يخرج من أَصلها أَنهارٌ من ماءٍ غَيْرآسِن ، وأَنهارٌ من خَمْر لَذَّةً للشاربين ، وأَنهارٌ من عسل مُصَفًّى ، يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لا يقطعها . وإذا نَبِقُها / مِثْلُ قِلال هَجَر ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، تكاد الورقة تُغَطِّى هذه الأَمة ، وفى رواية : الورقة منها مُغَطِّيَةٌ للأَمة كلها . وفى لفظ عند الطبرانى : الورقة منها تُظِل الخلق ، على كل ورقة مَلَك ، تغشاها أَلوان لا يُدْرَى ما هى ، فلما غَشِيَها من أَمر الله تعالى ما غشيها تغيَّرت ، وفى رواية : تحولَّت ياقوتًا وزبرجداً فما يستطيع أَحَدٌ أَن ينعتها من حُسْنها ، فيها فَرَاشٌ من ذهب ، وفى رواية يلوذ بها جرادٌ من ذهب .

٣٥٥ و

فقيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كل أَحد من أمتك خلا[4] على سبيلك ، وإذا فى أَصلها أَربعة أَنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : أَما

---

(١) فى الأصول « رمة » وصوابها رمد ، جاء فى النهاية لابن الأثير (ج ٢ ص ١٠٢) : وفى حديث المعراج : وعليهم ثياب رمد ، أى غبر فيها كدورة كلون الرماد ، واحدها أرمد .

(٢) الحلس هو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب ، ومنه الحديث : كن حلسا من أحلاس بيتك » أى ملازما له فى الفتنة . ولا طىء من لطى يلطى لطيا كسمى لزق بالأرض ولم يكد يبرح .

(٣) يلى ذلك فى رواية لحديث : هديت وهديت أمتك .

(٤) من خلا عليه أى اعتمد عليه كما فى النهاية (ج ١ ص ٣٢٠) ولكن شرحها محققو نهاية الأرب (ج ١٦ ص ٢٨٩) : خلا على سبيلك أى مضى على طريقتك وسنتك .

الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفُرَات . وفى رواية : فإذا فى أصلها عَيْنٌ تجرى يقال لها السلسبيل ، ينشقّ منها نهران : أَحدهما الكوثر ، يَطَّرِد عَجَاجاً مثل السَّهْم ، عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعليه طيورٌ خُضْر أَنعم طير ، رأَى فيه آنية الذهب والفضة ، تجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ، ماؤه أَشد بياضاً من اللبن ، فأَخذ من آنية ، فاغترف من ذلك الماء ، فشرِب فإذا هو أَحلى من العسل ، وأَشدّ ريحاً من المسك ، فقال له جبريل : هذا هو النهر الذى حباك به رَبُّك ، والنهر الآخر نهر الرحمة فاغْتَسِل فيه ، فغُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأَخَّر .

وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أَنه صلى الله عليه وسلم رأَى جبريل عند السدرة له ستمائة جناح ، جناحٌ منها قد سَدَّ الأُفُق ، تتناثر من أَجنحته التهاويل : الدرّ والياقوت مما لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى . ثم أَخذ على الكوثر حتى إذا دخل الجنة فإذا فيها ما لا عَيْنٌ رأَت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطَر على قلب بَشَر ، فرأَى على بابها مكتوباً : الصَّدَقَة بعشر أَمثالها ، والقَرْض بثمانية عشر . فقال : يا جبريل ما بالُ القرض أَفضل من الصدقة ؟ قال : لأَن السائل يسأَل وعنده ، والمُسْتقرِض لا يسأَل إلا من حاجة . فاستقبلته جارية فقال : لمن أَنتِ يا جارية ؟ فقالت : لزيد بن حارثة .

ورأَى الجَنَّة من دُرَّة بيضاء وإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ . فقال : يا جبريل ، إنهم يسأَلونى عن الجنة . فقال : أَخبِرهم أَنها قيعان تُرَابُها المسك ، وسمع فى خارجها وَجْساً[2] ، فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : بلال المؤذن . فسار فإذا هو بأَنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأَنهار من خَمْر لَذَّةً للشاربين ، وأَنهار من عَسَل مُصَفًّى ، وإذا رُمَّانها كالدِّلاء ، وفى رواية : وإذا

---

(١) فى النهاية : جنابذ من لؤلؤ وهى جمع جنبذة وهى القبة . وفى شرح الزرقانى على المواهب (ج ٦ ص ٩٠) : الجنبذة ما ارتفع من البناء فارسى معرب والجنابذ القباب ويؤيده ما فى التفسير لسورة الكوثر عن البخارى من طريق قتادة عن أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ . وفى تاج العروس . الجنبذة وقد تفتح بالباء ما ارتفع من الشىء واستدار كالقبة وهو فارسى معرب . ومع ذلك لم نعثر عليه فى المعرب للجواليق ولا فى شفاء الغليل للخفاجى ولا فى الألفاظ الفارسية المعربة لإدى شير الكلدانى .

(٢) الوجس : الصوت الخفى وفى النهاية : دخلت الجنة فسمعت فى جانبها وجسا فقيل : هذا بلال .

فيها رُمّان كأنّه جلود الإبل المُقَتَّبة ، وإذا بطيرها كالبَخَاتى[1] . فقال أبو بكر : يا رسول الله إن تلك الطير لناعمة . قال : أَكَلَتُها أنعم منها وإنى لأرجو أن تأْكل منها[2] . وبينا هو يسير بنهر على حافتيه الدرّ المُجَوَّف ، وإذا طينة مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هو الكوثر .

ثم عُرِضت عليه النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، ولو طُرِح فيها الحجارة والحديد لأَكلتها ، فإذا قوم يأْكلون الجِيَف ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأْكلون لحوم الناس . ورأى رجلاً أحمر أزرق فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا عاقر الناقة . ورأى مالك خازن النار ، فإذا رجل عابِس يُعْرَف الغضب فى وجهه ، فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام ، ثم أُغْلِقت دونه ، ثم رُفِع إلى سدرة المنتهى ، فغشيها / من أنوار الخلائق ومن أنوار الملائكة أمثال الغربان حين يَقَعْن على الشجرة وينزل على كل ورقة مَلَك من الملائكة فغشيها سحابة من كل لون . ٣٥٥ ظ

وفى حديث أن جبريل قال له : إن رَبَّك يُسَبِّح . قال : وما يقول ؟ قال : يقول : « سُبوحٌ قُدوس ، رَبّ الملائكة والروح ، سبقت رحمتى غضبى » . فتأخر جبريل ، ثم عَرَج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف[3] الأقلام . ورأى رجلاً مُغَيَّبًا فى نور العَرْش ، فقال : مَنْ هذا ؟ مَلَك ، قيل : لا ، قال : نبى ، قيل : لا ، قال : من هو ؟ قيل : هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رَطْبٌ من ذِكْر الله ، وقلبه مُعَلَّق بالمساجد ، ولم ينتسب لوالديه قط ، فرأى ربه سبحانه وتعالى ، فَخَرَّ النبى صلى الله عليه وسلم ساجداً ، وكَلَّمه ربه تعالى عندذلك . فقال له : يا محمد . قال : لَبَّيْك يا رب . قال : سَلْ . فقال : إنك اتخذتَ إبراهيم

---

(١) البخاتى والبخت كما فى المصباح نوع من الإبل الواحد بختى مثل روم وروى والأنثى من الإبل بختية والجمع بخت وبخاتى ويخفف ويثقل وفى التهذيب وهو أعجمى معرب . وفى النهاية البختية الأنثى من الجمال البخت والذكر بختى وهى جمال طوال الأعناق وتجمع على بخت وبخاتى واللفظة معربة .

(٢) أضاف الزرقانى (جـ ٦ ص ٩٠ و ٩١) فى شرحه لهذا الحديث : وفى عرضها عليه كرامة عظيمة لأنه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (التوبة آية ١١١) فأراد الله أن يعاين نبيه ما يعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة .

(٣) فى النهاية لابن الأثير : أسمع صريف الأقلام أى صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ (جـ ٢ ص ٢٦٠)

خليلاً ، وأعطَيْتَه مُلْكًا عظيماً وكَلَّمْتَ موسى تكليماً ، وأَعْطَيْتَ داود مُلْكًا عظيماً وسَخَّرْتَ له[1] الجنّ والإنس والشياطين وسَخَّرْتَ له الرياح وأعطيته مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده . وعَلَّمْتَ عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلتَه يُبْرِئُ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك ، وأَعَذْتَه وأمَّه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل .

فقال الله سبحانه وتعالى : قد اتخذتُك حبيبًا . قال الراوى : وهو مكتوب فى التوراة : حبيب الله . وأرسلتُك للناس كافةً بشيراً ونذيراً ، وشَرَحْتُ لك صدرك ، ووضعتُ عنك وِزْرَك ، ورفعتُ لك ذِكْرَك ، لا أُذْكَر إلا وذُكِرْتَ معى ، وجعلتُ أمتك أمَّةً وَسَطًا ، وجعلتُ أمتك هم الأولون والآخرون ، وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبُهم أناجيلُهم ، وجعلتك أوَّلَ النبيين خَلْقًا وآخِرَهم بعثًا ، وأوَّلَهم يُقْضَى له ، وأَعْطَيْتُكَ سبعاً من المثانى لم أُعْطِها نبيًّا قبلك ، وأعطيتُك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عَرْشى لم أُعطِها نبيًّا قبلك ، وأعطيتُكَ الكوثر ، وأعطيتُك ثمانية أسهم : الإسلام والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأنى يوم خلقتُ السموات والأرض ، فَرَضْتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقُمْ بها أنت وأمتك .

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَضَّلَنى ربى : أرسلنى رحمةً للعالمين ، وكافَّةً للناس بشيراً ونذيراً ، وألقى فى قلوب عَدُوِّى الرُّعْبَ من مسيرة شهر ، وأُحلَّ لى الغنائم ، ولم تَحِلّ لأحدٍ قبلى ، وجُعِلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُعْطِيت فواتح الكَلِم وخواتمه وجوامعه ، وعُرِضَتُ على أُمتى فلم يَخْفَ علىَّ التابع والمتبوع ورأيتهم على قوم ينتعلون بالشَّعْر ، ورأيتهم أتوْا على قوْمٍ عِرَاض الوجوه صِغار الأعين كأنما أُخْرِمَتْ أَعْيُنهم بالمَخِيط فلم يَخْف عَلَىَّ ما هم ، لا قوِىٌّ من بعدى ، وأُمِرْت بخمسين صلاة » . انتهى . وأُعْطِى ثلاثاً : أنه سَيِّد المُرْسَلين وإمام المُتَّقين وقائد الغُرّ المُحَجَّلين .

وفى حديث ابن مسعود : أُعْطِى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يُشْرِك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمات[2] .

---

(١) لعل هذه العبارة فى الأصل : وسخرت لسليمان ، حيث أن تسخير الجن والرياح كان لسليمان عليه السلام .

(٢) فى رواية لحديث عبد الله بن مسعود : « من لقى الله لا يشرك به شيئا غفر له المقحمات » أى الذنوب العظام التى تقحم أصحابها فى النار أى تلقيهم فيها ، نقلا عن النهاية لابن الأثير جـ ٣ ص ٢٣١ .

٣٥٦ و ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده / جبريل ، فانصرف سريعاً ، فأتى على إبراهيم ، فلم يقل شيئاً ، ثم أتى على موسى ، قال : ونعم الصاحب كان لكم ، فقال : « ما صنعت يا محمد ؟ ما فَرَضَ عليك رَبُّك وعلى أمتك ؟ » قال : « فَرَضَ عَلَيَّ وعلى أُمتى خمسين صلاة كل يوم وليلة » . قال : « فارْجع إلى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أُمتك ، فإن أُمتك لا تُطِيق ذلك ، فإنى قد خَبَرْتُ النَاسَ قبلك وبَلَوْتُ بنى إسرائيل وعالجتُهم أشدَّ المعالجة على أدنى من هذا فضَعُفُوا وتركوه ، فأُمتك أضعف أجساداً وأبداناً وقلوباً وأبصاراً وأسماعاً » . فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل يستشيره ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فرجع سريعاً حتى انتهى إلى الشجرة ، فغشيته السحابة ، وخَرَّ ساجداً .

وقال : « رَبِّ خَفِّف عنا » ، وفى لفظ : « عن أُمتى فإنها أضعف الأُمم » . قال : « قد وضعت عنك خمساً » ، ثم انجلت السحابة ، ثم رجع إلى موسى فقال : « وضع عنى خمساً » . قال : « ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أُمتك لا تُطِيق ذلك » . فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه ، يَحُطُّ عنه خمساً خمساً ، حتى قال : « يا محمد » ، قال : « لبَّيْك وسَعْدَيْك» قال : « هُنَّ خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عَشْرٌ ، فتلك خمسون صلاة لا يُبَدَّلُ القولُ لدىّ ولا ينْسخُ كِتَابِى تَخْفِيفَها عنك كتخفيف خمس صلوات ، ومن هَمَّ بحَسَنَةٍ فلم يعملها كُتِبَتْ له عَشْرًا ، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فإن عملها كُتِبت سيئة واحدة » . فنزل حتى انتهى إلى موسى ، فأخبره فقال : « ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تُطيق ذلك » . قال له : « قد راجعتُ ربى حتى استحييتُ منه ولكن أرضى وأُسَلِّم » . فناداه منادٍ أن « قد أَمْضَيْتُ فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى »[1] .

و ال له موسى : « اهبط بسم الله » . ولم يَمُرَّ على الملأ من الملائكة إلا قالوا له : « عليك بالحِجَامة[2] » . وفى لفظ : « مُرْ أُمَّتَك بالحِجامة » . ثم انحدر ، فقال جبريل : « مالى لم آت لأهل السماء إلا رَحَّبوا بى وضحكوا إلىّ ، غير واحد سَلَّمْتُ عليه فرَدَّ السلام ورَحَّب بى ودعا لى ، ولم يضحك إلىّ . قال : قال : « مالك خازن النار ، لم يضحك منذ خُلِق ،

(١) الحديث بطوله فى صحيح البخارى كتاب المناقب باب المعراج جـ ٥ ص ١٤٥ : ١٤٨ رقم ٣٧٠) عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه : إن أمثل ماتداويتم به الحجامة ، كتاب الطب باب الحجامة من الداء حديث رقم ١٨ . صحيح البخارى جـ ٧ ص ٢٢٧ .

ولو ضحك لأحد لضحك إليك » . فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر أسفل منه ، فإذا هو بِرَهَجٍ ودُخَان ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم ، لا يتفكرون فى ملكوت السموات والارض ، ولولا ذلك لَرَأَوْا العجائب .

ثم ركب منصرفاً ، فمرَّ بِعير لقريش بمكان كذا وكذا ، منها جَمَلٌ عليه غرارتان . غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى العير نَفَرت واستدارت وصرخ ذلك البعير وانكسر ، ومَرَّ بعِيرٍ قد ضَلُّوا بَعيراً لهم قد جمعه فلان ، فسَلَّم عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد .

ثم أتى أصحابه قبيل الصبح بمكة ، فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تُكَذِّبه ، فقعد حزيناً ، فمَرَّ عليه عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شئ ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أُسْرِىَ بى الليلة . قال : إلى أين ؟ قال: إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . فلم يَرَ أنه يُكَذِّبه مَخافةَ أن يَجْحَدَه الحديث إن دعا قومه إليه . قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟ قال : نعم ، قال يا معشر بنى كعب بن لؤى .

فانفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما . فقال : حَدِّث قومك بما حَدَّثتَنى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى أُسْرِىَ الليلة بى » . قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس / ، قالوا : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، فمن بين مُصَفِّق ومن بين واضع يده على رأسه مُتَعَجِّبًا ، وضَجُّوا وأعظموا ذلك . فقال المُطْعِم بن عدِىّ : كُلُّ أَمْرِك قبل اليوم كان أَمَمًا[1] غير قولك اليوم ، أنا أشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مُصْعِدًا شهراً ومنحدراً شهراً[2] ، أتَدَّعى أنت أنك أتيتَه فى ليلة ؟ واللَّاتِ والعُزَّى لا أُصدقك .

٣٥٦ظ

---

(١) الأمم محركة . القرب واليسير والبين من الأمر ، عن القاموس المحيط .

(٢) وفى رواية : فقال أبو جهل : ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا ، وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرا ومقفلة شهرا فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة . عن أبى سعيد الخدرى فى تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣ .

فقال أبو بكر لمُطْعِم : بِئْسَ ما قلت لابن أخيك ، جَبَهْتَه وكَذَّبْتَه ، اما أنا فأشهد أنه صادق . فقالوا : يا محمد صِفْ لنا بيت المقدس ، كيف بناؤه وكيف هيئته ؟ وكيف قُرْبُه من الجبل ؟ وفى القوم من سافر إليه . فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئتَه كذا ، وقُرْبَه من الجبل كذا ، فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه النَّعْت فكُرِب كَرْباً ما كُرِب مثله ، فجئ بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وُضِع دون دار عقيل أو عُقال ، فقالوا : كم للمسجد من باب ؟ ولم يكن عَدَّها ، فجعل ينظر إليه ويَعُدُّها باباً باباً ، ويُعْلِمهُم ، وأبو بكر يقول : صَدَقْتَ صَدَقْتَ ، أشهد أنك رسول الله . فقال القوم : أمّا النعت فوالله لقد أصاب .

ثم قالوا لأبى بكر : أفتُصَدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصْبح ؟ قال : نعم إنى لأُصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك ، أُصَدِّقه بخبر السماء فى غُدْوَةٍ أو رَوْحة . فبذلك سُمِّى أبو بكر الصديق . ثم قالوا : يا محمد أَخْبِرْنا عن عِيرِنا . فقال : « أَتَيْتُ على عِير بنى فلان بالرَّوْحاء قد ضَلُّوا ناقةً لهم ، فانطلقوا فى طلبها ، فانتهيتُ إلى رحالهم ، فليس بها منهم أحد ، وإذا قَدَحُ ماءٍ فشربت منه ، ثم انتهيت إلى عِير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أَوْرَق عليه مِسْح أسود وغرارتان سوداوان وها هى ذه تطلع عليكم من الثَّنِيَّة » . قالوا : فمتى تجىء ؟ قال : يوم الأربعاء . فلما كان ذلك اليوم ، انصرفت قريش ينظرون وقد وَلَّى النهار ، ولم تجىء . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ، فزيد له فى النهار ساعة ، وحُبِست عليه الشمس ، حتى دخلت العِير ، فاستقبلوا الليل . فقالوا : هل ضَلَّ لكم بعير ؟ قالوا : نعم . فسألوا العِير الأُخَر فقالوا : هل انكسر لكم ناقة حمراء ؟ قالوا : نعم . قالوا : فهل كان عندكم قصعة من ماء ؟ فقال رجل : أنا والله وضعتُها فما شربها أحد ، متأَوِّلاً أُهْرِيقت فى الأرض . فرمَوْه بالسحر ، وقالوا : صَدَق الوليد ، فأنزل الله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) .

فائدة : أخرج ابن مَرْدَويه عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منذ أُسْرِىَ به ريحُه ريحُ عروس وأطيب من ريح عروس . شعر :

ساد الأنامَ محمدٌ خَيْرُ الورَى بفضائل جَلّتْ عن الإحصاء
وجوامعِ الكَلِمِ التى ما نالها أحَدٌ من الفُصَحاء والبُلَغاء
وإلى الخلائق كُلِّهم إرسالُه فشَفَى القلوبَ الجَمَّةَ الأدواء
وله الشفاعةُ والوسيلةُ فى غد ومَقامُه السّامى على الشُّفَعاء
ويجىءُ يومئذ كما قد قالَهُ أنا راكبٌ والرُّسْلُ تحت لِوَائى
ولقد دنا من رَبِّه لما دنا فى ليلةِ المِعْراج والإسراء
٣٥٧و سَمِع الخِطَابَ بحَضْرةٍ قُدْسِيَّةٍ ما حَلَّها بَشَرٌ من العظماء /
وبرؤية الجَبّارِ فازَ ويالَها من نِعْمَة عَظُمَتْ على النَّعْمَاء
ما نال موسى والخليلُ ومُجْتَبَى ما نِلْتَهُ يا سَيِّدَ الشُّفَعاء
يا كَنْزَ مُفْتَقِرٍ ومَلْجأً عائذٍ يا أفْضَلَ الأجوادِ والكُرَماء
أنْتَ الوَسيلةُ للإله فَسَلْ لنا عَفْواً عن الزَّلّاتِ والأهْواء
ودخولِنا الجَنّاتِ أوَّلَ وَهْلَة وشفاعةً للمُفْسِدِ الخَطّاء
بِكَ نَسْتَغِيثُ ونَسْتَجيرُ ونَلْتَجى من ذى البلاء وفتنةِ الأهواء
ونَرومُ فَضْلاً من جنَابكَ سَيِّدى وشَفَاعةً يا سَيِّدَ الشُّفَعاء
فإليك سَاقَ [الله] سُحْبَ صِلاتِهِ وجزاكَ رَبُّ النّاسِ خيرَ جزاء
وعلى صحابَتِكَ الرِّضَى مُتَعَدِّداً والآلِ والأتباع والعُلَماء .

ولله دَرُّ البوصيرى حيث قال مخاطباً للذات الشريفة :

سَرَيْتَ من حَرَمٍ ليلاً إلى حَرَمٍ كما سَرَى البَدْرُ فى داجٍ من الظُّلَمِ
وَبتَّ تَرْقَى إلى أن نِلْتَ مَنْزِلَةً من قابَ قَوْسَيْنِ لم تُدْرَك ولم تُرَمِ
وقَدَّمَتْكَ جميعُ الأنبياء بها والرُّسْلُ تَقْدِيمَ مَخْدُوم على خَدَم
وأنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بهم فى مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صَاحِبَ العَلَم
حَتّى إذا لم تَدَعْ شَأْواً لمُسْتَبِقٍ من الدُّنُوِّ ولا مَرْقَىً لِمُسْتَنِمِ

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالإضافَةِ إذ [نُودِيتَ] بالرَّفعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

كَيْمَا تَفُوزَ بوَصْلٍ أىِّ مُسْتَتِرٍ عن العيونِ وسِرٍّ أىِّ مُكْتَتَمِ

فحُزْتَ كُلَّ فَخَار غَيْرِ مُشْتَرِكٍ وحُزْتَ كُلَّ مَقَام غَيْرِ مُزْدَحَمِ

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ من رُتَب وعَزَّ مِقْدَارُ ما أُولِيتَ من نِعَمِ

بُشْرَىَ لنا مَعْشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا من العنايةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ

لمّا دعا اللهُ داعينا لطاعتِه يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

الباب التاسع

فى تنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المِعْراج

الأول : قال ابن المنير : كانت كرامته صلى الله عليه وسلم فى المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله : « بينا أنا » . وفى حق موسى عليه الصلاة والسلام عن ميعاد واستعداد فَحُمِلَ عنه صلى الله عليه وسلم أَلَمُ الانتظار . ويؤخذ من ذلك أن مَقَام النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى مقام موسى مقام المُرَاد بالنسبة إلى مقام المريد .

الثانى : قال ابن دحية فى قوله : « فُرِج سَقْفُ بيتى » ، يقال : لِمَ لم يدخل من الباب مع قوله تعالى (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا[1]) ، فالحكمة فى ذلك المبالغة فى المناجاة ، والتنبيه على أن الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد ، ولعل كونَه فرج عن سقف بيته توْطئة وتمهيد لكونه فُرِج عن صدره ، فأَراه المَلَك ، بإفراجه عن السقف فالتأم السقف على الفَوْر ، كَيْفِيَّةَ ما يُصْنَع به ، وقَرَّب له الأَمر فى نفسه / بالمآل المُشَاهَد فى بيته لُطْفًا فى حقه وتبييناً لبَصَره ، ولعله فُرِج عن سقف بيته حتى لا يَعْرج المَلَك ، وقد جاء فى هذا الأَمر المهم العظيم على شئٍ سواه ، فانصَبَّ له من السماء انصبابةً واحدة [وهى] خَرْق الحِجاب .

٣٥٧ظ

ولو أنه جاء على العادة من الباب لاحتاج أن يَلِج صَحْنَ الدار ، ثم يَعْرُج إلى البيت الذى هو فيه وقال الحافظ : قيل الحكمة فى نزوله عليه من السقف المبالغة فى مفاجأَته بذلك والتنبيه على أن المراد منه أن يَعْرُج به إلى جهة العُلُوّ .

الثالث : الرجلان اللذان كان النبى صلى الله عليه وسلم نائماً بينهما تلك الليلة : حمزة وجعفر رضى الله عنهما ، نَبَّه عليه الحافظ . قال ابن أبى جمرة : وفى هذا تواضعه صلى الله عليه وسلم وحُسْنُ خُلُقِه ، إذ أنه فى الفضل حيث هو ، ومع ذلك كان يضطجع مع الناس

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

ويقعد معهم ، ولم يجعل لنفسه المُكَرَّمة مَزِيَّةً عليهم ، وفيه دليل على جواز نوم جماعة فى موضع واحد ، ولكن يشترط فى ذلك أن يكون لكل واحد منهم ما يَسْتُر به جَسَده عن صاحبه .

الرابع : تقدم فى أبواب صفاته الكلام على شَقّ الصَّدْر وخاتم النبوة والطست والذهب وزمزم .

الخامس : فى الكلام على جبريل وفيه فوائد .

الفائدة الأُولى : فى لغات اسمه وهى إحدى وعشرون : الأُولى : جِبْرِيل بكسر الجيم والراء وياء ساكنة وهى قراءة نافع وأَبى عمرو وابن عامر ، وحَفْص عن عاصم وهى لغة الحجازيين . الثانية : جَبْرِيل كذلك إلا أنه بفتح الجيم وهى قراءة ابن كثير . الثالثة : جَبْرَءِل كذلك إلا أنه بزيادة همزة مكسورة بعد الراء وحذف الياء وهى قراءة أَبى بكر عن عاصم . الرابعة : جَبْرَئِيل كذلك إلا أنه بزيادة ياء بعد الهمزة وهى قراءة حمزة والكسائى ولغة تميم وقيس وكثير من أهل نجد كما قاله الفَرَّاء . الخامسة : جَبْرَايِل كذلك إلا أنه بزيادة أَلف بعد الراء وهى رواية حمزة ونعيم بن سعيد وغيرهما عن الأَعمش ورواية أبان بن تَغْلِب - بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام - وأبان بن يزيد العطار من رواية الثلاثة : بَكَّار ويونس وعُبَيْد ، عنه كلاهما عن عاصم وأَبو رجاء وأَبو غَزْوان عن طلحة ذكره الأَهوازى . السادسة : جِبْرائيل كذلك إلا أنه بكسر الجيم على وزن إسرائيل ، وهى إحدى الروايات عن عكرمة ورواها عنه الزبير ، وقرأً بها ابن صدقة عن يحيى ذكره ابن عيسى . السابعة : جَبْراءِل بفتح الجيم والراء وهمزة بدون ياء ، وفى رواية رزين وابن قيس وابن خُثَيْم وأَبى عمران وإسماعيل عن الحسن وغيرهم وإسحق بن سويد بخلاف عنه والحسن الرازى[1] عن أَصحابه وأَحمد بن يزيد وهى إحدى الروايات عن عكرمة أيضاً . الثامنة : جبرايل كذلك إلا أنه بياء ساكنة بدل الهمزة على الجمع بين التقاء الساكنين

(١) هو الحسن بن شعيب أبو على الرازى روى القراءة عرضا عن الفضل بن شاذان وروى القراءة عنه عرضا عبد الرحيم ابن محمد الحسناباذى . انظر غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (جـ ١ ص ٢١٥ : ٢١٦ رقم ٩٨٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ م)

وهى قراءة طلحة بن مَصْرف اليامى[1]. التاسعة : جَبْرَييل بفتح الجيم والراء وياءين أولهما مكسورة والثانية ساكنة وهى إحدى الروايتين عن ابن مُحَيصِن[2] ويحيي بن يَعْمُر وأبان ابن يزيد العطار عن عاصم . العاشرة : جبرئيّل كذلك إلا أنه بهمزة عِوَض الياء الأُولى وتشديد اللام وهى إحدى الروايات عن ابن مُحَيْصِن ويحيي بن يعمر وأبان بن يزيد العطار عن عاصم . الحادية عشرة : جَبْرِءِلّ كذلك إلا أنه بحذف الياء بعد الهمزة وقرئ بها شاذاً .

٣٥٨و الثانية عشر : جَبْرَيْل بفتح الجيم / والراء وياء ساكنة لا غير ، وهى قراءة محمد بن طلحة ابن مَصْرَف[3] وابن مُحَيْصِن فى إحدى الروايات عنه . الثالثة عشر : جبرإل كذلك إلا أنه بهمزة بدل الياء مُشَدَّدَة مكسورة ولام لا غير ، وقد نقلها أبو عمر الدانى فى المُجْتَبى فى الشواذ عن ابن يَعْمُر أيضاً . الرابعة عشرة : جَبْرَال بفتح الجيم والراء وألف ولام لا غير . الخامسة عشرة : جِبْرال كذلك إلا أنه بكسر الجيم . السادسة عشرة : جَبْرِين بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنه ونون بدل اللام . السابعة عشرة : جِبْرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم . قال الفَرَّاء هى لغة بنى أسد . الثامنة عشرة : جَبْرَئِين بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة ونون ، نقلها ابن الأنبارى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان . التاسعة عشرة : جِبْرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم نقلها ابن الجوزى وبرهان الدين الجَعْبَرِى . العشرون : جَبْرَئيل بفتح الجيم والراء وهمزة ساكنة بعدها ياء . الحادية والعشرون : جبراييل على وزن ميكاييل ، نقل جميعَ ذلك الإمام العَلاَّمة محب الدين بن شيخ الحساب والفرائض الإمام العالم العَلاَّمة شهاب الدين بن الهائم فى الغُرَر ، ومن خَطِّه نقلت .

الفائدة الثانية : قال فى الروض [الأُنُف] : « ومعنى جبريل : عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفاً ومرفوعاً[4] أيضاً والوقف

---

(١) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامى الكوفى تابعى كبير له اختيار فى القراءة ينسب إليه كانوا يسمونه سيد القراء توفى سنة ١١٢ هـ – غاية النهاية جـ ١ ص٣٤٣ رقم ١٤٨٨ .

(٢) فى الأصول ابن محيض وقد أصلحناها أيضاً فيما بعد وهو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى المكى مقرئ أهل مكة وكان نحويا قرأ القرآن على ابن مجاهد ، توفى سنة ١٢٣ هـ بمكة – غاية النهاية جـ ٢ ص ١٦٧ رقم ٣١١٨ .

(٣) لم يكن لطلحة بن مصرف الذى سبق أن ذكره المؤلف ولد اسمه محمد من علماء القراءات إذ لا توجد له ترجمة فى غاية النهاية إلا إذا كان يقصد محمد بن طلحة الإشبيلى وهو الوحيد ممن اسمه محمد بن طلحة فى غاية النهاية (جـ ٢ ص ١٥٧) .

(٤) الحديث الموقوف فى مصطلح الحديث : مطلقه يختص بالصحابى ولايستعمل فيمن دونه إلامقيدا وقد يكون =

أَصَحّ . وأكثر الناس أن آخر الاسم منه أعجمى وهو « إيل »[1] ، وكان شيخنا يعنى ابن العربى يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة فى كلام العجَم يقولون فى « غُلام زيد » . زيد غلام فعلى هذا يكون « إيل » عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى[2] .

قلتُ : روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن المنذر عن عِكْرِمة ، وأبو الشيخ عن على بن الحسين قالوا : اسم جبريل عبد الله وميكائيل عُبَيْد الله ، وكل شىء راجع إلى « إيل » فهو مُعَبَّد لله عزّ وجلّ ، زاد على [بن الحسين] : وإسرافيل عبد الرحمن ، زاد عِكرمة : « والإيل » : الله .

قال الماوردى : « ولا يُعْلَم لابن عباس مخالف فى ذلك » ، وقال السهَيْلى : « إنه قول الأكثر » . وقال الشيخ شهاب الدين الحلبى رحمه الله تعالى فى شرح الشاطبية[3] : « اختلف الناس فى هذا الاسم هل هو مشتق أم لا ؟ والذى عليه الجمهور لا اشتقاق لها » . وقال آخرون : بل هو مشتق من جبروت الله تعالى .

وكذلك اختلفوا فيه هل هو اسم بسيط لا تركيب فيه أو هو مُرَكَّب ؟ فإن جَبْر» معناه « عَبْد » ، « وإيل » هو اسم البارى تعالى وقد قيل ذلك فى إسرافيل ، ثم اختلفوا فى تركيبه ، هل هو مُرَكَّب تركيب إضافة أو تركيب مَزْج ؟ فذهب بعضهم إلى الأول ، ورُدَّ بأنه كان ينبغى أن يُعْرب إعراب المتضايفَيْن ، فيجرى الأول منهما مجرى الإعراب ،

= إسناده متصلا وغير متصل ؛ أى هو المروى عن الصحابة قولا أو فعلا أو تقريرا متصلا أو منقطعا ولا يقال فيما جاء عن التابعى موقوف إلا مقيدا . وهذا النوع من المرويات يسمى أثرا . أما ما كان عن النبى صلى الله عليه وسلم فيسمى خبراً ؛ والمرفوع هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا عنه سواء كان متصلا أو منقطعا أو مرسلا . أنظر الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير ص ٣٤ و ٣٥ .

(١) إيل فى اللغة العبرية معناها الإله ، وجبريل رجل الإله .

(٢) يقع هذا النص فى الروض الأنف جـ ١ ص ١٥٥ من طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م

(٣) الشاطبية هى القصيدة اللامية المسماة بحرز الأمانى ووجه التهانى من نظم الإمام العلامة القاسم بن فيرة بن خلف الأندلسى الشاطبى الذى توفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ . هذا ولم نجد بين شارحى الشاطبية ممن ذكرهم ابن الجزرى فى كتابه النشر جـ ١ ص ٦٣ و ٦٤ شارحا اسمه شهاب الدين الحلبى . والحلبى الوحيد فى غاية النهاية فى طبقات القراء الكتاب الآخر لابن الجزرى هو أبو طاهر محمد بن ياسين البزار يعرف بالحلبى إمام محقق أخذ الروايات عرضا عن أبى الفرج الشنبوذى وغيره ، توفى سنة ٤٢٦ هـ فلعله هو ، انظر غاية النهاية جـ ٢ ص ٢٧٦ رقم ٣٥٢٣ .

ويجرى الثانى ويُنَوَّن ، إذ لا مانع له من الصَّرْف ، كما انصرف « إلّ » فى قول من جعله اسما لله تعالى من قوله عَزَّ وجَلّ : (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤمِنٍ إلاًّ وَلَا ذِمَّةً)[1] وهذا كما تقول : جاءنى عبدُ الله ، ورأيتُ عبدَ الله ومَرَرْتُ بعبدِ الله . وذهب آخرون كأبى العباس المهدوى إلى أنه مُرَكّب تركيب مزج كبعلبك وحضرموت ، وهذا قريب إلا أن بعضهم رَدَّ عليه بأنه كان ينبغى أن يُبْنَىَ الأول على الفتح ليس إلا ، وأنت كما رأيتَهم / يكسرون الراء فى بعض اللغات . ورَدَّ عليه بعضُهم أيضاً بأنه لو كان مُرَكَّبًا تركيب مَزْج لجاز أن يُعْرَب إعراب المتضايفين أو يُبْنَى على الفتح كأحد عشر ، فإنه مركب تركيب مزج يجوز فيه هذه الأوجه ، فكونه لم يُسْمَع فيه البناءُ ولا جريانه جريان المتضايفين دليلٌ على عدم تركيبه تركيب مَزْج . وهذا الردّ مردود لأنه جاء على أحد الجائزين ، واتفق أنه لم يستعمل إلا كذلك . انتهى[2] .

٣٥٨ظ

قال السهيلى : « واتفق فى اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجمياً ، فإن الجَبْر هو إصلاح ما وَهَى ، وجبريل مُوَكَّلٌ بالوَحْى ، وفى الوحى إصلاح ما فَسَد وجَبْرُما وَهَى من الدين ، ولم يكن هذا الاسم معروفاً بمكة ولا بأرض العرب ، فلما أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسأل مَنْ عنده عِلْمُ الكتاب كعَدَّاس ونسطور الراهب وورقة . فقالوا لها : قُدُّوس قُدُّوس أَنَّى لهذا الاسم أن يُذْكَر فى هذه البلاد » كما تَقَدَّم بيانُ ذلك .

الفائدة الثالثة : فى بعض فضائله : ذكره تعالى فى كتابه فى خمسة وثلاثين مَوْضِعاً بالصريح وغيره ، وذكره باسمه فى ثلاثة مواضع : فى البقرة فى مَوْضِعَيْن (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ[3]) ، (مَنْ كَانَ عَدُواً لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ[4]) ، والثالث فى التحريم (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ[5]) ، وذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠ فسرها ابن كثير (جـ ٢ ص ٣٣٨) عن ابن عباس الإل : القرابة والذمة والعهد .

(٢) انظر فى هذا الموضوع الزبيدى فى تاج العروس .

(٣) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٨ .

(٥) سورة التحريم آية ٤

فى أربعة مواضع الأول والثانى والثالث فى آل عمران (فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فى المِحْرَابِ[1]) . وهو جبريل وحده بدليل قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ[2]) ، (إِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ[3]) والرابع فى النحل : (يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ[4]) يعنى جبريل والرُوح الوَحْى . وذُكِر بلفظ الروح فى ثمانية مواضع بلفظ الروح مُطْلَقاً ، وبإضافته إلى نفسه وبإضافته إلى القدس وهو الطهارة ، وبوصفه بالأمانة ، فقال : (تَعرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ[5]) يعنى جبريل (تَنَزَّلُ المَلاَئِكة وَالرُّوحُ فِيهَا[6]) ، (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا[7]) ، (وأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ[8]) وفى المائدة (إِذْ أَيَّدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ[9]) وفى النحل (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ[10]) ، وفى الشعراء (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ[11]) ، ووصفه فى موضع واحد بسبع صفات جميلة وهى : الرسالة والكرم والقوة والقُرْبَة والمكانة وطاعة الملائكة والأمانة ، وذلك فى سورة التكوير فى قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول كَرِيم ، ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ[12])

وروى أبو الشيخ فى العَظَمة عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « « أقربُ الخَلْق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل وإنهم من الله بمسيرة ألف سنة » . وروى أبو الشيخ عن وَهْب . قال : هؤلاء الأربعة أملاك : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت ، أوَّل مَنْ خلقهم الله من الملائكة وآخر من يُميتُهم ، وأول من يُحْيِيهم وهم المدبرات . وروى أبو الشيخ عن خالد بن أبى عمران قال : جبريل أمين الله تعالى إلى رُسُله ، وميكائيل يُلقِى الكتب التى ترفع من أعمال الناس وإسرافيل بمنزلة الحاجب .

وروى أبو الشيخ عن عكرمة بن خالد أحد التابعين أن رجلاً قال : يا رسول الله أى

---

(١) آل عمران آية ٣٩ — (٢) آل عمران آية ٤٢ — (٣) آل عمران آية ٤٥

(٤) النحل آية ٢ — (٥) المعارج آية ٤ — (٦) سورة القدر آية ٤

(٧) سورة مريم آية ١٧ — (٨) سورة البقرة آية ٨٧ كما وردت فى الآية ٢٥٣ بنفس السورة .

(٩) سورة المائدة آية ١١٠ — (١٠) سورة النحل آية ١٠٢

(١١) سورة الشعراء آية ١٩٣ و ١٩٤ — (١٢) سورة التكوير الآيات ١٩ و ٢٠ و ٢١ .

الملائكة أكرم على الله ؟ قال : لا أدرى فجاءه جبريل فقال : يا جبريل أى الملائكة أكرم على الله ؟ قال : لا أدرى ، فعَرَج جبريل ، ثم هبط فقال : جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت ، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين / وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة ، وأما مَلَك الموت فهو مُوَكَّل بقبض روح كل عبد فى بَرٍّ أو بَحْرٍ ، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم .

٣٥٩و

التنبيه السادس : فى لغات ميكائيل وهى سبع : الأُولى وهى الأفصح : ميكال بوزن ميقات وميعاد وبها قرأ أبو عمرو[1] . الثانية : مكائيل بهمزة فياء وهى قراءة نافع . الثالثة : ميكائيل بياءين وهى قراءة باقى السبعة . الرابعة : ميكئيل بهمزة بعد الكاف فمُثَنَّاة تحتية وهى قراءة ابن مُحَيْصِن . الخامسة : كذلك [أى ميكئل] إلا أنه لا ياء بعد الهمزة وبها قَرَأ بعضُهم . السادسة : ميكاييل بياءين صريحتين بعد الألف وبها قرأ الأعمش . السابعة : ميكاءِيْل بهمزة مفتوحة بعد الألف .

التنبيه السابع : فى الكلام على البُرَاق ، وهو بضمّ المُوَحَّدة وتخفيف الراء مُشْتَقٌّ من البَرِيق فقد جاء فى لونه أنه أبيض أو من البَرْق[2] لأنه وُصِف بسرعة السَّيْر أو من قولهم: شاة بَرْقاء إذا كان خلال صوفها الأبيض طاقات سوداء ، ولا ينافيه وَصْفُه فى الحديث بالبياض لأن البَرْقاء من الغَنَم مَعْدُودةٌ فى البيض . وفى حديث أبى هُرَيْرة رضى الله عنه عند أحمد والحارث[3] : « أبْرِقوا فإنّ دَمَ عَفْرَاء أزْكَى عند الله من دَمِ سَوْدَاوَيْن[4] » ،

---

(١) هناك كثير من القراء من كنيتهم أبو عمرو والأرجح أن المؤلف يقصد أشهرهم وهو عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ترجم له ابن الجزرى ترجمة مطولة فى كتابه غاية النهاية (جـ ١ ص ٥٠٣ : ٥٠٥ رقم ٢٠٩١)

(٢) أورد ابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ٧٤) هذين الرأيين فى اشتقاق كلمة براق إذ قال : سمى بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته شبه فيهما بالبرق غير أن الدميرى فى حياة الحيوان (جـ ١ ص ١٠٧) قال بأن الكلمة مشتقة من البرق الذى يلمع فى الغيم كما روى فى حديث المرور على الصراط فنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفرس الجواد .

(٣) لعله الحارث بن محمد بن أبى سلمة التميمى صاحب المسند توفى سنة ٢٨٢ هـ . انظر ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ رقم ١٦٤٤ .

(٤) أورد المؤلف كلمة : أفضل بدلا من أزكى وآثرنا إثبات نص الحديث كما أورده كل من الزمخشرى فى الفائق (جـ ١ ص ٧٥) وابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ٧٤) وقال الأول فى شرحه « : أى ضحوا بالبرقاء وهى الشاة التى تشق صوفها الأبيض طاقات سود » ، والعفراء التى يضرب لونها إلى بياض من عفرة الأرض . وزاد ابن الأثير شرحا آخر جاء فيه : وقيل معناه : اطلبوا الدسم والسمن من برقت له إذا دسمت طعامه بالسمن .

فجعل البَرْقاء مقابلة السوداوَيْن تفضيلاً للبياض ، فلهذا يكون البُرَاق أفضل الألوان ، ويجوز أن يجْمَع بين المعنيَيْن فيُسَمى بُرَاقا لِلَوْنِه ولسرعة مسيره فيكون ذلك من قبيل مُجْمَلِ اللفظ المُشترَك دفعةً واحدة فى اللفظ ويُحْتمَل ألا يكون مُشتقاً .

قال ابن أَبِي جَمْرَة : وإنما كان ركوب النبي صلى الله عليه وسلم على البُرَاق إشارة إلى أن الاختصاص به لأنه لم يُنْقَل أن أحداً مَلَكَه بخلاف جنسه من الدوابّ . قال : والقُدْرة صالحة لأن يَصْعَد بنفسه بغير بُرَاق ، لكن كان البُرَاق بشارةً له فى تشريفه ، لأنه لو صَعِد بنفسه لكان فى صورة ماشٍ ، والراكب خلاف الماشى . وقال ابن دِحْيَة : رُبَّما مُزِجَ خَرْقُ العادة بالعادة تأْنيساً ، وقد كان الحَقُّ قادراً على أن يرفع نَبِيَّه صلى الله عليه وسلم بدون البُرَاق ، ولكن الركوب وصِفَة المركوب المُعْتَاد تأْنيس فى هذا المقام العظيم بِطَرَف من العادة ، ولعل الإسراء بالبُرَاق إظهارٌ للكرامة العُرْفِيَّة ، فإن المَلِك العظيم إذا استدعى وَلِيًّا له وخِصِّيصاً به ، وأشخصه إليه بَعَثَ إليه بمركوبٍ سَنِيٍّ ، يحمله عليه فى وفادته إليه . ولم يكن البُراق بشكل الفَرَس ولكنه بشكل البَغْل ، وكان ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ للإشارة إلى أن الركوب فى سَلْم وأَمْن لا فى حربٍ وخَوْف ، أو لإظهار المعجزة فى الإسراع العجيب من دابة ما يوصف شكلها بالإسراع الشديد عادةً .

فإن قيل : فقد ركب النبي صلى الله عليه وسلم البغلةَ فى الحرب ، فالجواب : كان ذلك لتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام فى مواطن الضرب والطعن والانتشاب فى نَحْر العدو ، ولِمَا كان الله تعالى خَصَّه بمزيد من الشجاعة والقوة . وإلا فالبغال عادةً من ركوب الطمأْنينة والأَمَنَة[1] ، فَبَيَّنَ أن الحرب عنده كالسِّلْم قُوَّةُ قلب وشجاعةُ نَفْس ، وثِقَةٌ وتَوَكُّل . وركبت الملائكة فى الحرب على الخَيْل لا غير لأنها بصدد ذلك عُرْفاً دون غيرها من المركوبات . ولَطُف شكل البراق لما وصفه ، عن شكل البغل : وما لَطُف من البغال واستدار أَحْمَدُ وأَحْسَن من المُطَهَّمات[2] منها ، وذلك بخلاف الخيل .

---

(١) من أمن يأمن أمنا وأمانا وأمانة وأمنة. وفى الحديث : النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد و أنا أمنة « لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون .. انظر النهاية لابن الأثير (جـ ١ ص ٤٤) .

(٢) من طهم الشىء ضخم وطهم الشىء ضخمه ، وفى النهاية (جـ ٣ ص ٤٩) المطهم المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الأضداد .

٣٥٩ظ ولم يُسَمِّ الله سبحانه وتعالى / سَيْرَ البراق برسوله صلى الله عليه وسلم طيراناً ، وإنما سَمَّاه بما يُسَمَّى به السير المعتاد وسير الليل عند العرب سُرَى ، فيؤخذ من هذا أن الوَلِيّ إذا طُويت له الأرض البعيدة فى الساعة الواحدة يتناوله اسم المسافر ، ويشمله أحكام السَّفَر باعتبار القَصْر والفِطْر[1] . وإنما لم يُذْكَر البُرَاق فى الرجوع لأن ذلك معلوم بذكره فى الصعود ، كقوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُم الحَرَّ[2]) يعنى والبرد .

قال فى فتح الصفا : فإن قيل : هَلاَّ كان الإسراء على أجنحة الملائكة والريح كما كانت تحمل سليمان عليه الصلاة والسلام أو الخطوة كطَيّ الزمان ؟ قلت المراد إطلاعه على الآيات الخارقة للعادة ، وما يتضمَّن أمراً عجيباً ، ولا عَجَب فى حَمْل الملائكة أو الريح بالنسبة إلى قَطْعةِ هذه المسافة ، بخلاف قَطْعِها على دابّة فى هذا الحجم المَحْكِيّ عن صفتها ، ووقع من تعظيمه بالملائكة ما هو أعظم من حَمْله على أجنحتها فقط . فقد أخذ جبريل برِكَابه وميكائيل بزِمام البُرَاق ، وهما من أكابر الملائكة ، فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حَمْلُ البراق ، وما هو كَحَمْلِ البُراق من الملائكة وهذا أتَمّ فى الشرف .

واختلفت الأقاويل فى صفته ، فنُقِل عن ابن عباس رضى الله عنهما ما ذُكِر . وقال صاحب الاحتفال : إنه دون البغل وفوق الحمار ، وَجْهُه كوجه الإنسان ، وجَسَدُهُ كجَسَد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذَنَبُه كذَنَب الغزال . وقال غيره : جَسَدُه كجسد الإنسان وذَنَبُه كَذَنب البعير وعُرْفُه كعُرْف الفَرَس وقوائمه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البَقَر وصَدْرُه ياقوتة حمراء وظَهْرُه دُرَّة بيضاء ، له جناحان فى فخذيه وهذا كله لم يَصِحّ منه شيء ، وما ذكره عن ابن عباس أمثلها ، ولعل السِّرّ فى كونهما فى فخذيه لثِقَل مُؤَخَّر الدابَّة ، أو لأن ذلك جارٍ على هذا الأمر فى خَرْق العادة ، أو لأجل الراكب ، لأنهما لو كانا فى جنْبَيه على العادة لكانا تحت فَخْذَىْ الراكب أو فوقهما ، ويَحْصُل له من ذلك مشقَّة بضَمِّهما ونشرهما خصوصاً مع السرعة العظيمة .

---

(١) القصر فى الصلاة والفطر للمسافر ، وفى التنزيل : (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (سورة النساء آية ١٠١) وقصرت الصلاة بالبناء للمفعول فهى مقصورة وفى حديث السهو : أقصرت الصلاة أم نسيت وفى لغة يتعدى بالهمزة والتضعيف ، انظر المصباح المنير ، والنهاية ج ٣ ص ٢٥٧ .

(٢) سورة النحل آية ٨١ .

وفى بعض الآثار أنه ليس بذَكَر ولا أُنْثَى ، فاقتضى ذلك أن يكون مُفْرَداً بالخَلْق بهذه الصِفة من غير توليد ، وقد قال تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَىْء خَلَقْنَا زَوْجَيْن[1] » ونقل الشيخ سعد الدين أن الملائكة الكِرَام لا ذكور ولا إناث إلى آخر ما ذكره . وفى أثر آخر أن جبريل خاطبه خطاب المؤنث .

واخْتُلِفَ فى الحكمة فى استصعاب البُرَاق ، فقال ابن بَطَّال : إنما استَصْعَب عليه لبُعْدِه بركوب الأنبياء قبله ، ويُؤَيِّده ما فى المبتدأ لابن إسحق رواية وَثِيمَة بن موسى فى ذكر الإسراء ، « فاستصعب البراق وكانت الأنبياء تركبها قبلى » وكانت بعيدة العهد بركوبهم فلم تكن رُكِبَتْ فى الفترة[2] .

وقال ابن دحية وابن المنير : « إنما استصعب تيهاً وزَهْوَاً بركوب النبي صلى الله عليه وسلم » ، وأراد جبريل بقوله : أبمحمد تستصعب ؟ استنطاقه بلسان الحال إذ أنه لم يقصد الصعوبة ، وإنما تاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال : فارْفَضَّ عَرَقًا ، فكأنه أجاب بلسان الحال ، فبَرِئَ من الاستصعاب ، وعرق من خَجَل العِتاب ، وذلك قريب من رجفة الجَبَل به حتى قال له : اثبت فإنما عليك نَبِىٌّ وصِدِّيق وشهيد ، فإنها هِزَّة طَرَب لا هِزَّة غضب ، كما سيأتى الكلام على ذلك مبسوطاً فى المعجزات . قال الشيخ قاسم بن قَطْلُوبُغا[3] الحنفى رحمه الله تعالى : ولا يَبْعُد أن يقال إنما كان استصعابه فَرَقًا من هيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التنبيه الثامن : قال الحافظ : من الأخبار الواهية أن البُرَاق لما عاتبه جبريل عليه السلام اعتذر إليه البراق بأنه مَسَّ الصَّفْرَاء[4] / اليوم ، وأن الصفراء صَنَمٌ من ذهب عند ٣٦٠و

---

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ .

(٢) الفترة هى الفاصل الزمنى بين بعث عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

(٣) هو العلامة زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودونى الحنفى تتلمذ على ابن حجر العسقلانى وكانت له مشاركة فى علوم الحديث والفقه والأصول ، ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ترجمة مطولة (ج ٦ ص ١٨٤ : ١٩٠ رقم ٦٣٥) أورد فيها ثبتا ضافيا بمؤلفاته التى لم يطبع منها سوى كتيب فى طبقات الأحناف اسمه تاج التراجم اطلعنا عليه ، كما ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (ج ٧ ص ٣٢٦) فى وفيات سنة ٨٧٩ هـ .

(٤) جاء فى الروض الأنف ج ١ ص ٢٤٥ : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق : لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه ما مسها إلا أنه مر بها فقال تبا لمن يعبدك من دون الله وما مسها إلا لذلك وذكر هذه الرواية أبو سعيد النيسابورى فى شرف المصطفى فالله أعلم .

باب الكعبة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ به فقال : « تَبًّا لمن يعبدك من دون الله » ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نَهَى زيد بن حارثة أن يمسَّه بعد ذلك ، وكسره يوم الفتح . وقال فى الزهر : هذا لا ينبغى أن يُذْكَر ولا يُعْزَى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الإمام أحمد — روى عنه ابنُه عبد الله أنه قال : « هو موضوع » وأنكره جداً .

التنبيه التاسع : قال الحافظ : من الأخبار الواهية ما ذكره الماوردى والثعلبي والقرطبي فى التذكرة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الموت والحياة جسمان ؛ فالموت ليس يجد ريحَه [فى] شىء إلا مات ، والحياة فَرَس بلقاء أنثى وهى التى كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمرّ بشىء ولا يجدريحَها شَىْءٌ إلا حَيِيَ .

التنبيه العاشر : اختُلِف فى ركوب جبريل على البراق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى القول به هل ركب أمام النبي صلى الله عليه وسلم أم خَلْفَه ؟ فعند الإمام أحمد عن حُذَيْفَة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِى بالبراق فلم يزايل ظَهْرَه هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس . وفى رواية عنه عند ابن حِبَّان أن جبريل حَمَله على البراق رديفاً له ، وفى لفظ فركِبَه خَلْفَ جبريل فسار بهما . وفى حديث أبي ليلى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه ، رواه الطبرانى . وفى حديث ابن مسعود ، رَفَعَهُ[1] : « أُتِيتُ بالبراق فركِبْتُه خَلْفَ جبريل » . والصحيح أنه كان مُعَدًّا لركوب الأنبياء قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . —

وروى الفاكهى بسند حسن عن على رضى الله عنه قال : « كان إبراهيم يزور إسماعيل وأُمَّه على البراق » . وفى حديث أبي سعيد رضى الله عنه : « وكانت الأنبياء تركبها قبلى » . رواه البيهقى وغيره . وقال أنس رضى الله عنه : « وكانت تُسَخَّر للأنبياء قبلى » ، رواه النسائى وابن مَرْدَويه . وقال سعيد بن المُسَيَّب وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن : « أَسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم على البُراق ، وهى دابَّة إبراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام » ، رواه ابن جرير .

---

(١) أى أنه حديث مرفوع والحديث المرفوع هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قولا ، أو فعلا عنه سواء كان متصلا أو منقطعا أو مرسلا ونفى الخطيب أن يكون مرسلا فقال : هو ما أخبر فيه الصحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير (ص ٣٤ و ٣٥) .

التنبيه الحادى عشر : قوله فى حديث ابن عَبَّاس رضى الله عنهما : « وتكلم أربعةٌ وهم صغار » فذكر ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم . وروى الشيخان من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » ، فذكر عيسى وصاحب جريج وابن الماشطة . وفى حديث مسلم عن صُهَيْب رضى الله عنه فى قصة أصحاب الأُخدود : أن امرأةً جيء بها لتُلْقَى فى النار [أو](1) لتَكْفُر ومعها صبىّ يرضع فتقاعست فقال : يا أُماه اصبرى فإنك على الحَقِّ . وفى رواية عند ابن قتيبة : إنه كان ابن سبعة أشهر . وروى الثعلبى عن الضحاك أن يحيى بن زكرياء تكلم فى المهد وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم فى المهد . وفى سير الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما وُلِد . وقد تكلم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة كما سيأتى فى المعجزات ، فهذه عشرة ، وتقدم نَظْمهم فى أبواب المولد ، وسيأتى الكلام على ذلك مبسوطاً فى المعجزات . وإذا عُلِم ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » ، قاله قبل أن يعلم الزيادة على ذلك .

التنبيه الثانى عشر : ذُكِر فى القصة نزوله صلى الله عليه وسلم عن البُرَاق وصلاتُه بعِدَّة مواضع كما هو مذكور فى القصة . وقال حُذَيْفة رضى الله عنه : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزايل ظَهْرَ البراق هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس » . قال الحافظ : « وهذا لم يُسْنِده حُذَيْفة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيُحْتَمَل أنه قاله عن اجتهاد » . قلتُ : ويدل على ذلك إنكارهُ رَبْط البراق والصلاةَ فى بيت المقدس ، مع ورود الأحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع ذلك كما سيأتى .

التنبيه الثالث عشر : أنكر حُذَيفة رضى الله عنه رَبْطَ البُرَاق ، فروى الإمام أحمد والترمذى عنه أنه لما قيل له : رَبَط البراق قال : أَيَخَافُ أن يفرّ منه وقد سَخَّره له عالِم الغيب والشهادة ؟ قال البيهقى والسهيلى : والمُثْبِت مُقَدَّمٌ على النَّافِى ، يعنى من أثبت رَبْطَ البراق فى بيت المقدس معه زيادة عِلْم على مَنْ نَفَى ، فهو أولى بالقبول . قال الإمام النووى :

---

(١) إضافة يقتضيها السياق

وفى ربط البراق الأَخذ بالاحتياط فى الأُمور وتعاطى الأَسباب ، وأَن ذلك لا يَقْدَح فى التَّوَكُّل إذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى . وقال السهيلى : وفى هذا من الفقه التنبيه علىْ الأَخذ بالحزم مع صِحَّة التوكل وأَن الإيمان بالقَدَر كما رُوِى عن وَهْب بن مُنَبِّه لا يمنع الحَزْم من تَوَقِّى المهالك ، قال وهب : وَجَدْتُه فى سبعين كتاباً من كتب الله القديمة ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « اعْقِلْها وتَوَكَّلْ »[1] . فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأَنه قد سُخِّر له كإيمانه بِقَدَر الله تعالى وعِلْمِهِ بأَنه قد سبق فى أم الكتاب ما سبق ، ومع ذلك كان يتزود فى أَسفاره ، ويُعِدّ السلاح فى حروبه ، حتى لقد ظَاهَرَ بين دِرْعَين فى غزوة أُحُد ورَبْطُه البراق من هذا الفن .

التنبيه الرابع عشر : فى بعض فضائل بيت المقدس وفيه فوائد : الأُولى : فى مبدأ خَلْقه : روى أَبو بكر الواسطى عن على رضى الله عنه قال : كانت الأَرض ماءً ، فبعث الله تعالى ريحًا فمسحت الماء مَسْحًا ، فظهرت على الأَرض زَبَدَة[2] فقَسَّمها أَربع قِطَع ، خلق من قطعة مكة ومن أُخرى المدينة ومن أُخرى بيت المقدس ومن أُخرى الكوفة . وتقدم حديث أَبى ذَرّ فى الباب الأَول من أبواب بعض فضائل بلده المنيف فراجِعْه . وروى الإمام أَحمد والنَّسائى وابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأَل رَبَّه خِلالاً ثلاثاً فأَعطاه إياها : سأَله حكماً يصادف حكمه فأَعطاه إياه وسأَله مُلْكًا لا ينبغى لأَحَد من بَعْدِه فأَعطاه إياه ، وسأَله أَيُّما رجلٌ خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد يعنى بيت المقدس خرج من خطيئته كيوم وَلَدَتْه أُمُّه » . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد أَعطاه ذلك » .

وروى ابن أَبى شيبة والواسطى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « إن بيت المقدس لَمُقَدَّس فى السموات السبع بمقداره فى الأَرض » وروى الواسطى عن عطاء الخراسانى

---

(١) رواه الترمذى ، واعقلها من عقل يعقل عقلا ، عقل البعير ضم رسغ يده إلى عضده وربطهما معا بالعقال ليبقى باركا ، ورواية السهيلى : قيدها وتوكل .

(٢) « زبدة » هكذا فى الأصول ، والزبد بفتحتين من البحر وغيره كالرغوة ، ولعلها هنا محرفة عن « ربوة »

قال : « لما فرغ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام من بناء بيت المقدس أنبت الله شجرتين عند باب الرحمة أحدهما تُنْبت الذهب والأُخرى تُنْبِت الفِضَّة ، فكان كل يوم تُنْزَع من كل واحدة مائة رطل ذهب وفِضَّة ، ففُرِشَ المسجد ، بلاطة ذهباً وبلاطة فضة . فلما جاء بختنصرٌ خَرَّبه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة فطرحهما برومية » .

وروى الواسطى عن سعيد بن المُسَيَّب رحمهما الله تعالى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس فَرَّغ له عشرة آلاف من قُرَّاء بنى إسرائيل : خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأْتى ساعةٌ من ليل أو نهار إلا والله تعالى يُعبْد فيه . وروى الواسطى عن كعب الأَحبار أَن سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء المسجد خَرَّ ساجداً شكراً لله وقال : « يا رَبِّ مَنْ دخله من خائف فأَمِّنْه أَو من داع فاسْتَجِبْ له أَو مُسْتَغْفِر فاغْفِرْ له » ، فأَوحى الله تعالى إليه : « إنى قد أَجَبْتُ لآل داود الدعاء » . قال : فذبح أَربعة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا بنى إسرائيل إليه .

والآثار فى هذا كثيرة ، وقد ذكر المؤرخون فى عمارته وما فيه من الجواهر والمعادن واليواقيت فى سمائه وأَرضه وجدرانه ما تعجز عنه ملوك الدنيا . فلما دخل بختنصر خَرَّبه وأَخذ تلك النفائس التى فيه ، وذِكْرُ ذلك هنا ليس من غرضنا . الثانية : فى بعض فضله ، قال الله سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ[1]) وهذه الآية هى المُعَظِّمة لقدره بإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه قبل عروجه إلى السماء وإخبار الله تعالى بالبركة حوله . وتقدم الكلام على ذلك . وقال تعالى : (ونَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ[2]) .

روى أَبو المعالى المشرف بن المُرَجَّى المقدسى فى فضائله عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه قال : « الجَنَّةُ تَحِنُّ إلى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جَنَّة الفِرْدَوْس » . وروى الواسطى عن مكحول قال : « من صَلَّى فى بيت المقدس ظهراً وعصراً ومَغْرِباً وعِشاءً ، ثم صَلَّى الغَدَاةَ خرج من ذنوبه كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّه » .

---

(١) من الآية الأولى من سورة الإسراء

(٢) سورة الأنبياء آية ٧١ .

وروى أيضاً عن كعب قال : « فى بيت المقدس ، اليوم فيه كألف يوم وشَهْرٌ فيه كألف شهر والسَّنَةُ فيه كألف سنة ، ومن مات فيه كأنما مات فى السماء » . وروى الحاكم عن أبى ذَرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى بيت المقدس لنِعْمَ المُصَلَّى ، وليوشكن ألا يكون للرجل مثل بَسْط فَرْشِهِ من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خَيْرٌ له من الدنيا وما فيها » . وروى الواسطى عن كعب قال : « إن الله تعالى ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مَرَّتَيْن » . والآثار[1] فى فضله كثيرة .

٣٦١و الثانية : فى أسمائه : الأول : المسجد الأقصى وتقدم / الكلام عليه . الثانى : مَسْجِد إيلياء بوزن كِبْرِياء . وحكى البكرى[2] وغيره[3] قَصْرَ أَلِفهِ ، وحكى ابن يونس فى شرح التعجيز . وابن الأثير فى النهاية[4] بتشديد الياء . وحكى صاحب المطالع وغيره حذف الياء الأولى وكَسْر الهمزة وسكون اللام والمَدّ ، قال محمد بن سهل الكاتب : معنى إيلياء بيت الله . وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى مُسْنَد أبى يَعْلَى : « الإيلا » بالألف واللام ، قال النووى : وهو غريب[5] . الثالث والرابع : « بَيْتُ المَقْدِس » بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال مُخَفَّفَة ، « والبَيْتُ المُقَدَّس » بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة . قال الواحدى : « معناه المُطَهَّر » ، قال : أبو على المقدسى : « وأما بيت المقدس يعنى بالتخفيف فلا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً ، فإن كان مصدراً كان كقوله

---

(١) الآثار جمع أثر والأثر فى مصطلح الحديث ما كان مرويا عن الصحابى أما ما كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمى خبرا وعلى ذلك فالحديث الموقوف يعد أثرا . ويقول ابن كثير فى الباعث الحثيث (ص ٣٥) : ومن هذا يسمى كثير من العلماء الكتاب الجامع لهذا وهذا (أى الخبر والأثر) بالسنن والآثار ككتابى السنن والآثار للطحاوى والبيهقى .

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى ج ١ ص ٢١٧ : إيلياء مدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات : مد آخره وقصره : إيلياء وإيليا وقصر أولها : إلياء .

(٣) فى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٣٩٢ : إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله ، وحكى الحفصى فيه القصر وفيه لغة ثالثة حذف الياء الأولى .. قال أبو على : وقد سمى البيت المقدس إيلياء بقول الفرزدق : وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف .

(٤) جاء فى النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ أن ابن عمر رضى الله عنهما أهل بحجة من إيلياء وأضاف أن إيلياء بالمد والتخفيف اسم مدينة بيت المقدس وقد تشدد الياء الثانية وتقصر الكلمة وهو معرب .

(٥) هذا النص ابتداء من صاحب المطالع نقله المؤلف عن تهذيب الأسماء واللغات للنووى (القسم الأول من اللغات ص ٢٠) ولكنه أدخل فيه عبارة محمد بن سهل الكاتب المنقولة عن معجم البكرى .

تعالى : (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا[1]) ونحوه من المصادر ، وإن كان مكاناً فالمعنى بيت المكان الذى جعل يه الطهارة أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره على معنى إخلائه من الأصنام وإبعاده منها » ، وقال الزَّجَّاج : « البيت المُقَدَّس أى المكان المُطَهَّر ، وبيت المَقْدِس أى المكان الذى يُطَهَّر فيه من الذنوب ، هذا ما ذكره الواحدى » ، وقال غيره : « البيت المُقَدَّس وبيت المَقْدِس لغتان الأولى على الصفة والثانية على إضافة الموصوف إلى صفته كصلاة الأولى ومسجد الجامع .

قال ابن سُرَاقة : « ويقال الأرض المقدسة ثلاثة : فَلَسْطِين – بفاء مفتوحة فلام مفتوحه – والأردن – بهمزة مضمومة فراء ساكنة فدال مهملة مضمومة فنون ، قال البكرى : مُشَدَّدَة – ودمشق ، وهو ما أدرك بَصَرُ إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين رُفِع على الجبل وقيل له : « ما أدرك بَصَرُك فهو ميراث لك ولولدك من بعدك » .

الخامس : بيت القُدُس : بضم الدال وإسكانها بغير ميم ، ذكره الحازمى فى أسماء الأماكن ونقل عن ابن الأثير أيضاً .

السادس : سَلَّم بتشديد اللام لكثرة سلام الملائكة فيه . قال ابن بَرِّى : وأصله « شلم » بالشين المعجمة لأن الشين المعجمة فى العربية سين ، فالسلام شلام واللسان لشان والاسم اشم ، وقال البكرى فى حرف الشين المعجمة : « شَلَّم » بفتح أوله وثانيه وتشديده على وزن فَعَّل[2] اسم لبيت المقدس . وقال الهَمْدانى : « شَلَّم » : وقد تُعَرِّبها العرب فتقول : شَلِم . وحكى ابن القَطَّاع : شَلَّام على وزن فَعَّال . وقال ابن الأثير[3] : « شلمّ » بالمعجمة وتشديد اللام اسم لبيت المقدس ويُرْوَى بالمهملة وكسر اللام [سَلِم] كأنه عَرَّبه . ومعناه بالعبرانية : بيت السلام .

---

(١) سورة يونس آية ٤ .

(٢) فى الأصول : وتشديده على اسم فعل » والتصويب من معجم ما استعجم للبكرى ج ٣ ص ٨٠٧ وقد أورد البكرى بيتا للأعشى ذكر فيه أورى شليم :

وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فأورى شلم

(٣) جاء فى النهاية (ج ١ ص ٥٠) : فى حديث عطاء : أبشرى أورى شلم براكب الحمار يريد بيت المقدس . والمشهور أورى شلم بالتشديد وهو اسم بيت المقدس ورواه بعضهم بالسين المهملة وكسر اللام كأنه عربه .

السابع : رُوى عن كعب الأحبار ، أن الجنة فى السماء السابعة بحيال [1] بيت المقدس والصخرة، ولو وقع حَجَرٌ منها لوقع على الصخرة ولذلك دُعِيَت: أورى شَلِم، ودُعِيَت الجنة : دار السلام .

الثامن : أُورِى شلم ، بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وسكون التحتية وفتح الشين المعجمة وكسر اللام المخففة ، كذا قال أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى ، والأكثرون بفتح الشين واللام . التاسع : كَوْرة إلْيَا ، العاشر : أُورى شَلَمْ ، بضم الهمزة وفتح الشين المعجمة واللام وسكون الميم . الحادى عَشَر : بيت إيل ، أى بيت الله . الثانى عشر : « صِهْيَوْن » : بصاد مهملة مكسورة فهاء ساكنة فُمُثَنَّاة تحتية فواو فنون ، ذكره البكرى [2] . قال / : ٣٦١ظ وهو بفتح الصاد اسم قبيلة. الثالث عشر : « مصرث [3] » بميم فصاد فراء فثاء مثلثة. الرابع عشر : « بابوش » : بموحدتين وآخره شين معجمة . الخامس عشر : « كورشيلاه » . السادس عشر : « صلحون » ذكر غالب هذه الأسماء ابن خالويه . السابع عشر : سليم . الثامن عشر : « فُسْط مصر » بضم الفاء . التاسع عشر : أرض المَحْشَر والمَنْشَر . العشرون : المحفوظة . الحادى والعشرون : المُفَرَّقه . الثانى والعشرون : مدينة الجنة .

الرابعة : فى خصائصه [4] : [الأُولى] فى مضاعفة [5] الصلاة فيه : وقد اختلفت الأحاديث فى مقدارها : الأول : خمسمائة صلاة : روى الإمام أحمد وابن ماجه والبَزَّار والقاسم بن الحافظ أَبى القاسم بن عساكر عن أَبى الدَّرْداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : « الصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » . الثانى : ألف صلاة :

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : بميزان .

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى ج ٣ ص ٨٤٤ : « صهيون » بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده الياء أخت الواو ، وهو اسم لبيت المقدس وكذلك : إيليا ، وشلم . قال الأعشى :

وإن أجلبت صهيون يوما عليكما ... فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

وأما صهيون بفتح الصاد فاسم قبيلة ، أراد الأعشى أهل صهيون أى إن أجلبت الروم واجتمعت فأنتم أهل لها ، دكوك طحون ، دك : طحن » كما ذكرها ياقوت بهذا الضبط فى معجم البلدان (ج ٥ ص ٤٠٢) .

(٣) ما أورده المؤلف من هذه الأسماء الظاهرة العجمة لم يتيسر لنا الاهتداء إليه لضبطه فى المعجمات اللغوية والبلدانية .

(٤) فى إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى ص ٢٨٧ : فى أحكامه .

(٥) فى ت ، م : فى مضافات الصلاة فيه _ وفى ط مضاعفة وكذلك فى إعلام الساجد .

روى ابن ماجه عن ميمونة[1] رضى الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله افْتِنا فى بيت المقدس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْضُ المَحْشَر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه فإن صلاةً فيه كألف صلاة » . قال النووى : لا بأس بإسناده ، وقال الذهبى : حديث مُنْكَر . الثالث : خمسون ألف صلاة : روى ابن ماجه عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته فى المسجد الذى يُجَمَّع فيه بخمسمائة [صلاة] ، وصلاته فى المسجد الأَقصى بخمسين ألف صلاة » . وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة[2] » . الرابع : مائتان وخمسون : روى الطبرانى فى معجمه عن أَبى ذَرّ رضى الله عنه ، مرفوعاً : « صلاةٌ فى مسجدى أَفضل من أَربع فيه » ، يعنى بيت المقدس ، فَدلَّ على أن الصلاة فى بيت المقدس بمائتين وخمسين صلاة . الخامس : بعشرين ألف صلاة ، رُوِى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ولهذا مزيد بيان فى أَبواب فضائل المدينة الشريفة .

الثانية : استحباب شَدّ المطىّ إليه لما رواه الشيخان : « لا تُشَدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الأَقصى » .

الثالثة : استحباب خَتْم القرآن فيه : روى سعيد بن منصور فى سننه عن أَبى بكر مِجْلَز – بكسر الميم وحُكِى فتحها وإسكان الجيم وفتح اللام وبالزاى – واسمه لاحق بن حميد ، قال : « كانوا يَسْتَحِبُّون لمن أَتى المساجد الثلاثة أن يختم بها القرآن قبل أَن يخرج .

الرابعة : استحباب المجاورة به : روى الحاكم عن ثور بن يزيد عنْ مكحول قال : « كان عُبَادة بن الصامت وشَدَّاد بن أَوس رضى الله عنهما يسكنان بيت المقدس » . وقد سكنه عِدَّة من الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) هى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست زوجه . وقال أبو نعيم : هى عندى ميمونة بنت سعد ولكن ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٥٥١) نسب الحديث المروى فى فضل الصلاة فى بيت المقدس إلى ميمونة أخرى كانت مولاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليست ميمونة بنت سعد خادمته التى ترجم لها أيضا ابن الأثير فى أسد الغابة . ونقل ابن حجر العسقلانى عن ابى يزيد الضبى قوله بأن حديث فضل بيت المقدس روى عن ميمونة أخرى وأن ابن منده ذكر ميمونة ثالثة غير منسوبة . وقد أطال ابن حجر فى مناقشته لهذه التفرقة بين هؤلاء الميمونات ولكنه ختمها قائلا : والذى يغلب على الظن أن الثلاثة واحدة ، انظر الإصابة جـ ٨ ص ١٩٣ و ١٩٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) ابن ماجه جـ ١ ص ٤٥٣ نقلا عن تحقيق الشيخ أبى الوفاء المراغى لإعلام الساجد .

الخامسة : يُسْتَحَبُّ الصيام فيه فقد رُوِى : « صومٌ فى بيت المقدس براءةٌ من النار » .

السادسة : استحباب [الإحرام] بالحج والعُمْرَة منه . روى أبو داود عن أم سَلَمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أَهَلَّ بحجَّة أو عُمْرَة من المسجد الأقصى غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر[1] » .

السابعة : يُستحب لمن لم يقدر على زيارته أن يُهْدِى له زيتًا ، روى أبو داود وابن ماجه واللفظ له عن ميمونة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله : أفْتِنا فى بيت المقدس . قال : « أرضُ المَحْشَر والمَنْشَر ، إيتوه فصلُّوا فيه فإن صلاةً فيه كألف صلاة فى غيره » . قلت : يا رسول الله أرأيت إن لم أستطع أن أصل إليه ؟ قال : « فتُهْدى إليه زيتًا ليُسْرَج فيه فمن فَعَل ذلك فهو كمن أتاه[2] » . المَحْشَر مَفْعَل من الحَشْر وهو الجمع يعنى يوم القيامة ، فإذا فتحتَ الشين فهو المصدر ، وأمَّا الموضع فهو بالكسر . قال الجوهرى : المَحْشِر بالكسر موضع الحَشْر . انتهى . وذكر صاحب [مختصر][3] العين أن المَحْشَر بالكسر والفتح الموضع الذى يُحْشَر إليه الناس والمنشر موضع النشور وهو قيام الموتى من قبورهم .

الثامنة : حُكِى عن بعض السلف أن السيئات تُضَاعَف فيه ، رُوِى ذلك عن كعب الأحبار وأنه لما كان يأتى من حمص للصلاة فيه ، فإذا صار منه قَدْرَ ميل اشتغل بالذِّكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج منه بقدر ميل أيضاً ويقول : « السيئات تضاعف فيه » ، أى تزداد قُبْحًا وفُحْشًا لأن العاصى فى زمان أو مكان شريف أشد جُرْأَةً وأقل خوفاً من الله تعالى . وذكر أبو بكر الواسطى عن نافع قال : قال لى ابن عُمَر : « اخرج بنا من هذا المسجد فإن السيئات تُضَاعَف فيه كما تُضَاعَف الحسنات » .

التاسعة : أن الدَّجَّال لا يدخل بيت المقدس . روى ابن أبى شيبة فى المُصَنَّف عن سَمُرَة ابن جُنْدَبُ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الدَّجَّال فقال : « وإنه سيظهر

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى جـ ٥ ص ٣٠ نقلا عن محقق إعلام الساجد حاشية رقم ٢ ص ٢٨٩

(٢) أخرجه أبو داود نقلا عن تيسير الوصول لابن الديبع (جـ ٣ ص ١٢٧ القاهرة سنة ١٣٣١ هـ) .

(٣) زيادة من إعلام الساجد ص ٢٩٠ وصاحب مختصر العين هو أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الإشبيلى توفى سنة ٣٧٩ هـ انظر ابن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م جـ ٢ ص ٩٢ رقم ١٣٥٧ .

[على] الأَرض كلها إلا الحَرَم وبيت المقدس [وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس قال : فيهزمه اللهُ وجنوده حتى إن جِذْم الحائط وأَصل الشجرة ينادى : يا مؤْمِن : هذا كافر يستتر بى تعالَ اقْتُلْهُ إلى آخره][1] .

العاشرة : أَن الصخرة فى المسجد الأَقصى كالحجر الأَسود فى المسجد الحرام . روى أَبو نُعَيْم عن وَهْب بن مُنَبِّه قال : « إن الله تعالى قال لصخرة بيت المقدس : لأَضَعَنَّ عليكِ عَرْشى ولأَحْشُرَنَّ إليكِ خَلْقى وليأْتينَّك يومئذ داود راكباً » . وروى أَبو بكر الواسطى وابن عساكر عن يزيد بن جابر فى قوله تعالى : (واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[2]) ، قال : « يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ فى الصور فيقول : « يا أَيتها العِظام النَّخِرة والجلود المتمزِّقة والأَشعار المُتَقَطِّعَة إن الله يأْمرك أَن تجتمعى لفصل الخطاب » . وروى ابن جرير وابن أَبى حاتم والواسطى عن قتادة فى الآية قال : « كنا نتحدث أَنه يُنَادَى من بيت المقدس من الصخرة وهى أَوسط الأَرض ، وحُدِّثنا أَن كعبًا قال : هى أَقرب الأَرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[3] .

الحادية عَشْرَةَ : يُكْرَه استقبال بيت المقدس واستدباره بالبول والغائط ولا يَحْرُم قاله فى الروض .

الثانية عشرة : رُوِىَ أَنه من دُفِن فى بيت المقدس وُقِىَ فِتْنَةَ القبر وسؤال الملكَيْن ومَنْ دُفِن فى زيتون المِلَّة[4] [يعنى بإيلياء][5] فكأَنما دُفِن فى السماء الدنيا .

وروى أَبو نعيم فى تاريخه عن أَحمد بن جعفر بن سعيد[6] [قال] حدثنا يحيى بن مُطَرِّف حدثنا محمد بن بكر[7]، حدثنا يوسف بن عطيه، عن أَبى سفيان ، عن الضَّحَّاك بن عبدالرحمن

---

(١) إضافة من إعلام الساجد ص ٢٩٠

(٢) سورة ق آية ٤١

(٣) فى إعلام الساجد ص ٢٩٢ : باثنى عشر ميلا .

(٤) فى الأصول : بيوت الملمة .

(٥) بياض بالأصول بنحو كلمتين والتكلة والتصويب من الإنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل للعليمى ج ٢ ص ٤١٣ وزيتون الملة مقبرة كبيرة من مقابر بيت المقدس .

(٦) فى إعلام الساجد : ابن معبد بدلا من ابن سعيد .

(٧) فى إعلام الساجد : ابن كثير :

ابن عَرْزَب[1] - بفتح المهملة وسكون الراء وفتح الزاى ثم مُوَحَّدة ، وقد تبدل ميماً - عن أَبِي هريرة رضى الله عنه / قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء » .

٣٦٢ظ

الثالثة عشرة : روى الخطيب فى [كتابه] المُوَضِّح [أوهام الجمع والتفريق[2]] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَول من يدخل الجنة الأَنبياء ثم مؤذنو البيت ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى ثم سائر المؤذنين » .

الرابعة عشرة : ليحذر من اليمين الفاجرة فيه وكذا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة فإن عقوبتها مُعَجَّلة . رُوى أَن عمر بن عبد العزيز أَمر بحمل عُمَّال[3] سليمان بن عبد الملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها فحلفوا عندها إلا واحداً ، فدىٰ يمينه بأَلف دينار ، فما مَرَّ الحَوْل على واحد منهم بل ماتوا كلهم .

الخامسة عشرة : روى ابن جرير عن أَبِي أُمَامة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة من أُمتى ظاهرين على الحق لا يَضُرُّهم من خالفهم» . قيل : فَأَيْنَ هم يارسول الله ؟ قال : «بِبَيْتِ المقدس» . وروى أَبو يَعْلَى عن أَبِي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لا تزال عصابة» من أُمتى يُقاتلون على أَبواب دمشق وعلى أَبواب بيت المقدس وَمَا حَوْلَه لا يَضُرُّهم خِذْلانُ من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أَن تقوم الساعة » .

---

(١) هكذا ضبطه الزبيدى فى تاج العروس وذكره الذهبى فى ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٢٤ رقم ٣٩٣٥ وجاء فى خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى ص ١٤٩ : الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب بمهملتين ثم معجمة كدحرج الأزدى الأشعرى أبو عبد الرحمن الطبرى الدمشقى وليها لعمر بن عبد العزيز (روى) عن أبيه وأبى موسى وعنه مكحول وحريز بن عثمان والأوزاعى ، وثقه العجلى .

(٢) زيادة من إعلام الساجد ص ٢٩٤ وذكر ياقوت كتاب الموضح فى ثبت مؤلفاته (معجم الأدباء ج ٤ ص ١٩ : ٢١) .

(٣) عمال هنا : أى ولاة وفى سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن عبد الحكم (طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م ص ٨٧ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى العمال أى ولاته على أقاليم الدولة الإسلامية .

السادسة عشرة : روى أبو المعالى المشرف بن المُرَجَّى المقدسى قال : « من حَجَّ وصَلَّى فى مسجد المدينة ، ومسجد الأقصى فى عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وإذا ثبت ذلك فقول النووى : « إنه لا أصل لذلك[1] » فيه نظر .

السابعة عشرة : ذكر الدارمى : « أنه لا يجوز الاجتهاد يُمْنَةً ولا يُسْرَةً بمحراب بيت المقدس » وألحقه بمسجد المدينة .

الثامنة عشرة : نَصَّ الصيدلانى والماوردى والرويانى والبغوى والبَنْدنِيجى – بفتح المُوَحَّدة وسكون النون الأُولى وكسر الثانية ثم تحتية والجيم – والجُوَيْنى فى مختصره والغزالى فى الخلاصة والخراسانى[2] فى كافيه على استحباب صلاة العيد فى مسجد بيت المقدس وأن فعلها فيه أَوْلى من المُصَلَّى .

التاسعة عشرة : قال ابن سُرَاقة فى كتاب الأعداد : « أكبر مساجد الإسلام واحد وهو بيت المقدس » . وقيل : « ما تَمَّ فيه صَفٌّ واحدٌ قط لا فى عيد ولا فى جمعة ولا غير ذلك » .

العشرون : يُسْتَحب لزائره زيارة الأماكن المشهورة بآثار الأنبياء لاسيما مواضع صلاة نبينا صلى الله عليه وسلم .

الحادية والعشرون : حَشْر الكعبة إلى بيت المقدس : روى الواسطى فى فضائل بيت المقدس عن خالد بن مَعْدان – بفتح الميم – قال : « لا تقوم الساعة حتى تُزَفَّ الكعبة إلى الصخرة زَفَّ العروس ، فيتعلَّق بها جميع من حَجَّ واعتمر ، فإذا رأتها الصخرة قالت : مرحباً بالزائرة والمزور إليها » . ورُوِى أيضاً عن كعب قال : « لا تقوم الساعة حتى يُزَفَّ البيت الحرام إلى بيت المقدس فيتَغَادان إلى الجَنَّة ، فيها أَهْلُها ، والعَرْض والحساب ببيت المقدس » ورَوَى ابن مردويه والأصفهانى فى ترغيبه والدَّيْلَمى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال :

---

(١) جاء فى إعلام الساجد ص ٢٩٦ : قال النووى : « ما يروى من حديث » : من زارنى وزار قبر أبى إبراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة » . باطل لا يعرف ، وضعه بعض الفجرة ، وزيارة الخليل غير منكرة ولكن لا تعلق لها بالحج ولا بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بل هى قربة على حدة .

(٢) فى إعلام الساجد ص ٢٩٧ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان يوم القيامة زُفَّتْ الكعبة : البيت الحرام إلى قبرى فتقول الكعبة : السلام عليك يامحمد ، فأقول : عليك يابيت الله ، ما صنع بك/ أمتى بعدى ؟ فتقول : يامحمد من أتانى فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً ، ومن لم يأتنى فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً» . وروى الجندى عن الزُّهْرِى نحوه .

٣٦٣و

التنبيه الخامس عشر : أنكر حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس تلك الليلة ، واحتج بأنه لو صلى فيه لكُتِب عليكم الصلاة فيه . قال البيهقى وابن كثير : والمُثْبِت مُقَدَّم على النَّافى ، يعنى من أثبت الصلاة فى بيت المقدس، وهم الجمهور من الصحابة معه زيادةُ عِلْم على من نفى ذلك ، فهو أَوْلى بالقبول . والجواب عما استند إليه حذيفة رضى الله عنه منع التلازم فى الصلاة إن كان أراد بقوله كُتِب عليكم الفَرْض ، وإن أُريد التشريع فيلتزمه ، وقد شَرَع النبي صلى الله عليه وسلم فى بيت المقدس ، فَقَرَنهُ بالمسجد الحرام ومسجده فى شَدِّ الرِّحلة وذَكَر فضيلةَ الصلاة فيه فى غير ما حديث .

التنبيه السادس عشر : تظافرت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالأنبياء قبل العروج وهو أحد الاحتمالين للقاضى ، وقال الحافظ : «إنه الأظهر» ، والاحتمال الثانى أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بهم بعد أن هبط من السماء أيضاً فهبطوا . وصححه الحافظ ابن كثير ، وقال صاحب السراج : «وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى بهم مرتين ، فإن فى بعض الأحاديث ذكرَ الصلاة بهم بعد ذكره المعراج» .

التنبيه السابع عشر : قيل : كيف يصلى الأنبياء وهم أموات فى الدار الآخرة وليست دار عمل ؟ وأجاب القاضى وتَبِعه السبكى بجوابين : الأول : إنا نقول : إنهم كالشهداء بل أفضل ، والشهداء أحياءٌ عند ربهم ، فلا يَبْعُد أن يحجُّوا وأن يُصَلُّوا كما ورد فى الحديث الآخر ، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا فنيت مُدَّتُها ، وتَعْقُبُها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل،

وحاصله أن البَرْزَخ[1] ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وزيادة الأُجور . الثانى ولفظه للسبكى رحمه الله تعالى : «إنا نقول إن المُنْقَطِع فى الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى . ولهذا ورد أنهم يُسَبِّحون ويَدْعُون ويقرأُون القرآن وانظر إلى سجود النبى صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ، أليس ذلك عبادةً وعملاً ؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأعمال فى مدة البَرْزخ» .

وقد صَحعن ثابت البُنانى التابعى أنه قال : «اللهم إن كنت أعْطَيْتَ أحداً أن يصلى فى قبره فأَعْطِنِى ذلك» . فرؤى بعد موته يُصَلِّ فى قبره ، ويكفى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لموسى قائماً يصلى فى قبره ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء لم يُقْبَضُوا حتى خُيِّرُوا بين البقاء فى الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة . ولا شك أنهم لو بقوا فى الدنيا لازدادوا من الأعمال الصالحة ثم انتقلوا إلى الجنة ، فلو لم يعلموا أن انتقالهم إلى الله تعالى أفضل لما اختاروه ، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب إلى الله تعالى لما اختاروه . انتهى ولهذا مزيد بيان يأْتى فى باب حياته فى قبره صلى الله عليه وسلم .

٣٦٣ظ

التنبيه الثامن عشر / : هذه الصلاة التى صلاها النبى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الصواب أنَّها الصلاة المعروفة لأن النص يحمل على حقيقتها الشرعية قبل اللغوية إلا إذا تَعَذَّر حَمْلُه على الشرعية ، ولم يتعذَّر هنا فوجب حَمْلُه على الشرعية . وعلى هذا قال بعضهم : «كانت الصلاة التى صَلَّاها العِشَاء» وقال بعضهم : «إنها الصبح» .

قلت : وليسا بشىء سواء قلنا صَلَّى بهم قبل العروج أو بعده لأن أول صلاة صَلَّاها النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقاً الظُّهْر بمكة باتفاق ، ومن حَمل الأولية على مكة فعليه الدليل ، والذى يظهر والله تعالى أعلم أنها كانت من النَّفْل أو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الإسراء ، وفى فتاوى النووى ما يؤيد الثانى .

---

(١) البرزخ ما بين الدنيا والآخرة وفى التنزيل : «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» (المؤمنون آية ١٠٠) وفى تفسير القرطبى (جـ ١٢ ص ١٥٠) هو الحاجز بين الموت والبعث وقبل الإمهال إلى يوم القيامة أو الأجل ما بين النفختين وقال الجوهرى البرزخ هو الحاجز بين الشيئين .

التنبيه التاسع عشر : قال بعضهم : ورؤيته إياهم صلى الله عليه وسلم فى السماء محمول على رؤيته أَرْوَاحَهُمْ إلا عيسى ، لما صَحَّ أنه رُفِعَ بجسده ، وقد قيل فى إدريس أيضاً ذلك . وأما الذين صَلُّوا معه فى بيت المقدس فيحتمل الأَرواح خاصةً ، ويؤيده ما فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، عند الحاكم والبيهقى ، «فلقى أرواح الأَنبياء» ، وفيه دليل على تَشَكُّل الأَرواح بصور أَجسادها فى علم الله تعالى ، ويحتمل الأَرواح بالأَجساد ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أَنس رضى الله عنه عند البيهقى . وبعث الله له آدم فَمَنْ دُونَه من الأَنبياء . وعند البَزَّار والطبرانى : « فنُشِر لى الأَنبياء ، من سَمَّى اللهُ تعالى ومن لم يُسَمِّ ، فصَلَّيْتُ بهم » .

التنبيه العشرون : قول سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : «وأعطانى مُلْكاً عظيماً» : قال ابن دِحْيَة : لا يُعْهَد لإبراهيم مُلْك عُرْفى ، فإما أن يُرَاد بالمُلْك الإضافة إليه نفسه وذلك لقهره لعظماء الملوك ، وناهيك بالنمرود ، وقد قهره الله تعالى لخليله وأعجزه عنه ، وغاية المُلْك العظيم قهر المَلِك العظيم ، فالقاهر أَعظم من المقهور قطعاً . ويحتمل أن يُرَاد الإضافة إلى نَبِيِّه وذُرِّيَّته وذلك نحو مُلْك يوسف الصِّدِّيق صلى الله عليه وسلم وهلم جَرًّا كَمُلْك داود وسليمان والكل من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وفى التنزيل : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً[1]) والإشارة هنا إلى ذُرِّيَّتِه . وإما أن يُرَاد مِلْكُ النفس فى مَظِنَّةِ الاضطراب مثل مِلْكه لنفسه . وقد سأَله جبريل فقال : أَلَكَ حاجة ؟ فقال : أما إليكَ فلا .

التنبيه الحادى والعشرون : اختُلِف فى تقديم الآنية هل هو قبل العروج أو بعده ؟ واختُلِف فى عددها فأَكثر الروايات أنه كان قبله . روى الإمام أحمد والشيخان والنسائى والترمذى من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنه : «ثم رُفِع إلى البيت المعمور» ، إلى أن قال : «ثم أُتيت بإناءين : أحدهما خَمْر والآخر لَبَن» ، وعند البخارى فى الأَشربة من طريق شُعْبَة عن قَتَادة عن أَنس مرفوعاً : «رُفِعْتُ إلى سِدْرةِ المُنْتَهَى فإذا فيها

---

(١) سورة النساء آية ٥٤

أربعة أنهار» قال: «وأتيتُ بثلاثة أقداح[1]» . لم يذكر شُعْبَة فى الإسناد مالك بن صَعْصَعَة.
وعند ابن عائذ من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى حديث المعراج بعد ذكر رؤيته إبراهيم فى السماء السابعة : «ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة آنية مُغَطَّاة» .

قال السُّهَيْلى وابن دِحْيَة وابن المنير وابن كثير والحافظ : «لعلَّه قُدِّم مَرَّتَيْن جَمْعاً بين الروايات» . قال ابن كثير والحافظ : «وأما الاختلاف فى عدد/الآنية وما فيها فيُحْمَل على أن بعض الرواة ذَكَرَ ما لم يَذْكُر الآخر ، ومجموعها أربعة آنية فيها تُعْرَض الآنية مَرَّتَيْن وهى عائدة إلى أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التى تخرج من أصل سِدْرَة المنتهى . ٣٦٤و

التنبيه الثانى والعشرون : إذا قلنا بِعَرْض الآنية مرتين ففائدة عَرْض الخمر [مع][2] إعراضه عنها فى المرة الأولى وتصويبِ جبريل له ، تكثيرُ التصويب والتحذير . وهل كانت الخمر من خمر الجَنَّة أو من جنس خَمْر الدنيا ؟ فإن كان الأول فَسَبَبُ تَجَنُّبِها صورتُها ومضاهاتها للخمر المُحَرَّمة ، ويكون ذلك أبلغ فى الوَرَع . وإن كان الثانى فاجتنابُها واضح . وعلى التقدير الأول يُسْتَفاد منه فائدة : وهو لأن من وَضَع من الماء ونحوه من الأشربة ما يُضَاهى الخمرَ فى الصورة وهَيَّأَهُ بالهيئة التى يتعاطاها [بها][2] أهل الشهوات من الاجتماعات والآلات فقد أتى مُنْكَراً وإن كان لا يُحَدّ[3] . وذكر أصحابنا أن إدارة كأس الماء على شاربه تَشَبُّهاً بشارب الخمر حرامٌ ، ويُعَزَّر فاعلُه .

التنبيه الثالث والعشرون : قال ابن دِحْيَة : اعلم أن التَّخْيِير قد يكون بين وَاجِبَيْن كخصال الكَفَّارة وقد يكون بين مُبَاحَيْن ، وأما التَّخْيِير بين واجب وممنوع أو مباح وممنوع فمستحيل ، فانظر فى إحضار اللبن والخمر ، هل أُريد به الإباحة لهما والإذْن فيهما؟

---

(١) تمام الحديث كما فى صحيح البخارى (جـ ٧ ص ١٩٨) : «رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا فيها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران فى الجنة فأتيت بثلاثة أقداح : قدح فيه لبن وقدح فيه عسل وقدح فيه خمر ، فأخذت الذى فيه اللبن فشربت فقيل لى أصبت الفطرة أنت وأمتك» .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) أى لا يقام عليه الحد . وفى تاج العروس : الحد فى الشرع تأديب المذنب بما يمنعه عن المعاودة ويمنع غيره أيضا عن إتيان الذنب وفى التهذيب : حدود الله عز وجل ضربان : ضرب منها حدود حدها للناس مما أحل وحرم وأمر بالانتهاء عما نهى منها ونهى عن تعديها . والضرب الثانى عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه وسميت الأولى حدودا لأنها نهايات نهى الله عن تعديها .

كما لو أَحْضَرْتَ طعامَيْن لضيف وأَبَحْتَهُمَا له ، فما معنى إختياره لأَحدهمَا ؟ وما معنى قول جبريل : « اخْتَرْتَ الفِطْرَة » ، أو « أَصَبْتَ ، أصاب الله بك » ؟ وإن كان المراد الإذن فى أَحدهما لا بِعَيْنِهِ ، بحيث يكون الآخر ممنوعاً لَزِمَ التَّخْيير بين ممنوع ومُبَاح ، وذلك لا يُتَصَوَّر ، والذى يرفع الإشكال إن شاء الله تعالى أَن يكون المراد تفويض الأَمر فى تحريم ما يُحَرَّم منها وتحليل ما يَحِلّ إلى إجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وَسَداد نظره المعصوم . فلما نظر فيها أَدَّاه اجتهادُه إلى تحريم الخمر وتحليل اللبن ، فوافق الصواب فى علم الله تعالى ، فقال له جبريل : « أَصَبْتَ » ، وعلى تقدير ألا تكون الخمر مُحَرَّمة لأَنها إنما حُرِّمت بالمدينة فيكون تَوَقِّيها وَرَعاً وتعريضاً بأَنها ستُحَرَّم .

التنبيه الرابع والعشرون : قال أبو الخَطَّاب الكلبي : « الفِطْرة تُطْلَق على الإسلام ، وتطلق على أَصل الخِلْقة ، فمن الأَول قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة[1] » . ومن الثانى قوله تعالى : (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا)[2] ، وقال [تعالى] : (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرض[3]) ، أى مبدئ خَلْقهما ، وقول جبريل : « اخْتَرْتَ الفِطْرة » أى اخْتَرْتَ اللبن الذى عليه بُنِيت الخِلْقة وبه يَنْبُت اللحم ، أو اخترتَه لأَنه الحلال الدائم فى دين الإسلام ، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأَمر ، وقد تكون الإشارة بتقديم اللبن إلى أن شعار العلم فى التعبير[4] ، كما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « رَأَيْتُ كأَنى

---

(١) الحديث كما أخرجه مسلم فى كتاب القدر عن أبى هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاءهل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » الآية « الجمعاء أى المجتمعة الأعضاء السليمة عن النقص والجدعاء التى فيها الجدع والنقص » ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ٢٠٧ : ٢١٠ حيث أورد مسلم هذا الحديث بروايات وأسانيد مختلفة .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ وأورد القرطبى فى تفسيره (ج ١٤ ص ٢٤ : ٣١ (ما قاله العلماء فى تفسير معنى الفطرة .

(٣) الآية الأولى من سورة فاطر والآية ١٤ من سورة الأنعام والآية العاشرة من سورة إبراهيم والآية ١١ من سورة الشورى.

(٤) أى تعبير الرؤيا وتأويل الأحلام الخاصة باللبن وأنه يدل فيما يدل عليه على العلم والتوحيد تناوله عبد الغنى النابلسى فى كتابه : تعطير الأنام فى تعبير المنام (ج ٢ ص ٢٤٨) .

أُتيتُ بقدح من لبن فَشَرِبْتُ حتى أرى الرِّيَّ[1] يخرج من أظفارى ثم ناولتُ فضلى عمر بن الخطاب » ، قالوا : يارسول الله ما أوَّلْتَه ؟ قال : « العلم » .

والإسراء وإن كان يقظة إلا أنه ربما وقعت فى اليقظة إشارة إلى حكم الفَأْل يُعَبَّر كما يُعَبَّر فى المنام . ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفَأْلَ الحَسَن ، فكأنه لما مُلِئَ قلبُه إيماناً وحكمةً أردف ذلك بالعلم مطلقاً ، ويجعل الله تعالى ذلك اللبن سبباً فى تَرَادُف العلم وأشجان القلب النبوى بأنوارها . وقال القرطبى : يحتمل أن يكون تسمية اللبن فطرة لكونه أوَّلَ شىء يدخل بطن المولود / ويَشُقُّ أمعاءه ، والسِّرّ فى ميل النبى صلى الله عليه وسلم إليه دون غيره لكونه مألوفاً له ، ولأنه لا ينشأُ عن جنسه مَفْسَدة ، وافْهَمْ قَوْلَ جبريل « أَصَبْتَ » ، فإن اختيار الخمر خَطَأٌ عُصِم منه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت المسألة حينئذ اجتهادية لأن الخمر لم تكن حُرِّمت بعد ، فقد وقع تخييره فى مُلْك الله الأعظم .

٣٦٤ ظ

التنبيه الخامس والعشرون : ظاهر قوله : « ثم أُتِى بالمعراج » أن العروج كان لا على البُراق وفى ذلك خلاف ، فظاهر حديث مالك بن صعصعة أنه استمر على البراق حتى عُرِج به إلى السماء ، وهو مقتضى كلام ابن أبى جَمْرَة وابن دحية . قال الحافظ : « لكن فى غير هذه الرواية من الأخبار أن العُروج لم يكن على البراق بل رقى فى المعراج وهو السُّلَّم ، ويؤيده قوله فى حديث ثابت عن أنس كما فى صحيح مسلم[2] : « ثم أُتيت بالمعراج » .

وقال الحافظ ابن كثير : « إنه لَمَّا فَرَغ صلى الله عليه وسلم من أَمْر بيت المقدس نُصِب له المعراج وهو السُّلَّم ، فصَعَد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البُراق كما قد تَوَهَّمَه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة » . وقال الشيخ رحمه الله تعالى : « إنه الصحيح الذى تَقَرَّرَ من الأحاديث الصحيحة » .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر (كتاب التعبير باب اللبن ج ٧ ص ٦٤) .

(٢) فى صحيح مسلم بشرح النووى (ج ٢ ص ٢٠٩ وما بعدها) وفى إسناده ثابت البنانى عن أنس بن مالك .

التنبيه السادس والعشرون : نَوَّع ابنُ دِحْية المِعْراج إلى عَشْرة أنواع على عدد سنى الهجرة ، منها سبعة معاريج إلى السموات السبع ، والمعراج الثامن من إلى سِدْرة المنتهى والمعراج التاسع الذى سَمِع فيه صريفَ الأَقلام فى تصريف الأَقدار ، والمعراج العاشر إلى العَرْش والرَّفْرَف والرؤية وسيأْتى ما أَبداه من الحِكَم فى ذلك .

التنبيه السابع والعشرون : ورد أَن بين الدرجة والدرجة فى الجَنَّة خمسمائة عام وأن الدرجة تهبط كالإبل لِيَصْعَدَ عليها وَلِىُّ الله تعالى ثم تُرْفَع به إلى مكانها والظاهر أَن دَرَجَ المعراج كذلك .

التنبيه الثامن والعشرون : لا يُتَوَهَّم بما تسمعه فى قصة المعراج من الصعود والهبوط أَن بين العَبْد ورَبِّه مسافة ، فإن ذلك كُفْر ، نَعُوذُ بالله من ذلك ، وإنما هذا الصعود والهبوط بالنسبة إلى العبد لا إلى الرَّبّ ، والنبى صلى الله عليه وسلم مع إنتهائه لَيْلَتَئِذ إلى أَن كان قاب قوسين أَو أَدنى ، لم يجاوز مقام العبودية ، وكان هو ونَبِىُّ الله يونس بن مَتَّى صلى الله عليه وسلم إذ التقمه الحوت وذهب به إلى البحار يَشُقُّها حتى انتهى به إلى قرار البحر ، فى مُبَاينة الله تعالى خَلْقَه وعدم الجهة والتحيز والحَدّ والإحاطة سواء . وقد ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة ذكره الإمام البغوى وغيره .

وإذا عَلِمْتَ ذلك فالمراد بتَرقِّيه صلى الله عليه وسلم وقَطْع هذه المسافات إظهارُ مكانته عند أَهل السموات وأنه أَفضل المخلوقات . ويُقَوِّى هذا المراد بكونه أَركبه البراق ونَصَب له المعراج وجعله إماماً للنبيين والملائكة ، مع أَنه تعالى قادرٌ على أَن يرفعه بدون البراق والمعراج .

ويُقَال لأَصحاب الجهة[1] : إنما منعكم من اعتقاد الحق استبعادكم موجوداً إلا فى جهة ، فأَحَلْتُم[2] ذلك . فأَخْبِرُونا عن العَرْش والفَوْق هل ذلك قديم ؟ / أَو مُحْدَث ؟ فإن ٣٦٥ و

---

(١) أى ممن يقولون بالجهة والمكان والحد ونسبتها إلى البارى تعالى الله عن ذلك .

(٢) فأحلتم أى جمعتم بين المتناقضين فى كلامكم .

قالوا قديماً جاهروا بقِدَم العالَم وأدَّى ذلك إلى مُحَالَيْن : أحدهما أن يكون مع البارى تعالى فى الأَزَل غَيْرُهُ ، والقديمان ليس أحدهما بأَن يكون مكاناً للثانى بأَوْلَى من الآخر . ثانيهما أن الجهة والمكان إما أن يكونا جسْمَيْن ، وهذا يُؤَدِّى إلى جواز وجود الأجساد كلها ، وهو قول من قال بقِدَم العالَم ، نعوذ بالله من ذلك . وإن قالوا : مُحْدَث ، قل : قد صَدَقْتُم بأَن الرَّبَّ تعالى كان موجوداً أولاً ولا جهة ، والمستحيل [لا][1] ينقلب جائزاً أو واجباً لأَن الحادث لا يحتاج إليه القديم ، فإنه قَبْلَ كَوْنِه كان مستغنياً عنه ، وهو على استغنائه عنه لم يَزَل وكذلك لا يزال ، ومُحَالٌ أن يكون خالق الكل مُفْتَقِراً إلى بعض مخلوقاته . وما ورد من الاستواء والنزول وغير ذلك من الصفات التى يُشْكِل إجراؤها على ظاهرها ، نُؤْمِن به ونَكِلُ عِلْمَ معناه إلى الله تعالى ، ولا نُشبِهُهُ تعالى بِخَلْقِه ولا نَنْفِى الصفات التى أثبتها لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التنبيه التاسع والعشرون : نَقَل ابن دِحْيَة عن ابن حبيب ، والحافظ عن ابن المنير عن ابن حبيب وأَقَرَّه : أَن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة إليه كالقَطْرة من المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم فهو أعظم من انفلاق البحر لموُسَى عليه الصلاة والسلام .

التنبيه الثلاثون : فى قدر ما بين السماء والأرض : روى الإمام أحمد وأبو داودوالترمذى وحَسَّنَه ، وابن خُزَيْمة فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أتدرون كم بين السماء والأرض» ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : «بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة وكَثْف كل سماء خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بَحْرٌ من أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

فوق ذلك ثمانية أوعال[1] بين أظلافهن ورُكَبِهن مثل ما بَيْنَ سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العَرْش وبين أعلاه وأسفله كما بين السماءِ والأرض ثم الله تعالى فوق ذلك .

وروى اسحق ابن راهويه والبَزَّار بسند صحيح عن أَبي ذَرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بين السماءِ والأرض خمسمائة عام وغِلَظ كل سماء خمسمائة عام كذلك إلى السماءِ السابعة ، والأرضون مثل ذلك . وما بين السماءِ السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك» .

وروى بن جرير وابن المنير عن ابن مسعود وناسٌ من الصحابة رضى الله عنهم قالوا : «إن الله عز وجل كان عَرْشُه على الماء لم يخلق شيئاً غير ما خلق ، فلما أراد أن يخلق الخَلْق أخرج من الماءِ دخاناً فارتفع فوق الماء فَسَمَا عليه فسَمَّاه سَمَاءً ، ثم أَيْبَس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فَتَقَهَا فجعلها سَبْعَ أَرْضين فى يومين : الأحد والإثنين ، فخلق الأرض على الحوت ، وهو الذى ذكر الله تعالى فى قوله : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ[2]) ، والحوت فى الماءِ والماء على ظهر صفاة[3] والصفاة على ظهر مَلَك والمَلَك على صخرة والصخرة على الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماءِ ولا فى الأرض ، فتَحَرَّك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فَقَرَّتْ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين : الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماءِ وهى دُخَان ، والدُّخَان من تَنَفُّس الماء حين تَنَفَّس فجعلها سماء واحدة ثم فَتَقَها / فجعلها سبع سموات فى يومين : الخميس والجمعة وإنما سُمِّى الجمعة لأنه جمع فيه خَلْقَ السموات والأرض وأَوْحَى فى كل سماء أَمْرَها أى خَلَق خَلْقَها من الملائكة والخَلْق الذى فيهما من البحار والجبال والبرد وما لا يُعْلَم ، ثم زَيَّن السماءَ الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحِفْظاً من الشياطين .

٣٦٥ ظ

(١) جاء فى النهاية : الحديث فى تفسير قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » . (سورة الحاقة آية ١٧) قيل ثمانية أوعال أى ملائكة على صورة الأوعال (النهاية ج ٤ ص ٢٢٠) وأورد القرطبى فى تفسيره (ج ١٨ ص ٢٦٦ و ٢٦٧) أخبارا وآثارا فى هذا منها الحديث المرفوع : « إن حملة العرش ثمانية أملاك على صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها سبعين عاما للطائر المسرع » . هذا والأوعال جمع وعل والوعل هو التيس الجبلى .

(٢) الآية الأولى من سورة القلم .

(٣) الصفاة الحجر العريض الأملس والجمع صفا .

وروى ابن أَبي حاتم عن جبير بن مُطْعِم رضى الله عنه قال : «إن الله تعالى على عَرْشِه وعَرْشُه على سمواته ، وسمواته على أَرضه هكذا » ، وقال بأَصبعه : «مثل القُبَّة » وروى ابن حاتم عن القاسم بن أَبي بَزَّة - بالزاى المعجمة - قال : «ليس السماء مُرَبَّعة ولكنها مَقْبُوَّة يراها الناس خضراء » وروى ابن راهويه والطبراني فى الأَوسط ، وابن المُنْذِر ، وابن أَبي حاتم عن الربيع بن أَنَس قال : «السماء الدنيا مَوْجٌ مكفوف والسماءُ الثانية زُمُرُّدة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نُحاس والخامسة فِضَّة والسادسة ذهب والسابعة ياقوته حمراء»، زاد ابن أَبي حاتم : «وما فوق ذلك صحارى من نور ، ولا يعلم ما فوق ذلك إلا الله تعالى ومَلَكٌ هو مُوَكَّلٌ بالحُجُب يقال له ميطاطروس » . وروى أَبو الشيخ وابن أَبي حاتم عن كعب قال : « السماء أَشَدُّ بياضاً من اللبن واخْضَرَّت من خُضْرَة جبل قاف .

[شرح غريب ما سبق][1] : «الموج» - بميم فواو فجيم - ما ارتفع من فوارن الماء .

« المكفوف »[2] - بميم فكاف بفاءيْن بينهما واو - المحبوس .

التنبيه الحادى والثلاثون : استفتاح جبريل باب السماء يُحْتَمل أَن يكون بقَرْع أَو صَوْت . قال الحافظ : «والأَشبه الأَول لأَنه صوت معروف» . قلتُ : فى حديث ثابت البُنَانى عن أَنَس رضى الله عنه : «فَقَرَع الباب» . قال ابن دحية : وفى استفتاح جبريل لأَبواب السماء دليلٌ على أَنه صادف أَبوابها مُغْلَقَة ، وإنما لم تُهَيَّأْ للنبى صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه ، وإن كان أَبلغ فى الإكرام ، لأَنه لو رآها مُفَتَّحَة لظَنّ أَنها لا تزال كذلك ، ففُعِل ذلك ليَعْلَم أَن ذلك فُعِل من أَجْله ، وأَن الله تعالى أَراد أَن يُطْلِعَهُ على كَوْنِه معروفاً عند أَهل السموات ، وقول أَمين الوحى لما قيل له : من هذا ؟ «جبريل» : سَمَّى نفسه لئلا يَلْتَبِس بغيره ولا يحتاج إلى موقف لِلْمُرَاجَعَة فى المَرَّة ، فإنه معهود عندهم نزولُه وصعودُه ، ولذلك قَدَّم اسمه لأَنه الرسول بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم .

واستنبط ابن دحية وتبعه ابن المنير من قول المَلَك : «مرحباً» إلى آخره ، جواز

---

(١) إضافة اضطررنا لزيادتها وصلا لكلام المؤلف وجريا على عادته فى مواضع مماثلة من كتابه .

(٢) فيما يتعلق بهذه الكلمة جاء فى النهاية (جـ ٤ ص ٢٨) : إن بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أى مشرجة على ما فيها مقفلة ضربها مثلا للصدور وأنها نقية من الغل والغش فيما اتفقوا عليه من الصلح وقيل معناه أن يكون الشر بينهم مكفوفا كما تكف (بالبناء للمفعول) العيبة على ما فيها من المتاع .

رَدّ السلام بغير لفظه . وتَعَقَّبا بأَن قول المَلَك : مرحباً ، ليس رَدَّ السلام ، فإنه كان قبل أن يُفْتَح الباب ، والسياق يُرْشِد إليه . وقد نَبَّه على ذلك ابن أَبى جَمْرَة . ووقع فى رواية أَن جبريل قال له عند كل نَبِىّ : «سَلِّمْ عليه » ، فرَدَّ عليه السلام .

التنبيه الثانى والثلاثون : ينبغى للمُسْتَأْذِن إذا قيل له هذا أن يُسَمِّى نَفْسَه فيقول : محمد الشامى مثلاً ، ولا يقتصر على قوله : محمد ، مثلاً ، لأَن المُسَمَّى بمحمد كثير ، فيشتبه عليه ، ولا يقول : «أنا» ، فإن جبريل ههنا لم يقل : «أنا» ، بل سَمَّى نفسه ، ولم يَرِد أن أَحداً من الملائكة سُمِّى جبريل غير أَمين الله تعالى على وَحْيِه . وأَنكر النبى صلى الله عليه وسلم على الذى استأْذن عليه فقال : «من هذا ؟» فجعل يقول : «أنا» ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أنا[1] إنكارا لذلك . وكُرِهت هذه اللفظة لِوَجْهَيْن : أحدهما أن فيها إشعاراً بالعظمة . وفى الكلام السائر أول من قال : أنا إبليس / فشَقِىَ حيث قال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[2]) ، وتَعِس فرعون حيث قال (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى[3]) والثانى أَنها مُبْهَمَة لافتقار الضمير إلى العَوْد ، فهى غير كافية فى البيان ، والضمير إذا عاد وتَعَيَّن مُضْمَرهُ كان أَعْرَف المعارف ، والمُسْتَأْذِن محجوب عن المُسْتَأْذَنِ عليه غَيرُ مُتَعَيَّنٍ عنده فكأَنه أَحاله على جهالة .

٣٦٦ و

التنبيه الثالث والثلاثون : قَوْلُ الخازن : «وقد بُعِث إليه ؟» أَراد الاستفهام ، فحذف الهمزة للعلم بها أَى : «أَوَ قد بُعِث إليه ؟» قال العلماء : ليس هذا الاستفهام عن البَعْث الذى هو الرسالة لأَنه كان مشهوراً فى الملكوت الأَعلى ، بل البعث للمعراج ، وقيل : بل سأَلوا تعجباً من نعمة الله تعالى بذلك أَو استبشاراً به ، وقد علموا أن بَشَراً لا يَتَرَقَّى هذا الترقى إلا بإذن الله تعالى وأَن جبريل لا يصعد بمن لا يُرْسَل إليه . وقول الخازن: «من معك ؟» يُشْعِر أَنَّهم أَحَسُّوا معه برفيق وإلا لكان السؤال : « أَمَعَكَ أحد ؟ » وذلك الإحساس إما بمشاهدة لِكَوْن السماء شَفَّافة ، وإما لأَمر معنوى بزيادة أنوار ، ولَزِمَ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاستئذان باب إذا قال من ذا قال أنا (ج ٨ ص ١٠٠)

(٢) سورة الأعراف آية ١٢

(٣) سورة النازعات آية ٢٤ .

من البَعْث إليه صلى الله عليه وسلم الإِذْن فى إزالة الموانع وفتح أبواب السماء . ولم يتوقَّف الخازن على أن يُوحَى إليه بالفتح ، لأنه لَزِم عنده من البَعْث الإِذْن ، وفى قول الخازن : «مَرْحباً به» إلى آخره ما يدل على أن الحاشية إذا فهموا من سيدهم عَزْماً لإكرام وافد أن يُبَشِّروه بذلك وإن لم يأذن لهم فيه ، ولا يكون فى ذلك إفشاء للسِّرِّ ، لأن الخازن أعلم النبى صلى الله عليه وسلم حال استدعائه أنه استدعاء إكرام وإعظام ، فعَجَّل بالبُشْرى والفراسة الصادقة عند أهلها وفى محلها يحصل [بها][1] العلم كما يحصل بالوحى ، ولم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول : «مرحباً بك» وإنما أراد التحية بصيغة الغيبة ، والسِّرُّ فى ذلك أنه حَيَّاه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب ، ولهذا قال المَلَك لجبريل : «ومن معك ؟» فخاطبه بصيغة الخطاب ، لأن جبريل خاطب الملك ، فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين ، ويجوز أن يكون حَيَّاه بغير صيغة الخطاب تعظيماً له لأن هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب .

التنبيه الرابع والثلاثون : قول جبريل حين سُئِل : «مَنْ معه» فقال : «محمد» ، دليلٌ على أن الاسم أرفع من الكُنْيَة لأنه أخبر باسمه ولم يُخْبر بكنيته ، وهو عليه الصلاة والسلام مشهور فى العالَمَيْن العلوى والسفلى ، فلو كانت الكُنْيَة أشرف من الاسم لأخبر بها .

التنبيه الخامس والثلاثون : قال ابن أبى جمرة : «استفهام الملائكة» : «وقد أُرْسِل إليه ؟» دليل على أن أهل العالم العلوى يعرفون رسالته ومكانته لأنهم سألوا عن وقتها : هل جاء ؟ لا عنها ، ولذلك أجابوا بقولهم : «مرحباً ونعم المجىء جاء» وكلامهم بهذه الصيغة أَدَلُّ دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالة مكانته وتحقيق رسالته لأن هذا أَجَلّ مايكون من حسن الخطاب، والترفيع على المعروف من عادة العرب . وقد قال العلماء فى معنى قوله تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى[2]) إنه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فإذا هو عروس المملكة» .

التنبيه السادس والثلاثون : وقع فى رواية أنس ومن رواية أبى ذَرّ رضى الله عنهما :

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) سورة النجم آية ١٨

«قلتُ لجبريل : مَنْ هذا ؟ قال : أبوك آدم » . وظاهره أنه سأَل عنه بعد أن قال له آدم : « مَرْحَباً » . ورواية مالك بن صَعْصَعَة بعكس ذلك ، وهى المُعْتَمَدة ، فتُحْمَل هذه عليها ، وليس فى رواية أَبى ذَرّ ترتيب . وفى قول آدم : « مَرْحباً بالابن الصالح » ، إشارة إلى افتخاره بأُبُوَّته للنبي صلى الله عليه وسلم .

٣٦٦ ظ وظاهر قوله فى رواية آدم : « تُعْرَض عليه أرواح ذُرِّيته » إلى آخره / أن أَرْواح بنى آدم من أَهل الجنة والنار فى السماء . قال القاضى : « وهو مُشْكِل ، فقد جاء أن أرواح المؤمنين [مُنَعَّمة[1]] فى الجنة وأن أرواح الكُفَّار فى سِجِّين[2] ، فكيف تكون مجتمعة فى السماء ؟ وأجاب بأَنه يُحْتَمَل أَنها تُعْرَض أوقاتاً فصادف وقت عَرْضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل على أن كونهم فى النار فى أَوقات دون أَوقات قوله تعالى : « النَّارُ ، يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِياً »[3] ، واعْتُرِض بأَن أرواح الكفار لا تُفْتَح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن[4] » ، والجواب ما أبداه القاضى احتمالاً أن الجنة كانت فى جهة يمين آدم والنار كانت فى جهة شماله وكان يُكْشَف له عنهما .

وقال الحافظ : « ويُحْتَمَل أن النَّسَم المَرْئِيَّة هى التى لم تدخل الأَجساد بعد وهى مخلوقة قبل الأَجساد ومستقرها عن يمين آدم وشِمَاله ، وقد أُعْلِم بما سيصيرون إليه فلذلك كان يستبشِر إذا نظر إلى من على يمينه ويحزن إذا نظر إلى من على يساره ، بخلاف التى فى الأَجساد فليست مُرَادَة قطعاً وبخلاف التى نُقِلت من الأَجساد إلى مستقرها من الجنة أو النار فليست مُرَادَة أيضاً فيما يظهر ، وبهذا يندفع الإيراد ، ويُعْرَف أن قوله : « نَسَمُ بنيِه » عام مخصوص أو أُرِيد به الخصوص » . انتهى .

وقال فى الفتح فى باب المعراج : « وظهر لى الآن احتمالٌ آخر وهو أن يكون المراد من

---

(١) ساقط من الأصول والتكلة من الشفا للقاضى عياض

(٢) قال ابن المنير فى شرح سجين بأنها مكان يعذبون فيه أسفل سافلين . وجاء فى المواهب بأنها الأرض السابعة . وفى القاموس : سجين موضع فيه كتاب الفجار وواد فى جهنم .

(٣) سورة غافر آية ٤٦

(٤) وذلك فى قوله تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين » (سورة الأعراف آية ٤٠)

«خَرَجتْ من الأَجساد لا أنها مستقرة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء الدنيا أن تُفْتَح لها أبواب السماء ولا أن تَلِجَها ، ويؤيد هذا ما رواه ابن إسحاق[1]: فإذا أنا بآدم تُعْرَض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روحٌ طَيِّبة ونَفْسٌ طيِّبَة اجعلوها فى عِلِّيين ، ثم تُعْرَض عليه أرواح ذريته الفُجَّار فيقول : روحٌ خبيثة ونَفْسٌ خبيثةَ اجعلوها فى سِجِّين . وفى حديث أبي هريرة : فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريحٌ طيبة وعن شِماله باب يخرج منه ريحٌ خبيثة ، ، فهذا لو صَحَّ لكان المصير إليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف وظاهره عدم اللزوم المتقدم » انتهى .

وقال السهيلى : «فإن قيل كيف رأى عن يمينه أصحاب اليمين ؟ ولم يكن إذ ذاك منهم إلا نفر قليل ، ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقتضى أنهم كانوا جماعة ، والجواب أن يُقال : إن كان الإسراءُ رؤيا بقلبه فتأْويلها أن ذلك سيكون وإن كانت رؤيا عَيْن فمعناها أن أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله يَتَوَفَّى الخَلْق فى منامهم كما قال فى التنزيل (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إلىَ أَجَلٍ مُسَمًّى[2] « فَصَعِدَ بالأَرواح إلى هنالك ثم أُعِيدت إلى أجسادها » .

وقال ابن دِحْية : « فإن قيل : كيف تكون نَسَم السُّعَداء كلهم فى السماء ، وقد كان حين الإسراء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى الأَرض وهم من السعداء ؟ فالجواب : أن آدم إنما رآهم فى مواضعهم ومقارِّهم فى الأَرض ، ولكنه يراهم من الجانب الأَيمن فالتقييد للنظر لا للمنظور » .

وفى قول جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : « هذا أَبوك آدم فَسلِّم عليه » ما يقتضى أن القادم يبدأُ بالسلام على المُقِيم .

التنبيه السابع والثلاثون : وقع فى رواية شريك[3] : «فإذا هو فى السماء الدنيا بنَهْرَيْن

---

(١) سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ١٢) .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢

(٣) الحديث بطوله فى صحيح البخارى كتاب التوحيد (جـ ٧ ص ٢٦٥ : ٢٦٨) رواية شريك بن عبد الله

٣٦٧ و يَطَّرِدان - أي يجرِيان - النيل والفُرات ، ويُجْمَع مُنْصَرَفُهما » - / أي أَصلهما . وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صَعْصَعَة فإن فيه بعد ذِكْر سِدْرَة المنتهى : « فإذا أَصْلُها أربعة » ، فذكر منها النيل والفرات ، ويُجْمَع بينهما بأَن أَصل منبعها من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأَرض .

التنبيه الثامن والثلاثون : وَقَع فى رواية شريك أَيضاً : « ثم مضى النبى صلى الله عليه وسلم فى السماء الدنيا فإذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فيه فإذا طينُه مِسْكٌ أَذْفَر فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذى خَبَّأَ لك رَبُّك ، وهذا مما استُشْكِل فى رواية شريك ، فإن الكوثر فى الجنة وإن الجنة فى السماء السابعة . وقد روى الإمام أَحمد عن طريق حُمَيْد الطويل عن أَنس ، رَفَعَهُ : « دخلتُ الجنة فإذا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربتُ بيدى فى مجرى مائه فإذا هو مِسْك أَذفر » . فقال جبريل: « هذا الكوثر الذى أَعطاك الله تعالى » . وأَصل هذا الحديث عند البخارى بنحوه ، وأَخرجه فى التفسير عن قتادة عن أَنس رضى الله عنه ، ولكن ليس فيه ذِكْرُ الجنة . ورواه أَبو داود من طريق سليمان التيمى عن قتادة ولفظه : « لما عُرِج بنبى الله صلى الله عليه وسلم عَرَض له فى الجنة نهر » ، قال الحافظ : ويمكن أَن يكون فى هذا الموضع شىء تقديره : ثم مضى به فى السماء الدنيا إلى السماء [السابعة] فإذا هو بنهر ، قال تلميذه الحافظ قطب الدين الخيضرى[1] فى الخصائص : « وهذا بعيد إذ بينه وبين السماء السابعة خمس سماوات أُخرى وكل منها له صفة خلاف صفة الأُخرى ولها أَبواب وخُدَّام غير الأُخرى ، فإطلاق المسير إليها وذكرها بعد السادسة مما يبعده أَيضا ، ولكن يقال من غير استبعاد : إن أَصل النهر - الذى هو الكوثر - فى الجنة ، وجعل الله تعالى منه فرعاً فى السماء الدنيا عَجَّل لنبيه صلى الله عليه وسلم رُؤْيَتَه استبشاراً لأَنها أَول المراتب العلوية ، ويؤيد هذا قول جبريل : « خَبَّأَ لك رَبُّك » . انتهى .

التنبيه التاسع والثلاثون : فى قول آدم : « مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح » ،

---

(١) هو محمد بن محمد عبد الله بن خيضر ، يعرف بالخيضرى نسبة إلى جد أبيه ، توفى سنة ٨٩٤ هـ وكان تلميذاً للحافظ ابن حجر العسقلانى ، ترجم له السخاوى ترجمة مطولة ملأها بكثير من المآخذ عليه ، انظر الضوء اللامع ج ٩ ص ١١٧ : ١٢٤ رقم ٣٠٥ .

ثناءٌ جميل جليل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالصلاح مكرراً مع النبوة ، أى صالح مع النبيين جميعاً ، وفيه تنويه بفضيلة الصلاح وعلو درجته ، ولهذا وُصِف النبي صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : وصلاح الأنبياء صلاحٌ خاصّ لا يتناول عموم الصالحين . واحتُجَّ على ذلك بأنه قد تَمَنَّى كثير من الأنبياء أن يلحق بالصالحين ، ولا يَتَمَنَّى الأعلى أن يلحق بالأدنى، ولا خِلاف فى أن النبوة أعلى من صلاح الصالحين من الأُمم . وبهذا تحقق أن الصلاح المضاف إلى الأنبياء غير الصلاح المضاف إلى الأمم ، فصلاح الأنبياء صلاح كامل لأنه يزول بهم كل فساد ، فلهم كل صلاح ومَنْ دونهم الأمثل فالأمثل ، فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد ، واقتصر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على وصفه صلى الله عليه وسلم بالصلاح وتواردوا على ذلك لأن الصلاح يشمل خصال الخير ، ولذلك كررها كل منهم عند وَصْفه[1] .

٣٦٧ظ والصالح هو الذى يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد / ، فمن ثَمَّ كانت كلمةً جامعة مانعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ، ولم يقل له أحد : مرحباً بالنبي الصادق ولا بالنبي الأمين لِمَا ذكرنا من أن الصلاح شامل لسائر أنواع الخير .

التنبيه الأربعون : إنما رأى أَكَلَةَ الربا مُنْتَفِخَةً بطونُهم لأن العقوبة مشاكلة للذنب ، فآكل الربا يربو بطنُه كما أراد أن يَرْبُوَ مالُه بأكل ما حُرِّم عليه فَمُحِقَتْ البركة من ماله وجُعِلت نَفْخاً فى بطنه حتى يقوم (كَمَا يَقُومُ الَّذِى يتخبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ[2]) . وإنما جُعِلوا بطريق آل فِرْعَوْن يَمُرّون عليهم غُدُوًّا وعَشِيّاً ، لأن آل فرعون هم أشدُّ الناس عذاباً فضلاً عن غيرهم من الكُفَّار ، وهم لا يستطيعون القيام . ومعنى كَوْنِهم فى طريق جهنَّم بحيث يُمَرُّ بالكفار عليهم أن الله سبحانه وتعالى قد أَوْقَف أَمْرَهم بين أن ينتهوا فيكون خيراً لهم وبين أن يعودوا ويُصِرُّوا فيُدْخِلهم النار ، وهذه صفة مَنْ هو فى طريق النار ، قال الله تعالى: (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، ومَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[2]) وفى بعض الأحاديث أنه رأى بطونهم كالبيوت يعنى أَكَلةَ الربا ، وفيها حَيَّات تُرَى من خارج البطون .

---

(١) هذه الفقرة نقلها الزرقانى فى شرحه على المواهب جـ ٦ ص ٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

التنبيه الحادى والأربعون : فإن قيل : هذه الأحوال التى ذكرها عن أَكَلَة الربا ، إن كانت عبارة عن حالهم فى الآخرة ، فآل فرعون قد أُدْخِلوا أَشَدَّ العذاب وإنما يُعْرَضون على النار غُدُوّاً وعَشِيّاً فى البرزخ ، وإن كانت الحال التى رآهم عليها فأَىُّ بطونٍ لهم وقد صاروا عِظاماً ورُفَاتاً ومُزِّقوا كل مُمَزَّق ؟ فالجواب أنه إنما رآهم فى البرزخ ، وهذه الحال هى حال أرواحهم بعد الموت . وفيها تصحيحٌ لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فخلق الله تعالى فى تلك الأرواح من الآلام ما يَجِدُه من انتفخ بطنُه حتى وُطِئ بالأقدام ولا يستطيع معه قياماً . وليس فى هذا دليل على أنهم أشدّ عذاباً من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنه يطؤهم آلُ فرعون وغَيْرُهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ، ماداموا فى البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبَّطه الشيطان من المَسّ ، ثم ينادى منادى الله تعالى (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ[1]) . وكذلك ما رأى من النساء المُعَلَّقات بثُدِيِّهن[2] يجوز أن يكون رأى أرواحَهُنّ وقد خُلِق فيها من الآلام ما يَجِدُه مَنْ هذه حالُه ، ويُحْتَمَل أيضاً أن يكون مُثِّلَت له حالُهنّ فى الآخرة .

التنبيه الثانى والأربعون : ذِكْرُه لإدريس [فى السماء الرابعة مع قوله تعالى[3] :] (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا[4]) ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما فى مكان أعلى من مكان إدريس ، فذلك ـ والله تعالى أعلم ـ لِمَا ذُكِر عن كعب الأحبار أن إدريس خُصَّ من بين جميع الأنبياء بأنه رُفِع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، رَفَعه مَلَكٌ كان صديقاً له وهو المَلَك المُوَكَّل بالشمس . وكان إدريس سأله أن يُرِيَه الجنة فأَذِن له الله فى ذلك ، فلما كان فى السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكُ الموت فعَجِب وقال : أُمِرْتُ أن أقبض روح إدريس الساعة فى السماء الرابعة فقبضه هنالك ، فرفعه حَيًّا إلى ذلك المكان العَلِيّ الذى خُصَّ به دون الأنبياء ، قاله السهيلى[5] .

وتقدم الكلام فى النسب النبوى على قوله : «مرحباً بالأخ الصالح » .

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) الثدى يذكر ويؤنث والجمع أثد وثدى وبكسر الثاء أيضاً إتباعاً لما بعدها من الكسر ، عن الصحاح للجوهرى .

(٣) زيادة من الروض الأنف جـ ١ ص ٢٥٤ للسهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) سورة مريم آية ٥٧ .

(٥) نص هذا فى الروض الأنف جـ ١ ص ٢٥٤ .

التنبيه الثالث والأربعون : قال العلماء[1] : «لم يكن بكاء موسى حَسَداً ، معاذَ الله ، / فإن الحَسَد فى ذلك العَالَم منزوع عن آحاد المؤمنين ، فكيف بمن اصطفاهم الله تعالى ، بل كان أسفاً على ما فاته من الأَجْر الذى يترتَّب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أُمته من كثرة المخالفة المُقْتَضِيَة لتنقيص أجورهم والمُسْتَلْزِمة لتنقيص أَجْرِه ، لأَن لكل نبيٍّ أَجْرَ مَنْ تَبِعه ، ولهذا كان مَن اتَّبعه فى العدد دون من اتَّبَع نَبيَّنا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الأُمة . وقال ابن أَبى جَمْرَة : «قد جعل الله تعالى فى قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرحمة والرأفة لأُمتهم ، وقد بكى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسئل عن بكائه فقال : «هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[2]» . والأَنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أَخذوا من رحمة الله تعالى أَوفر نصيب ، فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أَكثر من غيرهم . فلأَجل ما كان لموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللطف بكى إذ ذاك رحمةً منه لأُمته لأَن هذا وقت إفضالٍ وجودٍ وكرم ، فَرَجا لعله يكون وقت القبول والإفضال فيرحم الله تعالى أمته ببركة هذه الساعة . فإن قيل : كيف يكون هذا وأُمته لا تخلو من قسمين : قسم مات على الإيمان ، وقسم مات على الكفر فالذى مات على الإيمان لابُدَّ له من دخول الجنة والذى مات على الكفر لا يدخل الجنة أبداً ، فبكاؤه لأَجل ما ذكرتم لا يسوغ إذ أَن الحكم فيه قد مَرَّ ونَفَذ . قيل فى الجواب : وكذلك قَدَّر الله عز وجل قَدَرَه على قسمين ، كما شاءت حكمته ، فقدَّر قَدَراً وقدَّرَ أن يَنْفُذ على كل الأَحوال وقَدَّرَ قَدَراً وقَدَّر أَلاَّ يَنْفُذ ، ويكون وقوعه بسبب دعاءٍ أَو صَدَقَة أَو غير ذلك» .

ومثاله دعاءُ النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوات الثلاث لأُمته وهى : أَلَّا يظهر عليهم عدوّ من غيرهم ، وأَلاَّ يُهْلِكَهُم بالسنين[3] ، فأُعْطِيهما ودعا بأَلاَّ يجعل بأْسهم بينهم ، فاستُجيب فى الاثنتين ولم يُسْتَجَب له فى الثالثة ، وقيل له : هذا أَمْرٌ قد قَدَّرْته أَى أنفذته ، فكانت الاثنتان من القَدَر الذى قَدَّره الله تعالى وقَدَّر أَلَّا يُنْفِذَه بسبب الدعاء وكانت دعوته

---

(١) الفقرة التالية وردت حرفاً بحرف فى المواهب اللدنية للقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ هـ والذى ترجم له العيدروسى فى النور السافر عن أخبار القرن العاشر (بغداد سنة ١٩٣٤ م ص ١١٣ : ١١٥) ويبدو أن المؤلف وهو شمس الدين الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ قد نقلها عنه ، راجع ترجمة الشامى فى شذرات الذهب لابن العماد جـ ٨ ص ٢٥٠ : ٢٥١ .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم

(٣) السنين جمع سنة والسنة هنا هى الجدب والقحط .

الثالثة من القَدَر الذى قَدَّره الله تعالى وقَدَّر إنفاذه على كل الأحوال لا يرُدُّه رادّ . وسيأتى لهذا مزيد إيضاح .

«فلأَجْل[1] ما رُكِّب فى موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالأُمة طَمِع لعل أن يكون ما اتفق لأُمته من القَدَر الذى قَدَّره الله تعالى وقَدَّر ارتفاعَه بسبب الدعاء والتَّضَرُّع . وهذا وقت يُرْجَى فيه التعطف والإحسان من الله تعالى لأَنه وقت أُسْرِىَ فيه بالحبيب ليخلَع عليه خِلَعَ القُرْب والفضل العميم ، فطَمِع الكليم لعل أَن يُلْحِق لأُمته نصيباً» .

وبوجه آخر وهو البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وإدخال السرور عليه يشهد لذلك بكاؤه حين وَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم وقَبْلَ أَن يبعد عنه لكى يسمعه ، لأَنه لو كان البكاء خاصاً بموسى لم يكن ليبكى حتى يبعد عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسمعه لأَن البكاء والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ، فيه شىء من التهوين عليه . فلما أَن كان المراد بذلك ما يصدر عن البشارة له صلى الله عليه وسلم بسبب البكاء بكى والنبي صلى الله عليه وسلم يسمعه ، والبشارة التى يَتَضَمَّنها البكاء هى قول موسى عليه الصلاة والسلام لِلَّذِى هو أَكثر الأَنبياء اتباعاً : «إن الذى يدخل الجنة من أُمة محمد أَكثر ممن يدخلها من أُمَّتى» .

«وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الأُمة فى أَمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الإشارة لذلك فى حديث أَبى هريرة[2] رضى الله عنه ، مرفوعاً : «كان موسى أَشدَّهم علىَّ حين مَرَرْتُ به وخَيْرَهم حين رَجَعْتُ إليه» . وفى حديث أَبى سعيد[3] : فأَقبلت راجعاً فَمَرَرْتُ بموسى ونِعْمَ الصاحب كان لكم» .

٣٦٨ ظ التنبيه الرابع والأَربعون : قول موسى عليه الصلاة والسلام / : « لأَن غلاما .. » ليس على سبيل النَّقْص بل على سبيل التنويه بقُدرة الله وعظيم كَرَمه ، إذ أَعطى نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك السِّنّ ما لم يُعْطِه أَحداً قَبْلَه مِمَّن هو أَسَنّ منه .

---

(١) هذه الفقرة نقلها المؤلف عن المواهب اللدنية .
(٢) عند الطبرى والبزار .
(٣) هو أبو سعيد الخدرى عند البيهقى وغيره .

وقال الخَطَّابى : العَرَب تسمى الرجل المُسْتَجْمِع السِّنّ : غُلاماً ما دامت فيه بَقِيَة من القوة [فى الكهولة] وقال ابن أَبى جَمْرَة : العَرَب إنما يُطْلِقون على المرء غلاماً إذا كان سَيِّداً فيهم . فلأَجل ما فى هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من أَلفاظ الأَفضلية ذكره موسى دون غيره تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم .قال الحافظ : ويظهر [لى] أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه السلام من استمرار القوة فى الكهولة إلى أن دخل فى سِنّ الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هَرَم ولا عَرَا قُوَّتَه نَقْص ، حتى أن الناس لما رَأَوْه مُرْدِفاً أَبا بكر عند قدومه المدينة أَطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أَبى بكر اسم الشيخ مع كونه عليه السلام فى العُمْر أَسَنّ من أَبى بكر .

التنبيه الخامس والأَربعون : قول موسى : « رب لم أَظُنّ أن تَرْفَعَ عَلَيَّ أَحَداً – بفتح المُثَنَّاة الفوقية و « أَحداً » بالنَّصْب ، ورواته فى الصحيح بضم المُثَنَّاة التحتية و « أَحَدٌ » بالرفع . قال ابن بَطَّال : « فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى فى الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى (إِنِّ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِ سَالَاتِى وَبِكَلَامِى)[1] أن المراد بالناس هنا البَشَر كلهم ، وأنه استحق بذلك أَلاَّ يُرْفَع عليه أَحَدٌ ، فلما فَضَّل الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك[2] .

التنبيه السادس والأَربعون : قال ابن أَبى جَمْرَة : الظاهر أَن القائل لموسى : « ما أَبكاك » ؟ هو البارى تبارك وتعالى ، يدل على ذلك قوله فى الجواب : « رَبِّ [هذا غلامٌ بعثتَه من بعدى ، يَدْخُل من أُمته الجنة أَكثر مما يَدْخُل من أُمتى »[3]]

التنبيه السابع والأَربعون : أَكثر الروايات على أَن موسى عليه الصلاة والسلام فى السماء السابعة بتفضيل الله تعالى ، وهذا مطابق لقوله تعالى : (إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى[1]) وهذا يدل على أَن شريكاً ضَبَطَ كَوْنَ موسى فى السابعة ، وحديث أَبى ذَرّ يوافقه فإن فيه [فيما رواه ابن شهاب الزهرى عن أَنس بن مالك قال : « فذكر أَنه وجد

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٤ .

(٢) نقل المؤلف هذه الفقرة عن القسطلانى فى المواهب اللدنية .

(٣) تكلة حديث موسى كما رواه أبو هريرة وأخرجه البزار والبيهق .

فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم [1]] ولم يثبت منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة » . فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال ومع عَدَمه فقد يُجْمَع بأن موسى كان حالة العروج فى السماء السادسة وإبراهيم فى السماء السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعْصَعَة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة ، لأنه لم يُذْكَر فى القصة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كَلَّمه فى شيء مما يتعلَّق بما فُرِض على أمته من الصلاة كما كَلَّمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هى أول [شيء][2] انتهى إليه حالة الهبوط ، فناسب أنْ يكون موسى بها لأنه هو الذى خاطبه فى ذلك كما ثبت فى جميع الروايات ويُحْتَمل أن يكون لقى موسى فى السادسة فأُصْعِد معه إلى السماء السابعة تفضيلاً له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك فى كلامه مع نبينا فيما يتعلق بأمر أمته فى الصلاة .

التنبيه الثامن والأربعون : وقع فى رواية شريك عن أنس رضى الله عنه أن كل سماء فيها أنبياء قد سَمَّاهم « فوَعَيْتُ منهم إدريس فى السماء الثانية وهارون فى السماء الرابعة / وآخرفى الخامسة لم أحفظ اسمَه ، وإبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة » . وفى رواية أنس عن أبى ذَرّ رضى الله عنهما قال : « فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم » ، ولم يثبت منازلهم ، غير أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة . » انتهى . وهذا موافق لرواية شريك فى إبراهيم ، وهما مخالفان لرواية قَتَادة عن أنس عن مالك بن صَعْصَعَة ، والأكثر وافقوه ، وسياقه يَدُلّ على رُجْحان روايته ، فإنه ضَبَط اسم كل نبي والسماء التى هو فيها ، ووافقه ثابت البُنَانى عن أنس ، كما هو عند مسلم[3] فقال فى روايته : « ثم صَعِد بى حتى أتى السماء الثانية وفيها فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة » ، وذكر فى الثالثة يوسف وفى الرابعة إدريس وفى الخامسة هارون

٣٦٩ و

---

(١) زيادة مما أخرجه البخارى فى صحيحه فى أول كتاب الصلاة (ج ١ طبعة منير ص ١٥٧ و ١٥٨) لتوضيح مراد المؤلف .

(٢) ساقطة من الأصول وأثبتناها من القسطلانى الذى نقل عنه المؤلف .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٠٩ وما بعدها .

وفى السادسة موسى وفى السابعة إبراهيم ، وفى سياق الزُّهْرى فى روايته عن أَنَس عن أبى ذَرّ أنه لم يُثْبِت أسماءهم ، وسياق شريك فيه أنه لم يَضْبِط منازلهم .

ولا شك أن رواية مَنْ ضَبَط أَوْلى ، ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد ابن أبى مالك عن أنس إلا أنه خالف فى إدريس وهارون ، فقال : هارون فى الرابعة وإدريس فى الخامسة ، ووافقهم أبو سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه ، فى رواية إلا أنه قال : « رأى يوسف فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة » . قلت : والأول أثبت ، وأما إبراهيم فالأرجح من الروايات أنه فى السماء السابعة لقوله فيها : إنه رآه مُسْنِداً ظَهْرَه إلى البيت المعمور ، وهو فى السابعة بلا خلاف .

وأما « ما جاء عن علىّ رضى الله عنه أن البيت المعمور فى السماء السادسة عند شجرة طوبى[1] فإن ثبت حُمِل على البيت الذى فى السادسة بجانب شجرة طوبى لأنه جاء عنه أن فى كل سماء بيتاً يُحَاذى الكعبة وكل منها معمور بالملائكة ، وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أَنَس وغيره أن البيت المعمور فى السماء

التنبيه التاسع والأربعون : اختلفت طُرُق المتكلمين على حديث الإسراء فى ذِكْر من ذُكِر من الأنبياء وترتيبهم فى السموات ، فمن العلماء من لم يَرَ الكلام على سرّ ذلك أصلاً ، ومنهم من تكلم فيه ، ثم اختلف هؤلاء ، فمنهم من قال : اختص مَنْ ذُكر من الأنبياء بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عُرْف الناس إذا تلقَّوْا الغائب مُبْتَدِرين للقائه ، فلابُدَّ غالباً أن يَسْبِق بعضهم بعضاً، ويصادف بعضُهم اللقاء ولا يصادفه بَعْضُهم وإلى هذا جَنَح ابن بطّال وهذا زَيَّفه السهيلى[2] فأصاب . وذهب غير ابن بَطَّال إلى أن ذلك تنبيه على الحالات

---

(١) فى التنزيل : « طوبى لهم وحسن مآب » (سورة الرعد آية ٢٩) ، وأورد القرطبى (جـ ٩ ص ٣١٦ و٣١٧) تفسيرات عدة لكلمة طوبى منها : ما روى عن ابن عباس أن طوبى لهم أى فرح لهم وقرة عين وأنها اسم الجنة بالحبشية وعن قتادة : حسنى لهم وعن عكرمة نعمى لهم وعن النحاس أن هذه الأقوال متقاربة لأن طوبى فعلى من الطيب ، وشرحها بمثل هذا الجواليقى فى المعرب ص ٢٢٦ وابن الأثير فى النهاية جـ ٣ ص ٤٦ والزبيدى فى تاج العروس .

(٢) تناول السهيلى الإجابة على هذين السؤالين : أولهما تخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر وثانيهما تخصيص من ذكر منهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة وأشار إلى ما كتبه ابن بطال فى هذا الصدد بقوله : ومغزى كلامه أن الأنبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ » وعلق السهيلى على ذلك بأن ابن بطال لم يصنع شيئاً . وقال ابن حجر فى فتح البارى : « قيل ليظهر تفاضلهم فى الدرجات وقيل لمناسبة تتعلق بالحكمة فى الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الأنبياء فقيل أمروا بملاقاته فمنهم من أدركه من أول وهلة ومنهم من تأخر فلحق ومنهم من فاته وهذا زيفه السهيلى » . انظر شرح الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٦٧ والروض الأنف للسهيلى جـ ١ ص ٢٥٠ و٢٥١ .

الخاصة بهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتمثيل لما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق لهم مما قَصَّه الله تعالى عنهم فى كتابه . والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحَسَن ويستدل به على حُسْن العاقبة وبالضدّ من ذلك . والفأل فى اليقظة نظير الرؤيا فى المنام . وأهل التعبير يقولون من رأى نبياً من الأنبياء بعينه فى المنام فإن رؤياه تُؤْذِن بما يشبه من حال ذلك النبي من شِدَّة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أُخْبر بها عن الأنبياء فى القرآن والحديث .

٣٦٩ظ قال ابن أبي جَمْرَة : « الحكمة فى كون آدم فى السماء الدنيا لأنه أول / الأنبياء وأول الآباء وهو أصل فكان الأَوّل فى الأُولَى ، ولأَجل تأنيس النبوّة بالأُبُوة » وقال السهيلى رحمه الله : « فآدم وقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة ، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقَّة وكراهة فراق ما لَقيه فى الوطن ، ثم كان لكل منهما أن يرجع إلى وطنه الذى خرج منه » .

وقال ابن دِحْية : « إن فى ذلك تنبيهاً على أنه يقوم مقامه فى مبدأ الهجرة لأن مقام آدم التهيئة والنشأة وعمارة الدنيا بأولاده ، وكذا كان مقام المصطفى أول سنة من الهجرة مقام تنشئة الإسلام وتربية أهله واتخاذ الأنصار لعمارة الأرض كلها بهذا الدين الذى أظهره الله على الدين كله ، وزوى الأرض لنبيِّه حتى أراه مشارقَهَا ومغاربَهَا ، فقال صلى الله عليه وسلم : (وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُ أُمَّتِى ما زُوِىَ لى منها[1] » . واتفق ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك حتى جىء إليه خراج الأرض شرقاً وغرباً ، وكان إذا نشأت سحابة يقول : « أَمْطِرِى حيث شئت فسيصل إلىّ خراجُك » .

ثم رأى فى السماء الثانية عيسى ويحيي وهما المُمْتَحَنان باليهود . أما عيسى فكَذَّبته اليهود وآذَتْهُ وَهَمُّوا بقتله فرفعه الله تعالى ، وأما يحيي فقتلوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان . وكانت مِحْنَتُه فيها باليهود [آذوه][2] وظاهروا عليه وهَمُّوا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فَنَجَّاه الله تعالى

---

(١) وفى رواية : « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها » وفى النهاية ج ٢ ص ١٣٥ زويت أى جمعت .

(٢) التكملة من الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٠ للسهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

كما نَجَّى عيسى (منهم][1] ثم سَمُّوه فى الشاة ، فلم تزل تلك الأُكْلَة تُعَادُّه حتى قطعت أَبْهَره [كما قال عند الموت][1] .

وقال ابن أَبِي جَمْرَة : لأَنهما أَقرب الأَنبياء عهداً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن دِحْية : كانت حالة عيسى ومُقَامه معالجة بنى إسرائيل والصبر على معاداة اليهود وحِيَلهم ومَكْرهم ، وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله : (مَنْ أَنصارى إلى الله) أى مع الله ؟ (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ[2]) فهذه كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ، ففيها طلب الأَنصار للخروج إلى بدر العظمى فأَجابوا ونصروا ، فلقاؤه لعيسى فى السماء الثانية تنبيه على أنه سيلقى مِثْلَ حاله ومُقَامه فى السنة الثانية من الهجرة .

وأما لقاؤه ليوسف عليه السلام فى السماء الثالثة فإنه يُؤْذِن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف بما جرى له مع إخوته الذين أخرجوه من بين أظهرهم ثم ظَفِر بهم فصَفَح عنهم وقال : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[3] وكذلك نَبِيُّنا عليه الصلاة والسلام أخرجه قومه ثم ظفر بهم فى غزوة الفتح فعفا عنهم وقال : (أقول كما قال أخى يوسف : (لا تثريب عليكم) .

قال ابن أَبِي جمرة : لأَن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة على صورته ، زاد ابن أَقرص[4] وإشارة إلى جعله على خزائن الأَرض . وقال ابن دحية : مناسبة لقائه ليوسف فى السماء الثالثة أَن السنة الثالثة من سنى الهجرة اتفقت فيها غزوة أحد وكانت على المسلمين لم يُصَابوا بنازِلة قبلها ولا بعدها مِثْلها ، فإنها كانت وقعة أَسَفٍ وحُزْن . وأهل التعبير يَقولون : مَنْ رأى أَحَداً اسمه يوسف آذَنَ ذلك من حيث / الاشتقاق ومن حيث ٣٧٠و

---

(١) التكملة من الروض الأنف جـ ١ ص ٢٥٠ للسهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) من الآية الثانية والخمسين من سورة آل عمران .

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٤) لم نتبين حقيقة هذا الاسم فى معجمات رواة الحديث ولعله ابن قبيصة ، وهو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى ، صدوق روى عن أبيه وكعب الأحبار وروى عنه برد بن سنان وعثمان بن عطاء بقى إلى حدود العشرين ومائة ، عن خلاصة الخزرجى ص ٢٥ .

قصة يوسف عليه السلام بأَسَف يَنَالُه . قال ابن دِحْية : فإن كان يوسف النبي فالعاقبة حميدة والآخرة خَيْرٌ من الأُولى .

ومما اتفق فى غزوة أُحُد من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب ما حصل للمسلمين من الأَسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الأَسف على يوسف لاعتقاده أنه فُقِد إلى أن وَجَد رِيحَه بعد تطاول الأَمَد . ومن المناسب أيضا بين القصتين أن يوسف كِيدَ وأُلْقِى فى غيابة الجُبّ حتى أنقذه الله تعالى على يد من شاء . قال ابن إسحاق : وكُبَّت الحجارة على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش حتى سقط لجنبه فى حُفْرَة كان أبو عامر الفاسق قد حَفَرها مكيدةً للمسلمين ،فأخذعلىٌّ كَرَّم الله وَجْهَه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام .

قال السهيلي : « ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سَمَّاه الله (مَكَانًا عَلِيّاً)[1] وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مُؤْذِناً بحال رابعة وهى علوّ شأنه عليه السلام حتى خافه الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عندمَلِك الروم حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هِرَقْل : لقد أَمِر[2] أَمْرُ ابن أَبِى كبشة حتى أصبح يخافه مَلِكُ بنى الأَصفر ، [وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ، ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأتحفه كَهِرقْل والمقوقس ، ومنهم من تَعَصَّى عليه فأظهره الله عليه ، فهذا مَقَامٌ عَلِيّ وخط بالقلم كنحو ما أُوتى إدريس عليه السلام .][3]

« و لقاؤه فى السماء الخامسة لهارون المُحَبَّب فى قومه يُؤْذِن بحُبّ قريش وجميع العرب له بعد بُغْضِهم فيه » . وقال ابن أَبِى جَمْرَه : إنما كان هارون فى الخامسة لقربه من أخيه موسى ، وكان موسى أرفع منه بفضل كلام الله تعالى . وقال ابن دحية ما نال هارون من بنى إسرائيل من الأَذى ثم الانتصار عليهم والإيقاع بهم وقَصْر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المُنْحَطَّة عنه ، وذلك أن هارون عندما تركه موسى فى بنى إسرائيل

---

(١) من الآية ٥٧ من سورة مريم . (٢) أمر الأمر أى اشتد .

(٣) ما بين معقفين تكلة لما نقله المؤلف عن السهيلي (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٠) .

وذهب لموعد المناجاة تَفَرَّقوا على هارون وتَحَزَّبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العَهْد وأخلفوا المَوْعِد واستضعفوا جانِبَه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجنَاية العظمى التى صدرت منهم عبادة العِجْل فلم يقبل الله تعالى منهم التوبة إلا بالقتل فقُتِل فى ساعة واحدة سبعون ألفاً كان نظير ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه فى السنة الخامسة من الهجرة من يهود قُرَيْظة والنضير وقَيْنُقَاع ، فإنهم نقضوا العهد وحَزَّبوا الأَحزاب وجمعوها وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله . وذهب إليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم فى دية قتيلَيْن فأظهروا إكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يُلْقوا عليه رحى ، فنزل جبريل فأَخبره بمكرهم الذى هَمُّوا به . فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم ، وفعل الله تعالى ذلك ، وقتل قُرَيْظة بتحكيمهم سعد بن مُعَاذ ، فَقُتِلُوا شَرَّ قِتْلة وحاق المَكْرُ السَّيء بأهله . ونظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم المسلمين فى غزوة الخندق كما سيأتى بَسْطُ ذلك .

ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى يُؤْذن بحالة تشبه حالة موسى / حين أمر بغزو الشام ، ٣٧٠ظ فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بنى إسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دُومة[1] حتى صالحه على الجزية بعد أن أُتِيَ به أسيراً ، وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه .

وقال ابن دِحْية : « يُؤْذِن لقاؤه فى السادسة بمعالجة قومه فإن موسى ابتُلِي بمعالجة بنى إسرائيل والصبر على أذاهم ، وما عالجه المصطفى فى السنة السادسة لم يُعَالِج قبله ولا بعده مِثْلَه ، ففى هذه السنة افتتح خيبر وفَدَك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضربهم بِسَوْط البلاء وعالج النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة كما عالج موسى من قومه ، أراد أن يقيم الشريعة فى الأرض المقدسة وحَمَل قَوْمَه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا :

---

(١) هى دومة الجندل بضم أوله وأنكر ابن دريد الفتح وتقع بين الشام والمدينة قرب جبل طيء وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل . وفى السنة التاسعة من الهجرة بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لفتحها فغزاها وأسر صاحبها أكيدر الذى عاد به أسيراً إلى المدينة فأسلم وكتب له النبى كتاباً له ولأهل دومة . هذا ودومة الجندل هى غير دومة الحيرة . انظر سيرة ابن هشام ج ٤ ص١٨١ و١٨٢ وفتوح البلدان للبلاذرى طبعة القاهرة سنة ١٩٠١ م ص٦٨ : ٧٠ ومعجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ١٠٦ : ١٠٩ وتاريخ الطبرى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ج ٣ ص ١٤٦ : ١٤٧ .

إن فيها قوماً جَبَّارين وإنا لن ندخلها أبداً حتى يخرجوا منها . وفى الآخر سَجَّلوا بالقنوط فقالوا : إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فغَضِب الله عليهم وحَالَ بينهم وبينها ، وأوقعهم فى التيه . وكذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة السادسة أن يدخل بمن معه مكة يُقيم بها شريعة الله وسُنَّة إبراهيم ، فصَدُّوه فلم يدخلها فى هذا العام ، فكان لقاؤه لموسى تنبيهاً على التَّأَسِّى به وجميل الأثر فى السنة القابلة .

ثم لقاؤه فى السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام [لحكمتين : إحداهما أنه رآه][1] عند البيت المعمور مُسْنِداً ظَهْرَه إليه . والبيت المعمور حيال الكعبة وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة وأَذَّن فى الناس بالحَجّ إليها [والحكمة الثانية أن][1] آخر أحوال النبى صلى الله عليه وسلم حجه إلى البيت الحرام وحج معه فى ذلك العام نحو من سبعين ألفا [من المسلمين[1]] . ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تُؤْذِن بالحج لأنه الداعى إليه والرافع لقواعد [الكعبة المحجوجة][1]

وقال ابن أبى جمْرَة : « وإنما كان إبراهيم فى السماء السابعة لأنه الأب الأخير ، فناسب أن يتجدد للنبى صلى الله عليه وسلم بلقائه أُنْسٌ لتوجهه بعده إلى عَالَم آخر ، وأيضاً فمنزلة الخليل تقتضى أرفع المنازل ، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته فلذلك ارتفع النبى صلى الله عليه وسلم عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى » .

وقال ابن دِحْيَة : « مناسبة لِقائه لإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر عُمْرَة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة ، ودخل مكة وأصحابه مُلَبِّين مُعْتَمِرين مُحْيِيًا لسُنَّة إبراهيم ومُقيما لرسمه الذى كانت الجاهلية أماتت ذِكْرَه وبَدَّلَت أمْرَه. وفى بعض الطرق أنه رأى إبراهيم مُسْنِداً ظهره إلى البيت المعمور فى السماء السابعة ، وذلك – والله تعالى أعلم – إشارة إلى أنه يطوف بالكعبة فى السنة السابعة وهى أول دخلة دخل [فيها] مكة بعد الهجرة . والكعبة فى الأرض قبالة البيت المعمور . وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف البيت المعمور : « فإذا هو يدخله كل يوم سبعون / ألفاً ٣٧١و

---

(١) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥١) .

لا يرجعون إليه إلى آخر الدهر إشارة إلى أنه إذا دخل البيت الحرام لا يرجع إليه لأنه لم يدخله بعد الهجرة الا عام الفتح ولم يعاوده فىحجة الوداع .

التنبيه الخمسون : فإن قيل كيف أَمَّ الأَنبياء فى بيت المقدس وسَلَّم عليهم وعرفهم ثم سأَل عنهم ثم يراهم تلك الليلة فى السموات ويسأَل عنهم جبريل؟ فإنه لو رآهم وعرفهم لما احتاج إلى سؤال جبريل عنهم . والجواب أنه لما اجتمع بهم ببيت المقدس وأَمَّهم على الهيئة البشرية تحقق وجودهم فى الأَرض ، ثم لما وصل إلى الملكوت العلوى لم يجدهم على تلك الحالة التى شاهدهم عليها ، وإنما هم على صفات روحانية يُشَكِّل الله تعالى لهم أشكالاً لائقة بالملكوت العلوى تأْنيساً لهم بأَصلهم البشرى وتكريماً لهم وتعظيما للقُدْرة الإلهية حيث شاهدهم تلك الساعة فى الأَرض ثم رآهم فى منازلهم فى السماء ، فلذلك سأَل عنهم استثباتاً لا تعجباً ، فإنه عالِمٌ أن الله تعالى الذى أصعده إلى هذا المكان فى لحظة قادرٌ على نقلهم إلى السموات فى أسرع من طَرْفَة عين سبحانه وتعالى .

التنبيه الحادى والخمسون : واستُشْكِل رؤية الأَنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى السموات مع أن أَجسادهم مستقرة فى قبورهم فى الأَرض . وأُجيب بأَن أَرواحهم تشكلت بصور أَجسادهم ، أَو أُحْضِرَتْ أَجسادهم لملاقاة النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفاً وتكريماً ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عند البيهقى وغيره : « وبُعِث له آدم فمن دونَه من الأَنبياء » .

وقال ابن أَبى جمرة : « رؤيته لهؤلاء الأَنبياء يَحْتَمِل وجوهاً : الأَول : أَن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم فى قبره فى الأَرض على الصورة التى أَخبر بها عن الموضع الذى عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد أَعطاه من القوة فىالبصر والبصيرة ما أَدرك به ذلك . ويشهد لهذا الوجه قوله صلى الله عليه وسلم : « رأَيْتُ الجنة والنار فى عُرْض الحائط » . وهو مُحْتَمَل : لوجهين أَحدهما : أَن يكون صلى الله عليه وسلم رآهما من ذلك الموضع كما يقال رأَيتُ الهلال من منزلى من الطاق والمراد من موضع الطاق ، الثانى : أَن يكون مُثِّل له صورتهما فى عُرْض الحائط ، والقدرة صالحة لكليهما . الثانى : أَن يكون صلى الله عليه وسلم عايَن أَرواحهم هناك فى صورهم . الثالث : أَن يكون الله عز وجل لما أَراد الإسراء بنبينا رفعهم من

قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه عليه السلام وتعظيماً له حتى يحصل له من قِبَلهم ما أَشَرْنَا إليه من الأُنس والبشارة وغير ذلك مما لم نُشِرْ إليه ولا نعلمه نحن ، وإظهاراً له عليه الصلاة والسلام القدرة انى لا يغلبها شيء ولا تعجز عن شيء وكل هذه الأَوْجُه[1] مُحْتَمَلة ولا ترجيح لِأَحَدِها على الآخر لأن القدرة صالحة لكلها .

وقال ابن القَيِّم فى كتاب الروح[2] « الأَرواح قسمان : أَرواح مُعَذَّبة وأَرواح مُنَعَّمة ، ٣٧١ظ فالمُعَذَّبة فى شُغْل بما هى فيه / من العذاب عن التزاور والتلاق . والأَرواح المُنَعَّمة المرسلة غير المحبوسة تتلاق وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح معها رفيقها الذى هو على مثل عملها . وروح نبينا صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الأَعلى . قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشهَدَاء والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً[3]) وهذه المَعِيَّة ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من أَحَبَّ .

ثم ذكر حديث أَبى هريرة : « لما أُسْرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم لَقِىَ إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أَمْرَ الساعة » . الحديث . قال : فهذا نَصٌّ فى تذاكر الأَرواح العلم ، وقد أَخبر الله تعالى عن الشهداء أَنهم أَحياء عند ربِّهم يرزقون وأَنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أَوجه : أَحدها : أَنهم أَحياء عند الله وإذا كانوا أَحياء عند الله فهم يتلاقون . الثانى : أَنهم إنما يستبشرون بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم . الثالث : أَن لفظ يستبشرون يُفيد فى اللغة أَنهم يُبَشِّر بعضهم بعضا مثل يتباشرون وقد تواترت المرائى[4] بذلك فذَكَر عدة منامات . ثم قال : وقد جاءت سُنَّة صريحة بتلاقى الأَرواح وتعارفها . قال ابن أَبى الدنيا[5] : حدثنى محمد بن عبد الله

---

(١) ذهب الزرقانى إلى أنه : « بقى احتمال رابع جزم به أبو الوفاء بن عقيل وهو أن أرواح هؤلاء الأنبياء مستقرة فى الأماكن التى رآهم المصطفى فيها متشكلة بصور أجسادهم لكنه إنما يظهر فى الذين رآهم فى السموات لا فى بيت المقدس » (شرح المواهب ج ٦ ص ٧٣) .

(٢) نشر كتاب الروح لابن قيم الجوزية فى حيدر اباد سنة ١٣٥٧ هـ .

(٣) سورة النساء آية ٦٩ .

(٤) المرأى المنظر وجمعها مرائى ويقصد بها الرؤى المنامية .

(٥) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموى مولاهم أبو بكر بن أبى الدنيا البغدادى الحافظ صاحب التصانيف سمع خلف بن هشام وخالد بن خداش وأبا نصر التمار وغيرهم وقال ابن أبى حاتم صدوق ، توفى سنة ٢٨١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ وخلاصة الخزرجى ١٨٠ .

ابن بَزِيغ – بفتح الموحدة وكسر الزاى والغين المعجمة – أنبأنا الفضيل بن سليمان النُميْرى حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن أَبي أُنَيْسة عن جَدِّه قال : لما مات بِشْر بن البَرَاء بن معرور – بمهملات – وجدت أم بشر عليه وجداً شديداً ، فقال : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سَلِمة – أى بكسر اللام – فهل يتعارف الموتى فأُرْسِل إلى بشر السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم والذى نفسى بيده يا أم بِشْر ، إنهم ليتعارفون كما يتعارف الطير فى رءوس الشجر » .

وذَكَر الحديث وآثاراً تؤيد ذلك ، ثم قال : « والروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء ، وتتحرك وتسكن ، وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها فى كتابنا : معرفة الروح والنفس ، وبيَّنَّا بُطْلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة ، وأن مَنْ قال غَيْرَه لم يعرف نفسه وقد وصفها الله تعالى بالدخول والخروج ، والقَبْض والتَّوفِّى والرجوع ، وصعودها السماء وفتح أبوابها وغَلْقِها عنها ، وقد ذُكِرت آيات وأحاديث كثيرة تشهد بما قاله » .

ثم قال : « وأما إخْبارُه صلى الله عليه وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة الإسراء به ، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذى رآه أشباحهم وأرواحهم . قال : فإنهم أحياء عند ربهم يُرْزَقون . وقد رأى المصطفى إبراهيم مُسْنِداً ظَهْرَه إلى البيت المعمور ورأى موسى قائماً فى قبره يصلى ، وقد نَعَت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما رآهم بنعت الأشباح » .

ونازعهم آخرون وقالوا : هذه الرواية إنما هى لأرواحهم دون أجسادهم ، والأجساد فى الأرض قطعاً وإنما تُبْعَث يوم تبعث الأجساد ، ولا تُبْعَث قبل/ ذلك ، إذ لو بُعِثت قبل ذلك لكانت ٣٧٢و قد انشَقَّت عنهم الأرض قبل يوم القيامة ، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور ، وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قَطْعاً ، ولو كانت قد بُعِثت الأجساد من القبور لم يُعِدْهُمْ الله تعالى إليها ، بل كانت فى الجنة و قد صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله إن الله تعالى حَرَّم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها [هو] ، فهو أول من يَسْتَفْتِح باب الجنة ، وأول من تَنْشَقّ عنه الأرض على الإطلاق ، ولم تنشق عن أحَد قبله ، ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى الله عليه وسلم فى الأرض طرى .

وقد سأله أصحابه : كيف تُعْرَض عليك صلاتنا وقد بَلِيَت ؟ فقال : « إن الله حرَّم على الأَرض أن تأْكل أجساد الأَنبياء »[1] ولو لم يكن جسده فى ضريحه [طرياً] لما أجاب بهذا الجواب.وقد صَحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وَكَّل بقبره ملائكة يُبَلِّغونه عن أمته السلام ، وصَحَّ عنه صلى الله عليه وسلم لما خرج بين أَبى بكر وعمر قال : « هكذا نُبْعَث » .

هذا مع القطع بأَن روحه الكريمة فى الرفيق الأَعلى فى أعلى عِلِّيين مع أَرواح الأَنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . وقد صَحَّ أنه رأَى موسى عليه السلام قائماً يصلى فى قبره ليلة الإسراء ورآه فى السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر وإشراق عليه وتَعَلُّق به بحيث تصلى فى قبره وتَرُدّ سلام من سَلَّم عليه وهو فى الرفيق الأَعلى .

ولا تنافى بين الأَمرين فإن شأْن الأَرواح غَيْرُ شأْن الأَبدان، فأَنت تجد الروحَيْن المتلائمتَيْن المتناسبتَيْن فى غاية التجاور والقُرْب وإن كان بين بَدَنَيْهما غاية البُعْد ، وتَجد الروحَيْن المُتَنافرتَيْن المتباغضتَيْن فى غاية البُعْد وإن كان جسداهما متجاوِرَيْن متلاصقَيْن ، وليس نزول الروح وصعودها ، وقُرْبُها وبُعْدُها من جنس ما للبَدَن فهى تصعد إلى فوق سبع سموات ثم تهبط إلى الأَرض ما بين قَبْضها ووضع الميت فى قبره ، وهو زَمَنٌ يسير لا يصعد البدن وينزل فى مثله ، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن فى النوم واليقظة.[2] وقد مَثَّلها بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الأَرض .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه عن أوس رفعه ، وروى الزبير بن بكار من مرسل الحسن : « من كلمه روح القدس لم تأكل الأرض لحمه ». وروى البيهقى عن أبى العالية : « أن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع . وجاء فى شرح الزرقانى على المواهب جـ ٥ ص ٣٣٠ : قال الشيخ أبو الحسن المالكى فى شرح الترغيب : « وحكمة عدم أكل الأرض أجساد الأنبياء ومن ألحق بهم أن التراب يمر على الجسد فيطهره والأنبياء لا ذنب لهم فلم يحتج إلى تطهيرهم بالتراب » .

(٢) نقض ابن حجر والقسطلانى فى فتح البارى وفى المواهب ما ذهب إليه ابن القيم فى كتابه الروح فى ترجيحه أن رؤيته صلى الله عليه وسلم للأنبياء أنها لأرواحهم فقط على اعتبار أن الأجساد فى الأرض إنما تبعث يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الأرض قبلها وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور وهذه موتة ثالثة وبأنها لو بعثت الأجساد لم تعد إلى القبور بل كانت فى الجنة مع أنها محرمة على الأنبياء حتى يدخلها نبينا فهو أول من يستفتح باب الجنة ولا تنشق الأرض عن أحد قبله . وهذا فى نظرهما باطل قطعاً لأنه إنما يصح لو كانت أرواح هؤلاء الأنبياء مفارقة لأجسادهم فى قبورهم وليس كذلك . بل هم أحياء فى قبورهم بحياة حقيقية يأكلون ويشربون وخروجهم من قبورهم ومجيئهم لها ليس الخروج المقتضى للبعث فلا يعد بذلك مفارقاً للجسد والذى يعد به مفارقاً هو ما يحدث بحيث لا يعود إليه بل يقوم للقيامة وبهذا سقط كلامه : انظر الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٧٣ .

قال[1] شيخنا – يعني أبا العباس الحرّاني[2] : وليس هذا مثالاً مطابقاً فإن نفس الشمس لا تزول من السماء والشعاع الذى على الأرض لا هو الشمس ولا صفتها بل عَرَض حصل بسبب الشمس والجِرْم المقابل لها ، والروح نفسها تصعد وتنزل وبَسَطَ الكلام على ذلك ولهذا مزيد بيان فى باب حياة النبي صلى الله عليه وسلم فى قبره .

التنبيه الثانى والخمسون : فى الكلام على البيت المعمور : قال أبو عبيدة : معنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى الضُّرَاح – بضم الضاد المعجمة – ويقال المهملة[3] . قال الزمخشرى[4] فى ربيع الأبرار وهو غلط صُرَاح ، وبالضُّرَاح تُسَمِّيه الملائكة ، وسُمّى به لأنه ضَرَح عن الأرض أى بَعُد[5] قال مجاهد : « البيت المعمور وهو الضريح » يعنى بالمعجمة وهو فى اللغة : البعيد ، وأكثر الروايات على أنه فى السماء السابعة .

وروى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن أَنَس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة » . ورواه الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أيضا . وروى إسحق بن راهويه عن على رضى الله عنه أنه سئل عن البيت المعمور ، قال : « بيت الله فى السماء السابعة بحيال البيت ، وحُرْمَتُه كحرمة هذا فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملَك لا يعودون إليه » .

وفى حديث أبى هريرة عند ابن مَرْدَوِيه والعُقَيْلى وابن أبى حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فى السماء [السابعة] بيت يقال له البيت المعمور وفى السماء الرابعة نهر

---

(1) القائل هو شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

(2) شيخ ابن القيم هو العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرانى المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

(3) جاء فى النهاية (جـ ٣ ص ١٦) الضراح بيت فى السماء حيال الكعبة ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهى المقابلة والمضارعة وقد جاء ذكره فى حديث على ومجاهد ومن رواه بالصاد فقد صحف .

(4) ذهب إلى مثل هذا الزمخشرى فى كتابه الفائق فى غريب الحديث (جـ ٢ ص ٥٩ القاهرة سنة ١٩٤٧ م) وأضاف : يقال ضارح صاحبك فى رأيه ونيته ، بمعنى المعارضة والمقابلة . ثم قال : وسألنى عنه بعض المشيخة المتعاطين لتفسير القرآن وأنا حدث فطفق يلاحنى ويزعم أنه بالصاد حتى رويت له بيت المعرى :

وقد بلغ الضراح وساكنيه نثاك وزار من سكن الضريحا

وأريته كيف قصد أبو العلاء الجمع بين الضراح والضريح ليجنس ، فسكن ذلك من جماحه .

(5) فى تاج العروس : ضرحه كنعه دفعه ونحاه وفى اللسان الضرح أن يؤخذ شىء فيرمى به فى ناحية وعبارة الصحاح والأساس واللسان تفيد أن الضرح هو الدفع مطلقاً . وفى المعجم الوسيط : ضرح الشىء دفعه وأبعده ناحية .

يقال له الحيوان ، يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرّ عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة مَلَكاً يُؤْمَرون أن يأْتوا البيت المعمور فَيُصَلُّون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، ويُولىَّ عليهم أحدهم ثم يُؤْمَر أن يقف بهم فى السماء موقفاً يُسَبِّحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة ». وإسناده ضعيف[1]. والصحيح أنه ليس بموضوع كما بَيَّنْتُه فى : « الفوائد المجموعة فى بيان الأحاديث الموضوعة »[2] .

وروى أبو الشيخ[3] من طريق اللَّيْث قال : حدثنى خالد بن سعيد قال : « بلغنى أن إسرافيل مُؤَذِّن أهل السماء يَسْمَع تأْذينه مَنْ فى السموات السبع ومن فى الأرض ، إلا الجِنَّ والإنس ، ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلى بهم » ، قال : « وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور » . واسْتُدِلَّ بهذه الأحاديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات ، لأنه لا يعرف من جميع العوالم مَنْ يتجدَّد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت فى هذه الأحاديث[4] .

التنبيه الثالث والخمسون : قوله : « فرُفِع إلىَّ البيت المعمور » ، معناه أنه أُرِىَ له . وقد يحتمل أن يكون المراد الرفع والرؤية معاً ، لأنَّه قد يكون بينه وبين البيت عوالم حتى لا يقدر على إدراكه ، فرُفِع إليه وأُمِدَّ فى بَصَره وبصيرته حتى رآه ، ويحتمل أن تكون

---

(١) جزم بضعف هذا الإسناد ابن حجر فى فتح البارى وذلك فى شرحه لحديث بدء الخلق ، وقال الزرقانى : ورواه أيضاً ابن المنذر بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن أبى هريرة لكن موقوفاً . لكن حكم هذا الحديث الرفع إذ لا يقال رأياً ، فاعتضد ضعف طريق رفعه . ولذا قال الشامى — أى مؤلف هذا الكتاب — : « الصواب أنه ليس بموضوع كما زعمه بعضهم ». انظر شرح المواهب ج ٦ ص ٨١ .

(٢) لشيخ الشامى وهو جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ كتاب يتناول هذا الموضوع من الأحاديث اسمه : « اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » طبع فى القاهرة طبعة ثانية فى مجلدين فى سنة ١٣٥٢ هـ .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصارى — وحيان بفتح الحاء المهملة والمثناة التحتية الثقيلة — ويعرف بأبى الشيخ . وهو حافظ أصبهان ومسند زمانه كتب العالى والنازل ولقى الكبار وقال ابن مردويه ثقة مأمون صنف التفسير والكتب الكثيرة فى الأحكام ومن كتبه التى يشير إليهما المؤلف أكثر من مرة كتاب العظمة ، ترجم له الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ١٤٧ : ١٤٩) حيث جعله من حفاظ الطبقة الثانية عشر وأورد عن أبى نعيم قوله بأنه توفى سنة ٣٦٩ هـ .

(٤) مما يوضح ما ذهب إليه المؤلف من كثرة عدد الملائكة قول القسطلانى : « إنه ليس فى السماء ولا فى الأرض موضع شبر إلا وملك واضع جبهته هناك ساجداً » .

وفى فتح البارى استدل على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف فى جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفاً غير الملائكة . انظر شرح الزرقانى على المواهب ج ٦ ص ٨٠ و ٨١ .

تلك العوالم التى كانت بينه وبين البيت المعمور أُزيلت حتى أَدركه بَصَرُه . وقد يحتمل أن يكون العالم بقى على حاله والبيت على حاله ، وأُمِدَّ فى بَصَره وبصيرته حتى أَدركه وعاينه ، والقدرة صالحة للكُلّ ، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « رُفِع إلىّ بيت المقدس على ما سيأْتى فيه » ، والتأْويل فيه كالتأْويل فى البيت المعمور .

وأَكثر الروايات : « رُفِعْتُ إلى سِدْرة المنتهى » ، بضم الراء وسكون العين وضم التاء من « رفعت » ، وبَعْدَه حَرْف الجَرّ . ولبعضهم « ورُفِعَتْ » بفتح العين وسكون التاء ، أى « السدرة لى » باللام أى من أَجْلِي ، ويُجْمَع بين الروايتين بأَن المراد أَنه رُفِع إليها أى ارْتُقِي بها فظهرت له والرَّفْعُ إلى الشيء يُطْلَق على التقريب منه .

التنبيه الرابع والخمسون : / وَجْه مُناسبَة المعراج الثامن إلى سِدْرة المُنْتَهَى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة . إن السنة الثامنة اشتملت على فتح مكة ، ومكة أُمّ القُرَى وإليها المنتهى ومنها المبتدأ ، على ما ورد أن الأَرض كلها دُحِيت[1] من مكة ، فلذلك سُمِّيت أم القُرَى ، أو هى أُمّ القُرَى لأَن أَهل القُرَى يرجعون إليها فى الدين والدنيا حَجًّا واعتماراً وجِوَاراً وكَسْبًا واتجاراً قال الله تعالى (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ[2]) أى تقوم بأَبدانهم وأَديانهم . وقال تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ[3]) قيل هى الأَجْر والتجارات فى الموسم . فبين سِدْرة المُنْتَهَى وأُم القُرَى من المناسبة ما لا يَخْفَى ، إذ سِدْرة المنتهى ينتهى إليها عِلْمُ الخلائق ، ومكة ينتهى إليها أَهْلُ الآفاق شرقاً وغرباً وفيها يكون الاجتماع . فكان بلوغه إلى سِدْرة المنتهى . تنبيهاً على بلوغه إلى فتح مكة أُم القُرَى فى العام الثامن ، وقد غشى السدرة الجراد والفَرَاش والغربان الذى هو جُنْدٌ من جُنْد الله كما غشى مكة فى الفتح جندُ الله وحِزْبُه وغشيها أيضاً أَجناسٌ من الخَلْق

٣٧٣و

---

(١) من دحا يدحو دحواً ، دحا الشيء بسطه ووسعه . وفى التنزيل : « والأرض بعد ذلك دحاها » أى بسطها وقيل سواها . وعن ابن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت . انظر تفسير القرطبى ج ١٩ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٧ وقياماً للناس انتعاشاً لهم فى أمر دينهم ودنياهم ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم (الكشاف ج ١ ص ٢٢٨) وعند القرطبى (ج ٦ ص ٣٢٥) قياماً للناس أى صلاحاً ومعاشاً لأمن الناس بها وعلى هذا يكون قياماً بمعنى يقومون بها أو يقومون بشرائعها .

(٣) سورة الحج آية ٢٨ .

وألْوانٌ من الأَسود والأَحمر .وجاء اللفظان معا فى الحديث ، كما غشى سدرة المنتهى ألوان لا يعلمها إلا الله تعالى : فلما غشيت الأَلوانُ السِّدْرَةَ حَسُنَت إلى أن لا يُحْسنَ أَحَدٌ أن يَنْعَتَها لِفَرْط الحُسْن . كما أن ألوان الخَلْق لما غَشِيت مكة يوم الفتح حَسُنَت حينئذٍ بالإيمان وبأَهل القرآن حتى لا يُحْسِن أَحَدٌ أن يَصِف حالها حينئذ من عِظَم الشأْن .

ثم كان ظهور الأَنهار الأَربعة حينئذ دليلاً على أن تلك الأُمة ستبلغها ويُحَقِّقُه أيضا قولُه صلى الله عليه وسلم : « زُوِيَتْ لى الأَرض مشارِقُها ومغارِبُها وسيبلغ مُلْك أُمتى ما زُوِىَ لى منها » .

التنبيه الخامس والخمسون : وقع فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند مسلم[1] أن السدرة فى السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضى الله عنه أنها فى السابعة ، قال القرطبى[2] : « وهذا تعارض لاشك فيه » ، وهو الذى يقتضيه وَصْفُها بكَوْنِها التى ينتهى إليها عِلْمُ كل نَبِىٍّ مُرْسَل وكل مَلَك مُقَرَّب ، « ويتَرَّجح حديث أنس بأَنه مرفوع وحديث ابن مسعود بأَنه موقوف » . قال الحافظ : « كذا قال ولم يَعْرُج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض قَوْله إنها فى السادسة ما دَلَّت عليه بقية الأَخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل فى السماء السابعة لأَنه يُحْمَل على أن أصلها فى السماء السادسة وأغصانها وفروعها فى السابعة وليس فى السادسة منها إلا أَصل ساقها[3] .

---

(١) لفظ هذا الحديث كما أخرجه مسلم : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انتهى بى إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط من فوقهافيقبض منها »(صحيح مسلم بشرح النووى حـ٣ ص ٢) .

(٢) يقصد المؤلف هنا أبا العباس القرطبى أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصارى المالكى الفقيه المحدث المتوفى بالإسكندرية سنة ٦٥٦ هـ وليس صاحب التفسير واسمه أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ . وكان الأول شيخا للثانى بدليل أن ابن فرحون فى الديباج المذهب ص ٣١٧ قال فى ترجمته للقرطبى المفسر إنه سمع من أبى العباس القرطبى جانبا من شرح الأخير المسمى بالمفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم . ويبدو من سياق شرح الزرقانى للمواهب اللدنية أنه نسب كتاب المفهم للقرطبى المفسر لأنه بعد أن أورد الأقوال التسعة فى سدرة المنتهى التى ذكرها القرطبى فى تفسيره (جـ ١٧ ص ٩٥) ولفظه : « وقد أطنب القرطبى فعد تسعة أقوال لم سميت بذلك » قال : كما زعمه فى المفهم ، والضمير فى زعمه يعود إلى القرطبى المفسر وهذا خطأ . » انظر شرح الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٧٦ و ٧٧ (فالمفهم لشيخ القرطبى المفسر وهو أبو العباس القرطبى ، راجع ترجمة القرطبى المفسر فى الديباج ص ٣١٧ و ٣١٨ وترجمة شيخه فى الديباج ص ٦٨ : ٧٠ غير أن ابن فرحون أخطأ فى تاريخ مولد أبى العباس القرطبى وكذلك فى تاريخ وفاته ، إذ قال بأنه ولد سنة ٥٩٨ هـ والصحيح أنه ولد سنة ٥٧٨ هـ وذلك فى قرطبة كما قال بأنه توفى سنة ٦٢٦ هـ والصواب سنة ٦٥٦ هـ ، راجع ترجمة أبى العباس القرطبى فى نفح الطيب للمقرى طبع بولاق سنة ١٢٧٩ هـ جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٣) هذا نص عبارة ابن حجر فى فتح البارى وقد نقلها عنه القسطلانى فى المواهب

التنبيه السادس والخمسون : قال ابن أَبي جَمْرَة : « والأَظهر أن شجرة المنتهى مفروشة بأَرض بدليل قوله : « ونهران باطنان » ولا يُطْلَق هذا اللفظ وما أشبهه إلا على ما يُفْهَم ، والباطن لابد أَن يكون سريانه تحت شيء ، وحينئذ يُطْلَق عليه اسم الباطن[1] » . / ٣٧٣ ظ

التنبيه السابع والخمسون : قال القاضي رحمه الله : دَلَّ الحديث على أن أصل سِدْرة المنتهى في الأَرض لكونه قال : «إن النيل والفرات يخرجان من أصلها » ، وهما بالمشاهدة يخرجان من الأَرض ، فيلزم فيه أن يكون أصل السدرة فى الأَرض . وتعقَّبه النووى بأَن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنَّبْع من الأَرض ، والحاصل أن أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولاً من أصل السِّدْرة إلى أن يستَقِرا فى الأَرض ثم ينبعان .

التنبيه الثامن والخمسون: قال ابن أَبي جمرة رحمه الله: قَوْلُه صلى الله عليه وسلم: « فى أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران » ، هذا اللفظ يُحْتَمَل أن يكون على الحقيقة ، ويُحْتَمَل أن يكون من باب تسمية الشيء بما قاربه ، فإن كان على الحقيقة فتكون هذه الأَنهار تنبع من أصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نَبق وأصلها ينبع منه الماء ، والقدرة لا تعجز عن هذا . وإن كان من باب تسمية الشيء بما قاربه فتكون الأَنهار تنبع قريبًا من أصل الشجرة » .

التنبيه التاسع والخمسون : فى قوله[2] : « أما الباطنان فنهران فى الجنة » ، دليل على أن الباطن أجَلّ من الظاهر ، لأَنه لما كان الباطنان أصلاً جُعِلا فى دار البقاء ، ولما كان الظاهران أقلّ أُخرِجا إلى دار الفناء ، ومن ثَمَّ كان الاعتماد على ما فى الباطن ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم[3] » .

---

(١) جاء فى المواهب : « وقال العارف ابن أبي جمرة : وهل الشجرة مغروسة فى شيء أم لا ؟ يحتمل الوجهين لأن القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى فى هذه الدار الأرض مقرا للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشى فى الهواء ولأن بالقدرة استقرت الأرض مع أنها على الماء فلا مانع من أن تكون الشجرة فى الهواء ويحتمل أن تكون مغروسة بأرض وأن تكون تلك الأرض من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء . وقد استظهر ابن أبي جمرة نفسه هذا الاحتمال لقوله : ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه إلا على ما يفهم والباطن لابد أن يكون سريانه تحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن .

(٢) أى فى قول جبريل عليه السلام

(٣) تمامه فى رواية أبي هريرة : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » انظر الجامع الصغير جـ١ ص٧٤.

التنبيه الستون : فى حديث أبى سعيد : « فإذا فيها – أى السماء السابعة – عَيْنٌ تجرى يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما نهر الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة . » ويمكن أن يُفَسَّر بهما النهران الباطنان المذكوران فى الحديث ، وكذا رُوِىَ عن مقاتل ، قال : « الباطنان السلسبيل والكوثر » .

التنبيه الحادى والستون : قال النووى فى هذا الحديث : « إن أصل النيل والفُرَات من الجنة وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله تعالى ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها . وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخَبَر فليُعْتَمَد » .

٣٧٤و التنبيه الثانى والستون :/ استُدِلّ بهذا الحديث على فضيلة ماء النيل والفرات لِكَوْن منبعهما من الجنة . وروى مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة » . قال العلماء : والمراد به أن فى الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة . وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل سِدْرة المُنْتَهَى ، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك ، وأما الباطنان المذكوران فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان . قال القرطبى[1] : « لعل تَرْك ذِكْرهما فى حَدِيث الإسراء لكونهما ليسا أصلاً برأسهما وإنما يحتمل أن يتفرّعا من النيل والفرات » .

التنبيه الثالث والستون : قيل : إنما أُطْلِق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهاً لها بِأَنْهَار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحُسْن والبركة . قال القرطبى[1] : والأَوْلى أنها من أنهار الجنة . وقال غيره : صورة انصبابها كانصباب المطر متفرقاً ثم يجتمع فى مواقعها فى الأرض إلى أن ينساق كل منها إلى مستقره ومجراه . ويحتمل أن يكون انصبابها فى نواحى الأرض النائية المتصلة بمبادئ هذه الأنهار فإنه لم يقف أَحَدٌ على مَبَادِيها حتى الان .

وروى أبو الشيخ فى العَظَمَة وأبو طاهر المُخْلِص – بوزن اسم الفاعل – بِسَنَد من طريق أبى صالح عبد الله بن صالح قال : حدثنى الليث بن سعد قال : بلغنى أنه كان رجل من بنى

---

(١) وهو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم .

العيص يقال له حائد بن شالوم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام ، خرج هارباً من مَلِك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر ، فأقام بها ، فلما رأى أعاجيب نيلها ، جعل لِلهِ عليه ألاَّ يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت .

فسار عليه ، قبل ثلاثين سنة فى الناس ، وثلاثين سنة فى غير الناس ، وقبل خمس عَشْرَة كذا وخمس عشرة كذا حتى انتهى إلى بحر أخضر ، فنظر إلى النيل ينشق مُقْبلاً ، وإذا رجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح ، فلما رآه استأنس به وسَلَّم عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حائد بن شالوم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام فمن أنت ؟ قال : أنا عِمْران بن فلان بن العيص ، فما الذى جاء بك يا حائد ؟

قال : جئت من أجْل هذا النيل وهل بلغك فى الكتب أن أحداً من بنى آدم يبلغه ولا أظنه غيرك قال كيف الطريق إليه ؟ قال : سِرْ كما أنت على هذا البحر فإنك ستأتى دابّة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنَّك آخِرُهَا ، وهى معادية للشمس إذا طلعت أهْوَت إليها لتلتقمها وإذا غَرَبَتْ أهْوَت إليها كذلك ، فاركَبْها تذهب بك إلى جانب البحر ، فَسِرْ عليها فإنها ستبلغ أرضاً من حديد ، فإن جُزْتَها وقعت فى أرض من ذهب/ فيها ينتهى إليها عِلْمُ النيل . فسار حتى انتهى إلى أرض من الذهب فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب ، وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب ، فنظر إلى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الأبواب الأربعة ، فأما الثلاثة فتفيض فى الأرض وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل[1] .

٣٧٤ظ

فشرب منه واستراح وهوى إلى السور ليصعد فأتاه مَلَك فقال له : « يا حائد قف فإنه قد انتهى إليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة ، وإنما ينزل من الجنة .

التنبيه الرابع والستون : قال ابن أبى جمرة فى قول جبريل عليه السلام : « أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » ، دليلٌ على أن النيل والفرات ليسا من الجنة

---

(١) هذه القصة لا تتجاوز فى كشفها لمنابع النيل منطقة بلاد النوبة حيث الذهب والحديد وإيراد المؤلف لها يدل على أنه لم يطلع على مؤلفات الجغرافيين والرحالة العرب فى القرنين الثالث والرابع الهجريين الذين أوردوا معلومات وفيرة عن مجرى النيل جنوبى بلاد النوبة .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن جبريل أخبره أن هذه الأنهار منبعها من سدرة المنتهى، فيسير الباطنان إلى الجنة ، والنيل والفرات ينزلان إلى الدنيا ، وسدرة المنتهى ليست فى الجنة حتى يقال إنهما يخرجان منها بعد نبعهما من الجنة. وهذا مُعَارِضٌ لما رواه مسلم عن أبي هريرة من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيحان وجيحان والنيل والفرات كُلٌّ من أنهار الجنة » . والجمع بينهما - والله تعالى أعلم - أن النيل والفرات منبعهما من سدرة المنتهى ، وإذا نزلا يسلكان أولاً [طريقاً][1] إلى الجنة فيدخلانها ثم ينزلان إلى الأرض .

التنبيه الخامس والستون : قال ابن أبي جمرة : وردت الأخبار أن من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يَفْنَى وأنه ليس له فضلة تخرج على ما يُعْهَد فى دار الدنيا خروجه وإنما خُرُوجُه رَشْحُ مِسْكٍ على البدن ، فجعل فيه هذه الخاصِّيَّة العظيمة ، ثم لما شاءت الحكمة نزوله إلى هذه الدار نُزِعت منه تلك الخصوصية ، وبقى جوهره بحاله ، وكل الخواص مثله فى هذا المعنى ، إن شاء الله عز وجل أبقى له الخاصية وإن شاء سلبها مع بقاء جوهره وليس لِذَوَات الخواص تأثير بل الخاصية خَلْقُه والجوهر خَلْقُه وإنما القدرة هى المؤثرة [فى كلها][2]

التنبيه السادس والستون : قول ابن كثير : « المراد - والله أعلم - أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى صفائها وعذوبتها وجريانها من جنس تلك فى هذه الصفات كما قال فى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العجوة من الجنة »[3] أى تشبه ثَمَر الجَنَّة لا أنها مجتناة من الجنَّة فإن الحِسّ يشهد بخلافه . فيتعيَّن أن يكون المراد غيْرَه ، وكذلك أصل منابع هذه الأنهار مشاهدة من الأرض » : انتهى . وهو مُتَعَقَّب بأنه لا يلزم من كونها كذلك ألاَّ تكون من الجنة ، لِما قَدَّمنا من / كيفية النزول . وقد جزم النووى[4] وغيره أنها من الجنة ، ولا يُشْكِل ذلك لأن فى ماء الجنة خواصّ ليست فى هذه الأنهار لما سبق فى كلام ابن أبي جمرة .

٣٧٥و

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة من الزرقانى فى شرحه على المواهب حـ٦ ص ٧٦ .

(٣) روى أبو نعيم فى الحلية : العجوة من فاكهة الجنة ، وروى الإمام أحمد فى مسنده : العجوة من الجنة وهى شفاء من السم .

(٤) بلغ من تأكيد النووى لهذا المعنى أنه عد من المنكر التعبير بما يوحى أقل شك فى أن هذه الأنهار من الجنة فقد جاء فى كتابه تهذيب الأسماء واللغات (جـ ٢ من تهذيب اللغات ص٧٨) وأما قول ابن باطيش : « يقال إنه من أنهار =

التنبيه السابع والستون : وقع فى رواية شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى السماء الدنيا نهرَيْن يَطَّرِدان فقال له جبريل : « هما النيل والفُرَات عُنْصُرُهما » . وفى رواية غيره : « رآهما فى السماء السابعة » . قال ابن دِحْية : والجَمْع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سِدْرَة المنتهى مع نَهْرَىْ الجنة ، ورآهما فى السماء الدنيا دون نَهْرَىْ الجنة وأراد بالعُنْصُر عنصر انتشارهما .

التنبيه الثامن والستون : روى أبو نعيم والضياء عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدوداً فى الأرض ، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض » ــ الأُخدود شق فى الأرض مستطيل .

التنبيه التاسع والستون : روى الحارث بن أبى أُسَامة فى مُسْنَدِه والبيهقى فى الشُّعَب عن كعب الأحبار قال : « إن نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر دجلة ونهر الخمر نهر الفُرات ونهر الماء نهر سيحان » .

التنبيه السبعون : قوله فى السِّدْرة : « يغشاها جرادٌ من ذهب » . قال البيضاوى : « ذِكْرُ الجراد والفَراش وقع على سبيل التمثيل لأن من شأن الشجر أن يسقط عليه الجراد وَشِبْهُهُ ، وجَعْلُها من ذهب لصفاء لونها وإضاءتها فى نفسها » . وقال الحافظ : « ويجوز جَعْلُها من الذهب حقيقةً ، ويَخْلُق الله فيها الطيران ، والقدرة صالحة لذلك » . انتهى .

التنبيه الحادى والسبعون : قولُه : « فغَفَر لى ما تقدَّم من ذنبى وما تأخَّر » ، قال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى[1] رحمه الله : « المراد تشريف النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر ، أى لو كان له ذنوب لغُفِرت ولم يكن له ذنب البتة » . وحكى الشيخ رحمه الله فى كتابه المُحَرَّر ، فى الكلام على هذه الآية اثنَىْ عشر قولاً ، ونقل عن السبكى فساد خمسة منها وبَيَّن الشيخ فساد الباقى ، ثم قال : « وأما الأقوال المقبولة فنى الشفا / للقاضى ٣٧٥ظ

= الجنة ، فعبارة قبيحة من أقبح العبارات وأنكر المنكرات ، فإن هذه العبارة لاتقال . فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها تقتضى تشكك القائل فى معناها نسأل الله التوفيق والهداية فقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى » .

(١) هو على بن عبد الكافى : السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ترجم له ولده تاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ فى كتابه : طبقات الشافعية الكبرى (جـ ٦ ص ١٤٦ : ٢٢٧) .

قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا أُمِرَ أن يقول : (وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ[1]) سُرَّ بذلك الكُفَّار فأنزل الله تعالى : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ[2]) وأخبر بمآل المؤمنين فى الآية الأُخرى بعدها ، فَمَقْصِد الآية أنك مغفورٌ لك غَيْرُ مُؤَاخذ بِذَنْبٍ . وهذا الأَثر رواه ابن المنذر فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ، بدون قوله وأخبر بمآل المؤمنين إلى آخره ، وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم نحوه .

قال القاضى : قال بعضهم : المغفرة هنا تنزيه من العيوب ، وقال بعض المحققين : المَغْفِرة هنا كِنَايةعن العِصْمَة أى فعُصِمْتُ فيما تَقَدَّم من عُمْرى وفيما تَأَخَّر منه ، وهذا القول فى غاية الحُسْن . وقد عَدَّ البلغاء من أساليب البلاغة فى القرآن أنه يُكَنِّى عن التخفيفات بلفظ المَغْفِرة والعفو والتوبة ، كقوله عند نَسْخ قيام الليل : (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ[3]) وعند نَسْخ تقديم الصدقة بين يَدَىْ النَّجْوَى (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ[4]) وعند نَسْخ تحريم الجماع ليلة الصيام : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ[5]) .

ثم نُقِل عن السبكى أنه قال : « قد تأَمَّلْتُ هذه الآية بذهنى مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا وجهاً واحداً وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه أُرِيد أن تُسْتَوْعب فى الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده . وجميع النعم الأُخروية شيئان : سلبية وهى غُفْران الذنوب ، وثبوتية وهى لا تتناهى وقد أشار اليها بقوله (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ[6]) وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية أشار إليها بقوله : (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً[6]) ودنيوية وإن كان المقصود بها الدين وهى قوله

---

(١) سورة الأحقاف الآية التاسعة . وجاء فى سبب نزول هذه الآية : قال عطاء عن ابن عباس أن اليهود شمتوا بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى : « وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم » ، وقالوا : كيف نتبع رجلا لا يدرى ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (سورة الفتح آية ١ و ٢) . انظر أسباب النزول للواحدى طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ ص٢٨٥ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢

(٣) سورة المزمل آية ٢٠

(٤) سورة المجادلة آية ١٣

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧

(٦) سورة الفتح من الآية الثانية .

تعالى : (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً[1]) وقَدَّم الأُخروية على الدنيوية تقديماً للأَهَمّ ، فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام أَنواع نِعَم الله تعالى المتفرقة فى غيره » .

وبعد أَن وقفتُ على هذا المعنى رأَيت ابن عطية قد وقع عليه فقال : « وإنما المعنى تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم ، ولم تكن ذنوباً البتة » . وقد وُفِّق فيما قاله .

التنبيه الثانى والسبعون : قوله : « ثم أَخذ على الكوثر حتى دخل الجنة » . قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[2] فى تفسيره : « هذا الحديث دليل على أَن السدرة ليست فى الجنة » . وجَزَم به ابن أَبى جمْرَة . وقال ابن دحية : « ثُمَّ هنا ليست للترتيب كما فى قوله تعالى (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا[3]) إنما هى مثل الواو للجمع والاشتراك فهى بذلك خارجة عن أَصلها ، قال صاحب فتح / الصفا : « وهى خِلاف الظاهر » . ٣٧٦و

التنبيه الثالث والسبعون : قال بعض العلماء فى توجيه كون درهم القَرْض بثمانية عشر : إن درهم القرض بدرهمَين من دراهم الصدقة كما ورد ، ودرهم الصدقة بعشرة ، ودرهم القرض يرجع للمُقْرِض بَدَلُه ، وهو بدرهمين من جملة مبلغ أَصله عشرون يتأَخر للمُقْرِض منه ثمانية عشر .

وسمعت شيخنا الإمام العلامة نور الدين المَحَلِّى[4] يذكر ذلك [فى] الأُصول . ثم رأَيت فى « نوادر الأُصول[5] » للحكيم الترمذى[6] ما نَصُّه : « معنى الحديث أَن المُتَصَدِّق

---

(١) سورة الفتح آية ٣

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى من أعلام القرن السابع الهجرى توفى سنة ٦٦٠ هـ ترجم له التاج السبكى ترجمة مستفيضة فى طبقات الشافعية الكبرى (جـ ٥ ص ٨٠ : ١٠٧) .

(٣) سورة البلد آية ١٧ .

(٤) لم يتيسر لنا الوقوف على ترجمته من بين أعلام النصف الثانى من القرن التاسع وذلك فى الضوء اللامع للسخاوى وأعلام أوائل القرن العاشر فى النور السافر للعيدروسى ومن المستبعد أن يكون جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ والذى أكمل الجلال السيوطى تفسيره وهو التفسير المعروف باسم تفسير الجلالين ، إلا أن يكون المحلى شيخا للمؤلف مجازا على اعتبار دراسته لمؤلفاته . وفى الضوء اللامع (جـ ٧ ص ١٦ وص ٧٦) اثنان باسم محمد بن أحمد بن المحلى نستبعد أن يكون أحدهما شيخا للمؤلف .

(٥) الاسم الكامل لهذا الكتاب هو : نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول ، وله شرح بقلم مصطفى بن إسماعيل الدمشقى اسمه : مرقاة الوصول إلى نوادر الأصول ، طبع فى اسطنبول سنة ١٢٩٣ هـ وحبذا لو أعيد طبع هذا الكتاب محققا مع شرحه إحياء لمراجع السيرة النبوية

(٦) ينتمى إلى ترمذ إحدى بلاد ما وراء النهر وهى التى ينتسب إليها الإمام أبوعيسى محمد بن عيسى السلمى الترمذى=

حُسِب له الدرهم الواحد بعشرة ، فدرهم صدقته وتسعة زائدة فصارت له عشرة ، والقَرْض ضوعف له فيه بدرهم والتسعة مضاعفة فهذه ثمانية عشر ، ودرهم القَرْض لم يُحْسَب لأنه يرجع إليه ، فيبقى التضعيف وهو ثمانية عشر ، وفى الصدقة لم يرجع إليه فصارت له عشرة .

التنبيه الرابع والسبعون : قال ابن دحية : « فى عَرْض الجنة عليه كرامة عظيمة لأنه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها كما قال عن ربه تبارك وتعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[1]) .

فأراد الله تعالى أن يُعَايِن نَبِيُّه صلى الله عليه وسلم ما يَعْرِضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة ولأنه كان يدعو الناس إلى الجنة وهى الدار التى هَيَّأها الله تعالى لضيافة عباده المؤمنين وبعثته صلى الله عليه وسلم داعياً إليها فأراد الله تعالى أن يُرِيَه الدار وكثرة ما أَعَدَّ فيها من النعيم والكرامة لئلا يَضِنّ بالدعوة وليعلم أنها تَسَع الخلائق كلهم ولا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خَلْقاً ، كما ثبت فى الحديث . ويُحْتَمَل أنه إنما أراه إياها ليعلم خِسَّة الدنيا فى جنب ما رآه فيكون فى الدنيا أزهد وعلى الشدائد أصبر . فقد قيل : حبذا محنة تؤدى بصاحبها إلى الرخاء وبؤس نعمة تؤدى بصاحبها إلى البلاء . ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا ولمحمد مثلها ، ولما كان لإدريس كرامة دخول الجنة قبل يوم القيامة أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون [ذلك[2]] أيضاً لصَفِيّه ونَجِيّه محمد صلى الله عليه وسلم » .

= المتوفى سنة ٢٧٩ هـ مؤلف الجامع الصحيح أحد الكتب الستة المعتمدة فى الحديث أما الحكيم الترمذى فهو أبو عبد الله محمد ابن على بن الحسن الحافظ الزاهد صاحب التصانيف لم يورد لنا الذهبى فى ترجمته له فى تذكرة الحفاظ (ج ٢ ص ١٩٧) تاريخ مولده أو وفاته إنما ذكر أنه قدم نيسابور فى سنة ٢٨٥ هـ كما لا نظفر بالكثير من ترجمة أبى نعيم له فى الحلية (ج ١٠ ص ٢٣٣ : ٢٣٥) وكذلك طبقات الصوفية للسلمى (ص ٢١٧ : ٢٢٠) وطبقات الشافعية للسبكى (ج ٢ ص ٢٠) ومؤلفات الحكيم الترمذى تكاد كلها تكون مخطوطة ومنها نقول فى الإحياء للغزالى والفتوحات المكية لابن عربى وكتاب الروح لابن قيم الجوزية وغيرها . انظر بيانا مفصلا عن مراجع ترجمته وثبتا بمؤلفاته فى بحث بقلم المستشرق هير فى كتاب عالم الإسلام المشتمل على دراسات إسلامية تكريماً لفليب حتى ، لندن سنة ١٩٦٠ م ص ١٢١ : ١٣٤ .

(١) سورة التوبة آية ١١١

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

التنبيه الخامس والسبعون : قال ابن دِحْية : « إنما عُرِضت عليه النار ليكون [آمناً[1]]
يوم القيامة ، فإذا قال سائر الأنبياء : نفسي نفسي فَنَبِيُّنا / يقول : أُمَّتِي أُمَّتِي ، وذلك ٣٧٦ظ
حين تُسْجَر جهنم ، ولذلك أَمَّن الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقال عز من قائل (يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ) [2] والحكمة في ذلك أن يفزع إلى شفاعة أمته ، ولو لم يُؤَمِّنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء ، لأنهم لم يَرَوْا قبل يوم القيامة شيئاً منها ، فإذا رَأَوْها جزعوا وكَفَّت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هَوْلِها وشغلتهم أنفسهم عن أممهم ، وهو صلى الله عليه وسلم قد رآها قبل ذلك فلا يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ، لأن الكفار لما كانوا يُكَذِّبونه ويستهزئون به ويُؤْذونه أشد الأذى أراه الله سبحانه وتعالى النار التي أَعَدَّها للمُسْتَخِفِّين به تطييباً لقلبه وتسكيناً لفؤاده وللإشارة إلى أن مَنْ طَيَّب قَلْبَه بإهانة أعدائه والانتقام منهم فأَوْلى أن يُطَيِّبَه في أوليائه بالشفاعة والإكرام ، وليعلم مِنَّة الله عليه حين أنقذهم [منها] ببركته وشفاعته .

التنبيه السادس والسبعون : لم يَرَ مالكًا في صورته التي يراه عليها المُعَذَّبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة لما استطاع أن ينظر إليه .

التنبيه السابع والسبعون : قال الطيبي : « إنما بدأ مالكُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداءً » .

التنبيه الثامن والسبعون : ذكر صلى الله عليه وسلم أنه لم يَلْقَه مَلَك من الملائكة إلا ضاحكًا مستبشراً إلا مالكًا خازن النار ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك لأحد بعده . قال الله تعالى : (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ[3]) وهم مُوَكَّلون بغضب الله تعالى ، فالغضب لا يزايلهم أبداً

وفي هذا الحديث معارضة لما رواه الإمام أحمد وأبو الشيخ عن أَنَسٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : « مالي لم أَرَ ميكائيل ضاحكًا قط ؟ » قال :

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .
(٢) سورة التحريم آية ٨
(٣) سورة التحريم آية ٦

« ما ضحك منذ خُلِقت النار » . وهذا الحديث يعارضه ما رواه الدارقطني وغيره أن رسول الله تَبَسَّم فى الصلاة ، فسئل عن ذلك فقال : « رأيت ميكائيل راجعاً فى طلب القوم وعلى جناحيه الغُبَار ، فضَحِك إلىّ ، فتَبَسَّمْتُ إليه » . قال السهيلى : « [وإذا صَحَّ الحديثان[1]] فوَجْهُ الجَمْع بينهما أن يكون لم يضحك منذ خُلِقت النار إلا هذه المَرَّة التى ضَحِك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون الحديث عامًّا يُراد به الخصوص أو يكون الحديث الأول حَدَّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الآخر ، ثم حَدَّث بَعْد بما حَدَّث به من ضَحِكه إليه » / ٣٧٧و

التنبيه التاسع والسبعون : المناسبة بين المِعْراج التاسع – وهو المستوى الذى سُمِع فيه صريف الأقلام – والعام التاسع من سنى الهجرة . قال ابن دحية : « كان فى العام التاسع غزوة تبوك وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام فى العدد الذى لم يَتِمّ قَبْلَه مِثْلُه ، كان العدد ثلاثين ألفاً ، وكانت الشُّقَّة بعيدة ، ولهذا لم يُوَرِّ فيها ، بل أَعْلَمَ النَّاسَ بوَجْهِهِم ليكون تَأَهُّبُهم بحسب ذلك ، ومع هذا الاجتهاد فى الاستعداد لم يَلْقَ صلى الله عليه وسلم حَرْباً ولا افتتح بلداً ، لأن أَجَل فتح الشام لم يكن حَلَّ بعد ، فانْتَسَخ العزْمُ بالقَدَر وبجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف العزيمة .

التنبيه الثمانون : صريف[2] الأقلام ، بالصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء . قال القاضى والنووى رحمهما الله تعالى : هو صوت حركتها وجريانها على ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووَحْيِه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك أن يُكْتَب ويُرْفَع لما أراده من أمره وتدبيره . وفيه حجة لأهل السُّنَّة فى الإيمان بصحّة كتابة الوَحْى والمقادير فى كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التى هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات فى كتابه والأحاديث الصحيحة ، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره ، لكن كيفية

---

(١) الزيادة من السهيلى – ج١ ص ٢٥٣ .

(٢) جاء فى النهاية لابن الأثير (ج ٢ ص ٢٦٠) : ومنه الحديث : « أسمع صريف الأقلام » أى صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ . ومنه حديث موسى عليه السلام أنه كان يسمع صريف القلم حين كتب الله تعالى له التوراة .

ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه إلا الله تعالى ، ومَنْ أَطْلَعَه على شئ منه من ملائكته ورُسُلِه . وما يَتَأَوَّلُ هذا ويُحِيلُه إلا ضعيف النظر والإيمان ، إذ جاءت به الشريعة ، ودليلُ العقول لا يُحِيله ، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، حِكْمَةً من الله وإظهاراً لما يشاء من غَيْبِه لمن يشاء من ملائكته وسائر خَلْقه وإلا فهو غَنِىٌّ عن الكتب والاستذكار .

التنبيه الحادى والثمانون : قال ابن دِحْيَة : « قد عُلِم أن الأقلام إنما تكتب الأقدار ، والقَدَر المكتوب قديم ، وإنما الكتابة حادثة . وظاهر الأخبار أن اللوح المحفوظ فُرِغ من كتابته وجَفَّ القلم بما فيه قبل خَلْق السموات والأرض ، وإنما هذه الكتابة المحدودة فى صُحُف الملائكة كالفروع المُنْتَسَخَة من الأصل ، وفيها المحو والإثبات على ما ورد فى الأثر . وأَصْلُ اللوح المحفوظ الذى انْتُسِخ منه اللوح هو علم [الغَيْب[1]] القديم فى أَزَل القِدَم وهو الذى لا مَحْوَ فيه ولا إثبات حيث لا لَوْح ولا قَلَم .

والحكمة البالغة – والله أعلم – فى سماعه لصريف الأقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما فى القَدَر حتى يمكن / التفويض للقَدَر لا للسَّبَب ، وحتى يُتَعَاطَى السَّبَبُ تَعَبُّداً لا تَعَوُّداً ، ٣٧٧ ظ وبذلك يَتِمُّ التَّوَكُّل ويَسْكُن الاضطراب عند اختلاف الأسباب . وقال القرطبى : « وأصل الأقلام الموصوفة هنا ، هى المُعَبَّر عنها بالقَلَم المُقْسَم به فى قوله تعالى (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ[2]) ويكون القلم هذا للجنس » .

التنبيه الثانى والثمانون : المناسبة بين المِعْراج العاشر وهو الرفرف حين لقى الله تعالى وحَضَر بحضرة القُدْس وقام مقام الأُنْس ورُفِع الحجاب وسُمِع الخِطاب ، وكان قاب قوسَيْن أو أدنى لا بالصورة بل بالمعنى ، أن العام العاشر اجتمع فيه اللقاءان : أحدهما : لقاء البيت وحَجّ الكعبة ووقوف عرفة وإكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين ، واللقاء الثانى : يقارب البيت وكانت فيه الوفاة واللقاء والانتقال من دار الفَنَاء إلى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة إلى المَقْعَد الصِّدْق وإلى الموعد الحق وإلى الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة التى

---

(١) زيادة مما نقله الزرقانى عن ابن المنير فى شرح المواهب ج ٦ ص ٨٩ .

(٢) الآية الأولى من سورة القلم وأورد أبو عبد الله القرطبى عن ابن عباس فى تفسيرها : هذا قسم بالقلم الذى خلقه الله فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة – تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٢٢٥ .

لا تنبغي إلا لعبد واحد اختاره الله تعالى وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فى صحيح الخبر أنه سُئِل عن الوسيلة فقال : « درجةٌ فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله فأرجو أن أكون إياه » . ورجاؤه مُحقَّق صلى الله عليه وسلم ، وخاطره مُوَفَّق .

التنبيه الثالث والثمانون : قال ابن دحية : خُصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤْية والمكالمة لأنه صاحب الشفاعة يوم القيامة ، فتوسَّط قبلها لئلا يقع له حِشْمةُ البديهة كما يقع لغيره من الأنبياء فأراد الله سبحانه وتعالى أن يزيل عنه الانقباض قبل ذلك ليتمكن من المقام المحمود وأهَّله قبل المشهد الأعلى للمشاهدة والكلام .

التنبيه الرابع والثمانون : قوله تعالى : « وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عَرْشى » ، إلى آخر الحديث . قال التُّورِبَشْتِي : ليس يعنى بقوله : « أَعْطَى» أنها أُنْزِلت عليه بل المعنى أنه استُجيب له فيما لُقِّن من الآيتين (غُفْرَانَك رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ[1]) إلى قوله تعالى : (أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ[2]) ، ولمن يقوم بحقهما من السائلين » . وقال الطيبي : « وفى كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال لأن المراد منه الاستجابة وهى مسبوقة بالطلب والسورة والمعراج كان بمكة ، ويمكن أن يقال هذا من قبيل (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى[3]) وإنما أوثِر الإعطاء لما عُبِّر عنه بكَنْزٍ تحت العَرْش » . وروى الإمام أحمد عن أبى ذَرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُعْطيت خواتيم سورة / البقرة من كنز تحت العَرْش لم يُعْطَهُنّ نبيٌّ قبلى[4] » . ٣٧٨ و

التنبيه الخامس والثمانون : الحكمة فى تخصيص فَرْض الصلاة بليلة الإسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما عُرِج به رأى تلك الليلة تَعَبُّد الملائكة ، وأن منهم القائم فلايقعد ، والراكع فلايسجد ، والساجد فلا يقعد ، فجمع الله تعالى له ولأُمته تلك العبادات كلها فى ركعة واحدة يُصَلِّيها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص .

---

(١) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٢) نهاية الآية ٢٨٦ ختام السورة السابق ذكرها .

(٣) سورة النجم آية ٣ ، ٤ .

(٤) انظر الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٦ .

التنبيه السادس والثمانون : وفى اختصاص فَرْضِها بليلة الإسراء إشارة إلى عظم شأنها ولذلك اختصّ فرضُها بكَوْنِه بغير واسطة بل بمراجعات عِدَّة . قال السهيلى : « [وأما فَرْضُ الصلاة عليه هنالك[1]] ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تُفْرَض إلا فى الحضرة القدسية المُطَّهرة ، ولذلك كانت الطَّهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على أنها من مناجاة الرَّبّ ، وأن الرَّبَّ تبارك وتعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المُصَلِّى يناجيه يقول : حَمَدَنِى عَبْدى أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدى إلى آخر السورة ، وهذا مُشَاكِلٌ لِفَرْضِها عليه فى السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ، ولم يَعْرُج به حتى طَهَّر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يَتَطَّهر المُصَلِّى للصلاة وأُخْرِج عن الدنيا بجسمه كما يَخْرُج المُصَلِّى عن الدنيا بقلبه ويُحَرِّم عليه كل شىء إلا مناجاة ربه ، وتوجهه إلى قِبْلته فى ذلك الحين وهى بيت المقدس ، ورُفِع إلى السماء كما يَرْفَعُ المُصَلِّى يديه [إلى جهة السماء[2]] إشارة إلى القِبْلة العليا وهى البيْت المعمور وإلى جهة عَرْش مَنْ يناجيه ويُصَلِّى له سبحانه وتعالى » .

التنبيه السابع والثمانون : قوله : « قد وضعت عنك خمساً » ، كذا فى رواية ثابت عن أنس . وفى رواية مالك بن صعصعة : « عَشْراً » ، وفى رواية شريك : « وضع شطرها » . قال النووى : « المراد بحَطِّ الشَّطْر أنه حُطَّ فى مَرَّات بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت » . قال الحافظ : « وكذا العَشْر فكأنَّه وضع العَشْر فى دفعتين والشطر فى خمس دفعات ، والمراد بالشطر هنا البعض » . قال : « وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمساً ، وهى زيادة معتمدة يتعَيَّن حَمْلُ باقى الروايات عليها » . قلتُ : ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خُزَيْمَة فى صحيحه والبيهقى وابن مَرْدَوِيه من حديث مالك بن صعصعة : « فَحَطَّ عنى خمساً » ، وفيه : « فما زِلْتُ بين موسى وبين ربى يَحُطُّ عنى خمساً خمساً » . قال ابن دحية : « ذِكْرُ الشطر أَعَمّ من كونه وقع دفعةً واحدة » .

التنبيه الثامن والثمانون : قال أبو طالب الجُمَحِى فى كتاب التحيات : « لكل قوم تحية ، فتحيَّة العرب السلام وتحية الأكاسرة السجود قُدَّام المَلك وتقبيل الأرض / وتحية ٣٧٨ ظ

(١) زيادة من السهيلى جـ ١ ص ٢٥١ .
(٢) زيادة من السهيلى جـ ١ ص ٢٥١ .

الفُرْس طَرْحُ اليد على الأرض قُدَّام الملك ، وتحية الحبشة عَقْد اليدَيْن على الصدر بين يَدَيْ المَلِك بسكون ، وتحية الروم كشف غطاء الرأس من بعد تنكيس رأسه . وتحية النوبة إيماء الرجل بالدعاء بالأصابع وتحية البِجَا[1] وضع يد الداخل على كتف الملك ، فإن بلغ الخدمة رفعها ووضعها مراراً . وهذه التحيات غالبها مجموعة فى الصلاة التى هى خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى ، ولهذا ناسب أن يقال فى آخرها : « التحيات لله » إشارة إلى أنه تعالى يستحق جميع التحيات » .

التنبيه التاسع والثمانون : وقع فى رواية أنس عن أبى ذَرّ رضى الله عنهما : « فَرَض الله على أمتى خمسين صلاة » وفى رواية ثابت عن أنس : « فَرَض الله عَلَىَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة » . ونحوه فى رواية مالك بن صعصعة ، فيُحْتَمَلُ أن يقال فى كل من رواية أبى ذَرّ والرواية الأُخرى اختصار . ويؤيد قَوْلَه فى الرواية الأُخرى : « إنى فَرَضْتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة » إلى آخره . ويقال ذِكْرُ الفَرْض عليه يستلزم ذِكْرَ الفَرْض على الأُمة وبالعكس ، إلا ما استُثْنِىَ من خصائصه .

التنبيه التسعون : قال ابن أبى جمرة : « الحكمة فى كون إبراهيم عليه السلام لم يكلم المصطفى فى طلب التخفيف أن مَقَام الخُلَّة إنما هو الرِّضَى والتسليم ، والكلام فى هذا الشأن ينافى ذلك المقام . وموسى هو الكليم ، والكليم أُعْطِىَ الإدلال والانبساط » . وقال القرطبى : « الحكمة فى تخصيص موُسَى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلاة ، لعلها لكون أمة موسى كُلِّفت من الصلوات ما لم يُكَلَّف به غيرها من الأمم فثَقُلَت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد - عليهما الصلاة والسلام - من مثل ذلك ويشير إلى ذلك قول موسى : « إنى قد جَرَّبْتُ الناس قبلك » .

وقال غيره : لعلها من جهة أنه ليس فى الأنبياء مَن له أتباع أكثر من موسى ، ولا مَنْ له كتاب أكبر ولا أجْمَع للأحكام من كتابه ، فكان من هذه الجهة مضاهياً للنبى صلى الله عليه وسلم ، فناسب أن يَتَمَنَّى أن يكون له مثل ما أُنعِم به عليه من غير أن يريد زوالَه عنه ،

---

(١) بكسر الباء الموحدة وتضم يليها جيم وألف أو هاء ، وردت بهذا الضبط فى كتاب البلدان اليعقوبى (ليدن سنة ١٨٩٢ م ص ٣٣٦) وذكرهم القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ ٥ ص ٢٧٣ : ٢٧٤ طبعة القاهرة سنة ١٩١٥ م) .

وناسب أن يُطْلِعَه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به . ويُحْتَمَل أن موسى عليه السلام لما غَلَب عليه فى الابتداء الأَسَف على نَقْص حَظِّ أمته بالنسبة لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمنى ما تمنى أن يكون منهم ، استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يُتَوَهَّم عليه مما وقع منه فى الابتداء ، والعلم عند الله تعالى .

قال القرطبى : « وأما قول من قال إنه أول من لقيه بعد الهبوط فليس بصحيح ، لأن حديث مالك بن صعصعة أنه رآه فى السادسة وإبراهيم فى السابعة ، وهو أقوى إسناداً من حديث شريك الذى فيه أنه رأى / موسى فى السابعة » . قال الحافظ : « إذا جمعنا بينهما بأنه لقيه فى الصعود فى السادسة ، وصعد موسى معه إلى السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الإشكال وبَطُل الرَّدّ » .

٣٧٩ و

قال السُّهَيْلى : « وأما اعتناءُ موسى عليه السلام بهذه الأُمة وإلحاحهُ على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله – والله أعلم – حين قضى إليه الأَمر بجانب القربى[1] ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الألواح وجعل يقول : إنى أجد فى الألواح أُمَّةً صفتهم كذا : اللهم اجعلهم أمتى . فيقال له : تلك أمة محمد . قال : اللهم اجعلنى من أمة محمد ، وهو حديث مشهور فى التفاسير . فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم يَعْتَنِى بالقوم مَنْ هو منهم لقوله : اللهم اجعلنى منهم » .

التنبيه الحادى والتسعون : فى قول موسى : « قد عالجتُ الناسَ قبلك » إلى آخره دليل على أن علم التجربة زائد على العلوم ، ولا يُقْدَر على تحصيله بكثرة العلوم ولا يُكْتَسَب إلا بها ، أعنى التجربة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأفضلهم سيَّما وهو حديث عهد بالكلام مع ربه تبارك وتعالى وورد إلى موضع لم يطأه مَلَك مُقَرَّب ولا نبىٌ مُرْسَل ، ثم مع هذا الفضل العظيم قال له موسى عليه السلام : « أنا أعلم بالناس منك » ، وذكر له العِلَّة التى لأجلها كان أعلم منه بقوله : « عالجتُ بنى إسرائيل أشَدَّ المعالجة » . فأخبره أنه أعلم منه فى هذا العِلْم الخاص الذى لا يُوجَد ولا يُدْرَك إلا بالمباشرة وهى التجربة .

---

(١) هكذا فى الأصول . وفى الروض الأنف (ح ١ ص ٢٥٥) مصحفة الغربى بالغين المعجمة .

التنبيه الثانى والتسعون : وفيه دليل على جواز الحكم بما أجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لأن موسى عليه السلام حَكَمَ على هذه الأمة بأنها لا تُطِيق ، وذلك سبب ما أخبر به وهو علاج بنى إسرائيل ، ومَنْ تقدَّم أقوى وأجلد مِمَّن يأتى بعد ، كما أخبر تعالى بقوله : (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَروهَا[1]) فرأى موسى أن ما لم يحمله القَوِىّ فمن باب أولى ألا يحمله الضعيف [فهو[2]] بعد مُحْكَم بأثر الحكمة فى ارتباط العادة ، مع أن القُدْرَة صالحة لأن يحمل الضعيف ما لا يحمل القَوِىّ . وقد وَرَدَ أن الصلاة التى كُلِّف بها بنو إسرائيل ركعتان بالغداة وركعتان بالعَشِىّ ومع هذا لم يقوموا بذلك .

التنبيه الثالث والتسعون : وفى سؤال موسى طلب التخفيف عن هذه الأمة دليلٌ على أن بكاءه أوّلاً حين صعود النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا للوجه الذى أبْدَيْنَاه لا لغيره ، لأنه لو كان لغير ذلك لبكى حين رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أو سَكَت ، ولكنه قامَ فى الخدمة والنصيحة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أن كان بكاؤه أوّلاً للوجه الذى ذكرناه ولم يصادف ما أشرنا إليه وإنما كانت هذه / النَّفْحَة من النَّفَحَات الخاصَّة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، تَعَرَّض أيضاً لهذه الأمة بطلب التخفيف ، فصادف اعتراض هذه النفحة فى موضعها لأنها خاصة بهذه الأمة . وتكلم هو صلى الله عليه وسلم فى حَقِّها فأُسْعِف فيما أراد وحَقَّق الله عز وجل [دعاءه[3]] إذ ذاك ورَدَّ الخمسين إلى خَمْس ، وزاد بالإفضال فجعل الحَسَنَة عَشْراً فى الثواب عليها ، فأزال الله تعالى عن الأمة فَرْض تلك الصلوات وأبقى لهم ثوابها تفضلاً منه وإحساناً .

٣٧٩ ظ

التنبيه الرابع والتسعون : قال ابن أبى جَمْرَة : « فى الحديث دليل للصوفية حيث يقولون : « حسنات الأبرار سيئات المُقَرَّبين » ، لأن إبراهيم عليه السلام لم يتكلم فى هذا الشأن بسبب أن مَقَامه أعلى من الكلام ، فلو تكلم لكان ذلك فى حقه سيئة بالنسبة إلى

---

(١) سورة الروم آية ٩ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

مقامه الخاص ، وموسى عليه السلام كان كلامه مما يتقرب به إلى مقامه الخاص ، كل منهم له مقام خاص لا يتعدَّاه » .

التنبيه الخامس والتسعون : قال ابن دِحْيَة : «فى هذه المراجعة التى وقعت بين موسى والنبي عليهما السلام فوائد منها : تكرار الشفاعة فى القصة الواحدة إلى أن يتم مقصود الشافع ، ومنها أن الأَمر إذا انتهى إلى حَدّ الإلحاح كان الأَوْلَى التَّرْك ، ومنها تعظيم الأَمر الذى لا يُقْدَر عليه ، ومنها الرجوع إلى المُشِير الناصح ، ومنها أن الشافع لا يَتَوَقَّف على طلب المشفوع له فى ذلك ، ومنها أن الشافع يُقيم عُذْرَ المشفوع له عند المشفوع عنده فى ذلك ، ومنها أنه لا يمتنع من الشفاعة وإن كان داخلاً فيها » .

التنبيه السادس والتسعون : إنما امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف فى المرة العاشرة لما أمره موسى بذلك لِأَمْرَيْن :

أحدهما : أن الأَمر إذا انتهى إلى حَدّ الإلحاح كان الأَوْلَى التَّرْك.

ثانيهما : أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تَفَرَّس أن هذا العدد لايُحَطُّ عنه فاستحى أن يسأَل فى مَظِنَّة الرَّدّ ، ووَجْهُ التَّفَرُّس أن الله تعالى أَدْرج التخفيف خَمْساً خَمْساً من خَمْس إلى خَمْس . فالقياس أنه إن خَفَّفَ بحَذْف الخمسة الأَخيرة ارتفعت الصلاة بجملتها ، وقد عَلِم أنه لابُدَّ من وظيفة ، فلهذا ترك السؤال ، وكشف الغَيْب أن العِلْم القديم تَعَلّق ببقاء هذه الخَمْس ، ولهذا بَقِيَتْ ، فصَدَقت الفراسة وأصابت الفكرة ، ولهذا جاء فى بعض الطُّرُق أن النبى صلى الله عليه وسلم لما امتنع من المراجعة فى العاشرة نادى مُنَادٍ : «أَمضيت فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى» . / ٣٨٠ و

التنبيه السابع والتسعون : قال ابن دِحْيَة : «دَلَّت مراجعتُه صلى الله عليه وسلم فى طلب التخفيف تلك المَرَّات كلها ، لأَنه عَلِم أن الأَمر فى كل مَرَّة لم يكن على سبيل الإلزام بخلاف المَرَّة الأَخيرة ، ففيها ما يُشْعِر بذلك لقوله تعالى (مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّام لِلْعَبِيدِ[1])» .

التنبيه الثامن والتسعون : قال ابن أَبى جَمْرَة : «فى امتناع النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة ق آية ٢٩ .

فى المَرَّة العاشرة من طلب التخفيف دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعادَ عَبْد جعل اختيارَه فى مَرْضَاة رَبِّه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل اختياره وإيثاره لِمَا أراد الحَقُّ تبارك وتعالى إنْفَاذَه وإمضاءه ، وهو فَرْضُ الصلواتِ الخَمْس ، وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وترفيع ، لأنه لو رجع لِطَلَبِ التخفيف فلم يُخَفَّف كما خُفِّف أولاً لكان اختيارُه مُخالِفاً للمقدور . فلما أن اختار وأُسْعِف فى اختياره كان دليلاً على ما استدللنا عليه وهو عُلُوّ منزلته صلى الله عليه وسلم ، فإنه مادام يطلب التخفيف أُسْعِف فى مُنَاه ، ففى كل حالٍ من طلب ومن عدم طلب كان اختيارُه موافقاً للمقدور » .

وفيه دليل للصوفية حيث يقولون : « إن الحال[1] حامل « لا محمول » ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما أن ورد عليه حالُ الإشفاق على أمته بادر إلى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر إلى غير ذلك ، ثم لما وَرَد عليه حالُ الحياء من الله تعالى لم يلتفت لأمته إذ ذاك ولا طلب شيئاً » .

التنبيه التاسع والتسعون : فى هذا الحديث دليل على أن قَدَر الله تعالى على قِسْمَيْن ، كما قدمنا . فالقَدَر الذى قَدَّره وقَدَّر ألَّا ينفذ بسبب واسطة أو دُعَاء هو فَرْضُه هنا للخمسين صلاة لأنه تعالى لما أن أمر بالخمسين أوّلاً وسبقت إرادته ألَّا ينفذ ذلك جعل بحكمته موسى هناك سبباً لرفع ذلك . والقَدَر الذى قَدَّر إنفاذه ولا يَرُدُّه رادٌّ هو فَرْضُه للخمس صلوات لأنه تعالى لما أن أَمَرَ بها وسبقت إرادته بإمضائها لم ينفع كلام موسى عليه السلام إذ ذاك لأنه من القَدَر المحتوم .

---

(١) جاء فى التعريفات للشريف الجرجانى (ص ٥٥ طبعة القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ) : « الحال » عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة ، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا ، فإذا دام وصار ملكا يسمى مقاما ، فالأحوال مواهب . والمقامات مكاسب . والأحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود . ويعيب تعريف الجرجانى اشتماله على اصطلاحات صوفية أخرى هى فى حاجة أيضا إلى تعريف . ولقد عرف القبض والبسط فى موضع آخر (ص ١١٤) فقال فيهما : هما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب . والقبض والبسط بأمر حاضر فى الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبى . ولكن الجرجانى لم يعرف المقام وهو عند ابن عربى فى الفتوحات المكية عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام ، والحال عند ابن عربى هو تغير الأوصاف على العبد وهناك تعريف مطوله للمقام فى متممات جامع أصول الأولياء للنقشبندى (القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ص ١٢١)

التنبيه الموفى مائة : قال ابن دِحْية : «فإن قُلْتَ : ما معنى قوله تعالى (مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ[1] ») ؟ فإن كان المُرَاد لا يُبَدَّل الخَبَر فكيف يطلق الحديث ، لأن السياق فى الأحكام فلهذا نَسَخ الخمسين إلى خَمْس وتبديل النَّسْخ لا يبقى ، فإن كان المُرَاد لا يُبَدَّل الحُكْم فقد تَقَرَّر أن النَّسْخ فى الأحكام جائز وقد وقع / فى هذا الحديث إلى خَمْس. فالجواب أنه تعالى إذا أخبر عن الحُكْم أنه مُؤَبَّد استحال التبديل والنَّسْخ حينئذ لأجل العِلْم ، وقد أخبر الله تعالى أنه الفريضة أى أَبَّدَها فلا يُبَدَّل هذا الخبر ولا يُتَوَقَّع النَّسْخ بعد ذلك والله تعالى أعلم» ٣٨٠ظ

ويكون المراد أنه تعالى وعَدَ هذه الأُمة على ألسنة الملائكة أو فى صحفها أن لهم أجْرَ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فلما نَسَخها إلى خَمْس حصل للعدد نقص ، وإن الأَجْر المراد لم يَنْقُص لأن الحَسَنة بعشر أمثالها ، ولهذا قال تعالى : «هُنَّ خَمْس وهُنَّ خمسون» أى هُنَّ خَمْسٌ عدداً وخمسون اعتداداً ، ذلك الفضل من الله ، ويكون ذلك كقوله فى الصيام : «من صام رمضان وأَتْبَعَه سِتًّا من شوّال فكأنما صام الدهر»[2]، بتأويل أن الحسنة بعَشْر أمثالها ، فستة وثلاثون فى عشرة بثلثمائة وستين عدد أيام السَّنَة .

واعتُبِرت الصلاة بما تحتاج إليه كل صلاة من وضوء ونحوه ، فوُجد لها ما يأتى على ساعتين وبعض الساعة غالباً ، فعُلِم بذلك أن الخمسين لو استقرَّت على أمة لاستوعبت اليوم والليلة لما تحتاج إليه كل صلاة من طهارة وغيرها ، وكانت الطهارة واجبة التجديد فى أول الأمر ، ثم نُسِخ الوجوب إلى النَّدْب ، فكأن المُصَلِّى من هذه الأُمة لهذه الخمس استوعب الدَّهْرُ صلاةً وكأنه أيضاً استوعب الدهرَ صياماً .

والظاهر أن نقص الخمسين إلى خَمْس ليس من تبديل القول لأنه تبديل تكليف ، وأمّا بعد الإخبار بالخمس والخمسين فتبديل أخبار .

التنبيه الحادى والمائة : قال أبو الخَطَّاب وتَبِعه ابن المنير : «جواز النَّسْخ قبل التمكن من الفعل قبل دخول الوقت مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة ، وجرى كل فريق على قاعدته وعقيدته . فعند أهل السُّنَّة التكليف على خلاف الاستطاعة جائز ، بل واقع

---

(١) سورة ق آية ٢٩ .

(٢) مسند أحمد عن أبى أيوب ، انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ١٧٤ .

إذ الأفعال كلها مخلوقة لله تعالى ، والعبد مطالب بما لا يَقْدِر على إيجاده ولا يتمكن من التأثير فى إحرازه ، عملاً بقوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ[1]) بتقدير أن «ما» هنا مصدرية ، والمعتزلة تجعل «ما» هنا موصولة وجَرَوْا على عقيدتهم فى اعتقادهم أن العَبْد يخلق فِعْلَ نفسه ويُوجِد طاعةَ رَبِّه باستطاعته واختياره ، ولا يسقط التكليف عندهم على خلاف الاستطاعة فلا يُتَصَوَّر النَّسْخ قبل التمكن من الفعل كما تُتَصَوَّر قاعدته . واستدل أهل السُّنَّة على جواز النَّسْخ قبل التمكن بأنه وقع . وأى دليل على الجواز أَتَمّ من الوقوع ؟

ومَثَّلوا ذلك بقصة الذَّبيح فإن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ، ثم خَفَّف ذلك ونَسَخه إلى الفِداء قبل أن يمضى زمن يسع الذَّبْح ولا يمكن فيه الفِعْل . ومن هنا ضاقت على المعتزلة المضايق حتى غالطوا فى الحقائق ، واختلفوا فى الأجوبة ، فمنهم من قال لم يأمره بالذبح لأن ذلك كان فى المنام لا فى اليقظة ، ولا عَقْلَ أَضَلّ من عقل مَنْ زعم أنه استظهر على نبىٍّ فى واقعة هو صاحبُها وقضى فيها ومنه ظهرت ، وعنه أُثِرت ، فإن الذبيح قال فيما حكاه الله تعالى وصَوَّبه (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ[2]) ، ونحن نقول إن راوى الحديث أَعْرَف بتأويله / وتفسيره ، وأَقْعَد بتبيينه وتنزيله . ٣٨١ و

وحتى لو تعارض تأويلان قَدَّمنا تأويل صاحب الواقعة لأنه أَفْهَم لها . فكيف لا يُقَدَّم تأويل الذَّبيح النبى الذَّكِىّ المُسَدَّد المُصَوَّب من رَبِّ العالمين على تأويل المُبْتَدِع الضَّالّ الحائر المِسْكين ؟ ومنهم مَنْ قال: أَمَرَ ولكن بالمُقَدِّمات: الشَّدّ والتَّلّ[3] والصَّرْع وتناوُلِ «المُدْيَة» . وهذا من الطراز الأول [لتهافت القول[4]] ، فإن إبراهيم قال (انِّى أَذْبَحُكَ[5]) ولم يَقُل أصرعك ، وأيضاً ليست المقدمات «بلا» ، ولاسيما فى حق إبراهيم عليه السلام الذى

---

(١) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٢) سورة الصافات آية ١٠٢ .

(٣) فى التنزيل . وتله للجبين ، أى صرعه كما تقول كبه لوجهه والتل الدفع والصرع ومنه حديث أبى الدرداء وتركوك لمتلك أى لمصرعك . وفى حديث آخر : فجاء بناقة كوماء فتلها أى أناخها . وفى الحديث : بينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت فى يدى أى ألقيت فى يدى ، يقال تللت الرجل إذا ألقيته ، قال ابن الأعرابى فصبت فى يدى ، والتل الصب ، يقال تل يتل إذا صب وتل يتل بالكسر إذا سقط ، انظر تفسير القرطبى جـ ١٥ ص ١٠٥ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

علم أن الحال لا ينتهى بغير الأضطجاع خاصةً بما لا يَتَعَنَّى حينئذ للفِداء ، فهذا أحْيَد عن السُّنَن وجنوح إلى العِناد والغَبْن .

ومنهم من قال : « أُمِر بالذَّبْح وفَعَل ، ولكن انقلبت السِّكِّين أو لم تقطع ، أو انقلبت العُنُق حديداً ، وهذا من النَّمَط المردود ، وحاصله النَّقْل بالتقدير وهو الكذب بعينه ، ومنهم من قال : « ذُبِح والْتَحَم » ، وهذه مُغَايَرَةُ النقول ومكابرة العقول . وذلك أن الأمر لو كان على هذه المثابة لم يقع الاقتصار فى الآية على حكاية (وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ[1]) ولكان ذِكْرُ الذَّبْح أوقع فى الابتلاء ولسقطت فائدة الفِداء . فبطُل ما قالوه ، وتَعَيَّن القول بجواز النَّسْخ قبل التمكن بدليل وقوعه فى قصة الذَّبيح ، فلا يمكنهم ترديد مثلها فى قصة الإسراء إذ لاخَفَاءَ بأنه صلى الله عليه وسلم أُمِرَ فى حق الأُمة بخمسين صلاة ثم نُسِخ ما نُسِخ قبل أن يدخل وقت الصلاة فضلاً عن أن يمضى زمان يَسَعُها .

قال شيخنا[2] السهيلى[3]: [وأما فَرْض الصلوات خمسين ثم حُطَّ منها عَشْراً بعد عَشْر إلى خَمْس صلوات وقد رُوِى أيضاً أنها حُطَّت خمساً بعد خَمْس . وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخَمْس فى العَشْر ، فقد تُكُلِّم فى هذا النقص من الفريضة أهو نَسْخ أم لا ؟ على قولين ، فقال قوم : هو من باب نَسْخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين :

أحدهما : البناء على أصله ومذهبه فى أن العبادة لايجوز نسخها قبل العمل بها لأن ذلك عنده من البداء ، والبداء محال على الله سبحانه .

الثانى : أن العبادة إن جاز نَسْخُها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض وهبوطها إلى المخاطبين ... إنما هى شفاعة شُفِّعَها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمته ومراجعةٌ راجعها ربه ليخفف عن أُمته ولا يُسَمَّى مثل هذا نَسْخاً » .

أما مذهب أبى جعفر النحاس فى أن العبادة لا تُنْسَخ قبل العمل بها وأن ذلك بَدَاء فليس

---

(١) سورة الصافات آية ١٠٣ .

(٢) القائل هو ابن دحية .

(٣) الفقرة الكبيرة الواقعة بين معقفين هى مقدمة كلام السهيلى فى الروض الأنف جـ ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ اضطررنا لإثباتها لارتباطها بما جاء بعدها مما نقله المؤلف .

بصحيح لأن حقيقة البَدَاء[1] أن يبدو للآمِر رأىٌ يتبيَّن له الصواب فيه بعد أن لم يكن تَبيَّنه ، وهذا مُحَال فى حق من يعلم الأشياءَ بعِلْمٍ قديم . وليس النَّسْخ من هذا فى شىءٍ ، إنما النَّسْخ تبديل حُكْم بحكم ، والكل سابق فى علمه ومقتضى حكمته ، كنَسْخِه المَرَض بالصِحَّة والصِّحَّة بالمرض ونحو ذلك ، وأيضاً بأن[2]] العَبْد المأمور يجب عليه عند تَوَجُّه الأمر [إليه[3]] ثلاث عبادات : الفِعْل الذى أُمِر به ، والعَزْم على الامتثال عند [سماع[3]] الأَمر ، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً ، فإن نُسِخَ الحُكْم قبل الفِعْل فقد حصلت فائدتان : العزم ، واعتقاد الوجوب ، وعَلِمَ اللهُ تعالى ذلك منه عِلْمَ مشاهدة . فَصَحَّ امتحانُه له واختبارُه إياه ، وأوقع الجزاء على حَسَب ما عُلِم من نيته [والذى لا يجوز إنما هو نَسْخ الأَمر قبل نزوله وقبل عِلْم المُخَاطَب به . والذى ذكر النحاس من نَسْخ العبادة بعد العمل بها ليس هو حقيقة النَّسْخ لأن العبادة المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهى عن مِثْلها لا عنها . وقولنا[4]] فى الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأمتـه أحد وَجْهَيْن : إما أن يكون نَسْخ ما وجب على النبى صلى الله عليه وسلم من أدائها ، وَرَفع عنه استمرار العَزْم واعتقاد الوجوب . وهذا قد قدَّمنا أنه نُسِخ على الحقيقة ، ونُسِخ عنه ما وَجَب عليه من التبليغ ، فقد كان فى كل مرة عازماً على تبليغ ما أُمِرَ به [وقول أبى جعفر إنما كان شافعاً ومُرَاجِعاً يَنْفِى النَّسْخ فإن النَّسْخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لأُمته كانت سبباً للنَّسْخ لا مُبْطِلةً لحقيقته ، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النَّسْخ وحُكْم الصلوات الخمس فى خاصته[4]] وأما أمته فلم يُنْسَخ عنهم حُكْم [إذ] لايُتَصَوَّر نَسْخ الحُكْم قبل وصوله إلى المأمور به . وهذا كله أحد الوجهين فى الحديث . والوجه الثانى : أن يكون هذا خبراً لا تعبدا وإذا كان خبراً لم يدخله النَّسْخ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام ، أَخْبَرَهُ رَبُّه أن على أُمته خمسين صلاة [ومعناه : أنها خَمْسون فى اللوح المحفوظ ، وكذلك قال فى آخر الحديث : هى خمس ، وهى خمسون والحسنة بعشر أمثالها ،

---

(١) البداء : ظهور الرأى بعد أن لم يكن ، والبداء استصواب شىء علم بعد أن لم يعلم . ويقال بدا لى فى هذا الأمر بداء أى ظهر لى فيه رأى آخر .

(٢) نهاية ما نقلناه عن السهيلى لتكملة ما نقله المؤلف عنه .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) إضافة من السهيلى (جـ ١ ص ٢٥١ : ٢٥٢) .

فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على[1]] أنها خمسون بالفَضْل[2] ، فلم يزل يراجع ربه حتى بَيَّن له أنها خمسون فى الثواب لا بالعمل[3] .

التنبيه الثانى والمائة : قد عُلِم مما سبق جواز نَسْخ الفِعْل قبل التمكن من فعله ، وأن ذلك صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم ، وغير صحيح بالنسبة لأُمته لاستحالة النَّسْخ قبل البلاغ إذ شرط التكليف تمكين المُكَلَّف من العِلْم به ، أى إذا لم يكن العلم به شرطاً فإن نَسْخ التكليف قبل البلاغ يناقض ذلك .

٣٨١ ظ وقال ابن دِحْية : «يصح النَّسْخ فى حق الأُمة/ أيضاً باعتبار أن الإسلام يوجب على كل مسلم الدخول فى فروعه وفى شرائع الدين بتفصيلها ، وكل من آمَن بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته دخل فى الإسلام . على أن هنالك تكاليف منها ما نُزِّل وبُيِّن بكل وجه ، ومنها ما نُزِّل مُجْمَلاً من وجه ومُبَيَّناً من وجه ، ومنها ما لم يُنَزَّل بعد وسَيُنَزَّل ، والإيمان والالتزام شامل للجميع . فكما يجوز نَسْخ التكليف بعد أن يُبَلَّغ بخصوصية يجوز أيضاً قبله . وأكثر القواعد أن ما وَجَبَ مُجْمَلاً ثم بُيِّن فى وقت الحاجة كالصلاة والزكاة ، لم يَقْتَرِن بأول وجوبها ذِكْرُ أعدادها ولا إعدادها ولا أوقاتها ولا هيئاتها ولا شرائطها ، بل للتكاليف بها مستقر مع هذه الإجمالات ، لأن المكلف بالالتزام الأول قد دخل على التزامها على ما هى عليه فى نفس الأمر . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن الإسلام هو «أن تشهد ألاَّ إله إلا الله وأنى رسول الله وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت[4]» . فنجز التكليف عليه بهذه القواعد مُجْمَلَةً غير مُبَيَّنَة» .

---

(١) زيادة من السهيلى .

(٢) فى السهيلى : بالفعل ، والمعنيان صحيحان فهى خمسون بالفعل باعتبار العدد الذى ذخره الله تعالى لعبده وهى خمسون بالفضل باعتبار ما تفضل به تعالى عليه .

(٣) زاد السهيلى بعد ذلك قائلا : «فإن قيل فما معنى نقصها عشرا بعد عشر قلنا : ليس الخلق يحضر قلبه فى الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء فى الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها وأن العبد يصلى الصلاة فيكتب له نصفها أو ربعها حتى انتهى إلى عشرها ووقف ، فهى خمس فى حق من كتب له عشرها وعشر فى حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون فى حق من كلمت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها . (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٢)

(٤) هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام (ج ١ ص ٣٢) وإسناده حدثنا إسماعيل عن مالك بن أنس عن عمه ، أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد . فإذا هو يسأل عن الإسلام : الحديث .

التنبيه الثالث والمائة : قال ابن دِحْيَة : «إذا سَمِعْتَ العلماء يتكلمون[1] على النَّسْخ قبل الفِعْل فاعلم أنهم أرادوا قبل مُضِيّ زَمَن يَسَعُ الفِعْلَ الأول . هذا هو المُخْتَلَف فيه ، وإلا فكل نَسْخ مُتَّفَق عليه لا يُتَصَوَّر إلا قبل الفعل لأن ما فُعِل مضى وانقطع التكليف به والنَّسْخ فيه . قال : وإذا سَمِعْتَهم يقولون نَسْخ التكليف قبل البلاغ متعذر لأن شرط التكليف البلاغ فاعلم أنهم يريدون تنجيز التكليف . هذا هو المشروط بالبلاغ . وأما أصل التكليف عندنا فلا يتوقف على ذلك فإن مذهبنا أن الأمر قديم مُحَقَّق قبل وجود المأمور فضلاً عن بلاغه والله تعالى المُوَفِّق .

التنبيه الرابع والمائة : قال بعض أهل الإشارات : « لما تمكنت المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور ليقتبس ، فاحتبس فلما نودى فى النَّادِى اشتاق إلى المُنَادِى فكان يطوف فى بنى إسرائيل فيقول : من يحملنى حتى أُبَلِّغ رسالة ربى ، ومراده أن تطول المناجاة مع الحبيب ، فلما مَرَّ عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج رَدَّدَهُ فى أمر الصلاة ليَسْعَد برؤية حبيب الحبيب . [وقال آخر : لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البُغْيَة ، بَقِيَ الشوقُ يُقْلِقُه والأَمَل يُعَلِّلُه ، فلما تحقق أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم مُنِح الرؤية وفُتِح له باب المَزِيَّة أَكْثَر السؤال ليَسْعَد برؤية من قد رأى[2]] ، كما قيل :

وأَسْتَنْشِقُ الأَرواحَ من نَحْوِ أَرْضِكُم ... لعلِّى أراكم أو أرى من يَرَاكُمُ
وأَنْشُدُ من لاقَيْتُ عنكم عَسَاكُمُ ... تجودون لى بالعطف منكم عَسَاكُمُ
فأَنتم حياتى إن حييتُ وإن أَمُتْ ... فياحَبَّذا إن مِتُّ عَبْدَ هَوَاكُمُ

وقال آخر :

وإنما السِّرُّ فى موسى يُرَدِّدُه ، ... ليجتلى حُسْنَ ليلى حين يَشْهَدُهُ
يَبْدُو سَنَاهَا عَلَى وَجْه الرَّسولِ فَيَا ... لِلهِ دَرُّ رَسُولٍ حِينَ أَشْهدُهُ

---

(1) فى الأصول : « يترحمون » من الرحمة وهى مستبعدة وإذا كانت يترجمون بالجيم فإن فعل : « ترجم لا يتعدى بحرف جر ، والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(2) زيادة من المواهب اللدنية التى نقل عنها المؤلف فى ج ٦ ص ١٢٤ من شرح المواهب

[وقال[1] آخر : لما جلس الحبيب فى مَقَام القُرْب ، دارت عليه كؤوس الحب ، ثم عَادَ وَهلاَلُ (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى[2]) بَيْنَ عَيْنَيْه ، وبِشْرُ (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى[3]) مِلْءُ قلبه وأُذُنَيْه ، فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسانُ حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم :

يَا وَارداً من أُهَيْلِ الحَىِّ يُخْبِرُنى ... عَنْ جِيرَتِى شَنِّفْ الأَسْمَاعَ بالخَبرِ

نَاشَدْتُكَ اللهَ يَا رَاوِى حَدِيثهمُ ... حَدِّثْ فَقَدْ نَابَ سَمْعِى اليومَ عن بَصَرى

فأجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم :

ولقد خَلَوْتُ مع الحبيب وبيننا ... سِرٌّ أَرَقُّ من النَّسِيمِ إِذَا سَرَى

وأَبَاحَ طَرْفِى نَظْرةً أَمَّلْتُها ... فَغَدَوْتُ مَعْرُوفاً وكُنْتُ مُنَكَّرَا[4]]

التنبيه الخامس والمائة : قوله فلما جاوزت نادى مناد : « أَمْضَيْتُ فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى » ، من أقوى ما يُسْتَدَلُّ به على أن الله تبارك وتعالى كَلَّم نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بغير واسطة .

التنبيه السادس والمائة : وظاهر سياق حديث شريك أن موسى هو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « فاهبط باسم الله » ، لأنه ذكر عقب قوله صلى الله عليه وسلم : « قد والله استحَيَيْتُ من ربى مما أختلف إليه » ، قال : « فاهبط » ، وليس كذلك بل الذى قال له « اهبط باسم الله » جبريل ، وبذلك جَزَم الدَّاوُدى .

التنبيه السابع والمائة : قال السهيلى : « فإن قيل : « كيف استباح النبى صلى الله عليه وسلم شُرْبَ الماء الذى فى القَدَح وهو مِلْكٌ لغيره ، وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم ؟ » فالجواب أن العرب فى الجاهلية كان فى عُرْف العادة عندهم إباحة اللَّبَن لابن السبيل فضلاً عن الماء وكانوا يعهدون بذلك إلى رُعَاتهم ويشترطونه عليهم عند عَقْد

---

(١) زيادة من المواهب اللدنية التى نقل عنها المؤلف فى جـ ٦ ص ١٢٤ من شرح المواهب .

(٢) سورة النجم آية ١١

(٣) سورة النجم آية ١٠

(٤) من شعر عمر بن الفارض ، ديوانه طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ هـ ص ٩٩ .

إجارتهم ألَّا يمنعوا [الرِّسْل وهو[1]] اللَّبَن من أحَد مَرَّ بهم ، فكيف بالماء ؟ وللحُكْم بالعُرْف في الشريعة أُصولٌ تشهد له [وقد[1] ترجم البخارى عليه فى كتاب البيوع وخَرَّج حديث هِنْد بنت عُتْبَة وفيه : « خذى ما يكفيك وولدِك بالمعروف[2] »] .

قُلْتُ : وذكر أئمتنا رحمهم الله تعالى فى الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم أُبِيح له الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم إليهما فإنه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ[3])

التنبيه الثامن والمائة : يأْتى الكلام على حَبْس الشمس فى المعجزات .

التنبيه التاسع والمائة : قوله صلى الله عليه وسلم : «فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه » إلى آخره / كذا فى رواية ابن عباس رضى الله عنهما عند الإمام أحمد والنَّسَائى بسند صحيح، ٣٨٢ ظ وفى رواية عبد الله بن الفَضْل عن أبى سلمة عند مسلم قال : «فسألونى عن أشياء لم أُثبتها فكَرُبْتُ كرباً لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله تعالى لى أنظر إليه مايسألونى عن شىء إلا أنبأْتُهم به » . وفى رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « فَجَلَّى الله لى بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخْبِرهُم عن آياته وأنا أنظر إليه » . ومعنى «جَلَّى الله بيت المقدس» كشف الحُجُب بينى وبينه حتى رأيتُه ، ويُحْتَمَل أن يريد أنه حُمِل إلى أن وُضِع بحيث يراه ، ثم أُعِيد ، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة ، وهذا أبلغ فى المعجزات ولا استحالة فى ذلك . وقد أُحْضِر عَرْش بلقيس فى أقل من طَرْفَة عين . ووقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد : «فخُيِّل إلىّ بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخبرهم عن آياته » . فإن ثَبَتَ احْتُمِل أن يكون المراد أنه مُثِّلَ قريباً كما قيل فى حديث : «أُرِيتُ الجنة والنار» ويؤيد قوله : «حتى جىء بمثاله » .

التنبيه العاشر والمائة : مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره : من المشهور اثنا عشر شيئاً : الأول كون المعراج قبل البعثة وقدَّمنا جوابه . الثانى : كونُه مناماً وتقدم

---

(١) زيادة من الروض الأنف جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (جـ ٣ ص ١٦٢ ، ١٦٣) فى كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم فى البيوع والإجارة والمكيال والوزن وسنهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة .

(٣) سورة الأحزاب آية ٦ .

الكلام على ذلك . الثالث : أمكنة الأنبياء فى السموات وقد اتضح أنه لم يضبط منازلهم لكن وافقه الزهرى فى بعض ما ذكر . الرابع : مخالفته فى محل سِدْرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة ، مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والمشهور أنها فى السابعة أو السادسة كما تقدم . الخامس : مخالفته فى النَهْرَيْن وهما النيل والفُرَات وأن عنصرهما فى السماء الدنيا ، والمشهور فى غير روايته أنهما فى السماء السابعة وأنهما تحت سدرة المنتهى وتقدم جوابه . السادس : شَقُّ الصَّدْر عند الإسراء وقد وافقته روايةُ غَيْرِه كما تَقَدَّم بَسْطُ ذلك فى أبواب صفاته . السابع : ذكر نهر الكوثر فى السماء الدنيا ، والمشهور فى الحديث أنه فى الجنة ، وتقدم الكلام على ذلك . الثامن : نسبة الدُّنُوّ والتَّدَلِّ إلى الله تعالى ، والمشهور أنه جبريل . قال الخطَّابى : «ليس فى هذا الكتاب – يعنى صحيح البخارى – أشنع ظاهراً ولا أَمْنَع مذاقاً من هذا – يعنى قوله : «ودنا الجَبَّار ربُّ العِزَّة فتَدَلَّى حتى كان منه قاب قوسَيْن أو أدنى » – فإنه يقتضى تحديد المسافة بين أَحَد المذكورَيْن وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما ، هذا مع ما فى التَّدَلِّى من التشبيه ، والتمثيل له بالشىء الذى تَعَلَّق من فوق إلى أسفل. قال : فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعاً عن غيره ، ولم يعتبره بأول القصة ولا بآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه ، وكان قُصَاراه إما رَدّ الحديث من أصله وإما الوقوع فى التشبيه / ، وهما خَطَآن مرغوب عنهما . ٣٨٣ و

«وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الإشكال فإنه مُصَرَّحٌ فيهما بأنه كان رؤيا لقوله فى أوله : ««وهو نائم» وفى آخره : «استيقظ» . وفى بعض الرؤيا مَثَلٌ يُضْرَب ليُتَنَاوَل على الوجه الذى يجب أن يُصْرَف إليه معنى التعبير فى مثله ، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتى كالمشاهدة » .

قال الحافظ : « وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله : إن فى الحديث الصحيح أن رؤيا الأنبياء وَحْىٌ فلا يحتاج إلى تعبير ، لأنه كلام من لم يُمْعِن النظر فى هذا المحل ، فإن بعض مرائى الأنبياء يقبل التعبير ، فمن ذلك قول بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم فى رؤيا القميص : « فما أَوَّلْتَه يا رسول الله ؟» قال : «الدِّين» . وفى رؤيا اللَّبَن قال : «العِلْم» . لكن جَزَم الخَطَّابى بأن ذلك كان مناماً ، وهذا مُتَعَقَّب بما قَدَّمناه من ترجيح كونه فى اليقظة بالأدلة التى أشرنا إليها .

ثم قال الخطابي مشيراً إلى رفع الحديث من أصله «إن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أَنَس من تلقاء نفسه لم يَعْزُها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوى أنس ، وأما شريك فإنه كثير التفرّد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة» . [قال الحافظ[1]] : «وما نفاه من أن أنَساً لم يُسْنِد هذه القصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تأثير له ، فأدنى أمره فيها أن تكون مُرْسَل صحابي ، فإما أن يكون تَلَقَّاها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي تَلَقَّاها عنه . ومثل ما اشتملت عليه لا يُقال بالرأى فيكون لها حُكْم الرفع . ولو كان لما ذكره تأثير لم يُحْمَل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً وهو خلاف عمل المُحَدِّثين قاطبةً فالتعليل بذلك [مردود[1]] .

ثم قال الخَطَّابي : «إن الذى وقع في هذه الرواية من نسبة التَّدَلِّي للجَبَّار عز وجل مخالفة لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير ومن تقدم منهم ومن تأخَّر . والذى قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها : دنا جبريل من محمد فتَدَلَّى أى تَقَرَّب منه ، وقيل هو على التقديم والتأخير أى تَدَلَّى فدنا لأن التَّدَلِّي سبب الدُّنُوّ . الثاني : تَدَلَّى جبريل بعد الانصباب والاندفاع حتى رآه مُتَدَلِّياً كما رآه مرتفعاً ، وذلك من آيات الله حيث أقدره على أن يتدلَّى في الهواء من غير اعتمادٍ على شيء وَتَمَسُّكٍ بشيء . الثالث : دنا جبريل فتدلَّى محمد ساجداً لربه شكراً على ما أعطاه من الزُّلْفَى . وقد رُوِى هذا الحديث عن أَنَس رضى الله عنه من غير طريق شريك فلم يذكر هذه الألفاظ الشنيعة ، وذلك مما يُقَوِّى الظَّنّ أنها صادرة من شريك» .

قال الحافظ : «قد أخرج البيهقى من طريق الأُموى في مغازيه عن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى[2]) ، قال : «دنا منه ربه» ، وهذا سَنَدٌ حَسَن وهو شاهد قوى لرواية شريك . ثم قال الخَطَّابي : «وفى هذا الحديث لفظة أُخرى تَفَرَّد بها شريك أيضاً لم يذكرها غيره ، وهى قوله : «فَعَلَا بِهِ»

---

(١) زيادة من الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٩٧

(٢) سورة النجم آية ١٣

يعني جبريل إلى الجبَّار تعالى ، فقال وهو مكانَه : « رَبِّ خَفِّفْ عنَّا » . قال الخَطَّابي : « والمكان لا ينسب إلى الله تعالى ، إنما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم فى مُقَامه الأول الذى قام فيه قبل هبوطه » . قال الحافظ : « وهذا الأخير مُتَعَيِّن وليس فى السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى ، وأما ما جَزَم به من مخالفته للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه » .

وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال : « دَنَا الله » ، قال القرطبي : « والمعنى دَنَا أَمْرُه وحُكْمُه ، وأصل التَّدَلِّي النزول إلى الشيء حتى يَقْرُبَ منه » . قال : « وقيل التدلى تَدَلَّى الرفرف لمحمد حتى جلس عليه ، ثم دنا محمد من ربه » . وقد أزال العلماء إشكاله فقال القاضي : « إضافة الدنوّ والقُرْب هنا من الله تعالى أو إلى الله تعالى ليس بِدُنوّ مكان وقُرْب مَدَى ينتهى إليه وإنما دُنُوّ النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقُرْبُه منه إبانة لعظيم منزلته وتشريف رتبته اعتناء بشأنه وإظهاراً لما لم يؤته أحداً غيره وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غَيْبه وقدرته ، كما قال جعفر بن محمد : الدُّنُوّ من الله تعالى لا حَدَّ له يَنْتَهِى إليه مَطْمَحُ فَهْم أو مَطْرَحُ وَهْم ، ومن العباد بالحدود الغائِيَّة المنتهية إلى غاية » .

وقال أيضاً : « انقطعت الكيفية عن الدُّنُوّ ، أَلَا ترى كيف حُجِب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أَودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه إليه وأزال من قلبه الشك والارتياب [أى الذى عَرَا خَاطِرَه : هل يغشى حضرة هذا القُرْب وينال مواهبه من إنافة وإكرام وشَرَف وإنعام فأَنجح الله أُمنيته لا الشك فى ذلك ، إذ كان أَثْبَتَ الناس مَعْرِفَةً وإيماناً وأَسْكَنَهم جَنَاناً وأَمْلَكَهم طمأْنينةً وسكوناً][1] ، وإنما الدُّنُو والقُرْب من الله تعالى أو إليه كنايةٌ عن جزيل فوائده إليه وجميل عوائده عليه وتَأْنِيسٌ لاستيحاشه بانقطاع الأصوات عنه ، وَبَسْطٌ بالمكالمة وإكرامٌ بِشَرَائِفَ مُنِيفة ، يُتَأَوَّلُ فى دُنُوِّه تعالى منه ما يُتَأَوَّلُ به فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخر[2] » ، على أَحَد الوجوه من أَن نزوله تعالى إنما هو نزول إفضال وإجمال وقبول توبة وإحسان بمعرفة وإشفاق » .

---

(١) زيادة من شرح الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٩٨ .

(٢) طرف حديث فى البخاري فى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (جـ ٨ ص ١٢٧ : ١٢٨) أخرجه عن أبي هريرة

وقال الواسطى : « مَنْ تَوَهَّم أنه بنفسه دَنَا فقد جَعَل ثَمَّ مسافةً ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنا بنفسه من الحَقِّ تَدَلَّى بُعْداً ، يعنى كلما قَرُبَ منه نزل بساحة البُعْد كناية عن نَفْيِهما جميعاً أَو عن إدراك حقيقته إذ لا يدركها أَحد ، ولا دُنُوّ للحقِّ ولا بُعْد ، لاستحالتهما . وأَما قوله تعالى : «فإِنى قريب» فتمثيلٌ لكمال عِلْمه وإجابةٌ لتعاليه عن القُرْب مكاناً . ويُتَأَوَّل فى الدُّنُوّ ما يُتَأَوَّلُ فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى[1] حكايةً عن رَبِّه تبارك وتعالى: «مَنْ تَقرَّب منى شِبْراً تَقَرَّبْتُ منه ذراعاً» . وهو تمثيل يُقَرِّب المعنى للأَفهام ، أَى من تَقَرَّب إلى طاعتى جازيتُه بأَضعاف ما تَقَرَّب به إلَىّ . «ومَنْ أَتانِى يَمْشِى أَتيته هَرْوَلة» ، أَى سَبَقْتُه بجزائه ، فهو أَقرب بالإِجابة والقبول ، وإتيان بإحسان ، وتعجيل المأْمول ، ثواباً مُضَاعَفاً على حَسَب ما تَقَرَّب به ، وقد سبق به طريق المشاكلة فسَمَّاه تَقَرُّباً . »

التاسع : تصريحه بأَن امتناعه صلى الله عليه وسلم من الرجوع إلى سؤال رَبِّه تبارك وتعالى فى طلب / التخفيف كان عند الخامسة . ومُقتضى رواية ثابت أَنه كان بعد السابعة . ٣٨٤ و

العاشر : قوله : «فَعَلا به الجبَّار» ، وهو مكانه تقدم ما فيه . الحادى عشر : رجوعه بعد الخَمْس ، والمشهور فى الأَحاديث أَن موسى أَمره بالرجوع بعد أَن انتهى التخفيف إلى خمس فلم يرجع . الثانى عشر: زيادة ذِكْر « التَّوْر »[2] بالتاء المُثَنَّاة فى الطَّسْت ، فإِنه قال: «أُتِى بطَسْت من ذَهَب فيه تور من ذَهَب» ، فيُحتَمَل أَنه طَسْت صغير داخل طَسْت كبير لئلاَّ يَتَبَدَّد منه شىء فيكون فى الكبير . وفى حديث أَبى ذَرّ رضى الله عنه ورواية شريك أَنهم غسلوه بماء زمزم فيُحْتَمَل أَن يكون أَحدهما فيه ماء زمزم والآخر هو المحشو بالإِيمان ، ويُحْتَمَل أَن يكون التَّوْر ظرف الماء والإِيمان والطَّسْت لما يُصَبّ فيه عند الغُسْل صيانةً له عن التبدُّد فى الأَرض وجرياً له على العادة فى الطَّسْت وما يوضع فيه الماء .

التنبيهُ الحادى عشر والمائة : فى بيان غريب ما تقدم :

«بينما» : الأَصل «بَيْنَ» فأُشْبِعت الفتحة فصارت أَلِفاً وزيدت الميم فيقال : «بينا»

---

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد (جـ ٧ ص ٢١٦) عن أبى هريرة . وأخرجه أيضا مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ١٧ ص ٢ ، ٣) .

(٢) فى حديث أم سليم رضى الله عنها : أنها صنعت حيسا فى تور ، والتور هو إناء من صفر أو حجارة كالإجانة وقد يتوضأ منه ، عن النهاية جـ ١ ص ١٢٠ .

و «بينما» . قال فى النهاية : وهما ظَرْفا زمان بمعنى المُفَاجَأَة[١] ، وقال فى المطالع : «بينا أنا» و «بينما أنا» من البَيْن الذى هو الوَصْل أى أنا متصل بفعل كذا . «الحِجْر[٢]» ، بكسر الحاء وسكون الجيم وهو هنا حطيم مكة وهو المُدار عليه بالبناء من جهة الميزاب وسُمِّى حِجْراً لأنه حُجر عنه بحيطانه وحَطِيماً لأنه حُطِمَ جِدَارُه عن مساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله : «بينا أنا فى الحطيم» ، وربما قال : «فى الحِجْر» ، والشك من قتادة . وقال الطيبى : «لعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم قصة المعراج فعَبَّر بالحطيم تارةً وبالحِجْر أخرى» . وقيل : الحطيم غير الحِجْر ، وهو ما بين المَقَام إلى الباب ، وقيل : ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر ، والراوى شَكَّ أنه سمع فى الحطيم ، أو فى الحِجْر . «أوسطهم» خَيْرُهم . «الثُّغْرَة» بضم المثلثة وسكون المعجمة الموضع المنخفِض بين التَّرقوتين ، إلى أسفل بطنه أى شِعْرَتِه بكسر الشين المعجمة أى شَعْر العانة . وفى رواية : «فشَقَّ جبريل ما بين نحره إلى لَبَّتِهِ وهى بفتح اللام وتشديد الموحدة موضع القلادة من الصدر ، وفى رواية : «إلى ثُنَّتِهِ» بضم المثلثة وتشديد النون أى ما بين سُرَّته إلى عانته . وفى رواية : «من قَصَّتِهِ بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة أى رأس صدره ، وفى رواية : «فُرِج صدرى» ومعنى الروايات واحد . «الطَّسْت» بفتح الطاء وسكون السين المهملة ، وإعْجَامُها ليس بلَحْن ، بل لغة صرّح بها صاحب القاموس فيه وفى كتاب : تخيير الموشِّين فيما يقال بالسين والشين » ، وبمثناة وقد تُحْذَف وهو الأكثر وإتيانها لغة طيئ ، وأخطأ من أنكرها ، وتُدْغَم السين فى التاء بعد قلبها فيقال طَسّ وهى مؤنثة وجَمْعُها طساس وطسوس وطسوت[٣] .

---

(١) زاد ابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ١٠٦) ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى والأفصح فى جوابهما ، لا يكون فيه إذ وإذا وقد جاء فى الجواب كثيرا .

(٢) الحجر حجر الكعبة قال الأزهرى هوحطيم مكة مما يلى المثعب من البيت . وفى الصحاح للجوهرى الحجر حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرته من حائط فهو حجر – عن تاج العروس والصحاح .

(٣) جاء فى النهاية (جـ ٣ ص ٣٧) : فى حديث الإسراء . واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من زمزم ، الطساس جمع طس وهو الطست والتاء فيه بدل من السين فجمع على أصله ويجمع على طسوس أيضا. وجاء فى تاج العروس : الطست من آنية الصفر أنثى وقد تذكر ، والطس بلغة طيىء أبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء قلت طساس وطسيس ، ويجمع أيضا على طسوس باعتبار الأصل وعلى طسوت باعتبار اللفظ .. ونقل عن بعضهم التذكير والتأنيث ، وقال الزجاج ، التأنيث : أكثر كلام العرب . وهى دخيلة فى كلام العرب لأن التاء والطاء لا يجتمعان فى كلمة عربية .

وقال الجواليقى فى المعرب (ص ٢٢١ ، ٢٢٢) إنها فارسية مما دخل فى كلام العرب غير أنهم لما أعربوا الطست قالوا طس ويجمع طساساً وطسوساً وفى لسان العرب . والأكثر الطس بالعربية .

«اختلف إليه» [تَرَدَّد][1]. «ممتلئ» بالتذكير على معنى الإناء، وفى رواية: «مملوءة»، بالتأنيث أى الطَّسْت، وفى رواية «مَحْشُوّاً» بالنصب وأُعرِب بأنه حال من الضمير فى الجار والمجرور، وفى رواية «مَحْشُوٌّ»، وفى رواية شريك: بطَسْت من ذهب بمثناة فوقية / ويأتى لهذا مزيد بيان. «إيماناً» منصوب على التمييز «وحِكْمَةً» معطوف عليه.

٣٨٤ ظ

قال ابن أبى جَمْرَة: وفى هذا الحديث أن الحكمة ليس بعد الإيمان أجَلّ منها، ولذلك قُرِنَتْ به، ويؤيده قوله تعالى: (وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً[2]) وقد اختُلِف فى تفسير الحكمة فقيل إنها العِلْم المُشْتَمِل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيقِ الحق للعمل به والكفّ عن ضِدِّه، والحكيم من حاز ذلك، قال النووى: «هذا ما صَفَا لنا من أقوال كثيرة،» انتهى. وقد تُطْلَق الحكمة على القرآن وهو مُشْتَمِلٌ على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تُطْلَق على العلم فقط ونحو ذلك.

قال الحافظ: «وأَصَحّ ماقيل فيها إنها وضع الشيء فى محله، أو الفهم فى كتاب الله، وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان وقد لا توجد، وعلى الأول قد يتلازمان لأن الإيمان يدل على الحكمة. «دَابَّةٌ أبيض» إنما قال أبيض ولم يقل بيضاء لأنه أعاده على المعنى أى مركوب أو بُرَاق. «مُسْرَجاً مُلْجَماً» حالان من البُرَاق. «الحافر» أحد حوافر الدَّابَّة سُمِّى بذلك لِحَفْره الأرض لشدة وَطْئِه عليها. «الطَّرْف» بسكون الراء وبالفاء النظر، «مُضْطَرِب الأُذُنَيْن» أى طويلهما والطاء بدَلٌ من التاء. «يَحْفِزُ بهما رِجْلَيْه» بمثناة تحتية مفتوحة فحاء مهملة ساكنة ففاء مكسورة قال فى النهاية[3]: الحَفْز الحَثّ والإعجال. «عُرْف الفَرَس» بضَمّ العين المهملة وبالفاء الشَّعْر النَّابت فى مُحَدَّب رَقَبَتِه. «الأَظْلَاف» جمع ظِلْف بكسر الظاء المعجمة المُشَالَة وهو من الشَّاء والبقر كالظُّفْر للإنْسان «صَرَّت بأُذنيها» أى جمعت بينهما وأصل الصَّرّ الجمع والشَّدّ قاله فى النهاية[4] وفى الصحاح: الصَّرَّة الشِّدَّة من كَرْبٍ وغيره.

---

(١) بياض بالأصول بنحو كلمة.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩ وفى تفسير القرطبى (جـ ٣ ص ٣٣٠) مرويات عن معنى الحكمة لابن عباس والسدى وقتادة ومجاهد وعلق عليهما القرطبى بقوله. وهذه الأقوال قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام. وهو الإتقان فى قول أو فعل. وأصل الحكمة ما يمتنع به عن السفه. وهو كل فعل قبيح.

(٣) فى جـ ١ ص ٢٤٠

(٤) فى جـ ٢ ص ٢٥٨

« ارفَضَّ » جرى وسال « عَرَقاً » منصوب على التمييز من الفاعل ولذا وَرَد مُخَفَّفاً والمعنى فَتَبَرَّأ من الاستصعاب وعَرِقَ من خجل العتاب فوثب . « الزِّمام » بالكسر المِقْوَد . « طَيْبَة » من أسماء المدينة الشريفة « يَهْوِى به » يُسْرِع السَّيْر « مَدْيَن » بفتح الميم وسكون الدَّال المهملة وفتح المُثَنَّاة التحتية بلد بالشام تلقاء غَزَّة . « طور سيناء » : الطور جبل ببيت المقدس[1] وسيناء بكسر السين اسم للبقعة . « بيت لَحْم » بلام مفتوحة فحاء [مهملة] ساكنة قرية من قُرَى الشام تلقاء بيت المقدس . « العِفْريت » من الجنّ العارم الخبيث ويستعمل فى الإنسان استعارة الشيطان له . « الشُّعْلَة » من النار بالضَّمّ وهى شبه الجِـذْوَة ، والجِـذْوَة مُثَلَّثة الجيم الجَمْرَة . « خَرَّ لفيه » أى على فمه . « الكلمات التَّامَّات » أى الكاملة فلا يدخلها نقص ولا عيب ، وقيل النافعة الشافية . « لا يُجَاوِزُهُنّ » أى لا يَتَعَدَّاهُنّ . « البَرّ » بفتح الباء التَّقِىّ . « الفاجِر » المائل عن الحق . « ذَرَأ » خلق . « طوارِق الليل » حوادثه التى تأتى ليلاً . « الماشطة » اسم فاعل من مَشَط الشَّعْرَ يَمْشُطُه ويَمْشِطه بضمّ المعجمة وكسرها مَشْطاً سَرَّحه ، والتثقيل مبالغة . « المُشْط » بضمّ الميم وإسكان الشين / ومع ضَمِّها أيضاً ، وبكسر الميم مع إسكان الشين ، ويقال مِمْشَط بميمين الأولى مكسورة و « تَعِس » بفتح العين وتكسر ، تَعْساً بسكون العين وفتحها لم يَسْتَقِلْ من عثرته وأتعسه الله فَتَعَس ويقال تُعِس أُكِبَّ على وجهه[2] . « راودوا[3] المرأة » أى راجعوها . « فأمر ببقرةٍ من نحاس » بباءيْن مُوَحَّدَتَيْن فقاف ، قال الحافظ أبو موسى المدينى[4] : [الذى][5] يقع لى فى معناه أنه لا يريد شيئاً مَصُوغاً على صورة البقرة ، ولكنه

٣٨٥ و

---

(١) المؤلف هنا يخلط بين الطور الذى قال عنه الزبيدى فى تاج العروس : « جبل بالقدس عن يمين المسجد ويعرف بطور زيتا وقد صعدته وتبركت به » وبين جبل الطور الذى يضاف إلى سيناء وهو إلى الجنوب الغربى من أيلةالتى على رأس خليج العقبة .

(٢) فى القاموس المحيط التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ، والفعل كمنع وسمع ، وإذا خاطبت قلت تعست كمنع وإذا حكيت قلت تعس كسمع ، وتعسه الله وأتعسه . وفى النهاية (ج ١ ص ١١٥) : فى حديث الإفك : تعس مسطح ، يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه وقد تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك .

وفى تاج العروس : قال الأزهرى : لا أعرف تعسه الله ولكن يقال تعس بنفسه وأتعسه الله .

(٣) فى المصباح : راودته على الأمر مراودة ورواداً من باب قاتل طلبت منه فعله . وفى التاج : راودته على كذا أى أردته .

(٤) فى النهاية الحافظ أبو موسى ولم يذكر ابن الأثير المدينى ، وعلى بن عبد الله المدينى الحافظ الشهير المتوفى سنة ٢٣٤ هـ كانت كنيته أبا الحسن . ومع ذلك فإنى أرجح أنه هو الذى يقصده المؤلف ، انظر فى ترجمة ابن المدينى تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ١٥ و ١٦ .

(٥) زيادة من النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٨٩ وتكلة الحديث : فأمر ببقرة نحاس فأحميت . وسبق أن أشرنا إلى أنها رويت نقرة من نحاس .

ربما كانت قِدْراً كبيرة واسعة فسمَّاها بَقَرة مأخوذاً من التَّبَقُّر التَّوَسُّع أو كان شيئاً يَسَع بَقَرَةً تَامَّةً بِتَوابلها فَسُمِّيت بذلك . «ولا تَقَاعَسِى» أى لا تتأَخَّرى وتَتَوَقَّفِى عن إلقائك فى النار ، يقال تقاعس عن الأَمر إذا تَأَخَّر ولم يتقدَّم فيه . «تُرْضَخ[1] رءُوسهم» تُشْدَخ كذا فى الغريب . وقال فى المصباح : تُكْسَر[2] . «لا يَقِرّ» لا يَسْكُن . «يَسْرَحُون» يقال سَرَحتْ الإبل سَرْحاً وسروحاً[3] أيضاً رَعَتْ . «الضَّريع» : الشوك اليابس أو نباتٌ أحمر مُنْتِن الريح يرمى به البحر . «الزَّقُّوم» ثَمَر شَجَر كريه الطَّعْم قيل لا يُعْرَف فى شجر الدنيا وإنما هى فى النار يَكْرَه أَهْلُ النَّارِ أَكْلَها[4] ، كما قال تعالى (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ[5]) «رَضْف جهنم» بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء ، هى الحجارة المُحْمَاة واحدها رَضْفَة[6] «النِّىء»[7] بالهمز وزان حِمْل كل شىء شأْنه أن يُعَالجَ بِشَىٍّ أو طبخ لم ينضج يقال لَحْمٌ نِيئٌ والإدغام والإبدال عامِّىٌّ . «الجُحْر» بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وهو النَّقْب المستدير . «الثَّوْر» بالمثلثة معروف . «الغُرَف» بالضَّمّ جمع غُرْفَة وهى العُلِّيَّة[8] «الإستَبْرَق» ثخين الديباج «السُّنْدُس[9]» رقيق الديباج .

---

(١) فى القاموس المحيط رضخ الحصى كمنع وضرب كسرها وفى النهاية (ج ٢ ص ٨٤) الرضخ الشدخ والرضخ أيضا الدق والكسر ولكن ابن الأثير فى مادة شدخ قال بأن الشدخ هو كسر الشىء الأجوف (جزء ٢ ص ٢٠٨) .

(٢) لفظ الفيومى فى المصباح .رضحت رأسه (بالحاء المهملة) إذا كسرته والخاء المعجمة لغة فيها .

(٣) سرحت الإبل تسرح سرحا وسروحا سامت أى رعت حيث شاءت .

(٤) فى الزرقانى على المواهب يكره أهل النار على أكلها . وأضاف : وفى القاموس الزقوم كتنور الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية .. وطعام أهل النار ، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : قال أبو جهل : زعم صاحبكم هذا أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد – الزرقانى على المواهب ج ٦ ص ٤١ .

(٥) سورة الصافات آية ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) فى القاموس : الرضف الحجارة المحماة ، ورضفه يرضفه كواه بها . وفى حديث أبى ذر فى النهاية ج ٢ ص ٨٥ : بشر الكنازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم .

(٧) فى الأفعال لابن القوطية ناء اللحم نيأ لم ينضج (ص١١٥). وفى الصحاح : فهو لحم نئ بالكسر بين النيوء والنيوأة ومثله فى القاموس . وفى التاج . ناء اللحم ينأء أى كيخاف والذى فى النهاية والصحاح والمصباح ولسان العرب ينىء لم ينضج أو لم تمسسه نار ، وقيل إنها يائية أى بترك الهمز ويقلب ياء فيقال نىّ مشددا قال أبو ذؤيب الهذلى :

عقار كماء النىء ليست بخمطة ولا خلة يكوى الشروب شهابها

«أنظر القسم الأول من ديوان الهذليين القاهرة سنة ١٩٤٥ م ص ٧٢» وفى النهاية (ج ٤ ص ١٨٨) . نهى عن أكل اللحم النيء ، هو الذى لم يطبخ أو طبخ أدنى طبخ ولم ينضج يقال ناء ينىء نيأ بوزن ناع ينيع نيعا فهو نئ بالكسر كنيع . هذا هو الأصل وقد يترك الهمز ويقلب ياء فيقال نى مشددا .

(٨) فى القاموس العلية بالضم والكسر الغرفة والجمع العلالى . وفى الصحاح : الغرفة العلية والجمع غرفات وغرف . ووردت فى شعر لبيد :

سوى فأغلق دون غرفة عرشه سبعا طباقا فوق فرع المنقل

يعنى به السماء السابعة .

(٩) الإستبرق ما غلظ من الحرير والأبريسم والسندس مارق من الديباج كما فى النهاية . وفى المعرب للجواليقى أن الأولى =

« العبقرى » قيل هو الديباج وقيل البُسُط المُوَشِّية وقيل الطنافس الثِّخان[1] والأصل فى العبقرى فيما قيل إن عَبْقَر قرية يسكنها الجنّ فيما يَزْعُمُون فكلما يَرَوْن شيئاً فائقاً غريباً مما يَصْعُب عملُه ويَدِقّ أو شيئاً عظيماً فى نفسه نسبوه إليها . « اللؤلؤ[2] » بهمزتين وَبِحَذْفِهما وبإثبات الأُولى دون الثانية « المَرْجان[3] » : قال الأزهرى وغيره هو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشى هو عروق حُمْر تطلع من البحر كأصابع الكَفّ ، قال : وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً . « الأكواب » : جمع كوب : إناء لا عُرْوَة له ولا خُرْطُوم . « الصِّحاف » . جمع صَحْفَة إناء كالقصعة . « السَّعير » النار ، وسَعَرْتُها[4] وأسعرتها أوقدتها .

« الدَّجّال » : أصل الدَّجْل الخَلْط يقال رَجُلٌ دَجِل[5] إذا لَبَّس ومَوَّه والدَّجّال فَعّال من أبنية المبالغة أى يُكْثِر من الكذب والتلبيس وهو الذى يظهر فى آخر الزمان . « فَيْلَمانِيًّا » : قال فى النهاية[6] الفَيْلَم العظيم الجُثّة والفَيْلَم الأمر العظيم والياء زائدة والفَيْلَمانى منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة . « أقمر[7] » أى شديد البياض . « هِجان[8] » : شَديد البياض . « دُرِّىّ » : مُضِىء . « عبد العُزَّى بن قَطَن » : بفتح القاف

= فارسية والثانية معربة دون ذكر أصلها (ص ١٥ و ص١٧٧) وفى التاج فى مادة سندس أن الإمام الشافعى وجماعة منعوا وقوع المعرب فى القرآن .

(١) هذا هو شرح الفراء لكلمة عبقرى فى الآية القرآنية : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » (سورة الرحمن آية ٧٦) كما أورده القرطبى فى تفسيره (جـ ١٧ ص ١٩٢) . وقال أبو عبيد : هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشى منسوب إليها . وقال الخليل : كل جليل فاضل عند العرب عبقرى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر رضى الله عنه : فلم أر عبقريا يفرى فريه .

(٢) اللؤلؤ الدر وهو يتكون من الأصداف من رواسب أو جوامد صلبة لماعة مستديرة فى بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرخويات عن المعجم الوسيط . وقد اكتفى المؤلف بضبطه دون تعريفه باعتباره معروفاً . ومع ذلك فقد نسى وجها رابعا فى ضبط الكلمة . فقد جاء فى شرح النووى على مسلم (جـ ٢ ص ٢٢٣) . وفى اللؤلؤ أربعة أوجه : بهمزتين وبحذفهما وبإثبات الأولى دون الثانية وعكسه .

(٣) فى المعجم الوسيط : المرجان من الحيوانات البحرية الثوابت لها هيكل وكلس أحمر .

(٤) فى التاج سعر النار والحرب يسعرها سعرا كمنع أوقدها وهيجها كسعرها تسعيرا وأسعرها إسعاراً . وفى المصباح فاستعرت .

(٥) لم أعثر فى المعاجم على كلمة دجل بفتح الدال المهملة وكسر الجيم .

(٦) يقع هذا فى النسخة المطبوعة من النهاية سنة ١٣١١ هـ فى جـ ٣ ص ٢١٥ . وفى القاموس المحيط . الفيلم كحيدر الرجل العظيم والجبان والعظيم الجمة .

(٧) فى رواية أخرى فى حديث الدجال : أزهر

(٨) جاء فى النهاية جـ ٤ ص ٢٤١ : فى صفة الدجال : أزهر هجان : الهجان الأبيض ويقع على الواحد والاثنين والجميع والمؤنث بلفظ واحد .

٣٨٥ ظ والمهملة وهو ابن عمرو بن جُنْدَب/بن سعيد بن عابد[1] بن مالك بن المُصْطَلَق ، هلك فى الجاهلية ، ووقع [عند ابن[2]] مَرْدَويه : قَطَن بن عبد العُزَّى وهو وَهْم من بعض رواته . «العَمُود» بفتح العين المهملة وضمّ الميم معروف وجمعه عُمُد بضمتين وأَعْمِدَة بكسر الميم وفتح الدال . «حاسرة» اسم فاعل من حَسَر[3] . «يا أَوَّل حاشر[4]» تقدم الكلام عليهما فى الأسماء النبوية . «الكثيب» : التَّلّ من الرمل . «طُوَال» : يقال رجلٌ طويل فإن زاد قيل طُوَال بالضَّمّ مُخَفَّفاً ، فإن زاد قيل طُوَّال مُشَدَّداً . «شَعْرٌ سَبَط[5]» بفتحتَيْن وككَتِف ويُسَكَّن ، ثم قد يُكْسَر ، مُسْتَرْسِل ، وجِسْمٌ سَبِط ككَتِف ويُسَكَّن حَسَنُ القَدِّ والاستواء . «آدَم[6]» : بالمَدّ أَسمر «أَزْد» بفتح الهمزة وسكون الزاى وبالدال المهملة «شَنُوءة[7]» بفتح الشين المعجمة وضَمّ النون وسكون الواو وبعدها همزة ثم تاء تأنيث حَىٌّ من اليَمَن يُنْسَبون إلى شَنُوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأَزد[8] ،

---

(١) من الجائز أن تكون عائد أو عائذ . وفى شرح النووى لصحيح مسلم باب ذكر الدجال (ج ١٨ ص ٥٨ : ٧٧) لم يذكر النووى نسب عبد العزى بن قطن .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين .

(٣) يلى ذلك فى الأصول : « إذا دلف » ولم أعثر على هذا المعنى لكلمة حسر فى المعجمات

(٤) جاء فى النهاية (ج ١ ص ٢٢٩) . فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن لى أسماء ، وعد فيها : وأنا الحاشر أى الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره . وقوله إن لى أسماء أراد أن هذه الأسماء التى عدها مذكورة فى كتب الله تعالى المنزلة على الأمم التى كذبت نبوته حجة عليهم .

(٥) فى شرح النووى على مسلم (ج ٢ ص ٢٢٧) السبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز إسكان الباء مع كسر السين وفتحها على التخفيف كما فى كتف . وبابه قال أهل اللغة الشعر السبط هو المسترسل ليس فيه تكسر . ولم يذكر ابن الأثير فى النهاية (ج ٢ ص ١٤٢) سوى سبط بتسكين الباء وذلك فى صفة شعره صلى الله عليه وسلم : ليس بالسبط ولا الجعد القطط .

(٦) فى الزرقانى على المواهب (ج ٦ ص ١٢٦) : جمل آدم بفتح الهمزة والمد وفتح الدال وأصله أأدم بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً أى شديد السواد .ولكن جاء فى النهاية (ج ١ ص ٢١) الأدم جمع آدم كأحمر وحمر والأدمة فى الإبل البياض مع سواد المقلتين بعير آدم بين الأدمة . والأدمة فى الناس السمرة الشديدة . وقيل هو من أدمة الأرض وهو لونها وبها سمى آدم عليه السلام . وجاء فى الأضداد للسجستانى (بيروت سنة ١٩١٢ م ص ١٢١) الآدم من الإبل الأبيض ومن كل شىء بعد ذلك غير الأبيض على ما يقول الناس ، يقولون رجل آدم وظبية أدماء بيضاء وبعير آدم للأبيض وناقة أدماء

(٧) فى التاج : أزد شنوءة بالهمز على فعولة ممدودة وقد تشدد الواو غير مهموزة قبيلة من اليمن سميت لشنآن أى تباغض وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم وقال الخفاجى لعلو نسبهم وحسن أفعالهم من قولهم رجل شنوءة أى طاهر النسب ذو مروءة .

(٨) لم نجد بين ولد كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، من اسمه عبد الله . فقد جاء فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (القاهرة سنة ١٩٤٨م ص ٣٥٥) ولد عبد الله بن مالك كعب فولد كعب الحارث فولد الحارث كعبو وماسخه بطن .

ولقب شَنُوءة لشنآن كان بينه وبين أهله والنسبة إليه شنوئيّ بالهمز بعد الواو [وشَنَأيّ] بالهمز بغير واو[1] . وقال ابن قتيبة : [أزد شنوءة] : من قولك : رَجُلٌ فيه شنوءة أى تَقَزُّز . والتقزز بقاف وزايين التباعد من الأدناس . قال الداودى : « رجال الأزد معروفون بالطول » . وفى رواية : كانوا من رجال الزُّطّ[2] وهم معروفون بالطول والأُدْمة . « يُعَاتب رَبَّه » وفى رواية سَمِعْتُ صوتاً وَتَذْمِيراً فقلتُ من هذا ؟ قال : هذا موسى . قلت : أَعَلَى رَبِّه ؟ قال : نعم قد عَرَف حِدَّتَه . قال الخليل رحمه الله تعالى : حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة المَوْجِدة ، والتذمر[3] بذال معجمة مثله . « الحِدَّة » بكسر الحاء المهملة . « السُّرُح » بسين فراء فحاء مهملات وزن كُتُب جمع سَرْحة[4] وهى الشجرة العظيمة . « جُلُّها » بضم الجيم معظمها . « مِثْل الزرابِّ[5] » بزاى فراء كما رأيتُه بخط جماعة منهم الذهبى فى تاريخ الإسلام والهيثمى فى مجمع الزوائد والشيخ فى تفسيره جَمْع زِرْبِيَّة بتثليث الزاى وهى الطِنْفسة بكسر الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء وهى البساط الذى له خَمْل رقيق ، ورأيت بخط بعض المحدثين الروابى براء فواو وأظنه تصحيفاً وإن كان قريب المعنى . « الحُمَة » بحاء مضمومة الفَحْمَة . « السُّخْنَة » بضم السين المهملة وسكون الخاء المعجمة أى الحَارَّة . « بالحَلْقَة » بإسكان اللام ويجوز فَتْحُها وبالفتح جمعها حَلَق وحَلَقات وبالإسكان حَلَق وحِلَق بفتح الحاء وكسرها . « يربط به الأنبياء » : قال النووى : كذا فى الأصول « به »[6] بضمير المُذَكَّر أعاده على معنى الحَلْقة وهو الشىء . قال صاحب التحرير : المراد

---

(١) جاء فى التاج : والنسبة إليها شنائى بالهمزة على الأصل أجروا فعولة مجرى فعيلة لمشابهتها إياها من عدة أوجه . فلما استمرت حال فعولة وفعيلة هذا الاستمرار جرت واو شنوءة مجرى ياء حنيفة فكما قالوا حنفى قياسا قالوا شنئى . ومن قال شنوه بالواو دون الهمز جعل النسبة لها شنوى تبعا للأصل .

(٢) فى النهاية جـ ٢ ص ١٣٥ : الزط جنس من السودان والهنود .

(٣) فى التاج : تذمر لام نفسه على فائت كى يجد فى الأمر . وفى الصحاح : وأقبل فلان يتذمر كأنه يلوم نفسه على فائت وفى الحديث : فخرج يتذمر أى يعاتب نفسه ويلومها على فوات الذمار . وفى الأساس : وأقبل يتذمر يلوم نفسه على التفريط ينشطها لئلا تفرط ثانية .

(٤) فى التاج : السرح شجر كبار لا ترعى وإنما يستظل فيه وينبت بنجد ولا ينبت فى رمل ولا جبل أو هو كل شجر لا شوك فيه والواحدة سرحة .

(٥) نقل الزرقانى ما كتبه المؤلف فى شرح الزرابى حيث قال : وأورد الشامى الحديث فى القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال : الزرابى بزاى فراء . . . انظر الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٩٢ .

(٦) زيادة من شرح النووى على مسلم .

حَلْقة باب مسجد بيت المقدس . « الخليل والأُمّة والقانت » سَبَق بيانها فى أسمائه الشريفة «المحاريب » ، قال فى أنوار التنزيل هى قصور حصينة ومساكن شريفة سُمِّيت بذلك لأنه يُذَبُّ عنها ويُحَارَب عليها . «التماثيل» الصور ولم تكن مُحَرَّمة فى زمنه . «الجِفَان» جمع جَفْنَة بفتح الجيم وسكون الفاء وهى القصعة الكبيرة ،/ قال ابن الجوزى فى زاد المسير : ٣٨٦ و
قال المُفَسِّرون كانوا يصنعون القِصاع الكبيرة كحياض الإبل يجتمع على الواحدة [منها] ألف رجل . «الجوابى» جمع جابية وهى الحوض الكبير يُجْبَى فيه الماء أى يجتمع ، «الأَكْمَه» الذى يولد أعمى . «كافَّةً للناس» : تَقَدَّم فى الأسماء الشريفة . « قدور راسيات » : أى ثوابت قال فى زاد المسير : وكانت القدور كالجبال لا تتحرك من أماكنها يأكل من القِدْر ألف رجل . «الفُرْقان» من أسماء القرآن وسُمِّىَ به لأنه فُرِّق به بين الحق والباطل . «التِّبْيان» : بكسر أوله البيان الشّافى «وَسَطاً» : خياراً عَدْلاً : «الأوَّلون» فى دخول الجَنَّة «والآخرون» فى الوجود . «الوِزْر» : يأتى الكلام عليه فى أبواب عصمته . «ورنح لى ذِكْرى» : يأْتى ذِكْرُه فى الخصائص . «جعلنى فاتحاً» : أى لأبواب الإيمان والهداية إلى صراط مستقيم ولبيان أسباب التوفيق وما استغلق من العلم أو هو من الفتح بمعنى الحُكْم فجعله حاكماً فى خَلْقه فانفتح ما انغلق بين الخصمين بإحيائه الحق وإيضاحه وإماتته الباطل وإدحاضه . «خاتَمًا للنبيين» : أى آخرهم بَعْثًا . «وَجْبَتُها[1]» سقوطها . «النَّجْد» ما ارتفع من الأرض «يَنْسِلون» يُسْرِعون . «تُجْزَم الأرض[2]» [من ريحهم] بالجيم تُنْتِن من جِيَفِهِم . «الحامل المُتِمّ» أى التى دنا وِلادُها . «الفِطْرة» : بالكسر الهُدَى والاستقامة[3] «المِعْراج» لُغَةً السُّلَّم وجمعه معارِج ومعاريج . قال الأَخْفَش إن شئتَ جعلت

---

(١) من وجب الشىء سقط إلى الأرض وفى التنزيل : « فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » (سورة الحج ٣٦) والوجبة صوت الساقط . عن المعجم الوسيط .

(٢) تجزم من معانيها جزم السقاء ملأه كما فى القاموس . وكذلك يقال وكرت السقاء وزجته وجزمته ملأته . قال صخر الغى : فلما جزمت به قربتى تيممت أطرقة أو خليفا . انظر كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ (بيروت سنة ١٨٩٥ م ص ٥٢٧) .

(٣) الفطرة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه وهى الخلقة وتفسر أيضاً : بالطبيعة السليمة التى لم تشب بعيب . قال تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (سورة الروم آية ٣٠) وفى النهاية (ج ٣ ص ٢٠٦) ، أنها تعنى أيضاً السنة أى سنن الأنبياء عليهم السلام التى أمرنا أن نقتدى بهم .

الواحد مَعْرَج ومِعْرَج[1] بفتح الميم وكسرها ، فعلى هذا يكون الجمع لِمَعْرَج بفتح الميم مَعَاريج بياء ومِعْرَج بكسرها مَعَارِج بغير ياء ، والمعارج المصاعد ، ويُقال عَرَج فى السُّلم بفتح الراء يَعْرُج بَضمِّها [عروجاً] إذا ارتقى [وعَرَج أيضاً بفتح الراء[2]] إذا غمز من شيء أصابه [فى رِجْله فخَمعَ[3] ومَشَى مِشْيَةَ الأَعرج إذا لم يكن خِلْقةً أَصلية ، فإذا كان خِلْقةً[4]] يقال عَرِج بكسر الراء يَعْرَج بفتحها[5] . « طَمَح » بَصَرُه إلى الشيء ارتفع وكل طامِح مرتفِع . « المِرْقَاة » موضع الرُّقِيّ ويجوز فيها فتح الميم على أنه موضع الارتفاع ويجوز الكسر تشبيهاً باسم الآلة كالمِطْهَرَة وأنكر أبو عبيد الكسر . « مُنَضَّد باللؤلؤ » : أى جُعِل بعضُه على بعض . « مَرْحَبًا » بالتنوين : كلمة تقال عند المَسَرَّة بالقادم ومعناها صادفتَ رُحْباً أى سَعَة ويُكْنَى بذلك عن الانشراح فوضع المَرْحَب موضع التَّرحيب . « وأَهْلاً » أى أَتَيْتَ أهلاً فاستأنِس ولا تَستَوْحِشْ . « حَيَّاه الله » أى أبقاه ، من الحياة وقيل سَلَّم عليه من التحية والسلام وقول الملائكة : « من أخٍ » ، المراد بهذه الأُخوة أُخُوَّة الإِيمان المشار إليها بقوله تعالى : (إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخْوةٌ[6]) . « الخليفة » : تقدم فى أسمائه الشريفة .

« نعم المجيء جاء » : المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتأخير ، والأصل : فَلَنِعْمَ المجيء مجيئه . « خَلَصا» وَصَلا . « عِلِّيين » : اسم لأعلى الجَنَّة . « سِجِّين » : موضع فيه كتاب الفُجَّار[7] . « الأَسْوِدَة » جمع سَوَاد ويجمع على أَسَاوِد . قال النووى : قال أهل

---

(١) زاد الجوهرى فى الصحاح : مثل مرقاة ومرقاة – بفتح الميم وكسرها – . وفى التاج المعرج بالفتح نقله الجوهرى عن الأخفش ونظره بمرقاة ومرقاة أو السلم شبه درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت يقال ليس شيء أحسن منه إذا رأته الروح لم تتمالك أن تخرج . والمعرج المصعد الطريق الذى تصعد فيه الملائكة جمعه المعارج . وفى التنزيل : «من الله ذى المعارج » (سورة المعارج آية ٣) قيل معارج الملائكة مصاعدها التى تصعد فيها .

(٢) زيادة من تهذيب النووى (جـ ٢ تهذيب اللغات ص ١١) .

(٣) فى تهذيب النووى : فجمع وهو تصحيف صوابه فخمع بالخاء المعجمة وخمع فى مشيته أى طلع وبه خماع أى عرج ، عن الصحاح .

(٤) زيادة من الصحاح للجوهرى وتهذيب النووى للتفرقة بين العرج العارض والعرج الخلقة لأن عبارة المؤلف لا توضح الفرق بينهما فى العارض يقال عرج يعرج من باب نصر وفى عرج الخلقة يقال عرج يعرج من باب فرح .

(٥) زاد الجوهرى فى الصحاح بعد ذلك بقوله : فهو أعرج – إذا كان ذلك خلقة – بين العرج من قوم عرج وعرجان وأعرجه الله وما أشد عرجه ولا تقل ما أعرجه لأن ما كان لوناً أو خلقة فى الجسد لا يقال منه ما أفعله إلا مع أشد .

(٦) سورة الحجرات آية ١٠ .

(٧) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٢٩) : ومنه قوله تعالى : « إن كتاب الفجار لفى سجين » (سورة المطففين) فقيل من السجن أى الحبس .

اللغة : السواد الشخص وقيل السواد الجماعة[1] . وقال فى التقريب : السواد نقيض البياض وكل شخص من متاع أو حيوان والجمع أَسْوِدَة / ثم أساود . « نَسَم نبيه » بِنُون فسين مهملة مفتوحتين جمع نَسَمة[2] بالتحريك وهى الروح . « قِبَلَ يمينه » بكسر القاف وفتح المُوَحَّدة أى جهة يمينه . « هنيهة » تصغير هَنَة يعنى شيئًا[3] يسيراً والهاء بدل من الياء والأصل هُنَيَّة[4] . « الأَخْوِنَة[5] » جمع خِوان بكسر المعجمة وضَمِّها الذى يؤكل عليه . وقال الخليل : هو المائدة[6] . « أَرْوَحَ » تَغَيَّرت رائحته . « المائدة[7] » الخوان إذا كان عليه طعام . « جِيَف » بكسر الجيم وفتح الياء جمع جِيفة وهى المَيْتَة من الدوابّ والماشية سُمِّيت بذلك لِتَغَيُّر ما فى جَوْفها . « السابلة » : أبناء السبيل المختلفة . « يَضِجُّون » بالجيم يصيحون من الفَزَع . « المَسّ » الجنون « المشافِر » بالمعجمة جمع مِشْفَر بكسر الميم وسكون

٣٨٦ ظ

---

(١) فى الزرقانى على المواهب (جـ ٦ ص ٥٩) : أسودة أى أشخاص جمع سواد كأزمنة جمع زمان . وفى النهاية (جـ ٢ ص ١٩٠ و ١٩١) : كل شخص من إنسان أو متاع أو غيره سواد . وفى الحديث أنه قال لعمر : انظر إلى هؤلاء الأساود حولك ، أى الجماعة المتفرقة . يقال مرت بنا أساود من الناس وأسودات ، كأنها جمع أسودة ، وأسودة جمع قلة لسواد وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود . وفى الحديث : عليكم بالسواد الأعظم ، أى جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم .

(٢) جاء فى النهاية (جـ ٤ ص ١٤١) : من أعتق نسمة أو فك رقبة : النسمة النفس والروح أى من أعتق ذا روح وكل دابة فيها روح فهى نسمة وإنما يريد الناس ، ومنه حديث على بن أبى طالب : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة أى خلق ذات الروح .

(٣) الأصوب أن يقول المؤلف : يعنى وقتاً يسيراً بدلا من شىء .

(٤) فى النهاية (جـ ٤ ص ٢٥٦) : أنه أقام هنية أى قليلا من الزمان وهو تصغير هنة ويقال هنيهة .

(٥) فى المصباح : الخوان ما يؤكل عليه معرب وفيه ثلاث لغات كسر الخاء وهى الأكثر وضمها حكاه ابن السكيت وإخوان بهمزة مكسورة حكاه ابن فارس وجمع الأولى فى الكثرة خون والأصل بضمتين مثل كتاب وكتب لكن سكن تخفيفاً . وفى القلة أخونة وجمع الثالثة أخاوين ويجوز فى المضموم أى خوان فى القلة أخونة كغراب وأغربة .

(٦) يلى ذلك كلمتان رسمهما هكذا : «سرح مقطع » لم نهتد إلى وجه الصواب فيهما فى الأصول . وفى الزرقانى على المواهب جـ ٦ ص ٤٣ وقال الخليل : « هو المائدة » ولم يزد الزرقانى على ذلك شيئاً .

(٧) جاء فى تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٣٦٧ فى معنى كلمة مائدة فى الآية ١١٤ من سورة المائدة : قال قطرب : لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فإن لم يكن قيل خوان . وفى تاج العروس أن هذا ما قاله الفارسى وأضاف الزبيدى : وقد صرح به فقهاء اللغة وجزم به الثعالبى وابن فارس واقتصر عليه الحريرى فى درة الغواص وزعم أن غيره من أوهام الخواص . هذا وفى درة الغواص (طبع الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ ص ١٠ و ١١) مناقشة طويلة أورد فيها الحريرى أمثلة أخرى مثل الكأس والركية والظعينة والقدح والحديقة والكمى وغيرها لتأييد دعواه فى أن المائدة لا تسمى مائدة إلا إذا كان عليها طعام . ورد عليها الخفاجى فى شرح درة الغواص (ص ٣٨ : ٤٠) رداً مطولا أورد الزبيدى ملخصه فى تاج العروس . ورد الخفاجى هذا أورد معظمه الألوسى المفسر فى كتابه كشف الطرة عن الغرة دمشق سنة ١٣٠١ هـ ص ٣٦٧ : ٣٧٢ .

المعجمة وفتح الفاء وهى من البعير كالْجَحْفَلَة من الفَرَس وهى من ذى الحافر كالشَّفَة للإنسان «ثُدِيِّهن» بضم المُثَلَّثة وكسر المهملة جمع ثَدْى يُذَكَّر ويُؤَنَّث فيقال هو الثدى وهى الثدى ويُجْمَع أيضاً على أَثْدٍ وزن أَكْل وربما جُمِع على ثِدَاء مثل سَهْم وسِهام . « الهَمَّازون » الذين يغتابون الناس من غير مواجهة . « اللَّمَّازون » العَيَّابون[1] . « بابنى الخالة » : قال ابن السِّكِّيت : « يقال أَبناء خالة ولا يقال أَبناء عَمَّة ، ويقال أَبناء عَمّ ولا يقال أَبناء خال » . قال الحافظ : « وسبب ذلك أن ابْنَىْ الخالة أُمّ كل منهما خالة الآخر ، بخلاف ابنى العَمَّة . « عيسى » : اسم أَعجمى غير منصرف ، للعلمية والعجمة ، وقيل مشتقّ من العيس وهو البياض ، والأَعْيَس الجميل الأَبيض وجَمْعُه عِيس فقيل له عيسى لبياض لونه . وقيل من العَوَس وهو السياسة وأَصله عُوسًا فقُلِبَتْ الواو ياءً لكسر ما قبلها ، وقيل له عيسى لأَنه ساسَ نَفْسَه بالطاعة ، وقلبَه بالمحبة ، وأُمَّتَه بالدعوة إلى رَبّ العِزَّة .

« مريم » : اسم أَعجمى فيه ثلاث عِلَل : العلمية والتأْنيث المعنوى والعُجْمَة ، وقيل معناه بالعبرانى : خادمة الله ، وقيل أَمة الله ، وقيل المُحَرَّرَة[2] . « يحيى[3] » : مشتقّ من الحياة وأُطْلِق عليه هذا الاسم لأَنه [وُلِد] فى حال شيخوخة والديه ، وغالباً لا يطول عُمْر من كان كذلك ، فوهبه الله تعالى هذا الاسم طمأْنةً لقلبيهما أن يَحْيَا كثيراً ، وأَنه وَلَدٌ يحيا بالمحبة ، حىّ الجسم بالطاعة حىّ اللسان بالذكر حىّ السِّرّ بالمعرفة معصوماً من الزّلة . « زكريا » : اسم أَعجمى يُقْصَر ويُمَدّ وقُرِئَ بهما فى السبعة ، ويقال له زكريا بتخفيف الياء وتشديدها . وزكريا كان عالماً بالتوراة والإنجيل وكان إمام علماء بيت المقدس ومُقَدَّمَهم

---

(١) نقل الزرقانى هذا الشرح فى شرحه على المواهب (ج ٦ ص ٤٤) وأشار إلى نقله هذا بقوله . كما فى الشامى ، وفى النهاية (ج ٤ ص ٦٦) اللمز العيب والوقوع فى الناس وقيل هو العيب فى الوجه والهمز العيب بالغيب . وقال ابن الأثير فى موضع آخر (ج ٤ ص ٢٥٣) : الهمز الغيبة والوقيعة فى الناس وذكر عيوبهم وقد همز يهمز فهو هماز وهمزة للمبالغة .

(٢) مما أورده القرطبى فى تفسير « محرراً » فى الآية القرآنية ٣٥ من سورة آل عمران أن امرأة عمران نذرت إن ولدت أن تجعل ولدها محرراً أى عتيقاً خالصاً لله تعالى خادماً للكنيسة حبيساً عليها مفرغاً لعبادة الله وكان ذلك جائزاً فى شريعتهم وفى النهاية (ج ١ ص ٢١٤) المحرر الذى جعل من العبيد حراً فأعتق .

(٣) جاء فى العرائس للثعلبى (ص ٢٩٥ و ٢٩٦) : اختلفوا لم سمى يحيى ، قال ابن عباس : لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه ، وقال قتادة وغيره : لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والنبوة ، عن عكرمة وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعمل .

وكان من تلاميذه أربعة آلاف عالم قارىء للتوراة : « النَّفَر[1] » مُحَرَّكًا جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة . « وإذا هو بعيسى جَعْد » : قال النووى : قال العلماء : « المراد بالجَعْد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشَّعْر[2] » . « مربوع » هو الرجل الذى بين الرجُلَيْن فى القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير .

٣٨٧ و « سَبِط الرأس » بفتح الباء وكسرها ويجوز / إسكان الباء مع فتح السين ومع كسرها على التخفيف أى مُسْتَرْسِل الشَّعْر وليس فيه تكسير . « الديماس » بكسر الدال المهملة وتُفْتَح وبإسكان المثناة التحتية ، فَسَّره الراوى وهو عبد الرَّزَّاق بالحَمَّام ، والمعروف عند أهل اللغة أن الديماس هنا هو السَّرَب ، والمراد من ذلك وَصْفُه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان فى موضع كِنّ فخرج منه وهو عَرْقَان . قال السهيلى : وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرِّىّ والخِصْب فى أيامه إذا أُهْبِط إلى الأرض . « عروة بن مسعود » أحد السادة الصحابة رضى الله عنهم . « يوسف » : اسم أعجمى وتُثَلَّث سينُه وهو غير منصرف للعلمية والعُجْمَة . « إذ هو قد أُعْطى » بدل من الأول بدل اشتمال « الشَّطْر » : قال بعض شُرَّاح المصابيح : المراد به هنا النصف ، وقيل : البعض لأن الشَّطْر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقاً . قال الطيبي : وقد يُراد به الجهة أيضاً نحو قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ[3]) أى جهته « من الحُسْن » أى مَسْحَةٌ منه كما يقال على وجهه مَسْحَةُ مُلْكٍ ومَسْحَةُ جمال أى أَثَرٌ ظاهر ولا يقال ذلك إلا فى المدح . « هارون » : اسم أعجمى للعَلَمِيَّة والعجمة وقيل مُعَرَّب « أَرُون » والأَرَن النشاط سُمِّى به لنشاطه فى طاعة الله تعالى ، ثم قيل هارون كما قالوا فى إيَّاك هَيَّاك . « الرَّهْط » بسكون الهاء وفتحها ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين . « القوم » : جماعة الرجل عند الأكثرين . « الأُفُق » بضمتين وجمعها آفاق بالمَدّ أى

---

(١) فى التاج : النفر محركة الناس كلهم وقيل النفر والرهط ما دون العشرة من الرجال ، ومنهم من خصص فقال : الرجال دون النساء . وقيل النفر والرهط والقوم : هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم . وفى النهاية (ج ٤ ص ١٦٣) : فى حديث أبى ذر : لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، أى من قومنا جمع نفر وهم رهط الإنسان وعشيرته وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاث إلى العشرة ولا واحد له من لفظه .

(٢) هذا فى ج ٢ ص ٢٢٧ من شرح النووى على مسلم .

(٣) من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

النواحي . « موسى » اسم مُعَرَّب أصله « مو » وهو بالعبرانية الماء ، « والسَّا » وهو الشجر ، سُمِّي به لأَنه وُجِد فِي المـاء والشجر الذى كان حول قصر فرعون . « آدم أسمر طُوَال » : تَقَدَّم . « جَاوَزَهُ » : عَدَاه وفارقه «يَزْعُم» : يقول . « إسرائيل » يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سِرّ الله لأَنه أَسرى به لمـا هاجر ، وفيه لغات أَشهرها بياءَيْن بعد الهمزة ثم لام ، وقُرِئَ إسرايِيل بلا هَمْز . « الشَّمَط » : بياض شعر الرأس يخالطه سوادُه والرجل أَشْمَط وقَوْمٌ شُمْطَان مثل أسود وسُودَان وقد شَمِط بالكسر شَمَطًا والمرأَة شَمْطاء . « مُسْنِدٌ ظَهْرَه » ، مرفوع على أنه خَبَر مبتدأ محذوف أى هو مُسْنِد ظَهْرَه ، وفى رواية : مُسْنِداً ظهره بالنَّصْب على الحال . فائدة : نقل فى النور أَن السلطان الملك برقوق[1] سأَل عن البيت المعمور من أى شيء هو ؟ قال بعض الحاضرين بأَنه من عقيق ، ونقله عن بعض التفاسير[2] .

« الغِراس » بكسر الغين المعجمة وبالسين المهملة يقال غَرَسْتُ الشجرة غَرْسًا من باب ضَرَب ، والشجر مغروس ويطلق عليه أَيضاً غَرْس وغِراس بالكسر فاعل بمعنى مفعول مثل كِتاب وبِسَاط . « القراطيس » جمع قِرْطاس ما يُكْتَب فيه ، وكسر القاف فيه أَشهر من ضَمِّها ، والقَرْطَس وِزان جعفر فيه لغة . « وَلَمْ يَلْبِسوا إيمانهم بظُلْم » أَى لم يَخْلِطوه بشِرْك / ٣٨٧ ظ « ثيابٌ رُمْد[3] » أَى لون الرماد . « آخِرُ ما عليهم » بضم الراء وفتحها ، فالرفع على تقدير : ذلك آخِرُ ما عليهم ، والنَّصْب على الظرف ، قال القاضى : والرفع أَجود . «الحِلْس» ــ بحاء مهملة مكسورة وبفتح فلام ساكنة فسين مهملة. كساء يلى ظَهْر البعير تحت القَتَب ، والمراد أَنه لِتَصَاغُرِه واختفائه عن هَيْبَة الله تعالى أَشْبَهَ الحِلْس المختفى تحت القَتَب ، ولهذا فى بعض الروايات قال : « لا طئٌ » وهو بهمزة فى آخره . ويُقال لَطِئَ بالأَرض لطوءاً لَصِقَ

---

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق أول ملوك دولة الجراكسة بمصر تولى السلطنة على فترتين الأولى من سنة ٧٨٤ هـ إلى سنة ٧٩١ هـ والثانية من سنة ٧٩٣ إلى سنة ٨٠١هـ . انظر الجزء الأول من بدائع الزهور لابن إياس طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ من ص ٢٥٨ : ٢٧٤ ، ص ٢٩٠ : ٣١٦ .

(٢) نقل الزرقانى هذه العبارة الخاصة بالسلطان برقوق فى شرحه على المواهب جـ ٦ ص ٨٧ .

(٣) فى النهاية جـ ٢ ص ١٠٢ : فى حديث المعراج : وعليهم ثياب رمد أى غبر فيهـا كدورة كلون الرماد وأحدها أرمـد .

بها ، وهو شدة معرفته بها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِه باللهِ عَلَيّ » .
قال بعضهم : وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعاً إذ لا خِلاف أنه أفضلُ خَلْقِ الله ، وإنما الخلاف فى غيره من الملائكة . قلتُ : أو قال ذلك قبل أن يصل إلى ما وصل إليه .
(أَسِنَ المـاءُ » بفتح السين وكسرها يَأْسِنُ مُثَلَّثَة [أَسْناً وأَسَناً] وأُسُوناً تَغَيَّر فلم يُشْرَب فهو آسِن . « النَّبْق » : بفتح النون وكسر الباء وتُسَكَّن ثمرة السِّدْر . « قِلَال هَجَر » : قال الخَطَّابى بكسر القاف جَمْع قُلَّة بالضَّمّ وهى الجِرَار الواحدة تسع قِرْبَتَيْن أو أكثر وهَجَر[1] بفتح الهاء والجيم من قُرَى المدينة ولا تنصرف للتأنيث والعلمية ، ويجوز الصَّرْف ، يريد أن ثَمَر السِّدْرَة فى الكِبَر مثل القِلال ، وكانت معروفة عند المُخَاطَبِين ، ولذلك وقع التمثيل بها . **تنبيــه** : سُئِل : هل ثَمَر سِدْرَة المنتهى كالثمار المأكولة فى أنه يزول ويَعْقُبُه غيرُه ؟ وهل الزائل يؤكل أو يسقط ؟ « وإذا وَرَقُها مثل آذان الفِيَلَة » : بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية بعدها لام ، وحكى الزركشى[2] والبِرْماوى[3] فتح الفاء وقال الدمامينى[4] : إنه سهو ، والفيلة جمع فيل ، وفى رواية : مثل آذان الفيول وهى جمع فيل أيضاً ، ولا منافاة بين ذلك وبين قوله : « تكاد الورقة تُغَطِّى هذه الأمة » ، لأن المراد التشبيه فى الشكل خاصَّةً لا فى الكِبَر ولا فى الأَحْسَن . « أَنْهَار » : جمع نَهْر بسكون الهاء وفتحها . « غَشِيَها ألوان » : علاها ولأَبَسَها ، « فلما غشيها من الله ما غشيها » هو كقوله تعالى : (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى[5]) فى إرادة الإِبْهام للتفخيم والتهويل ، وإن كان معلوماً كما فى قوله تعالى : (فَغَشِيَهُم

---

(١) فى معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٤٦ : قال أبو الحسن الماوردى : الذى جاء فى الحديث ذكر القلال الهجرية قيل إنها كانت تجلب من هجر إلى المدينة ثم انقطع ذلك فعدمت ، وقيل هجر قرية قرب المدينة . وقال بل عملت بالمدينة على مثل قلال هجر . وفى النهاية جـ ٤ ص ٢٤٠ : فأما هجر التى تنسب إليها القلال الهجرية فهى قرية من قرى المدينة .

(٢) هو بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ولد سنة ٧٤٥هـ وتوفى سنة ٧٩٤ هـ . كان من أئمة الحديث والأصول والفقه ومما نشر من مؤلفاته البرهان فى علوم القرآن الذى حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وإعلام الساجد بأحكام المساجد حققه الأستاذ أبو الوفا المراغى ، انظر ترجمة الزركشى فى الدرر الكامنة لابن حجر (جـ ٣ ص ٣٩٧ : ٣٩٨) وحسن المحاضرة للسيوطى (جـ ١ ص ١٨٥ : ١٨٦) وشذرات الذهب (جـ ٦ ص ٣٣٥) .

(٣) هو محمد بن عبد الدايم البرماوى العسقلانى الأصل ثم القاهرى من علماء الحديث والفقه توفى سنة ٨٣١هـ انظر ترجمته فى الضوء اللامع (جـ ٧ ص ٢٨٠ : ٢٨٢ رقم ٧٢٥) .

(٤) هو محمد بن أبى بكر بن عمر بدر الدين المعروف بابن الدمامينى من علماء اللغة والحديث والفقه اشتغل بالتدريس بالأزهر وبزبيد فى اليمن والهند حيث توفى فى سنة ٨٣٧هـ . انظر ترجمته فى الضوء اللامع جـ ٧ ص ١٨٤ : ١٨٧ رقم ٤٤٠ .

(٥) سورة النجم آية ١٦ .

مِنَ اليَمّ مَا غَشِيَهُمْ[1]) فى حق فِرْعَوْن . وقوله : فَرَاش بيان له . « الزَّبَرْجَد[2] » بزاى مفتوحة وبالدَّال المهملة جوهر معروف ويقال هو الزمرذ[3] « يَلُوذ بها » : يطوف بها . « الفَرَاش » بالفتح جمع فَرَاشة : الطير الذى يُلْقِى نفسه فى ضوء السِّراج « خُلِّ على سبيلك » : بالبناء للمفعول ، وهو صفة لقوله : أى أحد من أمتك تُرِك على طريقك . « الفُرَات » : بضَمّ الفاء وبالتاء المبسوطة وَصْلاً ووَقْفًا . ومن قال بالهاء فقد أخطأ . « العُنْصُر » : بضَمّ العين والصاد المهملتين بينهما نون ساكنة ، وهو الأصل . « السلسبيل » اسم عَيْنٍ فى الجنة . « الكوثر » : يأتى الكلام عليه فى الخصائص وفى أبواب حَشْره صلى الله عليه وسلم . / « يَطَّرِد » : يَجْرى . ٣٨٨ و « عَجاجاً » : كثير الماء كأنه يَعِجّ من كثرته وصَوْتِ تَقَعْقُعِه . « الخِيام » جمع خَيْم كفَرْخ وفِراخ وسَهْم وسِهام وهو مثل الخَيْمَة ، وهو بيت تبنيه العَرَب من عيدان الشجر . قال ابن الأعرابى : لا تكون الخَيْمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد ثم يُسْقَف بالثُّمَام بضم الثاء [المثلثة] وهو نَبْتٌ ضعيف له خُوص أو شبيه بالخوص، والجمع خَيْمَات وَخِيَم وِزان بَيْضَات وقِطَع . « الرَّضْرَاض » : بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة ، وبأُخرى مثلها : الحَصَى الصغار . « الزُّمُرُّذ » بزاى فميم فَرَاء مُشَدَّدَة مضمومات فذال معجمة ، هو الزبرجد[4] . « خَبَأً لك » : بفتح الخاء المعجمة والمُوَحَّدة مهموزاً أى ادَّخره لك رَبُّك « ابن حارثة » : يأتى الكلام عليه فى الموالى . « جَنَابِذ اللؤلؤ » : بجيم فنون مفتوحتين فألف فباء مُوَحَّدة فذال معجمة وهى القِباب واللؤلؤ تقدم . « القيعان » : جمع قاع وهو المكان المستوى من الأرض ، ويُجْمَع أيضاً على أَقْوُع وأقواع . « الوَجْس » بفتح الواو وسكون الجيم بعدها سين مهملة : الصوت الخَفِيّ . « الدِّلاء » بكسر الدال جمع دَلْو . « للإبل المُقَتَّبة » أى التى بأقتابها[5] . « مِسْكٌ أذفر » : يقال ذَفِر الشيء بالكسر ذَفَراً بالتحريك اشتدت رائحته

---

(١) سورة طه آية ٧٨ .

(٢) الزبرجد حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان كثيرة. وفى المعرب للجواليقى (١٧٥) أن الزبرجد والزمرد لفظان أعجميان معربان . ونص فى المعاجم على الزمرذ بالذال المعجمة . انظر الجماهر لأبى الريحان البيرونى ، ونخب الذخائر فى أحوال الجواهر لابن الأكفانى ، تحقيق الكرملى ، القاهرة سنة ١٩٣٩م .

(٣) الزمرذ من الألفاظ المعربة وهو حجر أخضر اللون شديد الخضرة شفاف واحدته زمرذة والزبرجد يشبهه ولكن يتعدد لونه .

(٤) سبقت التفرقة بينه وبين الزمرذ .

(٥) القتب : هو الرحل الصغير على قدر سنام البعير والجمع أقتاب .

طيبةً كانت أو كريهة . « عاقِر النَّاقة » : اسمه قُدَار بضم القاف والتخفيف ، ابن سالف بالسين المهملة والفاء . « غشيها أنوار الخلائق » : إضافة تشريف كما يقال بيت الله . « الغِربان » جمع غُرَاب . « ظَهَر » ارتفع . « سُبُّوح قُدُّوس » بضمّ أَولهما أى نُزِّه عن سوء وعيب . « لِمُسْتَوًى » : بفتح الواو وبالتنوين : مَوْضِع مُشْرِف [يُسْتَوَى عليه] أى يصعد وقيل المكان المستوى ، [وفى بعض الأُصول] : « بمستوى » بمُوَحَّدة بدل اللام وعليهما فالباء ظَرْفِيَّة . [وعلى رواية اللام : قال التوربشتى : اللام للعِلَّة أى ارتفعت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته[1]] ويُحْتَمَل أن يكون مُتَعَلِّقًا بالْمَصْدَر أى ظَهَرْت ظهور المستوى ، ويُحْتَمَل أن تكون بمعنى « إلى » . قال تعالى : (أَوحى لها[2]) ، أى إليها ، والمعنى : إنى أُقِمْتُ مقاماً بَلَغْتُ فيه من رفعةالمَحَلّ إلى حيث اطَّلَعْتُ على الكوائن[3] فظهر لى ما يُرَاد من أَمْرِ الله وتدبيره فى خَلْقه ، وهذا هو المُنْتَهَى الذى لا تَقَدُّمَ فيه لأَحَدٍ عليه .

وقال الطيبى : « لام » الغَرَض و « إلى » الغائيَّة يلتقيان فى المعنى ، قال فى الكَشَّاف فى قوله تعالى : (كُلٌّ يَجْرِى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى[4]) : « [فإن قُلْتَ[5]] : يجرى لأَجَل مُسَمًّى ، ويَجْرِى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ، أَهُوَ من تعاقب الحَرْفَيْن ؟ قُلْتُ : كَلاًّ ولا يَسْلُك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضَيِّق العَطَن[6] ، ولكن المعنَيَين أعنى الانتهاء والاختصاص كُلٌّ واحدٍ منهما ملائم لِصِحَّة الغَرض ، لأَن قَوْلَك : يَجْرِى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى معناه يَبْلُغه ويَنْتَهِى إليه ، وقَوْلُك : يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى ، تُرِيد : يَجْرِى لإدراك أَجَل مُسَمًّى .

فالحاصلُ أَن « اللام » و « إلى » ، وإن كان معناهما أَعْنِى الإدراك والانتهاء مُلائماً لصحة الغَرَض فليستا متعاقبتَيْن ، فمعنى : ظَهَرْتُ إلى مستوى بَلَغْتُه وانْتَهَيْتُ إليه ، ومعنى « لمستوى » هوأدركتُ مُسْتَوًى « صريفالأَقلام » بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء وهو صوت

---

(١) زيادة من شرح المواهب (جـ ٦ ص ٨٨) لتكلة السياق .
(٢) سورة الزلزلة آية ٥ .
(٣) فى الأصول : الكوكب والتصويب من شرح المواهب .
(٤) سورة لقمان آية ٢٩ .
(٥) زيادة من الكشاف
(٦) يقال فلان واسع العطن أى واسع الصبر والحيلة وضده ضيق العطن .

حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله تعالى ووَحْيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ وما شاء الله تعالى الذى يعلم بكيفيتها . « العَرْش[1] » : السرير الذى / للملك كما قال ٣٨٨ ظ الله تعالى : (ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ[2]) ، وثَبَت فى الشَّرْع أنه له قوائم تحمله الملائكة ، وهو فوق الجنة والجنة فوق السموات ، وفى الجنة مائة درجة ما بين كل دَرَجَتَين كما بين السماء والأرض ، وهو كالقُبَّة على العالم وهو سَقْف المخلوقات ، وقد بَسَطْتُ الكلامَ عليه فى « الجواهر النفائس فى تَحْبير كتاب العرائس » . « لسانُه رَطْب من ذِكْر الله » : أى لم يجف . « قلبه مُعَلَّق بالمساجد » كأنه رُبِط بها أو حُبًّا من العلاقة وهى المحبة . « لم يَسْتَسِبَّ لوالديه » أى لم يُعَرِّضْهما للسَّبّ وهو الشَّتْم ولا جَرَّهما إليه بأن يَسُبَّ أبا غيره فَيَسُبّ [هذا] أباه مجازاةً له . وقد جاء مُفَسَّراً فى الحديث الآخر : « أن من أكبر الكبائر أن يَسُبَّ الرجل والديه » . قيل : وكيف يَسُبّ والِدَيْه ؟ قال : « يَسُبُّ أبا الرجل فَيَسُبّ أباه وأمَّه » . « لَبَّيْك » : هو من التلبية وهى إجابةُ المُنَادِى أى إجابتى لك يا رَبّ وهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وألَبَّ إذا أقام به ، وألَبَّ على كذا إذا لم يُفَارِقه ، ولم يُسْتَعْمَل إلا على لفظ التثنية فى معنى التكرير أى إجابةً بعد إجابة ، وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر كأنك قلت : أُلِبُّ إلْبَابًا بعد إلْبَاب . «يحفظون الكتاب المجيد»: يتلونه حفظاً . « أناجيلهم » : الأناجيل جمع إنجيل وهو اسم كتاب الله تعالى المُنَزَّل على عيسى عليه الصلاة والسلام . « سَبْعًا من المثانى » : هى كل سورة دون الطوال ودون المائتين . « الرُّعْب » الفَزَع وسيأتى الكلام على ذلك فى الخصائص . « فَواتح الكلم » وفى رواية مفاتيحه ومفاتحه وهما جمع مِفْتَاح ومِفْتَح وهما فى الأصل كل ما يُتَوَصَّل به إلى استخراج المُغْلَقَات التى يتعذر الوصول إليها ، فأَخْبَر أنه أُوتِى مفاتيح الكلم ، وهو ما يَسَّرَ الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعانى وبدائع الحِكَم ومحاسِن العبارات التى أُغْلِقت على غيره وتَعَذَّرت .

---

(١) فى المفردات للراغب : وعرش الله مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة وليس كما تذهب إليه أوهام العامة فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى لا محمولا. وقال الله تعالى : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (سورة فاطر آية ٤١) . وفى القاموس المحيط : العرش ياقوت أحمر يتلألأ من نور الجبار تعالى . وفى الصحاح: العرش سرير الملك . وفى شرح الزبيدى يكنى به عن العز والسلطان والمملكة وقوام الأمر ومنه ثل عرشه أى عدم ما هو عليه من قوام أمره وقيل : وهى أمره .

(٢) سورة النمل آية ٢٣ .

« خواتمه » [به فَصْل الخطاب[1]] . « جوامعه » : أى من الكلمات القليلة الألفاظ ، الكثيرة المعانى . « المِخْيَط » : بكسر الميم وسكون المُعْجَمَة وفتح التحتية وبالطاء المهملة ما خيط به الثوب . « المَلَك القائد » : بقاف فألِف فهمزة فدال مهملة : المُقَدَّم . « الغُرّ » : بالغين المعجمة : جمع أَغَرّ ، وهو هنا الأبيض الوجه من نور الوضوء . « المُحَجَّلين » : البِيض الوجوه والرِّجْلَيْن من نور الوضوء . « المُقْحِمات » : بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء المهملة : الذنوب العِظام الكبار التى تهلك أصحابها وتقودهم إلى النار ، والتَّقَحُّم الوقوع فى المهالك . قال النووى : والمراد بغُفْرانها ألاَّ يُخَلَّد فى النار بخلاف المشركين ، وليس المراد ، ألاَّ يُعَذَّب أيضاً فقد عُلِم من نصوص الشَّرْع وإجْمَاع أهل السُّنَّة إثبات عذاب العُصَاة من المُوَحِّدين . « فَسَلْهُ » : أصله فاسْأَلْهُ لأنه أَمْرٌ من السؤال ، فنُقِلت حركة الهمزة إلى السين فحُذِفت واسْتُغْنِىَ عن همزة الوصل فحذفت . « خَبَرْتُ الناسَ وبَلَوْتُ بنى إسرائيل » : بمعنى جَرَّبْتُهم ومارستُهم وعالجتهم من المعالجة مثل المزاولة ، ولقيت الشِّدَّة فيما رأيتُ منهم من [نبذ[2]] الطاعة / . « أن نعم » : بفتح الهمزة فى « أن » والتخفيف وهى المُفَسِّرة ، فهى من معناه مثل « أىْ » ، وهى بالتخفيف . « فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربِّه » : أى بينه وبين مناجاة ربه . « ومن هَمَّ بحَسَنَة » : أى أراد فِعْلَها مُصَمِّمًا بقلبه . « كُتِبَتْ له حَسَنَة » : أى كُتِبت له الحسنة التى هَمَّ بها ولم يعملها كتابةً واحدة لأن الهَمَّ بسببها أو بسبب الخَيْر خَيْر ، فوضع حَسَنَة موضع المصدر ، وكذا [إن عملها[3] كُتِبت له] عَشْراً [ومَن هَمَّ[3]] بسيئة [فلم يعملها لم تُكْتَبْ[3]] شيئاً [فإن عملها كُتِبت سيئة واحدة[3]] . « لبَّيْك » : تقدم . « وسَعْدَيْك » : أى إسعاداً لك بعد إسعاد أو مساعدة بعد مساعدة ، والأصل [فى] الإسعاد والمساعدة مُتَابَعةُ العَبْد أَمْرَ رَبِّه ورضاه . « ومن هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تُكْتَب شيئاً » : أى إذا لم يُصَمِّمْ على الفِعْل كما هو مذكور فى محله . « ولكن أرضى وأُسَلِّم » : قال الطيبى : فإن قلت : وقوع هذا بين كلامَيْن متغايِرَيْن مَعْنًى فما وجهه ههنا ؟

٣٨٩ و

(١) بياض بالأصول بنحو ثلاث كلمات .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) فى الأصول : « وكذا عشرا سيئة شيئاً » وتكلة السياق من حديث أنس بن مالك فى صحيح مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٢١٥ .

قلت : تقدير الكلام : حتى استَحْيَيْتُ فلا أرجع ، فإني إذا رجعت كنت غَيْرَ راضٍ ولا مُسَلِّم، ولكني أرضى . « بِرَهَج » : بفتح الهاء وهو الغُبَار وفى قوله : « ثم ركب مُنْصَرِفاً » ، دليل على أنه حالة العُرُوج لم يكن راكباً . « العِير » : بكسر العين المهملة ـ الإبل بأحمالها . « الغِرارَتان » : تثنية غِرارة وهى الجُوَالِق بجيم مضمومة فواو فألِف فلام فقاف : الخُرْج . « فُظِع » بفاء فظاء معجمة مشالة أى اشْتَدَّ عليه وهَابَهُ . « بين ظَهْرَانَيْنَا » : بفتح النون أى : بيننا . « المُطْعِم بن عَدِيّ » : بضم الميم وسكون الطاء وكَسْر العين مُخَفَّفًا ، هلك كافراً . « مُصْعِداً شهراً » : بميم مضمومة فصاد ساكنة فعَيْن مكسورة فدال مهملات . « مُنْحَدِراً شهراً » : بميم مضمومة فنون ساكنة فحاء فدال مكسورة مهملتين فراء « جَبَهْتَه » : بفتح الجيم والمُوَحَّدَة والهاء والفوقية أى استقبلته بالمكروه ، وأصله من إصابة الجَبْهَة يُقال جبهته [إذا أَصَبْتَ جبهته[1]] . كَرَب كَرْباً : وفى رواية : فكُرِبتُ كُرْبَةً ـ بضم الكاف وسكون الراء ـ ما كُرِبْتُ مِثْلَه [قط][2] والضمير [فى مثله][2] يعود على معنى الكُرْبَة وهو الكَرْب أو الغَمّ أو الهَمّ أو الشيء . « الرَّوْحَاء » : براء مفتوحة فواو ساكنة فحاء مهملة فألِف ممدودة : بَلَدٌ من عمل الفُرُع[3] على نحو أربعين ميلاً من المدينة ويقال على ستة وثلاثين ميلاً ، ويقال على ثلاثين ميلاً . « التنعيم[4] » : من الحِلّ بينه وبين سَرِف[5] على فرسخين من مكة نحو المدينة . « يَقْدُمُها » : بضم الدال فى المضارع وبفتحها فى الماضى ، يقال : قَدَم يَقْدُم قُدْماً ، بضَمّ القاف فى المصدر ، أى تَقَدَّم . قال تعالى : « يَقْدُمُ قَوْمَه يَوْمَ القِيَامَةِ »[6] « جَمَلٌ أورق » : أى فى لونه بياض إلى سواد ، قاله الأَصْمَعِي . وقال أبو زيد : يَضْرِب لونُه

---

(١) التكلة من النهاية مادة جبه ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) التكلة من حديث أبى هريرة رواية زهير بن حرب كما أخرجه مسلم فى صحيحه . انظر النووى على مسلم ج ٢ ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

(٣) الفرع بضم الفاء والراء وليس بتسكين الراء كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢٩٦) وفى معجم البكرى (ج ٣ ص ١٠٢٠) أنها من أعمال المدينة .

(٤) هو موضع بمكة فى الحل بين مر وسرف بينه وبين مكة فرسخان ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة ، وإنما سمى التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعيم والذى عن يساره يقال له ناعم والوادى نعمان ، انظر معجم البكرى ج ١ ص ٣٢١ ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٤١٦ .

(٥) سرف موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة واثنى عشر ، انظر معجم البلدان ج٥ ص٧١ ومعجم البكرى ج ٣ ص ٧٣٥ و ٧٣٦ .

(٦) سورة هود آية ٩٨ .

إلى الخُضْرَة : « أهريقت » : انْكَبَّتْ[1] . « فى غُدْوَة » : بضمّ الغين المعجمة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس[2] . « الرَّوْحَة » : اسم للوقت من الزوال إلى الليل[3] .

هذا ما يَسَّر اللهُ تعالَى من الكلام على بعض فوائد القصة وشرح مشكلها ، وقد جَمَعْتُ جزءاً فى بيان تخريج أَحاديثها سَمَّيْتُه : « الإفراج فى تخريج أَحاديث قصة المِعْراج » ، ٣٨٩ ظ فمن تَوَقَّف فى ورود لفظ فليراجع ذلك الجزء يظفر بمعرفة / مَنْ رواه من الأَئمة ، والله سبحانه وتعالى المُوَفِّق للصواب .

---

(١) لعل الأصح صب فإن انكب لا تفيد هذا المعنى : فالانكباب على الشيء هو الإقبال عليه ولزومه والشغل به وكذلك أكب والثلاثى منه متعد : كببت الإناء كباً من باب نصر قلبته على رأسه . والأصل فى أهريق فعل راق : جاء فى المصباح : راق الماء وغيره ريقاً من باب باع : انصب ، ويتعدى بالهمزة فيقال أراقه صاحبه ، والفاعل مريق والمفعول مراق . وتبدل الهمزة فى «أراق» هاء فيقال : هراقه والأصل هريقه وزان دحرجه، ولهذا تفتح الهاء من المضارع فيقال يهريقه كما تفتح الدال من يدحرجه ، وتفتح من الفاعل والمفعول أيضاً فيقال : مهريق ومهراق ، والأمر هرق ماءك والأصل هريق ماءك وزان دحرج ، وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقه يهريقه ساكن الهاء كأن الهمزة زيدت عوضاً عن حركة الياء فى الأصل ولهذا لا يصير الفعل بهذه الزيادة خماسياً . ومنهم من يجعل الهاء كأنها أصل ويقول هرقته هرقاً من باب نفع ؛ انظر أيضاً النهاية ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٢) الغدوة المرة من الغدو وجمعها غدى مثل مدية ومدى كما فى المصباح وغدا يغدو غدوا من باب قعد ذهب غدوة وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أى وقت كان . وفى النهاية (ج ٣ ص ١٥١) لغدوة أو روحة فى سبيل الله ، وقد وردت غدوة فى الحديث اسماً وفعلا واسم فاعل ومصدراً .

(٣) الروحة المرة من الرواح ، والرواح كما فى التاج نقيض الصباح وهو اسم للوقت وقيل الرواح العشى أو من الزوال أى من لدن زوال الشمس إلى الليل غير أن الفيومى ينكر ربط الرواح والغدو بوقت معين إذ قال الأزهرى وغيره : قد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا فى آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان من ليل أو نهار ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : من راح إلى الجمعة فى أول النهار فله كذا ، أي من ذهب إلي الجمعة , وفي النهاية (ج ٢ ص ١٠٩) : على روحة من المدينة أى مقدار روحة وهى من الرواح .

الباب العاشر

فى صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وكيف فرضت الصلاة

روى الإمامان الشافعي وأحمد ، وأبو داود والترمذى وحَسَّنه ، والطحاوى والبيهقى عن ابن عباس ، والإمام أحمد والنسائى والدارقطنى والحاكم وصحَّحه وأقَرَّه الذهبي عن جابر بن عبد الله ، والدارقطنى والحاكم والإسماعيلى فى معجمه ، وابن السَّكَن فى صحيحه عن أَنَس ، والدارقطنى بإسناد جَيِّد عن ابن عُمَر ، والنسائى والحاكم وصَحَّحه وأَقَرَّه الذهبي عن أَبى هريرة وإسحق بن راهويه عن أَبى مسعود الأَنصارى ، وعبد الرَّزَّاق وإسحق عن أَبى سعيد الخُدْرِىّ ، وإسحق عن أَبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، عن أَبيه عن جَدِّه عَمْرو بن حَزْم رضى الله تعالى عنهم . قال الحافظ فى المطالب : إسناده حَسَن ، إلا أن محمد بن عَمْرو بن حَزْم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم لِصِغَر سِنِّه ، فإن كان الضمير فى جَدِّه يعود على أَبى بكر تَوَقَّف على سماع أَبى بكر من عُمَر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَمَّنِى جبريل عند البيت » — ولفظ الشافعي والطحاوى والبيهقى : « عند باب البيت » — « مَرَّتَيْن ، فصَلَّى بى الظُّهْر حين زالت الشمس ، وكانت قَدْرَ الشِّراك[1] ، وصَلَّى بِى العصر حين صار ظِلُّ كل شيء مِثْلَه ، وصَلَّى بِى المَغْرِب حين أَفْطِر الصائم ، وصَلَّى بى العِشاء حين غاب الشَّفَق ، وصَلَّى بِى الفَجْر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صَلَّى بِى الظُّهْر حين كان ظِلُّه مِثْلَه » — وفى لفظ : « كوقت العصر بالأَمس » — وصَلَّى بِى العصر حين كان ظِلُّه مِثْلَيْه ، وصَلَّى بِى المَغْرِب حين أَفْطِر الصائم ، وصَلَّى بى العِشاء إلى ثُلُث الليل الأَول ، وصَلَّى بِى الفَجْر فأَسْفَر[2] » ، ثم التفت فقال : « يا محمد هذا وقت الأَنبياء من قبلك ، والوقت ما بَيْنَ هذَيْن[3] » .

---

(١) لفظ الترمذى : « فصلى الظهر فى الأولى منهما حين كان الفىء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثل ظله ، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس » .

(٢) هذه رواية النسائى ، أما رواية الترمذى فقد جاء فيها : ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض . ويقال : أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء .

(٣) لفظ الترمذي : والوقت فيما بين هذين الوقتين .

هذا ما وقفتُ عليه فى صلاة جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بالصلوات الخمس ، وأما عدد ركعاتها حين فُرضت فمن الناس من ذهب إلى أنها فُرضت أول ما فُرضت ركعَتَيْن ركعَتَيْن ، ثم زيد فى صلاة الحضر فأُكملت أربعاً إلا المَغْرب وأُقِلَّت صلاة السَّفَر ركعتين . ورَوى ذلك عن عائشة رضى الله عنها الشعبى وميمون بن مهران ومحمد بن إسحق . ومنهم من ذهب إلى أنها فُرِضت أول ما فُرِضت أربعاً إلا المغرب ففُرِضت ثلاثاً والصبح ركعتين ، وبه قال الحَسَن ونافع بن جبير بن مُطْعِم وابن جرير .

ومنهم من ذهب إلى أنها فُرِضت فى الحضر أربعاً وفى السَّفَر ركعتَيْن ، يُرْوَى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وذِكْرُ أَدِلَّة هذه الأَقوال والكلام عليها مذكور فى المُطَوَّلات .

٣٩٠ و وروى الشيخان وابن إسحق / عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترِضَتْ ركعتين ركعتين كل صلاة ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعاً وأقرَّها فى السفر على فرضها الأول ركعتَيْن[1] » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر بعضهم أن المعروف فى رواية المواقيت عند البَيْت ـ ورُوى عند باب البيت ـ وقد علمت أنها رواية الشافعى والطحاوى والبيهقى .

الثانى : المشهور فى الأَحاديث السابقة الابتداء بالظُّهر . روى ابن أَبى خَيْثَمة فى تاريخه عن أحمد بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أَبى إسحق عن عُتْبَة بن مسلم عن نافع ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما فُرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَتاه جبريل فصَلَّى به الصبح حين طلع الفجر » ، وذكر الحديث . وكذا وقع فى رواية الدارقطنى وابن حِبَّان فى الضعفاء من طريق مَحبوب بن جهم ، وهو ضعيف ، وفى رواية أَبى هريرة عند النسائى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل جاءكم يُعَلِّمكم دينكم » ، فصَلَّى الصبح حين طلع الفجر ، .

الثالث : قال أَبو عُمَر : لم أَجد قَوْلَه « هذا وقتك ووقت الأَنبياء قبلك » ، إلا فى هذا الحديث ، يعنى رواية ابن عباس ، قلت : قال القاضى أَبو بكر بن العربى رحمه الله :

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه فى كتاب الصلاة (جـ ١ ص ١٥٩) .

ظاهِرُهُ يُوهِم أَن هذه الصلوات فى هذه الأَوقات مشروعة لمن قبله من الأَنبياء ، وليس كذلك ، إنما معناه : هذا وقتك المشروع لك ، يعنى الوقت المُوَسَّع المحدود بطرفين : الأَول والآخر ، ووقت الأَنبياء قبلك ، يعنى مثله وقت الأَنبياء قبلك أَى صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طَرَفَيْن مثل هذا . وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا لهذه الأُمة خاصَّةً وإن كان غيرهم قد يشاركهم فى بعضها .

وقد روى أَبو داود فى حديث العِشاء : « أَعْتِموا[1] بهذه الصلاة فإنكم قد فُضِّلْتُم بها على سائر الأُمم [ولم تُصَلِّها أُمَّةٌ قبلكم[2]] . وكذا قال أَبو الفتح : « يريد بها التوسعة عليهم فى أَن للوقت أَولاً وآخراً إلا أَن الأَوقات هى أَوقاتهم بعينها » .

الرابع : استشكل بعضُهم لفظ « عند البيت » بأَنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس قبل الهجرة . قلت : ولا إشكال فى ذلك لاحتمال أَنه صلى الله عليه وسلم جعل البيت بينه وبين بيت المقدس ، وكذلك رواية : « عند الباب » لا إشكال فيها ، إذ لا يلزم فى كون الصلاة عند الباب أَن تكون الصلاة إليه .

الخامس : قال ابن المنير : « لما أَمر الله سبحانه وتعالى جبريل أَن يُعَلِّم النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ، كانت هذه فرضاً عليه لأَنه أُمِر بذلك ، فكانت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم صلاة مُفْتَرَض خلف مُفْتَرَض » .

السادس : قال الحربى : « أَول ما فرضت الصلاة عليه : ركعتَيْن أَول النهار وركعتَيْن آخره بسَنَده عن عائشة رضى الله عنها / قالت : « فَرَض رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاةَ ركعتين ركعتين ثم زاد فيها فى الحضر » . قال أَبو عُمَر : « ليس فى حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربى ، ولايوجد هذا فى أَثَرٍ صحيح ، بل فيه دليل علىأَن الصلاة التى فُرِضت ركعتين ركعتين هى الصلوات الخمس لأَن الإِشارة بالأَلف واللام فى « الصلاة »

٣٩٠ ظ

---

(١) فى الأصول : اغنموا ، مصحفة ، وأعتموا أى ادخلوها فى العتمة ، والباء للتعدية أو للمصاحبة والجار والمجرور حال ، والعتمة ظلام الليل أو ظلام أوله بعد زوال نور الشفق .

(٢) تكملة الحديث من سنن أبى داود وبدايته برواية معاذ بن جبل : قال : « بقينا – على وزن رمينا يقال بقيت الرجل أبقيه إذا انتظرته – النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة العتمة فتأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارج ، والقائل منا يقول : صلى فإنا لكذلك حتى خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا له كما قالوا : فقال : « أعتموا بهذه الصلاة : إلى آخر الحديث .

إشارة إلى المعهود » . قال الحافظ : « الذى يظهر وبه تُجْمَع الأَدِلَّة أن الصلاة فُرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت عَقِب الهجرة إلا الصبح كما روى ابن خُزَيْمَة وابن حِبَّان والبيهقى من طريق الشعبى عن مسْروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فُرضت صلاة السفر والحَضَر ركعتين ركعتين ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن ، زِيد فى صلاة الحضر ركعتان وتُرِكت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لأنها وِتْر » . انتهى .

ثم بعد أن استقر فَرْض الرباعية خُفِّف منها فى السفر عند نزول الآية وهى قوله تعالى : (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُم أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً[1]) قال ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير فى شرح مُسْنَد الشافعى : إن قَصْر الصلاة[2] كان فى ربيع الأول من السنة الثانية ، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف[3] كان فيها . وقيل قَصْر الصلاة كان فى ربيع الأول من السنة الأولى ذكره الدولابى وأورده السُّهَيْلى بلفظ بعد الهجرة بعام أو بنحوه ، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً . فعلى هذا فالمراد بقول عائشة : فأقرت صلاة السفر[4] باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف لأنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة[5] .

---

(١) سورة النساء آية ١٠١ .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه (ج ٢ ص ١٠٢) فى كتاب الصلاة : باب ما جاء فى التقصير وكم يقيم حتى يقصر عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام النبى صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر فنحن إذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وإن زدنا أتممنا . وعن أنس قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة . قلت : أقمتم بمكة شيئاً ؟ قال : أقمنا بها عشراً .

(٣) جاء فى أسباب النزول للواحدى (ص ١٣٣) قال أبو عياش الورقى : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقال المشركون : قد كانوا على حال لو كنا أصبنا منهم غرة . قالوا : تأتى عليهم صلاة هى أحب إليهم من آبائهم . فنزل جبريل بهذه الآية : وهى الآية ١٠٢ من سورة النساء .

(٤) قال يعلى بن أمية : سألت عمر بن الخطاب قلت له : قوله : ليس عليكم جناح الآية وقد أمن الناس ؟ فقال لى عمر : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

(٥) فى تهذيب اللغات للنووى (ج ٢ ص ٩٤) يقال قصر المسافر الصلاة وقصرها بتخفيف الصاد وتشديدها لغتان مشهورتان والتخفيف أفصح وأشهر وبه جاء القرآن وروايات الأحاديث الصحيحة والقصر والتقصير هو رد الرباعية إلى ركعتين . هذا وقصر الصلاة فى السفر من غير خوف سنة لا فريضة لأنه لا ذكر لها فى القرآن إنما القصر المذكور فى القرآن إذا كان سفراً وخوفاً واجتمعا فلم يبح القصر فى كتابه إلا مع هذين الشرطين . وللأئمة المذاهب آراء مختلفة =

السابع : قال السهيلى : هل هذه الزيادة فى الصلاة نسخ أَم لا ؟ فيقال : أَما زيادة ركعتَيْن أَو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فَنَسْخ ، لأَن النسخ رَفع الحُكْم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء[1] من الركعتين وصار من سَلَّم فيها عامداً مُفْسِداً لها ، وإن أَراد أَن يُتِمَّ صلاتَه بعد ما سَلَّم عامداً لم يُجْزِه إلا أَن يستأْنف الصلاة من أَوَّلها ، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنَّسْخ ، وأَما الزيادة فى عدد الصلوات حتى المُكْث خمساً بعد ما كانت اثنتَيْن فَسُمِّيت نَسْخًا عند أَبى حنيفة ، قال الزيادة عنده نَسْخ ، وجمهور المتكلمين على أَنه ليس بِنَسْخ ، ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا .

الثامن : فى بيان غريب ما سَبَق :

« زوال الشمس » : عبارة عن ميلها من جانب الشِّمال إلى جانب اليمين إذا اسْتَقْبَلْتَ القِبْلة . « الشِّراك » : أَحد سيور النَّعْل التى على وجهها وقدره هنا ليس على معنى التحديد .

= فى حكم قصر الصلاة وشروط صحة القصر ومايمنع القصر أوردها كتاب الفقه علىالمذاهب الأربعة قسم العبادات – الطبعة الثانية سنة ١٩٣١ م ص ٤٢٦ : ٤٣٩ .

(١) فى النهاية (جـ ١ ص ١٥٩) فى حديث الأضحية : ولن تجزئ عن أحد بعدك ، أى لن تكفى ، يقال أجزأنى الشيء أى كفانى ويروى بالياء . وفى الفائق للزمخشرى (جـ ١ ص ١٨٩) لا تجزىء أى لا تؤدى عنه الواجب ولا تقضيه وإنما وضع الجزاء موضع الأداء لأن مكافأة الصنيع كقضاء الحق .



جُمَّاعُ أَبْوَابِ بَدْءِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ

الباب الأول

فى نَسَبِهم

قال السهيلى رحمه الله تعالى : « الأنصار جَمْع ناصر على غير قياس فى جَمْع فاعل ، ولكن على تقدير حذف الألِف من ناصِر لأنها زائدة ، فالاسم على تقدير حَذْفِها ثلاثى ، والثلاثى يُجْمَع على أفعال ، وقد قالوا فى نَحْوِه صاحب وأصحاب وشاهد وأشْهَاد[١] » .

وفى الصحاح النصير الناصر ، والجَمْع أنصار مثل شريف وأشراف ، وجَمْع الناصر نَصْر مثل صاحِب وصَحْب[٢] » . انتهى .

ولم يكن « الأنصار » اسماً لهم فى الجاهلية بل سَمَّاهم الله تعالى به فى كتابه كما سيأتى فى الباب بعده .

والأنصار حِزْبان : الأوّل : بنو الأوس ، قال السهيلى : وهو لُغَةً العَطِية أو العِوَض . زاد فى الزَّهْر : وأوس زَجْرٌ للغَنَم والبقر[٣] ، ودخول الألف واللام فيه على حَدّ دخولها فى التَّيْم جَمْع تَيْمِىّ ، وهو من باب رومِىّ وروم ، ومثل هذا إذا كان عَلَمًا [لا][٤] تدخله الألف واللام ،

والثانى : بنو الخزرج ، قال السهيلى : وهو فى اللغة الريح الباردة ، وقال بعضهم : هى الجَنُوب خاصة ، وقال بعضهم فى الزهر : الريح الشديدة . والأوْس والخَزْرَج ابنا حارثة — بحاء مهملة / وثاء مثلثة — ابن ثعلبة العَنْقَاء — بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فقاف ٣٩١ و

---

(١) هذا فى الروض الأنف جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٣) هذا فى الصحاح جـ ١ ص ١٠٥ .

(٣) فى التاج : الأوس الإعطاء والتعويض تقول فيهما أست القوم أوسهم أوساً أى أعطيتهم وكذا إذا عوضتهم من الشىء . وفى حديث قيلة : رب أسنى لما أمضيت أى عوضنى ويقولون أس فلاناً بخير أى أصبه ، ويقال : ما يؤاسيه من مودته ولا قرابته شيئاً ، مأخوذ من الأوس وهو العوض ، وكان فى الأصل : ما يؤاوسه ، فقدموا السين وهى لام الفعل وأخروا الواو وهى عين الفعل فصار يواسوه ، فصارت الواو ياء لتحركها وانكسار ما قبلها . وهذا من المقلوب . والأوس الذئب وأويس مصغر حقروه متفائلين أنهم يقدرون عليه . وأوس بلا لام ، وفى المحكم الأوس ، أبو قبيلة ، وهو أوس ابن قيلة أخو الخزرج منهما الأنصار وقيلة أمهما .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

فهمزة ممدودة ، لُقِّبَ به لطول عُنُقه ـ ابن عمرو مُزَيقِيَاء ـ بميم مضمومة فزاى مفتوحة فمُثنَّاة تحتية ساكنة ، فقاف مكسورة فمُثَنَّاة تحتية فهمزة ممدودة ، لُقِّب عمرو بذلك لأنه كان من ملوك اليمن ، وكان يلبس كل يوم حُلَّتَيْن فيُمَزِّقهما بالعَشِيّ ويكره أن يعود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما أَحَدٌ غيره ، قاله فى النور والروض يُمَزِّق كل يوم حُلَّة بالإفراد ـ ابن عامر ماء السماء ـ لأن قومه كانوا إذا قَحَطوا بَثَّ فيهم مالَه ، فكان يقوم لهم مقام ماء السماء ـ ابن حارثة ـ بحاء مهملة ومُثَلَّثة ، ويُلَقَّب بالغِطْرِيف ـ بغين معجمة مكسورة فطاء مهملة ساكنة فراء مكسورة وفى آخره فاء ، وهو فى اللغة السَّيِّد وفَرْخ البازى ـ ابن امرئ القَيْس ـ ويُلَقَّب : البِطْريق بباء موحدة فطاء مهملة ساكنة وفى آخره قاف ـ وهو القائد من قُوَّاد الروم وهو مُعَرَّب[1] ، والجمع بطارقة ، وهو فى اللغة السَّمين من الطَّيْر وغيره ، وأيضاً المُخْتَال فى مشيه ـ ابن ثَعْلَبة ـ ويُلَقَّب بالبُهْلُول بباء مُوَحَّدة مضمومة وهاء ساكنة وهو فى اللغة السَّيِّد ـ ابن مازِن ـ ويُلَقَّب : زاد السَّفَر ـ ابن الأَزد ـ اسم الأَزد « دِرَا » بدال مكسورة فراء مهملتين فألف ممدودة ـ ابن الغَوْث ـ بغين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فمثلثة ـ ابن مالك بن زيد بن كهلان ـ بكاف مفتوحة فهاء ساكنة وآخره نون ـ ابن سَبَا ـ يمَدّ ويُقْصَر ، ويُصْرَف ولا يُصْرَف واسمه عامر وقيل عَبْد شَمْس ـ ابن يَشْجُب ـ بمُثَنَّاة تحتية مفتوحة فشين معجمة ساكنة فجيم مضمومة فمُوَحَّدة ، وزان يَنْصُر ، ولا ينصرف للعلمية ـ ابن يَعْرُب ـ بعين مهملة وزان يَشْجُب ـ ابن قَحْطان ـ بقاف مفتوحة فحاء ساكنة مُهْمَلَتَيْن فنون ، والنسبة إليها قحطانى على القياس ، ولقبه يَقْطُن ـ بمثنَّاة تحتية فقاف فطاء مهملة وزان يَعْرُب وسُمِّى بقحطان لأنه كان أول من قَحَطَ أموال الناس من ملوك العرب واسمه مهزم[2] ، ويقال إن قحطان كان أول من تكلم بالعربية

---

(١) أورده الجواليقى فى المعرب (ص ٧٦) .

(٢) فى ت وم مجرم وفى ط « مهرم بكسر الراء والتصويب من السهيلى (جـ ١ ص ١٣) ولعله مهزم كمعظم سمياً للتابعى أبى المهزم يزيد أو عبد الرحمن بن سفيان كما ورد فى القاموس المحيط .

وهو والد العرب المتعربة وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة ، وقيل قحطان أول من قيل له : أَبَيْتَ اللَّعْن ، وعِم صباحاً ، وذهب الزبير بن بَكَّار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام وأنه قحطان بن الهَمَيْسَع وتقدم ضَبْطُه فى النَّسب النبوى : ابن إسماعيل وهو ظاهر قول أَبى هريرة رضى الله عنه المتقدم فى قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأَنصار : « تلك أُمُّكم يابنى ماء السماء » . قال الحافظ : « وهذا هو الراجح فى نقدى » . وبَسَط الكلام على ذلك .

الباب الثانى

فى فضلهم وحُبِّهم والوصية بهم والتجاوز عن مُسيئهم والنَّهْى عن بُغْضِهم

قال الله سبحانه وتعالى : (وَالَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[1]) وقال الله عز وجل : : (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[2]) وقال تَقَدَّس اسْمُه : (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ[3]) .

وعن غَيْلان بن جرير قال : « قلت لأَنَس : أَرَأَيْتَ اسم الأَنصار كنتم تُسَمَّوْنَ به أم سَمَّاكم الله ؟ قال : بل سَمَّانا الله عَزَّ وجَلّ[4] » ، رواه البخارى والنسائى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، يرفعه : « إن الله أَمَدَّنى بأَشد الناس أَلْسُناً وأَذْرُعاً ، با بْنَىْ قَيْلَة : الأَوس والخزرج » ، رواه الطبرانى فى الكبير . وعن أَبى واقد / الليثى قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَتاه آتٍ فالْتَقَم أُذُنَه فتَغَيَّر وَجْهُه وسار الدَّمُ فى أساريره ، ثم قال : « هذا رسول عامر بن الطُّفَيْل يَتَهَدَّدُنى فكفانيه الله بالبيتين من وَلَد إسماعيل با بْنَىْ قَيْلَة » ، يعنى الأَنصار ، رواه الطبرانى فى الكبير والأَوسط .

٣٩١ ظ

وعن أَنَس رضى الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّساء والصبيان مُقْبِلين [قال] : حَسِبْتُ [أَنه قال[5]] من عُرْس فقام [النبي صلى الله عليه وسلم[5]]

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٤ .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) سورة الأنعام آية ٨٩ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه باب مناقب الأنصار ج ٥ ص ١٠٨.

(٥) زيادة من البخارى .

مُمْثِلاً[1] ، فقال : « اللهم أنتم من أَحَبِّ الناس إلىّ » ، [قالها ثلاث مرات] . رواه البخارى[2] . وعنه أيضاً قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها صَبِىٌّ لها كَلَّمها [رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقال : « والذى نفسى بيده إنكم أَحَبُّ الناس إلىّ » ، مَرَّتَيْن ، رواه الشيخان والنسائى . وعن البَرَاء بن عازب رضى الله عنه يرفعه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الأنصار لا يُحِبهُّم إلا مؤمن ولا يَبْغَضُهُم إلا مُنَافِق فمن أَحَبَّهم أَحَبَّه الله ومن أبغضهم أبغضه الله[3] » ، رواه الستة خلا أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار وآيةُ النِّفاق بُغْضُ الأنصار » رواه الشيخان والنسائى . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ ببعض سكك المدينة فإذا بجوارٍ يَضْرِبْن بِدُفَّيْن وَيَتَغَنَّين ويَقُلْن : نحن جوارٍ من بنى النَّجَّار يا حَبَّذا محمد من جار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم تعلم أنى لَأُحِبُّكُنّ » ، حديث صحيح رواه ابن ماجه ، وعن سعد بن عُبَادة يرفعه : « إن هذا الحَىّ من الأنصار مِحْنَة : حُبُّهم إيمان وبُغْضُهم نفاق » ، رواه الإمام أحمد . وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ يرفعه : « حُبُّ الأنصار إيمان وبُغْضُهم نِفاق » ، رواه الإمام أحمد . وعنه ؛ « لا يَبْغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر » ، رواه الإمام أحمد .

وعنه أيضاً يرفعه : « مَنْ أَحَبَّنى أَحَبَّ الأنصار ، ومن أبغضنى فقد أبغض الأنصار ، لا يُحِبُّهم منافق ولا يبغضهم مؤمن ، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ، الناس دِثار والأنصار شِعار ، ولو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعباً لسلكت شِعْبَ الأنصار » رواه الإمام أحمد .

وعن جدة رباح بن عبد الرحمن بن حُوَيطِب يرفعه : « لا صلاة لمن لا وضوء له ولاوضوء

---

(١) فى النووى على مسلم ج ١٦ ص ٦٧ : « ممثلا » بضم الميم الأولى وإسكان الثانية وبفتح الثاء المثلثة وكسرها كذا روى بالوجهين وهما مشهوران . قال القاضى : جمهور الرواة بالفتح وصححه بعضهم . قال : ولبعضهم هنا وفى البخارى بالكسر ومعناه : قائماً منتصباً ، وعند بعضهم مقبلا . وللبخارى فى كتاب النكاح : « ممتناً » بتاء مثناة فوق ونون . من المنة أى متفضلا عليهم . قال : واختار بعضهم هذا ، وضبطه بعض المتقنين ممتناً بكسر التاء وتخفيف النون أى قياماً طويلا . قال القاضى : والمختار ما قدمناه عن الجمهور .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ١١١ .

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٠ .

لمن لم يذكر اسم الله عليه ، ولا يؤمن بالله من لا يؤمن بى ولا يؤمن بى من لا يحب الأنصار » : رواه الترمذى وابن ماجه دون ذكر الأنصار فيه ، وقال الترمذى عن البخارى إنه قال : هذا أحسن حديث فى هذا الباب . وعن على بن سَبْرَة عن أبيه عن جَدِّه يرفعه : « أيها الناس لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ، ولم يؤمن بالله من لم يؤمن بى ولم يؤمن بى من لم يعرف حَقّ الأنصار » ، رواه البغوى فى معجمه والطبرانى فى الأوسط .

وعن الحارث بن زياد يرفعه : « من أَحَبَّ الأنصار أَحَبَّه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله » رواه الإمام أحمد . وعنه أيضاً يرفعه : « والذى نفسى بيده لا يحب رجل الأنصار حتى يلقى الله إلا لقى الله وهو يحبه ، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله إلا لقى الله وهو يبغضه » ، رواه الإمام أحمد والطبرانى وسنده صحيح . وعن أنس رضى الله عنه قال : افتخر الحَيَّان من الأنصار : الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : « مِنَّا غسيل الملائكة[1] حنظلة بن أبى عامر الراهب ، ومِنَّا من اهْتَزَّ له عَرْش الرحمن ، سَعْد بن مُعَاذ ، ومنا من حَمَتْه الدَّبْر ، عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح[2] ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رَجُلَيْن ، خزيمة بن ثابت[3] . فقال الخزرجيون : منا أربعة نفر جمعوا القرآن على عهد رسول الله ٣٩٢ و صلى / الله عليه وسلم لم يجمعه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبوزيد ، وأُبَىّ بن كعب ، ومعاذ ابن جَبَل » ، حديث رواه أبو يَعْلَى والبَزَّار ، والطبرانى فى الكبير ، وفى الصحيح منه الذين جمعوا القرآن .

وعن معاوية بن أبى سفيان وأبى هريرة يرفعانه : « من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله » ، رواه أبو يعلى ، وهو حديث حسن صحيح رواه البَزَّار عن أبى هريرة والطبرانى عن معاوية ، وله طريق آخر عند الطبرانى عن معاوية يرفعه : « من أحب

---

(١) أسد الغابة جـ ٢ ص ٦٧ وسبب تسميته غسيل الملائكة كما فى سيرة ابن هشام (جـ ٣ ص ٢٠) أنه لما قتل فى غزوة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم – يعنى حنظلة – لتغسله الملائكة » فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة .

(٢) قتل عاصم يوم الرجيع فى سنة ثلاث ، وكانت سلافة بنت سعد بن شهيد قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد أن تشرب فى قحفه الخمر فمنعته الدبر (ابن هشام جـ ٣ ص ١٦٣) .

(٣) هو خزيمة ابن ثابت بن الفاكه الأنصارى شهد المشاهد كلها وقتل فى صفين وكان مع على ، وهو ذو الشهادتين جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين وقال : من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه (أسد الغابة جـ ٢ ص ١١٤)

الأنصار فَبِحُبِّى أحبهم ومن أبغض الأنصار فَبِبُغْضِى ابغضهم » ، حديث صحيح . وعن أنس رضى الله عنه قال : قالت الأنصار يوم فتح مكة وأعطى قريشاً : « واللهِ إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تَقْطُر من دماء قريش وغنائمنا تُرَدّ عليهم » . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الأنصار ، قال : فقال : « ما الذى بلغنى عنكم ؟ » وكانوا لا يَكْذِبون ، فقالوا : « هو الذى بلغك » . قال : « أوَلا تَرْضَوْنَ أن يَرْجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم ، لو سلكت الأنصار وادياً أو شِعْباً لسلكت وادى الأنصار أو شِعْبَهم[1] » . رواه الشيخان والنسائى ، وهو عند البخارى أيضاً من حديث أبى هريرة ، وفى آخره : « ولَوْلا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار » . وعند النسائى بعد الشِّعْب : « اللهم ارحم الأنصار وَأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » ، فبكى الأنصار حتى اخْضَلَّت لِحاهم ، وقالوا : « رَضِينَا برسول الله صلى الله عليه وسلم قِسْماً وحَظا » ، حديث صحيح رواه الإمام أحمد . وعن أبى هريرة يرفعه : « لولا الهجرة لكنت امرأً أنصارياً » ، رواه الترمذى وحَسَّنه . وعن أبى قتادة يرفعه : « ألَا إن الناس دِثار والأنصار شعار ، ولو سلك الناس وسلك الأنصار شِعْبَاً لا تَّبعت شِعْبَ الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، فمن ولى من أمر الأنصار شيئاً فَلْيُحْسِن إلى مُحْسِنهم وليتجاوز عن مُسِيئهم ، من أفزعهم فقد أفزع هذا الذى بين هذين » ، وأشار إلى نفسه ، حديث صحيح رواه الإمام أحمد والطبرانى ، وزاد فى آخره : يعنى قلبه . وعن السائب بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَم الفىء الذى أفاء الله تعالى بحُنَيْن من غنائم هوازن ، فأحسن ، فذكر الحديث وفيه : ثم قال : « يا معشر الأنصار ألَم يَمُنّ الله عليكم بالإيمان وخَصَّكم بالكرامة وسَمَّاكم بأحسن الأسماء : أنصار الله وأنصار رسوله ؟ ولولا الهجرة لكنت امرأً أنصارياً ، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم ، أوَ لا تَرْضَوْن أن يذهب الناس بالشَّاء والنَّعَم وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » قالوا : قد رضينا . قال : « أجيبونى فيما قلت » . قالت الأنصار : يا رسول الله وجدتَنا فى ظلمة فأخرجنا الله بك ، ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأيّدنا الله بك ، ووجدتنا ضُلَّالاً فهدانا الله بك ، فرضينا بالله رَبًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فاصنع يا رسول الله ما شئت فأوسع الحل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ ص ١٠٨ : ١٠٩ .

« لو أجبتمونى بغير هذا القول لقلت صدقتم ، لو قلتم . ألم تأتنا طريداً فآويناك ، ومُكَذَّباً فصدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وقَبْلنا ماردَّ الناس عليك ؟ لو قلتم هذا لصدقتم » . فقالت الأنصار : « بل الله ذو الفضل علينا وعلى غيرنا » . ثم بكوا فكَثُر بكاؤهم وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم . رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مِلْحَفَة مُتَعَطِّفًا بها على مَنْكِبَيْه وعليه عِصَابةٌ دَسْماء[1] حتى جلس على المِنْبَر فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد [أيها الناس[2]] فإن الناس يَكْثُرون وتَقِلّ الأنصار حتى / يكونوا كالمِلْح فى الطعام ، فمن وَلِىَ منكم أمراً يَضُرّ فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من مُحْسِنهم ويتجاوز عن مُسِيئهم » . رواه البخارى[3] . وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « الأنصار كَرِشى وعَيْبتى[4] والناس سيكثرون ويَقِلُّون فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مُسِيئهم » ، رواه البخارى[5] .

٣٩٢ ظ

وعن أنس أيضاً ، قال : مَرَّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : مايبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك . قال : فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عَصَب على رأسه حاشية بُرْد ، قال فصَعِدَ المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشى وعيبتى وقد قَضَوْا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم[6] » ، رواه الشيخان والنسائى والترمذى .

---

(١) فى النهاية (جـ ٢ ص ٢٢) أنه خطب الناس ذات يوم وعليه عمامة دسماء أى سوداء .

(٢) زيادة من البخارى .

(٣) فى صحيح البخارى جـ ٥ ص ١١٥ .

(٤) البخارى جـ ٥ ص ١١٦ وفى مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٦٨ . أورد النووى فى شرح كرشى وعيبتى جماعتى وخاصتى الذين أثق بهم وأعتمدهم فى أمورى . قال الخطابى : ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون به بقاؤه . والعيبة وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ، ويصونها ، ضربها مثلا لأنهم أهل سره وخفى أحواله .

(٥) الحديث فى البخارى جـ ٥ ص ١١٦ .

(٦) صحيح البخارى جـ ٥ ص ١١٥ .

وعن أُسَيْد بن حُضَيْر يرفعه : « الأنصار كرشي وعَيْبتي وإن الناس يكثرون وهم يقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم » ، حديث صحيح رواه الطبراني فى الكبير .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى عنهما ، يرفعه : « اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم » ، يعنى الأَنصار ، رواه البَزّار والطبرانى وهو حديث حسن . وعن أَبى سعيد يرفعه : « أَلاَ إن عَيْبَتى التى أَوَى إليها أَهل بيتى وأَن كَرِشى الأَنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم » ، حديث صحيح حسن رواه الترمذى . وعن كعب بن مالك[1] عن رجل من الصحابة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحَمِد الله وأَثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأُحُد ثم قال : « إنكم يا معشر المهاجرين تَزِيدون وإن الأَنصار لا يزيدون ، وإن الأَنصار عَيْبَتى التى آوِى إليها ، أَكْرِموا كَرِيمَهم وتجاوزوا عن مسيئهم ، وإنهم قد قَضَوْا الذى عليهم وبَقِىَ الذى لهم » ، رواه الإمام أَحمد عن عبد الله بن زيد بن عاصم فى ذِكْر قسم غنائم هوازن فى المُؤَلَّفة [قلوبهم] ، وفى آخره : « إنكم سَتَلْقَوْن بعدى أَثَرة فاصْبِروا حتى تَلْقَوْنى على الحَوْض[2] » ، رواه الشيخان . وعن أَبى طلحة يرفعه : « أَقْرِئ قَوْمَك السلام فإنهم ما علمت أَعفَّة صُبُر » ، حديث حسن صحيح ، رواه الترمذى والبَزّار .

وعن عائشة رضى الله عنها ترفعه : « ما يَضُرّ امرأَةً نزلت بين بيتين من الأَنصار أَو نزلت بين أَبويها » ، رواه الإمام أَحمد والبَزّار . وعن أَبى هريرة رضى الله عنه يرفعه : « أَسلمت الملائكة طَوْعاً ، وأَسلمت الأَنصار طَوْعاً وأَسلمت عبد القَيْس طوعاً » ، حديث حسن رواه الطبرانى فى الأَوسط .

---

(١) هو كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى الخزرجى ، لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بينه وبين طلحة بن عبيد الله . ولم يشهد بدرا ولكنه تخلف عن غزوة تبوك مع اثنين آخرين هما مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية . فأنزل الله عز وجل فى هؤلاء الثلاثة الآيتين ١١٧ و ١١٨ من سورة التوبة حيث تاب عليهم بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وكان كعب من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة . قال ابن سيرين كان كعب يخوف المشركين الحرب وحسان يقبل على الأنساب وابن رواحة يعيرهم بالكفر ، روى له جماعة من التابعين كما روى له الستة وتوفى سنة ٥٣ هـ أو ٥٥ هـ وله ديوان طبع أخيرا ، انظر ترجمته فى أسد الغابة (جـ ٤ ص ٢٤٧ : ٢٤٨) والإصابة (جـ ٥ ص ٣٠٨ : ٣٠٩ رقم ٧٤٢٧) ونكت الهميان (ص ٢٣١ : ٢٣٣) وسيرة ابن هشام فى مواضع متفرقة أخصها ما جاء فى جـ ٤ ص ١٨٧ : ١٩٤ .

(٢) أخرجه البخاري عن أنس في كتاب المناقب (جـ ٥ ص ١١٣) .

وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « ألاَ إن لكل نبىّ تَرِكة وضَيْعَة ، وإن تركتى وضيعتى الأنصار فاحفظونى فيهم » ، رواه الطبرانى فى الأوسط . وعنه يرفعه : « الأنصار أحِبَّائى ، وفى الدين إخوانى وعلى الأعداء أعوانى » ، غريب رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

تنبيه فى غريب ما سَبَق

« ألْسُناً » جمع لسان . « قَيْلَة » بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ، أمّ الأوْس والخزرج. « الْتَقَم أذُنَه » أى سَارَّه بشىء . « الأسارير » : خطوط الجبهة واحدها سِرّ أو سِرَر[1] والجمع أسرار ، وأسارير جمع الجمع ، وفى تكملة الصغانى عن بعض أهل اللغة هى الخَدَّان والوجنتان ومحاسن الوجه « إزائى » بالزاى أى حذائى أى بالقرب منى . « السِّكَك » جمع سِكَّة بالكسر الزقاق . « الدِّثَار » بالكسر والمثلثة ما يتدَثَّر به الإنسان ، وهو ما يلقيه عليه من كِساء وغيره فوق الشِّعار . « الشِّعَار » : ما وَلِىَ الجَسَد ، سُمِّى بذلك لأنه يلى الشَّعْر ، المعنى أنهم الخاصة والبطانة . « الشِّعْب » : بالكسر الطريق فى الجَبَل . « الدَّبْر[2] » : بفتح الدال المهملة وسكون المُوَحَّدة يقال لجماعة النحل والزنابير أيضاً قيل وهو المراد هنا . « الأَقلح[3] » : بالقاف والمهملة . « قِسْمًا » : بكسر القاف أى نصيباً . « طريداً » : أى مُخْرَجاً من / بلده . ٣٩٣ و « المِلْحَفة » : بكسر الميم المُلاَءة التى يُلْتَحف بها . « مُتَعَطِّفاً بها[4] » : أى ثانياً طَرَفَىْ الملحفة على كتفيه . « دَسْمَاء » : أى سوداء . « الكَرِش » : كَكَتِف ويُخَفَّف ، والمراد هنا ما يحفظ فيه نَفيس المتاع . « العَيْبَة » من الرجل موضع سِرِّه وأمانته . « أثَرَة » : بفتح الهمزة والمثلثة الاسم من آثر يؤثر إيثاراً إذا أعطى أراد أن يستأثر عليكم فيفضل غيركم

---

(١) فى الصحاح سَرر وجمعها أسرار كعنب وأعناب ولكن جاء فى النهاية (جـ ٢ ص ١٥٧) فى حديث عائشة رضى الله عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : تبرق أسارير وجهه : الأسارير الخطوط التى تجتمع فى الجبهة وتتكسر واحدها سر أو سرر وجمعها أسرار وجمع الجمع أسارير . وهكذا جاء فى التاج .

(٢) فى النهاية : أرسل الله عليهم مثل الظلة من الدبر ، هو بسكون الباء النحل وقيل الزنابير والظلة السحاب .

(٣) أبو الأقلح كنية جد عاصم بن ثابت الذى قتل يوم الرجيع وقد حمت جثته الدبر ، والقلح فى اللغة صفرة تعلو الأسنان ووسخ يركبها ، والرجل أقلح والجمع قلح .

(٤) المعطف الرداء وقد تعطف به واعتطف وتعطفه واعتطفه وسمى عطافا لوقوعه على عطفى الرجل وهما ناحيتا عنقه ، عن النهاية (جـ ٣ ص ١٠٦) .

فى نصيبه من النوء . « أَعِفَّة[1] » [جمع عفيف وهو من يَكُفّ عما لا يحل ولا يَجْمُل][2] « صُبُر » : بضم أوله وثانيه جمع صَبِير[3] وهو هنا مُقَدَّم القوم . « التَّركة » : الشيء المتروك أى الذى تركه الميت لوارثه . « الضَّيْعَة[4] » : بالفتح العَقار .

---

(١) وفى الحديث : فإنهم ما علمت أعفة صبر ، وأعفة جمع عفيف ، عن النهاية (ج ٣ ص ١١٠) .

(٢) بياض فى الأصول بقدر بضع كلمات .

(٣) فى التاج : والصبير أيضا مقدم القوم وزعيمهم الذى يصبر لهم ومعهم فى أمورهم .. والجمع كالواحد وقيل الجمع صبر بضمتين .

(٤) فى التاج : الضيعة العقار نقله الجوهرى وقال ابن فارس تسميتهم العقار ضيعة ما أحسبها من اللغة الأصلية وأظنها من محدث الكلام قال : سمعت من يقول إنها سميت ضيعة لأنه إذا ترك تعهدها ضاعت فإن كان كذا فهو دليل ما قلناه إنه من الكلام المحدث .

وفى القاموس : الضيعة الأرض المغلة .

الباب الثالث

فى بَدْء إسلامهم رضى الله عنهم

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له ناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله تعالى وإلى الإسلام ويَعْرِض عليهم نفسه وما جاءهم به من الله تعالى من الهُدَى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يَقْدَم مكة من العرب له اسْم وشَرَف إلا تَصَدَّى له ودعاه إلى الله تعالى وعَرَض عليه ما عنده[1] . وروى ابن إسحق بسَنَد جَيِّد عن محمود بن لبيد قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنس[2] بن رافع [مكة] - فيما ذكره ابن إسحق ، وبشْر فيما ذكره الزبير بن بَكَّار - فى فِتْيَة من قومه بنى عبد الأشهل يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمِع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم : « هل لكم فى خَيْرٍ مما جِئْتُم له ؟ » . فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يُشْركوا به شيئاً وأنزل علىّ الكتاب » ، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن مُعَاذ ، وكان غلاماً حَدَثاً : « أىْ قوم هذا والله خَيْرٌ مما جئتم له » . فأخذ أبو الحَيْسَر أنَس بن رافع حَفْنَةً من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن مُعَاذ ، وقال : دَعْنا منك فلَعَمْرِى لقد جئنا لغير هذا . فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم [وانصرفوا[3]] إلى المدينة . وكانت وقعة بُعَاث[4] بين الأوس والخزرج ثم لم يلبث إياس بن مُعَاذ أن هلك .

---

(١) هذه الفقرة مما رواه ابن إسحق فى سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٤ .

(٢) فى جوامع السيرة لابن حزم ص ٦٩ أنيس بالتصغير ولكنه فى سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٣٦) أنس وكذلك فى أسد الغابة (جـ ١ ص ١٢٤) وهو فى الأخير أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أبو الحيسر قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى فتية من بنى عبد الأشهل .. إلى آخر الخبر بإسناد ابن إسحق وقد أخرجه ابن منده وأبو نعيم .

(٣) ساقطة من الأصول والتكلة من ابن هشام

(٤) فى معجم البكرى (جـ ١ ص ٢٥٩ : ٢٦٠) بعاث بضم أوله وبالثاء المثلثة موضع على ليلتين من المدينة فيه كانت الوقيعة واليوم المنسوب إليه بين الأوس والخزرج . وذكر عن الخليل بغاث بالغين المعجمة ولم يسمع من غيره .

قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حَضَرَهُ من قومى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهَلِّل اللهَ تعالى ويُكَبِّره ويُسَبِّحه حتى مات ، فما كانوا يَشُكُّون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سَمِع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

وروى أبو زُرْعَة الرازى فى دلائل النبوة له بسَنَد حَسَن ، والحاكم وصَحَّحه عن معاذ ابن رفاعة بن رافع عن أبيه عن جَدِّه[1] أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء[2] حتى قدما مكة ، فلما هبطا مِّن الثَّنِيَّة ، رأى رجلاً تحت شجرة . قال : وهذا قبل خروج الستة من الأنصار ، فلما رأيناه قلنا نأْتى هذا الرجل لنستودعه راحلتنا حتى نطوف بالبيت ، فجئنا فسَلَّمنا عليه تسليم أهل الجاهلية ، فرَدَّ علينا تسليم أهل الإسلام ، وقد سَمِعْتُ بالنبى ، فأنكرنا فقلنا : من أنت ؟ قال : « انزلوا » ، فنزلنا فقلنا : أين هذا الرجل الذى يَدَّعى ما يَدَّعى ويقول ما يقول ؟ قال : « أنا هو » . قلنا : أَعْرِض علينا الإسلام ، فعَرَض ، وقال : « من خلق السموات والأرض والجبال ؟ » قلنا : خلقهُنّ الله عز وجل . قال « فَمَنْ خلقكم ؟ » قلنا : الله عز وجل . قال : « فمن عَمِل هذه الأصنام التى تعبدون ؟ » قلنا : نحن . قال : « الخالق أحق بالعبادة أو المخلوق ؟ » قلنا : الخالق . قال : « فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم وأنتم عَمِلْتُمُوهُنّ / والله أحق أن تعبدوه من شىء عَمِلْتُمُوه وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل وشهادة ألَّا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وصِلَة الرَّحِم وتَرْك العِدوان وإن غَضِب الناس » . فقالا : لو كان هذا الذى تدعو إليه باطلاً [لَمَا[3]] كان من معالى الأُمور ومحاسن الأَخلاق ، فأَمْسِك راحلتنا حتى نأْتى البيت . فجلس عنده مُعَاذ بن عفراء .

٣٩٣ ظ

قال رافع : فَجِئْتُ البيت فطُفْتُ وأَخرجتُ سبعة أقداح وجعلتُ له بينها قِدْحاً ، فاستقبلتُ البيت وقلت : اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقاً فأَخْرِجْ قِدْحَه سبع مرات ، فضربت بها سبع مرات ، فَصِحْتُ : « أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله » . فاجتمع

---

(١) نسب جده كما فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ٣٣٨) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو ابن عامر بن زريق ، ورافع هذا عقبى بدرى .

(٢) هو معاذ بن الحارث الأنصارى من الخزرج يعرف بابن عفراء وهى أمه شهد بدرا هو وأخواه عوف ومعوذ توفى فى خلافة عثمان وقيل فى خلافة على . انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٧٨ : ٣٨٠ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الناس عَلَىَّ وقالوا : مجنون رَجُلٌ صَبَأَ[1] ، فقلت : بل رجل مؤمن ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فلما رآنى مُعَاذ بن عَفْرَاء قال : لقد جئتَ بوجهٍ ما ذهبتَ بهِ يا رافع ، لقد جئتَ وآمنت . وعَلَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سورة يوسف ، [وسورة العَلَق] : « اقرأْ باسم ربك الذى خَلَق ، خَلَق الإنسانَ من عَلَق » . ثم خرجنا راجعين إلى المدينة .

بيان غريب ما سبق

« الحِلْف » ــ بكسر الحاء وسكون اللام : المُعَاقَدَة والمُعَاهدة على التعاضد والاتفاق . « أبو الحَيْسَر » : بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها سين مهملة ثم راء ، ذكره ابن مَنْدَه فى الصَّحَابة ، وذكره الحافظ فى الإصابة فى الأَسماء وفى الكُنَىَ فى القسم الرابع فيمن ذُكِر فى الصحابة غَلَطاً . « إياسَ بن مُعَاذ » : ذكره ابن السَّكَن وابن حِبَّان فى الصحابة ، وذكره البخارى فى تاريخه الأوسط فيمن مات على عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأَولين والأَنصار . « الثَّنِيَّة » : كل عَقَبَة مسْلوكة . « الأَقداح » : جمع قِدْح ـ بكسر القاف ـ وهو عود السهم إذا قُوِّم وإلى أن يُرَاش فإذا رُكِّب فيه النَّصْل وريش فهو سهم ، والمراد هنا السهم الذى يستقسمون به .

---

(١) جاء فى التاج : صبأ يصبأ ويصبو كمنع وكرم صبأ وصبوءاً بالضم وصبوءاً بالفتح خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أى تخرج من مطالعها قاله أبو عبيدة وفى التهذيب صبأ الرجل فى دينه يصبأ صبُوءا إذا كان صابئا . وفى النهاية (جـ٢ ص ٢٤٨) فى حديث بنى جذيمة : كانوا يقولون لما أسلموا : صبأنا صبأنا . يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره من قولهم صبأ ناب البعير إذا طلع وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها . وكانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه وسلم الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ويسمون من يدخل فى دين الإسلام مصبوا لأنهم كانوا لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واواً ويسمون المسلمين الصباة بغير همز كأنه جمع الصابى غير مهموز كقاض وقضاة وغاز وغزاة

الباب الرابع

فى ذِكْر يوم بُعَـاث

قالت عائشة رضى الله عنها : « كان يوم بُعَاث يوماً قَدَّمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افْتَرَق مَلَؤُهم وقُتِلت سَرَواتُهم وجُرِّحوا ، فقَدَّمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى دخولهم فى الإسلام » . رواه البخارى[1] .

[بيان غريبه]

« بُعَاث » : بضم المُوَحَّدة ، وحَكَى القَزَّاز فى الجامع فَتْحَها وبتخفيف العَيْن المهملة وآخره المثلثة – قال الجمهور – وقال ابن دُرَيْد : وذُكِر عن الخليل إعجامُها ولم يُسْمَع من غيره وإنما هو بالعين المهملة . وذكر الأزهرى أن الذى صَحَّفَهُ اللَّيْث عن الخليل . وذكر القاضى أن الأصيلى[2] أحد رواة الصحيح رواه بالوَجْهَيْن أى بالغين المعجمة والعين المهملة ، وأن وجهاً واحداً هو الذى وقع فى رواية أَبى ذَرّ بالغين المعجمة . ويُقَال إن أبا عُبَيْدَة ذكره بالمعجمة أيضاً . وبُعَاث : مكان ويقال حِصْن، وقيل مزرعة عند بنِي قُرَيْظة على ميلين من المدينة كانت به وَقْعَة بين الأوس والخزرج قُتِل فيه كثير منهم ، وكان رئيس الأوْس فيه. حُضَيْر – بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية بعدها راء – والد أسيد بن حُضَيْر ، وكان يقال له : حُضَيْر الكتائب ، وبه قُتِل[3] ، وكان رئيس

---

(١) إسناده كما أخرجه البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٠٨) حدثنى عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموى المعروف بالأصيلى من أهل أصيلة توفى سنة ٣٩٢ هـ كان من كبار أصحاب الحديث والفقه . سمع بقرطبة وفاس ورحل إلى المشرق سنة ٣٥١ حيث سمع بمصر وبمكة صحيح البخارى من أبى زيد محمد بن أحمد المروزى عن محمد بن يوسف الفربرى عنه . ثم رحل إلى العراق وأكثر الجمع والرواية وعاد إلى الأندلس حيث ألف كتابا فى اختلاف مالك والشافعى وأبى حنيفة سماه كتاب الدلائل على أمهات المسائل . ترجم له ابن الفرضى فى تاريخ العلماء والرواة بالأندلس (ج ١ ص ٢٩٠ : ٢٩١ رقم ٧٦٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤م) والحميدى فى جذوة المقتبس (ص ٢٣٩ : ٢٤٠ رقم ٥٤٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م) .

(٣) وبه قتل ، الضمير فى « به » عائد على اليوم أى يوم بعاث .

٣٩ و الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى فقُتِل بها[١] أيضاً . وكان النَّصر / فيها أولاً للخزرج ثم هُزِم حُضَيْر فرجعوا وانتصرت الأوس وجُرِح حُضَيْر يومئذ فمات منهزماً ، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بأربعين سنة وقيل بأكثر . قال الحافظ : « الأَول أَصَحّ » . وذكر أبو الفرج الأموى أن سبب ذلك كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يُقْتَل بالحليف ، فقتل رجل من الأوس حليفاً للخزرج ، فأرادوا أن يُقِيدوه ، فامتنعوا ، فوقعت بينهما الحرب لأجل ذلك ، فقُتِل فيها من أكابرهم من كان لا يُؤْمَن أن يَتَكَبَّر ، ويأنف أن يدخل فى الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره ، وقد كان بَقِى منهم من هذا النحو عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول كما سيأتى بيان ذلك . « سَرَوَاتُهم[٢] » : بفتح المهملة والراء المخففة والواو ، أى خيارهم ، والسَّرَوَات جمع السَّرَاة ـ بفتح المهملة وتخفيف الراء ـ والسَّرَاة جمع السَّرِىّ وهو الشريف « جُرِحوا » للأكثر بضم الجيم والراء المكسورة مُثْقَلاً ومُخَفَّفاً فحاء مهملة ، وعند الأصيلى بجيمين جَرِجُوا أى اضطرب قولهم ، من قول العَرَب جَرِجَ الخاتَم إذا جال فى الإصبع ، وعند ابن أبى صُفْرَة بحاء مهملة مفتوحة من الحَرَج : أى ضيق الصدر ، وعند المستملى وعبدوس والقابسى : « وخرجوا » بفتح الخاء المعجمة والراء من الخروج ، وصَوَّب ابن الأثير الأول وقال صاحب التقريب إنه المشهور ، وصوب غيره الثالث[٣] .

---

(١) فقتل بها : الضمير عائد على الوقعة .

(٢) فى المصباح : السرى الرئيس والجمع سراة وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير لأنه لا يجمع فعيل على فعلة ، وجمع السراة « أى جمع الجمع » سروات هذا وقد وردت كلمة سراة فى الشعر الجاهلى قال : الأفوه الأودى .

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم . . ولا سراة إذا جهالهم سادوا

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ م ص ١١٠ والطرائف الأدبية ص ١٠ القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

(٣) أورد أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى (ج ١٧ ص ١١٧ : ١٣١ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م) . أخبارا عن يوم بعاث أوفى مما ذكره المؤلف وذلك فى الفصل الذى عقده عن نسب أبى قيس بن الأسلت ، وكذلك السمهودى فى وفاء الوفا (ج ١ ص ١٥٢ : ١٥٦) (الفصل السادس فيما كان بين الأوس والخزرج من حرب بعاث) ولخص أخبار هذه الحرب عز الدين بن الأثير فى الجزء الأول من كتاب الكامل فى التاريخ (ص ٢٨٦ : ٢٨٨ طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) وكان يحسن بالمؤلف أن يبسط القول فى حرب بعاث لما كان لها من أثر فى نجاح بيعة العقبة وتوطيد دعائم الدعوة الإسلامية كما يدل على ذلك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها الذى أخرجه البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٠٨) .

الباب الخامس

فى بَيْعَة العَقَبَة الأُولَى

وكانت فى رجب . وقال الزهرى وابن عُقْبَة وابن إسحق : «فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المَوْسِمِ الذى لَقِىَ فيه النفر من الأنصار ، فَعَرَض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم . فبينما هو عند العقبة لَقِىَ رَهْطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فقال لهم : «من أنتم» ؟ قالوا : نَفَر من الخزرج . قال : «أَمِن موالى يهود ؟» قالوا : نعم . قال : «أفَلَا تجلسون أُكَلِّمُكم ؟» قالوا : بلى ، من أنت ؟ فانتسب لهم وأخبرهم خَبَرَه . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم [به][1] من الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا [هم] أهْلَ شِرْك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عَزُّوهم[2] ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظَلَّ زمانُه ، نَتَّبِعه فنقتلكم قَتْلَ عادٍ وإرَم .

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفته ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم تَعَلَّمُوا والله إنه لَلنَّبِىّ الذى تُوعِدكم به يهود فلا تَسْبِقَنَّكُم إليه [فأجابوه إلى ما دعاهم إليه[1]] بأن صَدَّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام . ثم قالوا : قد علمت الذى بيننا من الاختلاف وسفك الدماء ، ونحن حِرَاصٌ على ما أرسلك الله به ، مجتهدون لك بالنصيحة ، وإنا لنشير عليك برأينا ، فامكث على رِسْلك باسم الله حتى نرجع إلى قومنا ، فنذكر لهم شأنك ، وندعوهم إلى الله ورسوله ، فلعل الله يصلح ذات / بينهم ويجمع لهم أمرهم ، فإنا اليوم متباغضون متباعدون ، ولكنا نواعدك الموسم من العام المقبل . ٣٩٤ ظ

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٣٨)

(٢) بالعين المهملة ، عز فلانا يعز عزا من باب نصر ، غلبه وقهره .

فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصَدَّقوا .

وهم فيما ذكر ابن اسحق فى رواية ستة نفر من الخزرج :

[١] [من بنى النَّجَّار[1]] : أَبو أُمامة أسعد بن زُرَارة – بضم الزاى – [ابن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار] .

[٢] عوف بن الحارث ابن رِفاعة – بكسر الراء وبالفاء – [ابن الحارث بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار] وهو ابن عَفْراء .

[٣] ومن بنى زُرَيْق – بتقديم الزاى على الراء – [ابن عامر ابن زُرَيْق بن عبد حارثة ابن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج] : رافع بن مالك بن العَجْلان . قال ابن الكلبى : وهو أول من أسلم من الأنصار .

[٤] ومن بنى سَلِمَة – بلام مكسورة – [ابن سعد بن على بن أسد] : قُطْبَة –بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبالموحدة – ابن عامر [بن حَدِيدة بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمَة بن سعد بن على بن أسد بن سارِدة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة] .

[٥] ومن بنى حَرَام [بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلِمة] : عُقْبَة –بضم العين المهملة وسكون القاف – ابن عامر بن نَابِى – بنون فألف فباء مُوَحَّدة فمثناة تحتية – [ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن سَلِمَة] .

[٦] ومن بنى عبيد[2] [بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة] : جابر بن عبد الله [بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ..] .

وفى رواية جرير بن أَبى حازم عن ابن إسحق بدل عُقْبَة بن عامر ، مُعَاذ بن عفراء ، وعند موسى بن عقبة عن الزهرى عن عُروة أنهم ثمانية . وهم : مُعَاذ بن عفراء[3] ، وذَكْوَان– بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف – ابن عَبْد قيس[4] [بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر بن

---

(١) ما بين أقواس معقفة زيادة من سيرة ابن هشام وجوامع السيرة لابن حزم وجمهرة أنساب العرب له .

(٢) فى الأصول عقيل والتصويب من سيرة ابن هشام .

(٣) هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل .

(٤) وذكوان هذا رحل إلى مكة فسكنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مهاجرى أنصارى قتل يوم أحد ، عن جوامع السيرة لابن حزم ص ٧١ .

زُرَيْق[1]] ، وعُبَادة – بضم العين المهملة فباء مُوَحَّدة – ابن الصامت [بن قيس بن الأَصرم ابن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن الخزرج بن حارثة] ، وأبو عبد الرحمن يزيد ابن ثعلبة [بن خَزْمَة بن أَصْرَم بن عَمْرو بن عَمَّارةَ من بنى غُصَيْنَة ثم من بَلِيّ حليف لهم] . وأبو الهيثم بن التَّيِّهان [بن جُشَم بن الحارث[2]] ، وعُوَيْم – بضم العين المهملة وفتح الواو وسكون المُثَنَّاة التحتية – بن ساعدة [من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة] .

[بيان ما سبق]

« العقبة الأُولى » : قال المحب الطبرى[3] : « الظاهر أنها العَقَبة التى تُضاف إليها الجمرة إذ ليس أظهر منها وعن يسار الطريق لقاصد مِنى من مكة شِعْبٌ قريبٌ منها ، فيه مسجد مشهور عند أهل مكة أنه مسجد البيعة ، وهو على نَشَزٍ من الأرض ، ويجوز أن يكون المراد من العقبة ذلك النَّشَز ، وعلى الأول يكون قد نُسِب إليها لِقُرْبِهِ منها » قال فى النور : « وجزم غيره بأن البيعة التى وقعت عندها البيعة هى العقبة التى تضاف إليها الجمرة[4] » .

« موالى يهود » : أى حلفاؤهم ، وهم سُمُّوا حلفاء لأنهم تحالفوا على التناصر والتعاضد .

« الرَّهْط » : بسكون الهاء وتُفْتَح دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى أربعين .

« يهود » : لا ينصرف للعلمية والتأنيث .

« أَظَلَّ زمانه » : بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى قَرُب ودَنَا .

« قَتْلَ عَادٍ وإرم » : أى نستأصلكم .

« تَعَلَّمُوا » : بفتح اللام المُشَدَّدَة ومعناه اعلموا .

---

(١) تكلة النسب من ابن هشام وجوامع السيرة وكذلك ما بين الأقواس المعقفة التالية .

(٢) أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس ، أما من سبق ذكرهم فهم من الخزرج ، ويلاحظ أن المؤلف خلط بين الستة الأول الذين مهدوا للدعوة وبين رجال العقبة الأولى وعدتهم اثنا عشر .

(٣) هو محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتب فى التفسير والتاريخ ومن مؤلفاته : الرياض النضرة فى مناقب العشرة (طبع فى القاهرة فى جزئين سنة ١٣٢٧ هـ) وذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى (القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ) انظر شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٢٥ : ٤٢٦ .

(٤) لم يحدد الأزرقى فى كتابه أخبار مكة (جـ ٢ ص ١٦٦ : ١٦٧ ، طبعة مكة سنة ١٣٥٢ هـ) تحت عنوان ذكر مسجد البيعة وما جاء فيه موقع هذا المسجد ولكن علق محقق الكتاب رشدى الصالح ملحس على ذلك بقوله : مسجد البيعة على يسار الذاهب إلى منى بينه وبين العقبة التى هى حد منى مقدار غلوة أو أكثر ويسمى الموضع الذى فيه المسجد : شعب البيعة أو شعب الأنصارى .

الباب السادس

فى بَيْعَة العَقَبة الثانية

قال ابن إسحق : فلما كان العام المُقْبِل وَافَى المَوْسِم من الأَنصار اثنا عشر رجلاً ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يُفْرَض عليهم الحرب ، وهم : أَسْعَد بن زُرَارة ، وذَكْوَان بن عبد قيس الزرقى ، وعُبَادة بن الصامت ، والعباس بن عُبَادة بن نَضْلَة – بالنون والضاد المعجمة – وقُطْبَة بن عامر [بن حَدِيدة] ، وعُقْبَة بن عامر [بن نابى] ، وعوف بن الحارث – بالفاء – [ابن رفاعة] ، وعُوَيْم بن ساعدة ، ومالك بن التيهان – بمثناة تحتية مُخَفَّفة عند أهل الحجاز وعند غيرهم بتشديدها – ومُعوِّذ[1] – بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فواو مكسورة مُشَدَّدة فذال معجمة – ابن الحارث ، أخو عوف السابق ، ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن البلوى حليف لهم . فبايع هؤلاءِ على بيعة النساء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الشيخان والبيهقى ، واللفظ له عن عُبَادة بن الصامت رضى الله عنه قال : «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة / النساء وذلك قبل أن تُفْتَرَض علينا الحرب ، على أَلَّا نُشْرِك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أَولادنا ، ولا نأْتى ببُهْتَان نفتريه من بَيْن أيدينا وأَرجلنا ولا نعصيه فى معروف . قال : «فمن وَفَى ذلك منكم فأَجْرُه على الله» ، وفى لفظ : «فله الجَنَّة» ، «ومن أَصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو له كَفَّارة وطهور ، ومن أَصاب من ذلك [شيئاً][2] فَسَتَرَهُ اللهُ فأَمْرُه إلى الله إن شاء عَذَّب وإن شاء غفر» . فبايعناه على ذلك .

٣٩٥ و

---

(١) أبناء الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك من بنى النجار ، هم ثلاثة وهم : معاذ ومعوذ وعوف وهم بنو عفراء بنت عبيد بن ثعلبة هكذا ذكرهم ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ وابن حجر فى الإصابة (ج ٥ ص ٤٢ فى ترجمته لعوف بن الحارث رقم ٦٠٨٧) وترجم ابن الأثير فى أسد الغابة لمعاذ ومعوذ ولم يترجم لعوف وإنما ذكر سميا له هو عوف بن الحارث ونسبه يختلف عن نسب عوف بن الحارث بن رفاعة مما يدل على أنه شخص آخر .

(٢) زيادة من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٠) .

قال ابن إسحق : «فلما انصرف القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب ابن عُمَيْر [بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ[1]] » . وذكر ابن إسحق فى رواية[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مُصْعَباً حين كتبوا إليه بِبَعْثِه إليهم ، وهو الذى ذكره [موسى[3]] بن عُقْبَة إلا أنه جعل المَرَّة الثانية هى الأُولى . قال البيهقى : «وسياق ابن إسحق أتَمّ[4] » . قال ابن إسحق : «وأَمَرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقْرِئَهم القرآن ويُعَلِّمَهُم الإسلام ويُفَقِّهَهم فى الدين ، فكان يسمى فى المدينة المُقْرِىء والقارىء ، وكان مَنْزَلُه على أسعد بن زُرَارَة [بن عُدَس أَبى أُمَامة[5]] ، وذلك أن الأَوس كَرِه بَعْضُهم أن يَؤُمَّه بعض . وقوله «على بيعة النساء» يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابُه ليلة العقبة ، وليس هذا بعجيب فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب . «تنبيه» : ذكروا هنا أن أَسعد بن زُرَارة أول من جَمَّع بالصحابة قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

---

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) رواية رواها البيهقى عن ابن إسحق قال: حدثنى عاصم عن عمر عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعبا حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم .

(٣) زيادة من البداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٥١) .

(٤) زاد ابن كثير : وقال ابن إسحق : فكان عبد الله بن أبى بكر يقول : لا أدرى ما العقبة الأولى ثم يقول ابن إسحق : بلى لعمرى قد كانت وعقبة عقبة .

(٥) زيادة من ابن هشام .

الباب السابع

فى إسلام سعد بن مُعَاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر رضى الله تعالى عنهما .

روى ابن أَبى الدنيا[1] والخرائطى والبيهقى عن عبد المجيد بن أَبى عيسى عن أَبيه عن جَدِّه ، وابن عساكر عن البخارى فى تاريخه الأَوسط عن شيخه أَبى محمد الكوفى قالا : سَمِعَتْ قُرَيْش قائلاً يقول فى الليل على أَبى قُبَيْس :

فإن يُسْلِمْ السَّعْدَانُ يُصْبِحْ محمدٌ ⁂ بمكةَ لا يخشى خلاف المُخَالِفِ

فلما أَصبحوا قال أَبو سفيان ـ وفى لفظ قريش ـ «مَنْ السَّعْدَان ؟» «أَسَعْدُ بن بكر أَم سعد بن هُذَيْم[2] ؟ » فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول :

فياسَعْدَ سَعْدَ الأَوس كُنْ أَنت ناصراً ⁂ ويا سَعْدَ سَعْدَ الخزرجيين الغَطَارِفِ

أَجيبا إلى داعى الهُدَى وَتَمَنَّيَا ⁂ على الله فى الفِرْدَوْسِ زُلْفَةَ عارِفِ[3]

فإنَّ ثوابَ الله للطالِبِ الهُدَى ⁂ جِنَانٌ من الفِرْدَوْسِ ذاتُ زخارِفِ[4]

فقالت قريش : هذا سعد بن معاذ وسعد بن عُبَادة :

وروى ابن إسحق : وحَدَّثَنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب ، وعبد الله بن أَبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزْم أَن أَسعد بن زُرَارة خرج بمُصْعَب بن عُمَيْر ، يريد به دار

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبى سفيان المعروف بابن أبى الدنيا المحدث العالم الصدوق،عده الذهبى من حفاظ الطبقة العاشرة (تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٢٢٤ : ٢٢٥) له مصنفات كثيرة فى الزهد والرقائق (أورد ابن النديم فى الفهرست (ص ٢٦٢) ثبتا بها وطبع منها كتاب ذم الدنيا ، ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ٨٩ : ٩١ رقم ٥٢٠٩) ترجمة مطولة نوعا وقال بأنه كان يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء توفى سنة ٢٨١ هـ وله ترجمة مختصرة فى فوات الوفيات لابن شاكر (جـ ١ ص ٤٩٤) وكذلك فى البداية والنهاية (جـ ١١ ص ٧١) .

(٢) فى السهيلى : « فحسبوا أنه يريد بالسعدين القبيلتين : سعد هذيم من قضاعة ، وسعد بن زيد مناة بن تميم » وفى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، أجذام سعد هزيم (ص ٤١٨ : ٤٢١) وأجذام سعد بن زيد مناة (ص ٢٠٤ : ٢١١)

(٣) فى الروض الأنف جـ ١ ص ٢٧٢ : منية عارف .

(٤) فى البداية والنهاية لابن كثير (جـ ٣ ص ١٦٥) : ذات رفارف .

بنى عبد الأَشهل ودار بنى ظَفَر ، وكان سعد بن مُعَاذ [بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأَشهل[1]] ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظَفَر فجلسا فيه ، واجتمع إليهما رجال مِمَّنْ أَسْلَمَ ، وسعد بن مُعَاذ ، وأُسَيْد بن حُضَيْر / يومئذٍ ٣٩٥ ظ سَيِّدا قومهما من بنى عبد الأَشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قَوْمِه ، فلما سَمِعا به قال سعد ابن معاذ لأُسَيْد بن حُضَيْر : لا أَبا لك ، انْطَلِقْ إلى هذَيْن الرجلَيْن اللذين قد أَتيا دارَنا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءنَا ، فازْجُرْهما وانْهَهُما عن أَن يأْتيا دارَنا ، فإنه لولا أَن أَسعد بن زُرَارة مِنِّى حيث قد عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذلك ، فهو ابن خالتى ولا أَجد عليه مقدماً . [قال] : فأَخذ أُسَيْد بن حُضَيْر حَرْبَتَه ، ثم أَقبل إليهما . فلما رآه أسعد بن زُرَارة قال لمُصْعَب بن عُمَيْر : هذا سَيِّدُ قومه فاصدُق اللهَ فيه . قال مصعب : إن يجلِسْ أُكَلِّمْه . [قال] : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ، قال : ما جاء بكما إلينا تُسَفِّهان ضُعَفَاءنَا ؟ اعْتَزِلانا إن كانت لكما بأَنفسكما حاجة فقال له مُصْعَب : أَوَ تجلس فتسمع ، فإن رَضِيتَ أَمراً قَبِلْتَه وإن كَرِهْتَه كُفَّ عنك ما تكره ؟ فقال : أَنْصَفْتَ . ثم رَكَز حَرْبَتَه وجلس إليهما ، فَكَلَّمَه مصعب بالإِسلام وقرأَ عليه القرآن . فقالا فيما يُذْكَر عنهما : والله لعَرَفْنَا فى وجهه الإِسلام قبل أَن يتكلم به فى إشراقه وتَسَهُّلِه ، ثم قال : ما أَحسن هذا الكلام وأَجْمَلَه ! كيف تصنعون إذا أَردتم أَن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تَغْتَسِل فَتَطَّهَّر وتُطَهِّر ثوبَيْك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تُصَلِّى . فقام فاغتسل وطَهَّر ثوبَيْه وتَشَهَّد بشهادة الحق ، ثم قام فصلى ركعتَيْن ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلاً إن اتَّبَعَكُما لم يتخلَّف عنه أَحَدٌ من قومه ، وسأُرسله إليكما الآن : سَعْد بن مُعَاذ ، ثم أَخذ حَرْبَتَه وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوسٌ فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقْبِلاً قال : أَحْلِف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلتَ ؟ قال : كَلَّمْتُ الرجُلَيْن فوالله ما رأَيتُ بهما بأْساً وقد نَهَيْتُهُمَا فقالا : نفعل ما أَحببت ، وقد حُدِّثْتُ أَن بنى حارثة قد خرجوا إلى أَسعد بن زُرَارة ليقتلوه ، وذلك أَنهم قد عرفوا أَنه ابن خالتك ليُخْفِروك . قال : فقام

---

(١) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٤٣ .

سعد مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً للذى ذُكِرَ له من أمر بنى حارثة . فأخذ الحَرْبَةَ من يده ، ثم قال : والله ما أراك أَغْنَيْتَ شيئاً . ثم خرج إليهما ، فلما رآهما مُطْمَئِنَّيْن عرف سعد أن أُسَيْداً إنما أراد أن يسمع منهما . فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ، ثم قال لأسعد بن زُرَارة : يا أبا أُمَامَة أَمَا والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا مِنِّى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ وقد قال أسعد بن زُرَارة لمُصْعَب بن عُمَيْر : أَىْ مُصْعَب : جاءك والله سَيِّدٌ مَنْ وراءه من قومه إن يَتْبَعْكَ لا يَتَخَلَّفْ عنك منهم اثنان . قال : فقال له مُصْعب : أو تقعد فتسمع ؟ فإن رَضِيتَ أمْرًا ورَغِبْتَ فيه قَبِلْتَه ، وإن كَرِهْتَه عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أنْصَفْتَ . ثم رَكَزَ الحَرْبَةَ وجلس ، فعَرَض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن .

قالا : فعَرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتَسَهُّله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فَتَطَّهَّر وتُطَهِّر ثوبَيْك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تُصَلِّى ركعتَيْن . ثم أخذ حَرْبَتَه فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أُسَيْد بن حُضَيْر ، فلما رآه قَوْمُه مُقْبِلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سَيِّدُنا وأفْضَلُنا رأياً وأيْمَنُنَا نقيبةً . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عَلَىَّ حَرَام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، حاشا / الأُصَيْرِم وهو عَمْرو بن ثابت بن وَقْش[1] فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أُحُد فأسلم واستُشْهِد ولم يسجد لله سجدة ، وأَخْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة . قال ابن إسحق : ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرَارة ، فأقاما عنده

٣٩٦ و

(١) هو عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى الأوسى استشهد يوم أحد وهو الذى قيل فيه إنه دخل الجنة ولم يصل صلاة ، وذلك أنه كان يأبى الإسلام فلما كان يوم أحد ، بدا له الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه فقاتل فأثبتته الجراح ، فخرج رجال بنى عبد الأشهل يتفقدون رجالهم فى المعركة فوجدوه فى القتلى فى آخر رمق فسألوه : ما جاء بك ياعمرو ، أحدبا على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام أسلمت وقاتلت حتى أصابنى ما ترون ، فلم يبرحوا حتى مات ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه لمن أهل الجنة » . انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٩٠ ، ٩١ .

يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلا ما كان من دار بنى أُمية بن زيد وخَطْمَة[1] ووائل وواقف[2] ، وتلك أوس الله وهم من الأَوْس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أَبو قيس بن الأَسلت واسمه صَيْفِيّ . وكان شاعراً لهم قائداً يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأُحُد والخندق .

قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأَموى[3] : كان أَبو قيس[4] هذا قد تَرَهَّب فى الجاهلية ولَبِسَ المسوح وفارق الأَوثان واغتسل من الجنابة ، وتَطَهَّر من الحائض من النساء ، وهَمَّ بالنصرانية ثم أَمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جُنُب ، وقال : أَعْبُد إله إبراهيم حين فارق الأَوثان وكَرِهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَسلم وحَسُنَ إسلامه وهو شيخ كبير ، وكان قَوَّالاً بالحق مُعَظِّماً لله فى الجاهلية وله فى ذلك أَشعار [حِسَان[5]] .

---

(١) فى القاموس المحيط : وخطمة من الأنصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس ، وبنو خطامة كثمامة حى من الأزد .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٢٤ : ولد امرئ القيس بن مالك بن الأوس : مالك وهو واقف بطن ، والسلم بطن وهم حلفاء بنى عمرو بن عوف .

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموى اشتغل بالحديث وروى عنه البخارى ومسلم وغيرهما وله كتاب المغازى ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (جـ ٩ ص ٩٠ : ٩١) وقال إنه توفى سنة ٢٤٩ هـ وذكره السخاوى بين كتاب السيرة وذلك فى كتابه الإعلان بالتوبيخ الذى نشر ذيلا للترجمة العربية لكتاب روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، بغداد سنة ١٩٦٣ م (ص ٥٢٥ ، ٦٨٩ ، ٧٠٠) .

(٤) لم يكن أبو قيس بن الأسلت هذا هو الذى ترهب فى الجاهلية إنما هو سميه وهو أبو قيس صرمة بن أبى أنس ابن مالك بن عدى بن النجار ، كما أوضح ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٢٧٧ : ٢٧٨) وذلك قبل ترجمته لابن الأسلت مباشرة . والفقرة التى نقلها ابن الأثير عن ابن إسحق والتى تبدأ بقوله : وكان رجلا قد ترهب فى الجاهلية إلى قوله وله فى ذلك أشعار حسان ، أوردها ابن الأثير فى ترجمة أبى قيس صرمة بن أبى أنس وليس فى ترجمة أبى قيس بن الأسلت . ووقع فى هذا الخطأ سعيد بن يحيى الأموى وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية (جـ ٣ ص ١٥٦) وتلاهم مؤلف هذا الكتاب . وقد أوضح ابن حجر ذلك فى ترجمته له (جـ ٧ ص ١٥٨ : ١٥٩ رقم ٩٣٥) وقال بأنه كان يتأله فى الجاهلية ويدعى الحنف واختلف فى إسلامه فقيل إنه أسلم وقيل إنه وعد بالإسلام ثم سبق إليه الموت فلم يسلم وكان عبد الله بن أبى بن سلول قد حرضه على عدم مخالفة قريش . وذكر ابن الأثير فى الكامل (جـ ١ ص ٢٨٤) أنه كان رئيسا للأوس فى جرب حاطب قبل الهجرة وأورد الضبى له قصيدة فى المفضليات (هى الخامسة والسبعين فى شرح ابن الأنبارى ص ٥٦٤ : ٥٧٤ طبعة ليال أكسفورد سنة ١٩٢١ م) وعقد أبو الفرج فصلا عنه فى الأغانى (جـ ١٧ ص ١١٧ : ١٣١) وذكر ابن حجر فى الإصابة (جـ ٥ ص ٢٥٧) أخبارا أخرى عنه فى ترجمته لولده : قيس بن صيفى بن الأسلت رقم ٧١٨٣ .

(٥) زيادة من أسد الغابة وتاريخ ابن كثير وأورد كل منهما ستة أبيات لامية نسبها الأول لأبى قيس صرمة بن أبى =

[بيان غريب ماسبق]

«الحائط» : البستان .

«لا أَبالك» : هذا أكثر مايُسْتَعْمَل فى المدح أى ؛ لا كافى لك غير نفسك ، وقد يُذْكَر فى مَعْرِض الذَّمّ كما يقال : لا أُمَّ لك ، وقد يُذْكَر فى مَعْرِض التَّعَجُّب ودفعاً للعين كقولهم : للهِ دَرُّك ، وقد تكون بمعنى «جِدّ فى أَمرك وشَمِّرْ» ، لأَن من له أَب اتَّكَل عليه فى بعض شأْنه ، وقد تُحْذَف اللام فيقال : « لا أَباك » .

«دَارَيْنَا» : هو تثنية دار ، والدار هى القبيلة والعشيرة الْمُجْتَمِعَة فى المَحَلَّة فَتُسَمّى المَحَلَّة داراً .

«النَّادِى» : مُتَحَدَّث القوم .

«لِيُخْفِروك» : بضم أوله وكسر الفاء رُبَاعِيًّا أى لينقضوا عَهدَك ، يقال : أَخْفَرْتُ الرجل إذا نقضت عَهْدَه وذِمَامَه . «الغَطَارِف» : جمع غِطْرِيف بكسر الغين المعجمة : السَّيِّد «مُتَشَتِّماً» : من الشَّتْم وهو السَّبّ .

= أنس وأخطأ الثانى فى نسبتها إلى أبى قيس بن الأسلت وأضاف إليها قصيدة أخرى (ج ٣ ص ١٥٧) وتقع فى خمسة عشر بيتاً وأضاف فى ذيل الصحيفة مطلع قصيدة أخرى قدم له بقوله وقال أبو قيس صرمة أيضا بذكر ما أكرمهم الله به ، مما يدل على خليط ابن كثير بين الرجلين .

الباب الثامن

فى بيعة العقبة الثالثة

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَبِثَ عَشْر سنين يتبع الناس فى منازلهم مَجَنَّة وعُكَاظ وفى المواسم بِمِنى يقول : « من يُؤْوِينى ؟ ومن ينصرنى ؟ حتى أُبَلِّغ رسالات ربى وله الجنة » : فلا يجد أحداً يُؤْوِيه ولا ينصره ، حتى أَنَّ الرجل ليرحل من مُضَر أو اليمن . فيأْتيه قومه وذوو رَحِمِه فيقولون : احْذَرْ فتى قريش لايفْتِنَنْكَ يمضى بين رِحَالهم ، وهم يشيرون إليه بأَصابعهم ، حتى بعثنا الله إليه من يَثْرِب فيأْتيه الرجل منا فيؤمن به ويُقْرِئه القرآن فينقلب إلى أَهله فيُسْلِمون بإسلامه حتى لم تَبْقَ دارٌ من دور يثرب إلا وفيها رَهْطٌ من المسلمين يُظْهِرون الإسلام . ثم بَعَثنا الله تعالى فأْتمرنا واجتمعنا فقلنا : متى نَذَر رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحَلَ إليه منا سبعون رجلاً حتى قَدِموا عليه فى المَوْسِم ، فواعدناه شِعْب العقبة ، فاجتمعنا فيه من رَجُلٍ ورَجُلَيْن حتى تَوَافَيْنَا عنده ، فقلنا : يارسول الله عَلاَمَ نبايِعُك ؟ قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العُسْر واليُسْر ، وعلى الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقولوا / فى الله ، لا تأْخذكم لومة لائم ، وعلى أَن تنصرونى إذا قَدِمْتُ عليكم يثرب ، تَمْنَعُونى مما تمنعون منه أَنفسكم وأَزواجكم وأَبناءكم ولكم الجَنَّة » .

٣٩٦ ظ

« فقمنا نبايعه ، فأَخذ بيده أَسعد بن زُرَارة ، وهو أَصغر السبعين رجلاً إلا أَنا فقال : رُوَيْداً ياأَهل يثرب . فإنا لم نَضْرِب إليه أَكباد المُطِىّ إلا ونحن نعلم أَنه رسول الله وأَن إخراجه اليوم مُفَارَقَةُ العرب كافَّةً وقَتْلُ خياركم وأَن تَعُضَّكم السيوف ، فإما أَنتم قَوْمٌ تَصْبِرون على عَضّ السيوف إذا مَسَّتْكُم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كَافَّةً ، فخذوه ، وأَجْرُكُم على الله ، وإما أَنتم تخافون من أَنفسكم خيفة ، فذَرُوه فهو أَعذر لكم عند الله .

فقلنا : ابْسُطْ يَدَكَ يا أسعد بن زُرَارة ، فوالله لا نَذَرُ هذه البيعة ولا نستقيلها . فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً ، يأخذ علينا شَرْطَه ويعطينا على ذلك الجنة » ، رواه الإمام أحمد والبيهقى .

وروى ابن إسحق عن كعب بن مالك رضى الله عنه[1] قال : « خرجنا فى حُجَّاج قومنا من المشركين وقد صَلَّيْنا وفَقِهْنَا ، ومعنا البَرَاء بن معرور سَيِّدُنا وكبيرنا – زاد الحاكم – وكنا خمسمائة ، حتى إذا كنا بظاهر البيداء قال : يا هؤلاء إنى قد رأيتُ رَأْياً ، ووالله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا . فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألَّا أَدَعَ هذه البَنِيَّة مِنِّى بظَهْر – يعنى الكعبة – وأن أُصلِّى إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، فقال : إنى لمُصَلٍّ إليها . فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكُنَّا إذا حَضَرت الصلاة صَلَّيْنا إلى الشام وصَلَّى هو إلى الكعبة حَتى قدمنا مكة [وقد كُنَّا عِبْنا عليه ما صنع وأَبَى إلا الإقامة على ذلك فلما قدمنا مكة[2]] قال لى : يا ابْنَ أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أسأله عما صنعت . فى سفرى هذا ، فإنه والله لقد وقع فى نفسى منه شىء لِمَا رأيتُ من خلافكم إياى فيه . قال : فخرجنا نسأل [عن] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [وكنا لا نعرفه لم نَرَه قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]] فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عَمَّه ؟ قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يَقْدَم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالِسٌ معه . فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعَبَّاس : « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال : نعم ، هذا البَرَاء بن معرور سَيِّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشاعر ؟ »

---

(١) إسناده كما فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٤٧) : قال ابن إسحق وحدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين أخو بنى سلمة أن أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام طبعة التجارية ج ٢ ص ٤٨

(٣) زيادة من ابن هشام فى الموضع السابق .

قال : نعم . فقال البَرَاء بن معرور : يا نَبِيَّ الله ، إنى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله تعالى للإسلام فرأيتُ ألاَّ أجعل هذه البَنِيَّة مِنِّى بظَهْر فَصَلَّيْتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « قد كُنْتَ على قِبْلَةٍ لو صَبَرْتَ عليها » . قال : فرجع البرَاء إلى قِبْلَة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصَلَّى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم . .

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيوب الأنصارى :

ومِنَّا المُصَلِّى أوَّلَ النَّاسِ مُقْبِــلاً   على كَعْبَــةِ الرحمن بَيْنَ المشاعِــرِ

يعنى البرَاء بن معرور . قال كعب : ثم خرجنا إلى الحَجّ وواعدنا رسول الله صلى الله/ ٣٩٧ و عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق — زاد ابنُ سعد — « ليلة النَّفَر الأوَّل [إذا هدأت الرِّجْل[1]] أن يوافوه فى الشِّعْب الأيمن إذا انحدروا من مِنَىً بأسفل العقبة حيث المسجد الحرام اليوم ، وأمَرَهم ألاَّ يُنَبِّهُوا نائماً ولا ينتظروا غائباً » . [قال] : فلما فرغنا من الحَجِّ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لها ومعنا عبد الله بن عَمْرو بن حَرَام أبو جابر ، سَيِّدٌ من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا ، وكنا نَكْتُم من معنا من قومنا من المشركين أمْرَنا فكَلَّمْنَاه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سَيِّدٌ من سادتنا وشريفٌ من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عَمَّا أنت فيه أن تكون حَطَباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيَّانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة [وكان نقيباً[2]] .

[قال] : فنِمْنَا تلك الليلة مع قومنا فى رِحالنا حتى إذا مَضَى ثُلُثُ الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رَسُول الله صلى الله عليه وسلم نَتَسَلَّل تَسَلُّلَ القَطَا مُسْتَخْفِين حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نِسيبة[3] بنت

---

(١) زيادة من الطبقات الكبرى لابن سعد (جـ ١ ص ٢٠٥)

(٢) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٤٩)

(٣) هى نسيبة بنت كعب بن عمرو شهدت العقبة وكان معها زوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم ، وحبيب قتله مسيلمة ، انظر أسد الغابة جـ ٥ ص ٥٥٥ .

كعب ، أُمّ عُمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النَّجَّار ، وأسماء بنت عَمْرو بن عَدِىّ [بن نابى ، إحدى نساء بنى سَلِمة وهى أُم منيع[1]] . فاجتمعنا فى الشِّعْب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكر ابن سعد وأبو مَعْشَر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم ـ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أَحَبّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويَتَوَثَّق له

فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : «يا مَعْشَر الخزرج ، ـ قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحىّ من الأَنصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأْينا فيه ، فهو فى عِزٍّ من قومه وَمَنَعَة فى بلده ، وإنه قد أَبَى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم تَرَوْنَ أنكم وافُونَ له بما دعوتموه إليه ومانِعوه مِمَّن خالفه ، فأَنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عِزٍّ ومَنَعَةٍ من قومه وبَلَده . وروى الإمام أحمد عن الشَّعْبِىّ عن أبى مسعود البدرى[2] رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عَمُّه العباس إلى السبعين من الأَنصار عند العَقَبة تحت الشجرة فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يُطِل الخُطبة فإن عليكم من المشركين عَيْناً ، وإن يَعْلَمُوا بكم يفضحوكم » . فقلنا « قد سمعنا ما قلت فَتَكَلَّمْ يا رسول الله وخُذْ لنفسك ولربك ما أحببت » .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَلا القرآن ودعا إلى الله ورَغَّب فى الإسلام ، ثم قال : « أُبَايِعُكُم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . قال : فأَخذ البَراء ابن معرور بيده ، ثم قال : « نعم فوالله الذى بعثك بالحق لَنَمْنَعَنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا ، فَبَايِعْنَا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأَهْلُ الحَلْقَة وَرِثْنَاها كابراً عن كابر » .

---

(١) زيادة من سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٩

(٢) أبو مسعود البدرى : هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة ، بن أسيرة بن عطية .. بن الخزرج ، مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا فى شهوده بدرا فقال الأكثر نزلها فنسب إليها وجزم البخارى بأنه شهدها وروى ابن سعد عن الواقدى أنه ليس من أصحابنا اختلاف فى أنه لم يشهدها وقد شهد أحداً وما بعدها . توفى بعد سنة ٤٠ هـ فى نظر ابن حجر ، أنظر الإصابة جـ ٤ ص ٢٥٢ رقم ٥٥٩٩ .

قال : فاعترض القَوْلَ ، والبَرَاءُ يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان ، فقال : «يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حِبالاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عَسَيْتَ إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنا ؟ » قال : فتَبَسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدَّمُ الدَّمُ والهدم الهدم » - أى ذمتى ذمتكم وحُرْمَتى حُرْمَتَكُم - « أنا منكم وأنتم مِنِّى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » . قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْرِجُوا إِلَيَّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثةً من / الأوس : ٣٩٧ ظ

فمن الخزرج : (١) أبو أُمامة أسعد بن زُرَارة نقيب بنى النَّجَّار . (٢) ورافع بن مالك ابن العَجْلان نقيب بنى زُرَيْق ، (٣) وسعد بن الرَّبيع ، بفتح الراء ، (٤) وعبد الله بن رواحة نقيب بنى الحارث بن الخزرج (٥) وسعد بن عُبَادة (٦) والمنذر بن عمرو نقيب بنى ساعدة (٧) والبراء بن معرور - بالعين المهملة [(٨) وعبد الله بن عمرو بن حرام (٩) وعبادة بن الصامت[1]] . ومن الأوس : (١) أُسَيْد بن حُضَيْر - بالحاء المهملة والضاد المعجمة - نقيب بنى عبد الأشهل (٢) ورفاعة بن عبد المنذر (٣) وسعد بن خَيْثَمَة نقيبا بنى عمرو بن عوف .

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنُّقَباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومى » - [يعنى المسلمين] . قالوا : نعم . قال ابن هشام : وأهل العلم يَعُدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة .

وروى البيهقى عن الإمام مالك رضى الله عنه قال : حدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة . قال مالك : وكنتُ أعجب كيف جاء هذا ؟ رجلان من قبيلة ورجل من أخرى ، حتى حُدِّثْتُ بهذا الحديث : أن جبريل هو الذى وَلَّاهم وأنه أشار إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وروى

---

(١) تكملة نقباء الخزرج عن ابن هشام (جـ ٢ ص ٥٢) .

أبو نعيم عن ابن عُمَر قال : « إنما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقباء قال : لايَجِدُ امرؤ فى نفسه شيئاً إنما أُخِذ من أشار إليه جبريل » وروى أنه صلى الله عليه وسلم نقب على النقباء أسعد بن زرارة فلما توفى أسعد والمسجد يبنى اجتمع بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجعل منهم شخصاً نقيباً[1] عليهم ، فقال لهم : « أنتم أخْوالِي وَأَنَا نَقِيبُكم » وكَرِه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَخُصّ بها بَعْضَهُم دون بعض قال السهيلى : « وإنما جعلهم النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيباً اقتداء بقول الله تعالى فى قوم موسى « وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَى عَشَر نَقِيباً[2] »

وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما رواه ابن هشام عن أبى زيد [الأنصارى] :

فأَبْلِغ أُبَيًّا أنه فالَ[3] رَأْيُـــه ... وَحَانَ غَـــدَاةَ الشِّعْبِ والحَيْنُ واقِعُ

أَبَى اللهُ مامَنَّتْكَ نَفْسُكَ إنَّــه ... بِمِرْصَادِ أَمْرِ الناسِ راءٍ وسامِعُ

وأَبْلِغ أبا سفيان أن قد بـدا لنا ... بأَحْمَد نورٌ من هُدَى اللهِ ساطِعُ

فـلا تُرْعِيَنْ[4] فى حَشْد أمْرٍ تُرِيـدُهُ ... وألِّبْ[5] وجَمِّعْ كُلَّ ما أنتَ جامِعُ

ودُونَكَ فاعْلَمْ أن نَقْضَ عُهُودِنا ... أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حين تَبَايَعُـوا

أَبَاهُ البَرَاءُ وابنُ عمرٍو[6] كلاهُما ... وأَسْعَدُ يـأْباهُ عَلَيْكَ ورافِـعُ[7]

وسَعْدٌ أَبَاهُ السَّاعِـدىّ ومُنْـذِرٌ[8] ... لأَنْفِكَ إن حَاوَلْتَ ذلك جـادِعُ[9]

---

(١) جاء فى ترجمة أسعد بن زرارة فى أسد الغابة (ج ١ ص ٧١ : ٧٢) أن أسعد توفى فى السنة الأولى من الهجرة فى شوال قبل بدر لأن بدرا كانت فى رمضان سنة اثنتين ، وقد مات أسعد والمسجد يبنى وأنه لما مات جاء بنو النجار إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إن أسعد قد مات وكان نقيبنا فلو جعلت لنا نقيبا . فقال : أنتم أخوالى وأنا نقيبكم فكانت هذه فضيلة بنى النجار .

(٢) سورة المائدة آية ١٢

(٣) فى الصحاح فال الرأى يفيل فيولة ضعف وفيل رأيه تفييلا ضعفه فهو فيل الرأى ، وفى شرح السيرة للخشنى (ج ١ ص ١١٩) مصحفه « قال » وشرحها أبطل .

(٤) أى لا تبقين يقال : ما أرعى عليه أى ما أبقى عليه ، عن الخشنى ج ١ ص ١١٩ .

(٥) فى الصحاح : ألبت الجيش إذا جمعته .

(٦) أى عبد الله بن عمرو بن حرام .

(٧) أى رافع بن مالك بن العجلان نقيب بنى زريق .

(٨) أى المنذر بن عمرو نقيب بنى ساعدة .

(٩) جادع معناه قاطع ويقال جدع أنفه أى قطعه ، عن الخشنى .

وما ابنُ رَبيع[1] إنْ تَناوَلْت عَهْدَهُ ... بمُسْلِمِهِ لايَطْمَعَنْ ثَمَّ طَامِــعُ
وأَيْضًا فــلا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَــةٍ ... وإخْفَــارُهُ[2] من دُونِهِ السَّم ناقِـعُ[3]
وَفَاءً بـــه والقَوْقَلِيُّ ابْنُ صَامِتٍ ... بمندوحة[4] عَمَّــا تُحَاوِلُ يافِــعُ[5]
أَبو هَيْثَمٍ أَيْضاً وفِيٌّ بمثْلهـــا ... وَفَــاءً بمــا أَعْطَى من العَهْــد خانِعُ[6]
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إن أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ ... فهل أَنْتَ عن أُحْمُوقَةِ الغَىِّ نازِعُ
وسَعْدٌ أَخو عَمْرو بنِ عَوْفٍ فإنَّــهُ ... ضَرُوحٌ[7] لِمَـا حَاوَلْتَ مِلْأَمْـرِ مانِعُ
أُولَاكَ نُجُـومٌ لايُغِبُّكَ مِنْهُمُ ... عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فى دُجَـىَ اللَّيْلِ طَالِعُ

فذكر كعب فيهم أَبا الهَيْثَم بن التَّيِّهان ولم يذكر رفاعة . قال ابن إسحق : وحدثنى / ٣٩٨ و عاصم بن عُمَر بن قتادة[8] أن القوم لمـا اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عُبَادة بن نَضْلَة الأَنصارى أخو بنى سالم بن عَوْف : « يا مَعْشَر الخزرج ، هل تَدْرُونَ عَلَامَ تبايعون هذا الرجل ؟ » قالوا : نعم . قال : « إنكم تبايعونه على حَرْب الأَحمر والأَسود من الناس فإن كنتم تريدون أَنكم إذا نَهكَتْ أَمْوَالَكُم مُصِيبةٌ وأَشْرَافكُم قَتْلٌ أَسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة وإن كنتم تريدون أَنكم وافُونَ له بما عاهدتموه على نَهْكَةِ الأَموال وقتل الأَشراف فخذوه فهو والله خَيْرُ الدنيا والآخرة » . قالوا : « فإنا نأْخذه على مصيبة الأَموال وقتل الأَشراف ، فما لَنَا بذلك يا رسول الله » ؟ قال : « الجنة » . قالوا : ابْسُطْ يَدَك . فبَسَط يَدَه ، فبايعوه . فأَما عاصم

(١) أى سعد بن الربيع .
(٢) إخفاره نقض عهده عن الخشنى .
(٣) ناقع ثابت ولازم .
(٤) بمندوحة أى بمتسع .
(٥) يافع أى موضع مرتفع فاليفاع ما ارتفع من الأرض ومن رواه باقع فمناه بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض – عن الخشنى « ج ١ ص ١٢٠ » .
(٦) خانع مقر متذلل .
(٧) ضروح أى مانع ودافع عن نفسه من قولهم ضرحت الدابة برجلها إذا ضربت وملأمر أى من الأمر .
(٨) فى الأصول عمرو بدلا من عمر ، وهو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصارى الظفرى أبو عمرو المدنى روى عن أبيه وجابر وروى عنه بكير بن الأشج وزيد بن أسلم ، ووثقه يحيى بن معين ومحمد بن سعد وقال : كان له علم بالسير توفى سنة ١٢٠ هـ وقال أبو عبيد سنة ١٢٧ هـ وقال الواقدى سنة تسع (وعشرين ومائة) ، انظر خلاصة الخزرجى ص ١٥٥ .

ابن عُمَر بن قتادة فقال : « والله ما قال ذلك العباس إلا لِيَشُدَّ العَقْد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم » . وأما عبد الله بن أبى بكر فقال : « ما قال ذلك العباس إلا ليُؤَخِّر القوم تلك الليلة رجاء أن يَحْضُرَها عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول فيكون أقوى لأمر القَوْم » ، فالله أعلم أى ذلك كان ، قال ابن إسحق : « وبنو النَّجّار يَزْعُمون أن أبا أُمَامة أَسْعَد ابن زُرَارة كان أول من ضَرَب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان » .

وفى حديث كعب بن مالك قال : « كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البَرَاء بن معرور ، ثم بايَعَ بَعْدُ القَوْمُ ، فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صَرَخَ الشيطان من رأس العقبة بأَنْفَذ صَوْتٍ سَمِعْتُه قَطّ : يا أهل الجَبَاجِب : هل لكم فى مُذَمَّمٍ والصُّبَّاء معه قد اجتمعوا على حَرْبِكم ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أَزَبُّ العقبة ، هذا ابن أزيب[1] ، اسْتَمِعْ أى عَدُوَّ الله ، أما والله لأَفْرُغَنَّ لك » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارْفَضُّوا[2] إلى رحالكم » . فقال له العباس بن عُبَادة ابن نَضْلَة : « والله الذى بَعَثَك بالحق إن شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ على أهل مِنًى [غداً][3] بأسيافنا » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم نُؤْمَرَ بذلك ولكن ارْجِعُوا إلى رِحالكم . [قال] : فَرَجَعْنَا إلى مضاجعنا فنمْنَا عليها [حتى أصبحنا][4]. وذكر سليمان بن طَرْخَان التَّيْمِىّ[5] فى كتاب السِّير له أن إبليس لَعَنَه الله ، لَمَّا أَسْلَمَ من أسلم من الأنصار صاح ببنيه[6] بين الحُجّاج :

---

(١) فى النهاية (جـ ١ ص ٢٨) فى حديث بيعة العقبة : هو شيطان اسمه أزب العقبة . وفى حديث ابن الزبير أنه وجد رُجلا طوله شبران فقال : من أنت قال : أزب فقال : وما أزب ؟ قال رجل من الجن . وفى الصحاح الإزب اللئيم والإزب القصير الدميم وعن ابن الأعرابى : رجل إزب حزب أى داهية . وقال السهيلى (جـ ١ ص ٢٧٨) : وابن أزيب فى رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الأزب أيضا والأزيب البخيل وأزيب اسم ريح من الرياح الأربع والأزيب الرجل المتقارب المشى وهو على وزن أفعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن أزيب من هذا أيضا . وأما البخيل فأزيب على وزن فعيل لأن يعقوب (ابن السكيت) فى الألفاظ حكى امرأة أزيبة ولو كان على وزن أفعل لقيل فى المؤنث زيباء إلا أن فعيلا فى أبنية الأسماء عزيز .

(٢) فى النهاية (جـ ٢ ص ٩٢) ارفض الناس أى تفرقوا

(٣) و (٤) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٥٧

(٥) فى ت وم التميمى نسبة إلى تميم والصواب التيمى ، وهو سليمان بن طرخان التيمى لم يكن تيميا بل نزل فيهم . وصفه الخزرجى فى الخلاصة ص ١٥٩ بأنه أحد سادة التابعين علما وعملا . توفى سنة ١٤٣ هـ عن تسع وتسعين سنة .

(٦) إعجام هذه الكلمة فى الأصول ليس واضحا ولكن لا مفر من قراءتها : ببنيه أى بنى إبليس أو أعوانه على سبيل المجاز . وفى السيرة الحلبية (جـ ٢ ص ١٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ) ما يؤيد هذا فقد جاء فيها : ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ إبليس الذى هو أبو الجن .

« إن كان لكم بمحمد حاجة فَأْتُوه بمكان كذا وكذا فقد حَالَفَه الذين يسكنون يَثْرِب » .

قال : «ونزل جبريل فلم يُبْصِرْه من القوم أَحَدٌ ، واجتمع المَلَأُ من قريش عند صَرْخة إبليس ، فعَظُم الأَمْرُ بين المشركين والأنصار حتى كاد أن يكون بينهم قتال : ثم إن أبا جَهْل كَرِه القتال فى تلك الأيام فقال : يا معشر الأوس والخزرج أنتم إخواننا وقد أتيتم أمراً عظيماً ، تريدون أن تغلبونا على صاحبنا ، فقال له حارثة بن النعمان : نعم وأَنْفُك راغم ، والله لو نعلم أنه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخْرِجك أيضاً لأخرجناك . فقال أبو جهل : نَعْرِض عليكم أن نلحق بكم من أصحاب محمد من شاء بعد ثلاثة أشهر ، ونعطيكم ميثاقاً تَرْضَوْنَ به أنتم ومحمد لا نحبسه بعد ذلك . فقالت الأنصار نعم إذا رَضِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فذكر الحديث .

وقال كعب فى حديثه : « فقالوا : يا مَعْشَر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا لتُخْرِجوه من بين أَظْهُرنا وتُبَايِعوه على حربنا ، وإنه والله ما من حَيٍّ من العَرَب أبغض إلينا أن تَنْشَب الحربُ بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث مَنْ هناك مِنْ مُشْرِكي قومنا يَحْلِفون بالله ما كان من هذا شيء/ وما علمناه . وقد صَدَقُوا لم يَعْلَمُوه . ٣٩٨ ظ
قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى – وأسلم بعد ذلك – وعليه نعلان جديدان . قال : فقلت له كلمة كأنى أريد أن أُشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر أَمَا تستطيع أن تتخذ وأنت سَيِّد من ساداتنا مِثْلَ نَعْلَيْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسَمِعها الحرث فخلعهما من رِجْلَيْه ، ثم رمى بهما إلىّ ، فقال : والله لَتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يقول أبو جابر : [مَهْ] أَحْفَظْتَ والله الفتى فَارْدُدْ عليه نَعْلَيْه . قال : قلت : لا والله لا أردهما ، فَأْلٌ والله صالح ، لئن صَدَق الفأل لَأَسْلُبَنَّهُ » .

قال ابن إسحق : « وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنهم أَتَوْا عبدَ الله بن أُبَيّ بن سَلُول فقالوا له مثل ما ذكر كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا لَأَمْرٌ جسيم ما كان قومى لِيَتَفَوَّتُوا عَلَيَّ بمثل هذا وما عَلِمْتُه . قال : فانصرفوا عنه . قال : ونَفَر الناس من مِنَى ، فَتَنَطَّس[1] القَوْمُ الخَبَر ، فوجدوه قد كان . وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عُبادة

---

(١) تنطس الخبر استقصاه وفى النهاية دقق النظر .

بـأَذَاخِر[1] ، والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقيباً . فأما المُنْذِر فأَعْجزَ القومَ ، وأما سعد فأَخذوه فربطوا يَدَيْه إلى عُنُقه بنِسْع[2] رَحْله ، ثم أَقبلوا به حتى أدخلوه مكة يَضْرِبونه ويَجْذِبُونَه بِجُمَّتِهِ وكان ذا جُمَّةٍ وشَعر كثير . قال سعد : فوالله إنى لفى أَيديهم إذْ طَلَع عَلَىَّ نَفَرٌ من قريش فيهم رجلٌ وضيءٌ أبيض شَعْشَاع حُلُوٌ من الرجال .

قال : قلتُ فى نفسى : إن يَكُ عند أَحَدٍ من القوم خَيْر فعند هذا . قال : فلما دنا مِنِّى رفع يَدَه فَلَطَمَنى لطمة[3] شديدة ـ قال ابن هشام : هو سُهَيْل بن عمرو ، قلت وأسلم بعد ذلك ـ قال : فقلت فى نفسى : لا والله ما عندهم بعد هذا خَيْر . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذا أَوَى لى رجل ممن كان معهم ـ قال ابن هشام : هو أَبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، قلت : ومات كافراً ـ فقال : وَيْحَكَ : أَما بينك وبين أَحد من قريش جِوَارٌ ولا عَهْد ؟ قال : قلت : بلى والله ولقد كنت أُجير لجبير بن مُطْعِم بن عَدِىّ تِجَارَة ، وأَمنعهم ممن أَراد ظُلْمَهم ببلادى ، وللحرث بن حَرْب بن أُمية . قال : وَيْحَكَ ، فاهْتِفْ باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضْرَب بالأَبْطَح لَيَهْتِفُ بكما ويذكر أَن بينه وبينكما جِواراً . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عُبَادة . قالا : صَدَق والله إن كان لَيُجير لنا تِجَارَنا ويمنعهم أَن يُظْلَموا ببلده . قال : فجاء فَخَلَّصا سعداً من أَيديهم ، فانطلق .

قال ابن إسحق : وكان أول شِعْر قيل فى الهجرة بيتَيْن قالهما ضرار بن الخَطَّاب ابن مِرْداس[4] أَخو بنى محارب بن فِهْر ـ قلت : وأَسلم بعد ذلك .

---

(١) فى معجم البكرى (جـ ١ ص ١٢٨ : ١٢٩) : أذاخر ثنية بين مكة والمدينة بالخاء المعجمة والراء على وزن أفاعل كأنه جمع أذخر . وفى فتح مكة دخل النبى صلى الله عليه وسلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة .

(٢) النسع الشراك الذى يشد به الرحل ، عن الخشنى (جـ ١ ص ١٢٠)

(٣) فى ابن هشام : فلكمنى لكمة شديدة وفى شرح السيرة للخشنى لكمه أى ضربه بجمع كفه . هذا والضرب على الخد ببسط الكف يسمى لطما وبقبض الكف لكماً وبكلتا اليدين لدما .

(٤) ضَرار بن الخطاب من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين أسلم يوم فتح مكة وقال يوماً لأبى بكر : نحن كنا لقريش خيرا منكم أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار يعنى أنه قتل المسلمين فدخلوا الجنة وأن المسلمين قتلوا الكفار فأدخلوهم النار وقال ابن عساكر فى تاريخ دمشق إنه كانت له صحبة وشهد مع أبى عبيدة فتوح الشام ، انظر أسد الغابة جـ ٣ ص ٤٠ .

تَدَارَكْتُ سَعْـداً عَنْوَةً فَأَخَذْتُـهُ ... وكان شِفَـاءً لو تـداركتُ مُنْـذِرَا

ولو نِلْتُهُ طُلَّتْ هناك جِـرَاحُـهُ ... وكان حَرِيّاً أن يُهـانَ ويُهْـدَرَا

قال ابن هشام : ويُرْوَى : « وكان حقيقاً أن يُهَانَ ويُهْدَرَا » ، قال ابن إسحق : فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال :

٣٩٩ و

فَلَسْتَ[1] إلى عَمْرٍو[2] ولا المرءِ مُنْذِرٍ ... إذا مامطايا القَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمَّرَا /

أَتَفْخَرُ بِالْكَتَّانِ لَمَّا لَبِسْتَـهُ ... وقد يَلْبَسُ الأَنْبَاطُ[3] رَيْطاً[4] مُقَصَّرَا

فلولا أبو وَهْبٍ لَمَرَّتْ قَصَائِـدٌ ... على شَرَفِ البَرْقَاءِ يَهْوِينَ حُسَّرَا[5]

فلاتَكُ كالوسْنَانِ يَحْلُمُ أنـه ... بِقَرْيَـةِ كِسْرَى أو بِقَرْيَةِ قَيْصَرَا

ولاتَكُ كالثَّكْلَى وكانت بِمَعْزِلٍ ... عن الثُّكْلِ لو كان الفؤادُ تَفَكَّـرا

ولاتَكُ كالشَّاةِ التى كان حَتْفُهـا ... بحَفْرِ ذراعيها فلم تَرْضَ مَحْفَرَا

ولاتَكُ كالغاوى فَأَقْبَلَ نَحْرَهُ ... ولم يَخْشَهُ سَهْماً من النَّبْلِ مُضْمَرَا

فإنَّا ومَنْ يُهْدِى القصائدَ نحونا ... كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْراً إلى أَهْلِ خَيْبَرَا

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور بإعادة الصلاة التى صَلَّاها إلى الكعبة حيث كان الفَرْض عليهم إلى بيت المقدس لأن البراء أسلم لما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يأمره بإعادة تلك الصلاة من أجل ذلك كذا قيل ، والذى يقتضيه سياق القصة أن البراء كان مسلماً قبل هجرته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويُحْتَمَل أن تكون صلاة البراء إلى الكعبة اتِّباعاً لما علم به من علماء اليهود أن هذا النبي المبعوث فى عصرهم

---

(١) ترتيب أبيات هذه القصيدة مخالف لما فى ديوان حسان (ص ١٩٢ و ١٩٣) طبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٢٩م

(٢) فى سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف (جـ ١ ص ٢٧٩) : لست إلى سعد ، مع أن السهيلى فى شرحه ذكر البيت : لست إلى عمرو ، وقال فى الشرح : يعنى بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر يقول لست إليه ولا إلى ابنه المنذر ، أى أنت أقل من ذلك ، هذا والمنذر بن عمرو أحد النقباء .

(٣) الأنباط قوم من العجم .

(٤) الريط الملاحف البيض واحدتها ريطة .

(٥) شرح الخشنى عجز هذا البيت بقوله : البرقاء موضع وحسرا معيبة ، انظر شرح السيرة (جـ ١ ص ١٢١) .

هو على دين إبراهيم ودينهم وقِبْلَتُه الكعبة مُسْتَصْحِباً لأصل الحُكْم فى ذلك ، ورَجَّحه على ما وجد فيه من التردد وضده فى ثبوته والاختلاف فى صحته ، وهو وجه من وجوه الترجيح . وقال السهيلى : إنما لم يأمره صلى الله عليه وسلم بإعادة ما قد صَلَّى لأنه كان مُتَأَوِّلاً .

الثانى : فى بيان غريب ماسبق : «مَجَنَّة» : بميم فجيم مفتوحتين ، وكسر بعضهم الميم ، سُوَيْق بأسفل مكة على بريد منها . «عُكَاظ»[1] بالضم سوق بقرب مكة وراء قَرْن المنازل . «مُضَر» بضم الميم وفتح الضاد المعجمة . «يُؤْوِينى» : يَضُمُّنى إليه ويَحُوطُنى «فَقِهْنَا» بكسر القاف [فهمنا][2] . «وَاعَدْنَا» رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يجوز بسكون الدال ، فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوباً على أنه مفعول ، ويجوز فتح الدال ، فرسول مرفوع فاعل . «ائتمرنا» : شاور بعضنا بعضاً فى ذلك وعَزَم عليه «نَذَرْ» : نَتْرُك. «الشِّعْب» بكسر الشين المعجمة [انفراج بين جَبَلَيْن][2] . «القَطَا» : بالقَصْر وفتح القاف نوع من الحمام [واحدتها قَطَاة] . «توافينا» : من توافى القَوْمُ[3] تتامُّوا . «النشاط» طِيبُ النفس . «الكسل» كالتعب : الفتور ، فيتَخَلَّف العبد عن أسباب الخير والفلاح ، وإن كان لعدم قدرته فهو العجز ، وإن كان لعدم إرادته فهو الكسل . «نضرب أكباد الإبل» أى نركب ونسير . «اللَّوْم» عَذْل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لَوْم . «المُطِىّ» جمع مَطِيَّة فَعِيلَة بمعنى مفعولة : البعير سمى بذلك لأنه يُرْكَب مَطَاه أى ظَهْرُه «مَسَّتْكُم» أى أصابتكم . «تعضكم السيوف» أى تجرحكم . «فَذروه» فاتركوه . «أَمِطْ» نَحِّ وأَبْعِدْ[4] . «البَيْدَاء» المفازة . «أَدَع» : أَتْرُك . «البَنِيَّة» : بفتح المُوَحَّدة وكسر النون وتشديد المثناة التحتية المفتوحة ثم تاء تأنيث ، وهى الكعبة . «الرِّحَال» بالحاء المهملة جمع رَحْل وهو فى الأصل مأوى الشخص فى الحَضَر ثم أُطْلِق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه . «مَنَعَة» بفتح

---

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى (جـ ٣ ص ٩٥٩ : ٩٦٢) قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريب من عرفات وقال غيره عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء وهى من عمل الطائف وعلى بريد منها . واتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة وتركت عام خرجت الحرورية بمكة .

(٢) زيادة لشرح الكلمات التى يقتصر المؤلف على ضبطها دون ذكر معناها .

(٣) فى الأصول تكالمنا وليست هذه معنى لتوافينا وشرح توافينا مستمد من الصحاح

(٤) فى الأصول : تباعد .

النون باختلاف المعنى وتقدم بيان ذلك[1]. «الانحياز إليكم» : الاختلاط بكم[2] «أُزُرَنا» [جمع إزار] قال أبو ذر[3] : يعنى نساءنا والمرأة قد يكنى عنها بالإزار «الحَلْقة» بسكون [اللام] السلاح. «كابراً عن كابر» :/أى كبيراً عن كبير فى العزّ والشرف. «حِبالاً» : ٣٩٩ ظ بكسر الحاء المهملة وبالموحدة جمع حَبْل وهو العهد والميثاق. «عَسِيْتُ» : بكسر السين وفتحها لغتان. «الدم الدم الهذم الهدم» : قال فى النهاية[4] : يُرْوَى الهَدْم بسكون الدال وفتحها فالهَدَم بالتحريك القَبْر يَعْنِى أنى أُقْبَر حيث تُقْبَرُون، وقيل هو المَنْزِل أى مَنْزِلُكُم مَنْزِلى، كحديثه الآخر : المَحْيَا مَحْيَاكُم والمَمَات مَمَاتُكم أى لا أُفارقكم، والهَدْم بالسكون وبالفتح أيضاً هو إهدارُ دَمِ القتيل، يقال : دِمَاؤهم بينهم هَدْمٌ أى مُهْدَرَة والمعنى أَنَّ مَنْ طَلَب دَمَكم فقد طَلَب دمى وأن مَنْ أَهْدَرَ دَمَكُمْ فقد أهدر دَمِى، لاستحكام الأُلْفَة بيننا، وهو قول معروف للعرب يقولونه عند المعاهدة والنُّصْرَة. وفى تهذيب الأَزْهرِى أن ابن الأَعرابى رواه بالفتح : دَمِى دَمُكْ وهَدَمِى هَدَمُك. «النقيب» : قال فى التقريب : يُقَال نَقَب[5] الرجل ونَقَّب بالتخفيف والتشديد استخراج الأَسرار والنقيب الأَمين والكفيل والعريف أو هو فَوْقَ العريف، وشاهِدُ القَوْم نَقَبَ عليهم كقَتَل نِقابةً بالكَسْر فعل ذلك. ونَقُبَ بالضَّمّ نَقَابةً بالفتح[6] [إذا] لم يكن فصار [نقيباً]، ونُقَبَاءُ الأَنصار الذين تقدموا لأَخذ البيعة لنصرة النبى صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لضمانِهم إسلام قَوْمِهم[7].

---

(١) المنع بسكون النون الحرمان والمنعة بفتحها العز والقوة.

(٢) الأصوب أن يكون معناها : الانضمام إليكم.

(٣) يقصد المؤلف هنا أبا ذر الخشنى شارح سيرة ابن هشام

(٤) هذا النص فى النهاية جـ ٤ ص ٢٤٢ : ٢٤٣.

(٥) من باب نصر : نقب الرجل عن الشىء ينقب نقبا بحث ونقب عن الشىء تنقيبا فحص عنه فحصا بليغا.

(٦) فى الأصول : «ونقب بالضم والكسر نقابة بالفتح لم يكن فصار» والعبارة غامضة وغير صحيحة لأن نقب بالكسر من باب فرح من معانيها : نقب الشىء ينقب نقبا تخرق ونقب البعير رقت أخفافه. وفى الصحاح : وقد نقب على قومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة، قال الفراء إذا أردت أنه لم يكن نقيباً ففعل قلت : نقب بالضم نقابة بالفتح، قال سيبويه : النقابة بالكسر الاسم وبالفتح المصدر مثل الولاية والولاية.

(٧) جاء فى النهاية (جـ ٤ ص ١٦٧ : ١٦٨) : النقباء جمع نقيب وهو كالعريف على القوم المقدم عليهم الذى يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم أى يفتش وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد جعل ليلة العقبة كل واحد من الجماعة الذين بايعوه بها نقيبا على قومه وجماعته ليأخذوا عليهم الإسلام ويعرفوهم شرائطه. وكانوا اثنى عشر نقيبا كلهم من الأنصار.

شرح أبيات كَعْب بن مالك [الأنصارى]

«فَالَ رَأْيُه» بفاء ولام أى بَطَل . «فلا تُرْعِينْ» ، بضم المُثَنَّاة الفوقية وسكون الراء وكسر العين المهملة وفتح المثناة التحتية ونون التوكيد أى لا تُبْقِيَنْ يقال ما أرعى عليه أى ما أبقى عليه[1] . «أَلَبّ» وجَمْعْ بمعنى «جادِع[2]» بالجيم أى قاطع . «إخْفَارُه» بالخاء المعجمة نَقْضُ عهده . «ناقع» بالقاف ثابت[3] «القَوْقَلِ» بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقاف مفتوحة ولام [نسبة لأبى بطن[4]] من الخزرج : قَوْقَل ، وهو غَنْم بن عَوْف بن عَمْرو ابن عَوْف بن الخزرج ، كذا لابن الكلبى[5]، وقال ابن اسحق : قيل لهم القوافل لأنهم كانوا إذا أجاروا أحداً أَعْطَوْه سهماً وقالوا له : : قَوْقِلْ به حيث شئت أى سِرْ به حيث أَرَدْتَ . «بمَنْدُوحَة» أى بِمُتَّسَع . «يافِع» بالمثناة التحتية والفاء المكسورة أى موضع مرتفع فاليَفَاع ما ارتفع من الأرض ومن رواه باقِع بالباء المُوَحَّدة والقاف فمعناه بعيد وهو مأخوذ من بَقَعَ الأَرْضَ[6] . «خانِع» بالخاء المعجمة والنون أى مُقِرّ مُتَذَلِّل . «الأُحْمُوقَة» أُفْعُولة من الحُمْق وحقيقته وضع الشىء فى غير مَوْضِعه مع العلم بقُبْحِه . «نازع» بالزاى والعين المهملة أى ذاهب . «ضَرُوح» بفتح الضاد المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة أى مانِعٌ ودافِعٌ عن نفسه من قولهم ضَرَحت[7] الدَّابَّة برِجْلها ضربت بها . «أولاك» بترك الهمزة

---

(١) هذا الشرح وغالب ما يليه نقله المؤلف من شرح السيرة للخشنى .

(٢) أضاف الخشنى : ويقال جدع أنفه أى قطعه .

(٣) فى ت وم ثاقب . . والناقع يقال ناقع أى ناجع يطفئ الغلة ، وسم ناقع أى بالغ قاتل ودم ناقع أى طرى ، وموت ناقع أى دائم .

(٤) زيادة من القاموس المحيط وقد جاء فيه : القوقل ذكر الحجل والقطا ، واسم أبى بطن من الأنصار لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له : قوقل فى هذا الجبل وقد أمنت أى ارتق وهم القواقلة .

(٥) أوضح ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب أسماء بنى غنم بن الخزرج بن حارثة . (ص٣٣٥) وبنى عوف ابن الخزرج (ص ٣٣٣) .

(٦) هذا النص منقول عن الخشنى ولم نجد فى المعاجم ما يفيد أن بقع الأرض تعنى البعد وفى القاموس بقعت الأرض منه أى خلت وفى الصحاح والتاج : ما أدرى أين بقع أى ذهب ولا يستعمل إلا فى الجحد .

(٧) ضرحت الدابة ضراحا من باب نصر رمحت ، وضرح الشىء من باب فتح دفعه وأبعده ناحية ، والضروح مبالغة ضارح وفرس ضروح نفوح برجله .

أى أولئك . « يُغِبُّكَ » بضم المثناة التحتية وكسر الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة [من أغبَّ القَوْمَ إذا جاءهم يوماً وتركهم يوماً[1]] . «دُجَى الليل» بضم الدال المهملة أى ظلمة الليل.

[شرح ما جاء فى بيعة العقبة[2]]

« كُفَلَاءَ » جمع كفيل وهو الضَّمِين . « عَلَامَ » : ما استفهامية اتصلت بعلى . « الأحمر » : العَجَم « والأَسْوَد » : العَرَب . « نُهِكَتْ » بضم النون وكسر الهاء وفتح الكاف فتاء تأنيث : نَقَصَتْ . « أَنْفَذ صوت » بالذال المعجمة : أبعد . « الجَبَاجِب » بجيمين الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم : مُوَحَّدَة ، قال فى القاموس جبال بمكة أو أسواقها أو منحر مِنى كان يُلْقَى به الكروش . «المُذَمَّم» بذال معجمة المذموم جداً ، وأرادت قريش عكس اسم النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون عِوَضَ محمد : مُذَمَّم بوزنه وعكس معناه ، وكَذَبُوا بل محمد من كثرة خصاله المحمودة وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم وهو اسم صادق على مُسَمَّاه / «الصُّبَّاء» بضم الصاد المهملة والباء المُشَدَّدَة جمع صابئ وهو الخارج من دين إلى دين . «إِزْب» بهمزة مكسورة فزاى ساكنة فباء مُوَحَّدة . وفيما ذكر ابن هشام بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الياء [أَزْيَب] . «ارْفَضُّوا» تفَرَّقوا . «أَحْفَظْتَ» الفتى بالحاء المهملة والفاء والظاء المعجمة أى أغْضَبْتَهُ والحفيظة الغَضَب . «أمْرٌ جسيم» عظيم . «ليتفَوَّتُوا عَلَيّ» ، من الفَوْت ، يُقال تَفَوَّت فلان على فلان فى كذا وافتات عليه إذا انفرد برأيه دونه فى التصرف ولما ضُمِّنَ معنى التغلب عُدِّىَ بعلى[3] . «تَنَطُّس» بمثناة فوقية فنون فطاء فسين مهملتَيْن ، قال ابن هشام : المُبَالغة فى التفتيش . «أذاخِر» بذال وخاء مكسورة معجمتَيْن اسم موضع[4] . « بِنِسْع رَحْلِه[5] » : بنون مكسورة فسين فعين مهملتَيْن : السير المضفور من الأَدِيم على هيئة أَعِنَّة البغال . «الجُمَّة» : بالضَّمّ الشَّعْر إلى شَحْمة الأُذُن . «وضِيء» : جميل . «لَكَمَهُ» : ضربه بِجَمْع كَفِّه . « أَوَى » : أى أَشْفَقَ ورَحِم . «شَعْشَاع»: طويل . « جُوَار » : بضَمّ الجيم وكسرها

٤٠٠ و

---

(١) زيادة أضيفت لأن المؤلف اقتصر على ضبط الكلمة دون شرحها .

(٢) عنوان جديد لأن المؤلف خلط بين شرح أبيات كعب بن مالك وشرح ماجاء فى بيعة العقبة .

(٣) هذا الشرح فى النهاية (جـ ٣ ص ٢١٧) (٤) أذاخر ثنية بين مكة والمدينة عن معجم البكرى

(٥) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٤٠) النسعة بالكسر سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير ، والجمع نسع – بضم النون وسكون السين – ونسع – بكسر النون وفتح السين – وأنساع .

[العهد والأمان[1]] . «تِجار» : بكسر التاء يُخَفَّف ويُشَدَّد جمع تاجر . فاهْتِفْ : صِحْ وادْعُ .

[شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحَسَّان بن ثابت[2]]

« عَنْوَةً » : بفتح العين أى قهرا « طُلَّتْ » بضَمّ الطاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة ثم تاء التأنيث : أى أُهْدِرَتْ . « حَرِيًّا » : بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية : أى حقيقاً وجديراً . «ضُمَّرًا» : بضَم الضاد المعجمة جمع ضامر . « شَرَف » : المكان العالى [يُشْرِف على ما حوله[3]] . « تَدَارَكْتَ وأَخَذْتَ » : كلاهما بتاء الخطاب . « البَرْقَاء » : كل موضع فيه حجارة مختلفة الألوان « الكَتَّان» : بفتح الكاف[4] . « الأنباط[5] » : قوم من العجم . « الرَّيْط » : الملاحف البيض واحدتها رَيْطَة «مُقَصَّرا » : بميم مضمومة فقاف مفتوحة فصاد مهملة مُشَدَّدة أى قُصِّرَتْ[6] بالمِقْصَرة كمِكْنَسَةَ خشبة القَصَّار «حُسَّرًا» مُعْيِيَة[7] . « الوَسْنَان » : النائم . الثَّكْلَى : المرأة الفاقدة ولدها . « حَتْفها »: هلاكها . « مَحْفَر» بفتح الفاء مصدر « ومَحْفِر » بكسر الفاء مكان .

الثالث[8] : فى معرفة أسماء الذين بايعوا لَيْلَة العقبة الثالثة :

وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . قال فى العيون : هذا هو العدد المعروف، وإن زاد فى التفصيل فليس ذلك بزيادة فى الجملة وإنما هو لِمَحَلّ الخلاف فيمن شهد . فبعض الرُّواة

---

(١) زيادة لشرح ما أغفله المؤلف .

(٢) عنوان جديد يقتضيه انتقال المؤلف إلى شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحسان بن ثابت .

(٣) زيادة لشرح المعنى .

(٤) الكتان نبت يتخذ من أليافه النسيج المعروف .

(٥) الأنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين : أحدهما آرامى والآخر عربى كانت لهم دولة فى القرن السابع قبل الميلاد وسقطت فى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبى الشرقى من فلسطين إلى رأس خليج العقبة وكانت عاصمتهم سلع أى الصخرة وهى التى سماها اليونان بطرة وأطلقوا هذه الكلمة على البلاد العربية كلها . ويطلق العرب كلمة أنباط على المشتغلين بالزراعة أو أخلاط الناس من غير العرب عن المعجم الوسيط .

(٦) قصر الثوب دقه وبيضه فهو مقصر والقصار المبيض للثياب . وتسمى العصا التى يدق بها القصار الثياب المقصرة

(٧) هكذا شرحها الخشنى (ج ١ ص١٢١) ومعيية من الإعياء وأعيا الرجل تعب تعبا شديدا وعلى ذلك فإن حسرا هنا من حسر يحسر حسارة من باب كرم : كل – بفتح الكاف وتشديد اللام – فهو حسير قال تعالى : « ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » (سورة الملك آية ٤) .

(٨) هذا هو التنبيه الثالث .

يثبته وبعضهم يثبت غَيْرَه بدله . قلت: ورَتَّب ابن إسحق أسماءهم على القبائل والبطون وَرتَّبهم على حروف المعجم ليسهل الكشف [عنهم]. واعلم أن كل اسم يأتى فيهم بلفظ : «عبد الأشهل» فإنه بشين معجمة ، أو بلفظ «بُهْثَه» فإنه بضم الباء المُوَحَّدة وسكون الهاء وبالثاء المثلثة ، أو بلفظ «يزيد» فإنه بالمثناة التحتية إلا «تزيد بن جُشَم» فإنه بالمثناة الفوقية والزاى بعدها تحتية . أو بلفظ «جُشَم» فإنه بجيم مضمومة فشين معجمة مفتوحة ، وهو غير منصرف للعلمية والعَدْل من جاشم ، أو بلفظ «حارثة» فإنه بالحاء المهملة والمثلثة ، أو بلفظ «حَرَام» فإنه بالحاء والراء المهملتين ، أو بلفظ «خَنْسَاء» فإنه بخاء معجمة فنون فسين فألف تأنيث . أو بلفظ «زُرَيْق» فإنه بزاى مضمومة فراء مفتوحة فَمُثَنَّاة تحتية ساكنة فقاف . أو بلفظ «زعوراء» فإنه بزاى مفتوحة فعين مهملة مضمومة فواو ساكنة فراء فهمزة ممدودة ، أو بلفظ «سارِدة» بكسر الراء فإنه بمُهْمَلَات ، أو بلفظ «سَرْح» بسكون الراء فإنه بمهملات ، أو بلفظ «سَلِمَة» بكسر اللام ، أو بلفظ «السَّلَم» فإنه بفتحتين . أو بلفظ «سِنَان» فإنه بسين مكسورة ونونين بينهما ألف أو بلفظ «سَواد» فإنه بفتح السين المهملة وتخفيف الواو وآخره دال مهملة . أو بلفظ «غَنْم» فإنه بغين معجمة فنون ساكنة أو بلفظ «لَوْذَان» فإنه بفتح اللام والذال المعجمة . أو بلفظ «مَبْذُول» / فإنه بالموحدة والمعجمة بلفظ اسم المفعول . أو بلفظ «نَابى» فإنه بالنون والباء الموحدة . أو بلفظ «النَّجَّار» أو «النَّجَّارى» فإنه بالنون والجيم .

٤٠٠ ظ

[باب الهمزة[1]] : أُبَىّ – بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية – ابن كعب بن قيس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عَمْرو بن مالك بن النَّجَّار ، وهو تيم الله بن ثعلبة ابن عَمْرو بن الخَزْرَج بن عَمْرو بن حَبِيب – بفتح المهملة وكسر الموحدة – ابن حارثة ابن غضب بفتح الغين وسكون الضاد المعجمتين . أسعد بن زُرَارة – بضم الزاى – ابن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار الخزرجى النَّجَّارى أبو أُمَامَة . أُسَيْد – بضم أوله وسكون التحتية – ابن حُضَيْر – بحاء مهملة مضمومة فضاد معجمة مفتوحة[2] فراء – ابن سِمَاك – بكسر السين المهملة وآخره كاف – ابن عَتِيك – ككريم –

---

(١) زيادة عن الأصل.

(٢) نسى المؤلف أن يضيف فمثناة تحتية ساكنة .

ابن رافع[1] بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأَوْس الأَوْسي الأَشهلي يُكْنَى أَبا يحيي وقيل كنيته أَبو عتيك . أَوْس بن ثابت – بالمثلثة – ابن المنذر ابن حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة – بفتح الميم – ابن عَدِيّ بن مالك[2] بن النجار [بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج[3]] أخو حَسَّان بن ثابت رضى الله عنه . أوس بن زيد بن أصرم ، ذكره ابن عُقْبَة فيهم .

الباء المُوَحَّدة : البَرَاء – بفتح الموحدة فالراء ممدوداً مُخَفَّفاً – ابن مَعْرُور – بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء أُخرى – ابن صَخْر – بصاد مهملة مفتوحة فخاء معجمة – ابن خنساء [ابن سِنان بن عُبَيْد[4]] بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة ابن سعد بن على بن أَسَد [بن ساردة[3]] ابن تزيد ابن جُشَم [ابن الخزرج[4]] ، وهو أول من بايع ليلتئذٍ فى قول ابن إسحق ، وأول من أوصى بثلث ماله . بِشْر بن البَرَاء بن معرور . بَشير – بفتح أوله وكسر المعجمة بعدها مثناة – ابن سعد بن ثعلبة بن جُلَاس – بضم الجيم مخففاً وضبطه الدارقطنى بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام – ابن زيد بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج [ابن الحارث بن الخزرج[4]] . بُهَيْز – بضم أوله وفتح الهاء وسكون التحتية ، قال فى النور : وآخره زاى ، وضبطه الحافظ[5] فى الإصابة بالراء : وقيل : أوله نون بدل المُوَحَّدة – ابن الهيثم بن عامر ، وقيل ابن نابى بن مَجْدَعة – بفتح الميم وسكون الجيم ، وبالعين المهملة – ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس الأوسى الحارثى .

الثاء المثلثة : ثابت بن الجـذع – واسم الجِـذْع ثعلبة ، والجِذع بكسر الجيم

---

(1) لم يرد ابن رافع فى نسب أسيد بن حضير كما ذكره ابن الأثير فى ترجمته ، انظر أسد الغابة جـ 1 ص 92 .

(2) فى أسد الغابة (جـ 1 ص 140) : ابن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، أى أن عدى حفيد مالك وليس ابناً له .

(3) زيادة فى نسبه من أسد الغابة .

(4) زيادة فى نسب البراء بن معرور من أسد الغابة جـ 1 ص 173 . وزيادة فى نسب بشير بن سعد (جـ 1 ص 190)

(5) لفظ ابن حجر فى الإصابة (جـ1 ص 173 رقم 747) . بهير بالتصغير آخره راء ، أبو الهيثم الأنصارى الحارثى ذكره ابن إسحق فيمن شهد العقبة وكذا ذكره أبو الأسود عن عروة وزاد أنه شهد أحدا وكذلك ذكره الطبرى وقال إن أوله نون .

وبالذال المعجمة كذا قال فى النور ، وفى نسخة صحيحة من العيون بضم الجيم وفتح الذال وفى نسخة صحيحة من سيرة ابن هشام بفتحها - ابن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج الخزرجى السُّلَمِى . ثعلبة بن عُبَيْد بن عَدِىّ : قال الذهبى فى التجريد : «ذكره ابن الجوزى فى التلقيح » . قال الحافظ : «أخشى أن يكون وقع فى اسم أبيه تصحيف وهو ثعلبة بن عَنَمَة - بعين مهملة ونون فميم مفتوحات - ابن عدى بن نابى بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة السُّلَمِى الخزرجى » .

الجيم : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة[1] بن حرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج الخزرجى السلمى . جَبَّار - بجيم مفتوحة فباء مُوَحَّدة مُشَدَّدَة فراء - ابن صَخْر بن أُمية ابن خنساء - ويقال خُنَيْس - ابن سِنان بن عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة [الخزرجى ثم[2]] السلمى أبو عبد الله .

الحاء المهملة : الحارث بن قيس بن خَلَدَة - بفتح الخاء المعجمة واللام ويقال خالد - ابن مُخَلَّد - بضم الميم فخاء معجمة فلام مُشَدَّدة مفتوحتين - ابن عامر بن زُرَيْق [بن عامر ابن زُرَيْق[3]] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب - بغين مفتوحة فضاد ساكنة معجمتين - ابن جُشَم [ابن الخزرج الخزرجى ثم[4]] الزرقى ، أبو خالد .

الخاء المعجمة : خارجة بن زيد بن [أبى][5] زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك

---

(١) جابر بن عبد الله هذا له أسمياء (جمع سمى) كثيرون ولذا فإنه يحسن ضبط نسبه وقد ساق المؤلف نسبه هكذا : جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام [بن عمرو بن سواد بن سلمة] وما بين معقفين خطأ وصوابه ما أثبتناه نقلا عن ابن هشام (ج ٢ ص ٧١) الذى وقف عند حرام الثانية وأكمله ابن حزم فى الجمهرة ص ٣٣٩ .

(٢) زيادة من ترجمة جبار بن صخر فى أسد الغابة ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) زيادة فى نسبه أثبتها ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ١ ص ٣٤٤) وأغفلها ابن حجر فى الإصابة (ج ٧ ص ٥٠ رقم ٣٣٠) حيث ترجم له فى باب الكنى وكنية الحارث بن قيس هو أبو خالد .

(٤) زيادة فى نسبه من أسد الغابة (ج ١ ص ٣٤٤) .

(٥) أغفلت الكنية فى الأصول والتصويب من ابن هشام (ج ٢ ص ٦٧) وأسد الغابة (ج ٢ ص ٨٠) .

٤٠١ و [الأغر] بن ثعلبة / بن كعب بن الخزرج بن الحارث الخزرجي . خالد بن زيد بن كُلَيْب – بضم الكاف – ابن ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار [واسمه[1]] تيم الله بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج [الأكبر][1] أبو أيوب الخزرجي النَّجّاري . خالد ابن عَمْرو بن عدى[2] بن نابى بن عَمْرو بن سواد بن عدى بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة [الخزرجى] السُّلَمِى . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن مالك بن عامر بن بياضة [ابن عامر بن زُرِيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج الأكبر[3]] الخزرجي البياضى . خَديج بن سلامة – وقيل بن سالم بن أوس[4] بن عَمْرو [بن][5] القُرَاقِر – بقافين وراءين مُهْمَلَتَيْن – ابن الضَّحْيَان[6] البلوى نَسَباً الأنصارى حِلْفاً ، حليف لبنى حرام بن كعب [بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة من الأنصار[7]] . خَلَّاد – بفتح أوله وتشديد اللام وآخره دال مهملة – ابن سُوَيْد بن ثعلبة بن عَمْرو بن حارثة ابن امرئ القيس [بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر الأنصارى[8]] الخزرجي الحارثى [من بلحارث بن الخزرج[8]] .

الذال المعجمة : ذَكْوَان بن عبد قَيْس بن خَلَدَة[9] – أخو الحارث السابق[10] – [ابن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق[11]] أبو السبع – بسين مهملة فباء موحدة ، كان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فهو مهاجرى أنصارى .

---

(١) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ٨٨ . وقال ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ٨٩) إنه معروف باسمه وكنيته
(٢) ذكر المؤلف أن جده أبو كعب ولم نجده فى سياق نسبه فى أسد الغابة (جـ ٢ ص ٩٨) ولا فى الإصابة (جـ ٢ ص ٩٥ رقم ٢١٨١) .
(٣) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ٩٩ .
(٤) زاد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ١٠٦ رقم ٢١٢٧) ويقال : ابن أوس بن سالم .
(٥) سقطت كلمة « ابن » من الأصول وهى مثبته فى سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٧١) وأسد الغابة (جـ ٢ ص ١١٥) وجوامع السيرة لابن حزم ص ٨٤ والخشنى جـ ١ ص ١٢٣ ، وجاء فى الأخير أن الفرافر يروى بالفاء والقاف قيده الدارقطنى وفى الإصابة (جـ ٢ ص ١٠٦) ابن الفرات وهو خطأ .
(٦) فى الأصول الضحـاك والتصويب من أسد الغابة .
(٧) زيادة من أسد الغابة .
(٨) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ١٢١)
(٩) فى سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٦٩) وأسد الغابة (جـ ٢ ص ١٣٧) وفى الكنى (جـ ٥ ص ٢٠٧ : ٢٠٨)
(١٠) لم تذكر كلمة عبد فى اسم أبى الحارث بن قيس بن خلدة .
(١١) زيادة فى نسبه من أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٣٧) والإصابة (جـ ٢ ص ١٧٢ رقم ٢٤٣٢)

الراء : رافع بن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيْق [بن عامر[1]] بن عبد حارثة بن مالك [بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج الخزرجي الزرقي[1]] . رفاعة - بكسر الراء وتخفيف الفاء وفتح العين المهملة - ابن رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي الزرقي . رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[2] - بزاى مفتوحة فنون ساكنة فمُوَحَّدة مفتوحة - ابن زيد ابن أُمية بن مالك بن عوف بن عَمْرو [بن عوف بن مالك بن الأَوس أبو لُبَابة[3]] . الأَوْسِي . رفاعة بن عَمْرو بن زيد - وقيل ابن نوفل وقيل ابن عمرو وقيل ابن قيس - ابن ثعلبة [بن جُشَم بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج الخزرجي[4]] أبو الوليد[5] .

الزاى : زياد بن لَبيد - بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية وآخره [دال] مهملة - ابن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عَدِيّ بن أُمية بن بياضَة - بالمعجمة - ابن عامر ابن زُرَيْق بن عبدحارثة بن مالك [بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج[6]] الخزرجي البياضي. زيد بن سهل بن الأَسود بن حرام بن عَمْرو بن زيد مناة [بن عدى][7] بن عَمْرو بن مالك ابن النجار الخزرجي [النَّجَّارى[7]] أبو طَلْحَة [وهو مشهور بكنيته وهو[7]] زوج أُم سليم [بنت مِلْحَان[7]] أُم أَنَس بن مالك .

السين المهملة : سعد بن خيثمة - بخاء مفتوحة فمثناة تحتية فمثلثة فميم فهاء تأنيث - ابن الحارث بن مالك بن كعب [بن] النَّحَّاط[8] - بنون فحاء وطاء مهملتين بينهما أَلف - ابن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم - بسين مهملة مشددة فلام ساكنة[9] -

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٥٧)
(٢) هو زنبر أيضا فى الإمتاع ص ٣٧ ولكنه فى جمهرة ابن حزم « زر »
(٣) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٨٣) .
(٤) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٨٤) .
(٥) ويعرف أيضا بابن أبى الوليد لأن جده زيد بن عمرو يكنى أبا الوليد .
(٦) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ٢١٧ .
(٦) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ٢١٧ .
(٧) زيادة من أسد الغابة جـ ٢ ص ٢٣٢ .
(٨) نقل ابن سعد عن ابن الكلبى أنه كان يقول الخناط بن كعب .
(٩) السلم بلام مفتوحة فى جوامع السيرة لابن حزم ص ٧٧ .

ابن امرئ القيس بن مالك [بن الأوس[1]] الأوسى أبو خيثمة . سعد بن الرَّبيع - بفتح الراء - ابن عَمْرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل الأوسى الأشهلى . سعد بن عُبَادة - بعين مهملة مضمومة فباء موحدة مُخَفَّفة - ابن دُلَيْم - بدال مهملة مضمومة فلام مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة - ابن حارثة بن أبي حَزِيمة - بحاء مهملة مفتوحة فزاى مكسورة فمثناة تحتية ، قال فى الإملاء : هذا هو الصواب وكذا قَيَّده الدارقطنى ويروى بخاء مضمومة وزاى مفتوحة - ابن ثعلبة بن طَرِيف - بالطاء المهملة المفتوحة وبالفاء - ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، يُكْنَى أبا ثابت [وقيل] أبا قيس[2] ، سيد الخزرج . سَلَمة - بفتح أوله وثانيه - ابن سلامة بن وَقْش - بفتح الواو وإسكان القاف وتُفْتَح - ابن زُغْبَة - بزاى مضمومة فغين معجمة ساكنة ، فمُوَحَّدة مفتوحة فتاء تأنيث - ابن زَعُوراء بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن مالك بن الأوس الأوْسى الأشهلى . سليم بن عَمْرو - أو عامر - ابن حَديدة - بفتح الحاء المهملة - ابن عَمْرو بن غَنْم بن سواد بن غَنْم بن كعب [بن سَلِمة[3]] ، السَّلَمِي . سِنَان بن صيفى بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيْد بن عَدِيّ [بن غَنْم[4]]

ابن/ كَعْب بن سَلِمة الخزرجى السلمى . سهل بن عَتِيك - ككريم - ابن النعمان بن عَمْرو ابن عَتِيك بن عَمْرو بن مبذول - بالذال المعجمة اسم مفعول - وهو عامر بن مالك بن النَّجَّار [الخزرجى[5]] .

٤٠١ ظ

الشين المعجمة : شمر بن سعد بن ثعلبة ، كذا فى التلقيح ولم أرَه فى غيره .

الصاد المهملة : صيفى بن سواد بن عَبَّاد بن عَمْرو بن غَنْم[6] [بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة[7]] السلمى .

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ٢٧٥) .

(٢) زاد ابن الأثير (جـ ٢ ص ٢٨٣) . والأول أصح .

(٣) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ٣٤٩) .

(٤) زيادة من أسد الغابة (جـ ٢ ص ٣٥٩) .

(٥) زيادة من ابن الأثير الذى ذكر أيضا أنه يسمى سهيلا . (جـ ٢ ص ٣٦٧) .

(٦) فى الأصول : عثمان وأثبتنا ما ورد فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٣٤) وقال ابن هشام : صيفى بن أسود .

(٧) زيادة من أسد الغابة

[الضاد المعجمة[1]] : الضَّحَّاك بن زيد بن الطفيل ، كذا فى التلقيح ولم أَرَه فى غيره .
الضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبَيْد [بن عدى بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة[2]] الخزرجى [ثم][2] السُّلَمى .

الطاء المهملة : الطفيل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد بن عدى بن غَنْم بن كعب السلمى .

الظاء المعجمة : ظُهَيْر – بالتصغير – ابن رافع بن عدى بن زيد[3] بن جُشَم بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو – [وهو النبيت[4]] – ابن مالك بن الأَوس الأَوسى .[؟]

العين المهملة : عامر بن نابى – بالنون وبالموحدة – ابن زيد بن حرام . عُبَادة – بضم أَوله وتخفيف المُوَحَّدة – ابن الصامِت – بكسر الميم – ابن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف[5] بن عَمْرو بن عوف بن الخزرج الخزرجى أَبو الوليد . عَبَّاد – بفتح أَوله وتشديد الموحدة – ابن قيس – بالمثناة التحتية – ابن عامر بن خالد بن مُخَلَّد[6] – كمحمد – ابن عامر بن زُرَيق الزرقى . العباس بن عُبَادة بن نضلة – بنون مفتوحة فضاد معجمة ساكنة – ابن مالك بن العجلان الخزرجى . عبد الله بن أُنَيْس – بضم أَوله مُصَغَّراً – ابن أَسعد بن حرام [بن حُبَيْب[7]] بن مالك بن غَنْم بن كعب بن ناشز[8] – بالنون والشين المعجمة والزاى – ابن يَرْبُوع – بمثناة مفتوحة فراء ساكنة فمُوَحَّدَة مضمومة فعين مهملة – ابن البُرْك – بموحدة مضمومة فراء ساكنة فكاف – ابن وَبَرة – بفتح الواو فالموحدة والراء ، وعند ابن عُمَر : تيم[9] بن نُفَاثة – بنون مضمومة ففاء ومثلثة – ابن إِياس بن يربوع ،

---

(١) زيادة لبيان الأعلام التى تبدأ بحرف الضاد

(٢) زيادة من أسد الغابة (جـ ٣ ص ٣٥) .

(٣) هكذا فى الإصابة (جـ ٣ ص ٣٠٤) ولكن فى أسد الغابة جـ ٣ ص ٧٠ : تزيد بدلا من زيد .

(٤) زيادة من أسد الغابة .

(٥) زاد المؤلف « سالم » بين غنم وعوف ولم نجد سالما فى النسب الذى ساقه ابن سعد ولا ابن الأثير ولا ابن حجر وكذلك لم نجده فى جوامع السيرة لابن حزم ص ٧١ .

(٦) لم نجد فى نسب عباد بن قيس : خالد بن مخلد .

(٧) زيادة من جوامع السيرة لابن حزم ص ٨٣ .

(٨) وردت أيضا ناشرة بالراء وتاء التأنيث .

(٩) فى نسبه خلاف بعد تيم فهو تيم بن بهثة بن ناشرة بن يربوع . وساق ابن حزم فى الجمهرة (ص٤٢٣) نسبه هكذا بعد تيم : ابن تيم بن نفاثة بن إياس بن يربوع بن البرك بن وبرة .

دَخَل البُرْك[1] فى جهينة حليفاً لهم[2] . عبد الله بن جُبَيْر – بضم الجيم وفتح الموحدة – ابن النعمان [بن أُمية[3]] بن امرئ القيس [وهو[4]] البُرَك – بضم الموحدة وفتح الراء وبالكاف – ابن ثعلبة بن عَمْرو [بن عوف بن مالك بن الأَوس[5]] الأَوْسِى [ثم من بنى ثعلبة بن عَمْرو[5]] . عبد الله بن الربيع بن قيس بن عمرو بن عَبَّاد بن الأَبْجَر – بفتح الهمزة فموحدة ساكنة فجيم مفتوحة فراء ، والأَبْجَر هو خُدْرَة – بضم الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة – ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الخزرجى . عبد الله بن رَوَاحَة – بالفتح ومهملة مُخَفَّفاً – ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عَمْرو بن امرئ القيس [الأَكبر] ابن مالك الأَغرّ ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجى . عبد الله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [من بنى جُشَم[6]] بن الحارث بن الخزرج ، الخزرجى الحارثى [ويُكْنَى] أبا محمد [وهو الذى] أُرِى[7] الأَذان [فى النوم[8]] . عبد الله بن عمرو ابن حزام [بن ثعلبة بن حرام[9]] بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة [بن سعد بن على ابن أَسد بن ساردة بن يزيد[10] بن جُشَم بن الخزرج الخزرجى[11]] السلمى ، يكنى أَبا جابر والد جابر بن عبد الله . عَبْس – بفتح أَوله وسكون الباء وبالسين المهملة – ابن عامر

---

(١) ضبطت البرك فى جوامع السيرة (ص ٨٣) وفى الجمهرة بفتح الموحدة وإسكان الراء كما أن المؤلف بعد أن ضبطها بضم الموحدة وإسكان الراء عاد إلى القول بضبطها بفتح الراء .

(٢) فى جوامع السيرة حليف لهم قضاعى .

(٣) زيادة من أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٣٠) .

(٤) فى الأصول : ابن امرئ القيس بن البرك أى أنهما شخصان وهما شخص واحد والتصويب من نسب أخيه خوات بن جبير كما أورده ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ١٤٣) ومن أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٣٠) .

(٥) زيادة من أسد الغابة .

(٦) زيادة من أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٦٥) ونسبه فى الإصابة (جـ ٤ ص ٧٢) زاد ابن حجر فيه بعد ثعلبة ابن عبد الله (بدلا من عبد ربه) بن ثعلبة .

(٧) فى الأصول رأى الأذان .

(٨) زيادة من ابن الأثير .

(٩) زيادة من جمهرة ابن حزم ص ٣٣٩

(١٠) فى رواية : ابن تزيد .

(١١) زيادة من أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢٣١)

ابن عدى بن نابي [بن عمرو بن سواد بن تميم بن كعب بن سَلِمَة[1]] السُّلَمِى . عُبَيْد - بضم أوله بغير إضافة - ابن التَّيِّهان ، أخو أَبي الهيثم[2] . عُقْبَة - بضم أوله - ابن عَمْرو ابن ثعلبة بن أُسَيْرَة - بضم الهمزة وفتح المهملة - ابن عُسَيْرة ، واختلفوا فى تقييد عسِيرة فمنهم من يفتح العين ويكسر السين المهملتين ومنهم من يضم العين ويفتح السين - ابن عطية بن خُدَارة - بالخاء المعجمة المضمومة ، وبعضهم يقول بجيم مضمومة ومكسورة[3] - ابن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو مسعود البدرى[4] . عُقْبَة بن وَهْب بن كَلَدَة - بفتح الكاف واللام والدال المهملة - ابن الجَعْد - بفتح الجيم وسكون العين وبالدال المهملتين / ابن هلال بن الحارث بن عَمْرو بن عدى بن جُشَم بن عوف - بالفاء - ابن بُهْثَة بن عبد الله بن غَطَفَان - بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة والفاء - [ابن قيس بن عَيْلان[5]] الغَطَفانى ، حليف لبنى سالم [ابن غَنْم بن عَوْف بن الخزرج[6]] قال ابن إسحق : « كان أول من أسلم من الأنصار ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يزل معه حتى هاجر فكان يقال له مهاجرى أنصارى » . عُمَارة - بضم أوله والتخفيف - ابن حَزْم بن زيد بن لَوْذَان بن عَمْرو بن عَبْد [بن[7]] عوف بن غَنْم بن مالك [بن[8]] النَّجَّار ،

٤٠٢ و

---

(١) زيادة فى نسبه من الإصابة (ج ٤ ص ١٩٦ رقم ٥٢٨٠) وأضاف ابن حجر : ذكره موسى بن عقبة وابن إسحق والواقدي وغيرهم فيمن شهد بدرا والعقبة وأحدا إلا أن موسى قال : عبسى .

(٢) ذكر ابن حجر نسبه فى ترجمة أخيه أبى الهيثم (ج ٧ ص ٢٠٩ فى الإصابة) وهو : ابن مالك بن عتيك ابن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زغور الأوسى . وقال ابن حجر فى ترجمة عبيد بن التيهان (الإصابة ج ٤ ص ٣٠٣) إن ابن إسحق ذكره فيمن شهد بدرا وتابعه الواقدى على تسميته وأما موسى بن عقبة وأبو معشر وعبد الله بن محمد بن عمارة فسموه عتيكا وترجم له ابن الأثير تحت اسم عبيد وتحت اسم عتيك (أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٠) .

(٣) فى شرح السيرة للخشنى (ج ١ ص ١٢٢) : وقوله فى نسب عقبة بن عمرو بن عسيرة بن جدارة يروى هنا بفتح الجيم وكسرها ويروى أيضا خدارة بخاء معجمة مضمومة وهو أخو خدرة الذى ينسب إليه أبو سعيد الخدرى وبالجيم المكسورة قيده الدارقطنى .

(٤) مشهور بكنيته ولم يشهد بدراً وإنما سكن بدرا وشهد العقبة الثانية ، عن أسد الغابة ج ٣ ص ٤١٩ .

(٥) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ٤٢١) .

(٦) هكذا فى أسد الغابة وفى جوامع السيرة : ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر حليف لهم .

(٧) زيادة من جمهرة ابن حزم ص ٣٢٨ .

(٨) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٤٨) .

الخزرجي النَّجّارى . عَمْرو بن الجَمُوح – بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء المهملة – ابن زيد ابن حرام بن كعب بن غَنْم[1] بن سَلِمة السُّلَمى [من بنى جُشَم بن الخزرج[2]] . عَمْرو ابن الحارث بن كِنْدَة بن عَمْرو بن ثعلبة [من القواقل شهد العقبة الثانية قاله ابن إسحق[3]] . عَمْرو بن عَنَمَه – بمهملة فنون فميم مفتوحات – ابن عدى بن نابى [ابن عمرو[4]] بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة السلمى . عَمْرو بن غَزِيَّة – بغين معجمة مفتوحة فزاى مكسورة فمثناة تحتية مُشَدَّدَة – ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عَمْرو [ابن غَنْم[5]] بن مازن – بالزاى – ابن النَّجّار [الخزرجى ثم المازنى[6]] ، يقال إنه شهد العقبة ، وقال ابن هشام : عَمْرو بن غزية [بن عَمْرو بن ثعلبة[7]] وهو عطية بن خنساء . عُمَيْر – وقيل عَمْرو – ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد الخزرجى [كذا نسبه ابن إسحق وزاد موسى[8]] بن عُقْبة بَيْن الحارث وثعلبة : لِبْدَة[9] – بكسر اللام وإسكان الموحدة وبالمهملة . عُمَيْر بن

---

(١) زاد المؤلف كعباً بين غنم وسلمة ولم نجده فى النسب الذى ساقه ابن حجر فى الإصابة (ج ٤ ص ٢٩٠ رقم ٥٧٩٢) .

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٩٣) .

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٩٦) .

(٤) زيادة من الإصابة (ج ٥ ص ٩ رقم ٥٩١٨) هذا ولم يترجم ابن الأثير فى أسد الغابة لعمرو بن عنمة كما أن ابن حجر لم يذكر أنه كان عقبياً أى شهد العقبة فقد اقتصر على القول أن موسى بن عقبة وغيره ذكروه فيمن شهد بدراً وفى البكائين كذا ذكره ابن إسحق .

(٥) زيادة من جوامع السيرة ص ٨٠ .

(٦) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ١٢٥ .

(٧) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٦٧) وصواب ثعلبة عند ابن هشام هو عطية ولو أن ناشر السيرة فى طبعة التجارية سنة ١٩٣٧ م وضع بين قوسين (ابن عطية) وقد ورد ابن ثعلبة فى أسد الغابة ج ٤ ص ١٢٥ وفى الإصابة ج ٥ ص ١٠ ولكنه لم يرد فى جمهرة ابن حزم ص ٣٣٣ وورد بدلا منه عمرو بن عطية بن خنساء .

(٨) زيادة من الإصابة ج ٥ ص ٣٠ .

(٩) هذا مما نقله المؤلف عن ابن حجر وأضاف الأخير ما قاله ابن إسحق وابن عقبة أن عمرو بن غزية شهد بدراً وقال ابن عمر شهد العقبة وبدراً وأحداً وقال ابن الكلبى كان يقال له مقرن لأنه كان يقرن الأسارى بعد وقعة بعاث (الإصابة ج ٥ ص ٣٠) .

عامر بن نابى بن يزيد بن حرام الخزرجى ، قال[1] ابن الكلبى : شهد المشاهد كلها ، وأَقَرَّه الرشاطى[2] والحافظ ، وقال الحافظ الدمياطى[3] : لم أرَ من ذكره فى الصحابة غيره.

عوف بن الحارث بن رِفاعة – بكسر الراء – ابن الحارث بن سواد [بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار الخزرجى[4]] النَّجَّارى يُعْرَف بأُمه عَفْراء[5] ، ويقال بحذف الحارث الثانى . عُوَيْم – بضم أوله وفتح الواو وسكون التحتية بعدها ميم وليس بعدها راء – ابن ساعدة بن عَايِش – بمثناة تحتية فشين معجمة – ابن قيس بن النعمان بن زيد بن أُمية ابن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأَوس الأَوْسِيّ .

الفاء : فَرْوَة – بفتح الفاء وسكون الراء – ابن عَمْرو بن وَدْفة – بفتح الواو وإسكان الدال ، قال ابن إسحق : وهى معجمة وقال ابن هشام : مهملة ورَجَّحَه السهيلى وفَسَّره بالروضة[6] – ابن عُبَيْد بن عامر بن بياضة البياضى .

---

(١) ترجم ابن حجر فى الإصابة (ج ٥ ص ٣٣) لعمير بن عامر وأضاف لما نقله عن ابن الكلبى أن عميراً استشهد يوم اليمامة ثم قال : ذكره الرشاطى وقال : لم يذكره ابن عبد البر (أى فى الاستيعاب) .

(٢) الرشاطى ضبطت فيه الراء بالفتح والضم والرشاطى هو عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن أحمد الرشاطى الأندلسى الحافظ النسابة كان إماماً فى الحديث حافظاً للتاريخ والأنساب فقيهاً بارعاً ، استشهد عند فتح الفرنجة لمدينة المرية بالأندلس سنة ٥٤٣ هـ ، من مؤلفاته : اقتباس الأنوار والتماس الأزهار فى التماس أنساب رواة الآثار ، وكتاب الإعلام لما فى المختلف والمؤتلف للدارقطنى من الأوهام ، انظر تذكرة الحافظ للذهبى (ج٤ ص ٩٩) . هذا وقد ذكره الزبيدى فى التاج بقوله : أحد أعلام مرسية من أئمة الأندلس محدث كبير وكتابه المعروف بالأنساب فى ستة أسفار ضخام ينقل عنه الحافظ ابن حجر كثيراً فى التبصير وهو عمدته فى هذه الصنعة .

(٣) هو الحافظ العلامة عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن شرف الدين الدمياطى الشافعى (٦١٣ – ٧٠٥ هـ) وصفه التاج السبكى فى ترجمته له فى طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٣٢ : ١٤١) بأنه كان حافظ زمانه وأستاذ الأستاذين فى معرفة الأنساب وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالى القدر ، سمع الكثير ورحل ولازم الحافظ عبد العظيم المنذرى سنين وتخرج به ، روى عنه تلاميذه المزى والبرزالى وابن سيد الناس والتقى السبكى والد التاج السبكى وأورد الأخير فى ترجمته للدمياطى تحقيقاته التاريخية فى أوهام بعض المحدثين والأخباريين مثل الزهرى وابن سعد وأحمد وعبد البر النمرى وغيرهم تدل على سعة علمه وملكته فى النقد والتمحيص ومن مصنفاته الصلاة الوسطى والذكر والتسبيح ومختصر فى السيرة ترجم له الكتبى فى فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٧ : ٣٩) وابن كثير فى البداية والنهاية (ج ١٤ ص٤٠) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٢) .

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ١٥٥) .

(٥) هى عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار وهى أم معاذ ومعوذ وعوف .

(٦) قال الخشنى (ج ١ ص ١٢٢) فيما يتعلق بفروة بن عمرو بن ودفة : ذكره ابن إسحق بذال معجمة وابن هشام بدال مهملة ومن رواه بالذال المعجمة فهو من توذف فى مشيته إذا تبختر أو أسرع وبالدال المهملة فهو من ودفت الشحمة إذا قطرت وذكرها صاحب العين بالدال المهملة قال ودفة اسم رجل . وعند السهيلى (ج ١ ص ٢٨٢) أن ودفة بالدال المهملة هو الأصح وفسر الودفة بالروضة لأنها تقطر ماء من نعمتها . وقال ابن حجر فى الإصابة (ج ٥ ص ٢٠٨) : ودفة ، ضبطه الدانى فى كتاب أطراف الموطأ له بفتح الواو وسكون الدال المهملة بعدها قاف قال : وهى الروضة .

القاف : قَتَادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظَفَر بن الخزرج [بن عمرو ابن مالك بن الأَوس[1]] الأَوسى [ثم] الظَفَرى ، ذكروه فيهم إلا ابن إسحق . قُطْبة – بضم أوله وسكون الطاء المهملة – ابن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمَة الخزرجي السُّلَمى يُكْنَى أبا زيد . قيس بن أَبى صعصعة – واسم أَبى صعصعة عَمْرو – ابن زيد بن عوف بن مبذول بن عَمْرو بن غَنْم بن مازن بن النَّجَّار [الخزرجى المازنى[2]] .

الكاف : كَعْب بن عَمْرو بن عَبَّاد – بفتح العين المهملة وتشديد الباء المُوَحَّدة – ابن عَمْرو بن سواد بن غَنْم[3] [بن كعب بن سَلِمَة بن سعد بن على بن أسد بن سَارِدة ابن تزيد بن جُشَم بن الخزرج[4]] الخزرجي السُّلَمى أبو اليَسَر – بفتح المثناة التحتية والمهملة . كعب بن مالك بن أَبى كعب عَمْرو بن القَيْن – بفتح القاف وسكون المثناة التحتية – [ابن كعب[5]] بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن عُلَىّ – بضم العين المهملة وفتح اللام – ابن أسد بن ساردة[6] أبو عبد الله الخزرجي السَّلَمى – [بفتحَتَيْن][7] ويقال أبو بشير ، ويقال أبو عبد الرحمن .

الميم : مالك بن التَّيِّهان – بمثناة فوقية مفتوحة فمثناة تحتية مكسورة مُشَدَّدة ويجوز تخفيفها فألف فنون – ابن مالك بن عُبَيْد بن عَمْرو بن عبد الأَعلم بن عامر[8] بن زعوراء بن جُشَم بن [الحارث[9]] بن الخزرج بن عَمْرو وهو النَّبِيت – بفتح النون وكسر الباء الموحدة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية – ابن مالك بن الأَوس ، أبو الهَيْثَم

---

(1) زيادة من أسد الغابة (جـ ٤ ص ١٩٥) .
(2) زيادة من أسد الغابة (جـ ٤ ص ٢١٨) .
(3) فى الجمهرة ص ٣٤١ : ابن عدى بدلا من ابن غنم .
(4) زيادة من أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٤٥ .
(5) زيادة من الجمهرة ص ٣٤١ .
(6) يلى ساردة : ابن أسعد ولم نجد هذا فى سياقة نسبه فى كتب الرجال .
(7) هذا الضبط مذكور فى الإصابة جـ ٥ ص ٣٠٨ .
(8) عامر فى الإصابة جـ ٧ ص ٢٠٩ وليست فى أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٧٤ .
(9) زيادة من أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٧٤ .

الأَوْسِى . مالك بن الدُّخْشُم / بدال مهملة مضمومة فخاء ساكنة فشين مضمومة معجمتين ٤٠٢ ظ
فميم ويقال بالنون بدل الميم ويقال كذلك بالتصغير . ـ ابن مالك بن غَنْم [بن عوف[١]]
ابن عَمْرو بن عوف ، وقيل فى نسبه غير هذا[٢] . قال أبو عمر[٣] : لا يصح منه النِّفَاق
فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه بذلك . مالك بن رفاعة بن عَمْرو بن زيد ،
ذكره الأُموى ، كذا فى العيون ولم أَرَه فى التلقيح لابن الجوزى ولا فى العُجَالة للبرهان
النووى ولا فى الإصابة للحافظ . مسعود بن يزيد بن سُبَيْع بن خنساء ـ ويقال سنان ـ ابن
عُبَيْد بن عَدِىّ بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة السَّلَمىّ . . مُعَاذ ـ ـ بضم أوله وبالذال
المعجمة ـ ابن جَبَل ـ بفتح الجيم والموحدة ـ ابن عَمْرو بن أَوس[٤] بن عايذ ـ بالمثناة
التحتية والذال المعجمة ـ ابن عَدِىّ بن كعب بن عَمْرو بن أُدَىّ ـ بضم الهمزة وفتح الدال
المهملة وتشديد المثناة التحتية ـ ابن سعد بن عُلَىّ ـ بضم العين المهملة وفتح اللام ـ ابن
أَسَدَ بن ساردة بن تزيد بن جُشَم[٥] بن الخزرج ، أبو عبد الرحمن الخزرجى الجُشَمِى ،
الإمام المُقَدَّم فى علم الحلال والحرام رضى الله تعالى عنه . مُعَاذ بن الحارث بن رِفاعة بن
الحارث بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار الخزرجى ، يُعْرَف بأُمّه عفراء .
معاذ بن عَمْرو بن الجَمُوح ـ بجيم مفتوحة فميم فواو ـ ابن زيد بن حرام بن كعب بن
غَنْم بن كعب بن سَلِمة الخزرجى السَّلَمى . مَعْقِل ـ بميم مفتوحة فعين ساكنة مهملة فقاف
مكسورة فلام ـ ابن المُنْذِر بن سَرْح ـ بسين فراء فحاء مهملات ـ ابن خُنَاس بن سِنَان
[بن عبيد[٦]] بن عدى بن غَنْم السلمى[٧]، معن بن عَدِىّ بن الجَدّ ـ بفتح الجيم وتشديد
الدال المهملة ـ ابن العَجْلان بن ضُبَيْعَة ـ بضم الضاد وفتح الموحدة وسكون التحتية

---

(١) زيادة من أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٧٨ .

(٢) قيل فى نسبه : مالك بن الدخشم بن مالك الدخشم بن مرضحة بن غنم .

(٣) فى ت وم ابن عمر والتصويب من ط و الإصابة جـ ٦ ص ٢٣ .

(٤) فى ت وم : أسود والتصويب من ط وابن هشام جـ ٢ ص ٧٢ .

(٥) ذكر المؤلف بعد جشم : ابن عدى بن نابى ولم نجد فيما لدينا من المراجع هذه الأسماء فى سياقة نسبه .

(٦) زيادة من الإصابة جـ ٦ ص ١٢٦ .

(٧) بعد السلمى أضاف ابن حجر أن ابن إسحق ذكره فيمن شهد بدراً .

وبالعين – [ابن حارثة بن ضُبَيْعَة[1]] بن حَرَام بن جُعْل – بضم الجيم وسكون العين المهملة – ابن عَمْرو بن جشم بن رَدْم بن ذُبْيَان بن هُمَيْم – بضم الهاء مُصَغَّراً – ابن ذُهْل – بضم الذال المعجمة – [ابن هَنِى بن بَلِىّ][1] البلوى ، حليف [بنى عَمْرو بن عوف[2]] . مُعَوِّذ – بالذال المعجمة بلفظ اسم الفاعل – ابن الحارث بن رفاعة ، ويُعْرَف بأُمِّه عَفْراء . المُنْذِر بن عَمْرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج الخزرجى الساعدى[3] .

النون : النعمان بن عَمْرو بن رِفاعة بن الحارث بن سواد [بن مالك[4]] بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار . نهير بن بهير – بالموحدة ، [وهو نهير بن الهيثم – من بنى نابى بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو بن مالك بن الأَوس الأَوسى[5]] .

الهاء : هانئ – بهمزة آخره – ابن نِيَار – بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية وآخره راء – ابن عَمْرو بن عُبَيْد بن كِلاب بن دُهْمَان – بدال مهملة مضمومة فهاء ساكنة – [بن غَنْم[6]] بن ذُبْيَان – بذال معجمة مكسورة ويجوز ضمها فموحدة ساكنة فمثناة تَحْتِيَّة وآخره نون – ابن هُمَيْم – بهاء مضمومة فميم مفتوحة فَمُثَنَّاة تحتية فميم أُخرى – ابن كاهِل – بكسر الهاء – ابن ذُهْل – بضم الذال المعجمة وسكون الهاء – ابن هَنِىّ[7] – بفتح الهاء وكسر النون وتشديد التحتية – ابن بَلِىّ – بالموحدة واللام وزان عَلِىّ – ابن عَمْرو بن الحاف – بالحاء المهملة والفاء ومنهم من يكسر همزته ويقطعها ومنهم من يجعل الأَلف واللام فيه

---

(١) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ٤٠١ .

(٢) فى الأصل : حليف الأنصار وأثبتنا عبارة ابن الأثير لأنهـا أكثر تحديداً .

(٣) أثبت ابن هشام (ج ٢ ص ٥٢ و٧٤) وابن الأثير (أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠) ابن حارثة وأسقطها ابن الكلبى وابن منده وأبو نعيم فقالوا : خنيس بن لوذان والمنذر هو الذى لقب بالمعنق ليموت أى المسرع إلى منيته نظراً إلى ما صنعه فى بئر معونة .

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٧) وجوامع السيرة ص ١٤٢ .

(٥) أثبتنا اسمه المشهور به وهو نهير بن الهيثم وكذلك نسبه نقلا عن ابن الأثير (أسد الغابة ج ٥ ص ٤٣) وجوامع السيرة ص ٧٨ .

(٦) زيادة من الإصابة (ج ٦ ص ٢٧٨) وأسد الغابة (ج ٥ ص ٥٢) . وجوامع السيرة ص ٧٨ .

(٧) فى جوامع السيرة ضبطت هنى بضم الهـاء وفتح النون وتشديد الياء .

للتعريف منزلة اسم الفاعل من حَفِيَ يَحْفَى – ابن قُضَاعَة – بضم القاف وبالضاد المعجمة حليف [لبنى حارثة من[1]] الأنصار[2] .

المُثَنَّاة التحتية : يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة – بفتح المعجمتين قاله الدارقطنى ، وقال ابن إسحق وابن الكلبي بسكون الزاى – ابن أَصْرَم بن عَمْرو بن عَمَّارة – بفتح أوله والتشديد – ابن مالك البلوى أبو عبد الرحمن حليف [بنى سالم بن عوف بن الخزرج[3]] . يزيد بن خِذَام – بخاء مكسورة وذال معجمتين ، ويقال حرام بالحاء والراء المهملتين – ابن سُبَيْع – بموحدة مُصغَّراً – ابن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غنم بن كعب ابن سَلِمَة الخزرجي السلمى . يزيد بن عامر بن حديدة – بالحاء المهملة – ابن غَنْم بن سواد ابن [غَنْم[4]] بن كعب بن سلمة أبو المُنْذِر الخزرجي السلمى . يزيد بن المنذر بن سَرْح – بمهملات – ابن خُنَاس بن سنان [بن عُبَيْد بن عدى[5]] بن غَنْم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمى .

الكُنَى : أبو سِنان بن صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد [بن عدى[6]] ابن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة .

النساء : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، أم منيع السلمية . نسيبة / بفتح النون وكسر السين المهملة – بنت كعب بن عَمْرو بن عوف ابن عَمْرو بن مبذول [بن عمرو] بن غَنْم بن مازن ، أم عمارة[7]. ٤٠٣ و

---

(١) زيادة من أسد الغابة جـ ٥ ص ١٤٦ .

(٢) نسى المؤلف أن يذكر الكنية التى اشتهر بها هانئ بن نيار وهى أبو بردة .

(٣) فى الأصل حليف الأنصار وأثبتنا ما أورده ابن الأثير .

(٤) زيادة من أسد الغابة جـ ٥ ص ١١٦ .

(٥) زيادة من الإصابة جـ ٦ ص ٣٤٧ وأسد الغابة جـ ٥ ص ١٢١ .

(٦) زيادة من أسد الغابة جـ ٥ ص ٢٢٢ .

(٧) زاد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٨ ص ١٩٨) أنها مشهورة بكنيتها واسمها معاً .

الباب التاسع

فى إسلام عَمْرو بن الجَمُوح

بفتح الجيم وبالحاء المهملة رضى الله تعالى عنه

قال ابن إسحق وغيره : لما قَدِم النَّفَر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أظهروا الإسلام بالمدينة ، وفى قومهم بَقَايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرْك ، منهم عَمْرو بن الجَمُوح [بن زَيْد بن حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة السَّلَمِى من بنى جُشَم بن الخزرج[١]] ، وكان ابنُه مُعَاذ بن عَمْرو شَهد العقَبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم [بها[٢]] . وكان عَمْرو (بن الجَمُوح)[٢] سَيِّداً من سادات بنى سَلِمة [وشريفاً من أشرافهم[٢]] ، وكان قد اتخذ فى داره صَنَمًا من خشب يُعَظِّمه يقال له : مناة [كما كانت الأشراف يصنعون تتخذ إلهاً تُعَظِّمه وتُطْهِرُه[٢]] .

فلما أسلم فِتْيان بنى سَلِمة : مُعَاذ بن جَبَل ومُعَاذ بن عمرو فى فتيان منهم ممن أسلم وشَهِد العقبة ، كانوا يُدْلجون بالليل على صَنَم عَمْرو ذلك فيحملونه ويطرحونه فى بعض حُفَر بنى سَلِمة وفيها عَذِر الناس ، مُنَكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عَمْرو قال : وَيْحَكُمْ ! من عَدَا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يَغْدُو يلتمسه حتى إذا وجده غَسَله وطَهَّره وطَيَّبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فَعَل بك هذا لأُخْزِيَنَّه . فإذاأمسى ونام عَدَوْا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، [فَيَغْدُو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى فَيَغْسِله ويُطَهِّره ويُطَيِّبه ثم يَعْدُون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك][٣] فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث أَلْقَوْه يوماً فغَسَله وطَهَّرَه وطَيَّبَه ، ثم جاء بسَيْفه فعَلَّقه عليه ثم قال له : إنى والله ما أَعْلَمُ مَنْ يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خَيْر فامْتَنِعْ فهذا السيف معك . فلما أَمْسَى ونام عَمْرو عَدَوْا عليه فأخذوا السيف من عُنُقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقَرَنُوه به بحبل ثم أَلْقَوْه فى بِئْر من

---

(١) تكلة نسبه من ابن هشام (ج ٢ ص ٦١) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٩٢) .

(٢) زيادة من ابن هشام . (٣) زيادة من ابن هشام .

من آبار بنى سَلِمَة فيها عَذِرٌ من عَذِر الناس . وغَدَا عَمْرو بن الجَمُوح يلتمسه فلم يجده فى مكانه ، فخرج يَتْبَعُه حتى وجده فى تلك البئر مُنَكَّساً مقروناً بكلب مَيِّت . فلما رآه أَبْصَر شأْنَه[1] ، وكَلَّمه مَنْ أسلم من قومه ، فأسلم رحمه الله وحَسُن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف [وهو يذكر صَنَمَه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العَمَى والضلالة][2] :

والله لو كُنْتَ إلهاً لم تَكُنْ ... أنت وكَلْبٌ وسْطَ بِئْرٍ فى قَرَنْ

أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إلهاً مُسْتَدَنْ ... الآن فَتَّشْنَاك[3] عن سوء الغَبَنْ

الحمد لله العَلِيِّ ذى المِنَنْ ... الواهبِ الرَّزَّاق دَيَّان الدِّيَنْ

هو الذى أنقذنى من قبل أن ... أكونَ فى ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ

[بِأَحْمَدَ المَهْدِىِّ النَّبِىِّ المُؤْتَمَنْ][2]

تنبيهات

الأول : فى الزهر قول عَمْرو : « لو كُنْتَ إلهاً لم تَكُنْ » فيه عيب يسمى : سِنَاد الإشباع[4] وهو تغيير حركة الدخيل فالضمة مع الكسرة غير معيب والفتحة مع واحد منهما معيب والمذكور فى الرَّجَز معيب بغير شك لأنه جمع بين الفتح والضم فى قوله : فى قَرَنْ[5] .

---

(١) فى أسد الغابة جـ ٤ ص ٩٤ : أبصر رشده .

(٢) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) فى أسد الغابة : فلنشناك من شنأه يشنؤه شنئاً وشنآناً ، من باب فتح ، أبغضه وتجنبه .

(٤) فى الأصول سناد الإشراع وصوابه ما أثبتناه . والسناد عند ابن قتيبة هو أن يختلف إرداف القوافى (مقدمة الشعر والشعراء تحقيق المستشرق ديمومبين باريس سنة ١٩٤٧ م ص ٣٠) وفى تاج العروس : الإشباع فى القوافى حركة الدخيل وهو الحرف الذى بعد التأسيس وقيل هو اختلاف تلك الحركة إذا كان الروى مقيداً وقال الأخفش الإشباع حركة الحرف الذى بين التأسيس والروى المطلق . وفى حاشية الدمنهورى على متن الكافى فى علمى العروض والقوافى (بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ص ١٣٤ : ١٣٥) : السناد هو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات وهو خمسة أقسام : سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الإشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه . أما سناد الإشباع فهو اختلاف حركة الدخيل أى بحركتين متقاربتين فى الثقل وذلك الضمة مع الكسرة أو متباعدتين فيه وذلك الفتحة مع أحدهما . والثانى أقبح من الأول ، بل قيل إن الأول ليس بعيب . والحاصل أن سناد الإشباع اختلاف حركة الدخيل بضم وكسر أو بفتح وغيره كما ذكره الشيخ الصبان وغيره .

(٥) يلى ذلك فى ط : تم الجزء الأول من سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد تأليف سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة خاتمة المحدثين الشيخ محمد بن يوسف بن على الشافعى الصالحى نزيل برقوقية الصحراء من القاهرة ودفن بحوش بها رحمه الله تعالى آمين .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق :

« مناة » [وَزْنُه فعلة[1]] من مَنَيْتُ الدَّمَ وغَيْرَه إذا صَبَبْتَه لأن الدماء كانت تُمْنَى عنده أى تُصَبّ تَقَرُّباً إليه . « العَذِرِ » بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة جمع عَذِرَة الخروء . « القَرَن » بفتحتين الحَبْل . « مُسْتَدَنْ » بفتح المثناة الفوقية والدال المهملة معناه ذَليل مُسْتَعْبَد ذكره فى الإملاء قال فى الروض : هو من السَّدَانة وهى خدمة البيت وتعظيمه « الغَبَن » بفتح الغين المعجمة والباء [الموحدة] يُقَال : غَبِنَ رأيه كما يقال سَفِه نَفْسَه ، فَنَصبوا لأن المعنى خَسِرَ نَفْسَه وَأَوْبَقَها وأفْسَد رَأْيه ونحو هذا[2] . « الدِّيَن » بكسر الدال المهملة جَمْع دِينَة وهى العادة ويُقَال لها دِيَنٌ أيضاً ، ويجوز أن يكون أراد بالدِّيَن الأديان أى هو دَيَّان أهل الأديان ، ولكن جَمَعها / على الدِّيَنَ لأنها مِلَل ونِحَل[3] والله أعلم بالصواب وإليه المَرْجع والمآب وإلى الله ترجع الأُمور[4] .

٤٠٣ ظ

---

(١) زيادة من النهيل (جـ١ ص ٢٧٩ و ٢٨٠) الذى نقل عنه المؤلف وقد أضاف السهيل فى شرحه لكلمة مناة ، ومنه سميت الأصنام الدى .

(٢) فى الصحاح فى مادة غبن : الغبن بالتسكين فى البيع والغبن بالتحريك فى الرأى وفى المصباح غبنه يغبنه غبناً من باب ضرب خدعه ونقصه ، وغبن رأيه غبناً من باب تعب قلت فطنته وذكاؤه . وفى الصحاح مادة سفه : وقولهم سفه نفسه وغبن رأيه وبطر عيشه ورشد أمره كان الأصل: سفهت نفس زيد ورشد أمره فلماحول الفعل إلىالرجلانتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار فى معنى سفه نفسه بالتشديد . هذا قول البصريين والكسائى ، ويجوز عندهم تقديم هذا المنصوب كما يجوز غلامه ضرب زيد . وقال الفراء : لما حول الفعل من النفس إلى صاحبها خرج ما بعده مفسراً ليدل على أن السفه فيه وكان حكمه أن يكون سفه زيد نفساً لأن المفسر لا يكون إلا نكرة ولكنه ترك على إضافته ونصب كنصب النكرة تشبيهاً بها ، ولا يجوز عنده تقديمه لأن المفسر لا يتقدم ومثله قولهم ضقت به ذرعاً وطبت به نفساً والمعنى ضاق ذرعى به وطابت نفسى به .

(٣) شبه السهيلى هذا بالقول فى جمع الحرة حرائر « لأنهن فى معنى الكرائم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وإن كانت الواحدة مرة ولكنها فى معنى فعيلة لأنها عسيرة فى الذوق وشديدة على الآكل وكريهة إليه (الروض الأنف جـ ١ ص ٢٨٠) .

(٤) يلى ذلك فى م : تجز الجزء الأول من السيرة الشامية على يد مكمله أفقر العباد وأحوجهم لمولاه ، الغنى عن كل ما سواه : على سالم بن الشيخ محمد سالم ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

جُمَّاع أبْوابِ الْهِجرَةِ إلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ

الباب الأول

٤٠٤ ظ

فى إذن النبي صلى الله عليه وسلّم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

روى ابن سعد عن أبى أُمَامة بن سهل بن حُنَيْف [وعن عُرْوة عن[1]] عائشة رضى الله عنهما قال : لما صَدَر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نَفْسُه وقد جعل الله له مَنَعَةً وقَوْماً أَهْلَ حَرْبٍ [وعُدَّة[1]] ونَجْدَة ، وجعل البلاءُ يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج[2] فضَيَّقوا على أصحابه وتَعبَّثُوا[3] بهم ، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشَّتْم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة ، فقال : « قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم ، أُرِيتُ سَبْخَةً ذات نَخْلٍ بين لابَتَيْن » — وهما الحَرَّتان — « ولو كانت السَّرَاةُ أَرْضَ نَخْلٍ وسِبَاخ لَقُلْتُ هِيَ هِيَ » . ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال : « قد أُخْبِرْتُ بدار هجرتكم وهى يَثْرِب ، فمن أراد الخروج فَلْيَخْرُجْ إليها » . فجعل القوم يَتَجَهَّزُون ويترافقون[4] ويتواسَوْن ويخرجون ويُخْفُون ذلك . فكان أول من قَدِم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد[5] — بسين ودال مهملتين . قال ابن إسحق : « هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة . وحُبِست عنه امرأته أم سَلَمة هِنْد بنت أبى أمية بن المغيرة

---

(١) زيادة من طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) فى ط : الخزرج بدلا من الخروج .

(٣) فى الأصول : وتبعوهم وأثبتنا ما أورده ابن سعد حيث نقل عنه المؤلف .

(٤) فى طبقات ابن سعد : ويتوافقون .

(٥) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه عبد الله وهو من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٧ وقال ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٥ ص ٢١٨) إن أمه هى برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

بمكة نحو سنة ثم أذن[1] لها بنو المغيرة الذين حبسوها فى اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها

٤٠٥ و مهاجرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة [بن أبى طلحة[2]] / أخابنى عبد الدار وكان يومئذ مشركاً وأسلم بعد ذلك ، فشيَّعها حتى إذا أوْفَى على قرية بنى عَمْرو بن عَوْف بقُبَاء قال لها : هذا زوجك فى هذه القرية . ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت تقول : ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عَنِّى حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فَحَطَّ عنه ثم قَيَّده فى الشجرة ، ثم أتى إلى شجرة فاضْطَجَع تحتها ، فإذا دَنَا الرَّوَاح قام إلى بعيرى فقَدَّمَه فَرَحَلَه[3] ، ثم استأخر عَنِّى وقال : ارْكَبِى . فإذا رَكِبْتُ واسْتَوَيْتُ على بعيرى أتى فأخذ بخِطَامِه فقادنى[4] ، [فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقْدَمَنِى المدينة[5]] .

وقيل أول المهاجرين مُصْعَب بن عُمَيْر . روى البخارى فى صحيحه ، والحاكم فى الإكليل عن البَرَاء بن عازب قال : « أوَّلُ من قَدِم علينا المدينةَ من المهاجرين مصعب بن عُمَيْر » . وروى ابن إسحق وابن سعد : « ثم كان أول من قَدِمَها من المهاجرين بعد أبى سَلَمة : عامر بن ربيعة [حليف بنى عدى بن كعب[6]] ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَة[7] ــ بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة ــ قالا : وهى أول ظعينة قدمت المدينة » .

قال ابن إسحق : « ثم عبد الله بن جَحْش[8] احْتَمَل بأهله وبأخيه أبى أحمد عَبْد بن

---

(١) روى عنها ابن إسحق فى سبب إطلاقها أنها قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى مسى ، سنة أو قريباً منها حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ابن هشام جـ ٢ ص ٧٧ .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) رحل البعير يرحله رحلا ورحلة من باب فتح جعل عليه الرحل، والرحل هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شىء يعد للرحيل .

(٤) فى ابن هشام : فقاد بى .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٧٨ .

(٧) هى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى القرشية العدوية امرأة عامر بن ربيعة وهى أم ابنه عبد الله بن عامر وبه كانت تكنى وكانت من المهاجرات الأول هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وصلت القبلتين ، انظر ، أسد الغابة جـ ٥ ص ٥٤١ .

(٨) هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس ، انظر ابن هشام جـ ٢ ص ٧٨ .

جَحْش ـ بإضافة عَبْد إلى ابن جَحْش ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البَصَر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسْفَلَها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة ابنة أبي سُفْيان بن حرب ، وهاجر جميع بني جحش بنسائهم فعَدَا أبو سفيان على دارهم[1] فتَمَلَّكَها ، قال بعضهم : إنه باعها من عَمْرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤى ، فذكَرَ ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ ترضى يا عبد الله أن يُعْطِيَكَ الله بها داراً في الجنة خيراً منها ؟ » قال : بلى . قال : « فذلك لك » . ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ كَلَّمَه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد إن رسول الله يكره أن ترجعوا في شيء أُصِيب منكم في الله . فأمسك الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحق : وكان بنو غَنْم بن دُوَدان أهْلَ إسلام ، قد أوْعَبُوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هِجْرَةً رِجَالُهُمْ ونساؤهم : [عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد ابن جحش ، وعكاشة بن مِحْصَن وشجاع وعُقْبَة ابنا وَهْب وأربد بن حُمَيْر][2]

وروى ابن السمان في « الموافقة » عن علي[3] رضي الله عنه قال : ما عَلِمْتُ أن أحَدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عُمَر بن الخطَّاب فإنه لما هَمَّ بالهجرة تَقَلَّد سَيْفَه وتَنَكَّبَ قَوْسَه وانتضى في يده أسْهُماً واخْتَصَر عَنَزَتَه[4] ، ومضى قِبَل الكعبة ، والمَلأُ من قريش بفِنَائها فطاف بالبيت سَبْعاً [متمكناً[5]] ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين[6] ، ثم وَقَف

---

(١) في الأصول : فغدا أبو سفيان عليها ، والسياق يقتضى النص على كلمة : دارهم لمعرفة الشيء الذى عدا عليه أبو سفيان ، هذا وكلمة فغدا مصحفة وصوابها بالعين المهملة من عدا على الشيء يعدو عداء وعدواناً غصبه وسرقه .

(٢) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٨٠) وأثبتنا ضبط ابن هشام لاسم أربد بن حمير ، وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحق : ابن حمزة وكذلك رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق ، ورواه ابن سعد عن ابن إسحق أربد بن حمير بضم الحاء المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية وآخره راء قاله الأمير أبو نصر بن ماكولا ، انظر أسد الغابة ج ١ ص ٥٨ هذا وقد أورد ابن حجر جانباً من هذه الخلافات في اسم أربد في الإصابة ج ١ ص ٢٥ .

(٣) أورد ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤ ص ٥٨) إسناداً مطولا لرواية على بن أبي طالب نذكر جانباً منه فيما يلي : حدثنا عبد الله بن القاسم الآملي عن أبيه عن عقيل بن خالد عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : قال لي على بن أبي طالب : ثم ذكر ما رواه .

(٤) اختصر أى أمسك المخصرة والعنزة « في النهاية (ج ٣ ص ١٣٢) هى مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا وفيها سنان مثل سنان الرمح والعكازة قريب منها . واختصر عنزته أى حملها مضمومة إلى خاصرته .

(٥) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ٥٨ .

(٦) في أسد الغابة : فصلى متمكنا .

على الخَلق واحدةً واحدة وقال لهم : شاهَتْ الوجوه ، لا يُرْغِم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن يُثْكِلَ أمَّه أو يُؤْتِمَ وَلَدَه أو يُرْمِلَ زوجته فَلْيَلْقَنِى وراء هذا الوادى . قال على رضى الله عنه : فلم يتبعه أحَدٌ إلا قوم من المُسْتَضْعَفِين عَلَّمهم ما أرشدهم إليه ثم مضى لوجهه . وروى ابن إسحق : [حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه[1]] عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : اتَّعَدْتُ لمـا أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص [بن وائل[2]] السَّهْمِىّ التَّنَاضُب من أضَاة بنى غِفار فوق سَرِف ، وقلنا : أيُّنَا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه . قال : فأصبحتُ أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة عند التناضُب وفَطِن لهشام قَوْمُه فحبسوه عن الهجرة وفُتِن فافْتَتَن . ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام ـ وأسلم بعد ذلك ـ خرجا حتى قَدِما المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقالا لعَيَّاش ابن أبى / ربيعة وكان ابن عَمِّهما وأخاهما لأمهما : إن أُمَّك قد نَذَرَتْ ألاَّ يَمَسَّ رأسَها مُشط حتى تراك ولا تَسْتَظِلَّ من شمس حتى تراك ، فَرَقَّ لها . فقلتُ له : يا عَيَّاش إنه والله إن يريدُك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فَاحْذَرْهُم ، فوالله لو قد آذى أُمَّكَ القَمْلُ لا متشطت ، ولو قد اشْتَدَّ عليها حَرُّ مكة لاستظلَّت . فقال : أَبَرُّ قَسَم أُمِّى ولى هنالك مالٌ فآخذه . فقلتُ : والله إنك لتعلم أنى [لمن[3]] أكثر قريشاً مالاً فَلَكَ نصف مالى ولا تذهب معهما . فأَبَى عَلَىَّ إلا أن يخرج معهما . فلما أبَى إلا ذلك قلت : أما إذ قد فعلتَ ما فعلت فَخُذْ ناقتى هذه فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلُول فَالْزَمْ ظَهْرَها ، فإن رابك من القوم رَيْب فانْجُ عليها ، فخرج [عليها] معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جَهْل : والله يا أخى لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفَلا تُعْقِبُنى على ناقتك هذه ؟ . قال : بلى .

قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما اسْتَوَوْا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً وفَتَنَاهُ فافتتن ودخلا به مكة نهاراً مُوثَقاً ، ثم قالا : يا أَهْلَ مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا . قال عمر : فكنا نقول : ما الله تعالى بقابلٍ مِمَّنْ افتتن صَرْفاً

(١) إسناد رواية ابن إسحق نقلا عن ابن هشام جـ ٢ ص٨٤

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص٨٦ .

ولا عَدْلاً ولا توبة ، قَوْمٌ عرفوا الله ثم رَجَعُوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ[1]) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فكتبتُها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام ابن العاصى . قال : فقال هشام : فلما أتتنى جعلتُ أقرؤها بذى طَوَى[2] أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فَهِّمْنيها قال : فألْقَى الله تعالى فى قَلْبِي أنها إنما أُنْزِلت [فينا[3]] وفيما كنا نقول فى أنفسنا[4] . قال : فرجعت إلى بعيرى فجلستُ عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ما ذكره ابن إسحق فى شأن هشام .

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لى بعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاصى ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لَكَ يا رسولَ الله بهما . فخرج إلى مكة فقَدِمها مُسْتَخْفِياً ، فلقى امرأةً تحمل طعاماً فقال لها : أَيْنَ تريدين يا أَمَةَ الله ؟ قالت : أُريد هَذَيْن المحبوسَيْن . تعنيهما ، فتَبِعها حتى عَرَف مَوْضِعَهما ، وكانا محبوسَيْن فى بيت لا سقف له ، فلما أَمْسَى تَسَوَّر عليهما ثم أخذ مَرْوَةً[5] فوضعها تحت قَيْدَيْهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : ذو المَرْوَة ،

---

(١) سورة الزمر الآيات ٥٣ و ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ذو طوى واد بمكة وضبطها البكرى فى معجمه (ج ٣ ص ٨٩٦ بفتح كل من الطاء المهملة والواو .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٨٧)

(٤) ذكر الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٧٧ و ٢٧٨ عن ابن عباس قال : نزلت فى أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وعن ابن عباس أيضا أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذى تدعو إليه لحسن إن تخبرنا لما عملناه كفارة فنزلت هذه الآية. رواه البخارى ويروى أيضا أن هذه الآية نزلت فى وحشى قاتل حمزة . هذا وقد أورد الواحدى ما رواه نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه عن سبب نزول هذه الآيات كما ذكر ابن هشام .

(٥) قال الأصمعى : المرو حجارة بيض براقة تقدح منها النار ، الواحدة مروة ، وبها سميت المروة بمكة ، عن الصحاح للجوهرى .

لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعَثَر فَدَمِيَتْ إصبعه فقال :

هَلْ أَنْتِ إلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ؟ وفى سـبيل الله ما لَقِيتِ

ثم قَدِم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتابع المهاجرون أَرْسالاً[1] فنزل طَلْحَة بن عُبَيْد الله وَصُهَيْب بن سِنان على خُبَيْب[2] — بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة — ابن إساف — بكسر الهمزة — بالسُّنْح ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرَارة .

وروى ابن سعد عن سعيد بن المُسَيَّب أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كُفَّار قريش : أَتَيْتَنَا صُعْلوكاً حقيراً فكَثُر مالُك عندنا وبَلَغْتَ الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب / : أَرَأَيْتُم إن جعلتُ لكم مالى أَتُخَلُّونَ سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلتُ لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رَبِحَ صُهَيْب رَبِحَ صُهَيْب[3] » .

٤٠٦ و

قال ابن سعد : لما قَدِم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَالاً فنزلوا فى الأنصار فى دورهم وآوَوْهُم ونصروهم وآسوهم ، وكان سالم مولى أبى حُذَيْفَة يَؤُمّ المهاجرين بقُبَاء قبل أن يَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَنَ له فى الهجرة ، ولم يَتَخَلَّف معه بمكة أَحَدٌ من المهاجرين إلا من حُبِس أو فُتِن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة رضى

---

(١) فى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣١٨) : أرسالا بفتح الهمزة أى أفواجا وفرقا متقطعة واحدهم رسل بفتح الراء والسين المهملة كما فى النور وقال شيخنا : وفيه تغليب فقد خرج كثير منهم منفردين مستخفين .

(٢) قال السهيلى (جـ ١ ص ٢٨٩) . وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب وهو إساف بن عنبة ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما فى قول الواقدى بل تأخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . قال خبيب . فخرجت معه أنا ورجل من قومى وقلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم . فقال : أأسلمتما ؟ فقلنا لا . فقال : ارجعا فإنا لا نستعين بمشرك .

(٣) روى ابن الأثير فى ترجمة صهيب (أسد الغابة جـ ٣ ص ٣٠ : ٣٣) أن صهيبا عند هجرته تبعه نفر من المشركين فنسل كنانته وقال لهم : يا معشر قريش تعلمون أنى من أرماكم والله لا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى ثم أضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء فإن كنتم تريدون مالى دللتكم عليه. قالوا : فدلنا على مالك ونخلى عنك فتعاهدوا على ذلك فدلهم عليه ولحق برسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى فأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) (من الآية ٢٠٧ من سورة البقرة) .

الله عنهما . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لعل الله يجعل لك صاحباً » . فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قال ابن سعد : وكان نَفَرٌ من الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قَدِم أول من هاجر إلى قُبَاء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، حتى قَدِموا مع أصحابه فى الهجرة ، فهم مهاجرون أنصاريون وهم : ذَكْوَان بن عبد قيس [بن خَلَدة الزُّرَقِى"[1]] ، وعُقْبَة بن وَهْب بن كَلَدَة والعَبَّاس [ابن عُبَادة[1]] بن نَضْلة وزياد[2] بن لبيد [بن ثعلبة الخزرجى البياضى[1]] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر ابن إسحاق وابن سعد أن أول من هاجر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأَسَد . وروى ابن أبى شيبة والبُخَارى عن البَرَاء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : أول من قَدِم علينا المدينة من المهاجرين مُصْعَب بن عُمَيْر . قال الحافظ : « فيُجْمَع بينهما بحمل الأَوَّلِيَّة فى أحدها على صفة خاصة . فقد جَزَم ابن عُقْبَة بأن أول من قَدِم من المهاجرين مطلقاً أبو سَلَمَة بن عبد الأسد ، وكان رجع من الحبشة إلى مكة ، فأُوذِىَ بمكة ، فبلغه ما وقع للاثنى عشر من الأنصار فى العقبة الأُولى ، فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة ، فيُجْمَع بين ذلك وبين ما وقع فى حديث البَرَاء بأن أبا سَلَمَة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فِراراً من المشركين ، بخلاف مُصْعَب بن عُمَيْر فكان على نية الإقامة بالمدينة » .

الثانى : جزم أبو عُمَر بأن ليلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم أول ظعينة دخلت المدينة من المهاجرات ، وقال موسى بن عُقْبَة بل أُم سَلَمَة فالله أعلم .

الثالث : ذكر ابن إسحق فى مهاجرات بنى [غَنْم بن] دُودَان بن أسد : بنات جَحْش

---

(١) زيادة من ابن هشام وابن الأثير .

(٢) فى الأصول : إياد بن لبيد والتصويب من الإصابة وأسد الغابة .

وذكر فيهنّ أُم حبيبة ـ بالهاء ـ وقال السهيلى[1] : أُم حبيب ـ بغير هاء ـ وقال أبو عُمَر : هو قول الأكثر ، قال الحافظ[2] : كذا قال . قُلْتُ لأن قصتها فى الاستحاضة رَواها الزُّهْرى عن عُرْوَة عن عائشة رضى الله عنها . وقال عَمْرو بن الحارث ، ومحمد بن إسحق وابن أبى ذئب كلهم عن الزهرى : أم حبيبة بالهاء وقال مَعْمَر عنه : أُم حبيب بغير هاء ، وقال يحيى بن أبى كثير عن أم سَلَمَة عن أم حبيبة بالهاء . وقال ابن عيينة عن الزهرى : أُم حبيبة أو حبيب على الشك . فظهر من هذا أن أكثر الرواة قالوا أم حبيبة بالهاء خلافاً لما قاله أبو عُمَر . قال فى العيون : « وأما ابن عساكر فعنده أُم حبيبة واسمها حَمْنَة فهما أى بنات جحش ثنتان على هذا » . انتهى . قُلْتُ : كان مستند الحافظ ابن عساكر فى ذلك ما رواه أبو داود والترمذى عن عمران بن طلحة عن عبيد الله عن أُمه حَمْنَة بنت جحش قالت : كُنْتُ أُسْتَحَاض فذكر الحديث . فلما رأى الحافظ ابن عساكر حديث الاستحاضة تارةً يُرْوَى عن حَمْنَة بنت جحش وتارة يُرْوَى عن أُم حبيبة ظَنَّ أن اسم / أُم حبيبة حَمْنَة ، وليس كذلك فإن حَمْنَة غير أُم حبيبة وكل منهما اسْتُحِيض . وقد ذكر ابن إسحق وابن سعد وغيرهما بنات جحش وسَمُّوهُنّ وذكروا أزواجهن ، ولهذا مزيد بيان فى كتابى : « عَيْنُ الإصابة فى معرفة الصحابة » ، أعان الله على إكماله .

٤٠٦ ظ

الرابع : ذكر ابن إسحق من نساء بنى جحش : جُذَامَة بنت جَنْدَل : قال السهيلى :

---

(١) لفظ السهيلى (جـ ١ ص ٢٨٥) : أم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير وكانت تستحاض أيضا وقد روى أن زينب استحيضت أيضا ووقع فى الموطأ أن زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ، ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن ابن عوف ولا قاله أحد .. وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ويقال فيها أم حبيبة غير أن شيخنا أباعبد الله محمد ابن نجاح أخبرنى أن أم حبيب كان اسمها زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية فعلى هذا لا يكون فى حديث الموطأ وهم ولا غلط

(٢) أى ابن حجر وقد قال فى الإصابة (جـ ٨ ص ٢٢٢ رقم ١٢٠٣) : أم حبيبة بزيادة هاء فى آخرها بنت جحش أخت زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت تحت عبد الرحمن بن عوف فاستحيضت فأخرج مسلم عن عائشة أن أم حبيبة بنت جحش ختنة رسول الله استحيضت سبع سنين فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحديث . ورواه معمر عن الزهرى فقال أم حبيب بغير هاء . وقال يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أم حبيبة . وقال ابن قتيبة عن الزهرى إن أم حبيب ، أو أم حبيبة على الشك وقال محمد بن إسحق عن الزهرى عن عروة عن أم حبيبة بنت جحش أنها استحيضت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها بالغسل عند كل صلاة فإنها كانت لتخرج من المركن وقد علت حمرة الدم على الماء فتصلى . وجاء فى النهاية جـ ٢ ص ١٠١ : فى حديث حمنة كانت تجلس فى مركن أختها وهى مستحاضة : المركن بكسر الميم الإجانة التى يغسل فيها الثياب والميم زائدة وهى التى تخص الآلات .

« وأحْسَبُها جُذَامَة بنت وَهْب وأما جُذَامة بنت جندل[1] فلا تُعْرَف فى آل جحش الأَسديين ولا فى غيرهم ولعله وَهْم وقع فى الكتاب وأنها بنت وَهْب بن مِحْصَنْ بنت أخى عُكَّاشَة بن مِحْصَن[2] . قال فى الزهر : وهذا غير لأَن محمد بن جرير ذكر جُذَامَة فى المهاجرات ، قال : والمُحَدِّثون قالوا فيها : جُذَامة بنت وَهْب ، والمختار أَنها بنت جَنْدَل الأسدية أُخت عُكَّاشة بن مِحْصن المشهور ، وتكون أُخته من أُمِّه .

وفى كتاب الصحابة لابن حِبَّان : جُذَامَة بنت جَنْدَل من بنى غَنْم من المهاجرات ، وجُذَامة بنت وَهْب من بنى هلال . وفى الطبقات لابن سعد : جُذَامَة بنت جندل الأسدية أَسلمت قديماً وبايعت وهاجرت إلى المدينة . ويزيد ذلك وضوحاً ما ذكره أَبو الحَسَن الخزرجى فى كتاب تقريب المدارك فى الكلام على مُوَطَّأ مالك : أن جُذَامَة بنت وهب أَسلمت عام الفتح ، ودال جُدَامَة رُوِى إعجامها وإهمالها[3] وصُحِّح .

الخامس : فى بيان غريب ما سبق :

« اللَّحاق » : بفتح اللام مصدر لَحِقَه ولَحِقَ به[4] . « أَرْسَالاً » : بفتح الهمزة أى أفواجاً وفِرَقاً . « التنعيم » : على لفظ المصدر محل بين مكة وسَرِف[5] على مرحلتين من

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة (جـ ٨ ص ٣٧) فى ترجمة جذامة بنت جندل أن ابن إسحق ذكرها فيمن هاجر من نساء بنى غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة من أهل مكة.. وذكر الطبرى فى الذيل أنها هى بنت وهب فإن المحدثين قالوا هى بنت وهب . وقال ابن سعد أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت إلى المدينة وكانت تحت أنيس بن قتادة الأنصارى الدوسى وهو بدرى استشهد بأحد ، وتبعه ابن عبد البر . وقيل التى كانت تحت أنيس بن قتادة خنساء بنت خدام ولا مانع أن تكونا جميعا زوجتيه . هذا ولم يزد ابن الاثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٤١٤) على ذكر رواية ابن إسحق أن جذامة بنت جندل من نساء بنى غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة كانت فيمن هاجر إلى المدينة .

(٢) فى الإصابة (جـ ٨ ص ٣٧) جاء فى بعض طرق الحديث الذى روته جذامة بنت وهب الأسدية أنها أخت عكاشة ابن وهب مع أن المسمى بعكاشة فى أسد الغابة (جـ ٤ ص ٢) وفى جوامع السيرة لابن حزم هو عكاشة بن محصن

(٣) جاء فى تعليق السهيلى على اسم جذامة أنها هى المذكورة فى حديث الرضاع فى الموطأ وقال فيها خلف بن هشام البزار جذامة بالذال المنقوطة ، هكذا ذكر مسلم بن الحجاج ، والمعروف جدامة بالدال المهملة وقد يقال فيها جدامة بتشديد الدال المهملة . والجدامة قصب الزرع .. وعن أبى عمر الزاهد قال : الجدامة بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة .

(٤) من لحق الثمن أو اليمين فلانا يلحق لحقا ولحاقا من باب فرح لزمه ، ولحق به أدركه .

(٥) فى معجم البكرى (جـ ١ ص ٣٢١) : التنعيم على لفظ المصدر من نعمته تنعيماً وهو بين مر وسرف ، بينه وبين مكة فرسخان ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة وهو الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر أن يعمر منه عائشة وإنما سمي التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعيم والذى عن يساره يقال له ناعم والوادى نعمان .

مكة . « مَنَعَة » : بفتحتين أى فى قوم يمنعونه ويحمونه جمع مانع ككاتب[1] وكَتَبَة وتقدم مبسوطاً غير مرة . « السَّبِخَة » : بكسر الموحدة وتُسَكَّن الأَرض المالحة . « بين لابَتَيْن » : تثنية لابة بالموحدة وهى الحَرَّة[2] وتأْتى . « الحَرَّتَان » : تثْنية حَرَّة[3] وهى أَرض ذات أَحجار سود نَخِرة كأَنَّها أُحْرِقت بالنار . « السَّرَاة » : بفتح السين المهملة أَعظم جبال بلاد العرب . « الظعينة » : بفتح الظاء المعجمة المُشَالة[4] : المرأَة وأَصله الهَوْدَج الذى تكون فيه المرأَة[5] . « عَدَا » : بالعين المهملة من العُدْوان[6] . « فأَبْطَأَ » : بهمزة مفتوحة فى أَوَّله وأُخرى فى آخره . « أُصِيب منكم » بالبناء للمفعول . « أَوعبوا[7] » : قال ابن السِّكِّيت : أَوْعَبَ بنو فلان جلاءً لم يبق بدارهم منهم أَحد . « تَنَكَّب قَوْسَه[8] » : أَلقاها على مَنْكِبِه . « انْتَضَى فى يده أَسْهُماً » أى سَلَّها من كِنَانته وتركها مُعَدَّة فى يده وكذلك انْتَضَى سَيْفَه ونَضَاه سَلَّه . « اختصر العَنَزَة » العَنَزَة بالتحريك أَطول من العصا وأَقصر من الرُّمح وفيه زُجّ كزُجّ الرُّمح ، واختصرها حملها مضمومة إلى خاصرته . « المعاطِس » جمع مَعْطِس بزِنَة مَجْلِس وهو الأَنف . « وإرغامها » : إلصاقها بالرَّغام وهو التراب كَنَّى بذلك عن الإهانة والذُّلّ .

---

(١) فى المصباح : هو فى منعة بفتح النون أى فى عز من قومه فلا يقدر عليه من يريده . قال الزمخشرى : وهى مصدر مثل الأنفة والعظمة أو جمع مانع وهم العشيرة والحماة ويجوز أن تكون مقصورة من المناعة وقد تسكن فى الشعر لا فى غيره خلافا لمن أجازه مطلقا .

(٢) فى التاج : اللابة واللوبة الحرة والجمع لوب ولاب ولابات وهى الحرار وأما سيبويه فجعل اللوب جمع لابة كقارة وقور وساحة وسوح وفى الحديث . حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى المدينة وهما حرتان تكتنفانها .قال الأصمعى وغيره اللوبة هى الأرض التى قد ألبستها حجارة سود وجمعها لابات ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهى اللاب واللوب .

(٣) فى النهاية (ج ١ ص ٢١٥) تجمع حرة على حر وحرار وحُرات وحرين وأحرين وهو من الجموع النادرة .

(٤) يقال شلت به شولا من باب قال رفعته ، يتعدى بالحرف على الأفصح ويتعدى بنفسه لغة ويستعمل الثلاثى مطاوعا فيقال شلته فشال . وشال الميزان يشول إذا خفت إحدى كفتيه وشالت نعامتهم طاشوا خوفا فهربوا .

(٥) فى المصباح : يقال للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها أى يرتحل بها . ويقال الظعينة الهودج وسواء كان فيه امرأة أم لا والجمع ظعائن وظعن بضمتين . ويقال الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها لأنها تصير مظعونة .

(٦) من عدا على الشيء يعدو عداء وعدوانا وعدوانا سرقه ، وعدا عليه وثب

(٧) فى التاج : ومن المجاز أوعب القوم إذا حشدوا وأوعب بنو فلان إذا جاءوا أجمعين .

(٨) ومنه الحديث فى النهاية (ج ٤ ص ١٧٤) : كان إذا خطب بالمصلى تنكب على قوس أو عصا أى اتكأ عليها ، وأصله من تنكب القوس وانتكبها إذا علقها فى منكبه .

« التَّنَاضِبُ » : بمثناة فوقية مفتوحة فنون فألف فضاد معجمة مضمومة هو اسم موضع ويُرْوَى بكسر الضاد جمع تَنْضُب وهو شجر واحدته تنضبة[1] . « الأَضَاة »[2] : بفتح الهمزة والضاد المعجمة بوزن حَصَاة ومَنَاة الغدير يجتمع من ماء المطر يُمَد ويُقْصَرَ . « غِفَار » بكسر الغين المعجمة وبالفاء وبالراء[3] . « سَرِف » بفتح السين والراء المهملتين وبالفاء موضع بين مكة والمدينة[4] « تَسَوَّر الحائط » تَسَلَّقه . « المَرْوَة » : الحجر الصلب . « فعَثَر » بفتح المثلثة صَدَم رِجْلَه شيء . « ذو طوى » بتثليث الطاء بمكة قال النووى يُصْرَف ولا يُصْرَف[5] .

---

(١) فى معجم البكرى (ج ١ ص ٣٢٠) سميت التناضب لأنها تنبت التنضب . وفى التاج التنضب بفتح التاء وضم الضاد شجر حجازى شوكه كشوك العوسج ودخان التنضب أبيض مثل لون الغبار .

(٢) فى النهاية (ج ١ ص ٣٤) الأضاة بوزن الحصاة الغدير وجمعها أضى وآضاء كأكم وآكام . ولكن البكرى فى المعجم (ج ١ ص ١٦٤) ذكر أن جمعها إضاء وقال بأنها موضع بالمدينة . بينا ذهب ياقوت فى معجم البلدان (ج ١ ص ٢٨٠) إلى أنها موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب . وهذا مما يتفق مع قصة هجرة عمر .

(٣) نسى المؤلف أن يقول بأن غفار قبيلة من كنانة

(٤) فى معجم البكرى (ج ٣ ص ٧٣٥) سرف بفتح أوله وكسر ثانيه بعده فاء على ستة أميال من مكة من طريق مر وقيل سبعة وتسعة واثنا عشر .

(٥) فى معجم البكرى (ج ٣ ص ٨٩٦) . طوى بضم أوله وكسره مقصور اسم واد فى أصل الطور بالشام وهو المذكور فى التنزيل . وقال محمد بن يزيد : طوى اسم واد يصرف لأن إحدى العلتين قد انخرمت عنه وبالتنوين قرأ الكوفيون وابن عامر . وذو طوى بفتح أوله مقصور منون على وزن فعل واد بمكة .

الباب الثانى

فى سبب هِجْرَة النبى صلى الله عليه وسَلَّم بنفسه الكريمة / وكفايةُ الله تعالى رَسُولَه مَكْرَ المشركين حين أرادوا ما أرادوا

٤٠٧ و

روى ابن إسحق وعبد الرَّزَّاق والإمام أحمد وابن جرير وابن المُنْذِر والطبرانى عن ابن عباس ، وعبد الرَّزَّاق وعَبْد بن حُمَيْد عن قَتَادة ، والبيهقى عن ابن إسحق أن قريشاً لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بَلَدهم ، وَرَأَوْا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عَرَفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا جِواراً ومَنَعة ، فحَذِروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَرَفوا أنه قد أَجْمَع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النَّدْوَة — وهى دار قُصَىّ بن كِلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها — يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم حين خافوه . فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا ، وكان ذلك اليوم يُسَمَّى يوم الزَّحْمَة فاعترضهم إبليس [لَعَنَه الله[1]] فى هيئة شيخ جليل عليه بَتٌّ له ، فوقف على باب الدار ، فلما رَأَوْه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشَّيْخ ؟ قال : شيخٌ مِن أهل نَجْد سَمِع بالذى اتَّعَدْتُم له فحَضَر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تَعْدَمُوا[2] منه رأياً ولا نُصْحاً . قالوا : أَجَلْ فادْخُل ، فدَخَل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش : [من بنى عبد شمس[3] :] عُتْبَة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان ابن حرب — وأسلم بعد ذلك — [ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف[3]] : طُعَيْمَة بن عَدِىّ ، وجُبَيْر بن مُطْعِم — وأسلم بعد ذلك — [والحرث بن عامر بن نوفل . ومن بنى عبد الدار

---

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) فى طبعة التجارية لسيرة ابن هشام (القاهرة سنة ١٩٣٧ م ج ٢ ص ٩٣) : وعسى ألا يعدمكم منه رأيا ونصحا . ومن الجائز قراءة الفعل ثلاثيا فى المصباح عدمته عدما من باب تعب فقدته والاسم العدم وزان قفل ، ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال لا أعدمنى الله فضله وقال أبو حاتم عدمنى الشىء وأعدمنى فقدنى وأعدمته فعدم مثل أفقدته ففقد ببناء الرباعى للفاعل والثلاثى للمفعول .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٩٣) .

ابن قُصَىّ[1] :] النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة [ومن بنى أَسَد بن عبد العُزَّى[1]] : أَبو البَخْتَرِى ابن هشام ، وزَمْعَة بن الأَسود – وأَسلم بعد ذلك – وحكيم بن حِزام – وأَسلم بعد ذلك ، [ومن بنى مخزوم[1] :] أَبو جَهْل بن هشام ، [ومن بنى سَهْم[1]] : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج ، [ومن بنى جُمَح[1]] : أُمَيَّة بن خَلَف ، ومن كان معهم ، وغَيْرُهم مِمَّنْ لا يُعَدّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنَّا والله ما نأْمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأَجمعوا فيه رأْياً . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم – نقل السهيلى عن ابن سَلَّام أنه أَبو البَخْتَرِىّ بن هشام – احبسوه فى الحديد وأَغْلِقوا عليه باباً ، ثم تَرَبَّصوا به ما أَصاب أَشْباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله : زُهَيْراً والنابغة ومَنْ مضى منهم من هذا الموت حتى يُصِيبَه ما أَصابهم . فقال الشيخ النجدى[2] – لعنه الله – لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لو حبستموه كما تقولون لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُه من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأَوشكوا أن يَثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم – ذكر السهيلى أنه أَبو الأَسود ربيعة بن عَمْرو أحد بنى عامر بن لؤى – نُخْرِجُه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نُبَالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفَرَغْنَا منه فأَصلحنا أَمْرَنا وأُلْفَتَنَا [كما كانت[3]] فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، أَلَمْ تروا حُسْنَ حديثه وحلاوةَ مَنْطِقِه وغَلَبَتَه على قلوب الرجال بما يأْتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أَمِنْتُمْ أن يَحُلَّ على حَىٍّ من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأَكم بهم [فى بلادكم[3]] ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دَبِّروا

(١) زيادة من ابن هشام (جـ٢ ص٩٣) .

(٢) فى الروض الأنف (جـ ١ ص ٢٩١) : وإنما قال إبليس لهم إنى من أهل نجد ، فيما ذكر بعض أهل السير ، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٩٤) .

فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .

٤٠٧ ظ قالوا : وما هو يا أبا الحَكَم ؟ قال : أرى / أن تأخذوا من كل قبيلة فَتًى شابّاً جَلْدَاً نسيباً وسيطاً ، ثم نعطى كل فتىً منهم سَيفاً صارماً ، ثم يَعْمِدُوا إليه بأجمعهم فيضربوه بها ضَرْبَةَ رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إن فعلوا ذلك تَفَرَّق دَمُه فى القبائل جميعاً ، فلم يَقْدِر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعَقْل فعقلناه لهم[1] . فقال الشيخ النجدى أخزاه الله : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى لا أرى غَيْرَه

وذكر ابن الكلبى فى الجمهرة[2] أن إبليس لما حمد رأى أبى جهل قال :

الرَّأْىُ رَأْيَان : رَأْىٌ ليس يَعْرِفه هادٍ ورَأْىٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ معروفُ

يكون أَوَّله عِــزٌّ ومَكْــرُمَــةٌ يوماً وآخِرهُ جِــدٌّ[3] وتشريفُ

وتَفَرَّق القومُ على ذلك وهم مُجْمِعون له . فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فِراشك الذى كنت تبيت عليه ، وأخبره بمكر القوم وإذْن الله تعالى له بالخروج . فلما كانت العَتَمة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : « نَمْ على فِراشى وتَسَجَّ بِبُرْدِى هذا الحَضْرَمِىِّ الأخضر فَنَمْ فيه فإنه لن يَخْلُصَ إليك شىء تكرهه منهم » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام : إن محمداً يَزْعُم أنكم إن تابعتموه على أمره

---

(١) روى السمهودى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٦٨) أن أبا جهل قال : قد رأيت الصلح من رأيكم أن يعطى خمس رجال من خمس قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل فيتفرق دمه فى هذه البطون فلا يقدر لكم بنو هاشم على شىء . وعلق الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ١٢٢) على ذلك بقوله : فلملهم استبعدوا عليه قوله من كل قبيلة إذ لا يمكن عشرون مثلا ، أن يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال .

(٢) يشير المؤلف إلى كتاب جمهرة الأنساب لهشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وكان عالما بالأخبار والنسب والأوائل والجاهلية والأشعار والأسمار وتستغرق عناوين مؤلفاته فى الفهرست لابن النديم ما يقرب من صحيفتين (١٤٢ ، ١٤٣) وكان المستشرق الإيطالى جورجيو ليڤى ديلافيدا قد وعد بتحقيق كتاب جمهرة الأنساب لابن الكلبى ونشره ولكن لم يتهيأ له ذلك .

(٣) فى ت . حمد .

كنتم ملوك العرب والعَجَم ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جِنان كجِنان الأُردن وإن أنتم لم تفعلوا كان فيكم ذَبْح ، ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم فجُعِلَتْ لكم نار تُحْرَقون فيها .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنةً من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك وأنت أَحَدُهم » . وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنَه . فجعل يذرى ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات : (يٰسٓ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ » إلى قوله تعالى : (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ[1]) . فلم يَبْقَ منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه تُرَاباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب[2] .

فأتاهم آتٍ مِمَّنْ لم يكن معهم فقال : « ما تنتظرون ههنا ؟ » قالوا : « محمداً » . قال : « خَيَّبَكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أَفَمَا تَرَوْنَ ما بكم ؟ » قال : « فوضع كل رجل منهم يَدَهُ على رأسه فإذا عليه تراب » ، ثم جعلوا يتطلعون فَيَرَوْنَ عَلِيّاً على الفِراش مُتَسَجِّياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه بُرْدُه . فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا . فقام عَلِيٌّ رضى الله عنه من الفِراش . فقالوا : « والله لقد صَدَقَنا الذى كان حَدَّثَنَاه » . وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَه ولَبِس ثَوْبَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه » . وكان المشركون يرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليّاً ويَرَوْنَه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل عَلِيٌّ يتوضأُ فإذا هو عَلِيٌّ ، فقالوا : إنك لَلَئِيم ، إنك لتَتَضَوَّر[3] وكان صاحبك لا يَتَضَوَّر وقد استنكرناه منك .

---

(١) سورة يس الآيات ١ : ٩ .

(٢) في الروض الأنف (جـ ١ ص ٢٩٢) : وفى قراءة الآيات الأول من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر فضل يس أنها : إن قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسى أو عاطش سقى حتى ذكر خلالا كثيرة .

(٣) في النهاية (جـ ٣ ص ٢٨) : يتضور يتلوى ويتقلب .

٤٠٨ و وروى الحاكم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما / قال : إن أَوَّل مَن شَرَى نَفْسَه ابتغاء رِضْوان الله عَلِيٌّ ، وقال في ذلك شِعْراً :

وَقَيْتُ بنفسي خَيْرَ مَنْ وطئَ الحَصَى ... ومَنْ طاف بالبيت العتيق وبالحِجْرِ
رَسُولَ إلهٍ خاف أَن يَمْكُرُوا به ... فَنَجَّاه ذو الطَّوْلِ الإلهِ من المكْرِ[1]
وباتَ رسولُ الله في الغار آمِناً ... مُوَقًّى وفي حِفْظِ الإله وفي سَتْرِ
وَبِتُّ أُرَاعِيهم وما يتهمونني ... وقد وَطَّنت نفسي على القتل والأَسْرِ

قال ابن إسحق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) بالوَثَاق[2] والحَبْس والإثخان بالجَرْح (أَوْ يَقْتُلُوكَ) بسيوفهم (أَوْ يُخْرِجُوكَ) ـ من مكة ـ (ويَمْكُرُونَ) ـ يحتالون في أَمْرِك ـ (ويَمْكُرُ اللهُ) ـ يجازيهم جزاء مَكْرِهم فسَمَّى الجزاء مَكْراً لأنه في مقابلته ، والمعنى أنهم احتالوا في إبطالِ أَمْرِ محمد صلى الله عليه وسلم واللهُ تعالى مَنَعَهُ منهم وأَظْهَرَه وقَوَّاه ونَصَره فضاع فِعْلُهم وظَهَر فِعْلُ الله عز وجل ـ (وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ[3]) ـ لأَن مَكْرَه حَقّ ، وإتيان هذا مما يَحْسُن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقه ابتداءً لما فيه من إيهام الذَّمّ ، وهذه السورة مدنية ، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة . وقد ذَكَّر اللهُ تعالى النَّبِيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم نِعْمَتَه عليه .

---

(١) أورد القسطلاني البيت الأول والثاني وزاد عليهما الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٢٢) بقوله : وبعدهما في الشامية ـ أي كتاب سبل الهدى والرشاد للمؤلف ـ وغيرها ، ثم أورد البيتين الثالث والرابع .

(٢) الوثاق بفتح الواو اسم من الإيثاق والوثاق بكسر الواو ما يشد به .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . وقال القرطبي (ج ٧ ص ٣٩٧) في تفسير قوله تعالى : « « والله خير الماكرين » : المكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون . وقال الزمخشري (الكشاف ج ١ ص ٣٠٢) : أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب . وفي النهاية (ج ٤ ص ١٠٣) في حديث الدعاء ؛ اللهم امكر لي ولا تمكر بي . مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة ، والمعنى : ألحق مكرك بأعدائي وأصل المكر الخداع . وفي التاج : قال الليث : المكر من الله تعالى جزاء سمي باسم مكر المجازي . وقال الراغب : مكر الله إمهاله العبد وتمكينه من أغراض الدنيا . وفي الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ص ٢١٥) أن الكيد والمكر متغايران والشاهد أن الكيد يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف فيقال كاده يكيده ومكربه ولا يقال مكره ، والذي يتعدى بنفسه أقوى . ونقل الزبيدي في التاج عن البصائر أن المكر ضربان : محمود : وهو ما يتحرى به أمر جميل وعلى ذلك قوله تعالى : والله خير الماكرين ، ومذموم : وهو ما يتحرى به فعل ذميم نحو قوله تعالى : « ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله » .

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى فى ذلك (فَذَكِّرْ) - أى دُمْ على تذكير المشركين ولاترجع عنهم لقولهم لك كاهن مجنون (فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ) - جزماً - (ولاَمَجْنُونٍ) معطوف عليه - (أَمْ) - بل - (يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) - أى حوادث الدَّهْر فيهلك كغيره من الشعراء - (قُلْ) - لهم - (تَرَبَّصُوا) - هلاكى - (فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ[1]) - لهلاككم ، فعُذِّبوا بالسيف يوم بدر ، والتَّربُّص الانتظار .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى ابن جرير وابن المُنْذِر عن عُبَيْد بن عُمَيْر ، وابن جرير من طريق آخر عن المطلب بن أبى وداعة قال : لما ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليُثْبِتُوه أو يقتلوه أو يُخْرِجوه قال عمه أبو طالب : هل تدرى ما ائتمروا بك ؟ قال : يريدون أن يسجنونى أو يقتلونى أو يُخْرِجونى . قال : مَنْ حَدَّثكَ بهذا ؟ قال : رَبِّى . قال : نعم الرب ربك إلى آخره . قال فى البداية : ذِكْرُ أبى طالب فيه غريب بل مُنْكَر لأن القصة قبل الهجرة وذلك بعد مَوْت أبى طالب بثلاث سنين .

الثانى : قال السهيلى : إنما قال لهم إبليس إنه من أهل نَجْد لأنهم قالوا : لا يَدْخُلَنّ معكم فى المشاورة أَحَدٌ من أهل تِهَامَة لأن هواهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك تَمَثَّل لهم فى صورة شيخ نجدى وقد تقدم فى بنيان قريش الكعبة أنه تمثل فى صورة شيخ نجدى حين حَكَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يا مَعْشَر قريش ، أقد رضيتم أن يَلِيَه هذا / الغُلاَم دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صَحَّ هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً وذلك أن نَجْداً يطلع منها قَرْن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له : وفى نَجْدِنا يا رسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفِتَن ومنها يطلع قرن الشيطان [فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها[2]] .

٤٠٨ ظ

الثالث : المانع لهم من التَّقَحُّم تلك الليلة على عَلِىّ وهم يظنونه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم لم يزالوا قياماً حتى أصبحوا أن بعض أهل السِّيَر ذكروا السبب المانع من ذلك

---

(١) سورة الطور آية ٢٩ و ٣١ .

(٢) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

مع قِصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لِقَتْلِه ، [فذُكِر فى الخَبَر][1] أنهم هَمُّوا بالولوج عليه فصاحت امرأةٌ من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسُّبَّة فى العَرَب أن يُتَحَدَّثَ عَنَّا أنَّا تَسَوَّرنا الحيطان على بنات العَمّ وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنا [فهذا هو الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج][1] وقال بعضهم : « الحكمة فى كون الموضوع على رأسهم تراباً دون غيره الإشارة لهم بأنهم الأرذلون الأصغرون الذين أُرْغِمُوا وأُلْصِقوا بالرغام وهو التراب ، وأنه سيلصقهم بالتراب بعد هذا » .

الرابع : روى ابن مَنْدَه وغيره عن مارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم أنها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد حائطاً ليلة فَرَّ من المشركين ، وما سبق فى القصة من أنه طلع على المشركين من الباب أقوى سَنَداً منه ، وحديث مارية فيه مجاهيل .

الخامس : فى قراءته صلى الله عليه وسلم الآيات من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ، وورد فى بعض الآثار : ما قرأها خائف إلا أَمِن .

السادس : فى بيان غريب ما سبق : « مَنَعَة » : سبق بيانها ، « شيخ جليل » : يقال جَلَّ الرجل وجَلَّتْ المرأة إذا أَسَنَّا . « عليه بَتٌّ » : البَتّ[2] بفتح الموحدة وتشديد المثناة الفوقية : الكساء الغليظ المُرَبَّع وقيل الطيلسان من خَزّ . « أَجَلْ » : بفتح الهمزة والجيم وإسكان اللام مُخَفَّفة بمعنى نعَم[3] . « أَجْمِعُوا فيه رأياً » بفتح الهمزة وكسر الميم : يقال أجمعت الأَمْرَ وعلى الأَمْرِ إذا عزمت عليه . « أَوْشَكوا » : بفتح الهمزة والشين المعجمة أى أسرعوا . « أَظْهَرْنا » : بيَّنَّا . « أُلْفَتنا » بضم الهمزة[4] . « أن يَحُلّ » : بفتح أوله وضَمّ الحاء

---

(١) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) فى التاج البت هو كساء غليظ مهلهل مربع ، أخضر وقيل هو من وبر وصوف قاله فى المحكم ، ومثله فى كفاية المتحفظ وفى التهذيب البت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ أخضر وجمعه أبت وبتات وبتوت . وفى الصحاح البتى الذى يعمله أو يبيعه ومنه عثمان بن سليمان البتى المحدث كان يبيع البتوت .

(٣) فى الصحاح : أجل هو جواب مثل نعم قال الأخفش إلا أنه أحسن من نعم فى التصديق ونعم أحسن منه فى الاستفهام فإذا قال : أنت سوف تذهب ؟ قلت : أجل ، وكان أحسن من نعم . وإذا قال : أتذهب ؟ قلت نعم وكان أحسن من أجل .

(٤) الألفة المودة والالتئام .

المهملة أى يَنْزِل. « جَلِداً » : بفتح الجيم وكسر اللام أى قوياً[1] . « وَسِطاً »[2] : بفتح الواو وكسر السين والطاء المهملتين أى حسيباً فى قومه . « صارماً » : قاطعاً . « نَعْمِد » بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى[3] . « العَقْل » كعَقْل الإنسان الدِّيَة[4] . « عَتَمَةُ اللَّيْل » : بفتح العين والمثناة الفوقية وقت صلاة العِشَاء ، وقيل ثلث الليل الأَول من الليل بعد غيبوبة الشَّفَق ، وعَتَمة الليل ظلامه . « الحَضْرَمِى » : منسوب إلى حَضْرَمَوْت . « تَابَعْتُمُوهُ » : بمثناة فوقية وموحدة من المُتَابَعة . « بُعِثْتم » بالبناء للمفعول . « الجِنان » جمع جَنَّة: البُسْتَان . « الأُرْدُنّ » : بهمزة مضمومة فراء ساكنة فدال مهملة فنون مُشَدَّدَة الكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس . « حَفْنَة » : بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هى ملْءُ الكف والشىء المحصول حُفْنَة بالضم ويجوز الفتح ، والمَرَّة بالفتح ليس غير . « صَدَقَنا » : بفتح الدال المُخَفَّفَة أى حَدَّثَنا حديث صِدْق .

---

(١) فى القاموس المحيط هو جلد (بفتح الجيم وسكون اللام) وجليد والجمع أجلاد وجلداء على وزن فقهاء وجلد على وزن قفل . ولم أعثر على ضبط المؤلف جلد فى المعجمات .

(٢) لم نعثر على هذا الضبط للمؤلف فيما رجعنا إليه . فى التاج : وهو وسيط فيهم أى أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا . قال العرجى . كأنى لم أكن فيهم وسيطا . ولم تك نسبتى فى آل عمرو . وقال الليث . فلان وسيط الدار والحسب فى قومه .

(٣) لا يوجد فى المعجمات ما يؤيد دعوى المؤلف أن نعمد بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى . فعمد الشىء يعمده عمدا من باب ضرب أقامه بعماد ودعمه ودعم فلانا ضربه بالعماد . ويقال عمد الشىء وللشىء وإليه قصده يعمده ويعمد له ويعمد إليه . وعمد من باب فرح وغضب . وعمد به لزمه وعمد الإنسان إذا جهده المرض . وعمد الثرى بلله المطرفتقبض وتراكب بعضه على بعض .

(٤) العقل هو الدية ، جاء فى النهاية (ج ٣ ص ١١٧) : أصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعلقها بفناء أولياء المقتول أى شدها فى عقلها (جمع عقال) ليسلمها إليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر . والعاقلة هى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ وأصلها اسم فاعلة من العقل .

الباب الثالث

فى قَدْر إقامة النّبىّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم بمكة بعد البعثة
ورؤياه الأَرض التى يهاجر إليها

روى البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة / ، والرواية عن ابن عباس[1] فى ذلك مختلفة ، وسيأتى تحريرها فى الوفاة النبوية إن شاء الله تعالى وعن أبى موسى الأشعرى[2] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَأَيْتُ فى المنام أنّى أهاجر من مكة إلى أَرْضٍ بها نَخْلٌ فذهب وَهْلى[3] إلى أنها اليمامة أو هَجَر فإذا هى المدينة يَثْرِب » ، رواه الشيخان وعن صُهَيْب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ دارَ هجرتكم سبخة بين ظَهْرَانَىْ حَرَّتَيْن فإما أن تكون هَجَراً أو يَثْرِب » ، رواه الترمذى والحاكم والطبرانى .

٤٠٩و

وروى الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عدى بن الحمراء[4] رضى الله عنه ، والإمام أحمد والنسائى عن أبى هريرة، قال الحافظ[5] : وذِكْرُه وَهْم وإنما هو

---

(١) لفظ الحديث فى البخارى فى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم (ج ٥ ص ١٥٣) : عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين .

(٢ ، ٣) الحديث فى البخارى (ج ٥ ص ١٥١) وفى النهاية (ج ٤ ص ٢٣٤) : وَهَل إلى الشىء بالفتح يهل بالكسر وهلا بالسكون إذا ذهب وهمه إليه ، ومنه حديث عائشة : وهل ابن عمر أى ذهب وهمه : أما الوهل بالتحريك فهو الفزع وقد وهل يوهل فهو واهل ، والوهلة المرة من الفزع فلقيته أول وهلة أى لقيته أول فزعة فزعتها بلقاء إنسان .

(٤) هو عبد الله بن عدى بن الحمراء القرشى الزهرى من أنفسهم ، وقيل أنه ثقفى حليف لهم ، يكنى أبا عمرو وله صحبة وهو من أهل الحجاز كان ينزل بين قديد وعسفان انظر أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٢٥) .

(٥) قال الحافظ أى ابن حجر ، وذكره وهم أى إسناده إلى أبى هريرة وهم . وجاء فى الإصابة (ج ٤ ص ١٠٥) فى ترجمة ابن حجر لابن الحمراء : ويقال إنه عقبى وقال البخارى له صحبة وهو من مسلمة الفتح ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل مكة قلت (أى ابن حجر) انفرد برواية حديثه الزهرى واختلف عليه فيه فقال الأكثر عنه عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء ، وقال معمر فيه عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ومرة أرسله . . . والمحفوظ الأول . وفى خلاصة الخزرجى (ص ١٧٥) أنه صحابى روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير بن مطعم .

عبد الله بن عَدِى ، والحاكم وابن جميع عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ على الحَزْوَرَة[1] فقال : « والله إنك لَخَيْرُ أَرْضِ الله ، وأَحَبُّ أَرْضٍ إِلَيّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت منك » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال ابن التين[2] : أُرِىَ النبي صلى الله عليه وسلم أولاً دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغَيْرَها ، ثم أُرِىَ الصفة المختصة بالمدينة فَتَعَيَّنَتْ . الثانى : حديث أبى هريرة مرفوعاً : « اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلَيّ فأَسْكِنِّى فى أَحَبّ البقاع إليك » ، رواه الحاكم ، وقال الذهبي إنه موضوع ، وقال ابن عبد البَرّ : لا يختلف أهل العلم أنه مُنْكَر موضوع . الثالث : فى بيان غريب ما سبق : « وَهَلى[3] » : بفتح أوله وثانيه أى ظَنِّى ، يقال وَهَل يَهِل وَهْلاً بالسكون إذا ظَنّ شيئًا فتبينّ الأمر خلافه . « اليَمَامَة[4] » : مدينة على يومين من الطائف وأربعة من مكة . « هَجَر » : بفتح أوله وثانيه وهى هنا مدينة باليمن ، وهى قاعدة البحرين[5] وهى من مساكن عبد القيس ، وقد سبقوا غيرهم من

---

(١) قال البكرى فى معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٤٤٤) : الحزورة موضع بمكة يلى البيت وفيه دفن عبد الرحمن ابن عثمان بن عبيد الله ابن أخى طلحة بن عبيد الله وكان قتل مع ابن الزبير ، فلما زيد فى المسجد الحرام دخل قبره فى المسجد . وروى الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن حمراء أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة : الحديث . وهذا من الأحاديث الصحاح التى خرجها الدارقطنى وذكر أن البخارى ومسلم أغفلا تخريجه فى كتابيهما على ما شرطاه . وهذا الحديث من أقوى ما يحتج به الشافعى فى تفضيل مكة على المدينة . وقال الدارقطنى : والمحدثون يقولون الحزوَّرة بالتشديد وهو تصحيف إنما هو الحزورة بالتخفيف .

(٢) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسى الإمام المحدث الرواية المفسر الفقيه له شرح على البخارى سماه : المخبر الفصيح فى شرح البخارى الصحيح اعتمده ابن حجر فى شرح البخارى ، توفى سنة ٦١١ هـ بصفاقس ، انظر ترجمته فى شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف (القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ ج ١ ص ١٦٨ رقم ٥٢٨) . هذا وكثيراً ما يشير إلى ابن التين كل من ابن خلدون فى المقدمة والسيوطى فى الإتقان والزرقانى فى شرحه على المواهب .

(٣) هذا الضبط من المؤلف لكلمة وهل بفتح الهاء يتناقض مع ما ذكره فيما بعد وهو بتسكينها . وقد أشرنا فى حاشية سابقة إلى ضبط ابن الأثير لها فى النهاية وهو أن الوهل بالفتح الفزع والوهل بتسكين الهاء الوهم ، والظن .

(٤) اليمامة فى معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٥١٦) معدودة من نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام . وفى كتاب البلدان لابن الفقيه (طبعة ليدن سنة ١٨٨٥ م ص ٢٨) إن أول ديار ربيعة باليمامة واليمامة لبنى حنيفة والبحرين لعبد القيس والجزيرة لبنى تغلب وعيون اليمامة كثيرة .

(٥) يخلط المؤلف هنا بين هجر اليمن وهجر البحرين فى معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٤٤٦) : هجر قصبة بلاد البحرين بينها وبين سرين سبعة أيام ، وهجر بلد باليمن بينه وبين عثر يوم وليلة من جهة اليمن . وذكر الهمدانى المعروف بابن الحائك والمتوفى سنة ٣٣٤ هـ فى كتابه صفة جزيرة العرب (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣ م ص ٨٦) : أن الهجر بلغة حمير القرية ومنها هجر البحرين وهجر نجران . وقال فى ص ١٣٦ : إن مدينة البحرين العظمى هى هجر وهى سوق بنى محارب من عبد القيس .

القُرى إلى الإسلام[1] ، يُذَكَّر ويُؤنَّث ، قال الجوهرى مُذَكَّر مصروف[2] . « أَرْضٌ سَبِخَة » : بفتح السين المهملة وكسر الموحدة وتُسَكَّن وتُفْتَح ، أى مالحة . « ظَهْرَانَىْ حَرَّتَيْن » : أى بينهما والحَرَّتَان تثنية حَرَّة وهى أرض ذات حجارة سود . « الحَزْوَرَة » : بحاء مفتوحة فزاى ساكنة فواو فراء ، سوق كانت بمكة أُدْخِلَتْ فى المسجد .

---

(١) مما يدل على سبق عبد القيس إلى الإسلام ما ورد فى كتب السيرة وفى صحيح البخارى (ج ١ ص ٣٦) مسنداً إلى ابن عباس عن قدوم وفدهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقولهم له : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى شهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة .

(٢) فى الصحاح : هجر اسم بلد معروف ولكن الفيروزابادى أشار إلى أنه يمنع أيضاً من الصرف . فقد قال ؛ هجر محركة باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع (أى يمنع من الصرف) .

الباب الرابع

فى هِجْرة رسول الله صلى الله عليه وسَلَّمْ بنفسه الكريمة
وما وقع فى ذلك من الآيات

قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً[1]) . روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم والضياء وصَحَّحُوه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأُمِر بالهجرة من مكة وأُنْزِل عليه (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) الهجرة إلى المدينة (واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً) / : كتاب الله عز وجل ، وفرائضه وحدوده . وروى الحاكم وصَحَّحَه عن قتادة فى الآية قال : (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صدق) [يعنى المدينة[2]] « وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صدق » يعنى مكة . وروى الزبير بن بَكَّار عن زيد بن أَسْلَم فى الآية قال : جعل الله تعالى مُدْخَلَ صِدْق المدينة ومُخْرَجَ صِدْق مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار .

٤٠٩ ظ

قال ابن سعد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته أتى بيت أبى بكر

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٠ . وقال الواحدى فى سبب نزولها (ص ٢٢٠) فى روايته عن الحسن أنه قال إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبى صلى الله عليه وسلم ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة وأمر نبيه أن يخرج مهاجراً إلى المدينة . ومما فسره به القرطبى (ج ١٠ ص ٣١٣): علمه ما يدعو به فى صلاته وغيرها من إخراجه من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن فأخرجه من مكة وصيره إلى المدينة . وهذا المعنى رواه الترمذى عن ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح . وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آمنا . وروى ابن كثير فى تفسيره (ج ٣ ص ٥٩) ما قاله قتادة فيها وهو أن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله . وقال الزمخشرى فى الكشاف (ج ١ ص ٤٦١) : قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر . . . وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يزيد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط ، وقيل الطاعة ، وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان . وسلطاناً أى حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكاً وعزاً قوياً ناصراً للإسلام على الكفرة .

(٢) زيادة من تفسير ابن كثير (ج ٣ ص ٥٩) .

بمكة فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه[1] » . وروى موسى بن عُقْبَة وابن إسحق والإمام أحمد والبخارى وابن حِبَّان عن عائشة رضى الله عنها ، وابن إسحق والطبرانى عن أُختها أسماء رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه استأْذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج قِبَل المدينة[2] ، فقال [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلِك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى » . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأَبى وأمى أنت ؟ قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَصْحَبَهُ وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر[3] ، وهو الخَبَط[4] أربعة أشهر .

[قال ابن شِهاب أخبرنى عُرْوَة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت[5] :] « لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَىْ النهار بُكْرَةً وعَشِيَّةً » . قالت : « فبينما نحن [يوماً] جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نَحْر[6] الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً[7] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فِدَاءٌ له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمْرٌ » . قالت : « فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأْذن فأُذِن له فدخل، فَتَأَخَّر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال أبو بكر : « يا رسول الله ما جاء بك إلا أمْرٌ حَدَث » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أَخْرِج مَنْ عندك » . فقال أبو بكر : لا عَيْنَ عليكَ إنما هما ابْنَتَاى ، وفى لفظ أَهْلُك . قال : « إن الله قد أَذِن لى فى الخروج والهجرة » . فقال أبو بكر :

---

(١) أضاف بن سعد : وضربت المنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم : إن عليه المنكبوت قبل ميلاد محمد فانصرفوا ، انظر طبقات ابن سعد (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ جـ ١ ص ٢١٣) .

(٢) لفظ البخارى (جـ ٥ ص ١٥٦) : وتجهز أبو بكر قبل المدينة .

(٣) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٨١) : السمر هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة ومنه الحديث : يا أصحاب السمرة وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ٢٨٠) : الخبط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل .

(٥) زيادة فى إسناد الحديث من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٤) .

(٦) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٣١) : فى حديث الهجرة : نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو الصدر .

(٧) متقنعاً أى مغطياً رأسه ، وتقنع مطاوع قنع . وفى النهاية مقنع بالحديد أى المتغطى بالسلاح .

« الصحبَةَ يا رسول الله » . قال : « نعم » . قالت عائشة : « فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفَرَح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ » .

قال أبو بكر : « يا رسول الله خُذْ إحدى راحِلَتَيَّ هاتَيْن » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالثَّمَن ، لا أركب بعيراً ليس هو لى » . قال : فهو لك . قال : « لا ولكن بالثمن الذى ابْتَعْتَها به » . قال « أخذتُها بكذ وكذا » . قال : « أخذتُها بذلك » . قال : هى لك . وعند البخارى فى غزوة الرجيع أنها الجَدْعاء[1] ، وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة . واستأْجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل [وهو من بنى عَبْد ابن عَدِىّ[2]] هادياً خِرِّيتاً ـ والخِرِّيت الماهر بالهداية ـ [قد غَمَس حِلْفاً فى آل العاص ابن وائل السَّهْمِى[2]] وهو على دين كُفَّار قريش ـ وأسلم بعد ذلك ـ فأَمِناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث [ليال[2]] براحلتيهما [صبح ثلاث[2]] .

قالت عائشة : فَجَهَّزناهما أَحَثَّ الجِهَاز[3] وصنعنا لهما سُفْرَة فى جراب . وأفاد الواقدى أنه كان فى السُّفْرَة شاة مطبوخة . قالت عائشة : فشَقَّتْ أسماء بنت أبى بكر قِطْعَةً من نطاقِها ـ وفى لفظ قطعت نِطَاقَها قطعتَيْن فأَوْكَت[4] بقطعة منه الجِراب وشَدَّت فم القِرْبَة بالباقى فسُمِّيَتْ ذات النطاق وفى لفظ النِّطَاقَيْن . وعند البلاذُرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) لفظ البخارى (ج ٥ ص ٢٣٤) فى باب غزوة الرجيع عن عائشة رضى الله عنها . قال أبو بكر : يا رسول الله عندى ناقتان قد كنت أعددتهما للخروج . فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى الجدعاء . وفى شرح المواهب (ج ١ ص ٣٢٧) : وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة درهم وأن التى أخذها النبى صلى الله عليه وسلم هى القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبى بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع . وذكر ابن إسحق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش وكذا فى رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها الجدعاء ذكره فى فتح البارى .

(٢) زيادة من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٣) فى الأصول : أحب الجهاز وهو موافق لما فى ابن سعد (ج ١ ص ٢١٤) وآثرنا إثبات رواية البخارى وفى شرح المواهب (ج ١ ص ٣٢٧) : فجهزناهما أحث بمهملة ومثلثة أسرع وفى رواية بموحدة والأولى أصح ، الجهاز قال الحافظ بفتح الجيم وتكسر ومنهم من أنكره وهو ما يحتاج إليه فى السفر . وقال فى النور بكسر الجيم أفصح من فتحها بل لحن من فتح . والذى فى الصحاح : وأما جهاز العروس والسفر فيفتح ويكسر .

(٤) لفظ ابن سعد (ج ١ ص ٢١٤) : فأوكت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة . وفى النهاية (ج ٤ ص ٢٢٩) أوكوا الأسقية أى شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء يقال أوكيت السقاء أوكيه إيكاء فهو موكى . والعصام رباط وجمعه عصم .

قال : « إن لها نِطاقَيْن فى الجَنَّة » فسميت ذات النطاقين [1] .

قال ابن إسحق : « وأَعْلَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيّاً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده [بمكة] حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس / وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته » . قالت عائشة : « ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغارٍ فى جبل ثَوْر » . وفى حديث عُمَر عند البيهقى أنهما خرجا ليلاً . وذكر ابن إسحق والواقدى أنهما خرجا من خَوْخَة فى ظَهْر بيت أبى بكر . وروى أبو نُعَيْمْ عن عائشة بنت قُدَامة [2] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد خرجت من الخَوْخَة متنكراً فكان أول من لقينى أبو جهل فأَعْمَى الله عز وجل بَصَرَه عَنِّى وعن أبى بكر حتى مَضَيْنَا » . قالت أسماء : « وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف دِرْهَم » . قال البَلاذُرِى : « وكان مال أبى بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة ، فبعث ابْنَه عبد الله فحملها إلى الغار » . قالت : « فدَخَل علينا جَدِّى أبو قُحَافة وقد ذهب بَصَرُه فقال : « والله إنى لأَراه قد فَجَعَكُم بماله مع نفسه » . قالت : « قلت : كَلاَّ يا أَبَت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً » . قالت : « فأَخَذْتُ أحجاراً فوَضَعْتُها فى كُوَّة فى البيت ، كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلتُ : يا أبت ضَعْ يَدَك على هذا المال . قالت : فوضع يَدَه عليه . فقال : لا بأْس إن كان ترك لكم هذا فقد أَحْسَنَ ، وفى هذا بَلاَغٌ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أُسَكِّن الشيخ [بذلك [3]] » .

وفى حديث عند البيهقى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، جعل أبو بكر يمشى مَرَّةً أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومرةً خَلْفَه

(١) بالتثنية هى رواية الكشميهنى ورواية غيره النطاق بالإفراد قال ابن حجر : النطاق ما يشد به الوسط وقيل هو إزار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل قاله أبو عبيد الهروى قال : وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقاً على نطاق . وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد قال ابن حجر : والمحفوظ فى البخارى أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين – عن الزرقانى فى شرح المواهب ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) هى عائشة بنت قدامة بن مظعون القرشية الجمحية كانت هى وأمها رائطة بنت سفيان الخزاعية من المبايعات ، انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٥ والإصابة ج ٨ ص ١٤٢ رقم ٧٠٨ .

(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٠٢ .

ومرةً عن يمينه ومرةً عن شِمَاله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « يا رسول الله أَذْكُرُ الرَّصَدَ[1] فأكون أَمَامَك وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فأكون خَلْفَكَ ، ومرةً عن يمينك ومرةً عن يسارك لآمن عليك ، فلما انتهينا إلى فم الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تَدْخُلْهُ حتى أَدْخُلَه قبلك ، فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك » . فدخله فجعل يلتمس بيده ، فجعل كلما دَخَل جُحْراً قام إلى ثوبه فشَقَّهُ ثم أَلْقَمَه الجُحْر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع : فبقى جُحْر » فوضع عَقِبَيه عليه ، ثم دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَتْ الْحَيَّات يَلْسَعْنَ أبا بكر رضى الله عنه وجعلت دموعه تنحدر .

وروى ابن أَبى شيبة وابن المنذر عن أَبى بكر أنهما لما انتهيا إلى الغار إذا جُحْر فألقمه أبو بكر رجليه . قال : « يا رسول الله إن كان لَدْغَة أو لسعة كانت بى » . وروى ابن مَرْدَوِيه عن جُنْدَب بن سُفْيَان[2] قال : « لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال أبو بكر : يا رسول الله لا تدخل الغار حتى أَسْتَبْرِئَه . فدخل أبو بكر الغار فأصاب يَدَه شىء فجعل يمسح الدم عن إصبعِه ويقول

هل أنت إلا إصْبَعٌ دَمِيت وفى سبيل الله مالَقِيت[3]

وفى حديث أَنَس عند أَبى نُعَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح قال لأبى بكر « أَيْنَ ثَوْبُكَ ؟ » فأخبره بالذى صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَيْه فقال : « اللهم اجْعَلْ أَبا بكر معى فى دَرَجَتِى فى الجنة » . فأوحى الله إليه : « قد استجاب الله تعالى لك » . وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم والبيهقى وابن عساكر عن أَبى مُصْعَب المكى قال : « أدركتُ أَنس بن مالك ، وزيد بن أَرْقَم ، والمُغِيرة بن شُعْبَة يتحدثون أن النبى صلى

---

(١) الرصد — محركة — القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا أرصاد .

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى أبو عبد الله ، وقد ينسب إلى جده فيقال جندب بن سفيان ، سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير ، وروى عنه أهل المصريين ، وروى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب فقال حدثنى جندب بن سفيان . قال ابن السكن : وأهل البصرة يقولون جندب بن عبد الله ، وأهل الكوفة يقولون جندب ابن سفيان ، غير شريك وحده ويقال له جندب الخير وأنكره ابن الكلبى . وقال البغوى يقال له جندب الخير وجندب الفاروق . . . وقال ابن حبان هو جندب بن عبد الله بن سفيان . . انظر الإصابة ج ١ ص ٢٦٠ رقم ١٢٢٠ .

(٣) ذكر الواقدى وابن هشام أن هذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابى لما رجع فى صلح الحديبية إلى المدينة وعثر بحرتها فانقطعت إصبعه . انظر الزرقانى على المواهب ج ١ ص ٣٣٦ .

الله عليه وسلم ليلةَ الغار أَمَرَ شجرةً ـ وفى رواية عند قاسم بن ثابت[1] : أنبت الله شجرة الرَّاءة[2] ، فنبتت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسترته ، وبعث الله العنكبوت فنَسَجَتْ ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا فى فَمِ الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن بِعِصِيِّهم وهَراويهم[3] وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً ، جعل بعضهم ينظر فى الغار فلم يَرَ إلا حمامتين وحشيتين بفَمِ الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : مالك ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين فعرفتُ أنه ليس فيه أحد . فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال : فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فبارك عليهما النبى صلى الله عليه وسلم وفرض جزاءهن وانحدرتا فى الحَرَم فَأَفْرَخَ ذلك الزوج كل شىء فى الحَرَم[4] . وروى الإمام أحمد بسَنَدٍ حَسَن عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن المشركين قَصُّوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغوا الجَبَل اختلط عليهم ، فصعدوا الجَبَل فَمرُّوا بالغار فَرَأَوْا على بابه نسيج العنكبوت ، فمكث فيه ثلاثة أيام .

---

(١) هو قاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى يكنى أبا محمد رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى وسمع بمكة وعنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه وأدخلا الأندلس علماً كثيراً . وألف قاسم كتاباً فى شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية من الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده . وكان قاسم عالماً بالحديث والفقه متقدماً فى معرفة الغريب والنحو والشعر وكان ورعاً ناسكاً وأبى أن يلى القضاء ، توفى فى سرقسطة سنة ٣٠٢ هـ . أنظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضى (جـ ١ ص ٤٠٢ : ٤٠٣ رقم ١٠٦٢) . هذا وقد ترجم له الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٣١) ترجمة مختصرة قال فيها بأنه توفى ٣٦٠ هـ . والأصوب ما ذكره ابن الفرضى حيث قال إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ . أما عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت فقد أشار إليه الزرقانى بأن مؤلفه شرح فيه ما أغفله أبو عبيد القاسم ابن سلام وابن قتيبة من غريب الحديث .

(٢) فى القاموس المحيط : أروأ المكان كثر به الراء وقال الزبيدى فى التاج : الراءة شجيرة ترتفع على ساق ثم يرتفع لها ورق مدور وقيل إنها شجيرة جبلية لها زهرة بيضاء كأنها قطن أو نوع من شجر الطلح ، وجمع الراءة الراء . وقال السهيلى (جـ ٢ ص ٤) إن قاسم بن ثابت ذكر فى الدلائل فيما شرح من غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة (يقصد السهيل أبا حنيفة الدينورى وكان عشاباً) : الراءة من أغلاث الشجر وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه .

(٣) فى الصحاح الهراوة العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو . وفى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٢) : قال البرهان كان ينبغى أن يكتب بالألف وينطق بها فيقال : هراواهم أو أنه يقال : هراوى وهراوى ـ بفتح الواو وكسرها ـ كصحارى وصحارى ـ بفتح الراء وكسرها .

(٤) فى الزرقانى على المواهب أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقاً لما حصل بها الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له ، وفى المثل : آمن من حمام الحرم .

وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن سعيد القاضي شيخ النسائى فى مسند الصديق عن الحسن البصرى قال : « جاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رَأَوْا على باب الغار نَسْجَ العنكبوت[1] قالوا : لم يدخله أحد . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلى وأبو بكر يرتقب . فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك ، أَمَا والله ما على نفسى أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تخف إن الله معنا » وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : « قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار . لو أن أحدهم نَظَرَ إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه[2] » فقال : « ما ظَنُّك باثنَيْن الله ثالثهما » . وروى أبو نعيم فى الحِلْيَة عن عطاء بن ميسرة قال : « نَسَجَتْ العنكبوت مَرَّتَيْن مَرَّةً على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار » .

وذكر البلاذرى فى تاريخه وأبو سعيد فى الشرف أن المشركين استأجروا رجلاً يقال له عَلْقمة بن كُرْز بن هلال الخزاعى – وأسلم عام الفتح – فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور[3] وهو بأسفل مكة فقال : ههنا انقطع أثره ولا أدرى أخذ يميناً أم شِمالاً أم صعد الجبل . فلما انتهوا إلى فمِ الغار قال أمية بن خَلَف : ما أَرَبُكُم فى الغار ؟ إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد . ثم جاء فبال .

وروى البيهقى عن عروة أن المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رَكِبُوا فى كل وجه يطلبونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجُعْل العظيم وأتوا على ثور الجبل الذى فيه الغار الذى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلعوا فوقه ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم ، فأشفق أبو بكر وبكى وأقبل عليه الهَمّ والحزن والخوف ، فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا تَحْزَنْ إنَّ

---

(١) من بليغ الأبيات التى قيلت فى هذا الصدد :

والعنكبوت أجادت حوك حلتها فما تخال خلال النسج من خلل

(٢) العبارة هنا بها تكرار ، وهى كما أوردها ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٠٩) : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا .

(٣) فى معجم البكرى ج ١ ص ٣٤٨ : هو ثور أطحل وهو جبل مكة الذى فيه غار النبى صلى الله عليه وسلم . وروى الحربى من طريق التيمى عن أبيه عن على قال : حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بين عير إلى ثور .

اللهَ مَعَنَا[1] » ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت السكينة من الله تعالى . وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس فى قوله تعالى : (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ)[1] ، قال : على أبي بكر لأن / النبي صلى الله عليه وسلم لم تنزل السكينةُ معه[1] 411 و

وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أن أبا بكرٍ رأى رجلاً مواجهاً الغار فقال : « يا رسول الله إنه يرانا » . « قال كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها » . فلم ينشَب أن قعَد يبول مستقبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لو كان يراك ما فَعَل هذا » .

ويرحم الله الشَّرَف البوصيرى[2] حيث قال :

وَيْحَ قومٍ جَفَوْا نَبِيًّا بأَرْضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبـــابُها والظِّبَاءُ
وسَلَوْه وحَــنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ ... وقَلَـــوْهُ وَوَدَّهُ الغُــرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وآوَاهُ غَــارٌ ... وحَمَتْــــهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ
وكَفَتْهُ بِنَسْجِهَـــا عَنْكَبُوتٌ ... ما كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْداءُ[3]

---

(1) هذا من الآية الأربعين من سورة التوبة وتمامها : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وأخرج البخارى فى تفسيرها (ج ٦ ص ١٢٦) حديثاً رواه أنس عن أبي بكر أنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال: « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وروى فى تفسير : « فأنزل الله سكينته عليه » أى على أبى بكر بتأمين النبى صلى الله عليه وسلم له فسكن جأشه وذهب روعه (تفسير القرطبى ج ٨ ص ١٤٨) .

(٢) فى الأصول : الأبوصيرى وأثبتنا الاسم الذى اشتهر به صاحب البردة . وعلق الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٣٠) على هذه النسبة لبلدة بوصير قائلا : لو سلم أن القرية بلفظ الكنية فإنما يقال فى النسبة « صيرى » بحذف الجزء الأول كما يقال بكرى فى النسبة إلى أبى بكر إذ لا ينسب إلى الاسمين معاً المضاف والمضاف إليه لأن إعراب أولهما بحسب العوامل والثانى مخفوض بالإضافة. غير أن هذا لا يصح لأن بو أو أبو أساسية فى الكلمة . قال محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٢ ص ٦٩ القاهرة سنة ١٩٥٨ . وبناء على ذلك يجب أن يلاحظ أن كلمة أبو التى فى أول اسم بوصير هى جزء من الاسم لا يجوز أن تتغير بما يدخل عليها من عوامل الإعراب كما يفعل بعض الكتاب الذين لا يعرفون أصل هذا الاسم .

(٣) يقال شجرة حصداء أى كثيرة الورق فكأنه استعارة للحمامة لكثرة ريشها .

وحيث قال :

أَقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ أن له ... من قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

وما حَوَى الغارُ من خَيْرٍ ومن كَرَمٍ ... وكلُّ طَرْفٍ من الكُفَّارِ عنه عَمِ

فالصِّدْقُ فى الغار والصِّدِّيقُ لم يَرِدَا ... وهم يقولون ما بالغار من أَرِمِ [1]

ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خير البَرِيَّةِ لم تَنْسِجْ ولَمْ تَحُمِ

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عن مُضَاعَفَةٍ ... من الدُّرُوعِ وعن عالٍ من الأُطُمِ

لطيفة : سئل بعضهم عن الحكمة فى اختفائه صلى الله عليه وسلم فى غار ثَوْر دون غيره فأُجيب بأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفَأْلَ الحَسَن ، وقد قيل إن الأرض مستقرةٌ على قرن الثَّوْر فناسب استقراره صلى الله عليه وسلم فى غار ثَوْر تفاؤلاً بالطُّمَأْنِينَة والاستقرار فيما يقصده هو ورفيقه .

وروى ابن عَدِىّ وابن عساكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسَّان : « هل قلت فى أبى بكر شيئاً ؟ » قال : نعم. قال : « قُلْ وأنا أسمع » ، فقال :

والثانِىَ اثْنَيْنِ فى الغارِ المُنِيفِ وقد ... طاف العَدُوُّ به إذ صَعَّدَ الجَبَلا [2]

وكان حِبَّ رَسُولِ اللهِ قد عَلِمُوا ... من البَرِيَّةِ لم يَعْدِلْ به رَجُلا [3]

فضَحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه / ثم قال : « صَدقْتَ يا حَسَّان هو كما قلت . ٤١١ ظ

قالت عائشة رضى الله عنها : « فكَمَنا فى الغار ثلاثَ ليال وكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما ، وهو غلام ثَقِفٌ لَقِن [4] ، فيُدْلِج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش

---

(١) الأرم والإرم ككتف وعنب حجارة أو نحوها تنصب فى المفارة ليهتدى بها .

(٢) وقبله :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالى الثانى المحمود شيمته ... وأول الناس طراً صدق الرسلا

(٣) وبعده : خير البرية أتقاها وأرأفها بعد النبى وأوفاها بما حملا – أنظر ديوان حسان (القاهرة سنة ١٩٢٩ ص ٢٩٩ : ٣٠٠) .

(٤) فى النهاية (ج ١ ص ١٣١) فى حديث الهجرة وهو غلام لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، ورجل ثقف وثقف وثقف – بكسر القاف وضمها وتسكينها – والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه . وعند الزرقانى لقن أى سريع الفهم .

[بمكة كبائت][1] ، فلا يَسْمَع بأَمْرٍ يُكَادان به[2] إلا وعاه حتى يأْتيهما بخَبَر ذلك حين يختلط الظلام . وعند ابن إسحق أن أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما إذا أمست بما يُصْلِحُهما من الطعام . وكان عامر بن فُهَيْرة يَرْعَى غَنَماً لأَبى بكر فى رُعْيَان[3] أهل مكة فإذا أَمْسَى يُرِيحُهما عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء ، فَيَبِيتَان فى رِسْل [وهو لَبَن مِنْحَتِهِما[4]] ورَضِيفهما[5] [حتى يَنْعَق بها عامر بن فُهَيْرَة بِغَلَس[4]] ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

فلما مضت الثلاث وسَكَنَ عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأْجراه فَرَكِبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدِّيلى . وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه ليخدمهما فى الطريق - وعند البخارى[6] فى غزوة الرَّجيع كان عامر بن فُهَيْرَة غلاماً لعبد الله بن الطُّفَيْل بن سَخْبَرَة[7] أخو عائشة لأُمها[8] - وأخذ بهما الدليل طريق الساحل أسفل من عُسْفَان[9] ثم أجاز بهما حتى عادا من الطريق على أَمَج[10] .

وروى أبو نُعَيْم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق قال : « بلغنى أن

---

(١) زيادة من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٧) .

(٢) هذه رواية الكشميهى ورواية غيره : يكتادانه أى يطلب لهما فيه الغوائل .

(٣) فى الصحاح الراعى جمعه رعاة مثل قاض وقضاة ورعيان مثل شاب وشبان ورعاء مثل جائع وجياع .

(٤) زيادة من البخارى ، والمنحة من لبن أى غنم فيها لبن . والرسل كما فى الصحاح اللبن وقد أرسل القوم أى صار اللبن فى مواشيهم .

(٥) فى النهاية (جـ ٢ ص ٨٥) فى حديث الهجرة : فيبيتان فى رسلهما ورضيفهما . الرضيف (بالضاد المعجمة بزنة رغيف وهى مصحفة بالصاد المهملة فى طبعة المنيرية للبخارى) هو اللبن المرضوف وهو الذى طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه .

(٦) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٢٣٤.

(٧) السخبرة فى اللغة ضرب من النبت يشبه الإذخر كما جاء فى الاشتقاق لابن دريد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م ص ٥٦٤ .

(٨) أمهما أم رومان بنت عمير بن عامر من بنى كنانة .

(٩) عسفان كما فى معجم البلدان لياقوت (جـ ٦ ص ١٧٤) منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهى على مرحلتين من مكة وقيل على ستة وثلاثين ميلا منها وهى حد تهامة .

(١٠) أمج بلد من أعراض المدينة كما فى معجم ياقوت (جـ ١ ص ٣٣٠) ، وفى معجم البكرى (جـ ١ ص ١٩٠) قرية جامعة بها سوق وهى كثيرة المزارع والنخل وهى على ساية وساية ، واد عظيم وأهل أمج خزاعة . ومن أبيات لجعفر ابن الزبير بن العوام :

أم كيف أنسى مسيرنا حـرماً ... يوم حللنا بالنخل مـن أمـج

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خَرَج مُهاجِراً قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئاً ، اللهم أَعِنِّى على هَوْل الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام ، اللهم اصْحبنى فى سَفَرى واخْلُفْنِى فى أهلى وبارِكْ لى فيما رزَقْتَنِى ، ولك فَذَلِّلْنى ، وعلى صالح خَلْقِى فقَوِّمْنى ، وإلى رَبِّى فَحَبِّبْنِى ، وإلى الناس فلا تكِلْنِى ، أنت رَبُّ المُسْتَضْعفِين وأنت رَبِّى ، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكريم الذى أَشْرَقَتْ له السموات والأرض فكشفت به الظُلُمات وصَلُح عليه أَمْرُ الأَولين والآخرين ، أَن يَحِلَّ بى غَضَبُك أَو يَنْزِلَ عَلَىَّ سُخْطُك ، أعوذ بك من زوال نِعْمَتِك وفُجَاءةِ نِقْمَتِك وتَحَوُّلِ عَاقِبَتِك وجميع سُخْطِك ، لَكَ العُتْبَى خير ما استطعت ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بك » .

وروى الإمام أحمد والشيخان ويعقوب بن سفيان[1] عن البَرَاء بن عازِب رضى الله عنه أن أباه قال لأبى بكر رضى الله عنه : كيف صَنَعْتُما ليلة سَرَيْتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : خرجنا فأَدْلَجْنَا فأَحْيَيْنا يَوْمَنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل أرى ظِلّاً نأوى إليه فإذا أنا بِصَخْرَة فَأَهْوَيْتُ إليها فإذا بَقِيَّةُ ظِلِّها فَسَوَّيْتُه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فَرْوَة ثم قلت: اضطجع يا رسول الله وأنا أَنْفُض لك ما حولك ، ثم خرجتُ [هل أرى أحداً من الطَّلَب[2]] فإذا براعٍ مُقْبِل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا : فَلَقِيتُه فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل مكة ، فسَمَّاه فعرفته فقلت : هل فى غَنَمك من لبن؟ قال : نعم . قلتُ: هل أنت حَالِبٌ لى ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها . فقلت : انفض الضرع من التراب والقَذَى ، فحلب لى فى قَعْبٍ معه كُثْبَةً[3] من لبن ومعه إداوة أرتوى فيها للنبى صلى الله عليه

---

(١) هو الإمام الحجة أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى الفسوى صاحب التاريخ الكبير والمشيخة روى عنه الترمذى والنسائى وابن خزيمة وأبو عوانة وابن أبى حاتم وآخرون وبقى فى الرحلة ثلاثين سنة . قال أبو زرعة الدمشقى قدم علينا من نبلاء الرجال يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يروا مثله ، توفى سنة ٢٧٧هـ ، انظر تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ وخلاصة الخزرجى ص ٣٧٥ . وإسناد هذا الحديث الذى رواه يعقوب مختلف عما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢١٠) ومن رواته محمد أبو سعيد عن إسرائيل عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال اشترى أبو بكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء فليحمله إلى منزلى فقال لا حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

(٢) زيادة من أسد الغابة .

(٣) الكثبة كما فى النهاية (جـ ٤ ص ٩) : بضم الكاف وتسكين المثلثة كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك والجمع كثب .

وسلم يشرب منها ويَتَوَضَّأ ، على فمها خِرْقة ، فَأَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وكَرِهْتُ أن أوقظه من نومه ، فوقفت حتى استيقظ ، فَصَبَبْتُ على اللبن من الماء حتى بَرَدَ أَسْفَلُه ، فقلت : يا رسول الله اشرب من هذا اللبن . فشَرِب حتى رَضِيت . / ثم قال : أَلَم يأن الرحيل ؟ » قلت : بلى. قال فارتحلنا بعد ما زالت الشمس .

٤١٢ و

قِصَّة أم مَعْبَد رضى الله عنها

روى الطبرانى والحاكم وصحَّحَه ، وأبو نُعَيْم وأبو بكر الشافعى عن حُبَيْش بن خالد الأَشْعر[١] الخُزَاعى القُدَيْدِى[٢] ، أخى أم مَعْبَد رضى الله عنهما ، وأبو بكر الشافعى عن أبى سَلِيط[٣] – بفتح السين المهملة وكسر اللام فمُثَنَّاة تحتية فطاء مهملة – واسمه أُسَيْرَة – بضم أوله وفتح ثانيه وسكون المُثَنَّاة التحتية – ابن عَمْرو الأَنصارى رضى الله عنه ، وابن سعد والبيهقى عن أبى مَعْبَد[٤] ، وابن السَّكَن عن أم مَعْبَد رضى الله عنها ، والبَزَّار[٥] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ، ومولى أبى بكر عامر بن فُهَيْرَة ودليلهم الليثى عبد الله بن الأُرَيْقِط[٦] ، مَرُّوا على خَيْمَة[٧] أم مَعْبَد الخُزَاعية ، وهى لا تعرفه ، وكانت بَرْزَةً جلدة تحتبى بِفِنَاء

---

(١) اختلف فى نسبه إذ جاء فى أسد الغابة (جـ١ ص٣٧٦) : حبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم .. وقيل حبيش بن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة – لايذكرون منقذاً – الخزاعى الكعبى أبو صخر وأبو خالد ، يقال له الأشعر . وقال ابن الكلبى،حبيش هو الأشعر وزاد فى نسبه . . وهو أخو أم معبد وصاحب حديثها .

(٢) نسبه إلى قديد موضع قرب مكة وهو على لفظ التصغير وفى معجم البكرى (جـ ٣ ص ١٠٥٤) أن هذه القرية سميت قديداً لتقدد السيول بها وهى لخزاعة .

(٣) أبو سليط الأنصارى مدنى اسمه أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك . . الخزرجى النجارى .

(٤) أبو معبد الخزاعى زوج أم معبد مختلف فى اسمه . قال محمد بن إسماعيل اسمه : حبيش وأنه سمع حديثه من ام معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عن أبى معبد زوجها وعن حبيش بن خالد أخيها ، كلهم يرويه بمعنى واحد . قيل توفى أبو معبد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسكن قديداً .

(٥) فى الأصول : والبزار عن ثم بياض بقدر ثلاث كلمات لم نستطع تكملته .

(٦) فى إحدى النسخ الخطية من سيرة ابن هشام هو عبد الله بن أرقد بالدال بدل الطاء ، وفى رواية الأموى اريقد بالتصغير وقيل رقيط كما فى الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٩) وهو من الديل وقيل الدئل كما فى فتح البارى . وكان الأريقط على دين كفار قريش ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم به عبد الغنى المقدسى وتبعه النووى وقال ابن حجر فى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد وقال السهيلى (جـ ١ ص ٨) : عبد الله بن أريقط لم يكن إذ ذاك مسلماً ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك .

(٧) فى رواية : خيمتى .

القُبَّة ثم تَسْقِى وتُطْعِم فسألوها لَحْمًا وتَمْراً ليشتروه منها ، فلم يُصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وإذا القَوْمُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون . فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاةٍ فى كِسْر الخَيْمَة – وفى لفظ فى كِفَاء البيت – فقال : « ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد ؟ » قالت : شاة خَلَّفَها الجَهْد عن الغَنَم . قال: « هل بها من لبن ؟ » قالت : هى أَجْهَد من ذلك . قال : « أَتأذنين لى أن أَحْلُبها ؟ » قالت : بأبى أنت وأمى [نعم][1] إن رَأَيْتَ بها حَلْباً فَاحْلُبها فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها . فَدَعَا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ بيده ضَرْعَها وظَهْرَها وسَمَّى الله عز وجل ودعا لها فى شاتها فتَفَاجَّتْ عليه ودَرَّتْ [واجْتَرَّتْ[2]] ، ودعا بإناءٍ يُرْبِضُ[3] الرَّهْطَ فحلب فيه ثَجًّا حتى عَلَاه البهاء – وفى لفظ الثُّمَال[4] – ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رَوَوْا ، ثم شَرِب صلى الله عليه وسلم آخرهم، وقال: « ساقى القَوْم آخِرُهُمْ شُرْباً»[5] . ثم حَلَبَ فيه ثانيةً بعد بدء[6] حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها . فبايعها وارتحلوا عنها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت : « بقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكنا نحلُبها صَبُوحاً وغَبُوقاً ، وما فى الأرض قليل ولا كثير » . وقال هشام بن حُبَيْش : « أنا رأيْتُ الشاة وإنها لتَأْدُم أُمَّ مَعْبَد وجميع صِرْمَتِها » ، أى أهل ذلك الماء .

فَقَلَّ ما لَبِثَتْ أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزاً حِيَالاً[7] عِجَافاً [يَتَسَاوَكْنَ

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ١ ص ٣٧٧) .

(٢) زيادة من أسد الغابة والسهيلى (جـ ٢ ص ٨) والنهاية (جـ ٣ ص ١٨٤) .

(٣) يربض الرهط أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض بالمكان يربض إذا لصق بالمكان وأقام ملازما له . انظر النهاية جـ ٢ ص ٥٩ .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٤) فى حديث أم معبد : فحلب فيه ثجاً حتى علاه الثمال ، الثمال هو بالضم الرغوة واحدة الثمالة .

(٥) أخرجه الترمذى وابن ماجه ، انظر الجامع الصغير (جـ ٢ ص ٣٠) .

(٦) فى السهيلى (جـ ٢ ص ٨) : ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل .

(٧) ٢ : كل أنثى لا تحبل فهى حائل يقال امرأة حائل وناقة حائل والجمع حول وحيال . وفى النهاية (جـ ١ ص ٢٧٢) : والشاه عازب حيال أى غير حوامل ، حالت تحول حيالا ، وهى شاه حيال وإبل حيال ، والواحدة حائل وجمعها حول أيضا بالضم .

هزالاً مخهن قليل[1]]

فلما رأى اللبن عَجِب فقال : من أين لَكِ هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : « لا والله إلا أنه مَرَّ بنا رجل مُبَارَك من حاله كذا وكذا » . قال : « صِفِيهِ لى يا أم مَعْبَد » . قالت : « رأَيْتُ رجلاً ظاهِرَ الوَضَاءة أَبْلَجَ الوَجْهِ حَسَن الخُلُق ، لم تَعِبْهُ ثُجْلة ولم تُزْرِ به صَعْلة ، وَسِيمٌ قَسِيم ، فى عَيْنَيْه دَعَج وفى أشفاره وَطَف وفى صوته صَحَل - أو قالت صهل - وفى عنقه سَطَع ، وفى لحيته كثاثة ، أَزَجّ أَقْرَن ، إن صَمتَ فعليه الوَقَار ، وإن تكلم سَمَا وعَلَاهُ البَهَاء ، أجملُ الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب ، حُلْو المنطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر ، كأَن منطقه خَرَزَات نظم يَتَحَدَّرْن ، رَبْعَةٌ لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه / عَيْنٌ من قِصَر ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْن ، فهو أَنْضَرُ الثلاثة منظراً وأحسنُهم قدراً ، له رُفَقَاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أَمَر تبادروا إلى أمره ، مَحْفُود[2] محشود لا عابس ولا مُفَنَّد » . فقال أبو معبد: « هذا والله صاحب قريش الذى ذُكِر لنا من أمره بمكة ما ذُكِر ولقد هممت أن أصحبه ولأَفْعَلَنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً » .

٤١٢ ظ

قالت أسماء رضى الله عنها : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نَفَرٌ من قريش فيهم أبو جَهْل بن هشام فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ » فقلت « والله لا أدرى أين أبى » . فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلَطَم خَدِّى لَطْمَةً خرج[3] منها قُرْطِى ، ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الجِنّ من أسفل مكة يتغَنَّى بأبيات من شعر غناء العرب وتبعه الناس يسمعون صوته وما يَرَوْنَه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

---

(١) زيادة من أسد الغابة (ﺣ ١ ص ٣٧٧) وتساوك أى سار سيرا ضعيفا وتساوكت الماشية أى هزلت حتى تمايلت فى مشيها من الضعف . وفى حديث أم معبد فى النهاية (ج ٢ ص ١٩٤) فجاء زوجها يسوق أعنزاً عجافا تساوك هزالا وفى رواية ما تساوك هزالا يقال تساوكت الابل إذا اضطربت أعناقها من الهزال أراد أنها تمايل من ضعفها ويقال أيضا جاءت الإبل ما تساوك هزالا ما تحرك رءوسها . ومخهن قليل أى الودك الذى فى العظم .

(٢) المحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، عن النهاية (ج ١ ص ٢٣٩) .

(٣) فى رواية خرم وفى أخرى طرح منها .

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جزائِه[1] رفيقَيْن قالا[2] خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نَزَلا بالبِرِّ[3] وارْتَحَلا به فأَفلح من أَمْسَى رفيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَقُصَىٍّ ما زَوَى[4] اللهُ عَنْكُمُ به من فَعالٍ[5] لا تُجَارَى[6] وسُودَدِ
لِيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَقَامُ[7] فتاتِهم وَمَقْعدها للمؤمنين بِمَرْصَدِ[8]
سَلُوا أُخْتَكُمْ عن شاتِها وإنائِها فَإِنَّكُمُ إن تسأَلوا الشاةَ[9] تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ له بصريحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ[10] مُزْبِدِ
فغادَرَها رَهْناً لديها لحالبٍ يُرَدِّدُها[11] فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

فلما سمع ذلك حَسَّان بن ثابت الأَنصارى رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خَابَ قَوْمٌ غاب عنهم نَبِيُّهُمْ وقُدِّسَ من يسرى إليه ويَغْتَدِى[12]
تَرَحَّلَ عن قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وحَلَّ على قَوْمٍ بنورٍ مُجَدَّدِ
هَدَاهُمْ به بعد الضَّلَالةِ رَبُّهُمْ وأَرْشَدَهُمْ من يَتْبَعِ الحَقَّ يُرْشَدِ
وهل يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ[13]
لقد نَزَلَتْ منه على أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عليهم بِأَسْعُدِ
نَبِىٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ويَتْلُو كِتَابَ اللهِ فى كُلِّ مَسْجِدِ

---

(١) فى رواية أبى سليط : جزى الله خيرا والجزاء بكفه .
(٢) قالا أى نزلا وقت القيلولة ، وفى رواية حلا .
(٣) فى الأصول : بالهدى وأثبتنا رواية ابن سعد وابن الأثير والنويرى وفى الخشنى :
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
وفى شرح المواهب هما رحلا بالحق وانتزلا به . وفى رواية هما نزلا بالهدى واغتدوا به .
(٤) زوى أى جمع وقبض .
(٥) فى شرح المواهب قال البرهان وتبعه الشامى مؤلف هذا الكتاب : الظاهر بفتح الفاء وخفة العين وهو الكرم .
(٦) وفى رواية لا تجازى بالزاى بدلا من الراء . كما أن عجز هذا البيت فى الديوان : به من فخار لا يبارى وسؤدد .
(٧) فى ت وم : مكان وفى ط والديوان والخشنى مقام .
(٨) أى مقعدها بمكان ترقب المؤمنين فيه لتواسيهم .
(٩) فى الأصول : « إن تسألوا الناس وأثبتنا رواية ديوان حسان والخشنى وابن الأثير فى أسد الغابة (جـ١ ص٣٧٧)
(١٠) الصريح اللبن الخالص لم يخلط ، والضرة : أصل الضرع .
(١١) فى نهاية الأرب للنويرى (جـ ١٦ ص ٣٣٧) . تدر بها بدلا من يرددها .
(١٢) فى الأصول زال بدلا من غاب وأثبتنا رواية الديوان .
(١٣) فى الخشنى وهاد به نال الهدى كل مهتد .

وإن قال فى يَوْمٍ مَقَالَةَ غائِبٍ فتصديقُها فى اليَوْم أو فى ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أبا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَــــدِّهِ بِصُحْبَتِهِ من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَــدِ

وروى البيهقى بسَنَدٍ حَسَّنه والحافظ ابن كثير عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فانتهينا إلى حَىٍّ من أحياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت مُنْتَحِياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عَبْدَىْ الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فعليكما بعظيم الحَىِّ إن أردتم القِرَى . قال : فلم نُجِبْها ، وذلك عند المساء ، فجاء/ابنٌ لها بأَعْنُزٍ له يسوقها . فقالت له : يابنى انطلق بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكم أُمِّى : اذبحا هذه وأَطْعِمَانا . فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انْطَلِقْ بالشفرة وجئنى بالقدح » . قال : إنها عازب وليس لها لبن . قال : « انْطَلِقْ » . فانطلق فجاء بقدح فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ضَرْعَها ثم حَلَب مِلْءَ القَدَح ثم قال : انْطَلِقْ به إلى أُمِّك . فشَرِبَتْ ثم رَوِيَتْ ثم جاء به . فقال : انطلِق بهذه وجئنى بأخرى ففعل بها كذلك . ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم » .

٤١٣ و

« فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا ، وكانت تسميه المبارك ، وكثرت غَنَمُها حتى جَلَبَتْ حَلَبًا[1] إلى المدينة فمر أبو بكر رضى الله عنه فرآه ابنها فعرفه ، فقال: يا أمه إن هذا الرجل الذى كان مع المبارك ، فقامت إليه فقالت : يا عبد الله مَنْ الرجل الذى كان معك ؟ قال : وماتَدْرِين ؟ قالت : لا . قال : هو نَبِىُّ الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فأَدْخِلْنِى عليه . قال : فأدخلها فأطعمها وأعطاها . وفى رواية فأَهْدَتْ إليه شيئاً من أَقِط[2] ومتاع الأعراب ، فكساها وأعطاها » ، قال ــ ولا أعلمه إلا قال : « أسلمت » .

قال البيهقى فى الدلائل : « وهذه القصة وإن كانت تنقص عما رَوَيْنَا فى قصة أم معبد وتزيد فى بعضها ، فهى قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة ، وقد ذكر ابن إسحق فى قصة

---

(١) هكذا فى الأصول .

(٢) الأقط كما قال الأزهرى فى المصباح يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها نقله الصغانى عن الفراء ، ومصل اللبن يمصله مصلا من باب نصر وضعه فى وعاء خوص ، أو نحوه حتى يقطر ماؤه .

أم معبد شيئا يدل على أنها وهذه القصة واحدة . ثم روى البيهقى من طريق يونس بن بكير[1] عن ابن اسحق قال : « فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد وهى التى تَمَرَّدَ بها الجِنّ بأعلا مكة . واسم أم معبد عاتكة بنت [خالد][2] . بن خليف بن مُنْقِذ بن ربيعة بن أَصْرَم [الخُزَاعية][2] ، فأراد القِرَى فقالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غَنَمها فمسح ضرعها بيده فدعا الله تعالى فَحَلب فى العُسّ[3] حتى رَغَّى[4] ، وقال : « اشربى يا أم معبد » . قالت : اشرب أنت به أحق . فَرَدَّهُ عليها فشَرِبت . ثم دعابحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك ، فسقى دَلِيلَه ثم دعا بحائل ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فُهَيْرَة ، ثم استراح[5]

وطلبت قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا : « أرَأَيْتِ محمداً من حِلْيَتِهِ كذا وكذا ؟ » فوصفوه لها ، فقالت : « ما أدرى ما تقولون فقد ضَافَنِي حالِبُ الحائل ؟ » قالت قريش : « فذلك الذى أردنا » . قاله البيهقى : فيُحْتَمَل أولاً أنه رأى التى فى كِسْر الخيمة ، كما رَوَيْنَا فى حديث أم معبد ، ثم رجع ابنها بأَعْنُز كما روينا ثم لما أتى زوجُها وصفته له ، والله أعلم .

قِصّة سُراقة رضى الله عنه

روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والشيخان عن سُرَاقة بن مالك رضى الله عنه ، والإمام أحمد والشيخان ويعقوب عن أَبى بكر رضى الله عنه قال سُرَاقة بن جُعْشُم : جاءنا

---

(١) هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر الشيبانى الكوفى ، العالم المؤرخ صاحب المغازى حدث عن الأعمش وهشام بن عروة وعمرو بن ذر . وابن إسحق وكهمس بن الحسن وخلق ، وروى عنه ابنه عبد الله وأبو كريب ويحيى ابن معين وأبو سعيد الأشج وآخرون . وثقه يحيى بن معين وقال أبو داود ليس بحجة وتوفى يونس بن بكير سنة ١٩٩ ﻫ . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٩٩ . وفى خلاصة الخزرجى ص ٣٧٩ : أن النسائى ضعفه وأن أبا داود قال بأنه يأخذ كلام ابن إسحق فيوصله بالأحاديث .

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٤٧٩) وذكر ابن الأثير فى نسبها أنها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة وقيل عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم .

(٣) العس : القدح الكبير وجمعه عساس وأعساس قاله فى النهاية (ج ٣ ص ٩٥) .

(٤) فى المصباح : رغى اللبن بالتشديد ترغية علت رغوته .

(٥) فى الأصول : ثم يروح ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

رُسُل كُفَّار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دِيَةَ كُلٍّ واحد مِنْهُما مائة ناقة من الإبل لمن قَتَله أو أَسَره ، فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلِج[1] أقبل رجل منهم حتى قام علينا [ونحن جلوس][2] فقال : يا سُرَاقة إنى قد رأيت آنفاً أَسْوِدَةً[3] بالساحل- وفى لفظ: رَكَبَةً[4] ثلاثة - أُرَاها محمداً وأصحابه. قال سراقة : فعَرَفْتُ أنهم هم ، فأومأت إليه بعينى أن اسْكُتْ ، فسَكَتَ ، ثم قلت له : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأَيْتَ فلاناً / وفلاناً انطلقوا يبتغون ضَالَّةً لهم . ثم لَبِثْتُ فى المجلس ثم قُمْتُ فدَخَلْتُ بَيْتِى فأَمَرْتُ جاريتى أن تَخْرُجَ بفرسى وهى من وراء أَكَمَة فتَحْبسها عَلَيَّ ، وأخذتُ رُمْحِي فخرجتُ به من ظَهْر البيت فَحَطَطْتُ[5] بزُجِّهِ[6] الأَرْض وخَفَضْتُ عالِيَه حتى أَتيتُ فرسى فَرَكِبْتُها ، فرفَعْتُها تُقَرِّبُ بى حتى رأَيتُ أَسْوِدَتَهما ، فلما دَنَوْتُ منهم عَثَرَتْ بى فَرَسِى فَخَرَرْتُ عنها فقُمْتُ فأَهْوَيْتُ بيدى إلى كِنَانَتِى فاستخرجتُ منها الأَزْلام فاستقسمتُ[7] بها أَضُرُّهُمْ ، أم لاأَضُرُّهُمْ ، فخرج الذى أكره : أنى لا أَضُرُّهُمْ، وكنت أرجو أن أَرُدَّه فآخذ المائة ناقة ، فرَكِبْتُ فَرَسِى وعَصَيْتُ الأَزْلام فرفعتُها تُقَرِّب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفت وأبو بكر يُكْثِر الالتفات ساخت يدا فَرَسِى فى الأَرض حتى بَلَغت الرُّكْبَتَيْن فَخَرَرْتُ عنها ، ثم زَجَرْتُها

٤١٣ ظ

---

(١) نسب سراقة كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٦٤) هو : سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك ابن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى المدلجى .يكنى أبا سفيان . هذا وقد توفى سراقة فى سنة ٢٤ ﻫ .

(٢) زيادة من صحيح البخارى .

(٣) أسودة هى أشخاص جمع سواد كأزمنة جمع زمان .

(٤) فى الصحاح الركب أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها والجمع أركب والركبة بالتحريك أقل من الركب .

(٥) كذا رواية الكشميهنى ، ورواية غيره فخططت بالخاء المعجمة .

(٦) الزج الحديدة التى فى أسفل الرمح والجمع زججة وزجاج قاله الجوهرى فى الصحاح .

(٧) فى النهاية (ج ٣ ص ٢٥٤) الاستقسام طلب القسم الذى قسم له وقدر مما لم يقسم ولم يقدر وهو استفعال منه وكانوا (فى الجاهلية) إذا أراد أحدهم سفرا أو تزويجا أو نحو ذلك من المهام ضرب بالأزلام وهى القداح (جمع قدح) وكان على بعضها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى وعلى الآخر غفل فإن خرج ، أمرنى ربى مضي لشأنه، وإن خرج نهانى أمسك وإن خرج الغفل عاد فأجالها إلى أن يخرج الأمر أو النهى .

فنهَضَتْ فلم تكَدْ تُخْرِج يَدَيْهَا فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَان[1] ساطعٌ فى السماء مثل الدُّخَان فاستَقْسَمْتُ بالأزلام فخرج الذى أكره ـ ألا أَضُرَّهُمْ ـ قال : فعرَفْتُ حين رأَيتُ ذلك أنه قد مُنِع منى وأنه ظاهر ، فناديتهم بالأمان وقلت : أَنْظِرونى فواللهلاآذيتكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « قُلْ له وما تبتغى منا ؟ » فقلت : إن قَوْمَك قد جعلوا فيكما الدِّيَة وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعَرَضْتُ عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزآنى شيئا ولم يسألانى إلا أن قال : « أَخْفِ عَنَّا »[2] فسألتُه أن يكتب لى كتاب موادعة[3] آمَنُ به ، قال : « اكتب له يا أبابكر » ـ وفى رواية : فأمر عامر بن فُهَيْرَة فكتب فى رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[ثم رجعت][4] فسَكَتُّ فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفَرَغ من حُنَيْن والطائف خرجتُ لألقاه ومعى الكتاب الذى كتب لى [فلَقِيتُه بالجِعْرانة[4]] . قال : « فبينا أنا عامِدٌ له دخلت بين ظَهْرَىْ كتيبة من كتائب الأنصار ، فطَفِقُوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِه[5] كأنها جُمَّارة[6] . قال : فرفعتُ يدى بالكتاب . ثم قلت : يا رسول الله هذا كتابُك لى وأنا سُراقة بن مالك قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَوْمُ وفاءٍ وبِرٌّ أُدْنُهُ » ، فدنوت منه فأسلمت ، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يا رسول الله الضَّالَة من الإبل تَغْشَى حياضى وقد مَلَأْتُها لإبلى

---

(١) فى الأصول : غبار والتصويب من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٨) . وفى حديث الهجرة وسراقة فى النهاية (جـ ٣ ص ٦٩) : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أى دخان وجمعه عواثن على غير قياس . وفى حديث مسيلمة لما أراد الإعراس بسجاح قال عثنوا لها أى بخروا لها البخور .

(٢) فى الأصول خفف عنا وأثبتنا رواية البخارى .

(٣) رواية ابن إسحق كما أوردها ابن هشام : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .

(٤) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ . والجعرانة بتخفيف الراء أو بتشديدها كما فى معجم البكرى (جـ ٢ ص ٣٨٤) هى ماء بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أدنى .

(٥) فى النهاية (جـ٣ ص١٥٨) كان إذا وضع رجله فى الغرز يريد السفر يقول : بسم الله . الغرز ركاب كور الجمل : إذا كان من جلد أو خشب ، وقيل هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج .

(٦) الجمارة قلب النخلة وشحمتها شبه ساقه ببياضها . قاله فى النهاية (جـ ١ ص ١٧٥) .

هل لى من أجر [فى أن أسقيها[١]] ؟ قال : « نعم فى كل ذات كَبِدٍ حَرَّى أجر[٢] » قال : ثم رجعت إلى قومى فسُقْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : « وتَبِعَنا سُرَاقة بن مالك ونحن فى جَلَدٍ من الأرض فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لَحِقَنا . قال : « لا تحزن إن الله معنا » . فلما دَنَا مِنَّا وكان بيننا وبينه قَدْر رُمْحٍ أو رُمْحَيْن أو ثلاثة قلت : هذا الطلب قد لَحِقَنا وبكيت . [قال صلى الله عليه وسلم : « ما يبكيك ؟[٣]] قلت : « أمَا والله ما على نفسى أبكى ولكنى أبكى عليك » . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » . قال : فساخَتْ به فَرَسُه فى الأرض إلى بطنها فوثب عنها ، ثم قال : يا محمد قد عَلِمْتُ أن هذا عَمَلُك فَادْعُ الله أن يُنْجِيَنى مما أنا فيه ، فَوَاللهِ لَأُعَمِّيَنَّ على مَنْ ورائى من الطلب وهذه كنانتى فَخُذْ منها سهماً فإنك سَتَمُرُّ على إبلى وغنمى بمكان كذا وكذا فَخذْ منها حاجَتَك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا فى إبِلِك وغنمك » ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلق راجعاً إلى أصحابه لا يَلْقَى أحداً إلا قال : قد كُفِيتُم ما ههنا ، ولا يَلْقَى أحداً / إلا رَدَّه ، وَوَفَى لنا . ٤١٤ و

وعند ابن سعد أن سُرَاقة لما رجع قال لقريش : قد عرفتم بصرى بالطريق وقد استبرأت لكم فلم أَرَ شيئا[٤] ، فرجعوا . وقال ابن سعد والبلاذرى : عارضهم سراقة بِقُدَيْد يوم الثلاثاء .

وروى ابن عساكر عن ابن إسحق قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ فيما يذكرون والله أعلم فى دخوله الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مسيرهم وفى طلب سُرَاقة إياهم[٥] :

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٠٤) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم (جـ ٨ ص ١٦) بلفظ : فى كل ذات كبد رطبة أجر .

(٣) زيادة من الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى (جـ ١ ص ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ) . وشرح المواهب (جـ ١ ص ٣٤٧) .

(٤) لفظ ابن سعد فى الطبقات (جـ ١ ص ٢١٩) . « ورجع (سراقة) فوجد الناس يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ما ههنا وقد عرفتم بصرى بالأثر » . وفى شرح المواهب ما يقرب من نقل المؤلف .

(٥) أورد السهيلى هذه القصيدة (جـ ٢ ص ٦ ، ٧) وقدم لها بقوله : وفى السير من رواية يونس شعر لأبى بكر رضى الله عنه فى قصة الغار .

قال النبىُّ ولم يجزعْ يُوَقِّرُنى ونحن فى شِدَّةٍ من ظُلْمَةِ الغَار
لا تَخْشَ شيئًا فإن اللهَ ثَالِثُنَا وقد تَوَكَّل لى مِنْهُ بإظهارِ
وإنما كَيْدُ مَنْ تُخْشَى بَوَادِرُهُ كَيْدُ الشَّيَاطِين كَادَتْهُ لكُفَّارِ
واللهُ مُهْلِكُهُم طُرًّا بما كَسَبُوا وجَاعِلُ المُنْتَهِى منها إلى النَّارِ
وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عنهم وَتَارِكُهُمْ إمَّا غُدُوًّا وإمَّا مُدْلِجٌ سَارِى
وَهَاجِرٌ رَضْمَهُم[1] حتى يَكُونَ لنا قَوْمٌ عليهم ذوو عِزٍّ وأَنْصَارِ
حَتَّى إذا اللَّيْلُ وَارَتْنَا جَوَانِبُهُ وَسُدَّ مِنْ دُون مَنْ تَخْشَى بِأَسْتَارِ
سَارَ الأُرَيْقِطُ يَهْدِينَا وأَيْنُقُه[2] يَنْعَبْنَ[3] بالقَوْمِ نَعْباً تحت أَكوارِ[4]
يَعْسِفْنَ[5] عُرْضَ[6] الثَّنَايا[7] بَعْدَ أَطْوَلِها وكُلَّ سَهْبٍ[8] رِقَاقِ التُّرْبِ مَوَّارِ[9]
حَتَّى إذا قُلْتَ قد أَنْجَدْنَ[10] عَارَضَها[11] من مُدْلِجٍ فارسٍ فى مَنْصِبٍ وارِى
[يُرْدِى بِهِ مُشْرِفَ الأَقْطَارِ مُعْتَزِمٌ كَالسِّيدِ[12] ذى اللِّبْدَةِ المُسْتَأْسِدِ الضَّارِى][13]
فَقَالَ كُرُّوا فَقُلْنَا إنَّ كَرَّتَنَا مِنْ دُونِها لَكَ نَصْرُ الخَالِقِ البَارِى
أن يَخْسِفَ الأَرْضَ بالأَحْوَى[14] وفَارِسَهُ فانظر إلى أَرْبَعٍ فى الأَرض غَوَّار

---

(١) الرضم : الحجارة البيض ، والصخور المتراكة .

(٢) فى النهاية (ج ٤ ص ١٨٢) فى حديث أبى هريرة : فوجد أينقه : الأينق جمع قلة لناقة وأصله أنوق فقلب وأبدل واوه ياء وقيل هو على حذف العين وزيادة الياء عوضا عنها ، فوزنه على الأول أعفل لأنه قدم العين وعلى الثاف أيفل لأنه حذف العين .

(٣) من نعب البعير ينعب نعبا ونعبانا من باب منع ، إذا أسرع فى سيره .

(٤) أكوار جمع كور والكور الجماعة الكثيرة من الإبل .

(٥) من عسف الطريق أى سار فيه على غير هدى .

(٦) عرض الجبل أى سفحه .

(٧) الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق فى الجبل .

(٨) السهب بفتح السين المهملة وضمها والسهب من الأرض ما بعد منها واستوى فى سهولة وهى أجواف الأرض يقال قطعوا سهبا من الأرض .

(٩) موار صيغة مبالغة من مار يمور مورا تحرك وتدافع ومار التراب ثار ومنه الريح الموارة المثيرة للتراب .

(١٠) أنجد ارتفع أو أتى نجدا والنجد ما ارتفع من الأرض وصلب .

(١١) العارض ما اعترض فى الأفق فسده .

(١٢) السيد الذئب

(١٣) هذا البيت زيادة من السهيلى .

(١٤) الأحوى من حوى النبات يحوى حوى وحوة خالط سواده خضرة أو خالط حمرته سواد فهو أحوى .

فَهِيلَ[1] لما رأى أرْسَاغ مُهرَتِهِ ... قد سِخْنَ[2] فى الأَرْضِ لم تُحْفَر بمِحْفَارِ
فقال هل لَكُمُ أن تُطْلِقُوا فَرَسِى ... وتأخذوا مَوْثِقاً فى نُصْحِ أَسْرَارِ
وأَصْرِفَ الحَىَّ عَنْكُمْ إنْ لَقِيتُهُمُ ... وأن أُعَوِّرَ[3] منهم عَيْنَ عُوَّارِ
فَادْعُ الذى هو عنكم كَفَّ عَوْرَتَنَا ... يُطْلِقْ جَوَادِى وأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ
فَقَالَ قَوْلاً رسولُ الله مُبْتَهِـلاً ... يَارَبِّ إن كان منه غَيْرُ إخْفَارِ[4]
فَنَجِّهِ سَالِماً من شرِّ دعْوَتِنَـا ... ومُهْرَهُ مُطْلَقاً من كَلْمِ[5] آثارِ
فَأَظْهَــرَ اللهُ إذ يدعو حَوَافِرَهُ ... وَفَازَ فَارِسُهُ من هَوْلِ أَخْطَـارِ

وَرَوَى البخارى عن عُرْوَة والحاكم عنه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقِىَ الزبير فى رَكْبٍ من المسلمين كانوا تُجَّاراً قافلين من الشام فَكَسَا الزبير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثياباً بِيضاً[6] . وروى البيهقى عن موسى بن عُقْبَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا من المدينة هو وأبو بكر وقدم طلحة بن عُبَيْد الله من الشام خرج عامداً إلى مكة لما ذُكِر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، خرج إما مُتَلَقِّياً لهما وإما عامداً عُمْرَةً بمكة ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام ، فلما لَقِيَه أعطاه الثياب ، فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأبو بكر[7] .

414ظ وروى / أبو نُعَيْم عن أنس بن مالك عن ....[8] الأَوْسى الأَسلمى عن أبيه قال :

---

(1) هيل أى أخيف من هاله الأمر أفزعه .

(2) من ساخ أى غاص فى الأرض ، ساخت أرساغ مهرته تسوخ وتسيخ .

(3) عوره أى صيره أعور وعور فلانا عن الأمر رده وصرفه عنه والعوار القذى فى العين والعوار الضعيف الجبان السريع الفرار ، أو من لا بصر له بالطريق .

(4) الإخفار : الغدر ونقض العهد .

(5) الكلم : الجرح كلمه يكلمه كلما من باب ضرب جرحه .

(6) الحديث أخرجه البخارى (جـ ٥ ص ١٥٩) عن عروة بن الزبير مرسلا وفيه ثياب بياض وأورده ابن الأثير فى النهاية فى حديث آخر ثيابا بيضا .

(7) رواية الحاكم عن عروة عن أبيه تذكر أيضا أن طلحة بن عبيد الله لقيهما وكساهما . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن كلا من طلحة والزبير أهدى لهما ، والذى فى السير هو طلحة ، والأولى الجمع وعند أبى شيبة ما يؤيده وإلا فما فى الصحيح أصح . هذا ما ذكره كل من السمهودى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٧٤) والديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٣٥) .

(8) نرجح وجود اسم فى هذا الإسناد أغفله النساخ وربما كان أبا تميم الأسلمى ، قيل هو جد بريدة بن سفيان ابن فروة وكان غلامه مسعود الذى ورد ذكره فى آخر هذا الحديث . انظر أسد الغابة (جـ ٤ ص ١٧٨) .

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مَرُّوا بإِبِل لنا بالجُحْفَة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِمَنْ هذه الإبل ؟ » فقالوا : لِرَجُلٍ من أَسْلَم[1] فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : « سلمنا إن شاء الله » . فأتاه أبي وحمله على فَحْل من إبلِه وبعث معه غُلَامَه مسعود » . وروى أبو يَعْلَى والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نُعيْم عن قيس بن النُّعْمَان قال : « لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفِين مَرُّوا بعبْد يَرْعَى غَنَماً فاستسقياه اللبن فقال : ما عندى شاةٌ تُحْلَب ، غير أن ههنا عَنَاقًا[2] حَمَلَتْ أَوَّل الشتاء وقد أَخْدَجَتْ[3] وما بقى لها من لَبَن فقال : « ادْعُ بها » ، فَدَعَا بها ، فاعتقلها النبى صلى الله عليه وسلم ومَسَح ضَرْعَها حتى أَنْزَلَتْ . ودعا أبو بكر بِمِجَنٍّ[4] ، فَحَلَبَ وسقى أبا بكر ، ثم حَلَبَ فسقى الراعى ، ثم حَلَبَ فشرب ، فقال الراعى : من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مِثْلَكَ قط . قال : « أَوَتَرَاكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ حتى أُخْبِرَك ؟ قال : نعم . قال : « فإنى محمد رسول الله » . قال : أَنْتَ الذى تَزْعُمُ قريش أنك صابئ ؟ قال : « إنهم ليقولون ذلك » . قال : فأشهد أنك نَبِيٌّ الله وأشهد أن ما جِئْتَ به حَقّ ، وأنه لا يفعل ما فَعَلْتَ إلا نَبِيّ » .

وروى البيهقى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر مدخله المدينة : « أَلْهِ عَنِّى الناس فإنه لا ينبغى لِنَبِىٍّ أن يَكْذِب » . فكان أبو بكر إذا سُئِل : من أنت ؟ قال : باغٍ ، وإذا قيل : من الذى معك ؟ قال : هادٍ يَهْدِينِى » . وروى البخارى عن أَنَس رضى الله عنه قال : « أقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مُرْدِفٌ

---

(١) هذا الحديث مماثل لما أخرجه البيهقى عن بريدة بن الحصيب وزاد فيه : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم . . الحديث أورده الزرقانى فى شرحه على المواهب ج ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠ .

(٢) فى المصباح : العناق الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .

(٣) فى الأصول : أخرجت وصوابها أخدجت كما أوردها ابن كثير فى البداية والنهاية (ح ٣ ص ١٩٤) . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٦٣) : خدجت الناقة وأخدجت إذا ألقت ولدها ناقص الخلق ومنه الحديث : كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهى خداج . وفرق الأصمعى بين خدجت وأخدجت ، فقال : خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام أيامه وإن كان تام الخلق ، وأخدجت إذا ألقته ناقصا وإن كان تام الأيام فالولد من ذلك خديج و الناقة خادج والولد من هذا مخدج والناقة مخدج .

(٤) المجن هو الذى يوارى المقاتل ويستره ولا أظن أنه يصلح وعاء للبن ولعله المحلب أى الإناء الذى يحلب فيه .

أبا بكر ، وأبو بكر شَيْخ ، والنبي صلى الله عليه وسلم شابٌ لا يُعْرَف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : : مَنْ هذا بين يَدَيْك ؟ فيقول : هذا الذى يهدينى السبيل فَيَحْسَب[1] الحاسِب إنما يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخَيْر » وروى الزبير بن بَكَّار فى المُوَفَّقِيَّات ، وأبو نُعيْم عن طريق شَهْر بن حَوْشَب[2] عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال : « لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتى ثم رجعت حتى إذا كنت ببعض الأَرض نمت ففزعت من الليل فإذا بصائح يقول :

أبا عَمْرو تَـأَوبَنِى[3] السُّهُودُ ۞ وراح النومُ وانقطع الهُجُودُ

ثم صاح آخر : « يا خَرْعَب ، ذَهَبَ بِكَ اللَّعِب ، إن أَعْجَبَ العَجَب بين مَكَّةَ ويَثْرِب». قال : وما ذاك يا شاهب ؟ قال : « نَبِىٌّ السلام ، بُعِث بخير الكلام ، إلى جميع الأَنام ، فأُخْرِجَ من البَلَدْ الحَرَام ، إلى نخيلٍ وآطام » ثم طلع الفَجْر فذهبت أتفكر فإذا عظاية[4] وثعبان ميتان ، فما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إلا بهذا الحديث » .

٤١٥ و ولمـا/ شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبوعبد الله بُرَيْدَة بن الحُصَيْب[5] الأَسلمى فى سبعين من قومه من بنى سَهْم ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « من أَنتَ ؟ » قال : بُرَيْدَة : فقال لأَبى بكر : « برد أَمْرُنَا وصَلُح » . ثم قال : « مِمَّنْ ؟ » قال : من أَسلم . فقال لأَبى بكر : « سَلِمْنَا » . ثم قال : « مِنْ بَنِى مَنْ ؟ » قال : من بنى سهم. قال : خَرَج سَهْمُك [يا أَبا بكر » . فقال بُرَيْدَة للنبي صلى الله صليه وسلم : من أَنت ؟ قال : « أَنا

---

(١) فى المصباح حسبت المال حسبا من باب قتل أحصيته عدداً والمصدر أيضا حسبة بالكسر وحسبانا بالضم وحسبت زيدا قائما أحسبه من باب تعب حسبا بالكسر بمعنى ظننت .

(٢) هو شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن أبو سعيد الشامى أرسل عن تميم الدارى وسلمان وروى عن مولاته وابن عباس وعائشة وأم سلمة وجابر وطائفة وروى عنه قتادة وثابت والحكم . وثقه ابن معين ولكن ضعفه النسائى . وقال الذهبي إن روايته عن بلال وتميم الدارى ظاهرة الانقطاع . وقال ابن سعد توفى سنة ١١٢ هـ . انظر ميزان الاعتدال للذهبي (جـ ٢ ص ٢٨٣ : ٢٨٥ رقم ٣٧٥٦) وخلاصة الخزرجى ص ١٤٣ .

(٣) تأوبنى أى عادنى .

(٤) العظاءة سام أبرص والعظاية لغة تميم وجمع الأولى عظاء والثانية عظايات نقلا عن المصباح .

(٥) فى الأصول : أبو بردة الأسلمى والتصويب من أسد الغابة (جـ ١ ص ١٧٥) والإصابة (جـ ١ ص ١٥١) يكنى أبا عبد الله ونسبه كما ساقه ابن الأثير . بريدة بن الحصيب – على صورة التصغير بحاء مهملة – ابن عبد الله بن الحارث ابن سعد .. الأسلمى وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة وذكر قصة إسلامه هو وقومه الديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٣٥) والزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠) .

محمد بن عبد الله رسول الله » . فقال بُرَيْدَة : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فأسلم بُرَيْدَة وأسلم من كان معه جميعاً . قال بُرَيْدَة : الحمد لله الذى أسلم بنو سَهْم طائعين غير مُكْرَهِين[1]] ، فلما أصبح قال بُرَيْدَة للنبي صلى الله عليه وسلم وسلم : « يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء » . فَحَلَّ عمامتَه ثم شَدَّها فى رُمْح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين العقبة الأولى والثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران وبعض شهر على التحرير .

الثانى : قول عائشة رضى الله عنها : « ما كنت أرى أحداً يبكى من الفرح حتى رأيتُ أبا بكر يتبكى من الفرح » . قال فى الروض[2] : « قالت ذلك لصِغَر سِنِّها وأنها لم تكن عَلِمَتْ بذلك » وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحساناً له فقال الطائى يصف السحاب :

دُهْمٌ إذا وَكَفَتْ[3] فى روضةٍ طَفِقَتْ ... عيـونُ أزْهَـارِهَـا تَبْكِى من الفَرَحِ

وذكر لأبى الطيب وزاد على هذ المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لَهَـا صَرْعَـةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُـلُ

[وقال بعض المُحْدَثين :

وَرَدَ الكتابُ مِنَ الحبيبِ بأنه ... سَيَزُورُنِى فاسْتَعْبَرَتْ أجْفَانِى

غَلَبَ السُّرورُ عَلَىَّ حَتَّى أنَّـهُ ... مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّنِى أبْكَانِى

يا عَيْن صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكِ عادةً ... تَبْكِينَ فى فَرَحٍ وَفِى أحْزَانِ][4]

---

(١) ساقطة من الأصول والتكملة من المصادر المذكورة فى الحاشية السابقة .

(٢) فى النسخة المطبوعة من الروض الأنف جـ ٢ ص ٣

(٣) وكف الماء وغيره يكف وكفا ووكيفا ووكفانا سال وقطر قليلا قليلا .

(٤) إضافة من السهيلى جـ ٢ ص ٣.

قال فى الزهر : « وفيه من عدم التَّثَبُّت ما ترى ، أيجوز أن يُحْتَجَّ على عائشة بِقَوْل مُحْدَثٍ ؟ إنما كان يُحْتَجُّ عليها لو كانت العَرَب قالته ، أما إذا لم تَقُلْهُ العَرَب فلا حُجَّة عليها[1] والله أعلم . قلتُ : السهيلى لم يَحْتَجّ بذلك على عائشة رضى الله عنها ، وإنما ذكره استطراداً للفائدة .

الثالث : نُقِل فى الروض عن بعض شيوخ أهل المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ، فقال : أَحَبَّ ألاَّ تكون هجرتُه إلا من مال نفسه[2] .

الرابع : كانت هجرته صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عَشْرة من النبوة وذلك يوم الاثنين . روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : « وُلِد نَبِيُّكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين » . قال الحاكم : « تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين ، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال : إنه خرج من مكة يوم الخميس » . قال الحافظ : « يُجْمَع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاثَ ليالٍ : هى ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج فى أثناء ليلة الاثنين » .

الخامس : ذكر بعض أهل السِّيَر أن أبا بكر لما رأى المشركين وهو فى الغار ، ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لو جاءونا من ههنا خرجنا من ههنا » . فنظر أبو بكر إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسَفِينَةٌ مشدودة إلى جانبه » . قال الحافظ ابن كثير[3] : وهذا ليس بمُنْكَر من حيث القُدْرَة العظيمة ولكن

---

(١) يشير المؤلف إلى قول الطائى يصف السحاب .

(٢) لفظ السهيلى (جـ ٢ ص ٣) : سئل بعض أهل العلم لم لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا ؟ فقيل : وقد قال عليه السلام : ليس من أحد (وفى رواية) ما أحد أمن علينا فى أهل ومال من ابن أبى قحافة (أى ما أحد أجود بماله وذات يده) . وقد دفع إليه حين بنى بعائشة اثنتى عشرة أوقية ونشاً . فلم يأب ذلك ، فقال المسئول : إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما . وهو قول حسن حدثنى به بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

(٣) فى البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٨٣ .

لم يردْ ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئًا من تِلْقَاء أنفسنا ولكن ما صَحَّ أو حَسُنَ [سَنَدُه[1]] قلنا به [والله أعلم[1]] .

السادس : السِّرُّ فى اتخاذ رافضة العجم اللُّبَد المُقَصَّصَة على رءوسهم التعظيم للحَيَّات لِلَدْغِهِنَّ أبا بكر ليلة الغار .

السابع : روى الإمام أحمد / والحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد لَبِثْتُ مع صاحبى – يعنى أبا بكر – ليلة الغار بضعة عَشَر يوماً مالنا طعام إلا البَرِير[2] » . قال الحاكم « معناه مكثنا مُخْتَفِين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عَشَر يوماً » . ٤١٥ ظ

قال الحافظ : « لم يقع فى رواية أحمد ذِكْرُ الغار ، وهى زيادة فى الخَبَر من بعض رواته ، ولا يَصِحّ حملُه على حالة الهجرة لِمَا فى الصحيح من أن عامر بن فُهَيْرَة كان يَرُوح عليهما فى الغار باللبن ، ولِمَا وقع لهما فى الطريق من لقاء الراعى ومن النزول بخيمة أم معبد وغير ذلك ، ويظهر أنها قصة أخرى » .

الثامن : قال السهيلى[3] : « انْتَبِهْ أيها العبد المأمور بِتَدَبُّر كتاب الله تعالى لقوله : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا[4]) الآية ، كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ ؟ أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد ، والهداية والإرشاد . وأما اللفظ فإن اسم الله تبارك وتعالى كان يُذْكَر إذا ذُكِر رَسُولُه وإذا دُعِىَ فقيل يا رسولَ الله أو فَعَل رسولُ الله . ثم كان لصاحبه كذلك ، يُقَال : يا خليفة رسول الله ، وفَعَل خليفةُ رسول الله ، فكان يُذْكَر معهما بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون » .

التاسع : قال المُهَلَّب بن أَبى صُفْرَة رحمه الله : « إنما شرِب النبى صلى الله عليه وسلم من لبن الغَنَم لأنه حينئذٍ كان فى زمن المُكَارَمة ولايعارضه : « لايَحْلُبَنَّ أَحَدٌ شاةً إلا بإِذْنه[5]

(١) زيادة من البداية والنهاية .

(٢) فى القاموس البرير كأمير هو ثمر الأراك وفى النهاية (جـ ١ ص ٧٣) هو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ ، وقيل هو اسم له فى كل حال .

(٣) الروض الأنف جـ ٢ ص ٥ .

(٤) من الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٥) أى : إلا بإذن صاحبها . وفى كنوز الحقائق للمناوى (ص ١٩٣) أن الشيخين أخرجاه بلفظ : « لا يحلبن أحد ماشية أحد » .

لأن ذلك وقع فى زمن التَّشَاحّ ، أو الثانى محمول على التَّسَوُّر ، والأول لم يقع فيه ذلك ، بل قَدَّم أبو بكر سؤال الرَّاعى : هل أنت حالب ؟ فقال : نعم ، كأنه سأله : هل أَذِن صاحب الغَنَم فى حَلْبها لمن يَرِد عليه ؟ فقال : نعم ، أو جَرَى على العادة المألوفة للعرب فى إباحة ذلك والإذْن فى الحلْب للمارّ وابن السبيل ، فكان كُلُّ راع مأذوناً له فى ذلك » .

وقال الداودى : « إنما شرب من ذلك على أنه ابن سبيل ، وله شُرْبُ ذلك إذا احتاج ولا سيما النبى صلى الله عليه وسلم ، وأَبْعَدَ مَنْ قال إنما استجازه لأنه مال حربى لأن القتال لم يكن فُرِض بعد ولا أُبيحت الغنائم » . وقال الحافظ : « قولُ أبى بكر : أفى غَنَمِك لبن ؟ الظاهر أن مرادَه بهذا الاستفهام : أمَعَكَ إذْنٌ فى الحَلْبِ لمن يَمُرُّ بك على سبيل الضِّيَافة ؟ ويحتمل أن أبا بكر لما عرف مالكَ الغَنَم عرف رضاءه بذلك لصداقته له أو إذْنِهِ العامّ بذلك » .

العاشر : ذكر أبو نُعَيْمْ هنا قصة إسلام ابن مسعود ، لِمَا وقع فى بعض طرقه ، قال : « كنتُ غلاماً يافِعاً أرعى غَنَماً لعُقْبة بن أبى مُعَيْط بمكة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فَرّا من المشركين ، فقالا : يا غلام هل معك من لبن ؟ » فذكر الحديث[1] ، ويأتى بتمامه فى المعجزات . قال فى البداية والفتح : « قوله فى هذا السياق : « وقد فَرّا من المشركين » ، ليس المراد به وقت الهجرة ، وإنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة ، لأن ابن مسعود كان ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ذلك ، وقصته ثابتة فى الصحاح[2] .

الحادى عشر : ذكر فى « العيون » قصة سُرَاقة قبل قصة أم معبد والتزم فى أولها أنه

---

(١) تمام الحديث فى قصة إسلام عبد الله بن مسعود كما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢٥٦) : فقلت نعم ولكنى مؤتمن فقال : ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بعناق ، وجذعة فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت فأتاه أبو بكر بمصحاة (أى إناء كما فى الصحاح وفى الأصل : صحوة ولا يستقيم بها المعنى) فاحتلب فيها ثم قال لأبى بكر اشرب ، فشرب أبو بكر ، ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للضرع : أقلص فقلص فعاد كما كان ، ثم أتيت فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسى وقال إنك غلام معلم – وفى رواية : غليم معلم أى ملهم للصواب والخير كما فى النهاية (جـ ٣ ص ١٢٤) – قال : فلقد أخذت منه سبعين سورة ما نازعنى فيها بشر ، وهو أول من جهر بالقرآن فى مكة .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه (جـ ٥ ص ١٠٣ : ١٠٤) أربعة أحاديث فى مناقب عبد الله بن مسعود .

يُرَتِّب الوقائع . وذكر فى «الإشارة» قصتها قبل قصة سراقة ، وتَبِعْتُه فى ذلك وهو الصحيح الذى صرّح به جماعة .

الثانى عشر : ذكر رَزِين[1] أن قريشاً أقامت أياماً لا يدرون أين أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمِعوا صوتاً على أبى قُبَيْس وهو يقول :

فإن يُسْلِمْ السَّعْدان يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ بمكة لا يَخْشَى خِلافَ المُخَالِفِ

كما سمعوا أيضاً البيتين السابقين فى إسلام سَعْد بن مُعَاذ وسَعْد بن عُبَادة :

[فَيَا سَعْدَ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أَنتَ ناصراً ويا سَعْدَ سَعْدَ الخزرجيين الغَطَارِفِ

أَجِيبَا إلى دَاعِى الهُـــدَى وتَمَنَّيَا عَلَى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِفِ][2]

قال السيد / : والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك لأن السَّعْدَيْن كانا قد أسلما قبل ذلك . ٤١٦ و

الثالث عشر : فى بيان غريب ما سبق : « قِبَل المدينة » ، بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهتها . « على رِسْلِك » بكسر أوله أى على مَهْلِك والرِّسْل السير الرقيق . « بِأَبِى أَنْتَ » : أنت مُبْتَدَا وخَبَرُه : بأَبى أى مُفِيداً بأَبى ، ويُحْتَمَل أن يكون أنت تأكيداً للفاعل يرجو وبأَبى قَسَم . « حَبَس نَفْسَه » : مَنَعها من الهجرة . « السَّمُر » : بسين مهملة مفتوحة وضم الميم وهو الخَبَط[3] بفتح المعجمة والموحدة وبالطاء المهملة ، هذا المُدْرَج فى تفسير الزهرى . ويقال السَّمُرَة اسم شجرة أم غيلان ، وقيل ورق الطَّلْح ، والخَبَط ما يُخْبَط بالعصا فيسقط

---

(١) هو رزين بن أنس السلمى . قال ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ٢٠٦) : إن له صحبة كما ذكر ابن حبان وابن السكن .

(٢) زيادة من السهيلى (جـ ١ ص ٢٧٢) .

(٣) يخلط المؤلف هنا بين السمر والخبط وسبق لنا فى حاشية سابقة أن أوضحنا الفرق بينهما نقلا عن ابن الأثير فى النهاية . فالسمر ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة . والخبط بالتحريك اسم الورق الساقط من ضرب الشجر بالعصا وهو فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٨٠) : سمرة مشتق من السمر وهو ضرب من العضاه والعضاه كل شجر له شوك . والخبط (ص ٢٤٠) حشيش ينقع فى الماء وتعلفه الإبل . وفى التاج السمر بضم الميم شجر معروف صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس فى العضاه شىء أجود خشباً من السمر واحدتها سمرة . كما زاد الزبيدى فى مادة خبط : والخبط محركة ورق الشجر ينفض بالمخابط أى العصى ثم يجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويوخف (أى صب فيه الماء وضرب ليختلط) فتوجره الإبل ، قال أبو حنيفة (الدينورى) سمى به لأنه يخبط بالعصا حتى ينتثر . غير أن المؤلف فى شرحه التالى أوضح ما ذهبنا إليه .

من ورق الشجر « نَحْر الظهيرة » : أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار ، والغالب فى الحَرّ القيلولة . « مُتَقَنِّعاً » : أى مُتَطَيْلِساً وسيأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى فى أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم . « فِدَى » : بكسر الفاء والقَصْر وفى رواية فِدَاء بالمَدّ . « الصحابة » : بالنَّصْب أى أريد أو أسأَلك المصاحبة ويجوز الرفع على أنه خبَر مبتدا محذوف « أَمِنَّاه » : بكسر الميم . « أَحَثّ » : بحاء مهملة فمثلثة أفعل تفضيل من الحَثّ وهو الإسراع وفى رواية أَحَبّ بالموحدة والأُول أَصَحّ . « الجَهَاز » : بفتح الجيم أفصح من كسرها ، وهو ما يحتاج إليه المسافر . « ذات النِّطاق » : وفى رواية ذات النِّطاقين ـ بكسر النون ـ وهو ما يُشَدّ به الوسط ، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ، ثم تشد وسطها بحبل ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل . والمحفوظ فى هذا الحديث أن أسماء شَقَّت نِطاقها نصفين فَشَدَّت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر ، ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين ، فالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين . وعند ابن سعد أنها شَقَّت نِطاقَها فَأَوْكَتْ بقطعة منه الجِرَاب وشَدَّت فم القِرْبة بالباقى[1] فسميت ذات النطاقين . « الخَوْخَة » : بخاءين معجمتين مفتوحتين بينهما واو ساكنة : باب صغير . « ثور » : بالمثلثة . « الرَّصَد » : بفتحتين جمع راصد كخادم وخَدَم . « استبرأه » : يقال : استبرأْتُ الشيء طلبتُ آخِرَه لقطع الشبهة عنى . « أَلْقَمَه الجُحْر » : الجحر بجيم فحاء مهملة : أى أدخله فيه . « العَقِب » : بعين مهملة مفتوحة فقاف مكسورة فموحدة : مُؤَخَّر الرِّجْل . « لَدَغَهُ » : بالدال المهملة والغين المعجمة : عَضَّه . « الرَّاءة » : وهى شجرة معروفة قال أبو حنيفة الدينورى هى من أغلاث الشَّجَر ـ بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وتُعْجَم ـ وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض تُحْشَى به المخاد فيكون كالرِّيش [لخفته ولينه لأنه كالقطن][2] . قال فى النور : وغالب ظنى أن هذه الشجرة التى وصف أبو حنيفة أنها العشر[3] [كذا رأيتها][4] .

---

(١) لفظ ابن سعد (الطبقات حـ ١ ص ٢١٤) : فأوكت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة .

(٢) زيادة من الروض الأنف الذى نقل عنه المؤلف فى جـ٢ ص ٤ .

(٣) فى الأصول : العشار وأثبتنا رسم الكلمة كما أورده الزبيدى فى تاج العروس مادة رواً . والنص الذى نقله المؤلف نقله الزبيدى أيضاً .

(٤) زيادة من التاج .

بأرض بركة الحاج[1] خارج القاهرة [وهى تنفتق عن مثل قطن يشبه الريش فى الخِفَّة ورأيت من يجعله فى اللحف فى القاهرة[2]] . « فتيان » : جمع كثرة لِفَتًى وهو الشابّ الحَدَث « الهَرَاوَى » بفتح الهاء جمع هِرَاوة[3] بكسرها . « ذرأ » : بمعجمة فمهملة فهمزة أى دفع . أَثَر : مُحَرَّكَة والأَثَر بقية الشيء أو الخَبَر[4] ، وخَرَج فى أَثَرِه بعده[5] . « الأَرَب » بالفتح الحاجة . « يَنْشَب » يَلْبَث[6] . « حُوّ » بالحاء المهملة والواو : جمع[7] . « الغار » نَقْبٌ فى الجَبَل . « الطَّرْف » : بفتح الطاء [المهملة] وسكون الراء[8] . « فالصِّدْقُ[9] » : أى ذوالصِّدْق وهو النبي صلى الله عليه وسلم . « لم يَرِما » بفتح أَوَّلِه وكَسْر ثانيه أى لم يَبْرَحا . « من أَرِم » أى أَحَد . « ظَنُّوا » : حَسِبُوا . « الحَمَام » : اسم جِنْس جمعى وَاحِدُه حَمَامة يقع على الذَّكَر والأُنثى . « البَرِيَّة » : بتخفيف الراء الخَلْق . « النَّسْج » : بالجيم الحياكة . « الحَوْم » : الطَّوَاف . « الوِقاية » : بكسر الواو الحِفْظ . أَغْنَتْ : أَجْزَأَتْ . « الدروع المُضَاعَفَة » :

---

(١) بركة الحاج هى قرية فى الشمال الشرقى للقاهرة بنحو خمس ساعات وفى غربى الترعة الإسماعيلية بنحو ستة كيلومترات وفى جنوب الخانقاه كذلك وفى شرق قرية المرج بنحو ثلاثة كيلومترات ويقال لها بركة الجب كما ذكرها المقريزى فى خططه فقال : بركة الجب هى بظاهر القاهرة . وسميت بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج فى كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون إلى القاهرة . وقد أفاض على مبارك فى تاريخ هذه القرية فى الخطط التوفيقية (ج ٩ ص ١٦ : ٢٢) حيث نقل ماكتبه المقريزى عنها وكذلك صاحب كتاب درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة هذا ويرجع ازدهارها إلى أنها كانت قبل شق ترعة السويس بداية الطريق البرى للحجاج القادمين من الديار المصرية .

(٢) تكملة النص الذى أورده المؤلف ونقله الزبيدى فى التاج وقد عقب عليه قائلا : قلت ليس هو العشر كما زعم بل شجر يشبهه . . وماذكره شيخنا هو الصحيح فإن الراء غير العشر وقد رأيت كليهما باليمن ومن ثمر كل منهما تحشى المخاد والوسائد إلا أن العشر ثمره يبدو صغيراً ثم يكبر حتى يكون كالباذنجانة ثم ينفتق عن شبه قطن وثمر الراء ليس كذلك والعشر لا يوجد بأرض مصر . . فهو من خواص أرض الحجاز وما يليها ، ومن ثمر الراء تحشى رحال الإبل وغيرها فى الحجاز .

(٣) الهراوة العصا الضخمة والجمع هراوى بفتح الواو مثال المطايا ، قاله فى الصحاح .

(٤) الخبر أعم مَن الأثر فى مصطلح الحديث فالأثر الحديث مرفوعاً أو موقوفاً .

(٥) « خرج فى أثره بعده » وردت فى القاموس المحيط ولفظه : ويقال خرج فى إثره (بكسر فسكون) وأثره (محركة) بعده وقال الزبيدى فى التاج : والثانى أفصح . ووقع فى شروح الفصيح بدله عقبه . والأثر محرك هو مايؤثر الرجل بقدمه فى الأرض وكذا كل شىء مؤثر أثراً ، يقال : جئتك على أثر فلان كأنك جئته تطأ أثره .

(٦) نشب ينشب من باب تعب : ما نشب أن قال كذا أى مالبث .

(٧) فى الأصول : « حوى » وفى النهاية (ج ١ ص ٢٧٣) الحو جمع أحوى .

(٨) الطرف النظر وفى التنزيل : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »(سورة النمل آية ٤٠) والطرف بمعنى العين يطلق على الواحد وغيره وقد يثنى ويجمع .

(٩) فى بردة البوصيرى : فالصدق فى الغار والصديق لم يرما .·. وهم يقولون ما بالغار من أرم .

٤١٦ ظ المنسوجة حلْقَتَيْن حَلْقَتَيْن / تُلْبَس للحِفْظ من العَدُوّ . « الأُطُم » بضمتين الحصون[١] « المُنِيف » : العَالِي . « حِبٌّ » رسول الله صلى الله عليه وسلم أى مَحْبُوبُه . « نَواجِذُه » : بفتح النون وكسر الجيم وضَمّ الذال المعجمة جمع ناجذ وهو السِّنّ من الأَضْرَاس ويأْتى الكلام على ذلك فى باب ضَحِكِه وتَبَسُّمِه. « كَمِـنَا » : بفتح الكاف والميم ويجوز كَسْرُها[٢] أى اختفيا فيه . « ثَقِف » : بثاء مُثَلَّثَة مفتوحة فقاف مكسورة ويجوز إسكانها وضَمُّها ففاء أى فَطِن يُدْرِك حاجته بسرعة . « لَقِف » : بفتح اللام وكسر القاف ويجوز سكونها أى سريع الفهم « يَدَّلِج[٣] » بتشديد الدال المهملة بعدها جيم أى يخرج بسَحَر . « يُكَادَان » : وفى رواية يُكْتَادَان أى يُطْلَب لهما فيه المكروه وهو الكَيْد . « مِنْحَة[٤] » : بكسر الميم وسكون النون فحاء مهملة . « رِسْل » بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة : اللَّبَن[٥] . « الرَّضِيف » : براء فضاد معجمة ففاء وزن رغيف اللَّبَن المرضوف الذى رُضِفَتْ فيه الحجارة المُحْمَاة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رَخَاوتُه[٦] ، وهو بالرفع ويجوز الجَرّ . « يَنْعِق » : بكسر العين المهملة أى يصيح بغَنَمه ، والنَّعْق هو صوت الراعى إذا زَجَر الغَنَم[٧] ، وفى رواية :

---

(١) : فى القاموس المحيط : الأطم بضمة وبضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح والجمع آطام . . وفى هذا ما يدل على أنه مفرد غير أن الجوهرى فى الصحاح قال بأن الواحدة أطمة مثل أكمة .

(٢) فى القاموس المحيط كمن له من باب نصر وكمن له من باب سمع كموناً أى استخفى . وهى بمعنى الاستخفاء لم ترد فى المعجم الوسيط على أنهـا من باب سمع .

(٣) يجوز فيهـا تسكين الدال ولا وجه للتفرقة بين الإدلاج بتسكين الدال والادلاج بتشديدها على اعتبار أن الأول هو السير فى أول الليل والثانى السير فى آخره كما زعم صاحب القاموس وقد رد عليه الزبيدى فى التاج منكراً هذه التفرقة حيث ساق حججاً كثيرة منهـا حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل » فلم يفرق فيه بين أول الليل وآخره .

(٤) فى الحديث : ويرعى عليهـا منحة من لبن أى غنم فيهـا لبن ، قاله فى النهاية (جـ ٤ ص ١١٠) .

(٥) فى الأصول : اللبن الطرى ولم نعثر على الطراوة كنعت من نعوت اللبن . انظر كفاية المتحفظ لابن الأجدابى (ص٦١ و٦٢ طبع حلب سنة ١٣٤٣ هـ) وكتاب النعم والبهائم والوحش لأبى محمد عبد الله بن مسلم الذى حقق نصه الأب بويج ونشره فى المجلد الثالث من مجلة الكلية الشرقية ببيروت سنة ١٩٠٨ م ص ٢٨ : ٣٤ . وفى النهاية (جـ ٢ ص ٨٠) الرسل هو اللبن ومن معانى الرسل الرفق والتؤدة يقال افعل كذا على رسلك أى اتئد ولا تعجل . وفى الصحاح أرسل القوم أى صار لهم اللبن من مواشيهم .

(٦) لفظ ابن الأثير فى النهاية : ليذهب وخمه . والرضف الحجارة المحماة على النار واحدتهـا رضفة .

(٧) ينعق ، بفتح العين أيضاً فى القاموس المحيط نعق بغنمه كنع وضرب نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً صاح بهـا وزجرها .

يَنْعِقُ بهما بالتثنية أى يُسْمِعُهُمَا صوْتَه إذا زجَرَ غَنَمَه . « الدِّيل[1] » : بكسر الدال المهملة وسكون التحتية . « الخِرِّيت[2] » : بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية ، وهو الماهر بهداية الطريق . « العُتْبَى » : بضم العين المهملة الرِّضَا[3] . « بوائق الدَّهْر » : غوائلُه وشروره واحدُها بائقة وهى الداهية[4] . « قائمُ الظَّهِيرة » : أى نصف النهار، سُمِّىَ قائماً لان الظِلّ لا يظهر حينئذ فكأنه واقف. « رُفِعَتْ لنا صَخْرَةٌ » : أى ظهرت . « الفَرْوَة » معروفة ويقال فيها فَرْو بحذف الهاء وهو الأشهر فى اللغة ولا يتجه أن يكون المُرَادُ بها الفَرْوَة من الحشيش لقوله : كانت معى[5] . « وأنا أَنْفُضُ لَكَ ما حَوْلَكَ »[6] أَنْفُضُ بفتح الهمزة وسكون النون وضَمّ الفاء بعدها ضاد معجمة ، أى أَتَحَسَّسُهُ وأَتَعَرَّفُ ما فيه مِمَّن تَخَافُهُ قاله فى التقريب وفى النهاية أى أحرسك وأطوف هل أرى طلباً . « لِرَجُل من المدينة أو مكة » : شك فى ذلك أحمد بن يزيد ، ورواه مسلم من طريق الحسن ابن محمد بن أعين[7] عن زهير[8] فقال فيه : « لرجل من أهل المدينة » ، ولم يَشُكّ .

---

(١) فى العرب بنو الديل والدول والدئل فالدول من حنيفة والدئل من بنى بكر بن كنانة منهم أبو الأسود الدئلى . واشتقاق اسم الديل كما ذكره ابن دريد فى كتابه الاشتقاق (ص ٣٢٥) هو من دال يديل وهذا إما من قولهم اندال الشىء إذا تعلق وتحرك ومن الديلة وهو تعاور القوم الشىء .

(٢) الخريت الحاذق واشتقاقه من خرت الإبرة أى أنه من حذاقته يدخل فى خرت الإبرة أى يدخل فى ثقبها قاله ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١٠٩) .

(٣) العتبى الرضا يقال : يعاتب من ترجى عنده العتبى أى يرجى عنده الرجوع عن الذنب والإساءة ، عن المعجم الوسيط.

(٤) كما فى الحديث : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشروره عن النهاية .

(٥) فى الصحاح : الفرو هو الذى يلبس والجمع الفراء والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة ووردت بالمعنى الأول فى حديث الهجرة .

(٦) لفظ ابن الأثير فى النهاية (جـ ٤ ص ١٦٥) : أى أحرسك وأطوف هل أرى طلباً ، يقال نفضت المكان واستنفضته وتنفضته إذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدواً أو خوفاً .

(٧) هو الحسن بن محمد بن أعين مولى بنى مروان أبو على الحرانى روى عن عمه موسى وفضيل بن غزوان وروى عنه سلمة بن شبيب وأحمد بن سليمان الرهاوى وثقه ابن حبان وقال أبو عروبة توفى سنة ٢١٠ هـ . انظر خلاصة الخزرجى ص ٦٨.

(٨) هو زهير بن معاوية بن حديج أبو خيثمة الكوفى محدث الجزيرة روى عن الأسود بن قيس وأبى إسحق وحميد الطويل وطبقتهم وروى عنه الحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم وأبو جعفر النفيلى وآخرون . وقال الإمام أحمد : زهير من معادن العلم . توفى سنة ١٧٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ٢١٤ : ٢١٥ .

ووقع فى رواية ابن جُرَيْج[1] : « فَسَمَّى رجلاً من أهل مكة » ، ولم يَشُكّ » . قال الحافظ : « والمراد بالمدينة مكة ، ولم يُرِدْ المدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة ، وإنما كان يُقَال لها يَثْرِب . وأيضاً لم تَجْرِ العادة للرُّعَاة أن يُبْعِدوا فى الرعى هذه المسافة البعيدة . ووقع فى رواية إسرائيل[2] فقال : « لِرَجُلٍ من قريش سَمَّاه فعرفتُه » ، وهذا يؤيد ما قررته لأن قريشاً لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية » « أفى غنمك لَبَن ؟ » بفتح اللام والموحدة ، وحكى القاضى أن فى روايةٍ لُبَّن ، بضم اللام وتشديد الموحدة جمع « لَابِنٍ » أى ذات لَبَن .

« العَنَاق » : بفتح العين المهملة : الأُنثى من المعز : « فأَخَذْتُ قدحاً فَحَلَبْتُ » : وفى رواية : « أَمَرْتُ الراعى فحلب » ، ويُجْمَع بأنه يجوز فى قوله « فَحَلَبْتُ » : مراده أَمَرْتُ بالحَلْب .

« كُثْبَة » : بضم الكاف وسكون المثلثة وفتح الموحدة أى قَدْر قَدَح ، وقيل : حَلْبَة خفيفة .

« بَرَد أَسْفَلُه » : بفتح الراء على المشهور وقال الجوهرى بضمها[3] .

شرح قِصَّة أم معبد رضى الله عنها

« الخزاعية » : بضم الخاء المعجمة فزاى فعين مهملة . « بَرْزَة » : يقال امرأة بَرْزَة إذا كانت كهلة لا تَحْتَجِب احتجاب الشوابّ وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس

---

(١) هو الإمام الحافظ فقيه الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومى الأموى مولاهم المكى الفقيه صاحب التصانيف حدث عن أبيه ومجاهد وعطاء بن أبى رباح وميمون بن مهران ونافع والزهرى وخلق كثير ، ولد سنة نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة وروى عنه السفيانان (الثورى وابن عيينة) ومسلم بن خالد وابن علية وروح ووكيع وعبد الرزاق وغيرهم . وقال الإمام أحمد : كان من أوعية العلم توفى سنة ١٥٠ هـ انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٦٠ : ١٦٢ .

(٢) هو إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى الإمام الحافظ أبو يوسف الكوفى روى عنه ابن مهدى وأبو نعيم والفريابى وعلى بن الجعد وخلق كثير كان حافظاً حجة صالحاً خاشعاً من أوعية العلم احتج به الشيخان توفى سنة ١٦٢ هـ تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٩٩ : ٢٠٠ .

(٣) أوضح ذلك الفيومى فى المصباح بقوله : برد الشيء يبرد برودة مثل سهل سهولة إذا سكنت حرارته ، وهذا ما نقله المؤلف عن الصحاح للجوهرى . وأما برد يبرد برداً من باب قتل فيستعمل لازماً ومتعدياً يقال برد الماء وبردته وهذه العبارة تكون من كل ثلاثى يكون لازماً ومتعدياً .

٤١٧ و

وتُحَدِّثُهم / ، من البروز وهو الظهور[1] . « جَلْدَة[2] » : إما قوية وإما عَاسِيَة[3] . « الفِناء[4] » سِعَة أمام البيت ، وقيل ما امْتَدّ من جوانبه . « تَسْقِى »: تُنَاوِلهُم السَّقْىَ ليشربوا منه . « مُرْمِلُون » : بضم الميم وسكون الراء ، نَفَدَ زَادُهم وأصله من الرَّمْل كأنهم لَصِقوا بالرَّمْل كما قيل للفقير التَّرِب بفتح التاء وكَسْر الراء[5] . « مُسْنِتون » : بكسر النون والمثناة الفوقية ، أى أَجْدَبُوا أى أصابتهم سَنَة[6] وهى القَحْط يقال أَسْنَتَ فهو مُسْنِت إذا أجدب . « أَعْوَزْنَا كم » : أَحْوَجْنَا كُمْ . « كِسْر الخَيْمة » : بفتح الكاف وكَسْرِها وسكون المهملة ، أى جانبها ، ولكل بيت كِسْرَان عن يمين وشِمَال . « كِفَاءُ البيت » : قال فى القاموس : الكِفَاءُ كَكِتَاب سُتْرَةٌ من أعلى البيت إلى أسفله من مُؤَخَّرِه أو الشُّقَّة فى مُؤَخَّر الخِبَاء أو كِسَاءٌ يُلْقَى على الخِباء حتى يَبْلُغَ الأَرْضَ وقد أَكْفَأْتُ البَيْتَ[7] . « الجُـهْد » : بالفتح ويُضَمّ : الطَّاقة ، وقيل بالفتح المشقة وبالضم الطاقة والمراد هنا الهُزَال[8] . « ضَرَبَها فَحْل » : أَلْقَحَها . « شَأْنَك » : منصوب ، أى أَصْلِحْ شَأْنَك ، أو نحو هذا ، فهو مفعول بِفِعْل مُقَدَّر . « فَفَاجَّتْ »: بالمد وتشديد الجيم فتحت ما بين رِجْلَيْها للحَلَب[9] . « يُرْبِض » : بضم المثناة التحتية فراء

---

(١) فى التاج : قال أبوعبيدة امرأة برزة جليلة تبرز للقوم يجلسون إليها وهى مع ذلك عفيفة موثوق برأيها وعفافها وقيل البرزة من النساء التى ليست بالمتزايلة التى تزايلك بوجهها تستره عنك وتنكب إلى الأرض والمخرمقة التى لاتتكلم إن كلمت .

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : جلدة أى جزلة وصفها بالجزالة (ج ١ ص ١٣٠) .

(٣) فى القاموس المحيط : عسا الشيخ يعسو عسوا وعسوا وعسيا وعساء وعسى عسى ، كبر . وفى النهاية (ج ٣ ص ٩٦) : عسا بالسين المهملة أى كبر وأسن . وعلى ذلك فعاسية أو مسنة .

(٤) قبل كلمة الفناء نسى المؤلف أن يشرح كلمة « تحتبى بفناء قبتها » . وفى النهاية (ج ١ ص ١٩٩) : الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب ، ويقول الخشنى : الاحتباء أن يبسط الرجل أصابع يديه ويجعلها على ركبتيه إذا قعد ، وقد يحتبى بحمائل سيفه .

(٥) يرى الجوهرى فى الصحاح أن مرملين مأخوذ من الرمل – محركة – والرمل القليل من المطر ويقال أرمل القوم إذا نفد زادهم وعام أرمل أى قليل المطر وسنة رملاء ، عن ابن السكيت .

(٦) فى النهاية (ج ٢ ص ١٨٨) . السنة الجدب يقال أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا وهى من الأسماء الغالبة نحو الدابة فى الفرس والمال فى الإبل وقد خصوها بقلب لامها تاء فى أسنتوا إذا أجدبوا . ويقال سنة سنهاء ، أى لا نبات بها ولا مطر وهى لفظة مبنية من السنة كما يقال ليلة ليلاء ويوم أيوم .

(٧) فى شرح الزبيدى لعبارة القاموس قال : أكفأت البيت إكفاء وهو مكفأ إذا عملت له كفاء . وجمع كفاء أكفئة كحمار وأحمرة .

(٨) فى المصباح الجهد بالضم فى الحجاز وبالفتح فى غيرهم الوسع والطاقة وقيل المضموم الطاقة والمفتوح المشقة . والجهد بالفتح لا غير : النهاية والغاية وهو مصدر من جهد فى الأمر جهداً من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته فى الطلب . وجهده الأمر والمرض جهدا أيضا إذا بلغ منه المشقة .

(٩) التفاج المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين وهو من الفج الطريق ، قاله فى النهاية (ج ٣ ص ١٨٤) .

ساكنة فَمُوَحَدَّة مكسورة فضاد معجمة . قال فى النهاية[1] : أى يُرْوِيهم ويُثْقِلُهُمْ حتى يناموا ويمتدوا على الأَرض ، من رَبَض فى المكان يَرْبِضُ إذا لَصِقَ به وأَقام ملازماً له ، يقال أَرْبَضَت الشمسُ إذا اشْتَدَّ حَرُّها حتى تَرِيضَ الوَحْش فى كِنَاسِها ، أَى تجعلها تَرْبِضُ فيه ويُرْوَى[2] بمثناة تحتية بعد الراء : [يُرِيضُ الرَّهْطَ] أَى يُرْوِيهم من أَرَاضَ الحَوْضَ إذا صَبَّ فيه من الماء ما يُوَارِى أَرْضَه . والرَّوْضُ نحو من نصف قِرْبَة[3] . « الرَّهْطَ » : بسكون الهاء وفتحها [ما] دون العشَرة من الرجال ليس فيهم امرأَة أَو منها إلى الأَربعين[4] . « ثَجّاً » : أَى لبناً سائلاً كثيراً[5] . « عَلاَهُ البهاء » : أَى علا الإِناء بهاء اللبن وهو بريق[6] رَغْوَتِه ، وفى رواية : الثُّمَال بضم المثلثة الرَّغْوَة[7] . « العَلَل[8] » : بفتح العين المهملة ولامَيْن الأُولى مفتوحة الشُّرْب الثانى . « النَّهَل » بفتح النون والهاء وتُسَكَّن وباللام الشُّرْب الأَول . « غَادَرَهُ » : بالغين المعجمة تَرَكَهُ[9] . « الصَّبُوح[10] » : بفتح المهملة وبالموحدة ما يُشْرَب بالغداة فما دون القائلة . « والغَبُوق[11] » : بفتح الغين المعجمة الشرب بالعَشِىّ . « الحِيال » :

---

(١) جـ ٢ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) فى النهاية جـ ٢ ص ١١١ حيث علق ابن الأثير على الخلاف بين يربض ويريض بقوله : والرواية المشهورة بالباء (الموحدة) ولكنه أورد الرواية الأخرى فى حديث أم معبد : فشربوا حتى أراضوا أى شربوا عللا بعد نهل مأخوذ من الروضة وهو الموضع الذى يستنقع فيه الماء ، وقيل معنى أراضوا صبوا اللبن على اللبن . وربضت الغنم وغيرها من الدواب تربض ربضا وربوضا ، من باب ضرب ، أى طوت قوائمها ولصقت بالأرض . وأربضت الشمس اشتد حرها حتى تربض الدواب من شدته وأربض الراعى الغنم جعلها تربض .

(٣) فى الأصول : نحو من ضمن قربة والتصويب من النهاية .

(٤) فى المصباح : الرهط ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها . ورهط الرجل قومه وقبيلته .

(٥) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٢٥) : أفضل الحج العج والثج « الثج سيلان دماء الهدى والأضاحى يقال ثجه ثجا . (من باب نصر) .

(٦) فى الأصول : « وبيض » وآثرنا عبارة النهاية وفى الخشنى : البهاء هنا بريق الرغوة ولمعانها .

(٧) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٤) فى حديث أم معبد : فحلب فيه ثجا حتى علاه الثمال . الثمال هو بالضم الرغوة واحده ثمالة .

(٨) فى الصحاح العلل سقى بعد سقى والنهل الشرب الأول وخالف الخشنى ما ورد فى المعاجم فزعم أن النهل هو الشرب الثانى (شرح السيرة جـ ١ ص ١٣١) .

(٩) أضاف الخشنى وفيه سمى الغدير لأن السيل غادره أى تركه .

(١٠) وفى المصباح : اصطبح أى شرب صبوحاً .

(١١) غبقه يغبقه غبقا من باب ضرب سقاه غبوقاً والغبقة المرة منه .

جَمْع حائل وهى التى لم تَحْمِلْ . « عِجَافًا[1] » : بكسر العين المهملة جمع عَجْفَاء وهى المهزولة من الغَنَم [وغيرها[2]] . « الشَّاء » جمع شاة[3] . « عازب » : بعين مهملة فزاى فموحدة أى بعيدة المَرْعَى لا تأْوى إلى المنزل فى الليل . « لا حلوب[4] فى البيت » : أى لا شاة تُحْلَب . « الوَضَاءة » : بفتح الواو وبالضاد المعجمة والهمزة : الحُسْن والبهجة[5] . « أَبْلَج[6] الوجه » : بالموحدة وبجيم أى مُشْرِقُهُ مُسْفِرهُ ، ومنه تَبَلَّج الصبح وانْبَلَج . فأَما الأَبْلَج فهو الذى قد وَضَحَ ما بين حاجبيه فلم يَقْتَرِنا ، والاسم البَلَج بفتح اللام ، ولم تُرِدْ هذا أم معبد لأَنها قد وصفته [فى حديثها] بالقَرَن[7] . « الأَشْفَار » : جمع شُفْر بضم الشين المعجمة وقد تُفْتَح وهو طرف جَفْن العَيْن الذى يَنْبُت عليه الشَّعْر ، والمراد هنا الشَّعْر النابت[8] . « الوَطَف[9] » : بفتح الواو والطاء المهملة وبالفاء . الطول ، فمعنى الكلام أن فى شعر أَجْفَانه طولاً ، قال فى الإملاء : يُرْوَى الغَطَف[10] والعَطَف بالغين المعجمة والعين المهملة ، فمعناه بالمعجمة مثل معنى الوَطَف ، وأما بالمهملة فلا معنى لها[11] ، وقد فَسَّره بعضهم فقال :

---

(١) فى الصحاح : العجف بالتحريك الهزال والأعجف المهزول . والأنثى عجفاء والجمع عجاف على غير قياس لأن أفعل وفعلاء لا يجمع على فعال ولكنهم بنوه على سمان والعرب قد تبنى الشيء على ضده كما قالوا عدوة بناء على صديقة . وفعول إذا كان بمعنى فاعل لا تدخله الهاء .

(٢) زيادة من النهاية لأن الكلمة تطلق أيضا على غير الغنم .

(٣) الشاة الواحدة من الضأن والمعز وغيرها يقال للذكر والأنثى والجمع شاء « وشياه » .

(٤) زاد الخشنى : وقد تكون الحلوب واحدا وقد يكون جمعا .

(٥) فى شرح السيرة للخشنى (جـ ١ ص١٣١) : الوضاءة حسن الوجه ونظافته ومنه اشتقاق الوضوء . والزبيدى فى التاج أكد هذا الاشتقاق بقوله : وأصل الوضوء من الوضاءة وهى الحسن .

(٦) فى الأصول .. مبلج الوجه وأثبتنا لفظ ابن الأثير فى النهاية .

(٧) فى المصباح : بلج الصبح بلوجاً من باب قعد أسفر وأنار ، ومنه قيل بلج الحق إذا وضح وظهر ، وبلج بلجاً من باب تعب لغة . واسم الفاعل من الثانية أبلج وحجة بلجاء وابتلج الصبح بمعنى بلج ، وأبلج بالألف كذلك . وفى الأساس (جـ ١ ص ٦٠) يقال (مجازا) للرجل الطلق الوجه ذى الكرم والمعروف وهو أبلج وإن كان أقرن .

(٨) فى المصباح شفر العين حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب . قال ابن قتيبة : والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وإنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشعر الهدب والجمع أشفار مثل قفل وأقفال .

(٩) والفعل : وطف يوطف وطفا – من باب فرح – كثر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول . فهو أوطف وهى وطفاء .

(١٠) فى القاموس المحيط الغطف محركة طوال الأشفار وتثنيها أو كثرة شعر الحاجب غير أن ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٢٦٩) يفسر الغطف بقلة هدب العين .

(١١) عبارة المؤلف هنا « ابتداء من كلامه على العطف بالعين المهملة نقله عن الخشنى فى شرح السيرة (جـ ١ ص ١٣٢) غير أن الفيروز أبادى فى القاموس يقول بأن العطف بالعين المهملة ومحركة : طول الأشفار .

هو أن تطول أشفار العَيْن حتى تنعطف[1] . « الدَّعَج » : بفتح الدال والعين المهملتين وبالجيم والدَّعْجَة بإسكان العين : السواد فى العَيْن يريد – والله أعلم – أن سواد عينه شديد السواد[2] . « الصَّحَل »[3] : بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام وهو كالبُحَّة وألا يكون حَادّ الصوت[4] ، يقال منه صَحِلَ الرَّجُلُ بالكسر يَصْحَلُ بالفتح صَحَلاً بفتحَتَيْن إذا صار أَبَحّ فهو صَحِل وأَصْحَل . « ولا يَشْنَؤُهُ » : بالشين المعجمة والنون وقبل هاء الضمير همزة مضمومة : أى لا يبغضه / لِفَرْطِ طوله – ويُرْوَى لا يُتَشَنَّى من طول ، أبدل الهمزة ياءً ، يقال شنئته أشنؤه [شَنأ[5]] وشنآناً[6] . « ولا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ من قِصَر » ، أى لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً[7] له ، وكل شيء ازْدَرَيْتَه فقد اقْتَحَمْتَه « لم تَعِبْهُ ثُجْلَة » : الثُّجْلَة : بضم الثاء المثلثة ثم جيم ساكنة ثم لام مفتوحة هى عِظَم البطن[8] وسعته ، ويُرْوَى بالحاء المهملة والنون أى نحولٌ ودِقَّة . « لم تُزْرِ به » : أى لم تُقَصِّر[9] . « صَعْلَة » : بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين ، والصَّعْلَة صِغَر الرأس وهى أيضاً الدِّقَّة والنحول فى البدن[10] . وفى رواية لم تُزْرِ به صُقْلَة بالقاف أى دِقَّة ونحول[11] وقيل أرادت أنه لم يكن مُنْتَفِخَ الخاصِرة

417 ظ

---

(١) لم يشرح المؤلف كلمة نحلة فى حديث أم معبد حيث جاء فيه لم تعبه نحلة . أى دقة وهزال وقد نحل جسمه نحولا والنحل الاسم وقال ابن قتيبة لم أسمع بالنحل فى غير هذا الموضع . انظر النهاية (ج ٤ ص ١٣١) .

(٢) الدعج والدعجة السواد فى العين يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد وقيل الدعج شدة سواد العين فى شدة بياضها . وفى المصباح الدعج سعة مع سواد والرجل أدعج والمرأة دعجاء والجمع دعج مثل أحمر وحمر .

(٣) فى شرح السيرة الصحل محركة البحح بحاءين مهملتين (والأخيرة مصحفة بالجيم فى كتاب الخشنى) يريد أنه ليس بحاد الصوت .

(٤) فى القاموس المحيط صحل صوته كفرح فهو أصحل وصحل بح أو احتد فى بحح . وأورد الفيروزابادى من معانى الصحل محركة خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم . وليس هذا مراداً فى الحديث .

(٥) زيادة من النهاية التى نقل عنها المؤلف .

(٦) شنئته أشنؤه من باب تعب شنأ (تكتب أيضا شنئاً) شنآناً أبغضته وفى الصحاح : شنآناً بالتحريك والتسكين وقرئ بهما قوله تعالى : شنآن قوم ، وهما شاذان فالتحريك شاذ فى المعنى لأن فعلان إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ فى اللفظ لأنه لم يجيء شيء من المصادر عليه .

(٧) هذا لفظ ابن الأثير فى النهاية وفى ت و م . إصغاراً والمعنى واحد .

(٨) زاد الخشنى . يقال بطن أثجل إذا كان عظيما .

(٩) فى الصحاح الإزراء التهاون بالشيء .

(١٠) والفعل من باب تعب : صعل يصعل صعلا كان دقيق الرأس والعنق فهو أصعل وهى صعلاء والجمع صعل – بضم الصاد وتسكين العين – ويقال للنعام صعل – أيضا – .

(١١) الصقلة الضمور .

[جِدًّا[1]] ولا ناحِلاً [جِدًّا[1]] ، ويُرْوَى بالسين على الإبدال من الصاد . قال أبو ذَرّ [الخُشَنِى] : الصُّقْلَةُ جِلْدةُ الخاصِرة [تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصِرَة وهو من الأوصاف الحسنة[2]] . « الهاتف » : الصائح[3] . « أَبو قُبَيْس » : بضم القاف وفتح الموحدة فمثناة تحتية ساكنة : جَبَلٌ بمكة معروف سُمِّىَ باسم رجل من مَذْحِج حَدَّاد لأَنه أول مَنْ بَنَى فيه[4] . وكان أبو قُبَيْس الجبل هذا يسمى الأَمين لأَن الركن [أى الحجر الأَسود] كان مستودعاً فيه . « قَالَا » : من القيلولة وهى نصف النهار[5] . « الهَدْى[6] » : بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة والهَدْى الطريق ، ولا يصح ضمها للوزن[7] ، ويعنى بالطريق الطريق الموصلة إلى الجنة « قُصَىّ » : بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية : تقدم الكلام عليه فى النسب . « ما زَوَى » : بفتح الزاى والواو : أى جَمَعَ وقَبَض « من فَعَال[8] » : الظاهر أنه بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكَرَم ، ويجوز أن يكون بكسر

---

(١) زيادة من النهاية (جـ ٢ ص ٢٦٩) .

(٢) زيادة من كتاب شرح السيرة للخشنى الذى نقل عنه المؤلف . هذا وقد أغفل المؤلف شرح بقية الغريب فى حديث أم معبد ونجمله فيما يلى نقلا عن الخشنى وابن الأثير .

فى عنقه سطع أى إشراف وطول يقال عنق سطعاء إذا أشرفت وطالت . فى لحيته كثاثة : الكثاثة دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزجج دقة شعر الحاجبين مع طولهما والقرن أن يتصل ما بينهما بالشعر . علاه البهاء : البهاء حسن الظاهر فصل لا نزر ولا هذر : الفصل الكلام البين والنزر الكلام القليل والهذر الكلام الكثير ، أرادت أن كلامه ليس بقليل فينسب إلى العى ولا بكثير فينسب إلى التزيد . لا بأس من طول : أى ليس يبعد من الطوال . وقال ابن قتيبة : أحسبه ولا بائن من طول يريد أن طوله ليس بمفرط . أنضر الثلاثة : أى أنعم الثلاثة من النضرة وهو النعيم محفود محشود لا عابس ولا مفند : المحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، يقال حفدت وأحفدت فأنا حافد ومحفود ، وحفد وحفدة جمع حافد كخدم وكفرة . ومحشود إذا كان الناس يخفون لخدمته لأنه مطاع فيهم قاله الجوهرى فى الصحاح . ولا معتد أى غير ظالم .

(٣) فى الخشنى : قول القائل من الجن فى شعره .

(٤) أبو قبيس كما فى معجم البلدان لياقوت (جـ ١ ص ٩٤ : ٩٥) هو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها . هذا وقد نقل المؤلف عبارة القاموس وزاد عليها شارحه بما نقله عن السهيلى فى الروض عن سبب تسميته أبا قبيس وهو اسم رجل من جرهم هرب فيه من عمرو بن مضاض وانقطع خبره فسمى الجبل باسمه .

(٥) أى نزلا فى خيمتى أم معبد عند القائلة إلا أنه عدى الفعل بغير حرف جر .

(٦) الهدى بفتح الهاء وسكون الدال المهملة ما يهدى إلى الحرم من النعم بيد أن معناها هنا الهداية والسيرة والطريقة .

(٧) ضبطت خطأ : الهدى فى كل من شرح السيرة للخشنى (جـ ١ ص ١٢٩ وبهذا الشرح تصحيفات وأخطاء كثيرة) وشرح ديوان حسان (القاهرة سنة ١٩٢٩ م ص ٨٦) .

(٨) روى عجز البيت الذى وردت فيه كلمة فعال : به من فخار لا يبارى وسؤدد .

الفاء جمعاً . « لا يُجَارَى » : بالراء وفى رواية : يُجَازى بالزاى . « السُودَد » : بضم السين وإسكان الواو ، يقال سَادَ قَوْمَه سيادةً وسُودَدًا وهو مصدر . « الصريح » : بالصاد والحاء المهملتين وهو اللَّبَن الخالص الذى لم يُمْذَق[1] . « الضَّرَّة » : بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء والمثناة الفوقية أصل الضَّرْع . « مُزْبِد » : بضم الميم وإسكان الزاى فموحدة مكسورة فدال مهملة أى علاه الزَّبَد[2] . « غادرها » : بالغين المعجمة والدال المهملة : تركها . « فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ » : أى يحلبها مرةً ثم أخرى .

شرح شعر حَسَّان بن ثابت رضى الله عنه

« قُدِّس » : بضم القاف وكسر الدال المهملة المشددة وبالسين المهملة مبنى للمفعول أى طُهِّرَ . « يَرْشُدِ » : بضم الشين المعجمة وبفتحها كنصَرَ يَنْصُر وفِرح يَفْرَح ، والمصدر رُشْداً ورَشَداً ورشاداً[3] أى يهتدى . « بِأَسْعُد » : بضم العين ، جمع سَعْد جمع قِلَّة . « سعَادةُ » : بالرفع فاعل يَهْنَأ ، وأبو بكر مفعوله . « جَدُّه » : بفتح الجيم وهو حظه . « مَنْ يُسْعِدِ الله يُسْعَدِ » : يجوز أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول أيضاً . « عُظْم الحَىّ[4] » : بضم أوّلِه وسكون ثانيه أى أكثره . « القِرَى » : بكسر القاف[5] . « مُتَنَحِّياً » : مُنْفرِداً . « الشَّفْرَة[6] » : بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء : المُدْيَة وهى السِّكِّين العريض

---

(١) الصريح هنا اللبن الخالص قاله الخشنى ، ويمذق من مذقت اللبن بالماء مذقا من باب قتل مزجته وخلطته فهو مذيق قاله فى المصباح .

(٢) الزبد محركة من الماء والبحر واللبن وغيرها الرغوة وفى المثل : قد صرح المحض عن الزبد ، يضرب للامر إذا انكشف وتبين ، عن المعجم الوسيط ، ومزبد أى علاه الزبد وهو نعت للصريح .

(٣) أورد أبو البقاء الكفوى فى كتابه الكليات (بولاق سنة ١٢٨١ هـ ص ١٩٦) فروقا طريفة فى معانى مصدر فعل رشد فالرشد (بضم الراء) هوالاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه (وهذا هوتعريف الفيروزابادى) وغالب استعماله للاستقامة بطريق العقل ويستعمل للاستقامة فى الشرعيات أيضا ويستعمل استعمال الهداية . وقيل الرشد أخص من الرشد محركة فإن الرشد (بضم الراء) يقال فى الأمور الدنيوية والأخروية والرشد محركة فى الأمور الأخروية لاغير ، والإرشاد أعم من التوفيق لأن الله أرشد الكافرين بالكتاب والرسول ولم يوفقهم .

(٤) ابتداء من هذه الفقرة إلى نهايتها لا يتعلق بشرح الغريب فى أبيات حسان بن ثابت .

(٥) من قرى الضيف يقريه قرى وقراء أضافه وأكرمه . وهناك فى هذه المادة لفظة أخرى وردت فى حديث أم معبد أغفل المؤلف شرحها جاء فى النهاية (جـ٣ ص ٢٥٠ : ٢٥١) أن أم معبد أرسلت إليه بشاة وشفرة فقال : اردد الشفرة وهات لى قرواً ، يعنى قدحا من خشب .

(٦) الشفرة ما عرض وحدد من الحديد كحد السيف والسكين وغيرهما .

والجمع شِفَار مثل كَلْبَة وكِلَاب وشَفَرَات مثل سَجْدَة وسَجْدَات . « الجَلَب » : بفتح الجيم واللام ما يُجْلَبُ من بلدٍ إلى بلد . « الأَقِط[1] » : ككَتِف ويُسَكَّن مُثَلَّث الهمزة : شيءٌ يُتَّخَذ من اللبن المَخِيض ، قال ابن الأعرابى : من ألبان الغَنَم خاصَّةً .

شَرْحُ قِصَّة سُرَاقة بن مالك رَضِيَ الله عنه

« مُدْلِج[2] » : بضم الميم . « أَسْوِدَة » : جمع سَوَاد وهو الشخص[3] . « رَكَبَة » : بفتح الراء والكاف أَقَلّ من الرَّكْب وهو عشرة فما فوقها وهم أَصحاب الإبل ، والأُرْكُوب أكثر من الرَّكْب والرُّكْبَان[4] الجماعة منهم . « أُرَاها » : بضم الهمزة أى أَظُنُّها . الأَكَمَة : بفتح الهمزة والكاف والميم : الرَّابِية . « فَخَطَطْتُ به » بالخاء المعجمة وفى رواية بالحاء المهملة أى [أَمسكت بأَعلاه وجعلتُ[5]] أَسفله [فى الأَرض[6]] . الزُّجّ : بضم الزاى بعدها جيم : الحَدِيدة التى فى أَسفل الرُّمْح . « خَفَضْتُ عالِيَه » : أى أَمسكه بيده وجَرَّ رمحه لئلا يظهر بريقه لمن بَعُد منه ، لأَنه كَرِه أن يَتْبَعَه منهم أحد فيَشْرَكه فى الجَعَالة . « دَفَعْتُها » : بتخفيف الفاء يقال : دَفَعَ الفَرَسَ فى السَّيْر إذا بالغ ودَفَعه يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّى . « تُقَرِّبُ بى » : التقريب السَّيْر / دون العَدْو وفوق العادة[7] وقبل أَن ترفع الفَرَسُ يَدَيْهَا معا وتضعهما معاً[8]. ٤١٨ و

---

(١) الأقط كما فى النهاية (جـ ١ ص ٣٦) هو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به .

(٢) مدلج من الدلجة فعلة من الدلج وهو السير ليلا وقد سمت العرب مدلجا وهو أبو بطن منهم ، عن الاشتقاق لابن دريد (ص ١٩٥) .

(٣) سواد وأسودة كزمان وأزمنة .

(٤) فى القاموس المحيط : الركب ركبان الإبل اسم جمع وهم العشرة فصاعدا وقد يكون للخيل وجمع ركب أركب وركوب والركبة محركة أقل والأركوب بالضم أكثر من الركب والركاب ككتاب الإبل واحدتها راحلة وجمع ركاب ركب ككتب وركابات وركائب والركاب من السرج كالغرز من الرحل .

(٥) بياض بقدر نحو ثلاث كلمات والتكملة من السيرة الحلبية (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ جـ ٢ ص ٤٢) .

(٦) زيادة من السيرة الحلبية .

(٧) هكذا فى الأصول .

(٨) شرح ابن الأثير فى النهاية كلمة يقرب فى حديث الهجرة : « أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى » فقال : قرب الفرس يقرب تقريباً إذا عدا عدوا دون الإسراع وله تقريبان أدنى وأعلى . ولكن المؤلف شرح التقريب بأنه نوع من عدو الفرس قبل أن ترفع يديها معا وتضعهما معاً . وهذا مخالف لما ورد فى دواوين اللغة فى ترتيب عدو الفرس فالتقريب هو نفسه رفع الفرس ليديها معا ووضعها لهـما معاً . انظر كتاب فقه اللغة للثعالبى (طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م ص ١٨٧) وتهذيب التبريزى لكتاب الألفاظ لابن السكيت (بيروت سنة ١٨٩٥ م ص ١٨٥) فى الأول التقريب أن يرفع الفرس يديه ويضعهما معاً وفى الثانى : إذا رفع يديه ووضعهما معا فذلك التقريب . وإذا أردنا أن نحدد هذا النوع من عدو الفرس كما جاء فى عبارة « تقرب بى » فى الحديث فهو أكثر من الخبب ودون الإمجاج . والخبب هو أن تراوح الفرس بين يديها قاله ابن السكيت وأن يستقيم تهاديها فى جريها فتراوح بين يديها وتقبض رجليها قاله الثعالبى . والإمجاج أن تأخذ فى العدو قبل أن تضطرم فى عدوها .

« أَهْوَيْتُ » بيدى : بَسَطْتُها للأَخذ . « الكِنَانة » : بكسر الكاف الخريطة[1] المستطيلة التى يجعل فيها السهام . « الأَزلام » : واحدها زلم بفتحتين وبفتحة فَضَمَّة وهو القِدْح واحِدُ القِدَاح بكسر القاف وهو عيدان السهام قبل أَن تُرَاش ويُرَكَّب فيها النِّصَال ، فإذا فُعِل ذلك فهى سِهَام . وكان أَهل الجاهلية يَسْتَقْسِمُونَ بها مكتوبٌ عليها الأَمر والنهى أَى : إفْعَلْ : لا تَفْعَلْ ، فما خَرَجَ منها عَمِلوا به . والاستقسام بها هو الضَّرْبُ بها لإخراج ما قَسَم الله لهم من أَمْر وغيره بِزَعْمِهم . قال الحافظ أَبو العَبَّاس تَقِيّ الدين الحَرَّانى[2] : « إن القُرْعة التى مع الطرقية[3] التى فيها ا ب ج د من الأَزلام ، ونقل ذلك عن أَبى جعفر النَّحَّاس . « سَاخَتْ » : بسين مهملة فألف فخاء معجمة أَى غاصت . « ارتَطَمَتْ به » : أَى سَاخَتْ قَوَائِمُها فى الأَرض[4] . « عُثَان » : بضم العين المهملة والثاء المثلثة المخففة شبه الدُّخَان[5] . « أَن سيظهر » : مرفوع ، و « أَن » قبله مُخَفَّفة من الثقيلة وتقديره : سيظهر . « فلم يَرْزَآنى » : براء فزاى لم يُنْقِصَانى مما معى شيئًا . « أَخْفِ عَنَّا » : بفتح الهمزة[6] : « قُدَيْد[7] » . بضم القاف وفتح الدال المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة أُخرى ، موضع بين مكة والمدينة . « بِمِجَن » : بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون : التُّرْس سُمِّىَ مِجَنًّا لأَنه يوارى حامله أَى يستره .

---

(١) الخريطة وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله .. ابن تيمية الحرانى الحنبلى (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) وهو أشهر من أن يعرف به فى هذه الحاشية .

(٣) لم يشر المؤلف إلى المرجع الذى نقل عنه من مؤلفات ابن تيمية وما أكثرها ، حتى يتيسر لنا مراجعة هذا الاقتباس

(٤) فى القاموس المحيط : رطمه من باب نصر أوحله فى الأمر وارتطم عليه الأمر لم يقدر على الخروج منه .

(٥) فى النهاية (جـ ٣ ص ٦٩) : فى حديث الهجرة وسراقة : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أو دخان وجمعه عواثن على غير قياس . ومنه أن مسيلمة لما أراد الإعراس بسجاح قال : عثنوا لها أى بخروا البخور .

(٦) فى النهاية (جـ ٢ ص ٣٠٨ : ٣٠٩) . أخف عنا أى استر الخبر لمن سألك عنا .

(٧) قديد موضع فيه ماء بالحجاز بين مكة والمدينة قاله الخشنى (جـ ١ ص ١٤٤) وفى معجم البكرى (جـ ٣ ص ١٠٥٤) سميت قديداً لتقدد السيول بها وفى التاج قال ابن سيده وقديد موضع وبعضهم لا يصرفه وذكر كل من ياقوت فى معجم البلدان (جـ ٧ ص ٣٨) وابن دريد فى الاشتقاق (ص ٥١٩ و ٥٢٠) وجوها مختلفة لاشتقاقها .

الباب الخامس

فى تَلَقِّى أَهْل المدينة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ونزوله بِقُبَاء وتأْسيس مَسْجِد قُبَاء

روى البخارى عن عائشة ، وابنُ سعد عن عبد الرحمن بن عُوَيْم بن ساعدة[1] عن جماعة من الصحابة أَن المسلمين بالمدينة لما سمعوا بِمَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتَوَكَّفوا[2] قدومَه كانوا يخرجون إذا صَلُّوا الصبح إلى [ظاهر[3]] الحَرَّة ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال[4] ، ويؤذيهم حَرُّ الظهيرة . فإذا لم يجدوا ظِلاًّ دخلوا ، وذلك فى أَيّام حَارَّة حتى كان اليوم الذى قَدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت فَأَوْفَى[5] رجل من اليهود على أُطُم من آطامهم لأَمر ينظر إليه ، فَبَصُرَ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابه مُبَيَّضِين[6] ، يلوح[7] بهم السَّرَاب[8] ، فلم يَمْلِك اليهودى نَفْسَه فصرخ[9] بأَعلى صوته : « يا بنى قَيْلَة[10] » ، وفى لفظ يا مَعْشَر العرب ، « هذا جَدُّكم » ، وفى لفظ : هذا صاحبكم الذى تنتظرون ، « قد جاء » . فثار المسلمون إلى السلاح ، فَتَلَقَّوْا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بظَهْر الحَرَّة وذلك يوم الاثنين لشهر ربيع الأَول ، فخرجوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وهو فى ظِلِّ نَخْلَة ومعه أَبو بكر فى مثل سِنِّه .

---

(١) ولد عبد الرحمن قبل الهجرة وأبوه عويم بن ساعدة الأوسى شهد فيما قيل العقبات الثلاث .

(٢) توكفوا قدومه استشعروه وانتظروه قاله الخشنى .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٠٩)

(٤) عند الخشنى : الظراب جمع ظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهو الجبل الصغير .

(٥) أوفى أى طلع

(٦) أى عليهم الثياب البيض التى كساها إياهم الزبير وطلحة .

(٧) فى مواهب القسطلانى : يزول بهم أى يرفعهم ويظهرهم وقال ابن حجر : أى يزول بسبب عروضهم له .

(٨) السراب المرئى نصف النهار فى شدة الحر كأنه ماء قاله الزرقانى .

(٩) فى الأصول « قال » والأصوب صرخ كما فى سيرة ابن هشام .

(١٠) قيلة الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج وهى بنت كاهل بن عذرة ، عن شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٥٠) .

وقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامِتًا ، فطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار مِمَّنْ لم يرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك .

وفى رواية : « فلما رَأَوْا أبا بكر ينحاز له عن الظِلّ عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَدَل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم عُلُوَّ[1] المدينة بقُبَاء فى بنى عَمْرو بن عوف على كلثوم بن الهِدْم[2] بكسر الهاء وسكون / الدال المهملة ، قيل : وكان يومئذ مشركًا ، وبه جَزَم [محمد بن الحَسَن[3]] بن زَبَالة » ، وقيل : « إنما نَزَلَ على سَعْد بن خَيْثَمَة[4] » . قال رَزِين[5] : « والأَول أَصحّ » وقال الحاكم إنه الأَرْجَح ، [قال] : « وقد قاله ابنُ شهاب وهو أَعْرَف بذلك من غيره » وقال الدمياطى[6] : « إنه أَثْبَت » . وقال بعضهم « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل على كلثوم بن الهِدْم وكان يخرج للناس من منزله فيجلس للناس فى بيت سعد بن خَيْثَمَة لأنه كان عَزَبًا لا أهل له

٤١٨ ظ

---

(١) فى وفاء الوفا للسمهودى (جـ ١ ص ١٧٥) علو المدينة وقباء معدودة من العالية وكأن حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلو . ونقل ذلك الديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٣٦) .

(٢) كتب خطأ فى أسد الغابة (جـ ٤ ص ٢٥١) : كلثوم بن هرم أى هرم بالراء وورد دون ضبط كلمة هدم فى سيرة ابن هشام (طبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م جـ ٢ ص ١١٠) ولكن ضبطه ابن حجر فى الإصابة (جـ ٥ ص ٣١١) فقال : بكسر الهاء وسكون الدال كما ورد بهذا الضبط فى تاريخ الطبرى (جـ ٢ ص ٢٥٦) وفى جوامع السيرة لابن حزم (ص ٨٩ و ٩٣) . وجاء فى الاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٩ : ومنهم كلثوم بن الهدم وهو الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ثم تحول بعد إلى بيت أبى أيوب . والهدم الكساء الخلق والجمع أهدام والهدم أيضا ما سقط من حائط إذا هدمته والمصدر الهدم وما يسقط منه هدم وذكر الطبرى وابن قتيبة أن كلثوم بن الهدم أول من مات من الصحابة بالمدينة ثم مات بعده أسعد بن زرارة .

(٣) تكملة اسمه من شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٥٠) وتاج العروس وميزان الاعتدال للذهبى (جـ ٣ ص ٥١٤) وخلاصة الخزرجى (ص ٢٨٣) وهو محمد بن الحسن بن زبالة المخزومى المدنى روى عن أسامة بن زيد بن أسلم ومالك وابن وهب وخلائق وروى عنه أبو خيثمة والزبير بن بكار وجماعة كذبه أبوداود وقال النسائى متروك وقال الدارقطنى وغيره منكر الحديث .

(٤) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن النحاط الأوسى وهو عقبى بدرى نقيب كان نقيبا لبنى عمرو بن عوف قتل يوم بدر شهيداً انظر أسد الغابة (جـ٢ ص ٢٧٥ : ٢٧٦) .

(٥) هو رزين بن أنس السلمى وزاد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ٢٠٦) ابن عامر وقال ابن حبان وابن السكن له صحبة .

(٦) سبقت ترجمته .

هناك [وكان مَنْزِلَ العُزَّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقال[1] :] نزل على سعد بن خيثمة . ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إساف[2] أحد بنى الحارث بالسُّنْح – بسين مهملة مضمومة فنون ساكنة فحاء مهملة[3] . ويُقال على خارجة بن زيد [بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج[4]] » .

وروى الزبير بن بَكَّار[5] عن عبد الله بن حارثة[6] قال : « نزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهِدْم ، فصاح كلثوم بغلام له فقال : يا نُجَيْح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْجَحْتَ[7] يا أبا بكر » وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة بعد مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامًا – قال بعضهم ثلاثة – حتى أدَّى للنَّاس ودائعهم التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَفَهُ لِيَرُدَّها ، ثم خرج فلَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء فنزل على كلثوم بن الهِدْم .

وقال عَلِيٌّ فيما رواه ابن إسحق ورزين : « [كنتُ نزلت بقُبَاء[8]] وكانت امرأة مسلمة لا زوج لها ، فرأيت إنسانًا يأْتيها من جوف الليل فيَضْرِب عليها بابَها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه فتأْخذه فاسْتَرَبْتُ شأْنَه ، فقلت لها : يا أَمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يَضْرِب

---

(١) زيادة من سيرة بن هشام (جـ ٢ ص ١١٠) .

(٢) هو خبيب بن إساف – وقيل يساف – ابن عنبة بن عمرو بن خديج الخزرجى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عمر ، وكان قد تأخر إسلامه إلى قبيل غزوة بدر وروى عنه أنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أناورجل من قومى وقلنا إنا لنستحى أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده . فقال رسول الله صلى‌الله عليه عليه وسلم : أو أسلمتما ؟ قلنا لا . فقال إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمنا وشهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الإصابة (جـ ٢ ص ١٠٣) وأسد الغابة (جـ ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠) .

(٣) السنح ضبطه البكرى فى معجمه (جـ ٣ ص ٧٦٠) بضم أوله وثانيه وضبطه الزبيدى فى التاج بسكون النون وضمها . وفى وفاء الوفا للسمهودى (جـ٢ ص ٣٢٥) : السنح أطم لجشم وزيد ابنى الحارث سميت الناحية به وكان بالسنح منزل أبى بكر الصديق .

(٤) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١١٠) .

(٥) هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (١٧٢ – ٢٥٦ هـ) كان شاعرا أخباريا علامة بالأنساب أورد ابن النديم فى الفهرست (ص ١٦٠ : ١٦٢) ثبتاً مطولا بمؤلفاته مع ترجمته منها نسب قريش والموفقيات فى‌الأخبار وكتاب الأوس والخزرج وأخبار عدد كبير من الشعراء . ترجم له ابن خلكان (جـ ١ ص ١٨٩) .

(٦) هو عبد الله بن حارثة بن النعمان الأنصارى يعد فى المدنيين ترجم له ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٤٠) .

(٧) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٢٦) : يقال نجح فلان وأنجح إذا أصاب طلبته ونجحت طلبته وأنجحت وأنجحهما الله .

(٨) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١١١) .

عليكِ بَابكِ كُلَّ ليلة فَتَخْرجين إليه فيُعْطِيكِ شيئًا لا أدرى ما هو ، وأنت امرأةٌ مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سَهْل بن حُنَيْف ، قد عَرَف أنى امرأة لا أحَدَ لى ، فإذا أمْسَى عَدَا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها . فقال : احْتَطِبِى بها ، فكانعلىّ يَأْثُرُ[1] ذلك من أمرسَهْل بن حُنَيْف [حين هلك عنده بالعراق[2]] .

وكان لكلثوم بن الهِدْم مِرْبَد ، والمِرْبَد الموضع الذى يُبْسَط فيه التَّمْر ليجفَّ ، فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَسَّسَه وبناه مَسْجِدًا . وفى الصحيح عن عُرْوَة : « فَلَبِث فى بنى عَمْرو بن عَوْف وأَسَّسَ المسجد الذى أُسِّس على التقوى » . وفى رواية عبد الرَّزَّاق عنه قال : « الذين بَنَى فيهم المسجد الذى أُسِّس على التقوى » هم بنو عَمْرو بن عَوْف وكذا عند ابن عائذ [ولفظه : « ومَكَثَ فى بنى عَمْرو بن عَوْف ثلاث ليالٍ واتَّخَذَ مكانَه مسجدًا فكان يصلى فيه ثم بناه بنو عَمْرو بن عَوْف فهو الذى أُسِّس على التقوى[3] »] .

وروى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن المسعودى عن الحَكَم بن عُتَيْبة - بضم العين المهملة وفَتْح الفوقية وسكون التحتية وبالمُوَحَّدَة - قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَ بِقبَاء قال عَمَّار بن يَاسِر : « ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بُدّ من أن يجعل له مكانًا يَسْتَظِلُّ به إذا استيقظ ويُصَلِّى فيه » . فجَمَعَ حِجَارةً فَبَنَى مَسْجِدَ قباء فهو أول من بنى مسجدًا - روى الحافظ والسيد[4] - يَعْنِى لعَامَّة المسلمين أو للنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو فى التحقيق أوَّل مسجدٍ صَلَّى فيه بأصحابه جَمَاعةً ظاهِرًا ، وإن كان قد

---

(١) فى المصباح : أثرت الحديث أثرا من باب قتل نقلته والأثر بفتحتين اسم منه وحديث مأثور أى منقول . وفى التاج قال الزبيدى : فى المحكم أثر الحديث عن القوم يأثره أى من حد ضرب ويأثره من حد نصر أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر وقيل حدث به عنهم فى آثارهم .. وفى حديث على فى دعائه على الخوارج : ولا بقى منكم آثر أى مخبر يروى الحديث . وفى قول أبى سفيان فى حديث قيصر : لولا أن تأثروا عنى الكذب أى تروون وتحكون .

(٢) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١١١) ونسب سهل بن حنيف كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٢ ص ٣٦٤) وابن حزم فى جوامع السيرة (ص ١٢٦) هو : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث ابن عمرو بن خنس أو خنساء .. ابن الأوس . وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وشهد مع على صفين ومات سهل بالكوفة سنة ٣٨ هـ .

(٣) إضافة من السمهودى

(٤) يقصد المؤلف بالسيد : على بن عبد الله بن أحمد بن على نور الدين أبو الحسن السمهودى : نزيل الحرمين وصاحب كتاب وفاء الوفا ويعرف جده بالشريف السمهودى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ٥ ص ٢٤٥ : ٢٤٨) وقال : « ولا زالت كتبه ترد على بالسلام وطيب الكلام » فالسمهودى توفى سنة ٩١١ هـ والسخاوى توفى سنة ٩٠٢ هـ .

بُنِيَ غَيْرُه من المساجد ، فقد روى ابن أبي شيبة عن جابر رضى الله عنه قال : لقد لَبِثْنا بالمدينة قبل أن يَقْدَمَ علينا النبي صلى الله عليه وسلم سَنَتَيْن نَعْمرُ المساجِدَ ونقيمُ الصلاة ، ولذا قيل : كان المُتَقَدِّمُونَ فى الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار بقُبَاء قد بَنَوْا مسجدًا يُصَلُّون فيه ، يعنى هذا المسجد ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَوَرَدَ قُبَاء صَلَّى بهم فيه إلى بيت المقدس ، ولم يُحْدِث فيه شيئًا أى فى أوّل الأمر لأن ابن شَبَّة[1] ـ بالشين المعجمة والمُوَحَّدة المُشَدَّدَة المفتوحتَيْن ـ روى ذلك ، ثم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قُبَاء ، وقَدَّم القِبْلَة إلى موضعها اليوم وقال / : « جبريل يَؤُمّ بى البيت[2] » .

٤١٩ و

وروى الطبرانى عن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه قال : « لما سَأَلَ أَهْلُ قُبَاء النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم أن يبنى لهم مسجدًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِيَقُمْ بعضكُم فيركب الناقة ، [فقام أبو بكر رضى الله عنه فَرَكِبَها فحرَّكها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام عُمَر رضى الله عنه فركبها فلم تَنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لِيَقُمْ بعضُكم فيركب الناقة[3] »] ، فقام عَلِيٌّ رضى الله عنه ، فلما وَضَع رِجْلَه فى غَرْزِ الرِّكاب وثَبَتَ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْخِ زمَامَها وابْنُوا على مَدَارِها [فإنها مأمورة[3]] . وروى الطبرانى بِسَنَدٍ رِجالُه ثقات عن الشَّمُوس ـ بفتح الشين المعجمة ـ بنت النعمان[4] رضى الله عنها قالت : « نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

---

(١) فى الأصول : ابن أبى شيبة ولا يتفق هذا مع الضبط التالى الذى أورده المؤلف . فالمقصود عمر بن شبة أبو زيد النميرى البصرى الحافظ الأخبارى الثقة كان حجة فى الأخبار والأنساب والقراءات والنحو واللغة أورد بن النديم فى الفهرست ثبتا بمؤلفاته منها ما يتعلق بالبصرة والكوفة والمدينة ومكة وأشعار الشراة وغيرها (انظر ص ١٦٣ : ١٦٤) توفى سنة ٢٦٢ هـ بسرمن رأى عن تسعين سنة انظر ترجمته فى ابن خلكان (جـ ١ ص ٣٧٨ : ٣٧٩) ومعجم الأدباء لياقوت (جـ ١٦ ص ٦٠ : ٦٢) وغاية النهاية لابن الجزرى (جـ ١ ص ٥٩٢ : ٥٩٣) وبغية الوعاة للسيوطى (ص ٣٦١) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٤٦) .

(٢) زاد السمهودى (جـ ١ ص ١٧٩) الذى نقل عنه المؤلف : وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » (التوبة آية ١٠٨) فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء ولا ينافيه قول المصطفى : « لمسجد المدينة هو مسجدكم هذا » . إذ كل منهما أسس على التقوى .

(٣) زيادة من وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٧٩) الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) كانت من المبايعات ونسبها كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ٥ ص ٤٨٨) هو : الشموس بنت النعمان ابن عامر بن مجمع الأنصارية ، وقال ابن الأثير إنها حضرت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء .

قَدِمَ ونَزَلَ وأَسَّس هذا المسجد : مسجد قُبَاء ، فرأَيتُه يـأْخذ الحجَر أَو الصَّخْرَة حتى يَهْصِرَهُ[1] الحَجرُ ، وأَنظر إلى بياض التراب على بَطْنه أَو سُرَّته فيأْتى الرجل من أَصحابه ويقول : يا رسول الله بـأَبى أَنت وأُمى اعْطِنِى أَكْفِكَ ، فيقول : « لا خُذْ مِثْلَه » ، حتى أَسَّسَه ، ويقول : « إن جبريل عليه السلام هو يَؤُمّ الكعبة » قالت : فكان يُقَال : إنه أَقْوَمُ مَسْجِدٍ قِبْلَةً[2] .

قال السيد[3] : «قد صَحَّ أَنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس حتى نُسِخَ ذلك وجاء نقباؤهم فى صلاة الصبح فأَخبرهم وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، فيُحْتَمَل أَن جبريل عليه السلام كان يَؤُمّ [به] البيت لِيُسْتَدَلّ به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتَيْن ويُعْلِمه بما يؤول إليه الأَمر من استقبال الكعبة . أَو أَنه صلى الله عليه وسلم كان مُخَيَّراً فى ابتداءِ الهجرة فى التَّوَجُّه إلى بيت المقدس أَو إلى الكعبة ، كما قاله الربيع ، فَأَمَّ به جبريل البَيْتَ لذلك ، واختيارُه الصلاةَ لبيت المقدس أَولاً لاستمالة اليهود أَو أَن استقبال الكعبة كان مشروعاً فى ذلك الوقت ثم نُسِخَ ببيت المقدس ثم نُسِخ بالكعبة كما قاله القاضى أَبو بكر بن العربى وغيره من أَن القبلة نُسِخَتْ مرتين ، أَو أَن ذلك تـأْسيس آخر غير التـأْسيس الأَول . ويدل على هذا ما قَدَّمناه من رواية ابن شَبَّة » .

وروى ابن شَبَّة أَيضاً أَن عبد الله بن رواحة كان يقول وهم يبنون فى مسجد قُبَـاء : « أَفْلَحَ مَنْ يَعْمُرُ المساجِدَا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المساجدا» ، فقال عبد الله : « ويَقْرَأُ القرآن قائماً وقاعِداً » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وقاعِدَا» ، فقال عبد الله : « ولا يبيتُ اللَّيْلَ عنه راقِدا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَاقِدَا» .

تنبيهات

الأَول : اختُلِفَ فى قَدْر إقامته فى بنى عَمْرو بن عَوْف ، فنى الصحيح عن

---

(١) هصر فلان الشيء يهصره هصرا من باب ضرب وهصر الغصن عطفه وأماله وفى النهاية (جـ ٤ ص ٢٤٩) . أصل الهصر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه . وفى حديث بناء مسجد قباء : فهصر الحجر إلى بطنه أضافه وأماله

(٢) استشكل ابن الأثير فى أسد الغابة ما جاء فى هذا الحديث فقال : قوله يؤم الكعبة فيه نظر فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسس مسجد قباء لم تكن القبلة إلى الكعبة إنما كانت إلى البيت المقدس ثم حولت إلى الكعبة بعد ذلك (أسد الغابة جـ ٥ ص ٤٨٨ : ٤٨٩) ونجد فيما أورده المؤلف نقلا عن السمهودى ردا على ذلك .

(٣) النص التالى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٨٠ : ١٨١)

[ابن شهاب عن عُرْوة بن الزبير[1]] أنه صلى الله عليه وسلم لَبِثَ فيهم بضع عشرة ليلة . وفيه عن أَنَس أنه أَقام فيهم أَربع عشرة ليلة ، وقدمه فى الإشارة ، وقيل خمس ليال قاله ابن إسحق . وقال ابن حِبَّان : أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس ، يعنى وخرج يوم الجمعة فلم يَعْتَدّ بيوم الخروج . وقال ابن عباس وابن عُقْبَة : ثلاث ليال ، فكأنهما لم يَعْتَدَّا بيومَىْ الخروج / ولا الدخول . وعن قَوْمٍ من بنى عَمْرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً . ٤١٩ ظ

الثانى : المُعْتَمَد أنه صلى الله عليه وسلم دخل قُبَاء يوم الاثنين كما فى الصحيح ، قال ابن عُقْبَة لهلال ربيع الأول أى أول يوم منه ، وفى رواية جرير بن حازم عن ابن إسحق قَدِمَها لليلتَيْن خَلَتَا من شهر ربيع الأول ، وفى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق : قَدِمها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وعند أَبى سعيد فى شرف المصطفى من طريق أَبى بكر بن حزم قال : قَدِم المدينة لثلاث عشرة من ربيع الأول ، وهذا يُجْمَع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال[2] .

الثالث : قال الحافظ : الأكثر أنه قَدِم نهاراً ، ووقع فى رواية مسلم ليلاً ويُجْمَع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهاراً .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق : «تَوَكَّفوا» : انتظروا[3] . «الظهيرة» : بفتح الظاء المعجمة وكسر الهاء بعدها مثناة تحتية وهى نصف النهار . «أوفى» : طلع إلى مكانٍ عالٍ[4] .

---

(١) بياض بالأصول بقدر نحو ست كلمات والتكملة من صحيح البخارى كتاب المناقب باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (ج ٥ ص ١٥٩) وإسناد هذا الحديث المطول (من ص ١٥٤ إلى ص ١٦٠) : حدثنا يحيى ابن بكير عن الليث عن عقيل قال ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : ولكن قرب نهاية الحديث بنحو صحيفة ونصف اقتصر فى الإسناد على ابن شهاب وعروة .

(٢) فى مواهب القسطلانى وشرح الزرقانى طائفة من الروايات عن هذه التحديدات الزمنية انظر شرح المواهب ج ١ ص ٣٥١ و ٣٥٢

(٣) فى الصحاح التوكف التوقع يقال ما زلت أتوكفه حتى لقيته ، وهو من وكف المطر يوكف وكفا إذا وقع قاله فى النهاية (ج ٤ ص ٢٢٨) ، وتوكف الخبر إذا انتظر وكفه أى وقوعه .

(٤) فى النهاية (ج ٤ ص ٢٢٣) فى حديث كعب بن مالك : أوفى على سلع أى أشرف واطلع .

«الأُطُم» : بضم أوله وثانيه وهو الحِصْن ، ويقال بناء من حجارة كالْقصْر . «مُبَيَّضين» : أى عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزُّبير أو طلحة . «يزول بهم» : أى يرفعهم ويُظْهِرُهم . «السَّراب» : الذى يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء . «قَيْلَة» : بفتح القاف وسكون التحتية : الجَدَّة الكبرى للأنصار . «جَدُّكم» : بفتح الجيم أى حَظُّكم وصاحب دولتكم الذى تَتَوَقَّعُونَه . «طَفِق» : بكسر الفاء وفتحها أى جَعَلَ . «انحاز» ، بالحاء المهملة والزاى : مال « جَوْفُ اللَّيْل» : وَسَطُهُ . «اشْتَرَبْتُ شَأْنَه» : أى شَكَكْتُ فيه . « يأْثُر ذلك » : أى يُحَدِّث به . « يَهْصِرُهُ » : يُمِيلُهُ . « يؤُمّ » : بفتح المثناة التحتية بعدها همزة مضمومة أى يقصد . «الغَرْز» : بغين معجمة مفتوحة فراء ساكنة فزاى : أى ركاب الإبل .

الباب السادس

فى قدومه صَلَّى الله عليه وسلم باطِنَ المدينة وما آلَتْ إلَيْه وفَرَحُ أَهْلِ المدينة برسول الله صلى الله عليه وسَلَّم

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبى بكر ، وسعيد بن منصور عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم والبيهقى عن موسى بن عُقْبَة[1] ، وابن إسحق عن عويم بن ساعدة ، ويحيى ابن الحسن عن عُمَارة بن خزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدخل المدينة أرسل إلى بنى النَّجَّار ، وكانوا أخواله لأن أم عبد المطلب منهم كما تقدم فى باب النَّسَب . فجاءوا متقلدين السيوف ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه : «ارْكَبُوا آمنين مُطَاعِين » . وكان اليوم يوم الجمعة فلما ارتفع النهار دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم براحلته وحُشِدَ المسلمون ولَبِسُوا السلاح ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقَتَه القَصْوَاء[2] والناس معه عن يمينه وعن شِمَاله وخلفه منهم الماشى والراكب فاجتمعت بنو عَمْرو بن عَوْف فقالوا : يا رسول الله أَخرَجْتَ ملالاً لنا أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟ قال : « إنى أُمِرْتُ بقريةٍ تأْكل القُرَى فخَلُّوهَا — أى ناقته — فإنها مأْمورة » ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُبَاء يريد المدينة فَتَلَقَّاه الناس فخرجوا فى الطرق وعلى الأَباعر

---

(١) هو موسى بن عقبة بن أبى عياش مولى بنى الزبير بن العوام من تلاميذ الزهرى ممن ألفوا فى المغازى هو ومعمر ابن راشد ومحمد بن إسحق والثلاثة من الموالى توجد قطعة من مغازيه نشرت فى برلين سنة ١٩٠٤ م وعن كتابه مقتبسات فى روايات الواقدى وطبقات ابن سعد والإصابة لابن حجر وتاريخ الخميس للديار بكرى ، وكان يوثقه مالك بن أنس إذ قال عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة ويستنتج من المقتبسات الكثيرة التى أوردها ابن سعد أن كتاب موسى كان يحتوى على قوائم بأسماء المهاجرين إلى الحبشة والمشتركين فى بيعتى العقبة وغزوة بدر وروى أن مالكا قال عن هذه القوائم : من كان فى كتاب موسى قد شهد بدراً فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدها . ترجم له الذهبى ترجمة موجزة وقال إنه توفى سنة ١٤١ هـ . انظر خلاصة الخزرجى ص٣٣٦ والإعلان بالتوبيخ للسخاوى والمغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس ترجمة نصار (القاهرة سنة ١٩٤٩ م ص ٦٩ : ٧٣) .

(٢) فى الأصول القصوى : وفى النهاية (جـ ٣ ص ٢٦٠) أنه خطب على ناقته القصواء والقصواء هى الناقة التى قطع طرف أذنها . هذا وقد تعددت أسماء هذه النوق فى الأحاديث فمنها العضباء والجدعاء والصلماء شرح معانيها ابن الأثير وجاء فى السيرة الحلبية (جـ ٢ ص ٥٧) أن تلك النوق لم يكن بها شىء من ذلك بل إنها ألقاب لناقة واحدة .

٤٢٠ و وصار الخدم والصبيان يقولون : «الله أكبر، جاءنا رسول الله جاء محمد» قال أَنَس / فيما رواه البيهقى : «إنى لأسعى مع الغلمان إذ قالوا محمد جاء فننطلق فلا نرى شيئاً ، حتى أقبل وصاحبه أبو بكر فكمنا فى بعض جُدُر المدينة وبعثا رجلاً من أهل البادية ليُؤْذِن بهما الأنصار فاستقبلهما زُهَاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمِنَيْن مُطَاعَيْن . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم [وصاحبه[1]] بين أَظْهُرِهم ، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لَفَوْقَ البيوت يَتَرَاءيْنَه يَقُلْنَ : أَيُّهم هو ؟ أَيُّهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ .

روى الإمام أحمد وأَبْو داود عن أَنس رضى الله عنه أنه قال : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لَعِبَتْ الحبشة بحرابها فرحاً بقدومه» . وروى البيهقى ورزين عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يَقُلْنَ :

طَلَعَ البَـدْرُ عَلَيْنَـا مِنْ ثَنِيَّـاتِ الـوَدَاع
وَجَـبَ الشكرُ علينا مَـا دَعَـا لله دَاع

زاد رزين :

«أَيُّها المَبْعُوثُ فِينَـا جِئْـتَ بالأَمْرِ المُطَاع .

وروى البخارى عن البراء رضى الله عنه أنه قال : «ما رَأَيْتُ أَهْلَ المدينة فَرِحُوا بشىء فَرَحَهُم برسول الله صلى الله عليه وسلم» . وروى ابن ماجه عن أَنَس رضى الله عنه أنه قال : «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أَضَاء منها كُلُّ شىء» . وروى ابن أَبى خيشمة رضى الله عنه قال : «شَهِدْتُ يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أَرَ يوماً أَحْسَنَ منه ولا أضوأ» .

فلم يَمُرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأَنصار إلا قالوا : «هَلُمَّ يا رسول الله إلى العِزّ والمَنَعة والثروة» . فيقول لهم خَيْراً ويدعو أو يقول : «إنها مأمورة خَلُّوا سبيلَها» ، فَمَرَّ ببنى سالم فقام إليه عِتْبَان – بكسر العين المهملة – ابن مالك ، ونَوْفَل بن عبد الله بن

(١) بياض بالأصول والتكلة من البداية والنهاية لابن كثير (جـ ٣ ص ١٩٧) .

مالك بن العَجْلان ، وهو آخِذٌ بِزِمام راحلته ، فقال : «يا رسول الله انْزِلْ فينا فإن فينا العَدَد والعشيرة والحَلْقَة ، ونحن أَصحاب [الفضاء[1]] والحدائق [والدَّرَك[1]] ، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البُحْرَة[2] خائفاً فيلجأُ إلينا فنقول له : قَوْقِلْ[3] حيث شئت » . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّم ويقول : «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأْمورة » ، فقام إليه عُبَادة بن الصامت ، وعباس بن [عُبَادة بن[4]] نَضْلَة بن [مالك ابن[4]] العَجْلان ، فجعلا يقولان : « يا رسول الله انْزِلْ فينا » ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : «بَارَكَ الله عليكم إنها مأْمورة » .

فلما أَتى مسجد بنى سالم وهو المسجد الذى فى الوادى : وادى رانوناء[5] ، أَدركته الجمعة هناك فَصَلَّاها فيه وكانت أَول جُمُعَة صَلَّاها فى المدينة ، وقيل إنه كان يُصَلِّى الجُمُعَة بمسجد قُبَاء ، وعند ابن سعد أَنه صلى معه الجمعة مائة نفس[6] ، ثم أَخذ رسول الله صلى

---

(١) بياض بالأصل والتكلة من وفاء الوفا للسمهودى (جـ ١ ص ١٨٣) . وفى الصحاح الدرك يسكن ويحرك التبعة ، يقال : ما لحقك من درك فعلى خلاصه . وفى النهاية (جـ ٢ ص ٢٠) : الدرك اللحاق والوصول إلى الشيء أدركته إدراكا ودركا ، ومنه الحديث : لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته .

(٢) جاء فى الفائق للزمخشرى (جـ١ ص ٦٤) : أن النبى صلى الله عليه وسلم شكا عبد الله بن أبى بن سلول إلى سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله اعف عنه فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق ، ولقد اصطلح أهل البحرة على أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاك شرق بذلك أراد بالبحرة المدينة ، يقولون هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدتنا ، وأصل البحرة فجوة فى الأرض تنبحر أى تنبسط وتتسع . هذا وقد رويت أيضا مصغرة : بحيرة .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٥٦) : القوقلة التغلغل فى الشيء والدخول فيه .

(٤) تكملة نسبه من أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٠٨ : ١٠٩) والإصابة (جـ ٤ ص ٣٠) ، هذا وقد كان لعباس ابن عبادة الفضل فى شد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة .

(٥) فى معجم البلدان لياقوت (جـ ٤ ص ٢١٤) أن النبى صلى الله عليه وسلم أدركته الجمعة فى بنى سالم وأنه صلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى : وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. ثم قال ياقوت : وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحق الذى لخصة ابن هشام . . ورانوناء بوزن عاشوراء . هذا ولم يرد ذكر لرانوناء فى معجم البكرى ولا فى الفصل الثامن الذى عقده السمهودى فى الجزء الثانى من كتابه وفاء الوفا (ص٢٣٩ : ٣٩٤) عن بقاع المدينة وأعراضها حيث رتب أسماءها ترتيبا أبجديا ولكنه فى ص ٢١٤ من الجزء الثانى أورد ما قاله المطرى بأن رانوناء ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم ثم يصب فى بطحان أما ابن زبالة فروى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الجمعة ببنى سالم فى ذى صلب لا رانوناء وحاول السمهودى التوفيق بين الروايتين بقوله : هما وإن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب فيسمى برانوناء لمرورها عليه .

(٦) لفظ ابن سعد : « فلما أتى مسجد بنى سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة (الطبقات جـ ١ ص ٢٢٣)

الله عليه وسلم عن يمين الطريق [حتى جاء بنو الحُبْلَى[1]] ، فأراد أن ينزل على عبد الله ابن أبيّ [بن سلول[2]] ، وهو يومئذ سيِّد الخزرج فى أنفسها فقال : اذْهَبْ إلى الذين دعوك فانْزِل عليهم . فقال سعد بن عُبَادة : «لا تَجِدْ يا رسول الله فى نفسك من قوله ، فقد / قَدِمْتَ علينا والخزرج تريد أن تُمَلِّكَه عليها ، فلما رَدَّ الله ذلك بالحق الذى أعطاك ٤٢٠ ظ شَرِق بذلك ولكن هذه دارى ، ذكره [موسى بن] عُقْبَة ورَزِين . قال السيد[3] : «الذى فى الصحيح ذِكْرُ سعد [بن عُبَادة] لذلك فى قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مَرَض بعد سُكْنَاه بالمدينة» . قُلْتُ ويُحْتَمَل أن سَعْداً قال ذلك مَرَّتَيْن ، والله أعلم .

فَمَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببنى ساعدة فقال له : سعد بن عُبَادة ، والمُنْذِر بن عَمْرو ، وأبو دُجَانة : «هَلُمَّ يا رسول الله إلى العِزّ والثروة والقوة والجَلَد» ، وسَعْد يقول : «يا رسول الله ليس من قومى رَجُلٌ أكثر عَذْقاً[4] ولا فم بئرٍ منى مع الثروة والجَلَد والعدد فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ثابت خَلِّ سبيلَها فإنها مأمورة» . فمضى واعترضه سَعْد بن الرَّبيع ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، وبَشير بن سعد ، فقالوا : «يارسول الله لا تُجَاوِزْنَا فإنا أهْلُ عَدَد وثروةٍ وحَلْقَة» ، قال : «بارك الله فيكم ، خَلُّوا سبيلها فإنها مأمورة» ، واعترضه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمْرو ، من بنى بياضة ، فقالا : «يارسول الله هَلُمَّ إلى المواساة والعِزّ والثروة والعَدَد والقوة ، نحن أهل الدرك يا رسول الله» ، فقال رسول الله : «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة» . وفى حديث البَرَاء قال : «إنِّى أنزل على أخوال عبد المطلب أكْرِمُهم بذلك» . ثم مَرَّ ببنى عَدِىّ بن النَّجَّار وهم أخواله فقام أبو سَلِيط

---

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١٨٣) . وقد شرح المؤلف كلمة حبلى فيما بعد عند إيراده لبيان غريب ما سبق على اعتبار أنها وردت فى صلب تصنيفه غير أن عدم ورودها يدل على أنه نسى إثباتها فيما ينقله عن غيره ويستبعد أن يكون النساخ لجميع النسخ الخطية من كتاب المؤلف قد أغفلوها . هذا والحبلى لقب لقب به سالم بن غنم لعظم بطنه ومن ولده بنو الحبلى بطن من الأنصار والنسبة إلى حبلى حبلى وبضمتين حبلى وبضمة ففتحة كجهنى انظر القاموس المحيط .

(٢) فى السمهودى (جـ ١ ص١٨٣) : فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الأطم محتبياً قال : « اذهب إلى الذين دعوك ..» وقد شرح المؤلف فيما بعد : مزاحم ومحتبيا مما يدل على أنه أغفل إثبات هذا النص فى صلب كتابه سهوا . وفى معجم بقاع المدينة فى وفاء الوفا (جـ٢ ص٣٧٣) قال السمهودى: مزاحم بالضم وكسر الحاء المهملة أطم كان بين ظهرانى بيوت بنى الحبلى ، وكان بزقاق ابن حبين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

(٣) السيد أى السمهودى والعبارة التى نقلها المؤلف عنه فى جـ ١ ص ١٨٤ من وفاء الوفا

(٤) العذق بالفتح النخلة وبالكسر العرجون بما فيه الشماريخ ويجمع على عذاق قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ٧٧) .

وصِرْمَة بن أَبي أَنَس فى قومهما فقالا : «يا رسول الله نحن أَخْوَالُك هَلُمَّ إِلى العَدَد والمَنَعَة والقوة مع القرابة ، لا تُجَاوِزْنَا إِلى غيرنا يارسول الله ، ليس أَحَدٌ من قومنا أَوْلَى بكَ منا لقرابتنا بك» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَلُّوا سبيلَها فإِنها مأْمورة» .

فسار حتى إِذا أَتت دار بنى عِدِىّ بن النَّجَّار قامت إِليه وجوههم ، ثم مضى حتى انتهى إِلى باب المسجد ، فَبَرَكَتْ [راحلته] على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وذكر الأَقْشَهِرِى فى روضته عن ابن نافع صاحب مالك فى أَثناء كلام نقله عن مالك أَن «ناقته صلى الله عليه وسلم لما أَتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأَخذه الذى كان يأْخذه عند الوَحْى» . ثم وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضِعٌ لها زِمَامَها لا يثنيها به ، ثم التفتت خَلْفَها فرجعت إِلى مَبْرَكِها أَول مرة ، فبركت فيه ثم تلحلحت[1] وأَرْزَمَتْ[2] ، ووضعت جِرَانَها . وجعل جَبَّار بن صخر ينخسها رجاء أَن تقوم فتنزل فى دار بنى سَلَمَة فلم تفعل[3] . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال : «هنا المنزل إِن شاء الله» (وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِين[4]) وجاء أَبو أَيوب فكَلَّمُوه فى النزول عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَىُّ بيوت أَهلنا أَقرب ؟» فقال أَبو أَيوب : أَنَا يانَبِىَّ الله ، هذه دارى وهذا بابى وقد حَطَطْنَا رَحْلَكَ فيها . قال : «فانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لنا مقيلاً» ، فذهب فَهَيَّأَ لهما مقيلاً . وروى الطبرانى عن عبد الله بن الزبير أَنه كان هناك عَرِيشٌ يَرُشُّونَه ويَعْمُرُونَه ويبتردون فيه حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأَوَى إِلى الظِّلِّ فنزل فيه فأَتاه أَبو أَيوب فقال : يا رسول الله منزلى أَقرب

---

(١) فى ط وت وم تخلفت وفى ص تجلجلت وهى تصحيف تحلحلت بحاءين مهملتين وقد وردت فى رواية ابن إِسحق ويرى السهيل (جـ ٢ ص ١٢) أَنها مقلوبة من تلحلحت فيكون معناها لصقت بموضعها وأَقامت وذلك على المعنى الذى فسره به ابن قتيبة . والحلحلة معناها الحركة فى كل من الصحاح والقاموس حلحل القوم أَى أَزعجهم أَو أَزالهم عن مواضعهم وهذا يتنافى مع استقرار الناقة فى مكانها ولذلك فالأَولى إِثبات كلمة لحلح بتقديم اللام على الحاء لاتفاق معناها مع سكون الناقة جاء فى الفائق (جـ ٢ ص ٤٥٦) تلحلح ضد تحلحل أَى إِذا ثبت فى مكانه ولم يبرح وفى النهاية (جـ ٤ ص ٥٢) تلحلحت أَى أَقامت ولزمت مكانها .

(٢) أَرزمت أَى صوتت والإِرزام الصوت لا يفتح به الفم قاله فى النهاية والجران باطن عنق البعير .

(٣) قال السمهودى (جـ ١ ص ١٨٦) : لما وجد أَبو أَيوب جبار بن صخر أَخا بنى سليمة ينخس الناقة برجله قال أَبو أَيوب : يا جبار : عن منزلى تنخسها ؟ أَما والذى بعثه بالحق لولا الإِسلام لضربتك بالسيف .

(٤) سورة المؤمنين آية ٢٩

المنازل إليه فانقل رَحْلَك . قال : «نعم» ، فذهب بِرَحْلِه إلى المنزل ، فأتاه آخر فقال : يا رسول الله انْزِلْ عَلَيَّ ، فقال صلى الله عليه وسلم : «المَرْءُ مع رَحْلِه حيث كان» ، فَمَضَتْ مَثَلاً فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزل أبى أيوب وقَرَّ قرارُه واطْمَأَنَّتْ دارُه ونزل معه زيد بن حارثة .

وذكر ابن سعد أن أسعد بن زُرَارة أخذ بزمام النَّاقة فكانت عنده . وعند عائذ وسعيد ابن منصور أن ناقته استناخت به أولاً فجاءه ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله ، فقال : «دَعُوها» ، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تلحلحت فنزل عنها فأتاه أبو أيوب فقال : منزلى أقرب المنازل فائذن لى أن أنقل رَحْلَك . قال : «نعم» ، فنقل رَحْلَه وأناخ الناقة فى منزله .

وروى الحاكم وأبو سَعيد النيسابورى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على أبى أيوب خرج جوارٍ من بنى النَّجَّار يَضْرِبْنَ بالدفوف ويَقُلْنَ :

نحن جوارٍ من بنى النَّجَّار يا حَبَّذا محمدٌ من جار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَتُحِبِبْنَنِى ؟» قُلْنَ : نعم يا رسول الله . فقال : «وأنا والله أُحِبُّكُنَّ» ، قالها ثلاثاً . وذكر ابن إسحق فى المُبْتَدَأ وابن هِشَام فى التيجان أن بيت أبى أيوب الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدِمَهُ المدينة بناه تُبَّع الأول واسمه تُبَان — بضم المُثَنَّاة الفوقية وتخفيف المُوَحَّدة — أسعد[1] ، وكان معه أربعمائة حَبْر ، فتعاقدوا على ألَّا يخرجوا منها . فسألهم تُبَّع عن سِرِّ ذلك ، فقالوا : إنا نجد فى كُتُبِنا أن نَبِيّاً اسمُه محمد هذه دار هجرته ، فنحن نُقيم لعلنا نلقاه . فأراد تُبَّع الإقامةَ معهم ، ثم بنى لكل واحد من أولئك داراً واشترى له جارية وزَوَّجها منه وأعطاه مالاً جزيلاً وكتب كتاباً فيه إسلامُه ومنه :

شَهِدْتُ على أحمد أنه رسولٌ مِنَ اللهِ بَارى النَّسَمْ

---

(١) فى ط : تبان بن أسعد وفى القاموس أسعد تبان وقد ذكر السهيلى (جـ ١ ص٢٣) أن تبان أسعد اسمان جعلا اسما واحداً وأن تبان من التبانة وهى الذكاء والفطنة وفى الصحاح تبن يتبن (من باب فرح) تبناً بالتحريك صار فطنا فهو تبن . ومنه تبن بالتشديد وفى الفائق (جـ ١ ص١٢٥) التبانة هى الفطنة والمراد التعمق والإغماض فى الجدل وأداء ذلك إلى التكلم بما ليس بحق .

فلو مُدَّ عُمْرى إلى عُمْرِهِ　　　لكُنْتُ وزيراً له وابْنَ عَمْ

[وجَاهَدْتُ بالسيف أعداءه　　　وفَرَّجْتُ عن صَدْرِهِ كُلَّ هَمْ][1]

وَخَتَمَهُ بالذهب ودفعه إلى كبيرهم وسأله أن يدفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم إن أَدْرَكَهُ وإلا فَمَنْ أدركه من وَلَدِهِ أو وَلَد وَلَدِهِ ، وبنَى للنبى صلى الله عليه وسلم داراً يَنْزِلُها إذا قَدِم المدينةَ ، فتداول الدَّارَ المُلَّاك إلى أن صارت لأَبى أيوب ، وهو من وَلَد ذلك العالِم ، وأَهْلُ المدينة الذين نَصَرُوه [كُلُّهم] من أولاد أولئك العلماء . ويقال إن الكتاب الذى فيه الشِّعْر كان عند أبى أيوب حتى دفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو غريب[2] . فما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى بيته .

وروى الترمذى وصَحَّحَه ، ويحيى بن الحَسَن العلوى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : قال : « لَمَّا قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ انْجَفَلَ الناس [إليه] فجئت لأنظر إليه ، فلما تبيَّنْتُ وَجْهَه عَلِمْتُ أن وَجْهَهُ ليس بوجه كَذَّاب ، فكان أَوَّلُ شىء سَمِعْتُه يتكلم به أن قال : «يا أيُّها النَّاس أَفْشُوا السَّلامَ وأَطْعِمُوا الطَّعَام [وصِلُوا الأَرْحَامَ[3]] ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ [بسلام[3]] . وروى ابنُ إسحق ومسلم عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : «لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بَيْتِى نَزَلَ فى السُّفْل وأنا وأُمُّ أيوب فى العُلْو ، فَقُلْتُ له : يانَبِيَّ الله ، بأَبى أنت وأُمِّى ، إنى

---

(١) زيادة من السهيلى (جـ ١ ص ٢٤) وزاد فى المعارف لابن قتيبة (ص ٢٨) بيتا رابعاً : وألزم طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم .

(٢) الحديث الغريب هو ما انفرد به راو عمن يجمع حديثه كأن ينفرد رجل فى الحديث عن الزهرى وشبهه وينقسم إلى غريب متناً وإسناداً وإلى غريب إسناداً لا متناً ولا يوجد غريب متناً لا إسناداً ولعل الغرابة فى هذا الحديث ترجع إلى إسناده دون متنه وقد ذكر السهيلى (جـ ١ ص ٢٤) إيمان تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم إذ قد روى عنه : لا تسبو تبعا فإنه كان مؤمنا وبلفظ : لأنه كان قد أسلم ، عند الإمام أحمد ، ورواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد وهو تبع . غير أن عبد الرزاق روى حديثا آخر عن أبى هريرة مرفوعاً : لا أدرى أتبع لعين أم لا . وهذا فى نظر السمهودى (جـ ١ ص ١٣٤) محمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم بحاله . وفى المعارف لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميرى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنه وأضاف (ص ٢٨) أنه كان أول من كسا البيت الأنطاع والبرد .

(٣) زيادة من صحيح الترمذى عن يحيى عن عبد الله بن سلام نقلا عن السمهودى (جـ١ ص ١٨٨) .

لأكْرَهُ وأُعْظِمُ أن أكون فَوْقَكَ وتكون تحتى ، فاظهر أَنْتَ فَكُنْ فى العُلْوِ ، ونَنْزِل نحن فنكون فى السُّفْل ، فقال: «إنّ أرْفَق بنا وبِمَنْ يَغْشَانا أن نكون فى سِفْل البيت» . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سُفْلِه وكُنّا فوقه فى المَسْكَن ، فلقد انكسر حُبٌّ[1] لنا فيه ماء ، فَقُمْتُ أنا وأمّ أيوب بقطيفة لنا مالنا لِحَافٌ غَيْرُها نُنَشِّفُ بها الماء [تَخَوُّفاً أن[2]] يَقْطُرَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئٌ فيؤذيه . وذُكِر أن أبا أيوب لم يزل يَتَضَرَّع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تَحَوَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العُلْو وأبو أيوب فى السُّفْل .

قال أبو أيوب : وكُنّا نصنع له العَشَاء ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أنا وأمّ أيوب مَوْضِعَ يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البَرَكَة ، حتى بعثنا إليه لَيْلَةً بعَشَائه وقد جعلنا له فيه بَصَلاً أو ثُوماً ، فَرَدَّهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أرَ لِيَدِهِ فيه أثراً . قال : فجئتُه فَزِعاً فقُلْتُ : يا رسول الله بأبى أنت وأُمّى رَدَدْتَ عَشَاءك ، ولم أرَ فيه مَوْضِع يَدِك وكُنْتَ إذا رَدَدْتَه علينا تَيَمَّمْتُ أنا وأم أيوب مَوْضِعَ يَدِك نبتغي بذلك البَرَكَة . قال : «إنى وَجَدْتُ فيه رِيحَ هذه الشَّجَرَة وأنا رَجُلٌ أُنَاجى ، فأما أنتم فكلوه» . قال : فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد .

وفى كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحَسَن[3] ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال :

---

(١) الحب بضم الحاء المهملة والباء الموحدة المشددة هو ما يجعل فيه الماء كالجرة والخابية والجمع أحباب وحببة وحباب والحب فارسى معرب قال أبو حاتم أصله خنب فعرب فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا حب : انظر المعرب للجواليق (ص ١٢٠) .

(٢) «بياض بالأصول والتكلة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١٦) .

(٣) فى السمهودى (ج ١ ص ١٨٩) وفى كتاب يحيى عن زيد بن ثابت ، ولم يذكر لنا من هو يحيى هذا ؟ وفى ميزان الاعتدال (ج٤ ص٣٦٨) : يحيى بن الحسين العلوى اتهمه الذهبى بوضع الأحاديث وقال إنه رافضى متأخر ، وذكر السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ (ص ١٢٩ : ١٣٠) ثبتا بأسماء مؤرخى المدينة النبوية منهم الشريف يحيى بن الحسن الحسنى العلوى ، وهو الذى يقصده المؤلف ولم يذكر لنا السخاوى شيئا عنه سوى اسمه كما أن المستشرق فرانز روزنتال فى ترجمته الإنجليزية لكتاب الإعلان الذى ذيل به كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ليدن سنة١٩٥٢ م ص٣٩٨) لم يذكر شيئا عنه فى تعليقاته كما صنع مع غيره مما يدل على أنه لم يقف على خبر له . ومما يذكر فى هذا الصدد أن السخاوى (المتوفى سنة ٩٠٢ هـ) لما ذكر السمهودى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) بين مؤرخى المدينة قال عن كتابه فى الإعلان بالتوبيخ (ص ١٣٠) إنه مفتقر إلى تحرير ونظر . فإذا صح أن كتاب وفاء الوفا الذى صنف فى أواخر القرن التاسع الهجرى فى حاجة إلى التحرير والنظر فهو بلا شك أكثر احتياجا لذلك فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى .

«لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب لم يدخل منزل رسول الله هدية وأول هدية دخلتُ بها عليه قَصْعَة مثرودة خُبْزَ بُرٍّ وسَمْناً ولَبَناً ، فأضعها بين يديه ، فقلت : «يا رسول الله أرسلت بهذه القَصْعَة أُمّى» ، فقال : «بَارَكَ اللهُ فيها» ، ودعا أصحابَه فأكلوا فلم أَرِمْ[1] البابَ حتى جاءته قصعة سعد بن عُبَادة ، على رأس غُلامٍ مغطاة فأقف على باب أبى أيوب فأكشف غِطَاءها لأنظر فرأيتُ ثريداً عليه عُرَاق[2] ، فَدَخَلَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم» . قال زيد : «فلقد كُنَّا فى بنى مالك بن النَّجَّار ما مِنْ ليلةٍ إلا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تَحَوَّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من بيت أبى أيوب وكان مُقَامُه فيه سبعة أشهر[3]] وما كانت تخطئه جَفْنَة سعد بن عُبَادة وجفنة أسعد بن زُرَارة كل ليلة» . وفيه أنه قيل لأم أيوب : «أى الطعام كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمُقَامِه عندكم ؟ قالت : ما رأيتهُ أمر بطعام فصُنِع له بعينه ، ولا رأيناه أُتِىَ بطعام فَعَابَهُ . وقد أخبرنى أبو أيوب أنه تَعَشَّى عنده ليلة من قَصْعَةٍ أرسل بها سعد بن عُبَادة طَفَيْشَل[4] . فقال أبو أيوب : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القِدْر ما لم أَرَهُ ينهل غيرها ، فكنا نعملها له ، وكنا نعمل له الهريس وكانت تُعْجِبُه . وكان يحضر عَشَاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام فى الكثرة والقِلَّة» .

قال ابن إسحق : «وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بُعِيرَيْن وخمسمائة درهم فقَدِما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنَتَيْه وسودة [بنت زمعة] زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأته أُمّ أَيْمَن مع ابنها أُسَامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر فيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير

---

(١) فى النهاية (جـ ٢ ص ١١٨ : ١١٩) قال العباس : لا ترم من منزلك غدا أنت وبنوك ، أىْ لا تبرح ؛ يقال رام يريم إذا برح وزال من مكانه وأكثر ما يستعمل فى النفى .

(٢) العرق بالسكون العظم إذا أخذ منه معظم اللحم وجمعه عراق وهو جمع نادر يقال عرقت العظم واعترقته وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك – قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ٧٧) .

(٣) زيادة من طبقات ابن سعد (جـ ١ ص ٢٢٤) والبداية والنهاية (جـ ٣ ص ٢٠٢) .

(٤) فى القاموس المحيط الطفيشل بوزن سميدع نوع من المرق .

وأم رومان [أم عائشة[1]] فلما قدمُوا المدينة أُنزلوا فى بيت حارثة بن النعمان . وذكر رزين أن أبا بكر أرسل عبد الله بن أُرَيْقط مع زيد ليأْتيه بأَهله .

قال ابن إسحق : «وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَبْقَ بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس . ولما اطمأَنت برسول الله صلى الله عليه وسلم دَارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسَرَّه بما جمع إليه من المهاجرين والأَنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صِرْمَة بن أَبى أَنس ، أخو بنى عَدِىّ بن النَّجَّار ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خَصَّهُم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثَوَى[2] فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّر لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا[3]

ويَعْرِضُ فى أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فلم يَرَ مَنْ يُؤْوِى ولم يَرَ دَاعِيَا

فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فَأَصْبَحَ مسروراً بِطَيْبَةَ رَاضِيَا

وأَلْفَى صديقاً واطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى[4] ... وَكَانَ لَنَا[5] عوناً من الله بَادِيَا

يَقُصُّ لَنَا ما قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وَمَا قَالَ مُوسَى إذ أَجَابَ المُنَادِيَا

فَأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ... قَرِيباً ولا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا[6]

٤٢٢ و بَذَلْنَا له الأَمْوَالَ من حِلٍّ[7] مَالِنَا ... وأَنْفُسَنَا عند الوَغَى والتَآسِيَا[8] /

ونَعْلَمُ أَن اللهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... ونَعْلَمُ أَن اللهَ أَفْضَلُ هَادِيَا[9]

---

(١) فى الأصول : « فيهم عائشة وأختها أسماء وأمهما أم رومان » وقد أخطأ المؤلف هنا لأن أم رومان لم تكن أماً لأسماء بنت أبى بكر فأسماء كانت أختاً لعائشة لأبيها وكانت أسن منها . وأم أسماء تدعى قيلة . وقيل قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد ابن جابر بن مالك فهى قرشية من بنى عامر بن لؤى . وقد توفيت أم رومان فى سنة ست من الهجرة وأورد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٨ ص ٢٣٢ : ٢٣٤) بيانا مطولا عن الخلاف فى تاريخ وفاتها ، انظر ترجمة أسماء فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٢٩٣ : ٢٩٤) وفى الإصابة (جـ ٧ ص ٧ : ٨) .

(٢) ثوى أقام .

(٣) مواتيا موافقاً .

(٤) النوى البعد .

(٥) فى رواية : وكان له عوناً ، والضمير فى له يعود على الصديق .

(٦) فى رواية : باغيا .

(٧) فى رواية : من جل مالنا بالجيم .

(٨) الوغى الحرب والتأسى التعاون وتقرأ أيضا بتشديد السين .

(٩) عجز البيت فى البداية لابن كثير (جـ ٣ ص ٢٠٤) : وأن كتاب الله أصبح هاديا ، هذا واختلاف الروايات من ابن كثير والشرح من الخشنى (جـ ١ ص ١٣٧ : ١٣٨) .

نُعَادِى الذى عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهمْ جَمِيعاً وإِنْ كَانَ الحَبِيبَ المُصَافيَا
أَقُولُ إِذا أَدْعُوكَ[1] فى كُلِّ بَيْعَـةٍ[2] تَبارَكْتَ قد أَكْثَرْتَ لاسمِكَ دَاعِيَـا
أَقولُ إِذا جَاوَزْتَ أَرْضـاً مَخُوفَـةً حَنَانَيْكَ[3] لاتُظْهِرْ عَلَىَّ الأَعَادِيَـا
فَطَأْ مُعْرِضاً[4] إِنّ الحُتُوفَ كثـيرةٌ وإِنَّـكَ لا تُبْقِى لِنَفْسِكَ باقِيَـا
فَوَاللهِ مَا يَدْرِى الفَتَى كَيْفَ يَتَّـقِى إِذا هو لم يَجْعَلْ لَـهُ اللهُ وَاقِيَـا
ولا تَحْفِـلُ النَّخْلُ المُعِيمَـةُ[5] رَبَّها إِذا أَصبحت رِيًّا[6] وأَصبح ثَاوِيَا[7]

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق

« حَشَدَ » المسلمون بالدال المهملة : اجتمعوا[8] . « مُتَقَلِّدِين » السيوف : جعلوا سيورَها فى أعناقهم إلى جَنْبهم الأيسر ، عادة العَرَب الآن لاكفِعْل الأَتراك وغيرهم بجَعْلها فى أوساطهم . « مَلالاً » : سآمةً . « الدَّار » : هنا القبيلة وكل قبيلة اجتمعت فى مَحَلَّة سُمِّيَتْ تلك المَحَلَّة داراً ، وسُمِّى ساكنوها بها مجازاً ، أَى أَهْلُ الدَّار « تأْكل القُرَى » : يأْتى بيانُه فى بيان أَسماء المدينة . « كَمِنًّا » : بفتح الكاف

---

(١) فى رواية : إذا صليت .

(٢) بيعة أى مسجد قاله الخشنى .

(٣) حنانيك أى تحننا بعد تحنن والتحنن الرأفة والرحمة .

(٤) فطأ معرضا أى متسعا عند الخشنى ولكن شرحها فى الصحاح أدق : يقال طأ معرضا حيث شئت أى ضع رجليك حيث شئت ولا تتق شيئا وقد أمكنك ذلك . وأورد الزبيدى هذا الشرح فى التاج ومما ذكره من الشواهد بيت عدى بن زيد سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير . هذا وقد ذكر ابن هشام (ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥) أن البيت الذى يبدأ صدره فطأ معرضاً ، والبيت الذى يليه هما لأفنون التغلبى صريم بن معشر . وقد أوردهما له ابن قتيبة مع بيتين آخرين فى الشعر والشعراء (طبعة ليدن بتحقيق دى غوى سنة ١٩٠٤ م ص ٢٤٩) غير أن الزبيدى فى التاج ذكر أن ابن دريد أنشد للبعيث البيت الذى أوله فطأ معرضا .

(٥) النخل المعيمة كما يقول الخشنى هى العاطشة من ،العيمة وهو العطش وأكثر ما يقال فى اللبن وفى الصحاح العيمة شهوة اللبن وقد عام الرجل يعيم ويعام عيمة فهو عيمان وامرأة عيمى وعند ابن السكيت العيم إفراط الشهوة إلى اللبن كالقرم إلى اللحم .

(٦) قال الخشنى : ريا : معناه سروية من الماء (بالسين) وهو خطأ والصواب مروية من الماء . وتذكر بهذه المناسبة أن طبعة المستشرق برونله لشرح السيرة للخشنى (القاهرة سنة ١٩١١ م) مليئة بالأخطاء والتصحيفات وحبذا لو أعيد طبعه محققا .

(٧) فى رواية ناويا من النوى والنوى عند الخشنى الهلاك ولم ترد بهذا المعنى فى المعجمات فالنوى البعد .

(٨) حشد يستعمل لازما ومتعدياً فحشد القوم حشوداً من باب ضرب اجتمعوا وحشد القوم حشداً من باب نصر جمعهم .

وكسر[١] الميم بعدها نون مُشَدَّدَة ، أى اسْتَتَرْنَا . «زُهَاء[٢]» : بضم الزاى وبالمَدّ أى قَدْر . «العَوَاتِق» : جمع عاتق وهى الشابَّة أَول ما تُدْرِك ، وقيل هى التى لم تَبِنْ[٣] من والدتها ولم تُزَوَّج وقد أَدْرَكَتْ وشَبَّتْ «الولائد» : جَمْع وليدة وهى الأُنثى ، والوليد الطفل جَمْعُهُ وِلْدان . «الثَّنِيَّات»: جَمْع ثَنِيَّة وثَنِيَّةُ الوَدَاع بفتح الواو . قال المَجْد اللغوى[٤] : «هى ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، وقيل من يريد الشام [واختُلِف فى تسميتها بذلك فقيل لأَنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل لأَن النبى صلى الله عليه وسلم وَدَّع بعض من خَلَّفَه بالمدينة فى آخر خَرْجَاته ، وقيل فى بعض سراياه المبعوثة عنه ، وقيل الوَدَاع اسم وادٍ بمكة ، والصحيح أَنه اسم جاهلى قديم سُمِّىَ به لتوديع المسافرين[٥] ،] هكذا قال أَهْلُ السِّيَر [والتاريخ[٥]] وأَصحاب المسالك إنها من جهة مكة ، وأَهل المدينة [اليوم] يظنونها من جهة الشام ، وكأَنهم اعتمدوا قول ابن قَيِّم الجوزية فى هَدْيِه ، [فإنه قال[٥]] : «من جهة الشام ثَنِيَّاتُ الوَدَاع ولا يطؤها القادم من مكة [البتة[٥]] » . ووجه الجمع أن كلتا الثَّنِيَّتَيْن تُسَمَّى بثنية الوداع » . [انتهى كلام المجد[٥]] .

قُلْتُ : وقال ياقوت[٦] فى المُشْتَرِك : «ثنية الوداع مشهورة قُرْب المدينة وسُمِّيت بذلك لأَن الناس كانوا يودعون المسافرين إلى مكة عندها[٧] » . فاقتضى كلامُه أنه يطؤها قاصِدُ

---

(١) وبفتح الميم أيضا فى القاموس المحيط : كَن له كنصر وسمع كوناً استخفى .

(٢) زهاء فى العدد وزان غراب يقال هم زهاء ألف أى قدر ألف ويقال كم زهاؤهم ؟ أى كم قدرهم . قاله فى المصباح .

(٣) من بان يبين بيناً وبينونة والبين الفراق والوصل وهو من الأضداد ، قاله فى الصحاح .

(٤) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم . المجد الفيروزابادى الشيرازى اللغوى صاحب القاموس المحيط وغيره من المؤلفات والتصانيف ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفى سنة ٨١٧ هـ . انظر السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ١٠ ص٧٩ : ٨٦ رقم٢٧٤) وللفيروزابادى عن المدينة النبوية كتاب أسماه: « المغانم المطابة فى معالم طابة ». ذكره السخاوى فى ثبت مؤلفاته فى ترجمته له (ص ٨٢) ، وذكره السخاوى مرة أخرى عند ذكره لمن كتبوا فى تاريخ المدينة وذلك فى كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٠ .

(٥) زيادة من وفاء الوفا للسمهودى (جـ ٢ ص ٢٧٧) الذى نقل عبارة المجد ونقلها من بعده مؤلف هذا الكتاب .

(٦) لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء كتاب اسمه المشترك وضعاً والمفترق صقعا تناول فيه البلاد التى تتشابه فى أسمائها ولكن تختلف فى مواقعها طبعه وستنفلد فى جوتنجن سنة ١٨٤٦ م .

(٧) أورد ياقوت فحوى هذه العبارة فى معجم البلدان (جـ ٣ ص ٢٥) : إذ قال : ثنية الوداع مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، ثم أورد بعد ذلك أقوالا مختلفة فى سبب تسميتها .

مكة ، وتَبعَه على ذلك فى التقريب وسبقهما إليه القاضى ، وأَيَّدَ السَّيِّد كلام صاحب الهُدَى فقال : الروايات متظاهرة على أن هذه الثَّنِيَّة هى المعروفة بذلك ، اليوم : شامِىّ المدينة بين مسجد الرَّاية الذى على ذُبَاب[1] ومَشْهَد النَّفْس الزَّكِيَّة ، يَمُرُّ فيها المارّ بَيْنَ صَدَّيْن[2] مرتفعين قُرْب سَلْع[3] ، ومن تَأَمَّل كلام ابن شَبَّة فى المنازل [وغيرها][4] لم يَرْتَبْ فى ذلك ، ويوضحه ما رواه ابن اسحق فى غزوة الغابة[5] قلت : وسيأتى سياقه فيها .

ثم قال السَّيِّد[6] : « وكَوْنُها شامىّ المدينة لا يمنع كون هذه الأَبيات أُنْشِدَتْ عند الهجرة لأَنه صلى الله عليه وسلم رَكِبَ ناقتَه وأَرْخَى لها زِمَامَها وقال : «دَعُوها فإنها مأْمورة» ، ومَرَّ بِدُور الأَنصار كما سبق حتى مَرَّ ببنى ساعِدة ، ودارُهم شامىّ المدينة قُرْب ثَنِيَّة الوَدَاع ، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية [حتى أَتى منزله بها[7]] . وقد عَرَّج النبي صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من بَدْر إلى ثَنِيَّة الوَدَاع ، كما ذكره ابن عُقْبَة : [أنه صلى الله عليه وسلم سَلَكَ حين خرج إلى بدر حتى نُقْب[8] بنى دينار ، ورَجَع حين رَجَع من ثَنِيَّة الوداع[9]] » . قُلْتُ : فتَحَصَّلَ من كلامه أَن ثَنِيَّة الوَدَاع ليست من جهة مكة وإنما هى

---

(١) فى معجم بقاع المدينة (جـ ٢ ص ٣٠٨) من وفاء الوفا : ذباب كغراب وكتاب لغتان . قال البكرى ذباب جبل بجبانة المدينة وسبق فى المساجد بيان أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، وتقدم فى الخندق ما يقتضى أن اسمه ذوباب أيضا .

(٢) فى التاج : الصد بالفتح وبالضم الجبل والسين لغة فيه . قال أبو عمرو : يقال لكل جبل صد وصد — بفتح الصاد وضمها — وسد وسد — بفتح السين وضمها — والصد والصد ناحية الوادى والشعب وهما صدان والجمع أصداد وصدود ، وصدا — بفتح الصاد وتشديد الدال — الجبل ناحيتاه فى مشعبته .

(٣) فى معجم البكرى (جـ ٣ ص ٧٤٧) سلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة جبل متصل بالمدينة . وفى الأغانى (جـ ١٥ ص ١٣٨) أنشدت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك وكان شديد الكلف بها ونشأت بسلع : لعمرك إننى لأحب سلعا لرؤيتها ومن بجنوب سلع . ثم تنفست الصعداء فقال لها : لم تنفسين والله لو أردته لنقلته إليك حجرا حجرا فقالت : وما أصنع به إنما أردت ساكنيه . هذه الرواية نسبها السمهودى (جـ٢ ص٣٢٤) إلى الأصمعى .

(٤) زيادة من السمهودى (جـ ٢ ص ٢٧٦) .

(٥) فى ابن هشام (جـ ٣ ص ٣٢٣) : فى غزوة ذى قرد كان سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى أول من نذر بالمشركين فغدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله . . حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف فى ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم .

(٦) لفظ السمهودى (جـ ٢ ص ٢٧٦) : ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك قلت وذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة على أنى أقول إن ذلك لا يمنع من كونه عند الهجرة قدم من قباء لأنه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته .

(٧) زيادة من السمهودى .

(٨) فى معجم البلدان لياقوت (جـ ٧ ص ٣٨٣) : منقب (بدلا من نقب) اسم الطريق التى بين مكة والمدينة .

(٩) زيادة من السمهودى (جـ ٢ ص ٢٧٦) .

شاميّ المدينة ، خَرَج النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى جهتها في دخوله باطن المدينة ، ولا حُجَّةَ لمن قال إنها من جهة مكة إلا ما سَبَق من قول الولائد : «طَلَع البَدْرُ علينا من ثَنِيَّات الوَدَاع» ، وقد عَلِمْتَ ما فيه .

وروى البخارى عن السائب بن يزيد قال : «أَذْكُر أَنى خَرَجْتُ مع الصبيان نَتَلَقَّى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مَقْدمه من تَبُوك» . قال / الحافظ في فتح البارى: «أنكر الداوُدى هذا ، وتَبِعَه ابن القَيِّم وقال : ثَنِيَّةُ الوَدَاع من جهة مكة لا من جهة تَبُوك بل هى فى مقابلها كالمَشْرِق من المَغْرِب إلا أن يكون هناك ثَنِيَّة أخرى فى تلك الجهة». قال ابن حجر : «ولا يمنع كونها من جهة مكة[1] أن يكون الخروج إلى الشام من جهتها . وهذا أوضح كما فى دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى ، وينتهين كلهن إلى طريق واحدة» . قلتُ : وقد راجعت الهَدْى فى غزوة تَبُوك فرأيته ذكر أن ثنية الوَدَاع شامِيّ المدينة كما نقله عنه صاحب القاموس والسَّيِّد لا كما نقله عنه الحافظ ولم يَذْكُرْ فى الهَدْى فى الكلام على الهجرة شيئاً من ذلك[2] .

٤٢٢ظ

(١) فى الأصول : الحجاز . وذكر الحجاز لا يفيد فى تحقيق موقع ثنيات الوداع بالمدينة لأن المدينة تعد من الحجاز ولذلك آثرنا إثبات عبارة السمهودى .

(٢) حاول كثير من كتاب السير تحقيق موقع ثنيات الوداع التى وردت فى كتب الحديث والسيرة النبوية وكثر النقاش حولها ابتداء من عهد القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ومن أبرز من اشترك فيه ابن القيم وابن حجر ثم استأنف البحث فيه السمهودى المتوفى سنة ٩١١ فى كتابه وفاء الوفا والقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ هـ فى المواهب اللدنية ومؤلف هذا الكتاب المتوفى سنة ٩٤٢ هـ والديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ وعلى بن إبراهيم الحلبى صاحب السيرة الحلبية المتوفى سنة ١٠٤٤هـ وأخيرا محمد بن عبدالباقى الزرقانى المتوفى سنة ١١٢٢ هـ . وذلك فى شرحه لمواهب القسطلانى وتتفاوت كتابات هؤلاء فى عرضها وإيرادها للروايات المختلفة الخاصة بثنيات الوداع ونقدها والموضوع يتصل بما يسمى حديثاً بالجغرافية التاريخية وأقدر من كتب فيه هو من أتيحت له فرصة الإقامة فى المدينة والتجوال فى ربوعها وبقاعها مثل السمهودى . وقد أورد المؤلف جانباً مما كتبه فى هذا الصدد غير أن أوفى تلخيص له نجده فيما كتبه الديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٤٢) حيث قال : فى خلاصة الوفا للسمهودى : ثنية الوداع شامى المدينة خلف سوقها القديمة بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية قرب سلع . وقال عياض هى موضع بالمدينة بطريق مكة . وفى المواهب أنشئ هذا الشعر عند قدومه . رواه البيهقى فى دلائل النبوة وأبو الحسن ابن مقرى فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة . وسميت ثنية الوداع لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديماً . وصحح القاضى عياض هذا واستدل عليه بقول نساء الأنصار حين قدم عليه السلام . طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على أنه اسم قديم . وفى صحيح البخارى وسنن أبى داود والترمذى عن السائب ابن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح بأنها من جهة الشام . وقال ابن القيم فى الهدى النبوى : « هذا وهم من بعض الرواة فإن ثنية الوداع هى من جهة الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك » . لكن قال زين الدين العراقى : يحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع . ثم أضاف الديار بكرى قائلا : يشبه أن يكون هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات إذ لو كان المراد بها الموضع الذى هو من جهة الشام لم يجمع ، ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر=

«أضوأ» : أنْوَر . «المَنَعَة» : بفتح النون يقال فلان فى مَنَعَة أى فى عِزّ من قومه فلا يقدر عليه من يريده . «الثروة» : بفتح الثاء المثلثة كثرة المال . «البُحَيْرَة» : يأتى الكلام عليها فى باب أسماء المدينة . «قَوْقِل» : بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقاف مكسورة أى سِرْ حيث شئت فإنك آمن . «رانوناء» : [وهو وادٍ فى المدينة صلى فيه النبي الجمعة(1)]. «على فَتْرةٍ من الرُّسُل» : أى على انقطاع بَعْثهم ودروس أعلام دينهم. «ولو بِشِقّ تَمْرَة» : بكسر الشين المعجمة أى نصف تَمْرَة ، يريد لا يستقلون(2) من الصَّدَقة شيئاً . «مُزَاحِم» : [بضم الميم فزاى وكسر الحاء المهملة أُطُم كان بين ظهرانى بنى الحُبْلَى(3)] . «بنو الحُبْلَى» . [الحُبْلَى لقب سالم بن غَنْم بن عَوْف لُقِّب به لِعِظَم بطنه ومن وَلَدِه بنو الحُبْلى بَطْنٌ

= مرة عند قدومه من مكة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافى ما فى صحيح البخارى وغيره ولا ما قاله ابن القيم عن جابر إنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع ، فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج فإذا وقف على الثنية قيل قد ودع فسميت ثنية الوداع حتى قدم عروة بن الورد (وهو شاعر جاهلى أخباره فى الأغانى ج ٣ ص ٨٣ : ٨٨ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٩ م) فلم يعشر ثم دخل فقال : يا معشر يهود ما لكم والتعشير ؟ قالوا : لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات ولا يدخلها أحد من ثنية الوداع إلا قتله الهزال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية كذا فى وفاء الوفا .وجاء فى التاج : وعشر الحمار تعشيرا تابع النهيق عشرا ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه فهو معشر ، ونهيقه يقال له التعشير . قال عروة بن الورد : وإنى وإن عشرت من خشية الردى نهاق حمار إننى لجزوع ، وفى رواية لصدر هذا البيت : وإنى إن عشرت فى أرض مالك . ومعناه أنهم يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء وضع يده خلف أذنه فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ، ثم دخلها أمن من الوباء .

(١) بياض بالأصول والتكلة من معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢١٤) أوردناها مختصرة . وذكر ياقوت فى مادة رانوناء أنه لم يجدها فى غير كتاب ابن إسحق الذى لخصه ابن هشام ، مع أنه وردت روايات كثيرة عن وادى رانوناء ذكرها السمهودى فى وفاء الوفا (ج ٢ ص ٢١٢ : ٢٢٠) فى الفصل الخامس الذى عقده بعنوان : بقية أودية المدينة ومجتمعها ومغايضها . فقال : ومن هذه الأودية وادى رانوناء ويقال رانون . قال ابن شبة وأما سيل رانون فإنه يأتى من قة جبل فى يمانى عير ومن حرس شرق الحرة ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبدالله بن عمرو وعمرو بن عثمان ثم يتفرق فى الصفاصف فيصب فى أرض إسماعيل ومحمد ابنى الوليد بالقصبة ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا .. وفى رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانوناء تأتى من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة وتلتقى هى وواد آخر عند الجبل الذى يقال له مقمن أو مكمن.. ويلى ذلك تحقيقات جغرافية طريفة عن أودية المدينة ومسارها ومغايضها ومنها وادى رانوناء لا يتسع المقام لذكرها .

(٢) فى النهاية (ج ٢ ص ٢٣٠) : اتقوا النار ولو بشق تمرة أى نصف تمرة أى لا تستقلوا من الصدقة شيئا . واستقل الشىء وتقاله إذا رآه قليلا .

(٣) بياض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكلة من السمهودى (ج ٢ ص ٣٧٣) وأضاف السمهودى قائلا : وكان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

من الأنصار[1]] . «مُخْتَبِياً» : أى جمع ظَهْرَه وساقيه بثَوْب أو غَيْرِه ، وقد يَحْتَبى بيده والاسم الحِبْوَة بالكسر[2] . «شَرِق لذلك» : بشين معجمة مفتوحة فراء فقاف ، أى ضاق صَدْرُه كمن غَصَّ[3]. «تجلجلت» بجيمين : تَحَرَّكَت[4] . «الأَقْشَهْرِى» : [هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى عمل كتاباً سماه الروضة فيه أسماء من دُفِن بالبَقِيع[5]] . «أَرْزَمَتْ[6]» : براء فزاى صَوَّتَتْ «الجِرَان» : بكسر الجيم : مُقَدَّم عُنُق البعير من مذبحه إلى مَنْحَرِه ، فإذا بَرَك البعير ومَدَّ عُنُقَه على الأرض قيل ألقى جِرَانَه بالأرض . «انجفل[7] الناس» : أسرعوا . «الحُبّ»[8] : بضم الحاء المهملة : الخابية ويقال لها الزير . «تَيَمَّمْتُ» : قصدت . «القطيفة»[9] : دِثَارٌ له خَمْل . طَفَيْشَل : بفتح الطاء المهملة وفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة وباللام : نوع من المَرَق .

---

(١) بياض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكلة من القاموس المحيط وزاد الفيروز ابادى قائلا : «والنسبة إليها حبلى بالضم وبضمتين وكجهنى . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٥٨ : ٤٥٩) ومنهم بنو الحبل : سمى بذلك لعظم بطنه ومن بنى الحبل عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين .

(٢) فى القاموس المحيط : الحبوة بالفتح ويضم من احتبى بالثوب اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٣) من غص بالماء يغص غصا وغصصاً وقف فى حلقه فلم يكد يسيغه فهو غاص وغصان .

(٤) لم نعثر على تجلجلت بجيمين فى كتب غريب الحديث . ولكنها وردت فى النهاية (ج ٤ ص ٥٢) تلحلحت بحاءين مهملتين أى أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح وهو ضد تحلحل . هذا وإذا كان المراد أن تكون الناقة قد تحركت فيمكن أن يقال تحلحلت بحاءين مهملتين مع تقديم الحاء على اللام . وذكر هذا المعنى أيضا الزمخشرى فى الفائق (ج ٢ ص ٤٥٦)

(٥) بياض بالأصول بقدر عدة كلمات والتكلة من كتاب الإعلان بالتوبيخ للسخاوى (ص ١٣٠) وينتسب صاحب الروضة إلى بلدة أق شهر فى شمال شرق الأناضول وتوفى الأقشهرى سنة ٧٣١ هـ أو سنة ٧٣٧ هـ أو سنة ٧٣٩ هـ كما فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٠٩) ويقول فرانز روزنتال فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ص ١١٢) إن الأقشهرى قام بأبحاث أثرية فى المدينة .

(٦) فى النهاية (ج ٢ ص ٧٩) : إن ناقته تلحلحت وأرزمت أى صوتت والإرزام الصوت لا يفتح به الفم . وفى القاموس المحيط الرزمة محركة صوت الصبى والناقة وذلك إذا رعت ولدها تخرجه من حلقها وأرزم الرعد اشتد صوته أو صوت غير شديد وأرزمت الناقة حنت على ولدها .

(٧) فى النهاية (ج ١ ص ١٦٨) : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله أى ذهبوا مسرعين نحوه يقال جفل وأجفل وانجفل . هذا وجفل يجفل جفولا من باب ضرب مضى وأسرع .

(٨) الحب – كما أشرنا إلى ذلك فى حاشية سابقة – فارسى معرب خنب ، وهو وعاء كالزير والجرة والجمع أحباب وحببة وحباب .

(٩) القطيفة كساء له خمل عن النهاية أو دثار ذو أهداب كأهداب الطنافس . وجمع قطيفة قطائف وقطف بضمتين ، والخمل هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

«ثَوَى» : أقام . «البِضْع[1]» : بالكسر ويُفتَح من الثلاث إلى التسع . «الحِجَّة» : بالكسر هنا : السَّنَة . «مُوَاتيا[2]» : موافقاً . «أَلْفَى» : وَجَد[3]. «النَّوَى» : بلفظ نَوَى التَّمْر : البُعْد . «بادياً» : ظاهراً . «نائياً» : بعيداً . «من جُلِّ مالِنا[4]» : مُعْظَمِه «الوَغَى» : بفتح الواو والغين المعجمة : الحرب[5] . «التَّأَسِّى» : التعاون . «البِيْعَة» : المَسْجِد[6] . «حَنَانَيْك»: أى تَحَنُّناً بعد تَحَنُّن والتَّحَنُّن الرأفة والرحمة . «فطأ مُعْرِضاً» : بضم الميم وسكون العين المهملة وكَسْر الراء والضاد المعجمة : أى مُتَّسَعاً[7]. «الحتوف» جَمْع حَتْف وهو الموت ، والحتوف هنا أسباب المَوْت وأنواعه . «ولا تَحْفِلْ» : بحاء مهملة ففاء أى لا تُبَالِى ، يُقَال حفلت بكذا باليت[8] به «النَّخل» بالخاء المعجمة اسم جنس جمعى واحده نَخْلَة «المعيمةُ» بضَمّ الميم وكَسْر العين المهملة وسكون التحتية : أى العاطشة من العَيْمَة بفَتْح العين المهملة

---

(١) فى المصباح البضع فى العدد بالكسر وبعض العرب يفتح واستعماله من الثلاثة إلى التسعة وعن ثعلب من الأربعة إلى التسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال : بضع رجال وبضع نسوة . ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن تثبت الهاء فى بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين وأجازه بعض المشايخ فيقول بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امرأة . وفى المعجم الوسيط لا يستعمل مع المائة والألف

(٢) فى النهاية (جـ ١ ص ١٥) فى الحديث : خير النساء المواتية لزوجها : المواتاة حسن المطاوعة والموافقة وأصله الهمز فخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة . وفى المصباح واتيته على الأمر مواتاة .

(٣) فى النهاية (جـ ٤ ص ٦٢) : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته أى لا أجد ولا ألقى ، يقال ألفيت الشىء ألفيه إلفاء إذا وجدته وصادفته ولقيته .

(٤) فى رواية من حل مالنا .

(٥) فى المصباح : الوغى ، مقصور : الجلبة والأصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جنى : الوعى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها .

(٦) فى التاج البيعة بالكسر متعبد النصارى وقيل كنيسة اليهود والجمع بيع كعنب . وفى تفسير القرطبى للآية ٤٠ من سورة الحج (جـ ١٢ ص ٧١) . البيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى وقال الطبرى قيل هى كنائس اليهود ، ثم أدخل عن مجاهد ما لا يقتضى ذلك . هذا ويتضح مما سبق أن البيعة ليست المسجد .

(٧) أوردنا فى حاشية سابقة شرح الزبيدى فى التاج : يقال طأ معرضاً حيث شئت أى ضع رجلك حيث شئت ولا تتق شيئا .

(٨) من حفل الشىء والأمر وبه يحفله ويحفل به حفلا من باب ضرب عنى وبالى . وفى النهاية (جـ ١ ص ٩٥) : وتبقى حثاله لا يباليهم الله بالة أى لا يرفع لهم قدرا وأصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفا . يقال ما باليته وما باليت به أى لم أكترث به .

وهو العَطَش ، وأكثر ما يُقال فى الَّلبَن . «رَبّها» : صاحبها . «ريًّا» :[1] أى مرتوية من الماء «ثاوياً[2]» : بالمثلثة وآخره مُثَنَّاة تحتية ، ويُرْوَى «تاوِياً[3]» بالمثناة الفوقية من التَّوَى وهو الهلاك .

(١) من روى من الماء ونحوه يروى ريا بالفتح والكسر وكذلك روى ، شرب وشبع فهو ريان والمرأة ريا وزان غضبان وغضبى والجمع فى المذكر والمؤنث رواء وزان كتاب . وروى البعير الماء يرويه من باب رمى حمله .

(٢) ثاويا أى مقيما من ثوى بالمكان وفيه يثوى ثواء وثويا أقام واستقر .

(٣) من توى المال يتوى توى ذهب فلم يرج ، وتوى الإنسان هلك فهو تو ، والتوى الهلاك .

جُمَّاعُ أَبْوَابِ بَعْضِ فَضَائِلِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ

الباب الأول

فى بَدْء شَأْنِهَا

٤٢٣ و

عن عائشة رضى الله عنها[1] / أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَكَّة بَلَدٌ عَظَّمَه الله، وعَظَّمَ حُرْمَتَه ، خَلَقَ مكة وحَفَّها بالملائكة قبل أن يَخْلُقَ شيئاً من الأَرض بأَلف عام ، ووَصَلَها بالمدينة ، ووَصَل المدينةَ ببيت المَقْدِس ، ثم خَلَقَ الأَرْضَ كُلَّها بعد أَلْف عام خَلْقاً واحِداً » . وعن عَلِيّ رضى الله عنه : قال : « كانت الأَرْضُ ماءً فبعث الله ريحاً فمسحت الأَرْضَ مسحاً فظهرت على الأَرض زبدة فقسمها أَربع قطع ، خلق من قطعة مكة والثانية المدينة والثالثة بيت المقدس والرابعة الكوفة . رواهما الحافظ أَبو بكر بن أَحمد [بن محمد[2]] الواسطى [الخطيب[3]] فى كتابه فضائل بيت المقدس بِسَنَدٍ لا بأْس به خلافاً لقول السيد إنهما واهيان ، فإنى لم أَجد فى سندهما من تُكُلِّم فيه سوى ابن لهيعة وهو صدوق اختلط [بأَخَرَة[4]] والترمذى يُحَسِّنُ له .

وروى الطبرانى عن ذى مِخْبَر ، وهو بكَسْر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة وقيل بَدَلُها ميم ، وهو ابن أَخي النجاشى[5] رضى الله عنهما أن رسول اللهُ صلى الله عليه وسلم قال : إن الله [عز وجل] اطَّلَع إلى أَهل المدينة وهى بطحاء قبل أن تعمر ، ليس فيها

---

(١) هذا الحديث من رواية ابن لهيعة بسنده مرفوعاً .

(٢) زيادة من الإعلان بالتوبيخ للسخاوى (ص ١٢٤) حيث ذكر من كتب فى تاريخ بيت المقدس وفضائله ومنهم الواسطى الذى أطلع – فيما يبدو – مؤلف هذا الكتاب شمس الدين الشامى على كتابه مما يدل على أن كتاب الواسطى كان لا يزال موجوداً فى أوائل القرن العاشر الهجرى . ولكنا لا نجد له ذكرا فى الدراسات الحديثة عن الجغرافية التاريخية لفلسطين فى العصور الوسطى وخاصة فى كتاب فلسطين فى عهد المسلمين للمستشرق جى لوسترانج (أكسفورد سنة ١٨٩٠ م) الذى بناه على مؤلفات الكتاب والجغرافيين العرب حتّى أوائل القرن العاشر الهجرى .

(٣) زيادة من الإعلان بالتوبيخ ص ١٢٤ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق مستمدة من ترجمته فى تذكرة الحفاظ (جـ ١ ص ٢١٩ : ٢٢٠) وميزان الاعتدال (رقم ٤٥٣٠) .

(٥) فى أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٤٤) : ذو مخبر ويقال ذو مخمر ، وكان الأوزاعى لا يرى إلا مخمر بميمين وهو ابن النجاشى ملك الحبشة معدود فى أهل الشام وكان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه أبو حى المؤذن وجبير بن نفير والعباس بن عبد الرحمن وعمرو بن عبد الله الحضرمى. وكان ذو مخمر فيمن قدم من الحبشة إلى النبى وكانوا اثنين =

مَدَرة ولا وَبَرَة ، فقال : « يا أَهْلَ يَثْرِب إِنى مُشْتَرِطٌ عليكم ثلاثاً ، وسَائِقٌ إِليكم من كل الثَّمَرَات : لا تعصى ولا تعلى [ولا تكبرى[1]] ، فإِن فَعَلْتِ شيئاً من ذلك تَرَكْتُك كالجَزُور لا يمنع من أكله » . وقيل : أَوَّلُ مَنْ عَمَر بها الدُّور والآطام ، وزَرَع وغَرَس ، العماليق بنو عِمْلَاق بن أَرْفَخْشَد بن سام بن نوح ، وأخذوا ما بَيْنَ البَحْرَيْن وعُمَان والحجاز إلى الشام ومصر ، ومنهم الجبابرة والفراعنة .

وقال أبو المُنْذِر الشَّرْق بن القطامى[2] : سَمِعْتُ حديث تأْسيس المدينة من سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وسَمِعْتُ أيضاً بَعْضَ ذلك من رَجُلٍ من قريش عن أبى عُبَيْدة ابن عبد الله بن عَمَّار بن ياسر ، فَجَمَعْتُ حديثهما لكثرة اتفاقه وقلة اختلافه ، قالا : «بَلَغَنَا أنه لمَّا حَجَّ موسى صلوات الله عليه حَجَّ معه أُنَاسٌ من بنى إسرائيل ، فلما كان فى انصرافهم أَتَوْا على المدينة فَرَأَوْا مَوْضِعَها صِفَةَ بَلَدِ نَبِىٍّ يجدون وَصْفَه فى التوراة بأنه خاتَم النَّبِيِّين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلَّفوا به ، فنزلوا فى موضع سوق

= وسبعين رجلا ولزم ذو مخمر النبى يخدمه وعده بعضهم فى مواليه . وفى الإصابة (جـ ٢ ص ١٧٨) : ذو مخمر الحبشى ابن أخى النجاشى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وخدمه ثم نزل الشام وله أحاديث أخرج منها أحمد وأبو داود وابن ماجة هذا وقد عقد الشيخ أحمد الحفنى القنائى الأزهرى فى كتابه : « الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان » (بولاق سنة ١٣٢١هـ) فصلا فى تراجم الأحباش فى الجاهلية والأحباش من الصحابة ترجم فيه لذى مخمر (ص ١٣١ : ١٣٣) حيث نقل عن السيوطى فى كتابه رفع شأن الحبشان : قال : ذو مخمر هو بميمين بينهما خاء معجمة وقيل بباء موحدة بعد الخاء ابن أخى النجاشى أصحمة ملك الحبشة قدم على النبى مع من قدم عليه من الحبشة صحبة جعفر بن أبى طالب ولزم النبى ملازمة كلية حتى عده بعض العلماء من مواليه لكثرة ملازمته خدمة النبى صلى الله عليه وسلم . ثم أورد السيوطى ما رواه ذو مخمر من الأحاديث وقال بأنه نزل الشام ومات بها فى حدود الستين بعد الهجرة . وفى البداية والنهاية لابن كثير (جـ ٢ ص ٧٨) أن النجاشى أرسل ابن أخيه ذا مخمر ليخدم النبى صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه .

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٨٣) لتكلمة الثلاث التى اشترطت على أهل يثرب .

(٢) فى الأصول : شرق بن قطامى دون أداة التعريف فى الاسمين ولكنا أثبتنا الاسم كما أورده المسعودى فى مروج الذهب (جـ ١ ص ٢١٣ بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) وكنيته فى الفهرست لابن النديم (ص ١٣٢ : ١٣٣) أبو المثنى وليست أبا المنذر وقال ابن النديم إن اسمه الوليد بن الحصين وإنه أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين وترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (جـ ٩ ص ٢٧٨ : ٢٧٩) وقال بأن الشرقى كان عالماً بالنسب وافر الأدب وأن أبا جعفر المنصور أقدمه بغداد وضم إليه المهدى ليأخذ من أدبه : والشرقى لقب غلب عليه واسمه الوليد بن الحصين . والحصين والد الشرقى هو المعروف بالقطامى . وقال إبراهيم الحربى : شرقى بن قطامى كوفى قد تكلم فيه وكان صاحب سمر ، هذا ولم يذكر الخطيب تاريخ مولده أو وفاته وذكره السخاوى فى الإعلان بالتوبيخ (ص ١٥٥) فى عداد المؤرخين وفى السمهودى وأسعد رزين عن ابن المنذر الشرقى (جـ ١ ص ١١٠) ، والخطأ فى تسمية الشرقى ابن المنذر وتصويبها ليست بأبى المنذر فكنيته كما ذكر ابن النديم : أبو المثنى .

بنى قَيْنُقَاع ، ثم تَأَلَّفَتْ إليهم أُنَاسٌ من العرب فرجعوا إلى دينهم ، فكانوا أَوَّلَ من سَكَن مَوْضِعَ المدينة . ويُذْكَر أن قوماً من العمالقة سكنوه قبلهم .

وروى أبو نُعَيْم وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بلغنى أن بنى إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بختنصَّرعليهم [وفُرْقتِهم وذِلَّتِهم[1]] تَفَرَّقُوا ، وكانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم مَنْعُوتاً فى كتابهم ، وأنه يظهر فى بعض هذه القُرَى العربية فى قرية ذات نَخْلٍ ، ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يَعْبُرُونَ كُلَّ قريةٍ من تلك القرى العربية بين الشام واليمن ، يَجِدون نَعْتَها نَعْتَ يَثْرِب فينزل بها طائفةٌ منهم يرجون أن يَلْقُوا محمداً فَيَتَّبِعُونَه حتى نزل طائفةٌ من بنى هرون ممن حمل التوراة إلى يَثْرِب ،فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وَيُحثُّون أبناءهم على اتِّباعه ، فأدركه من أدركه من أبنائهم ، فكفروا به وهم يعرفونه لحَسَدهم الأنصار حيث سبقوهم إليه .

وروى الزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن التيمى وغيره من أهل المدينة قال : « كان بالمدينة فى سالف الزمان قومٌ يقال لهم : صَعْل وفالِج ، فغزاهم داود النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ منهم مائة ألف عذراء ، قالوا : وسَلَّط الله عليهم الدود فى أعناقهم فهلكوا . ولم تزل اليهود ظاهرين على المدينة حتى كان سيل العَرِم . قال المُفَسِّرون : كانت أرض سَبَأ المَعْنِيَّة بقوله تعالى : «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور[2]» أخصب بلاد الله لم تكن سبخة [وقيل][3] لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب . ولا حَيَّة ، ويمر الغريب بواديهم وفى ثيابه القمل فيموت ،وتخرج المرأة وعلى رأسها مِكْتَلُها فتعمل بمغزلها وتسير بين ذلك الشَّجرَ فيمتلئ مما يتساقط من الثَّمرَ ، [وكان طول بلدهم[4]] أكثر من شهرين للراكب / المُجِدّ وكذلك عَرْضها ، وأهلها فى غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة . وكانوا كما قَصَّ الله تعالى من خبرهم بقوله : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا

٤٢٣ ظ

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١١٢)

(٢) من الآية الخامسة عشرة من سورة سبأ .

(٣) زيادة من الكشاف (جـ ٢ ص ٢٠٣) .

(٤) زيادة من مروج الذهب للمسعودى .

قُرًى ظاهرةً)[1] أى يُرَى بَعْضُها من بعض لتقاربها [فكانوا آمنين فى بلادهم[2]] ، تخرج المرأة لا تتزود شيئاً تبيت فى قرية وتَقِيل فى أُخرى حتى تأْتى الشام . فبطروا النعمة (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا[3]) ، أى بمفاوز بينهم وبين الشام يركبون فيها الرَّوَاحِل ، فَعَجَّل الله لهم الإجابة كما قال تعالى : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ومَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّق[4] » .

« وكانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بلقيس بواديهم فسُدَّ بالعَرِم وهو المُسَنَّاة[5] بلغة حِمْيَر ، فَسَدَّتْ ما بين الجَبَلَيْن بالصَّخْر والْقار ، وجعلت له أبواباً ثلاثة بَعْضُها فوق بعض ، وبَنَتْ من دونه بِرْكةً ضخمة ، وجعلت فيها اثنى عشر مخرجاً على عدة أنهار يفتحونها إذا احتاجوا إلى المـاء ، وإذا استَغْنَوْا سَدُّوها ، فإذا جاء ماء المطر اجتمع إليه ماءُ أودية اليمن فاحتبس السَّيْلُ من وراء السَّدّ ، فأَمرت بالباب الأعلى فَفُتِح فجرى ماؤه فى البِرْكة ، فكانوا يستقون من الباب الأَعلى ثم من الثانى ثم من الثالث فلا يَنْفَد المـاء حتى يرجع المـاء من السنة المقبلة ، فكان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر فى واديهم فيجتمع المـاء من تلك السيول والجبال فى ذلك الوادى . وكان السَّدُّ فرسخاً فى فرسخ بناه لقمان الأكبر العادىّ وقيل سبأُ بن يَشْجُب ، ومات قبل إكماله فأَكمله ملوك حِمْيَر .

« وكان أولاد حمير بن سبأ وأولاد كهلان بن سبأ سادة اليمن فى ذلك الزمان وكان كبيرهم عَمْرو مُزَيْقِيَاء[6] بن عامر ماء السماء ، وكانت زوجة عَمْرو يقال لها طريفة ، من حمير وكانت كاهنة ، فولدت له ثلاثة عشر ولداً : ثعلبة أبو الأَوْس والخزرج ، وحارثة والد خزاعة ، وجَفْنَة والدغَسَّان ــ وقيل فيهم غَيْرُ ذلك ــ وَوَلَدَتْ له وَدَاعة وأبا حارثة والحارث وعَوْفاً وكعباً ومالكاً وعمراناً هؤلاء أعقبو [كُلُّهم] والثلاثة الباقون لم يُعْقِبُوا .

---

(١) سورة سبأ آية ١٨ .

(٢) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١١٧) .

(٣) سورة سبأ آية ١٩

(٤) سورة سبأ آية ١٩ .

(٥) فى المصباح : المسناة حائط يبنى فى وجه الماء ويسمى السد .

(٦) سمى عمرو مزيقياء لأنه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها أحد بعده ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ص ٤٣٥ . وقيل لأبيه عامر ماء السماء لجوده وقيامه عند الجدب مقام الغيث . انظر وفاء الوفا (جـ ١ ص ١١٧) .

وكان لعمرو مُزَيْقِيَاء من القصور والأموال ما لم يكن لأحد فرأى أخوه عمران وكان كاهِناً[1] أن قَوْمَه سَيُمَزَّقُون وتَخْرَبُ بلَادُهُم فذكره لعمرو . ثم أن طريفَة الكاهنة سَجَعت[2] له بما يدل على ذلك فقال : وما علامته[3] ؟ قالت : إذا رَأَيْتَ جُرَذاً يُكْثِرُ في السَّدِّ الحَفْر ، ويَقْلِبُ منه بيديه الصَّخْر [فاعلم أنْ قد وَقَعَ الأمر[4]] .

« فلما غَضِبَ الله تعالى عليهم وأذِن في هلاكِهم دخل عَمْرو بن عامر فرأى جُرَذاً[5] تَنْقُلُ أولادَها من بطن الوادى إلى أعلى الجَبَل فقال : ما نَقَلَتْ هذه أولادَها من ههنا إلا وقد حَضَرَ أهل هذه البلاد عَذَابٌ فخرقت ذلك العَرِم فَنَقَبَتْ نَقْباً ، فسال الماءُ من ذلك النَّقْب إلى جَنْبِه فأمر بذلك النَّقْب فَسُدَّ ، فأصبح وقد انفجر بأعظم مما كان ، فأمر به أيضاً فَسُدَّ ، ثم انفجر بأعظم مما كان فلم يَتْرُكْ فُرْجَةً بين حَجَرَيْن إلا أمر بربط هِرَّةٍ عندها فما زاد الأمر إلا شِدَّة ، وكان الجُرَذ يَقْلِب [بيديه ورِجْلَيْه[6]] الصَّخْرَة ما يَقْلِبُها خمسون رجلاً . فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال : إذا جَلَسْتُ العَشِيَّةَ في نادى قومى فَأْتِنِى فَقُلْ : عَلَامَ تَجْلِس على مالى ؟ فإنى سأقول لك : ليس لَكَ عندى مال ولا تَرَكَ أبوك شيئاً وإنك كاذب . فإن كَذَّبْتُك فكَذِّبْنِى وارْدُدْ عَلَيَّ مِثْلَ ما قُلْتُ لك ، فإذا فَعَلْتَ ذلك فإنى سَأَشْتُمُكَ إذا أنت شَتَمْتَنِى وإن أنا لَطَمْتُكَ فالطمنى . قال : ما كنتُ لأستقبلك بذلك يا عَمّ . قال : بَلَى فافعل فإنى أريد بذلك صَلاحَك وصلاحَ أهل بيتك . فقال الفتى :

---

(١) بل كلمة كاهناً : ولم يعقب ، ويناقض هذا ما أورده المؤلف من أن عمراناً كان ممن أعقبوا ، ونقل السمهودى عن ياقوت أن عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم وصارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن وكان عاقراً لا يولد له وأنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة .

(٢) من سجعات طريفة الكاهنة : إن الذى رأيت فى الغيم أذهب عنى النوم ، رأيت غيماً أرعد وأبرق ، طويلا ثم أصعق ، فما وقع على شىء إلا احترق ، فما بعده إلا الفرق ، وقالت أيضاً : والنور والظلماء والأرض والسماء ، إن الماء لغائر وإن الشجر لهالك . فقال لها عمرو ومن أخبرك بذلك قالت : أخبرتنى المناجذ بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد ، وسلحفاة تحذف بالتراب حذفاً وتقذف بالبول تقذفاً . قيل لها وما ترين ؟ قالت : داهية وكيمة وأمور جسيمة . ومن الطريف فى هذه القصة التى أورد السمهودى كثيراً من أخبارها أن عمرو مزيقياء كان يلتزم أيضاً السجع فى مناقشته لطريفة الكاهنة .

(٣) فى رواية : وما علامة ما تذكرين ؟

(٤) بياض بالأصول والتكلة من السمهودى (جـ ١ ص ١١٨) .

(٥) فى المصباح الجرذ الذكر من الفأر وقال بعضهم هو الضخم من الفئران والجمع جرذان بالكسر مثل صرد وصردان .

(٦) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١١٨) .

نعم ، حيث عرف رأى عَمْرو . فجاء ، فقال ما أَمَرَه به حتى لَطَمَه فتناول الفتى[1] عَمَّه فلطمه . فقال / الشيخ : «يا مَعْشَر بنى فلان أَأُلْطَمُ فيكم ؟ لاسَكَنْتُ فى بَلَدٍ لطمنى فيه فلان أبداً ، من يبتاع منى[2] ؟ » فلما عرف القوم منه الجدَّ أَعْطَوْه ، فنظر إلى أفضلهم عَطِيَّةً فأَوْجَبَ له البَيْع ، فدعا بالمال ، فَنَقَدَهُ ، وتَحَمَّل هو وبنوه من ليلته ، وفى رواية : أن الثَّمَنَ لَمَّا صار فى يده قال : أَىْ قَوْم إن العذابَ قد أَظَلَّكُم ، وزوالَ أَمْرِكم قد دَنَا فمن أَراد منكم مَنْزِلاً[3] جديداً وجَمَلاً شديداً وسفراً بعيداً فَلْيَلْحَقْ بِعُمَان ، ومن أَراد منكم الخَمْرَ والخَمِير [والديباجَ والحرير ، والأَمْرَ والتأْمير[4]] فَلْيَلْحَقْ ببُصْرَى [وسدير[5]] ومن أَراد منكم الرَّاسِخات فى الوَحْل المُطْعِمَات فى المَحْل ، المُقِيمات فى الضَّحْل فليلحق بيَثْرِب ذات النَّخْل ، فخرج أَهْلُ عُمَان إلى عُمَان ، وخرجت غَسَّان إلى بُصْرَى ، وخرجت الأَوْس والخزرج وبنو كعب بن عَمْرو إلى يَثْرِب ، فلما كانوا ببطن مَرّ قال بنو كعب : هذا مَكَانٌ صالح لا نَبْغِى به بدلاً ، فلذلك سُمُّوا خُزَاعة[6] لأَنهم انخزعوا عن أَصحابهم ، وَأَقْبَلَتْ الأَوْس والخزرج حتى نزلوا بيثرب » .

٤٢٤ و

---

(١) ذكر ابن هشام (جـ١ ص ٩ : ١٠) الذى أورد هذه القصة مختصرة أن ما حدث كان بين عمرو بن عامر وأصغر أبنائه . فقد جاء فيها : فكاد عمرو قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به . فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غضبة عمرو . فاشتروا منه أمواله .

(٢) العبارة التى نقلها السمهودى (جـ ١ ص ١١٩) فى هذا الصدد عن رزين فى تاريخه أقوى من تلك التى أوردها المؤلف . فقد جاء فيها : فصاح عمرو واذلاه ، اليوم ذهب فخر عمرو ومجده ، فحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا به حتى تركه وقال : والله لا أقيم ببلد صنع بى هذا فيه أبداً ولأبيعن أموالى كلها وأرحل عنكم .

(٣) فى الأصل : داراً وأثبتنا منزلا ليستقيم السجع .

(٤) فى الأصل : الخمر والخمير والعصير . وإضافة العصير هنا لا معنى لها وأثبتنا رواية السمهودى .

(٥) أضاف السمهودى ، بعد كلمة سدير ، وهما من أرض الشام . هذ وفيما نقله رزين يعد أوفى مما أورده المؤلف فقد روى أن عمرو بن عامر قال لهم عند خروجهم سأصف لكم البلاد فقال : من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومراد حديد فليلحق بقصر عمان المشيد فسكنها أزد عمان ومن كان منكم ذا هم غير بعيد وجمل غير شديد ومراد غير حديد فليلحق بالشعب من كرود وهى أرض همدان فكان الذى سكنوه وداعة بن عمرو بن عامر فانتسبوا فى همدان ومن كان منكم ذا هم مدن وجمل معي فليلحق بالشى من شن وهو بالسراة فسكنه أزد شنوءة ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والكنوز من الأرزاق فليلحق بالعراق فكان الذين لحقوا بالعراق جذيمة الأبرش ومن كان يريد الخمر والخمير . . . إلى آخره .

(٦) قال ابن دريد : اشتقاق خزاعة من قولهم انخزع القوم عن القوم إذا انقطعوا عنهم وفارقوهم ، وذلك أنهم انخزعوا عن جماعة الأسد أيام سيل العرم ، لما أن صاروا إلى الحجاز فافترقوا بالحجاز فصار قوم إلى عمان وآخرون إلى الشام قال حسان : فلما قطعنا بطن مر تخزعت خزاعة منا فى جموع كراكر ، انظر الاشتقاق (ص ٤٦٨) .

« ولما أراد الله ما أراد من تفريق من بَقِيَ وخرابِ بلادهم أقبلت فأْرةٌ حمراء إلى هِرَّة من تلك الهِرَر فساوَرَتْهَا حتى استأْخرت عنها الهِرّة ، فدخلت [الفأْرةُ] فى الفُرْجَة التى كانت عندها فتغلغلت بالسدّ فَحَفَرَتْ فيه حتى وَهَّنَتْهُ للسَّيْل وهم لا يَدْرُون ، فلما جاء السَّيْل وجد خَلَاءً فدخل فيه حتى قَلَع السَّدَّ وفاض من الماء على الأَموال فاحتملها ، فلم يَبْقَ منها إلا ما ذكر الله تعالى » .

« ولما قَدِمَتْ الأَوس والخزرج المدينة تَفَرَّقُوا فى عاليتها وسافلتها ومنهم من نزل مع بنى إسرائيل فى قُرَاهم ومنهم من نزل وحده لامع بنى إسرائيل ولا مع العرب الذين تَأَلَّفُوا[1] إلى بنى إسرائيل ، وكانت الثروة فى بنى إسرائيل ، ولهم قُرَى عَمَرُوا بها الآطام . فمكثت الأَوس والخزرج ما شاء الله ، ثم سأَلوا اليهود فى أن يَعْقِدوا بينهم جِواراً وحِلْفًا يَأْمَنُ به بَعْضُهم من بعض ، ويمتنعون به مِمَّن سِوَاهم ، فتحالفوا وتعاقدوا [واشتركوا وتعاملوا[2]] فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، وأَمِرَتْ[3] الأَوْس والخزرج ، وصار لهم مالٌ وعَدَد ، فخافت قُرَيْظَةُ والنَّضير أن يَغْلبوهم على دُورِهم [وأَموالهم[2]] ، فَتَنَمَّرُوا لهم حتى قطعوا الحِلْفَ [الذي كان بينهم[2]] فأَقامت الأَوس والخزرج [فى منازلهم][2] خائفين أن يُجْلِيَهُمْ يهود ، حتى نَجَمَ منهم مالك بن العَجْلان ، أخو بنى سالم بن عَوْف بن الخزرج وسوَّدَهُ الحَيَّان الأَوس والخزرج » .

« وكان ملك اليهود الفِطْيَوْن[4] شَرَطَ أَلا تُهْدَى عروس[5] إلى زوجها حتى تَدْخُلَ عليه ، فلما سَكَن الأَوس والخزرج المدينة أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة . فتزوَّجت أُخت مالك بن العَجْلان رَجُلاً من بنى سالم ، فأَرسل الفِطْيَوْن رسولاً فى ذلك ، وكان مالك

---

(١) فى الأصول : بالغوا ، وهى تصحيف .

(٢) زيادة من السمهودى (ج ١ ص ١٢٥) .

(٣) فى ط : وأثمرت وفى ت وم : أنتمرت ، وفى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ من وفاء الوفا : وأمرت بتشديد الميم ، ونعتقد أن الصواب : وأمرت ، فأمر الشىء يأمر أمراً وإمارة من باب فرح : كثر وتما فهو أمر ، يقال قل بنو فلان بعد ما أمروا أى بعد أن كانوا كثيرى العدد .

(٤) جاء فى الاشتقاق (ص ٤٣٦) : الفطيون الملك وهذا اسم عبرانى وكان الفطيون تملك بيثرب فقتله رجل من الأنصار قبل أن يسموا بهذا الاسم فى الجاهلية الأولى .

(٥) فى الأصول : ألا تدخل امرأة على زوجها وأثبتنا رواية رزين عن الشرقى بن القطامى التى أوردها السمهودى (ج ١ ص ١٢٦ : ١٢٧) .

غائباً ، فخرجت أُختُه فى طلبه ، فَمَرَّتْ به فى قَوْمٍ ، فنادته ، فقال : لقد جِئْتِ بِسُبَّة ، تُنَادينى ولا تَسْتَحِى . فقالت : إن الذى يُرَاد بى أكبر ، فأَخْبَرَتْهُ . فقال لها : أَكْفِيكِ ذلك . فقالت : وكيف ؟ فقال : أَتَزَيَّى بِزِيِّ النساء وأَدخل مَعَكِ عليه بالسيف ، فأَقتلُه . ففعل . ثم خرج حتى قَدِمِ الشام على أَبى جُبَيْلَة[1] ، وكان نزلها حين نزلوا هم بالمدينة فَجَيَّش جيشاً عظيماً وأَقبل كأَنه يريد اليَمَن ، واختفى معهم مالك بن العجلان ، فجاء فنزل بذى حُرُض[2] ، وأَرسل إلى أَهل المدينة من الأَوس والخزرج [فأَتوا إليه[4]] فوصلهم ثم أَرسل إلى بنى إسرائيل وقال : من أَراد الحِبَاء[3] [من][4] الملك فليخرج إليه [وإنما فعل ذلك][4] مخافة أَن يتحصنوا [فى الحصون][4] فلا يَقْدِر عليهم فخرج إليه أَشرافُهم ، فأَمر لهم بطعام حتى اجتمعوا فقتلهم فصار الأَوس والخزرج أَعَزَّ أَهل المدينة » .

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق

« حَفَّها » : أَحدق بها . « الزُّبْدَة » . بفتحتين : الرَّغْوَة . « البَطْحاء » : الأَرض المتسعة . « مَدَرَة » : جَمْعُها مَدَر ، مثل قَصَبَة وقصب قال الأَزهرى : المَدَر[5] قِطَع الطين . « المِكْتَل » : بكسر الميم وسكون الكاف وفتح المثناة الفوقية : الزِّنْبِيل . « صَعْل » : بصاد فعَيْن مهملتين فلام . « فالِج » : بالجيم « المُسَنَّاة » : [حائط يبنى فى وجه الماء ويسمى السَّدّ][6] « العَرِم » : جمع عَرِمَة[7] « السَّكْر »[8] : بفتح السين المهملة

---

(١) فى الأصول : أبوجبلة والتصويب من الاشتقاق (ص ٤٦١) حيث قال ابن دريد : بنو زريق بطن من بطون الخزرج كان منهم أبو جبيلة الملك الغسانى الذى جاء به مالك بن العجلان فقتل اليهود بالمدينة . كما ورد أبو جبيلة بهذا الضبط فى معجم البكرى وفى السمهودى .

(٢) فى ت وم حوض . وفى معجم البكرى (ﺣ ٢ ص ٣٤٩) حرض بضم أوله وثانيه وضاد معجمة واد يدفع فى رحقان ورحقان يدفع فى الصفراء وهو وادى يليل . وبذى حرض نزل أبو جبيلة الغسانى لما استنصره الحيان : الأوس والخزرج على اليهود فآلى ألا يمس طيباً ولايقرب امرأة حتى ينتصر لهم . فلما نزل بهذا الموضع بعث إلى يهود لتأتى ففعلوافأبارهم.

(٣) فى الأصول الحياء بالياء وكذلك فى السمهودى ولا يستقيم بها المعنى وأرجح أنه الحباء بالباء الموحدة أى العطاء .

(٤) زيادة من السمهودى .

(٥) يقصد بالمدر فى قصة سكنى المدينة سكان البيوت المبنية أى أهل القرى والحضر ويقابلهم أهل الوبر أى أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر .

(٦) بياض بالأصول بمقدار عدة كلمات والتكلة من المصباح .

(٧) وزان كلم جمع كلمة . وفى صحيح البخارى فى كتاب التفسير (ﺟ ٦ ص ٢١٨) : العرم السد ماء أحمر أرسله الله فى السد فشقه وهدمه وحفر الوادى . ولم يكن الماء الأحمر من السد ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء ، والعرم المسناة بلحن أهل اليمن وقيل العرم الوادى . وحكى السهيلى فى الروض (ﺟ ١ ص ١٥) أن المراد بالعرم المياه وقيل الوادى وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع . وأورد القرطبى (ﺟ ١٤ ص ٢٨٥ : ٢٨٦) ماروى فى تفسير سيل العرم وكذلك ابن كثير فى تفسيره (ﺟ ٣ ص ٥٣٢ : ٥٣٣) .

(٨) فى القاموس المحيط السكر بالفتح سد النهر وبالكسر الاسم منه .

وسكون الكاف : أى السَّدّ الذى يحبس الماء ، قال ابن الأعرابى : السَّيْل الذى لا يُطاق وقيل العَرِم الوادى وأصله من العرامة وهى الشِّدَّة والقوة[1] . « الضَّحْل » : بالضاد المعجمة والحاء المهملة الساكنة : القليل من الماء وقيل الماء القريب : « الفِطْيَوْن » : [بكسر الفاء وإسكان الطاء المهملة ثم مثناة تحتية مفتوحة وواو ساكنة فنون . والفطيون هو الذى تَمَلَّكَ بيثرب[2]]

(١) العبارة التى تبدأ بلفظ : وقيل العرم . حتى كلمة القوة » كان أولى بالمؤلف أن يضعها عند شرحه لكلمة العرم السابقة .

(٢) بياض بالأصل بمقدار عدة كلمات والتكملة عن طريق ضبط كلمة فطيون وشرحها كما وردت فى الاشتقاق (ص٤٣٦).

الباب الثانى

فى أسماء المدينة مُرَتَّبَة على حروف المُعْجَم

الأَوّل فالأَول مستقصاة لأَن كثرة الأَسماء تدل على شَرَف المُسَمَّى ، فما ذكره ، الزَّرْكَشِى فى الإِعلام[1] . وصاحب القاموس فى غيره[2] ، والسيد فى تاريخه[3] بلغ بها خمسةً وتسعين اسماً وهى :

١ - « أَثْرِب » : بالفتح وإِسكان المثلثة وكسر الراء فموحدة ، لُغَةٌ فى يَثْرِب ، اسم من سكنها أَولاً ، سُمِّيَتْ به أَرضُ المدينة كلها عند أَبى عُبَيْدَة أَو هى فقط عند ابن عباس

---

(١) أى كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى الذى حققه فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى ونشر بالقاهرة سنة ١٣٨٥ هـ . وخصائص المسجد النبوى وفضائل المدينة هى فى هذا الكتاب من ص ٢٣٢ إلى ص ٢٧٣ .

(٢) صاحب القاموس المحيط هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ، المجد أبو الطاهر الفيروزابادى الشيرازى اللغوى المتوفى سنة ٨١٧ هـ وهو صاحب التصانيف الكثيرة فى اللغة وغيرها وفى مقدمتها القاموس . تولى قضاء اليمن فى الفترة الأخيرة من حياته ، ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ١٠ ص ٧٩ : ٨٦) وذكر ثبتاً حافلا بمؤلفاته يهمنا منها فيما يتعلق بتاريخ المدينة الكتاب الذى أسماه : المغانم المطابة فى معالم طابة ولعله عقد فيه فصلا عن أسماء المدينة كما يقول مؤلف هذا الكتاب شمس الدين الشامى وربما كان ذلك فيما تناوله الفيروزابادى فى كتاب آخر ذكره السخاوى (ص ٨٢) عنوانه : الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .

(٣) هو وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسيد نور الدين أبى الحسن على بن القاضى عبد الله بن أحمد بن على السمهودى نسبة إلى سمهود بلدة بصعيد مصر (الخطط الجديدة لعلى مبارك جـ ١٢ ص ٥١ و٥٢ والقاموس الجغرافى لمحمد رمزى جـ ٤ ق ٢ ص ١٩٧) وينتمى السمهودى إلى أسرة من الأشراف أنجبت عدداً من العلماء ترجم السخاوى لأبيه (الضوء اللامع) جـ ٥ ص ٥ و٦) كما ترجم له (جـ ٥ ص ٢٤٥ : ٢٤٨) وقال ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٨ ص ٥٠ : ٥١) : نزيل المدينة المنورة وعالمها ومفتيها ومدرسها ومؤرخها ولد سنة ٨٤٤ بسمهود وتوفى بالمدينة سنة ٩١١ هـ هذا ويعد كتابه وفاء الوفا الذى يقع فى أكثر من ألف صحيفة أوفى كتاب فى تاريخ المدينة المنورة ، رجع إلى مخطوطته الرحالة بوركهارت فى أوائل القرن الماضى (انظر رحلاته فى بلاد العرب ، لندن سنة ١٨٢٩ م) وقد استهل السمهودى كتابه الضخم بذكر أسماء هذه البلدة الشريفة (جـ ١ ص ٧ : ١٩) قال فيه : « اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى أنى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى (الفيروزابادى) اللغوى وهو أعظم الناس فى هذا الباب نحو ثلاثين اسماً فرقت على ذلك صورة بتمييزها وأنا أوردها مرتبة على حروف المعجم » . هذا وقد نقل الشامى عن السمهودى هذه الأسماء ملتزماً جانب الاختصار ، وقد وضعنا بجانب كل اسم رقماً مسلسلا لتسهيل المراجعة .

أو ناحية منها . وعلى الثالث فإطلاقه على المدينة مع ذلك صحيح ثابت إما وَضْعاً لها أو من إطلاق اسم البعض على الكل أو المشتهر من باب عكسه ، وورد النَّهْىُ عن تسميتها بذلك كما سيأتى .

٢ – «أَرْضُ اللهِ» : لقوله تعالى (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا[١]) قال جماعة المراد المدينة ، وفى هذه الإضافة من مزيد التعظيم مالا يَخْفَى . ٣ – «أَرْضُ الهِجْرَة» : لحديث فيه [المدينة قُبَّة الإسلام[٢]]. ٤ – «أَكَّالة البُلْدَان» : لتسلطها على جميع الأمصار وارتفاعها على سائر بلدان الأقطار وافتتاحها منها على أيدى أهلها فغنموها وأكلوها[٣]. ٥ – «أَكَّالة القُرَى» : لحديث : «أُمِرْتُ بقرية تأْكل القُرَى[٤]» . ٦ – «الإيمان» : لقوله تعالى فى الأنصار . (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ[٥]) قال عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جَعْفَر : «سَمَّى الله تعالى المدينةَ الدَّارَ والإيمان» ، رواه محمد بن الحَسَن المخزومى عنهما . وابنُ شَبَّة عن الثانى . وقال البيضاوى : «سَمَّى الله المدينة بالإيمان لأَنها مظهره ومصيره» . وعن أَنَس بن مالك [أن مَلَك[٦]] الإيمان قال : «أنا أسكن المدينة» ، فقال [مَلَك[٦]] الحياء : «وأنا معك» ، رواه الدينورى فى [كتابه[٦]] المُجَالَسَة[٧]. ٧ – «البارَّة» : بتشديد الراء . ٨ – «البَرَّة» : بالتشديد أيضاً لكثرة بِرِّها لأَهلها خصوصاً ولجميع العالم عموماً ، لأَنها منبع الفيض والبركات[٨]. ٩ – «البَحْرَة» : بالفتح وسكون المهملة . –

---

(١) من الآية ٩٧ من سورة النساء . وقال السمهودى إن هذا التأويل ذكره مقاتل والثعلبى فيما يتعلق بهذه الآية ، هذا ولم نعثر على ما يماثله فى كل من الكشاف (ج ١ ص ١٨٧ : ١٨٨) وتفسير القرطبى (ج ٥ ص ٢٤٦) وتفسير ابن كثير (ج ١ ص ٥٤٢) .

(٢) زيادة من السمهودى (ج ١ ص ٨) .

(٣) أثبت المؤلف شرح ، أكالة البلدان فى شرح أكالة القرى .

(٤) الحديث أخرجه البخارى (ج ٣ ص ٥٠) ومسلم فى باب المدينة تنفى شرارها وقال الزركشى فى إعلام الساجد (ص ٢٥٥) : وفى معنى تأكل القرى ثلاثة أقوال : ١ – أنها مركز الجيوش الإسلامية . ٢ – أن أكلها وميرتها من القرى المفتتحة . ٣ – أنها تفرغ القرى بوجوب الهجرة إليها .

(٥) من الآية التاسعة من سورة الحشر .

(٦) زيادة من السمهودى .

(٧) ذكر السمهودى الحديث : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . وأضاف بأن الأمة أجمعت على أن الإيمان والحياء ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) وفى رواية : إذ هى منبع الأسرار وإشراق الأنوار وبها العيشة الهنية والبركات النبوية .

١٠ ـ «البُحَيْرَة» : تصغير ما قبله . ١١ ـ «البَحِيرة» : بالفتح والكسر : نقل [الزركشى[١]] الثلاثة فى الإعلام عن منتخب كُرَاع ، ونقل غَيْرُه الأَوَّلَيْن عن معجم ياقوت[٢]، والاستبحار السعة لأنها بمُتَّسَع من الأرض ولقول سعد [بن عُبَادة] : ولقد اصطلح أَهْلُ هذه البُحَيْرَة ـ بالتصغير ـ [على أن يعصبوه بالعِصَابة فلما رَدَّ اللهُ ذلك بالحق الذى أعطاك شَرِقَ بذلك[٣]] ، ويقال «البَحْر» أيضاً بغير تاء ، سَاكِن الحاء وأَصْلُه القُرَى وكل قريةٍ بَحْرَة[٤] . ـ ١٢ ـ «البَلَاط» : بفتح الموحدة ، نُقِل عن [كتاب : لَيْسَ[٥]] لابن خالويه وهو لُغَةً الحجارة المفروشة [التى تُفْرَش على الأرض ، والأرض المفروش بها ، والمستوية الملساء فكأنها[٦]] سُمِّيَتْ به لكثرته فيها أو لاشتمالها على موضع تُعْرَف به. ١٣ ـ «البَلَد» : قال تعالى : (لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ[٧]) : قيل المدينة وقيل مكة ورَجَّحه القاضى[٨] ، لكن السورة مكية والبلد لغة صَدْرُ القُرَى . قال الواسطى فيما نقله عن القاضى : «أى يَحْلِف [لك]

---

(١) فى إعلام الساجد ص ٢٣٥ وفى الفائق للزمخشرى (جـ ١ ص ٦٤) البحرة بفتح الباء وإسكان الحاء المهملة المدينة يقولون هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدتنا ، وأصل البحرة فجوة من الأرض تنبحر أى تنبسط وتتسع . وضبطها البكرى فى معجمه بضم الباء (جـ ١ ص ٢٢٩) وروى عن أبى إسحق الحربى أنه قال : البحرة بضم الباء دون الوادى وأعظم من التلعة وقيل كان بمكة يهودى يقال إنه يوسف فلما ولد النبى صلى الله عليه وسلم قال : ولد نبى هذه الأمة فى بحرتكم اليوم . وفى التاج البحرة بفتح الباء مدينة النبى كالبحيرة مصغراً والبحيرة كسفينة والأسماء الثلاثة عن كراع ونقلها السيد السمهودى فى التاريخ . وقال ابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ٦٢) : البحيرة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو تصغير البحرة وقد جاء فى رواية مكبراً والعرب تسمى المدن والقرى البحار .

(٢) فى معجم البلدان (جـ ٢ ص ٧٢) : حيث ذكر ياقوت أن البحرة والبحيرة من أسماء مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) زيادة من الفائق (جـ ١ ص ٦٤) لمعرفة الحديث الذى وردت فيه كلمة البحيرة والضمير فى يعصبوه يعود إلى عبد الله بن أبى بن سلول الذى أوشك أهل المدينة أن يملكوه عليهم قبيل الهجرة .

(٤) سبقت العبارة التى تبدأ بكلمة : يقال – وكلها مما نقله المؤلف عن السمهودى – كلمات أخرى هى : وقال عياض فى المشارق البحرة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويروى البحيرة والبحيرة بضم الباء مصغرا وبفتحها على غير التصغير وهى الرواية هنا .

(٥) زيادة من السمهودى وعنوان الكتاب : ليس فى كلام العرب . وهو لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوى اللغوى ، توفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ صحب سيف الدولة وأدب بعض أولاده وأورد القفطى فى إنباه الرواة (جـ ١ ص ٣٢٤ : ٣٢٧) ثبتاً بمؤلفاته فى ترجمته له . كما ترجم له الكثيرون كابن خلكان وياقوت والتاج السبكى والسيوطى

(٦) زيادة من السمهودى .

(٧) الآية الأولى من سورة البلد .

(٨) أى رجح القاضى عياض القول بأن المقصود من البلد فى الآية الأولى من سورة البلد هو المدينة .

رَبُّكَ بهذا البَلَد الذى شَرَّفْتَهُ بمكانك فيه حيًّا وببركتك ميتاً»[1] ، يعنى المدينة . ١٤ - «بلد رسول الله» صلى الله عليه وسلم : روى البَزَّار عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الشياطين قد يَئِسَتْ ، أن تُعْبَدَ فى بلدى» / ، هذا يعنى المدينة وجزيرة العرب ، «ولكنْ [فى] التحريش بينهم[2]» . ١٥ - «بيت رسول الله» صلى الله عليه وسلم : قال تعالى (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ[3]) : أى من المدينة لاختصاصها به اختصاصَ البَيْتِ بساكنه ، أو المراد : بَيْتُه بها . ١٦ - «تَنْدَدُ» : بمثناة فوقية فنون وإهمال الدَّالَيْن ، كَجَعْفَر . ١٧ - «تَنْدَر» : براء بَدَل الدال الأخيرة مما قبله كما سيأتى فى «يَنْدَر» بالتحتية . ١٨ - «الجابرة» : ذُكِر فى حديث للمدينة عَشْرةُ أسماء ، سميت به لأنها تَجْبُر الكسير وتُغْنِى الفقير وتَجْبُر على الإذعان لمطالعة بركاتها [وشهود آياتها ولأنها[4]] جبرت البلاد على الإسلام . ١٩ - «جَبَّار» كحَذَام رواه ابنُ شَبَّة[5] بدل الجابرة فى حديثه المذكور . ٢٠ - «الجَبَّارة» : نُقِل عن التوراة[6] . ٢١ - «جزيرة العرب» : لقول بعضهم إنها المرادة من الحديث : «أَخْرِجُوا المشركين من جزيرة العرب» ، وفى حديث ابن عباس[7] : «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت إليها وقال : «إن الله برأ هذه الجزيرة من الشِّرْك» ، رواه أبويعلى والبزار والطبرانى . ٢٢ - «الجُنَّة الحصينة[8]» :

٤٢٥و

---

(١) جاء فى تفسير القرطبى (جـ ٢٠ ص ٦٠) : البلد هى مكة أجمعوا عليه أى أقسم بالبلد الحرام الذى أنت فيه لكرامتك على وحبى لك ، ثم أورد القرطبى ما قاله الواسطى ثم قال والأول أصح لأن السورة نزلت بمكة باتفاق .

(٢) لفظ الحديث كما فى النهاية (جـ ١ ص ٢١٧) : «إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم» . أى فى حملهم على الفتن والحروب .

(٣) من الآية الخامسة من سورة الأنفال .

(٤) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١٠) .

(٥) فى الأصول : ابن أبى شيبة .

(٦) ذكر السمهودى أن هذا الاسم نقله صاحب كتاب أخبار النواحى مع الجابرة والمجبورة عن التوراة .

(٧) فى الأصول : العباس والتصويب من السمهودى .

(٨) أضفنا كلمة الحصينة نقلا عن الحديث التالى .

بضم الجيم وهى الوقاية ، أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أُحُد : «أنا فى جُنَّة حصينة» – يعنى المدينة – [«دعوهم يدخلون نقاتلهم»[1]] . ٢٣ – «الحبيبة» : لحبه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه لها[2] . ٢٤ – «الحَرَم» : بالفتح [بمعنى الحرام لتحريمها ، وفى الحديث[3] : «المدينة حَرَم» ، وفى رواية أنها : «حَرَمٌ آمن» . ٢٥ – «حرم رسول الله» : صلى الله عليه وسلم لأنه الذى حَرَّمَها ، وفى الحديث : «من أخاف أهْلَ حَرَمِى أخافه الله» ، وفى حديث آخر : «حَرَم إبراهيم مكة وحَرَمِى المدينة» ، رواه الطبرانى ٢٦ – «حَسَنَة» : [بلفظ مقابل السيئة] ، وقال تعالى : (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً[4]) أى مَبَاءةً حسنة وهى المدينة[5] ، وقيل هو اسمها لاشتمالها على الحسْن الحِسِّى والمعنوى ، نقله الامام فخرالدين الرَّازى . ٢٧ – «الخَيِّرة» : بالتشديد . ٢٨ – «الخِيرَة» بالتخفيف تقول امرأة خَيِّرَةَ وَخِيرَةَ بمعنى كثيرة الخير ، وإذا أردت التفضيل قلتَ : [فلان] خَيْرُ الناس ، وفى الحديث : «والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون» . ٢٩ – «الدَّار» : لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ[6]) على ما سبق فى الإيمان سميت به لِأَمْنِها والاستقرار بها وجَمْعِها البناء والعَرْصَة . ٣٠ – «دار الأبرار» ٣١ – «دار المختار» : لأنها دار [المصطفى [المختار والمهاجرين والأنصار ، ولأنها تَنْفِى شرارَها ، ومن أقام بها منهم فليست فى الحقيقة له بدار ، وربما نُقِلَ منها بعد الإقبار . ٣٢ – «دار الإيمان» : روى الطبرانى بسَنَدٍ لا بأْس به عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المدينة قُبَّةُ الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبوأ الحلال والحرام» ، وروى الشيخان عن أبى هريرة ، والبزار عن عمر أن رسول الله ﷺ

(١) تكلة الحديث ، كما أن الإمام أحمد روى برجال الصحيح حديث : رأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت بقراً تنحر ، فأولت الدرع الحصينة المدينة . وأضاف السمهودى . وهذاهو المذكور فى كتب السير .

(٢) كما ورد فى دعائه لها بقوله : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .

(٣) أخرجه مسلم . (٤) من الآية ٤١ من سورة النحل .

(٥) أورد القرطبى (جـ ١٠ ص ١٠٧) فى تفسير كلمة حسنة ستة أقوال : ١ – نزول المدينة قاله ابن عباس والحسن والشعبى وقتادة . ٢ – الرزق الحسن قاله مجاهد . ٣ – النصر على عدوهم قاله الضحاك . ٤ – إنه لسان صدق حكاه ابن جريج . ٥ – ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات . ٦ – ما بقى لهم فى الدنيا من الثناء وماصار فيها لأولادهم من الشرف ، وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله والحمد لله .

(٦) من الآية التاسعة من سورة الحشر .

صلى الله عليه وسلم قال : « إن الإيمان لَيَأْرِز[1] إلى المدينة كما تَأْرِز الحَيَّةُ إلى جُحْرِها » ، [تأْرِز] بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء — وقد تُضَمّ — بعدها زاى ، أى أنها كما تخرج فى طلب ما تعيش به فإذا راعها شىء رجعت إلى جحرها كذلك الإيمان انتشر فى المدينة ، فكل مؤمن ، له من نفسه شائق إلى المدينة لمحبته فى النبى صلى الله عليه وسلم .

٣٣ — « دار السُّنَّة » . ٣٤ — « دار السلامة » . ٣٥ — « دار الفَتْح » : فى الصحيح قول عبد الرحمن ابن عوف لعُمَر رضى الله عنهما : « حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة » — وفى رواية الكُشْمَيْهَنِى أحد رواة البخارى — « والسلامة ، وقد فُتِحت منها مكة وسائر الأمصار وإليها هجرة المختار ومنها انتشرت السُّنَّة فى الأقطار . ٣٦ — « الدِّرْع الحصينة » : لحديث أحمد برجال الصحيح : « رَأَيْتُ كأنى فى دِرْع حصينة ، فأَوَّلْتُ الدِّرْع الحصينة المدينة » .

٣٧ — « ذات الحُجَر » : بضم الحاء المهملة وفتح الجيم لاشتمالها عليها . ٣٨ — « ذات الحِرَار » : بكسر الحاء وراءين مهملات ، جمع حَرَّة بفتح الحاء وهى الحِجَارة السُّود لكثرتها بها .

٣٩ — « ذات النَّخْل » : لوصفها بذلك / ولِمَا قبله فى خَبَر خُنَافِر[2] مع رَئِيِّه[3] ، وفى سَجْع عِمْرَان بن عامر : فليلحق بيثرب ذات النَّخْل ، وفى الحديث : « أُرِيت دَارَ هجرتى ذات نَخْل وحَرَّة » . ٤٠ — « السَّلِــقة » : ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأَقْشَهْرِى فى أسمائها المنقولة عن التوراة ، وهو محتمل ، [والسلقة] بفتح اللام وكسرها إذ السَّلَق بالتحريك القاع الصفصف والسلاق[4] البليغ ، وربما قيل للمرأة السليطة سِلْقَة بالكَسْر ، وسلقت البَيْض سلقاً أغليته بالنار . فسميت المدينة به لاتساعها وتباعد جِبَالها أو لتسلُّطها

---

(١) من أرز يأرز أرزا وأروزا تقبض وتجمع ، وهو من باب ضرب وأرز إلى المكان لجأ ومنه الحديث الشريف . وفى الفائق (جـ١ ص ٢٢) : تأرز الحية إلى جحرها أى تنضوى إليه وتنضم . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (جـ ٣ ص ٥٢) عن أبى هريرة .

(٢) هو خنافر بن التوأم الكاهن الحميرى سأله شصار بعد أن ظهر الإسلام : من أين أبغى هذا الدين ؟ قال من ذات الإحرين ، والنفر اليمانين ، أهل الماء والطين . قلت : أوضح . قال : الحق بيثرب ذات النخل ، والحرة ذات النعل (النعل المكان الغليظ من الحرة) فهناك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل . ولما من الله عليه بالهدى بعد الضلالة أنشد أبياتا مطلعها ألم تر أن الله عاد بفضله فأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا ، وختمها بقوله : عليكم سواء القصد لا فل حدكم فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا . والخبر بطوله أورده القالى فى أماليه (جـ ١ ص ١٣٤ : ١٣٦) مع شرح ما ورد فيه من الغريب .

(٣) رئى ورئى بفتح الراء وكسرها هو ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٤) السلق الواسع من الطرق والقاع المطمئن من الأرض المستوى لا نبات فيه والجمع أسلاق وسلقان بكسر السين وضمها — عن المعجم الوسيط .

على البلاد فَتْحًا أو لِلأْوَائِها وشِدَّة حَرِّها وما كان بها من الحُمَّى . ٤١ – « الشَّافِية » : لحديث ، « تُرَابُها شفاء من كل داء » ، ولِمَا صَحَّ فى غبارها . وذكر ابن مُسْدِى[1] : الاستشفاء [من الحُمَّى] بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم ، وسيأْتى أَنها تَنْفِى الذنوب فتشفى من دائها . ٤٢ – « طابَة » : كشَامَة ، روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى سَمَّى المدينة طابة»[2] . ٤٣ – « طَيْبَة » : [بسكون المثناة التحتية] كهَيْبَة وعَيْبَة . ٤٤ – « طَيِّبَة » : بتشديد المثناة التحتية . ٤٥ – « طائب » : ككاتب ، وهذه الأَربعة مع اسمها المُطَيَّبة أخوات لفظاً ومَعْنىً ، مختلفات صِيغَة ومَبْنىً . وفى الحديث : « للمدينة عَشْر أسماء هى المدينة وطَيْبَة وطابة » ، وعن وَهْب بن مُنَبِّه : « إن اسمها فى كتاب الله – يعنى التوراة – طَيْبَة وطابة » . ونقل عن التوراة أيضاً تسميتها بالطَّيِّبة وكذلك المُطَيِّبَة . وتسميتها بهذه الأَسماء إما من الطَّيِّب بتشديد المثناة وهو الطاهر لطهارتها من [أدناس] الشِّرْك ، أو لحلول الطَّيِّب بها صلى الله عليه وسلم ، أو لكونها [كالكير] تنفى خَبَثَها[3] ويَنْصَعُ طِيبُها . قال الإشبيلى : « لِتُرْبَةِ المدينة نَفْحَةٌ ليس [طِيبُها] كما عُهِد من الطِّيب بل هو أعجب من الأَعاجيب » . قال بعض أهل العلم : « وفى طِيب تُرَابِها وهوائها دليلٌ شاهد على صِحَّة هذه التسمية ، لأَن من أقام بها يجد من تُرْبَتِها وحيطانها رائحةً طيبة لا تكاد توجد فى غيرها . » . ٤٦ – «طِبابا» : ذكره ياقوت[4] وهو بكسر المهملة يعنى القطعة المستطيلة من الأَرض أو بفتح المعجمة [ظَبابا] من ظَبَّ ، وظبَظب إذا حُمَّ لما كان بها من الحُمَّى[5] . ٤٧ – « العاصِمة » : لعصمتها للمهاجرين من المشركين ولأَنها الدِّرْع الحصينة ، أو هى بمعنى المعصومة فلا يدخلها الدَّجَّال ولا الطاعون ومن أرادها بسوء أذابه الله . ٤٨ – « الْعَذْرَاء » : بالمهملة فالمعجمة ، نُقِل عن التوراة لصعوبتها

---

(١) فى الأصول : ابن سدى وصوابه ابن مسدى وهو الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف الأزدى الغرناطى الأندلسى المهلبى كان حافظاً علامة ذا رحلة واسعة ودراية ، جاور بمكة حيث شاع عنه فيها التشيع فقتل غيلة سنة ٦٦٣ هـ انظر شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٣١٣) .

(٢) وفى رواية : إن الله أمرنى أن أسمى المدينة طابة .

(٣) الخبث بفتحتين ما ينفيه الكير من الحديد ونحوه عند إحمائه وطرقه ، والخبث أيضا النجس ، وفى الحديث : إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا .

(٤) لم نعثر فى معجم البلدان فى مواد الطاء والظاء على هذا الاسم .

(٥) فى التاج : ظبظب الرجل بالبناء للمفعول أى حم .

وامتناعها على الأعداء حتى تسلمها مالكها الحقيقى [سيد الأنام[1]] صلى الله عليه وسلم .
٤٩ - « العَرَاء » : بإهمال أوله وثانيه ، قال أئمة اللغة العَرَاء الجارية العذراء كأنها شُبِّهَت بالناقة العراء التى لا سَنَام لها أو صَغُر سَنامها كصِغر نهد العذراء فيجوز أن تكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها فى السماء . ٥٠ - « العَرُوض » : بعين مهملة فراء فواو فضاد معجمة كصبور [وقيل هو اسم لها ولما حولها[2]] لانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، أو لأنها من نجد على خط مستقيم طولاً ، والمدينة معترضة عنها ناحية .
٥١ - « الغَرَّاء » : بالغين المعجمة تأنيث الأغَرّ ذى الغُرَّة والبياض فى مُقَدَّم الوجه والغُرَّة أيضاً خيار كل شىء وغُرَّةُ الإنسان وَجْهُه والأَغَرّ الأبيض من كل شىء ، والذى أخذت اللحية جميع وجهه إلا القليل ، والرجل الكريم ، واليوم الشَّدِيد الحَرّ . والغَرَّاءَ نَبْتٌ طَيِّبُ الرائحة ، والسيدة الكبيرة . فسميت المدينة بذلك لأنها[3] سادت على القُرَى ، وطاب ريحُها فى الورى ، وأُكْرِمَ أَهْلُها وكَثُر غَرْسُها وابْيَضَّ نُورُها وسطع ضياؤها[4] . ٥٢ - «غَلَبَة» : مُحَرَّكَة بمعنى الغَلَب لظهورها على البلاد ، وكانت فى الجاهلية تُدْعَى « غَلَبَة » : نزلت يَهُود بها على العماليق فغلبتهم عليها ، ونزلت الأوس والخزرج على يهود فغلبوهم عليها ، ونزل المهاجرون على الأوس والخزرج فغلبوهم عليها ، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها .

٤٢٦و

٥٣-«الفاضِحة» : بالفاء وضاد معجمة وحاء مهملة ، نُقِل عن كُرَاع إذ لا يُضْمِر بها أَحَدٌ عقيدةً فاسدة أو يُبْطِن أَمْراً إلا ظهر عليه وافْتُضِح به ، وهو مَعْنَى كونها تنفى خَبَثها . ٥٤- «القاصمة»: بقاف وصاد مهملة ، نُقِل عن التوراة لقَصْمِها كُلَّ جَبَّارٍ عناها وكسر كل مُتَمَرِّد أتاها ، ومَنْ أرادها بسوء أذابه الله . ٥٥ - « قُبَّة الإسلام » : لحديث : « المدينة قُبَّة الإسلام » .
٥٦ - « قرية الأنصار » : وتقدَّم الكلام على الأنصار . ٥٧ - « قرية رسول الله » صلى الله عليه وسلم ، لحديث الطبرانى برجال ثقات : « ثم يسير - يعنى الدَّجَّال - حتى يأتى المدينة

---

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١٣) .

(٢) زيادة من السمهودى .

(٣) لفظ السمهودى : لشرف معالمها ووضوح مكارمها واشتهارها وسطوع نورها وبياض نورها وطيب رائحتها وكثرة نخلها وسيادتها على القرى وكرم أهلها ورفعة محلها .

(٤) فى الأصول : وسطع نورها . وسبق ورود كلمة نورها فى الفاصلة السابقة فتلافيا للتكرار أثبتنا لفظا آخر وهو الضياء بما لا يمس المعنى الذى قصده المؤلف .

ولا يُؤْذَن له فيها فيقول : هذه قرية ذاك الرجل » ، [يَعْنِي النبى صلى الله عليه وسلم] .
٥٨ – « قلب الإيمان » : أورده ابن الجوزى فى حديث : « المدينة قُبَّة الإسلام » .
٥٩ – « المُؤْمِنَة » : لتصديقها بالله تعالى حقيقةً لِخَلْقِه قابلية ذلك فيها كما فى تسبيح الحَصَى ، أو مجازاً لاتصاف أهلها بالإيمان وانتشاره منها واشتمالها على أوصاف المؤمن أو لإدخالها أَهْلَها فى الأَمْن من الأعداء والطاعون والدَّجَّال . وقد روى فى حديث : « والذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة » ، ورُوِى فى آخر : « إنها لمكتوبة فى التوراة مؤمنة . ٦٠ – « المباركة » : لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسلم وحلوله بها[1] .
٦١ – مبوأ الحلال والحرام : رواه الطبرانى فى حديث : « المدينة قُبَّة الإسلام » ، والتَّبوُّء التَّمَكُّن والاستقرار ، سُمِّيتْ به لأنها مَحَلّ تمكن هذين الحُكْمَيْن واستقرارهما[2] . ٦٢ –« مُبَيِّن الحلال والحرام » : رواه ابن الجوزى وغيره بدل الذى قبله فى الحديث المتقدم لأنها محل بيانهما . ٦٣ – « المَجْبُورة » : ذُكِر فى الحديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، ونُقِل عن الكتب المتقدمة ، سُمِّيَتْ به لِجَبْرِها بخلاصة الوجود حَيًّا ومَيِّتًا لِحَثِّه على سكناها ، بعد نقل حِماها وتكرر دعائه لها[3] . ٦٤ – « المُحِبَّة » : بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد المُوَحَّدَة ، نُقِل عن الكتب المتقدمة . ٦٥ – « المُحَبَّبَة » : بزيادة مُوَحَّدة على ما قبله . ٦٦ – « المحبوبة » : نُقِل عن الكتب المتقدمة ايضاً ، وهذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة ، وحُبُّه صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤه به معلوم ، وحُبُّه تابع لحُبِّ رَبِّه[4] . ٦٧ – « المَحْبُورَة » : من الحَبْر وهو السرور أو من الحَبْرَة[5] بمعنى النعمة

---

(١) وذلك لأحاديث صحيحة منها : «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة. أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج عن أنس (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) قال السمهودى (ج ١ ص ١٥) . وفى بعض النسخ : مثوى الحلال والحرام .

(٣) لفظ السمهودى فى هذا المعنى أبلغ إذ قال : لأن الله تعالى جبرها بسكنى نبيه وصفيه حيا وضمها لأعضائه الشريفة ميتا بعد نقل حماها وتطييب مغناها والحث على سكناها وتنزل البركات بمدها وصاعها فهى بهذا السر الشريف مسرورة وبهذه المنح العظيمة مجبورة تسحب ذيل الفخار على سائر الأقطار .

(٤) زاد السمهودى (ج ١ ص ١٥) : وجاء ما يقتضى أنها أحب البقاع إلى الله ويؤيده أنه تعالى اختارها لحبيبه صلى الله عليه وسلم حيا وميتاً . فهى محبوبة إلى الله ورسوله وسائر المؤمنين ولهذا ترتاح النفوس لذكرها وتهيم القلوب لشهود سرها .

(٥) فى القاموس المحيط : الحبرة بإسكان الباء وفتحها النعمة .

أو المبالغة فيما وُصِف بجميل ، والمِخْبَار من الأرض السريعة النَّبَات الكثيرة الخيرات .

٦٨ - « المُحَرَّمَة » : لتحريمها . ٦٩ - « المحروسة » : لحديث : « [المدينة] مشتبكة بالملائكة على كل نقب منها مَلَك يحرسها » ، رواه الجندى . ٧٠ - « المَحْفُوفَة » : لأنها حُفَّتْ بالبركات وملائكة السموات ، وفى خَبَر « : تأتى مكة والمدينة محفوفتان بالملائكة[١] » .

٧١ - « المَحْفُوظَة » : لحفظها من الطاعون والدَّجَّال وغيرهما ، وفى خبر : « القُرَى المحفوظة أربع » ، وذكر المدينة منها . ٧٢ - « المُخْتَارَة » : لأن الله تعالى اختارها للمُخْتَار من خَلْقه [فى حياته ومماته[٢]] . ٧٣ - « مُدْخَل صِدْق » : قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً[٣]) فَمُدْخَل صِدْق المدينة كما تقدم[٤] . ٧٤ - « المدينة » : لتكرره فى القرآن ونُقِل عن التوراة ، والمدينة من مَدَنَ بالمكان أقام به ، أو من دَانَ إذا أطاع ، إذ يُطَاع السلطان بالمدينة لسُكْنَاه بها[٥] ، وهى أبيات[٦] كثيرة تُجَاوِز حَدَّ القُرَى ولم تَبْلُغْ حَدَّ الأمصار ، وقيل : يُقَال لكل مصر ، وتُطْلَق على أماكن كثيرة ، ومع ذلك فهو عَلَم للمدينة النبوية ، بحيث إذا أُطْلِق لا يتبادر [الفَهْم] إلى غيرها ، ولا يُسْتَعْمَل / فيها إلا المَعْرِفة ، أما النَّكِرة فاسم لكل مدينة ، ونسبوا للكل مَدِينِىّ ، وللمدينة النبوية مَدَنِىّ للفَرْق . ٧٥ - « مدينة رسول الله » : صلى الله عليه وسلم ، لقوله فى حديث الطبرانى : « مَنْ أَحْدَثَ فى مدينتى هذه حَدَثًا أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً[٧] » ، فأضافها إليه لسُكْنَاه بها ، وله ولخلفائه دانت الأُمم .

٤٢٦ظ

---

(١) وروى أيضاً : « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون » .

(٢) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١٦) .

(٣) آية ٨٠ من سورة الإسراء .

(٤) روى عن زيد بن أسلم ويدل عليه ما رواه الترمذى وصححه فى سبب نزول هذه الآية . مدخل صدق المدينة ، ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الأنصار .

(٥) فى الصحاح مدن بالمكان أقام به ، وفى المصباح : المدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لأنها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم لأنها من دان والجمع مدن ومدائن بالهمز على القول بأصالة الميم ووزنها فعائل وبغير همز على القول بزيادة الميم ووزنها مفاعل لأن الياء أصلا فى الحركة فترد إليها ونظيرها فى الاختلاف معايش .

(٦) البيت وهو المنزل يجمع على بيوت وأبيات .

(٧) أخرجه البخارى فى صحيحه جـ ٣ ص ٥ مع اختلاف فى اللفظ .

٧٦ ـ « المَرْحُومة » : نُقِل عن التوراة ، سُمِّيَتْ به لأنها دار المبعوث رحمةً [للعالمين] وبها تَنْزِل الرحمات . ٧٧ ـ « المرزوقة » : لأن الله تعالى رَزَقَها أَفْضَلَ الخَلْق فسكنها[1] ، أو المرزوق أَهْلُها ، [ففى الحديث] : « لا يَخْرُج أَحَدٌ منها إلا أبدلها الله خَيْراً منه » . ٧٨ ـ « مَسْجِد الأَقصى » : نقله ابن الملقن فى الإشارات عن صاحب المطالع . ٧٩ ـ « المِسْكينة » : نُقِل عن التوراة ، وذُكِر فى حديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، وروى الزبير بن بكار عن كعب الأَحبار قال : « نجد فى كتاب الله تعالى الذى أُنْزِل على موسى أن الله قال للمدينة : « يا طَيْبَة يا طابة يا مسكينة لاتقبلى الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القُرَى » ، والأَجاجير[2] السطوح ، والمسكنة الخضوع ، والخشوع خالقه الله فيها ، أو هى مسكن الخاشعين والخاضعين[3] ٨٠ ـ «المُسْلِمة» : كالمؤمنة لخلق الله تعالى فيها الانقياد والانقطاع له أو لانقياد أهلها وفتح بلدهم بالقرآن . ٨١ ـ « مضجع رسول الله » : صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث : « المدنية مهاجرى ومضجعى فى الأَرض » . ٨٢ ـ « المُطَيَّبَة » : بضم أوله وفتح ثانية تقدم فى طيبة . ٨٣ ـ « المُقَدَّسَة » : لتنزهها عن الشِّرْك وكونها تنفى الذنوب . ٨٤ ـ « المَقَرّ » : بالقاف كالمَمَرّ من القَرَار ، نقله السيد من بعض كتب اللغة ، وفى دعائه صلى الله عليه وسلم لها قوله : « اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً » . ٨٥ ـ « المَكْتَان » : قال سعد ابن أبى السَّرْح فى حصار عثمان رضى الله عنه : « وأنصارُنَا بالمكَّتَيْن قليلُ[4] » . وقال نصر بن حَجَّاج بعد نَفْيِه من المدينة :

فَأَصْبَحْتُ مَنْفِيًّا على غَيْرِ رِيبَةٍ وقد كان لى بالمَكَّتين مُقَامُ[5]

قال السيد : « والظاهر أن المُرَاد المدينة لأن قصة عثمان ونصر بن حَجَّاج كانتا بها وأطلق ذلك عليها لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها وانضمامهم إلى أهلها » . أو أنه من قبيل التغليب والمراد مكة والمدينة . ٨٦ ـ « المكينة » : لِتَمَكُّنِها فى المكانة والمنزلة عند الله تعالى . ٨٧ ـ «مهاجر رسول الله» : صلى الله عليه وسلم لقوله : « المدينة مهاجرى » . ٨٨ ـ « الموفية » :

---

(١) قال السمهودى : أو المرزوق أهلها أرزاقا حسية ومعنوية ، ومن فوقهم وتحت أرجلهم .

(٢) ذكره ابن زبالة بإسناده عن كعب انظر إعلام الساجد ص ٢٣٣ .

(٣) فى السمهودى (جـ ١ ص ١٧) .

(٤) صدره : أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقا .

(٥) وقبله : حققت بى الظن الذى ليس بعده .·. مقام فالى بالندى كلام

بتشديد الفاء وتخفيفها لتوفيتها الوافدين حِسًّا ومعنى وأَهْلُها الموفون بما عاهدوا الله عليه .
٨٩ — « النَّاجِية » : بالجيم لنجاتها من العُتَاة والطاعون والدَّجَّال أو لإسراعها فى الخيرات فحازت أشرف المخلوقات ولارتفاع شأْنها . ٩٠ — « نَبْلَاء » : نُقِل من كراع ، قال السيد : وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة مأْخوذ من النُّبْل بالضم والسكون وهو الفضل والنَّجابة . ٩١ — « النَّحْر » : بفتح النون وسكون الحاء المهملة ، سميت به إما لشدة حَرِّها كما يقال نَحْر الظهيرة وإما لإطلاق النَّحْر على الأَصل وهما أساس بلاد الإسلام . ٩٢ — « الهَذْراء » : ذكره ابن النَّجَّار بدل العَذْراء نقلاً عن التوراة ، رُوِى بالذال المعجمة وذلك لشدة حَرِّها ، يقال يوم هاذر شديد الحَرّ ، أو لكثرة مياهها وأَصوات سوانيها ، ويقال هَذَر فى كلامه إذا أكثر ، ويحتمل أن يكون بالمهملة من هَدَرَ الحمام إذا صَوَّت ، والماء انْصَبّ وانهمر والعشب طال ، وأرض هادِرة كثيرة النبات . ٩٣ — « يَثْرِب » : لغة فى أَثْرِب وقد تقدم الكلام عليه فيه ، وستأْتى أحاديث النهى عن تسميتها بذلك . ٩٤ — « يَنْدَد » : بدالين مهملتين ذكره كراع وهو إما من النَّدّ وهو الطِّيب المعروف أو النَّدّ التَّلّ المُرْتَفِع أو من النَّادّ وهو الرِّزْق . ٩٥ — « يَنْدَر » : كَحيْدَر براء بدل الدال الثانية مما قبله ، كذا فى حديث : « للمدينة عشرة أسماء » فى بعض الكتب ، وفى بعضها الآخر بمثناة فوقية ودالين [تَنْدَد] ، وفى بعضها كذلك بفوقية ودال وراء [تندر[1]] ، وصَوَّب المجد اللغوى « يَنْدَد » / فقط ٤٢٧و بالتحتية ودالين ، وفيه نظر . والحديث رواه ابن زَبَالة إلا أنه سردها تسعة ، ورواه ابن شَبَّة وسردها ثمانية فحذف منه الدار ، ثم رُوِى من [طريقه أيضاً عن عبد الله[2]] بن جعفر [بن أبى طالب[2]] تسميتها بالدار والإيمان ثم قال : « [وجاء فى الحديث الأول ثمانية أسماء وجاء فى هذا الحديث اسمان[2]] فالله أعلم أهُمَا تمام العشرة أم لا » . ورواه ابن زَبَالة كذلك إلا أنه سرد تسعة فزاد اسم « الدار » وأسقط العاشر ، ونقل ابن زَبَالَة أن عبد العزيز بن محمد الداروردى قال : بلغنى أن للمدينة فى التوراة أربعين اسماً ، انتهى ما ذكره السيد رحمه الله مع زيادات فيه .

---

(١) زاد السمهودى (جـ ١ ص ١٩) : فتحرر من مجموع ذلك أربعة أسماء اثنان بالمثناة التحتية (يندد ويندر) واثنان بالفوقية (تندد وتندر) .

(٢) زيادة من السمهودى .

وروى الزبير بن بَكّار عن القاسم بن محمد قال : بلغنى أن للمدينة أربعين اسماً .

وروى أيضاً عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمدينة عشرة أسماء هى : المدينة وطَيْبَة وطابة ومسكينة وجابرة ومجبورة ويَنْدَد ويَثْرِب والدار » .

ورُوِىَ أيضاً عن إبراهيم بن الحَسَن قال : « للمدينة فى التوراة أحد عشر اسماً : المدينة وطَيْبَة وطابة والمسكينة والجابرة والمجبورة والمرحومة والعذراء والمحبوبة والقاصمة .

الباب الثالث

فى النَّهْى عن تسميتها يثرب

روى الإمام أحمد ومالك والشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ بقرية تأْكل القُرَى يقولون يثرب وهى المدينة ، تَنْفِى الناس كما يَنْفِى الكير خَبَث الحديد[1] » . وروى الإمام أحمد وابن أبى حاتم وابن مردويه بسند جَيِّد عن البَرَاء بن عازب رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « مَنْ سَمَّى المدينة بِيَثْرِب فليستَغْفِر الله : هى طابة هى طابة هى طابة » . وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عايه وسلم قال : « لا تَدْعُوها يثرب فإنها طَيْبَة » ، يعنى المدينة ، « ومَنْ قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات ، هى طَيْبَة هى طَيْبَة هى طَيْبَة » . وقال الإمام عيسى بن دينار أحد أئمة المالكية :«من سَمَّى المدينةَ يثرب كُتِبَتْ عليه خطيئة »وبذلك جزم الإمام العلاَّمة الشيخ كمال الدَّميرى[2] فى منظومته فى كتاب الحج حيث قال :

وَمَنْ دَعَاهَا يَثْرِباً يَسْتَغْفِرْ فَقَوْلُه خَطِيئَةٌ لِتُنْظَـــرْ

وسبب الكراهة إما لكون ذلك مأْخوذاً من الثَّرَب بالتحريك وهو الفساد ، أو من التثريب وهو المؤاخذة بالذَّنب . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحَسَن ، ولهذا أسماها طابة وطيبة كما تقدم . وأما تسميتها فى القرآن يثرب فذلك حِكاية عن قول المنافقين ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « فذهب وَهَلِي إلى اليمامة أو هَجَر فإذا هى المدينة يثرب » ، وقوله فى حديث آخر : « لا أراها إلا يثرب » ، فذلك قبل النهى عن تسميتها بذلك .

---

(۱) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج عن أبى هريرة (جـ٣ ص ٥٠) .

(٢) هو محمد بن موسى بن عيسى الكمال الدميرى (٧٤٢ هـ – ٨٠٨ هـ) لازم بهاء الدين السبكى وتخرج به وبالأسنوى وابن عقيل شارح الألفية وبرع فى التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وكتب على ابن ماجه شرحا فى نحو خمس مجلدات وسماه الديباجة ومات قبل تحريره وشرح المنهاج وسماه النجم الوهاج وأشهر مؤلفاته حياة الحيوان الكبرى الذى يشتمل على استطرادات فى الأدب والتاريخ وكان للدميرى حظ وافر من العبادة وحدث بالقاهرة ومكة وقال المقريزى فى عقوده : صحبته سنين وحضرت مجلس وعظه مراراً لإعجابى به وذكره ابن حجر فى إنباء الغمر ، انظر ترجمته فى الضوء اللامع (جـ ١٠ ص ٥٩ : ٦٢ رقم ٢٠٤) والخطط الجديدة لعلى مبارك (جـ ١١ ص ٥٩) ومادة دميرى فى الموسوعة الإسلامية الجديدة (المجلد الثانى ص ١٠٨ ليدن سنة ١٩٦١ م) .

الباب الرابع

فى مَحَبَّتِه صلى الله عليه وسلم لها ودُعَائِه لها ولأهلها ورفع الوباء عنها بدعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَدِم من سفر فنظر إلى جدر المدينة ، وفى لفظ : دَوْحاتها ، وفى لفظ درجاتها طَرَح رداءه عن منكبيه وقال : «هذه أرواح طَيْبَة » ، وأوضع راحِلَتَه ، وإن كان على دابة حَرَّكَهَا من حُبِّه[1] ، وفى لفظ : « تباشراً بالمدينة » وقال : « اللهم اجعل/لنا بها قراراً ورزقاً حَسَناً » . رواه الشيخان والمحاملى ومحمد بن الحَسَن المخزومى . وروى الإمام أحمد والشيخان وابن إسحق واللفظ له عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمَها وهى أوْبأ أرض الله من الحُمَّى ، وكان واديها يَجْرِى نَجْلاً[2] - يعنى ماء آجناً - فأصاب أصْحَابَه منها بلاءٌ وسَقَم ، وصَرَفَ الله ذلك عن نبيه » . قالت : « فكان أبو بكر وعامر بن فُهَيْرَة وبلال مَوْلِيا أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحُمَّى ، فاستأذنتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم ، فأذِن ، فدخلتُ إليهم أعودُهم ، وذلك قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب ، وبهم مالايعلمه إلا الله من شدة الوَعْك ، فدَنَوْتُ من أبى بكر فقلت : يا أبَتِ كيف تَجِدُك ؟ فقال :

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أهْلِه ... والمَوْتُ أدنى من شِراكِ نَعْلِه

قالت : فقلتُ والله ما يَدْرِى أبى ما يقول ، ثم دنوتُ من عامر بن فُهَيْرَة فقلت : كيف تَجِدُك يا عامر ؟ فقال :

٤٢٧ظ

---

(١) الحديث أخرجه البخارى عن أنس مع اختلاف فى اللفظ (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) فى ص وت وم : وكان لحان يحدى نخلا » وهو خطأ وتصحيف وصوابه : وكان بطحان يجرى نجلا » وبطحان واد بالمدينة كما فى حديث أبى موسى : بقيع بطحان ضبطه البكرى فى معجمه (ج ١ ص ٢٥٨) بفتح الباء الموحدة وكسر الطاء المهملة . ولكنا أثبتنا عبارة النهاية (ج ٤ ص ١٢٩) : وكان واديها يجرى نجلا وكذلك اللسان وجاء فى شرحها فى كل منهما : أرادت أنه كان نزا وهو الماء القليل تعنى وادى بالمدينة ويجمع على أنجال ، ومنه حديث الحارث بن كلدة قال لعمر : البلاد الوبيئة ذات الأنجال والبعوض أى النزوز والبق ويقال استنجل الموضع أى كثر به النجل وهو الماء يظهر من الأرض :

لقد وَجَدْتُ المَوْتَ قبل ذَوْقِه[1] إنّ الجبانَ حَتْفُه من فوقه

كُلُّ امرئٍ مُجَاهدٌ بِطَوْقِه [كالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَه بِرَوْقِه[2]]

قالت : فقلتُ : والله ما يَدْرِى عامِرٌ ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى اضطجع بِفِنَاء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول :

ألاَ ليت شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوادٍ وحَوْلِى إِذْخِرٌ وجَلِيلُ

وهل أَرِدَنْ يوماً مِيَاه مِجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شَامَةٌ وطَفِيلُ

قالت : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما سَمِعتُه منهم . قلتُ : إنهم ليَهْذُون وما يَعْقِلون من شدة الحُمَّى ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهمّ حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مكة[3] — وفى لفظ للجندى ورزين « وأَشَدّ » ، بالواو بدلاً من « أو » — « وصَحِّحْها وبارِكْ لنا فى صاعِها ومُدِّها ، ثم انقل وباءها إلى مهيعة[4] — وهى الجُحْفَة » ، وإنه لَيَتَّقِى شُرْبَ الماء من عينها التى يُقَال لها عَيْن خُمّ .

وروى البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه ومحمد بن الحَسَن المخزومى عن ابن عُمَر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُ امرأةً سوداء ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة ، فأَوَّلْتُها أن وباء المدينة نُقِل إلى مهيعة . وروى الزبير بن بَكَّار عن عروة بن الزبير مُرْسَلاً قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فجاء إنسان قَدِمَ من ناحية طريق مكة ، فقال له : هل لَقِيتَ أَحَداً ؟ قال : لا يا رسول الله إلا امرأة سوداء عريانة ثائرة الشَّعر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الحُمَّى ولن تعود بعد اليوم أبداً » . ورُوِى أيضاً عن موسى بن محمد بن إبراهيم ابن الحارث عن أبيه قال : لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وَعَكَ أَصْحَابُه ، وقَدِم رَجُلٌ فتزوج امرأةً كانت مهاجرة ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المِنْبَر فقال : يا أيها الناس « إنما الأعمال بالنيات » — ثلاثاً — « فمن كانت هجرته / إلى الله ٤٢٨و

---

(١) فى رواية : قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه .

(٢) زيادة من السمهودى (ج ١ ص ٣٩) وبروقه أى بقرنه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٦٨) وكذلك (ج ٣ ص ٥٦)

(٤) أخرجه البخارى (ج ٥ ص ١٦٨) بلفظ : وانقل حماها فاجعلها بالجحفة .

ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه[1] » ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم انقل عنا الوباء » - ثلاثاً - فلما أصبح قال : أُتِيتُ الليلةَ بالحُمَّى فإذا عجوزٌ سوداء مُلَبَّبَة فى يَدَىْ الذى جاء بها فقال : هذه الحُمَّى فما ترى فيها ؟ فقلت : « اجعلوها بِخُمّ » . وروى البيهقى عن هشام بن عروة قال : كان وباء المدينة معروفاً فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبيئاً فأشرف عليه إنسان فقيل له : انهق نَهيقَ الحِمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرّه ، قال الشاعر[2] :

لَعَمْرِى لئن عَشَّرْتُ من خشية الرَّدَى ... نَهيق الحِمَارِ إننى لَجَزُوعُ

قال هشام : وكان المولود إذا وُلِد بالجُحْفَة لم يَبْلُغ الحُلُم حتى تصرعه الحُمَّى . وقال ابن إسحق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَدِم المدينة هو وأصحابُه أصابتهم حُمَّى المدينة حتى جهدوا مَرَضاً ، وصَرَفَ الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى ما كانوا يُصَلُّون إلا وهم قعود ، قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يُصَلُّون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم[3] » ، فَتَجَشَّمَ المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماساً للفَضْل .

وعن أَنَس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البَرَكة[4] » ، رواه الشيخان . وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حَرَّم مكة وإنى حَرَّمْتُ المدينة ودَعَوْتُ لها فى مُدِّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » ، - حديث مُتَّفَق عليه - وعن عبد الله بن الفضل بن العباس رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدعوك لأهل المدينة بمثل مكة » ، قال عبد الله : إنا لنتعرف ذلك ، إنا ليُجْزِئ المُدُّ عندنا والصاع بِمِثْلَىْ ما يُجْزِئ بمكة ، رواه البخارى فى تاريخه . وروى الزبير بن بكار عن إسماعيل بن النعمان قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لِغَنَمٍ كانت تَرْعَى بالمدينة فقال :

---

(١) حديث الأعمال بالنيات أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (ج ٢ ص ٣٧) عن عمر .

(٢) هو عروة بن الورد العبسى وشرحنا التعشير فى حاشية سابقة .

(٣) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب صلاة القاعد (ج ٢ ص ١١٠ : ١١١) بلفظ آخر عن عمران بن حصين .

(٤) صحيح البخارى (ج ٣ ص ٥٥) .

« اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ميلها بغيرها من البلاد[1] » .

وعن عليّ بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إن إبراهيم عَبْدُك وخليلُك دعا لأهل مكة بالبركة وأنا محمد عَبْدُك ورسولُك وأنا أدعو لأهل المدينة أن تُبارك لهم فى صاعهم ومُدِّهم مثلما باركت لأهل مكة واجعل مع البركة بَرَكَتَيْن[2] » ، رواه الترمذى وصَحَّحَه والطبرانى برجال الصحيح .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان الناس إذا رَأَوْ أول الثَّمر جاءوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله ـ زاد الطبرانى : وضعه على عينيه ـ قال : « اللهم بارِك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مُدِّنا ، اللهم إن إبراهيم عَبْدُك وخليلُك ونَبِيُّك وإنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » . قال : ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثَّمَر . رواه مسلم[3] والترمذى والطبرانى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : اقتضى هذا الحديث تكرير الدعاء بتكرير ظهور الثمرة والإتيان بأولها . الثانى : تكرير دعائه صلى الله عليه وسلم / بتحبيبه المدينة ، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول والتكرير لطلب المزيد . الثالث : الوَبَاء عموم الأمراض ، وهو أَعَمّ من الطاعون ، ولا يُعَارِض قدومَهم المدينة ـ وهى وبيئة ـ نَهْيُه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على الطاعون ، لأن ذلك كان قبل النَّهْى ، أو أن النَّهْى يَخْتَصّ بالطاعون ونحوه من الموت الذَّرِيع ، لا المَرَض ولو عَمّ . الرابع : هذه البركة المذكورة فى الحديث فى أمر الدين والدنيا ، لأنها النَّمَاء والزيادة ، فالبَرَكة حاصلة لها فى نفس الكَيْل ، بحيث يكفى المُدّ بها مَنْ لا يكفيه بغيرها ، وهذا أمر محسوس لمن سكنها . الخامس : تحويل الوباء عن المدينة من أعظم المعجزات إذ لا يَقْدِر عليه جميع الأطباء ، قال النووى : وهذا عَلَمٌ من أعلام نُبُوَّتِه صلى الله

٤٢٨ظ

---

(١) هكذا فى الأصول ولم نهتد إلى نص الحديث والمراد منه .

(٢) أخرجه بلفظ آخر مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ٩ ص ١٣٤ : ١٣٥) عن عبد الله بن زيد بن عاصم .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه بشرح النووى (جـ ٩ ص ١٤٥ : ١٤٦) .

عليه وسلم ، فإن الجُحْفَة [من][1] يومئذ وبيئة ولا يشرب أحَدٌ من مائها إلا حُمّ ، وقال الخَطَّابى : كان أهل الجُحْفَة إذ ذاك يهوداً .

السادس : فى بيان غريب ما سبق : « الجُدُر » : جمع جِدَار كَكِتَاب وكُتُب ، والجِدَار الحائط . « الدَّوْحَات » : بالدال والحاء المهملتين جمع دَوْحَة مثل تَمْرَة وتَمْرات ، والدَّوْحة الشجرة العظيمة . « الدَّرَجَات » : جمع دَرَجَة وهى هنا الطُّرُق . « الأرواح » : جمع ريح بمعنى رائحة وهى عَرَض يُدْرَك بحاسة الشَّمّ . « أوْضَعَ رَاحِلَتَه » : أوْضَع بالضاد المعجمة والعين المهملة ، أى حَثَّها على السرعة . « القَرَار » : بالقاف : المُسْتَقِرُّ من الأرْض . « بُطْحَان » : بضم المُوَحَّدة فسكون الطاء المهملة وقيل بفتح أوَّلِه وكَسْر ثانيه[2] : واد من أودية المدينة . رَوَى ابنُ شَبَّة والبَزَّار عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً أن بَطِحَان على ترعة من [تُرَع] الجَنَّة . « نَجْلاً » : بفتح النون وسكون الجيم أى أن واديها كان نَزًّا . قال : النَّجْل الماء حين يَسِيل ، وفَسَّره البخارى ماءً آجِنًا . قال القاضى : « وهو خَطَأ » ، وقال الحافظ : « وليس كما قال فإن عائشة قالت ذلك فى مقام التعليل لكون المدينة كانت وبيئة ، ولا شك أن النَّجْل إذا فُسِّر بكونه الماء الحاصل من النَّزّ ، فهو بصدد أن يَتَغَيَّر ، وإذا تَغَيَّر كان استعماله مما يُحْدِث الوباء فى العادة » . «وَعْك» : الوَعْك بفتح الواو وسكون العين المهملة الحُمَّى . « كيف تَجِدُك » : أى تَجِدُ نَفْسَك أو جَسَدَك « مُصَبَّح » : بميم مضمومة وصاد مهملة فمُوَحَّدَة ، وزن مُحَمَّد ، أى مصاب بالموت صباحاً ، وقيل المراد يُقال صَبَّحَك اللهُ بالخير ، وقد يَفْجَأُه الموت فى بقية النهار وهو مُقِيمٌ بأهله ، ويُرْوَى بالخاء المعجمة وهو أيضاً مكان بمكة[3] . « شِرَاك النَّعْل » : بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء : السير الذى يكون فى وجه النَّعْل ، والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شِراك نعله برِجْلِه . «بِطَوْقِه» : الطَّوْق هنا الطاقة والعُدَّة . « الرَّوْق »[4] بالراء والقاف القَرْن . « عقيرته »

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) البكرى فى معجمه (جـ ١ ص ٢٥٨) لا يرى إلا وجها واحدا فى ضبط كلمة بطحان فهو يقول بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وبالحاء المهملة على وزن فعلان لايجوز غيره . وقال ابن مقبل يرثى عثمان بن عفان :

عفا بطحان من قريش فيثرب　　فلقى الرحالى من منى فالمحصب .

(٣) لم نعثر على مصبخ بالخاء المعجمة فى أخبار مكة للأزرقى ولا فى معجم البكرى ولا فى معجم البلدان لياقوت .

(٤) هذه الكلمة وردت فى عجز بيت لم يذكره المؤلف وقد أثبتناه فيما سبق ، وهذا يدل على أن المؤلف يشرح ألفاظا يخيل إليه أنه أوردها فى صلب كتابه

أى صوته ، قال الأصمعى أن رَجُلاً عُقِرت رِجْلُه فرفعها على الأُخرى وجعل يصيح فصار كل من رفع صَوْتَه يُقَال رفع عَقيرَتَه وإن لم يرفع رِجْلَه[1] ، قال ثعلب : وهذا من الأَسماء التى استُعْمِلَت على غير أصلها . « بوَادٍ » : أى بوادى مكة[2] . « الإِذْخِرِ » : بكسر الهمزة والخاء المعجمة بينهما ذال معجمة : نَبْتٌ طَيِّب الرائحة . « جليل » : بالجيم واللام : والثُّمَام[3] بضم الثاء المثلثة : نَبْتٌ ضعيف له خوص أو ما يشبهه . « مِجَنَّة » : بكسر الميم وفتحها سوق بأسفل مكة « يَبْدُوَنْ » : أى يَظْهَرَنْ « شَامة » : بالشين المعجمة « وطَفِيل » بطاء مهملة مفتوحة وفاء مكسورة فمثناة تحتية : جَبَلان. قال البكرى[4]: جبلان مُشْرِفان على مَجَنَّة على بَرِيدٍ من مكة . « يَهْذُون » : بالذال المعجمة : يَخْلِطون ويتكلمون بما لا ينبغى . « مَهْيَعَة » : بفتح الميم وسكون الهاء / وفتح المُثَنَّاة التحتية والعين المهملة[5] . «الجُحْفَة» : بجيم مضمومة فحاء مهملة ساكنة ففاء مفتوحة قرية جامعة لأَن السيول اجتحفتها[6] . ٤٢٩و

« ثائرة الرأس » : بالمثلثة : مُنْتَشِرة شَعر الرأس . « مُلَبِّبَة » : بضم الميم وفتح اللام والموحدة الأُولى المشددة وتخفيف الثانية ، يقال لَبَّبْتُه بالتشديد إذا جمعت ثيابَه عند نَحْرِه ثم جَرَرْتَه . « خُمّ » : بخاء معجمة مضمومة فميم مُشَدَّدة : غَدِيرٌ على ثلاثة أَميال من الجُحْفَة يَسْرَةً عن الطريق[7] . « جُهِدوا » : بالضم مبنى [للمفعول] أى حصل لهم الجَهْد وهو بالفتح المَشَقَّة فَتَجَشَّمَ المسلمون القيام أى تَكَلَّفُوه . « التماس الفضل » : أى طلبه . « الأَكراش » جمع كِرْش بكسر الكاف يُذَكَّر ويُؤَنَّث وهو لذى الخُفّ والظِّلْف كالمعدة للإِنسان .

---

(١) زاد فى النهاية : والعقيرة فعيلة بمعنى مفعولة .

(٢) وردت أيضا فى ابن هشام بفخ وكذلك فى معجم البلدان وقال ياقوت هو واد بمكة . وفى معجم البكرى موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

(٣) الثمام نبت ضعيف قصير لا يطول . قاله فى النهاية .

(٤) هذا فى معجم البكرى ج ٣ ص ٨٩٢ .

(٥) الجحفة سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم مهيعة إذ قال : « اللهم انقل وباء المدينة إلى مهيعة » رواه هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة عنه . والجحفة هى فى الطريق من المدينة إلى مكة . وفى الصحاح : المهيعة هى الجحفة وهى ميقات أهل الشام .

(٦) فى الأصول : أجحفتها ، وجحف الشيء يجحفه جحفا من باب فتح قشره . وفى المصباح أجحف السيل بالشيء اجحافاً ذهب به ، وهذا يتعدى بالباء . وفى معجم البكرى اجتحفتها وحدد الفيومى موضع الجحفة بقوله : هى منزل بين مكة والمدينة قريب من رابغ بين بدر وخليص .

(٧) زاد البكرى بقوله : وهذا الغدير تصب فيه عين وحوله شجر كثير ملتف ، وهى الغيضة التى تسمى خم وبين الغدير والعين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس

فى عصمتها من الدجال والطاعون
ببَرَكَتِه صلى الله عليه وسلم

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على أنقاب المدينة ملائكة يَحْرُسُونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدَّجَّال ، رواه الشيخان[1] . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدَّجَّال إلا مكة والمدينة ، ليس من نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافِّين يحرسونها فينزل السبخة ، ثم ترجف المدينة بأَهلها ثلاث رجفات[2] فيخرج إليه كل كافر ومنافق» ، [حديث] مُتَّفَق عليه . وعن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» ، رواه البخارى .

وعن تميم الدارى رضى الله عنه فى حديثه الطويل فى رؤية الدَّجَّال فى اليقظة أن الدَّجَّال قال : يوشك أن يُؤْذَن لى فى الخروج فأَخرج فأَسير فى الأَرض ، فلا أَدَعُ قريةً إلا هَبَطْتُها فى أَربعين ليلة غير مكة وطيبة ، هما مُحَرَّمَتان عَلَيّ ، كلما أَردتُ أَن أَدخل واحدةً منهما استقبلنى مَلَكٌ بيده السيف صَلْتاً[3] ، يصدنى عنها ، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر : «هذه طَيْبَة ، هذه طَيبة » ، رواه مسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المدينة يأْتيها الدَّجَّال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله

---

(١) صحيح البخارى (ج ٣ ص ٥٣) وصحيح مسلم بشرح النووى (ج ٩ ص ١٥٣)

(٢) قال العينى فى عمدة القارى (ج ١٠ ص ٥٤٤) أى يحصل بها زلزلة بعد أخرى ثم فى الرجفة الثالثة يخرج الله منها من ليس مخلصا فى إيمانه ويبقى بها المؤمن المخلص فلا يسلط عليه الدجال .

(٣) فى النهاية (ج ٢ ص ٢٧١) فاخترط السيف وهو فى يده صلتا أى مجردا يقال أصلت السيف إذا جرده من غمده ، وضربه بالسيف صلتا وصلتاً بفتح الصاد وضمها .

تعالى » ، قوله إن شاء الله تعالى للتبرك وللجزم به فى بقية الأحاديث . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : « يأتى الدَّجَّال وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل أنقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رَجُلٌ هو خَيْرُ الناس أو من خَيْر الناس فيقول : أشهد أنك الدَّجَّال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدَّجَّال : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه هل تَشُكُّون فى الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنتُ فيك أشد بصيرة منى اليوم ، فيريد الدَّجَّال أن يقتله فلا يُسَلَّط عليه » ، رواه البخارى[1] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : صَحَّ فى أحاديث كثيرة / أن الطاعون شهادة . قيل : وإذا كان كذلك ٤٢٩ظ فكيف قُرِن بالدَّجَّال ، وكيف مُدِحت المدينة الشريفة بأنه لا يدخلها ؟ والجواب أنه كونه شهادةً ورحمةً ليس المراد بوصف ذلك ذاته ، وإنما المراد أن ذلك يَتَرَتَّب عليه وينشأ عنه ، وأنه سببه ، فإذا تَقَرَّر ذلك واستُحْضِر ما ورد فى الأحاديث من أن طعن الجِنّ[2] ظهر به مدح المدينة بأنه لا يدخلها إشارة إلى أن كُفَّار الجِنّ وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة الشريفة ، ومن اتفق دخوله إليها منهم لا يتمكن من آحاد أهلها بالطعن حمايةً من الله تعالى لهم منهم . فإن قيل : طعن الجِنّ لا يختص بوقوعه من كُفَّارهم فى مؤمنى الإنس ، بل يقع من مؤمنى الجِنّ فى كُفَّار الإنس ، فإذا سلم منع الجِنّ الكُفار من المدينة لم يُمْنَع من آمن منهم من دخولها . فالجواب : إن دخول كفار الإنس المدينة غير مُبَاح ، فإنه إذ لم يسكن المدينة إلا من أظهر الإسلام ، جَرَتْ عليه أحكام المسلمين ، وصار من لم يكن خالص الإسلام تَبَعاً للخالص ، فحصل الأمن من دخول الجِنّ إليهم ، فلذلك لا يدخلها الطاعون أصلا . قال الحافظ فى بَذْل الطاعون فى أخبار المدينة : وهذا الجواب أَحْسَن من جواب القرطبي فى المُفْهِم حيث قال : « المعنى لا يدخلها من الطاعون

---

(١) صحيح البخارى (جـ٣ ص ٥٣ : ٥٤) كتاب الحج عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) جاء فى السمهودى (جـ ١ ص ٤٦) : والحق أن المراد بالطاعون فى هذه الأحاديث (هو) الذى ينشأ عن طعن الجن فيهيج به الدم فى البدن فيقتل ، فهذا لم يدخل المدينة قط .

مثل الذى فى غيرها كطاعون عَمَوَاس[1] والجارف » . وهو جواب صالح على تقدير التَّنَزُّل أن لو وقع شىءٌ من ذلك بها . وقال غيره : سبب الرحمة لم ينحصر فى الطاعون وقد قال صلى الله عليه وسلم : «غير أن عافيتك أوسع لى » ، فإن ذلك من خصائص المدينة الشريفة ، ولوازم دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لها بالصحة . وأجاب المنبجى بأجوبة منها أنها صغيرة ، فلو وقع بها الطاعون أفنى أهلها ، ومنها أنه عَوَّضهم عن الطاعون بالحُمَّى لأن الطاعون يأتى بعد مدة والحُمَّى تتكرر فى كل مدة فتعادلا . قال الحافظ : «ويظهر لى جواب أخص من هذه الأجوبة بعد استحضار حديث أبى عسيب[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل بالحُمَّى والطاعون فأمسكت الحُمَّى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام » ، الحديث ، وهو أن الحكمة فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان فى قلة من أصحابه عَدَداً ومَدَداً من زادٍ وغَيْره ، وكانت المدينة وبيئة كما سبق ، فناسب الحال الدعاء بتصحيح المدينة لتصِحَّ أجساد المقيمين بها لِيَقْوَوْا على جهاد الكفار ، وخُيِّر النبى صلى الله عليه وسلم فى أَمْرَيْن ، يحصل لمن أصاب كلاً منهما عظيم الثواب ، وهما الحُمَّى والطاعون ، فاختار الحُمَّى بالمدينة لأن أمرها أخف من أمر الطاعون لسرعة الموت به غالباً .

فلما أُذِن له فى القتال كانت قضية استمرار الحُمَّى ضعف الأجساد التى تحتاج إلى القوة فى الجهاد ، فدعا حينئذ بنقل الحمى إلى الجُحْفَة فأُجِيب دعاؤه ، وصارت المدينة من أَصَحّ بلاد الله ، فإذا شاء الله موت أَحَدٍ منهم ، حصل له التى كانت من الطاعون بالقتل فى سبيل الله الذى هو أعلى درجة ، ومن فاته ذلك منهم مات بالحُمَّى التى هى حظ المؤمن من النار ، كُلُّ يَوْمٍ منها يُكَفِّر سَنَةً .

---

(١) عمواس كما ضبطه ابن الأثير فى الكامل (ج ٢ ص ٢٣٧ بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) بفتح العين المهملة والميم والواو وبعد الألف سين مهملة . وهكذا ضبطه البكرى فى معجمه وقال : عمواس (ج ٣ ص ٩٧١) قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس وهى التى ينسب إليها الطاعون لأنه منها بدا واستدرك عليه الزبيدى فى التاج أنه بسكون الميم وقيل إنما سمى طاعون عمواس . لأنه عم وآس أى جعل بعض الناس أسوة ببعض . وفى المعارف لابن قتيبة أن الطاعون الجارف حدث فى سنة ٦٩ هـ فى العراق فى زمن ابن الزبير وعلى البصرة يومئذ عبيد الله بن عبد الله بن معمر (ص ٢٥٩) .

(٢) هو أبو عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٥٤) .

واستمر ذلك بالمدينة بَعْدَه صلى الله عليه وسلم تحقيقاً لإجابة دُعائه صلى الله عليه وسلم. نَعَمْ شاركتها فى ذلك مكة المُشَرَّفة فلم يدخلها الطاعون فيما مضى من الزمان كما يرويه ابن قتيبة فى المعارف[1] ، ونقله جماعة من العلماء عنه وأقروه إلى زمان الإمام النووى رحمه الله. ذكر ذلك فى كتاب الأَذكار وغيره ، لكن قد قيل إنه دَخَلها بعد ذلك فى الطاعون العام / الذى وقع فى سنة تسع وسبعين وسبعمائة[2] ، صَرَّح بذلك غَيْرُ واحد من أهل ذلك الزمان . الثانى : مَنْعُ الطاعون عن المدينة معجزة عظيمة لأَن الأَطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أَن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القُرَى[3] وقد امْتنع الطاعون ، عن المدينة بدعائه صلى الله عليه وسلم هذه المدة الطويلة . الثالث : ظاهر الأَحاديث أَن الدَّجَّال يدخل جميع البلاد ، وبذلك قال الجمهور ، وشَذَّ ابن حَزْم فقال : «المراد أَن يدخله بَغْتَةً [هو] وجنوده . وكأَنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لِقِصَر مُدَّته ، وغَفَل عَمَّا ثبت فى صحيح مسلم أَن بعض أَيامه يكون قَدْرَ السَّنَة . الرابع : فى بيان غريب ما سبق : «الأَنقاب» : بالقاف جمع نَقْب[4] بفتح النون والقاف بعدها موحدة ، والنِّقاب بالكسر جمع نَقْب بالسكون وهما بمعنى والمراد الطريق فى الجبل وغيره «السَّبَخة» : بفتح السين المهملة والباء الموحدة والخاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق وبين جبل سَلْع[5] . «ترجف المدينة» : أَى يحصل بها زلزلة بعد أُخرى ثم ثالثة

٤٣٠و

(١) أورد ابن قتيبة فى كتابه المعارف (ص ٢٥٩ : ٢٦٠) نبذة عن الطواعين وأوقاتها منها عمواس فى خلافة عمر والجارف سنة ٦٩ هـ وثالث فى عهد عبد الملك وغيرها . ثم أضاف : ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط . وفى الكامل لابن الأثير (جـ ٢ ص ٢٣٦ : ٢٣٧) والرياض النضرة للمحب الطبرى (جـ ٢ ص ٣١٤ : ٣١٥) خبر مطول عن طاعون عمواس .

(٢) لم يرد ذكر لهذا الطاعون فى كل من النجوم الزاهرة وشذرات الذهب . والسلوك للمقريزى .

(٣) اقتبس المؤلف هذا من وفاء الوفا للسمهودى مع الاختصار وتمامه يتضمن أن الطاعون مع ذلك يقع بالحجاز ويدخل قرية ينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة ومع ذلك لا يدخل المدينة كما شاهدنا ذلك فى طاعون أواخر سنة ٨٨١ هـ مع أوائل التى بعدها . ثم أضاف السمهودى: وبالجملة فالمدينة محفوظة منه أتم الحفظ فلله الحمد والمنة (جـ ١ ص ٤٧) .

(٤) ضبط ابن الأثير فى النهاية (جـ ٤ ص ١٦٨) كلمة نقب بفتح النون وقال بأنه الطريق بين جبلين ويجمع على أنقاب ونقاب جمع قلة للنقب .

(٥) السبخة بالتحريك ويسكن: أرض ذات ملح ونز جمعها سباخ وفى معجم البكرى (جـ٣ ص ٧١٧) السبخة بفتح أوله وثانيه وبالخاء المعجمة موضع بالمدينة بين الخندق وبين سلع ، وسلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة جبل متصل بالمدينة . (جـ ٣ ص ٧٤٧) .

حتى يخرج منها من ليس مخلصاً فى إيمانه ، ويبقى بها الدين الخالص فلا يُسَلَّط عليها الدَّجَّال ، ولا يُعَارِض هذا ما فى حديث أبى بكر : «لا يدخل المدينة رُعْب الدَّجَّال» لأَنَّ المراد بالرُّعْب ما يحدث من الفَزَع من ذِكْرِه ، والخوف من عُتُوِّه ، لا الرَّجْفَة التى تقع بالزلزلة لإخراج مَنْ ليس بِمُخْلِص . «صَلْتاً» : أى مُجَرَّدا من غِمْدِهِ . «المِخْصَرَة» : بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة ، وهى العصا أو نحوها ، يأخذها الرجل بيده . «يُوشِك» : أى يَقْرُب .

الباب السادس

فى الحَث على الإقامة والمَوْت بها والصَّبْر على لَأوائها ونَفْيِهَا الخَبَث والذنوب واتِّخَاذ الأُصول بها والنَّهى عن هَدْم بُنْيَانِها

عن الصُّمَيْتَة – بصاد مهملة فميم مفتوحة فَمُثَنَّاة تحتية ساكنة فَمُثَنَّاة فوقية مفتوحة فهاء تأنيث – اللَّيْثِيَّة[1] رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من استطاع منكم ألَّا يموت إلا بالمدينة فَلْيَمُتْ بها، فإن مَنْ يمت بها يُشْفَع أو يُشْهَد له». رواه ابن حِبَّان والبيهقى.

وعن ابن عُمَر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ بها فإنى أشفع لمن يموت بها». رواه الإمام أحمد والترمذى وصَحَّحَه ابن حِبَّان. وعن سفيان بن أبى زهير[2] رضى الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُفْتَحُ اليَمَن فيخرج قَوْمٌ من المدينة بأهليهم ومن أطاعهم يَبُسُّون[3]، والمدينة خَيْرٌ لهم او كانوا يعلمون، ويُفْتَح العراق، فيخرج قوم بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون». رواه الشيخان[4].

---

(١) الصميتة الليثية من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة كانت فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت فى حجر عائشة ويقول ابن حجر فى الإصابة (جـ ٨ ص ١٣٠): لا منافاة بين الروايتين. هذا وقد ورد اسمها محرفا فى طبعة الإصابة، القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ إذ ورد: «الصمية بالتصغير البدية ويقال الدارية. وأورد ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٤٢٤) طرق إسناد حديثها.

(٢) هو سفيان بن أبى زهير الأزدى الشنوى من أزد شنوءة، وهناك اختلاف فى نسبه ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٢ ص ٣١٩) وأورد الحديث بلفظ يفتح الشام بدلا من اليمن.

(٣) لفظ الحديث فى النهاية: يخرج قوم من المدينة إلى العراق والشام يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وشرح ابن الأثير كلمة يبسون بقوله: يقال بسست الناقة وأبسستها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس بكسر الباء وفتحها ـ وقال السمهودى فى ضبطها وشرحها: يبسون بفتح المثناة التحتية أوله، وضم الباء الموحدة وكسرها، ويقال أيضا بضم المثناة وكسر الموحدة: يسوقون بهائمهم سوقا شديدا، وقيل البس سرعة الذهاب (وفاء الوفا جـ ١ ص ٢٩).

(٤) صحيح البخارى كتاب الحج باب من رغب عن المدينة (جـ ٣ ص ٥١ : ٥٢) وصحيح مسلم بشرح النووى (جـ ٩ ص ١٥٨).

وروى الإمام أحمد والبزار برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله ، ومسلم عن أبي هريرة ، والطبراني برجال ثقات عن أبي أيوب وزيد بن ثابت ، والطبراني برجال ثقات عن أبي أُسَيْد الساعدى[1] رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتى على الناس زمان يُفْتَح فيه فتحات الأرض فيخرج إليها دجَّال - وفى لفظ : فيخرج الناس إلى الأرياف يلتمسون الرَّخاء ، فيجدون رخاء ، وفى لفظ : مَطْعَماً ومَلْبَساً ومركباً ، فيقال لهم : هلم إلينا فإنكم بأرض حجاز جدوبة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وفى لفظ فيكتبون / إلى أهليهم هلموا إلينا ، فإنكم بأرض حجاز جدوبة ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وفى لفظ : فيمرون على إخوان لهم حُجَّاجاً أو عُمَّاراً ، فيقولون :ما يقيمكم فى لأواء العيش وشدة الجوع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاهبٌ وقاعد ، حتى قالها مراراً ، والمدينة خير لهم ، لا يثبت فيها أحد فيثبت للأوائها وشدتها حتى يموت إلا كُنْتُ له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً ، والذى نفسى بيده لا يخرج أَحَدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ، أَلَا إن المدينة كالكير تُخْرِج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تَنْفِي المدينة شِرَارَها كما يَنْفِي الكير خَبَث الحديد[2] » .

٤٣٠ظ

وعن سعد بن أبي وَقَّاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايَصْبِر على لأْوَاء المدينة وشِدَّتها أَحَدٌ من أمتى إلا كنتُ له شفيعاً يوم القيامة » ، رواه مسلم . وعن عُمَر رضى الله عنه أنه قال : اللهم ارزقنى قتالاً فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك » ، رواه البخارى[3] .

وعن يحيى بن سعيد مُرْسَلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على الأرض بقعة أَحَبّ إلىّ أن يكون قبرى بها منها » ، ثلاث مرات ، يعنى المدينة ، رواه الإمام مالك

---

(١) أبو أسيد الساعدى اسمه مالك بن ربيعة وسياقة نسبه كما فى أسد الغابة (ج ٤ ص ٢٧٩) : مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، مشهور بكنيته شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وعمى قبل أن يقتل عثمان روى عنه من الصحابة أنس بن مالك وسهل بن سعد . واختلف فى تاريخ وفاته فقيل سنة ٣٠ هـ وقيل سنة ٦٠ هـ وهو آخر من مات من البدريين على قول من قال إنه مات سنة ستين وهو قول المدائنى وقول ابن سعد ، انظر ترجمته أيضا فى نكت الهميان للصفدى (ص ٢٣٣) وقال ابن حجر فى الإصابة (ج ٦ ص ٢٣) أسيد فى كنيته بصيغة التصغير وحكى البغوى فيه خلافا فى فتح الهمزة ولكن يحيى بن معين يرى أن الضم أصوب .

(٢) أخرج مسلم فى صحيحه (بشرح النووى ج ٩ ص ١٥١ : ١٥٦) عدة أحاديث بروايات وأسانيد مختلفة فى باب الترغيب فى سكنى المدينة .

(٣) صحيح البخارى (ج ٣ ص ٥٦ : ٥٧) .

فى المُوَطَّأ . وعن أبى سعيد[1] مَوْلَى المَهْرِى ــ بالراء ــ أنه جاء إلى أبى سعيد الخُدْرِىّ ليالى الحَرَّة فاستشاره فى الجلاء عن المدينة وشكا إليه أسْعَارَها وكثرة عياله ، وأخبره ألَّا صَبْرَ له على جَهْد المدينة ولأوائها . فقال له : وَيْحَكَ لا آمُرُكَ بذلك ، الزم المدينة فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يَصْبِر أَحَدٌ على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً » . وفى حديث أخرجه مسلم[2] : « لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذَوْبَ المِلْح فى الماء » . وعن عبد الله ابن عَمْرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صَبَر على لأوائها وشدتها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » . رواه مسلم . وعن أبى هريرة بنحوه رواه الترمذى .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان له بالمدينة أصل فليتَمَسَّك به ، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً ، فليأتينَّ على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها » ، وفى رواية : « فليجعل له بها أصلاً ولو قَصَرَة[3] » ، رواه الطبرانى وابن شَبَّة بسند لا بأس به . وروى ابن شَبَّة عن الزُّهْرى مُرْسَلاً : « لا تتخذوا الأموالَ بمكة واتخذوها بدار هجرتكم ، فإن المرء مع ماله » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ بقرية تأكل القُرَى يقولون يثرب وهى المدينة تَنْفِى الناس كما ينفى الكير خَبَث الحديد[4] » .

---

(١) فى خلاصة الخزرجى : روى أبو سعيد مولى المهرى عن أبى ذر وروى عنه ابنه سعد ويحيى بن أبى كثير (ص ٣٨٠) .

(٢) صحيح مسلم (بشرح النووى جـ ٩ ص ١٥٧) عن أبى هريرة

(٣) ورد هذا الحديث مختصرا فى النهاية (جـ ٣ ص ٢٥٦) : من كان له بالمدينة أصل فليستمسك به ومن لم يكن فليجعل له بها أصلا ولو قصرة » وقال ابن الأثير فى شرح القصرة إنها ــ بالفتح والتحريك ــ أصل الشجرة وجمعها قصر . أراد فليتخذ له بها ولو نخلة واحدة . والقصرة أيضا العنق وأصل الرقبة . وفى الفائق للزمخشرى (جـ ٢ ص ٣٥٣) : وفسر قوله تعالى : « بشرر كالقصر » ــ فيمن حرك ــ بأنه جمع قصرة وهى أصل الشجرة ومستغلظها وبأعناق النخل وأعناق الإبل .

(٤) صحيح البخارى كتاب الحج باب فضل المدينة وأنها تنفى شرار الناس (جـ ٣ ص ٥٠) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب الأعرابىَّ وَعْك فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أقلنى بيعتى . فأبى . ثم جاءه فقال : أقلنى بيعتى . فأبى . فخرج الأعرابى . فقال رسول الله صلى / الله عليه وسلم : «إنما المدينة كالكير تنفى خَبَثَها ويَنْصَع طيبُها» رواه الشيخان . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إنها طيبة - يعنى المدينة - وإنها تنفى الخبث كما ينفى الكير خَبَثَ الفِضَّة» ، رواه مسلم[1] . والمراد هنا الإقالة من الإسلام وقيل من الهجرة [كأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة[2]] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن آطام المدينة أن تُهْدَم . وروى البزار بسَنَد حَسَن عن عمر رضى الله عنه قال : غلا السعر بالمدينة فاشتد الجَهْد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اصبروا وأبْشِروا فإنى قد باركتُ على صاعكم ومُدِّكم ، وكلوا ولا تتفرقوا فإن طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الخمسة والستة ، وإن البركة فى الجماعة ، فمن صَبَر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن خرج رغبةً عنها أبدل الله به من هو خَيْرٌ منه فيها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب المِلْح فى الماء» . وروى البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنها أى المدينة طيبة تنفى الذنوب كما ينفى الكير خَبَث الفضة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال القاضى رحمه الله : « سئلت قديماً عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «كنت شهيداً أو شفيعاً ، ولِمَ خَصَّ ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته وادِّخاره إياها لأمته ؟ وأجيب بأن «أو» ليست هنا للشك ، خلافاً لمن ذهب إليه ، إذ قد رواه جابر ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد ، وسعد بن أبى وَقاص ، وابن عُمَر ، وصفية بنت أبى عبيد ، وأسماء بنت عُمَيْس رضى الله عنهم بهذا اللفظ ، ويبعد اتفاق الكل واتفاق رواياتهم على الشك ، ووقوعه بصيغة واحدة ، بل الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم قال كذلك

(1) صحيح مسلم (بشرح النووى ج 1 ص 155) .

(2) بياض بالأصول والتكلة من السمهودى ج 2 ص 29 .

هكذا ، فإما أن يكون هو أعلم بهذه الجملة هكذا ، وإما أن تكون «أو» للتقسيم ، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعاً لبعض أهل المدينة وشهيداً لبعضهم [الآخر] ، إما شهيداً للطائعين وشفيعاً للعاصين ، أو شهيداً لمن مات فى حياته ، شفيعاً لمن مات بعده ، أو غير ذلك مما الله أعلم به ، وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة لكافة المذنبين ، وعلى الشهادة لكافة الأُمة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فى شهداء أُحُد : «أنا شهيد على هؤلاء» ، فيكون فى تخصيصهم زيادة منزلة ، وقد تكون «أو» بمعنى الواو ، فيكون لأَهل المدينة شهيداً وشفيعاً بالشفاعة العامة . وإن جعلنا «أو» للشك كما ذهب إليه بعضهم ، فإن كانت اللفظة الصحيحة فلا إشكال ، إذ هى زائدة على الشفاعة المُدَّخَرة ، وإن كانت الصحيحة شفيعاً فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء فى عمومها وادخاره لجميع الأُمة أن هذه شفاعة أُخرى غير العامة التى هى لإخراج أمته من النار [وإخراج[1]] بعضهم منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وتكون هذه الشفاعة لأَهل المدينة زيادة فى الدرجات أو تخفيف الحساب بما شاء الله من إكرامهم يوم القيامة بأَنواع من الكرامة.

الثانى : قوله صلى الله عليه وسلم : «تَنْفِى الناس» ، وفى لفظ «الرجال» ، قال القاضى : «كان هذا يختص بزمنه لأَنه لم يكن يصبر على الهجرة والمُقَام معه بها إلا من ثبت إيمانه» . وقال النووى : «ليس هذا بظاهر / لأَن عند مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شِرَارَها كما ينفى الكير خَبَث الحديد ، وهذا والله أعلم زمن الدَّجَّال» . قال الحافظ : «ويحتمل أن يكون المراد كُلًّا من الزمانَيْن ، وكان الأَمر فى حياته صلى الله عليه وسلم السبب المذكور ، ويُؤَيِّدُه قِصَّة الأَعرابى الذى استقاله فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث مُعَلِّلاً به خروجَ الأَعرابى وسؤالَه الإقالة من البَيْعَة ، ثم يكون ذلك أيضاً آخِرَ الزمان ، عندما ينزل الدَّجَّال فترجف الأَرض بأَهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه» .

٤٣١ ظ

وقال السيد[2] : «وقد أبعد الله عنها أرباب الخَبَث الكامل وهم الكُفَّار ، وأَما غيرهم

---

(١) بياض بالأصل بنحو كلمة والتكلمة يتقضيها السياق .

(٢) ما نقله المؤلف فيما يلى عن السمهودى يقع فى ص ٢٩ ، ٣٠ من الجزء الأول من وفاء الوفا المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ولكن توجد اختلافات فى اللفظ وتقديم وتأخير وإغفال لبعض العبارات التى أوردها السمهودى وأغفلها المؤلف ولكن المعنى فى مجموعه واحد أو متقارب وقد حافظنا على النص الذى نقله المؤلف وأوردنا بين أقواس ما يحسن إثباته لاستقامة المعنى مما أغفله المؤلف .

فقد يكون إبعاده إن مات بها بنقل الملائكة له كما أشار إليه الأَقْشَهْرِى أو المراد إبعاد أهل الخَبَث الكامل فقط وهم أهل الشقاء [والكفر لا أهل السعادة والإسلام لأن القسم الأول ليس قابلاً للشفاعة ولا للمَغْفِرة[1]] ، أو المراد ، فيما عدا قِصَّة الأعرابى والدَّجَّال أنها تُخَلِّص النفوس من شَرِّها وظلمات ذنوبها ، بما فيها من اللأْواء والمشقات ومضاعفة المثوبات [وتوالى الرحمات ، وقد قال تعالى[1]] : (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ[2]) ، ويُحْتَمَل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خَبَث بل تظهر طويته كما هو مُشَاهَدٌ بها ، [ولم أرَ إلى الآن مَنْ نَصَّ على هذا الاحتمال وهو فى حفظى قديماً[1]] ويؤيده ما فى غزوة أُحُد فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد رَجَع ناسٌ من أصحابه أى وهم المنافقون فقال صلى الله عليه وسلم : « المدينة كالكير » (الحديث) ، والذى ظهر لى [من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة[1]] .أنها تنفى خَبَثَها بالمعانى الأربعة » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو كانوا يعلمون » أى بفضلها من الصلاة فى المسجد النبوى أو ثواب الإقامة فيها وغير ذلك . ويحتمل أن « لو » بمعنى « لَيْتَ » ولا يحتاج إلى تقدير ، وعلى الوَجْهَيْن ففيه تَجْهيل لمن فارقها وآثَرَ غَيْرَها . قالوا : والمراد به الخارجون من المدينة رَغْبَةً عنها كارهين لها . وأما من خَرَج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل فى معنى الحديث .

قال الطيب : « الذى يقتضيه هذا المَقَام أن ينزل أولئك الذين « لا يعلمون » منزلة اللازم لتنتفى عنهم المعرفة بالكلية ، ولو ذهبوا مع ذلك التَّمَنِّى لكان أبلغ لأن التمنى طلب مالا يمكن حصوله ، أى لَيْتَهُمْ كانوا من أهل العلم تغليظاً وتشديداً » . قال البيضاوى « المعنى أنه يفتح اليمن ، فيُعْجِب قوماً بلادُها ، وعَيْشُ أهلها ، فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم وأهليهم حتى يخرجوا من المدينة ، والحال أن الإقامة فى المدينة خير لهم لأنها حَرَمُ النبى صلى الله عليه وسلم وجِوَارُه ومهبط الوَحْى ومنزل البَركات لو كانوا يعلمون ما فى الإقامة بها من الفوائد الأُخروية التى يُسْتَحْقَر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية

---

(١) زيادة من السمهودى .

(٢) من الآية الرابعة عشرة بعد المائة من سورة هود .

العاجلة بسبب الإقامة فى غيرها» . وقوّاه الطيبي لتنكير قومه ووصفهم بِكَوْنِهم يَبُسُّون ، ثم توكيده بقوله : لو كانوا يعلمون ، لأنه يشعر بأنهم ممن رَكَن إلى الحظوظ البهيمية والحُطَام الفانى ، وأعْرَضَ عن الإقامة فى جِوَار النبى صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كَرَّر قوماً» ووَصَفَهُمْ فى كل مرتبة بقوله يَبُسُّون [بسبب اتخاذهم[1]] لتلك الهيئة القبيحة .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق : «يَبُسُّون» : بمثناة تحتية فموحدة مضمومة وتُكْسَر ، قال أبو عُبَيْدَة : معناه يسوقون دوابُّهُمْ والبَسّ سوق الإبل بقول بِس بِسْ عند السَّوْق وإرادة السرعة . «الأرياف» : جمع رِيف بكسر الراء ، موضع الخِصْب – بكسر الخاء المعجمة – والسعة فى المطعم . «اللَّأْوَاء» : بالفتح والمد [الشدة وضيق المعيشة[2]] . «تَنْفِى الخَبَث» : أى بإظهاره وإخراجه / «الكِير»[3] : بكسر الكاف وسكون التحتية وهو المعروف بين الناس أنه الزِّقّ الذى يُنْفَخ فيه ، لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير كانون الحَدَّاد والصائغ ، وقيل الكير هو الزِّقّ والكانون هو الكور . «خبث الحديد» : بضم الخاء المعجمة والموحدة فمثلثة[4] : وَسَخُه الذى تُخْرِجه النار ، والمراد هنا لا يُتْرَك فيها مَنْ فى قلبه دَغَل [وغِشّ ونفاق[5]] يُمَيِّزه[6] عن القلوب الصادقة ويُخْرِجه [منها] كما يميز الحَدَّاد رديء الحديد من جَيِّده ، ويُنْسَب التمييز للكير لكونه السبب الأكيد فى اشتعال النار التى يقع التمييز بها . «تَنْصَع» : بمثناة فوقية فنون ساكنة فصاد فعين مهملتين من النصوع وهو الخلوص ، والمعنى أنها إذا نَفَتْ الخَبَث تَمَيَّز الطِّيبُ ، واستقر بها طِيبُها . رواه الأكثر بالنصب على المفعولية [أى تَنْصَعُ طِيبَها وذكر[7]] بعضُ رواة الصحيح يَنْصَعُ طِيبُها على الفاعلية «الآطام» : بالمَدّ جمع أُطُم بضمتين وهى الحصون التى تُبْنَى بالحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مُسَطَّح .

٤٣٢و

---

(١) بياض بالأصل بنحو كلمتين والإضافة مما يقتضيها السياق .

(٢) بياض بالأصل بنحو ثلاث كلمات والتكملة من النهاية .

(٣) فى التاج : الكير بالكسر زق ينفخ فيه الحداد أو جلد غليظ ذو حافات وأما المبنى من الطين فكور بالضم . وقد عكس ذلك ابن الأثير فى النهاية ولكنه استدرك بقوله : وقيل الزق الذى ينفخ به النار والمبنى الكور .

(٤) وردت فى النهاية والتاج بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة فى سياقة هذا الحديث .

(٥) بياض فى الأصل بنحو كلمتين والتكملة مما يقتضيه السياق .

(٦) فى المصباح التثقيل فى مادة ماز يميز مبالغة وذلك يكون فى المشتبهات نحو يميز الله الخبيث من الطيب وفى المختلطات نحو وامتازوا اليوم أيها المجرمون .

(٧) بياض بالأصل بنحو ثلاث كلمات واستعنا فى التكملة بالنهاية .

الباب السابع

فى وَعِيد من أَحْدَثَ بها حَدَثاً أَوْ أَوَى مُحْدِثاً أَو أَرَادَها وأَهْلَها بسوء أَو أَخافَهم والوَصِيَّة بهم

روى الطبرانى برجال الصحيح عن أَبِى أُمَامة[1] ، وعن عَلِيّ رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أحدث فى مدينتى هذه حَدَثاً أَو أَوى مُحْدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً » . وعن السائب بن خَلَّاد[2] أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَخاف أَهل المدينة ظُلْماً أَخافه الله عز وجل ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أَجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عَدْلاً » ، رواه الامام أَحمد . وعن أَبِى سعيد رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَرادها — يعنى المدينة — بسوء أَذابه الله كما يذوب المِلْح فى المـاء » ، رواه الإمام أَحمد والشيخان .

وعن مَعْقِل بن يسار[3] رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة مهاجرى وفيها مَضْجَعى ومنها مبعثى ، حقيقٌ على أُمَّتِى حِفْظُ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر ، ومَنْ حفظهم كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سُقِى من

---

(١) يشترك فى هذه الكنية خمسة من الصحابة كما فى أسد الغابة لابن الأثير والمكثر فى الرواية منهم هو أبو أمامة الباهلى توفى سنة ٨١ هـ ، أو سنة ٨٦ هـ ولعله هو الراوى لهذا الحديث .

(٢) يوجد اثنان بهذا الاسم وهما : السائب بن خلاد الجهنى أبو سهلة ، والسائب بن خلاد بن سويد بن ثعلبة . وحديث من أخاف أهل المدينة رواه عطاء بن يسار عن الأول مرفوعاً كما أسندت رواية الحديث نفسه إلى الثانى ، وذكر ابن الأثير هذا فى ترجمة كل منهما (أسد الغابة جـ ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٢) وذكر ابن حجر فى الإصابة (جـ ٣ ص ٥٩) أن النسائى روى حديثا فى فضل المدينة عن الثانى وهو السائب بن خلاد بن سويد .

(٣) هو معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر (أو معير) بن حراق .. المزنى يكنى أبا عبد الله وقيل أبو يسار ، وأبو على ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بيعة الرضوان وروى عنه أنه قال : بايعناه على ألا نفر . سكن البصرة وإليه ينسب نهر معقل الذى بالبصرة وتوفى بها فى آخر خلافة معاوية وقيل أيام يزيد بن معاوية . انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٩٨ : ٣٩٩ .

طينة الخَبَال» ، قيل لمَعْقِل : وما طينةُ الخبال ؟ قال : عُصَارة أهل النار[1] ، رواه أبو عمرو بن السِّمَاك ، وابن الجَوْزِى فى «مثير الغرام السَّاكن[2] » .

وروى الجندى[3] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أيّما جَبَّار أراد المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب المِلْح فى الماء» . وروى البَزَّار بسَنَدٍ حَسَن عن سعد بن أبى وَقَّاص رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم اكفهم من دَهَمَهُم ببأس - يعنى المدينة - ولا يريدها أحَدٌ بسوء إلا أذابه الله كما يذوب المِلْح فى الماء» . وروى محمد بن الحسن المخزومى[4] عن سعيد بن المُسَيَّب مُرْسَلاً[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم من أرادنى وأهْلَ بلدى بسوء فعَجِّلْ بهلاكه» . وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم / قال : «من أخَافَ أهل المدينة أخافه الله» ، رواه ابن حِبَّان . وعن عُبَادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم من ظَلَم أهل المدينة وأخافَهم فأَخِفْهُ ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً» ، رواه الطبرانى بإسناد حَسَن .

٤٣٢ظ

---

(١) أورد ابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ٢٨٠) هذا الشرح ثم أضاف : والخبال فى الأصل الفساد ويكون فى الأفعال والأبدان والعقول .

(٢) العنوان الكامل لهذا الكتاب وهو من مؤلفات أبى الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، «مثير الغرام الساكن فى فضائل البقاع والأماكن» وأخطأ جرجى زيدان فى ذكر عنوانه إذ أورده : مثير العظم الساكن وذلك فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية (جـ ٣ ص ٩٣ طبعة سنة ١٩٣١ م) ولم يصحح هذا الخطأ فى الطبعة المحققة التى قام بها شوق ضيف لكتاب زيدان (جـ ٣ ص ١٠١) . انظر فهرست الزيات ، دمشق ص٨٢ نقلا عن مادة ابن الجوزى فى دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) فى الأصول : وروى الجندى عن ، ثم بياض بنحو عدة كلمات ، ولم نوفق فى العثور على إسناد الحديث .

(٤) فى ت ، م : محمد بن الحسين المخزومى والتصويب من ميزان الاعتدال (جـ ٣ ص ٥١٠ رقم ٧٣٨٠) واسمه كاملا : محمد بن الحسن بن زبالة المخزومى المدنى ، وقد كذبه أبو داود وقال النسائى والأزدى متروك وقال يحيى بن معين ليس بثقة وقال الدارقطنى منكر الحديث ، روى عن أسامة بن زيد بن أسلم ومالك وابن وهب وخلائق وروى عنه أبو خيثمة والزبير بن بكار ، انظر أيضا خلاصة الخزرجى ص ٢٨٣ .

(٥) الحديث المرسل فى مصطلح الحديث هو ما سقط منه الصحابى سواء أكان الراوى المرسل تابعيا كبيرا أم صغيراً وهو ضعيف عند الشافعى فلا يحتج به، صحيح عند أبى حنيفة ومالك فيحتج به عندهما إذ لا يشترط فى الصحيح عندهما أن يكون متصل الإسناد . وقال ابن الصلاح : وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذى استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الأثر وتداولوه فى تصانيفهم ، انظر الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير ص ٣٧ : ٤٠ .

وفى المدارك[1] للقاضى قال محمد بن مَسْلَمة : سمعتَ مالكاً يقول : دخلت على المهدى فقال : أَوْصِنِى ، فقلت : أُوصِيكَ بتقوى الله وَحْدَه والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المدينة مهاجرى ومنها مبعثى وبها قبرى وأهلُها جيرانى ، وحقيق على أُمتى حفظ جيرانى ، فمَنْ حَفِظَهم فىَّ كنت له شفيعاً أوشهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وَصِيَّتِى فى جيرانى سقاه الله من طينة الخَبَال » .

وقال مُصْعَب[2] : « لما قَدِمِ المهدى المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال ، فلما بَصُرَ بمالك انحرف المهدى إليه فعانقه [وسَلَّم عليه[3]] وسايَرَه فالتفت إليه مالك فقال : يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة ، فتمر بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسَلِّمْ عليهم ، فإن ما على وجه الأرض قوم خَيْرٌ من أهل المدينة ، ولا خَيْرٌ من المدينة قال : ومن أَيْنَ قُلْتَ ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : لأنه لا يُعْرَف قَبْرُ نَبِيٍّ اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغى أن يُعْرَف فَضْلُهم على غيرهم . ففعل المهدى ما أمره به ، وفيه إشارة إلى التفضيل بمجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، ولم يخص جاراً دون جار .

ومن تَأَمَّل هذا الفضل لم يَرْتَبْ فى تفضيل سُكْنَى المدينة على مكة ، مع التسليم بمزيد المضاعفة لمكة ، [إذ جهة الفضل غير منحصرة فى ذلك[4]] فتلك لها مزيد العَدَد ، وهذه تُضَاعِف البركة والمَدَد ولتلك جِوار بيت الله ، ولهذه جِوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله .

---

(١) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ومؤلفه القاضى عياض ترجم ابن فرحون له فى الديباج (ص ١٦٨ : ١٧٢) ولد بسبتة سنة ٤٩٦ هـ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ

(٢) رواية مصعب منقولة عن مدارك القاضى عياض كما نص على ذلك السمهودى .

(٣) زيادة من السمهودى جـ ١ ص ٣٦ .

(٤) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٣٦)

تَنْبيهاتٌ

الأول : قوله صلى الله عليه وسلم : « لايَدَعُها أَحَدٌ رَغْبَةً عنها إلا أبدل الله فيها من هو خَيْرٌ منه » . قال القاضى : اختلفوا فيه فقيل هو مُخْتَصّ بمدة حياته صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : هو عامّ أبداً ، وهذا أصح . وقال المحب الطبرى : إنه الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر : « سيأتى على الناس زمان يُفْتَح فيه فتحات الأرض فيخرج الناس إلى الأرياف يلتمسون الرخاء » .. إلى آخر ما تَقَدَّم .

الثانى : قوله صلى الله عليه وسلم : « [ولا يريد أَحَدٌ أهل المدينة بسوء[1]] إلا أذابه الله فى النار .. » إلى آخر الحديث ، قال القاضى عياض : قوله « فى النار » يدفع إشكال الأحاديث التى لم تُذْكَر فيها هذه الزيادة ، ويبين أن هذا حُكْمُهُ فى الآخرة . وقال : قد يكون المراد به أن من أرادها فى حياته صلى الله عليه وسلم ، كُفِيَ المسلمون شَرَّه واضمحلّ كَيْدُه كما يضمحل الرصاص فى النار ، قال : « ويحتمل أن يكون المراد مَنْ كادها اغتيالاً وطلباً لِغِرَّتِها فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهاراً » . قال : « وقد يكون فى اللفظ تقديم وتأخير أى أذابه الله كذوب الرصاص فى النار ويكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يُمْهِلُه الله ولا يُمَكِّنُ له سلطاناً ، بل يهلكه عن قُرْب ، كما انقضى شأن من حاربها أيام بنى أمية مثل مسلم بن عُقْبَة فأُهْلِكَ فى منصرفه عنها ، ثم هلك يزيد بن معاوية الذى أرسله على أثر ذلك [وغيرهما ممن صنع صنيعهما[2]] .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق : « الحَدَث » بالتحريك الأمر / الحادث المُنْكَر الذى ليس بمعروف فى السُّنّة . « المُحْدِث » : بكسر الدال اسم فاعل : أى من نَصَر جانياً وآواه وأجاره من خَصْمه وحال بينه وبين أن يُقْتَصّ منه ، وبفتحها الأمر المُبْتَدَع نفسه ، ويكون معنى الإيواء الرِّضا ، فإنه إذا رَضِي به وأَقَرَّ فاعِلَه من غير إنكار فقد آواه . والمراد بلعنة الملائكة والناس المبالغة فى الإبعاد من رحمة الله تعالى ، والمراد باللَّعْن هنا العذاب الذى

٤٣٣و

---

(١) بياض بالأصل والتكلة من نص الحديث

(٢) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٣٠) وأضاف السمهودى : وهذا الاحتمال الأخير هو الأرجح وليس فى الحديث ما يقتضى أنه لا يتم له ما أراد منهم بل الوعد بإهلاكه . ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى فى زماننا هذا لما تظاهرت طائفة العياشى بإرادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك الله تعالى عتاتهم مع كثرتهم فى مدة يسيرة .

يستحقه على ذنبه فى أول الأمر ، وليس هو كَلَعْن الكافر . « الصَّرْف والعَدْل » : بفتح أولهما : اختُلِف فى تفسيرهما فَيَعُدّ الجمهور الصَّرْف الفريضة ، والعدل النافلة . وعن الأصمعى الصَّرْف التوبة ، والعدل الفدية ، وقيل غير ذلك[1] . « انماع[2] » : ذاب [وسال][3] .

(١) فى النهاية (ج ٢ ص ٢٥٩) : الصرف التوبة . وقيل النافلة ، والعدل : الفدية وقيل الفريضة وذهب إلى هذا المعنى الفيروزابادى فى القاموس المحيط ولكنه أضاف بأنها تعنى العكس فقال : الصرف هو النافلة ، والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن ، والعدل الكيل أو هو الاكتساب ، ومنه قوله تعالى : « فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً » (الفرقان آية ١٩) أى ما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب ومن الدهر حدثانه ونوائبه . ولكن الزمخشرى كان أكثر تحديدا فى شرح هذين اللفظين فى الفائق (ج ٢ ص ١٩) : الصرف التوبة لأنه صرف للنفس إلى البر عن الفجور ، والعدل الفدية من المعادلة ، (حيث) سوى فى استيجابه اللعن بين الجانى فيها جناية موجبة للحد ، وبين من آوى الجانى ولم يخذله حتى يخرج فيقام عليه الحد . ولكن الزمخشرى عند تفسيره للآية السابقة فى الكشاف (ج ٢ ص ٩٣) أضاف إلى معنى كلمة صرف : الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أى يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم .

(٢) وردت كلمة « إنماع » فى حديث لم يذكره المؤلف وهو : لا يريدها (أى المدينة) أحد بكيد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » . وهذا دليل آخر على أن المؤلف يشرح ألفاظاً لم يسبق له إيرادها فى صلب كتابه .

(٣) بياض بالأصل وفى النهاية (ج ٤ ص ١١٨) شرح ابن الأثير انماع بقوله أى يذوب ويجرى ، من ماع الشىء يميع وانماع إذا ذاب وسال .

الباب الثامن

فى تفضيلها على البلاد لحلوله صلى الله عليه وسلم فيها

نقل أبو الوليد الباجى[1] والقاضى عياض وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضَمَّ الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة كما قاله أبو اليمن بن عساكر فى تحفته ، وجزم بذلك أبو محمد عبد الله بن أبى عُمَر البِسْكَرِى[2] – بموحدة مكسورة وقيل بفتحها وسين مهملة ساكنة فكاف مفتوحة وكسرها فراء ، – رحمه الله .

جَزَمَ الجميعُ بأَنَّ خَيْرَ الأَرْض ما ... قَـدْ حَاطَ ذَاتَ المُصْطَفَى وَحَوَاهَا[3]

وَنَعَمْ لَقَـدْ صَدَقُـوا بِسَاكِنِها عَلَتْ ... كالنَّفْسِ حِينَ زَكَتْ زَكَا مَأْوَاهَـا

بل نقل القاضى تاج الدين السبكى[4] عن ابن عقيل[5] الحنبلى أنها أفضل من العَرْش ،

---

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الأندلسى الباجى ولد سنة ٤٠٣ هـ بمدينة بطليوس وتوفى بالمرية سنة ٤٧٤هـ رحل إلى المشرق حيث أقام نحو ثلاثة عشر عاماً سمع فيها عن كثير من علماء العراق والشام والحرمين ومصر وعاد إلى الأندلس حيث ولى القضاء وأخذ عنه فى الأندلس كثيرون منهم أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب ، وجرى بينه وبين أبى محمد بن حزم الظاهرى مجالس ومناظرات ، وللباجى تآليف كثيرة أهمها شروحه على الموطأ والمدونة وكتاب التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخارى فى الصحيح وغيرها وقد أورد ثبتا بها ابن فرحون فى الديباج المذهب حيث ترجم له ترجمة مطولة (ص ١٢٠ : ١٢٢) وله ترجمة مختصرة فى ابن خلكان (جـ ١ ص ٢١٥) وفى شذرات الذهب (جـ ٣ ص ٣٤٤ : ٣٤٥) .

(٢) نسبة إلى بلدة بسكرة التى تقع حالياً فى جمهورية الجزائر على خط عرض ٣٥ شمالى خط الاستواء وشرق خط طول ٥ شرق جرينيتش ، وذكرها ياقوت فى معجم البلدان وقال إنها بلدة بالمغرب من نواحى الزاب بينها وبين قلعة بنى حماد مرحلتان .

(٣) هذان البيتان من قصيدة طويلة تقع فى ٤٧ بيتاً ختم بها السمهودى (جـ ٢ ص ٤٥٤ : ٤٥٦) كتابه وفاء الوفاء ومطلعها : دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى ذكراها .

(٤) هو تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى خلف أباه على القضاء وللأب وللابن مؤلفات كثيرة فى الفقه والأصول وغيرهما ، توفى الأب سنة ٧٥٦ هـ وتوفى ابنه سنة ٧٧١هـ .

(٥) هو أبو الوفا على بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ومؤلف كتاب الفنون الذى يزيد على أربعمائة مجلد ، قال عنه الذهبى فى تاريخه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، وفى هذا الكتاب فوائد كثيرة جليلة فى الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ وفيه مناظراته ومجالسه التى وقعت له وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه . ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفى سنة٥١٣ هـ ترجم له ابن الجوزى فى المنتظم (جـ٩ ص ٢١٢ : ٢١٥) ولكن ابن رجب الحنبلى أورد له ترجمة مستفيضة فى كتابه الذيل على طبقات الحنابلة (جـ ١ ص ١٧٤ : ١٩٩ دمشق سنة ١٩٥١) م .

وجزم بذلك أبو عبد الله محمد بن رزين البحيرى الشافعى أحد السادة العلماء الأولياء فقال فى قصيدته فى الوفاة النبوية :

ولاشَكَّ أَنَّ القَبْرَ أَشْرَفُ مَوْضِعٍ   من الأَرْضِ والسَّبْعِ السَّمَوَاتِ طُرَّةِ
وأَشْرَفُ من عَرْشِ المَلِيكِ ولَيْسَ فى   مَقَالِى خِلَافٌ عند أَهْلِ الحَقِيقَةِ

وصَرَّح التاج الفاكهى[1] بتفضيلها على السموات ، قال : بل الظاهر المُتَعَيِّن تفضيل جميع الأرض على السماء لحلوله صلى الله عليه وسلم بها ، وحكاه الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية عن الأكثرين لِخَلْقِ الأنبياء منها ودفنهم بها . وقال النووى : « المختار الذى عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ، أى ماعدا ما ضَمَّ الأعضاء الشريفة . وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا فيهما ، فذهب عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين[2] ، كما قال القاضى إلى تفضيل المدينة ، وهو مذهب الإمام مالك ، وإحدى الروايَتَيْن عن الإمام أحمد ، والخِلَاف فى غير الكعبة الشريفة فهى أفضل من بقية المدينة اتفاقاً . وإيراد حجج الفريقين مِمّا يطول به الكتاب .

ويدل لما ذُكِر من أن النفس تُخْلَق من تربة الدَّفْن ما رواه الحاكم وصَحَّحَه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : مَرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بِقَبْرٍ ، / فقال : « قَبْرُ مَنْ هذا » ؟ فقالوا : قَبْر فلان الحَبَشِيّ يارسول الله . فقال : « لا إله إلا الله سِيقَ من أرضه وسمائه إلى التُّرْبَة التى منها خُلِق » .

٤٣٢ظ

وتقدم فى أول باب من هذا الكتاب أَثَرُ كعب : « أن النبى صلى الله عليه وسلم خُلِق من القبضة التى أُخِذَتْ من قبره الشريف[3] » . وروى [يزيد الجريرى قال : سمعت

---

(١) فى الأصول الفاكهانى وأثبتنا اسمه كما ورد فى السمهودى ولفظ الفاكهى كما فى وفاء الوفا . (ج ١ ص ٢٠) : قال : قالوا لاخلاف أن البقعة التى ضمت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة .

(٢) المراد أهل المدينة النبوية فالنسبة إليها مدنى أما النسبة إلى غيرها من المدن فدينى .

(٣) لفظ الحديث الذى رواه كعب الأحبار ويسمى أثراً : « لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أمر جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضع قبره صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم ثم غمست فى أنهار الجنة وطيف بها فى السموات والأرض فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام » — السمهودى ج ١ ص ٢٢ .

ابن سيرين يقول[1] :] « لو حَلَفْتُ لحَلَفْتُ صادقاً بارًّا غَيْرَ شَاكٍّ ولا مُسْتَثْنٍ أن الله تعالى ماخَلَق نَبِيَّه صلى الله عليه وسلم ولا أبا بكر ولا عُمَر إلا من طينةٍ واحدة ، ثم رَدَّهم إلى تلك الطينة » .

وروى الإمام أحمد والترمذى وحَسَّنَه ، والطبرانى والحاكم عن مَطَر بن عُكَامِس[2] ـ بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وكَسْر الميم فسين مهملة ـ والترمذى وصَحَّحَه عن أبى عَزَّة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قَضَى الله لعَبْدٍ أن يموت بأَرض جعل له إليها حاجة » . قال الحكيم الترمذى : « إنما صار أَجَلُه هناك لأَنه خُلِق من تلك البقعة وقد قال الله تعالى : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى[3] » قال : فإنما يُعَاد [المَرْءُ من[4]] حيث بدئ منه » .

وروى ابن الجوزى فى الوفا[5] عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لما قُبِض النبى صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دَفْنِه » فقال عَلِيٌّ رضى الله عنه : « إنه ليس [فى الأَرض[6]] بقعة أكرم على الله من بقعة قُبِض فيها [نَفْسُ[6]] نبيه صلى الله عليه وسلم » . وروى أبو يَعْلَى[7] عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : «سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لايُقْبَضُ النبى إلا فى أَحب الأَمكنة إليه[8] » .

---

(١) بياض بالأصول بمقدار نحو سبع كلمات والتكلة من السمهودى ج ١ ص ٢٣ .

(٢) هو مطر بن عكامس السلمى من بنى سليم بن منصور يعد فى الكوفيين ، انظر أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٧١) وخلاصة الخزرجى (ص ٣٣٣) وفى الإصابة (ج ٦ ص ١٠٣) : قال ابن حبان له صحبة وقال الطبرانى اختلف فى صحبته وقال عثمان الدارمى ـ سألت يحيى بن معين عن مطر ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لا أعلمه وما يروى عنه إلا هذا الحديث . . وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والترمذى قال حسن غريب ولا يعرف لمطر غير هذا الحديث وصححه الحاكم . وفى أصل كلمة عكامس قال ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٥٥٨) ليل « عكامس إذا تراكبت ظلمته . وفى التاج كل شىء تراكب وتراكم وكثر حتى يظلم من كثرته فهو عكامس .

(٣) آية ٥٥ من سورة طه .

(٤) بياض بالأصول بنحو كلمتين والتكلة من السمهودى .

(٥) عنوانه كاملا : « الوفا فى فضائل المصطفى » منه مخطوطة فى ليدن وأخرى فى المكتبة التيمورية .

(٦) زيادة من السمهودى (ج ١ ص ٢٣) .

(٧) هو أبويعلى الموصلى الحافظ توفى سنة ٣٠٧ هـ ترجم له الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ٢ ص ٢٤٨ : ٢٤٩) .

(٨) فى رواية لهذا الحديث أخرجها محمد بن عيسى الترمذى فى الشمائل المحمدية (على هامش حاشية إبراهيم البيجورى ص ٢٣٢ : ٢٣٣ بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) : عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته قال : « ما قبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه » ، ادفنوه فى موضع فراشه .

قال السيد[1] : «وأَحَبُّها إليه أَحَبُّها إلى رَبِّه لأَن حُبَّه تابع لحَب رَبِّه . وماكان أَحَبَّ إلى الله ورسوله كيف لا يكون أَفضل ؟ قال : ولهذا سلكت هذا المسلك فى تفضيل المدينة فقد صَحّ قَوْلُه صلى الله عليه وسلم : « اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كَحُبِّنا مكةَ أَو أَشَدّ ، أَى « بل أَشَدّ » أَو «وأَشَدّ» ، كما رُوِى به . وأُجِيبَت دعوته حتى كان يُحَرِّك دابَّتَه إذا رآها من حُبِّها » .

تنبيه : قال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « معنى التفضيل بين مكة والمدينة أَن ثواب العمل فى إحداهما أَكثر من ثواب العمل فى الأُخرى ، فيُشْكِل قول القاضى : « أَجمعت الأُمة على أَن موضع القبر الشريف أَفضل » ، إذ لا يمكن لأَحد أَن يعبد الله فيه . وأَجاب غيره بأَن التفضيل فى ذلك للمُجَاورة ولذا حُرِّم على المُحْدِث مَسّ جِلْد المصحف لا لكثرة الثواب وإلا فلا يكون جِلْدُ المصحف بل ولا المصحف أَفضل من غيره لِتَعذُّر العمل فيه . وقال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى : قد يكون التفضيل بكثرة الثواب وقد يكون لِأَمْرٍ آخر ، وإن لم يكن عملاً ، فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه [وليس ذلك لمكان غيره[2]] فكيف لا يكون أَفضل الأَماكن؟ [وليس مَحَلّ عَمَلٍ لنا فهذا معنى غير تضعيف الأَعمال فيه[2]] ، وأَيضاً فباعتبار ماقيل : إن كل أَحد يُدْفَن فى الموضع الذى خلق منه ، [وأَيضاً فقد تكون الأَعمال مُضَاعَفَة فيها باعتبار أَن النبى صلى الله عليه وسلم حَىّ وأَن أَعماله مضاعفة[3]] أَكثر من كل أَحد [فلا يَخْتَصّ التضعيف بأَعمالنا نحن[3]] .

قال السيد : « [وهذا من النَّفَاسَة بمكان على أَنى أَقول[4]] الرحمات [والبركات] النازلة بذلك المَحَلّ يَعُمّ فَيْضُها الأُمة وهى غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم [وما تناله الأُمة بسبب نبيها هو الغاية فى الفضل ولذا كانت خير أُمة بسبب كون نبيها خير الأَنبياء ،

---

(١) هذا النص فى وفاء الوفاء (جـ ١ ص ٢٣) .

(٢) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٢١) .

(٣) ساقطة من الأصول والتكلة من السمهودى .

(٤) بداية كلام السمهودى الذى أغفل المؤلف نقله .

فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه[1]] منبع فيض الخيرات ، [ألا ترى أن الكعبة على رأى من[2]] منع الصلاة فيها ليست محل عملنا أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل مع أن الكعبة هى السبب فى إنالة تلك الخيرات ؟ ...[3] وسيأتى أن المجىء المذكور فى قوله تعالى «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ[4] » الآية ، حاصلٌ بالمجىء إلى قبره الشريف ، وكذا زيارته صلى الله عليه وسلم وسؤال الشفاعة منه والتوسُّل به إلى الله والمجاورة عنده من أفضل القربات ، وعنده تُجَاب الدعوات أيضاً ، فكيف لا تكون أفضل وهو السبب فى هذه / الخيرات ؟ وأيضاً فهو روضة من رياض الجنة **٤٣٤ و** بل أفضل رياضها ، وفى الحديث : « لقاب قوس أحدكم [فى الجنة] خير من الدنيا وما فيها[5] » .

---

(١) تكملة ضرورية من السمهودى لفهم ما جاء بعدها .

(٢) بياض بالأصل بقدر عدة كلمات .

(٣) هنا أغفل المؤلف إيراد أربعة سطور من كلام السمهودى وهى أيضاً من الحجج التى ساقها فى تفضيل المدينة وجاء فيها : « وأيضاً فاهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته معلوم ، وإقبال الله عليه دائم وهو بهذا المحل الشريف ، فتكثر شفاعته فيه لأمته وإمداده إياهم ، وقد ورد فى حديث : وفاتى خير لكم ، بيان ذلك بأن أعمالكم تعرض على فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم ، وفى رواية استوهبت الله ذنوبكم وله شواهد تقويه وسيأتى .

(٤) من الآية ٦٤ من سورة النساء .

(٥) زاد السمهودى (ج ١ ص ٢٢) بعد ذلك : وقد قال الحكيم الترمذى فى نوادره سمعت الزبير بن بكار يقول : صنف بعض أهل المدينة فى المدينة كتابا وصنف بعض أهل مكة فى مكة كتابا فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه حتى برز المدنى على المكى فى خلة واحدة عجز عنها المكى وهى أن كل نفس إنما خلقت من التربة التى تدفن فيها بعد الموت وأن نفس الرسول إنما خلقت من تربة المدينة فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض .

الباب التاسع

فى تحريمها

عن سعد بن أَبى وَقَّاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنى حَرَّمْتُ المدينة مابين لَابَتَيْهَا لا يُقْطَع عِضَاهُها ولا يُقْتَل[1] صَيْدُها » ، رواه مسلم[2]. وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه قال : « سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى حَرَّمْتُ ما بين لَابَتَيْ المدينة ، وفى رواية ما بين مأْزِميها ، أَلاَّ يُهْرَاقَ فيها دم ولا يُحْمَل فيها سلاح ولا يُخْبَطَ فيها شَجَر إلا لِعَلْف » وعن عَلِىّ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة : « لا يُخْتَلَى خَلَاهَا ولا ينفر صيدها ولا تحل[3] لُقَطَتُهَا إلا لمن أشادها ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا يصلح أن يُقْطَع منها شجر إلا أن يعلف رجل بعيره » رواه الإمام أحمد وأبو داود . وعن على رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور[4] »، رواه الخمسة. وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أُحُد فقال : « هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه ، اللهم إن إبراهيم حَرَّم مكة وإنى أُحَرِّم ما بين لابَتَيْهَا » ، يعنى المدينة ، رواه الشيخان .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قوله صلى الله عليه وسلم : « إنى حَرَّمْتُ المدينة » ، حُجَّة فى أنها حَرَم ، وبه قال الجمهور ، ونقله عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة من الصحابة خِلَافاً لمن قال بخلاف ذلك . وذِكْرُ دليل وروده مما يطول به الباب . الثانى : فى بيان غريب ما سبق : « لابتى المدينة » : تثنية لَابَة وهى الحَرَّة : أرض ذات حجارة سود ، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهى بينهما ، ويُقَال : لابة ولوبة ونوبة بالنون ثلاث لغات ، وجمع

---

(١) فى رواية : لا يصاد صيدها . (٢) صحيح مسلم بشرح النووى (جـ ٩ ص ١٣٧) .

(٣) فى الأصول : تلتقط والتصويب من النهاية (جـ ٤ ص ٦٣) حيث شرح ابن الأثير الحكم الفقهى للقطة فى مكة كما ورد فى الحديث : لا تحل لقطتها إلا لمنشد والتفرقة بين لقطة الحرم ولقطة سائر البلدان .

(٤) فى صحيح مسلم (بشرح النووى جـ ٩ ص ١٤٢ : ١٤٣) .

اللَّابة في القِلَّة لابات وفي الكثرة لابٌ ولُوب : «العِضَاه» : بالقَصْر وَكَسْر العين المهملة وتخفيف الضاد المعجمة : كُلّ شَجَرٍ فيه شَوْك، واحِدَتُها[1] عِضاهَة وعَضِيهة . «المأْزِمان[2]» : بهمزة بعد الميم وبكسر الزاى تثنية مأْزِم : الطريق بين جَبَلَيْن ، أى حَرَّم ما بين جَبَلَىْ المدينة . «يُهْرَاق[3]» : يُصَبّ «يُخْبَط» : يُضْرَب[4]. «العَلْف[5]» بسكون اللام مصدر عَلَفْتُ وأما العَلَف بالفتح فهو اسم للحشيش والتِّبْن ونحوهما . «يُخْتَلَى» : يُجَزّ ويُقْطَع «الخَلَا» : بالقصر الرَّطْب من الحشيش[6] الواحدة خلاة «لايُنَفَّر» : بمثناة تحتية فنون ففاء أى لايُزْجَر ويُمْنَع من الرَّعْى . «أَشاد»[7] : بشين معجمة ودال مهملة أى أشاعها والإشادة رفع الصوت والمراد به تعريف اللُّقَطَة . وإنشادُها[8] . «عَيْر» : بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وبالراء : الحِمار ، ويقال عَيْر جَبَل يسمى باسمه ، ويمين الأَوَّل بالوارد والثانى بالصادر . «ثَوْر» : بالمثلثة مرادف فحل البقر ، جبل صغير خَلْف أُحُد ، قال المَطَرى بعد أن رَدَّ على من أنكر كون ثور بالمدينة وقال إنه خَلْفَ أُحُد من شمالِيِّه مُدَوَّرٌ صغير يعرفه أَهْلُ المدينة خَلَفٌ عن سَلَف . وقال القطب الحلبي : « حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البَصْرى أنه خرج رسولاً إلى العراق / فلما رجع ٤٣٤ ظ

---

(١) فى النهاية (ج ٣ ص ١٠٥) العضاه شجر أم غيلان وكل شجر عظيم له شوك الواحدة عضة وأصلها عضهة « وقيل واحدته عضاهة وعضهت العضاة إذا قطعتها .

(٢) المأزم المضيق فى الجبال حيث يلتقى بعضها ببعض ويتسع ما وراءه ، والميم زائدة ، وكأنه من الأزم القوة والشدة ، قاله ابن الأثير فى النهاية (ج ٤ ص ٧٤) .

(٣) الهاء فى هراق بدل من همزة أراق يقال أراق الماء يريقه وهراقه يهريقه ، بفتح الهاء هراقة ويقال فيه أهرقت الماء أهرقه إهراقاً فيجمع بين البدل والمبدل كما جاء فى النهاية (ج ٤ ص ٢٤٧) .

(٤) فى الأصول : يسقط وليس هذا معنى يخبط فى حديث تحريم مكة والمدينة : نهى أن يخبط شجرها ، والخبط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، واسم الورق الساقط خبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل .

(٥) من علف الحيوان يعلفه علفاً (طعمه العلف ، وهو من باب ضرب ، والعلف محركة هو ما تأكله الماشية وجمعه علاف مثل جمل وجمال .

(٦) جاء فى النهاية (ج ١ ص ٣١٩) فى حديث تحريم مكة : لا يختلى خلاها ، الخلا مقصور هو النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً ، واختلاؤه قطعه ، وأخلت الأرض كثر خلاها فإذا يبس الخلا فهو حشيش .

(٧) وردت هذه الكلمة أيضا فى الحديث : من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها يوم القيامة ، وشرحها ابن الأثير بقوله : يقال أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره من أشدت البنيان فهو مشاد وشيدته إذا طولته فاستعير لرفع صوتك بما يكرهه صاحبك .

(٨) من أنشد الضالة عرفها ودل عليها .

إلى المدينة كان معه دليل أي من عرب المدينة ، فكان يذكر له الأماكن والجبال » .
قال : « فلما وصلنا إلى أُحُد إذا بِقُرْبِه جَبَلٌ صغير ، فسألته عنه فقال : هذا يُسَمَّى ثَوْراً ، فعَلِمْتُ صِحَّةَ الرواية » . وقال المحب الطَّبرَى : « أخبرنى الثقة العالِم أبو محمد عبد السلام البَصْرى أن حِذَاء أُحُد ، عن يَسَارِه ، جانحاً إلى ورائه جَبَلاً صغيراً يُقَال له ثَوْر ، وأخبرنى أنه تكرر عنه سؤاله لطوائف من الأعراب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال ، فكُلٌّ أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثَوْر ، وتواردوا على ذلك » ، : « فعلمنا أن ذِكْر ثور فى الحديث صحيح وأن عدم علم أكابر العلماء به [هو] لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه » ، قال : « وهذه فائدة جليلة » .

الباب العاشر

فى ذِكْر بعض خَصَائصها[1]

وهى تزيد على المائة [فقد[2]] امتازت بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته صلى الله عليه وسلم . وكون المُتَعَرِّض لصيدها وشجرها يُسْلَب كقتيل الكفار ، وهو أبلغ فى الزَّجْر مما فى مكة ، وعلى القول بعدمه هو أدَلّ على عظيم حُرْمتها حيث لم يُشْرَع له جزاء . ويجوز نقل ترابها للتداوى ، واشتمالها على أشرف البقاع وهو محل القبر الشريف ، ودَفْن أفضل الخَلْق بها وأفضل هذه الأُمة وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون ، وخَلْقِهم من تربتها ، وبعث أشراف هذه الأُمة يوم القيامة منها على ما نقله [عياض[2]] فى المدارك عن الإمام مالك ، قال : « وهو لا يقول من عند نفسه » .

وكونها محفوفة بالشهداء كما قاله الإمام مالك أيضاً ، وبها أفضل الشهداء الذين بذلوا أنفسهم فى ذات الله بين يَدَىْ نَبِيِّهم صلى الله عليه وسلم ، فكان شهيداً عليهم ، واختيار الله تعالى إيَّاها لأفضل خلقه وأَحَبِّهم إليه ، واختيار أَهْلِها للنُّصْرَة والإيواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسِّنان ، وافتتاح سائر بلاد الاسلام منها ، وجعلها مظهر الدين ، ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة والسكنى بها لنصرته صلى الله عليه وسلم ومواساته بالأنفس على ماقاله القاضى عياض أنه مُتَّفَقٌ عليه ، قال : « ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على مَنْعِه من الإقامة [بمكة][2] بعد الفتح ، ورَخَّص له ثلاثة أيام بعد قضاء نُسُكِه ، والحَث على سُكْنَى المدينة وعلى اتخاذ الأَصل بها وعلى الموت بها ، والوَعْد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أوهُمَا ، واستحباب الدعاء بالموت بها ، وتَحْريضه صلى الله

---

(١) ذكر السمهودى هذه الخصائص فى وفاء الوفاء (جـ ١ ص ٥٢ : ٦٢) مرتبة ترتيباً عدديا ووصل بها إلى تسع وتسعين وفى حاشية لناشر طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦هـ قال بأنه دخل تحت الخصيصة السادسة والخمسين خصيصتان فيكون مجموع الخصائص مائة . وعقد الزركشى فى كتابه إعلام الساجد فصلا تحت عنوان : ذكر جملة من الخصائص والأحكام والفضائل ، أى المتعلقة بالمدينة النبوية (من ص ٢٤٢ : ٢٧٣) . أورد منها أربعين بسط القول فيها ولم يوجز كما صنع السمهودى ومؤلف هذا الكتاب .

(٢) إضافة يقتضيها السياق

عليه وسلم على الموت بها وشفاعته أو شهادته لمن صبر على لأوابها وشِدَّتها ، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة ودعاؤه بحبها ، وطرح الرداء عن منكبيه إذا قاربها ، وتسميته لها طَيْبة » وغيرها مما سبق . « وطيب ريحها ، وللعِطْر بها رائحة لا توجد فى غيرها » قاله ياقوت .

وطيب العيش بها وكثرة أسمائها ، وكتابتها فى التوراة مؤمنة وتسميتها فيها بالمحبوبة والمرحومة وإضافتها إلى الله تعالى فى قوله تعالى « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا[1] »، وإلى النبي بلفظ البيت فى قوله تعالى : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ[2] » وإقسام الله تعالى فى قوله تعالى : « لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ[3] » والبداءة بها فى قوله تعالى : « وَقُل رَّبِّ / أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ[4] » ، مع أن المخرج مُقَدَّم على المدخل . ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لها خصوصاً بالبركة ، ولثمارها ومكيالها وأسواقها وأهلها .

٤٣٥و

ولقوله إنها تَنْفِى الذنوب وتنفى خَبَثَها ، وأنه لا يَدَعُها أَحَدٌ رَغْبَةً عنها إلا أبدل الله فيها خَيْراً منه ومن أرادها وأَهْلَها بسوء أذابه الله ، الحديث ، فَرَتَّبَ الوعيدَ فيها على الإرادة ، كما قال تعالى فى حَرَم مكة . « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[5] » والوعيد الشديد لمن أحدث فيها حَدَثاً أو آوَى مُحْدِثاً . والحَدَث يشمل الصغيرة فهى بها كبيرة ، أى يَعْظُم جزاؤها لدلالتها على جرأة مرتكبها بِحَرَم سَيِّد المُرْسَلين وحضرته الشريفة . والوعيد الشديد لمن ظَلَم أَهْلَها أو أَخافهم ، ووعيد من لم يُكْرِم أهلها وأن إكرامهم وتعظيمهم حَقٌّ على الأمة ، وأنه صلى الله عليه وسلم شفيعٌ أو شهيدٌ لمن حَفِظَهم فيه ، وقوله : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدنية فقد أخاف ما بين جَنْبيَّ » .

واختصاصها بِمَلَك الإيمان والحياء ، ويكون الإيمان يَأْرِزُ إليها ، واشتباكها بالملائكة وحراستهم لها ، وإنها دار الإسلام أبداً لحديث : « إن الشياطين قد أَيِسَتْ أن تُعْبَد

---

(١) سورة النساء من الآية ٩٧ .

(٢) سورة الأنفال من الآية الخامسة .

(٣) الآية الأولى من سورة البلد .

(٤) سورة الإسراء من الآية الثمانين .

(٥) سورة الحج من الآية ٢٥ .

بِبَلَدِى هذا » ، وأنها « آخر قُرَى الإسلام خراباً » ، رواه الترمذى ، وحَسَّنَه ، ويأتى بَسْطُه فى المعجزات إن شاء الله تعالى ، وعصمتها ، من الدَّجَّال وخروج الرجل الذى هو خير الناس أو من خير الناس منها لِلدَّجَّال لِيُكَذِّبَهُ ، ونقل وبائها وحُمَّاها والاستشفاء بترابها وبتمرها كما سيأتى فى الخصائص .

وقَوْلُه فى حديث للطبرانى : « وحَقٌّ على كل مسلمٍ أن يأتيها » ، وسماعُه صلى الله عليه وسلم لمن صَلَّى عليه بها عند قبره الشريف ، ووجوب شفاعته لمن زاره بها ، وغير ذلك مما سيأتى فى باب فضل زيارته . وكَوْنُها أَوَّلَ مسْجِدٍ اتخذه بها لعامة المسلمين فى هذه الأُمة ، وتأسيس مسجدها على يده صلى الله عليه وسلم ، وعمل فيه بنفسه ، ومعه خَيْرُ الأُمة ، وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ[1]) وكونه آخر مساجد الأنبياء ، والمساجد التى تُشَدُّ إليها الرِّحَال ، وكونه أَحَقَّ المساجد أن يُزَار [وما يُدْخَرُ لزائره من الثواب][2] المُضَاعَف كما سيأتى وأن من صَلَّى فيه أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب ، وأنه بَرِىء من النفاق ، وأن من خرج على طُهْر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حِجَّة ، وماثبت من أنَّ إتيان مسجد قُبَاء والصلاة فيه تَعْدِل عُمْرَة وغير ذلك مما ثبت فى فضلها .

وأن بين بيته وقبره روضة من رياض الجنة ، مع ذهاب بعضهم إلى أن ذلك يَعُمّ مسجده صلى الله عليه وسلم ، وأنه المسجد الذى لا تُعْرَف بُقْعَة فى الأرض من الجنة غيره ، وأنه على حَوْضه صلى الله عليه وسلم ، وما جاء فى أن « ما بين منبره الشريف والمُصَلَّى روضة من رياض الجنة »[3] وسيأتى ما يقتضى أن المُرَاد مُصَلَّى العيد وهو جانب كبير من هذه البلدة .

وقَوْلُه فى أُحُد: [هذا جَبَلٌ][4] يُحِبُّنَا ونُحِبُّه ، وأنه على تُرْعة من تُرَع الجَنَّة . وفى

---

(١) من الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٢) بياض بالأصول بقدر عدة كلمات والتكلة مما يقتضيه السياق .

(٣) أخرجه مسلم عن عبد الله بن زيد المازنى وعن أبى هريرة ولفظه عن المازنى : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة وزاد أبو هريرة : ومنبرى على حوضى (صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٦١ : ١٦٢) .

(٤) عن أنس : إن أحدا جبل يحبنا ونحبه (صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٦٢) .

وادى بَطْحَانَ أنه على تُرعةٍ من تُرَع الجنَّة[1]. وَوَصْفُهُ لواديها العقيق بالوادى المُبَارك، وأنه يُحِبُّنَا ونُحِبُّه[2] . وقَوْلُه فى ثِمَارها : « إن العَجْوةَ من الجَنَّة » . وسيأْتى فى بئر غَرْس[3] أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه أَصْبَح على بِئْرٍ من آبار الجَنَّة فأَصبح عليها[4] . ورؤيا الأنبياء حق .

واختصاص مسجدها بمزيد الأدب . ويُكْتَب لمن صَلَّى بمسجدها صلاةً براءةٌ من النار وبراءةٌ من العذاب / وأنه بَرِيء من النِّفاق . رواه الإمام أحمد والطبرانى برجالٍ ثِقَات . وخَفْضُ الصَّوْتِ فى تأكيد التَّعَلُّم والتعليم به . [والحديث] : أنه « لا يَسْمَعُ النِّدَاء فى مَسْجِدى ، ثم يَخْرُج منه إلا لِحَاجَةٍ ثم لا يرجع إليه إلا مُنَافِق » واختصاصُه عند بعضهم بِمَنْع آكِلِ الثُّوْم من دخوله لاختصاصه بملائكة الوَحْى والوعيدُ الشديد لمن حَلَف يميناً فاجرة عند مِنْبَرِها ومضاعفة سائر الأعمال بها كما صَرَّح به الإمام الغزالى . وأن صلاة الجمعة بها كألف جمعة فيما سواها إلا المسجد الحرام . وأن صيام شهر رمضان بها كصيام ألف شهر فى غيرها ، كما رواه البيهقى عن جابر بن عبد الله ، والطبرانى فى الكبير عن بلال بن الحارث ، وابن الجَوْزِى عن ابن عُمَر رضى الله عنهما .

٤٣٥ ظ

وَكَوْنُ أَهْلِها أَوَّلَ من يشفع لهم النبى صلى الله عليه وسلم ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام . وجاء بَعْثُ المَيِّت بها من الآمنين ، وأنه يُبْعَثُ من بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حِسَاب ، وتُوكَلُ الملائكة بمقبرة بقيعها كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفئوها بالجَنَّة وبَعْثُه صلى الله عليه وسلم منها وبعث أهلها من قبورهم

---

(١) روى ابن شبة والبزار عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن بطحان على ترعة من ترع الجنة .

(٢) عن أنس قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى العقيق فقال : « يا أنس خذ هذه المطهرة املأها من هذا الوادى فإنه يحبنا ونحبه » ، فأخذتها فلأتها .

(٣) ضبطه السمهودى (جـ ٢ ص ١٤٥) بضم الغين المعجمة قائلا بأنه هو الدائر على ألسنة أهل المدينة (أى فى زمنه) وضبطه الفيروزابادى بفتح الغين وسكون الراء .

(٤) عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها وأهدى له عسل فصبه فيها وغسل منها حين توفى . وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شفير غرس : « رأيت الليلة كأنى جالس على عين من عيون الجنة يعنى بئر غرس .

قبل سائر الناس واستحباب الدعاء بها فى الأماكن التى دعا بها صلى الله عليه وسلم وسيأتى بيانها إن شاء الله تعالى ويقال إنه يُسْتَجَاب بها عند الأسطوانة المُخَلَّقة ، وعند المنبر وفى زاوية دار عقيل بالبقيع وبمسجد الفتح[1] .

[واختصاصها] بكثرة المساجد والمشاهد بها ، واستخباث من عَابَ تُرْبَتَهَا ، وأفتى[2] الإمام مالك أنه من قال تربتها رديئة أن يُضْرَب ثلاثون دِرَّة ، وأمر بحبسه وكان له قَدْر ، وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه ، تُرْبَةٌ دُفِن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يَزْعُم أنها غير طَيِّبة .

واستحباب الدخول لها من طريق والرجوع من أخرى . والاغتسال لدخولها ، واختصاص أهلها بأبعد المواقيت ، وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بها قبل مكة ، وأن نَفَراً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يبدأون بالمدينة إذا حَجُّوا ويقولون نَبْدَأ من حيث أَحْرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن علقمة ، والأسود، وعَمْرو بن ميمون أنهم بدأوا بالمدينة وعن العبدى من المالكية أن المَشْى لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة. وسيأتى أن من نَذَرَ زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم لَزِمَهُ الوفاء قولاً واحداً . وفى وجوب الوفاء فى زيارة [قبر] غيره وجهان [قاله ابن كَجّ[3] وأقره عليه الرافعى والنووى وغيرهما][4] والاكتفاء بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن نَذَر إتيان مسجد المدينة كما قال الشيخ أبو على تَفْرِيعاً على القول بلزوم إتيانه كما قاله [الشافعى][4] والبُوَيْطِى ، على أنه لابد من [ضَمّ[4]] قُرْبَة إلى الإتيان كما هو الأَصَحّ [تفريعاً على اللزوم وعَلَّله

---

(١) زاد السمهودى : وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الإجابة ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم وعند بركة السوق فى يوم العيد وعند أحجار الزيت وبالسوق لما سيأتى عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه صلى الله عليه وسلم بها .

(٢) فى السمهودى (جـ ١ ص ٥٧) استحقاق من عاب تربتها للتعزير .

(٣) هو القاضى أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج أحد أركان المذهب الشافعى كان يضرب به المثل فى حفظ المذهب وارتحل الناس إليه من الآفاق بحيث يفضله بعضهم على الشيخ أبى حامد الإسفراييني ، وقال له فقيه : يا أستاذ، الاسم لأبى حامد والعلم لك . قال : ذاك رفعته بغداد وحطتنى الدينور . قتله العيارون بها سنة ٤٠٥ هـ . انظر طبقات الشافعية للتاج السبكى (جـ ٤ ص ٢٩) وتاج العروس مادة كج .

(٤) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٦١) .

الشيخ أبو على بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القُرُبَات ، وتوقف فى ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تَصَدَّقَ فى المسجد أو صام يوماً كفاه ، وفيه نَظَر ، على أن الصحيح ما نُصَ عليه فى المُخْتَصَر من][1] عدم لزوم الإتيان[2] .

وجاء فى سُوقِها أن الجالب إليه كالمجاهد فى سبيل الله ، وأن المُحْتَكِرَ كالمُلْحِد فى كتاب الله تعالى . واختُصَّتْ بظهور نار الحجاز المُنْذَر[3] بها من أرْضِها ومن انطفائها عند حَرَمِها كما سيأتى فى المعجزات ، لما تَضَمَّنَه حديث الحاكم وغيره . [وفى حديث النسائى والبزار والحاكم واللفظ له :][4] « يُوشِك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالِماً أعلم من عالِم المدينة » . وكان سفيان بن عُيَيْنَة يقول : نرى هذا العالِم مالك ابن أنس . وقيل غير ذلك . وما نُقِل عن مالك من أن إجماع أهلها يُقَدَّم على خَبَر الواحد ، لسُكْنَاهم مَهْبِط الوَحْى ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ .

واختصاص أهلها فى قيام رمضان بستٍ وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية . قال الإمام الشافعى : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة منها ثلاث للوِتْر . ونقل الرويانى / وغيره عن الشافعى أن سببه إرادة أهل المدينة مساواة أهل مكة فيما كانوا يأتون به من الطواف وركعتَيْن بين الترويحات فجعلوا مكان كل أسبوع[5] ترويحة . قال الإمام الشافعى : « لا يجوز لغير أهل المدينة أن يباروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فَضَّلهم على سائر العباد » .

٤٣٦و

---

(١) ساقطة من الأصول والتكلة من السمهودى ج ١ ص ٦١ .

(٢) زاد السمهودى : وإن كان اللزوم أرجح دليلا ، ورجح الرافعى تفريعاً على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف وكذا إذا نذر إتيان المسجد الأقصى فإن نفس المرور لما لم يكن فى نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يقصد به من القرب . وبهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو على لأن اتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره .

(٣) أى التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم للإنذار .

(٤) زيادة من السمهودى . ج ١ ص ٦٠ .

(٥) أسبوع هنا كما فى القاموس : طاف بالبيت سبعاً وأسبوعاً وسبوعاً . وشرح الزركشى فى إعلام المساجد ص ٢٦٠ ما كان يصنعه أهل مكة وهو أنهم كانوا إذا صلوا ترويحة طافوا سبعاً إلا الترويحة الخامسة فإنهم يوترون بعدها ولا يطوفون فتحصل لهم خمس ترويحات وأربع طوافات . فلما لم يمكن أهل المدينة مساواتهم فى أمر الطواف الأربع وقد ساووهم فى الترويحات الخمس جعلوا مكان كل أربع طوافات أربع ترويحات زوائد فصارت تسع ترويحات فتكون ستاً وثلاثين ركعة لتكون صلاتهم مساوية لصلاة أهل مكة وطوافهم ، ثم أورد الزركشى بعد ذلك قولين آخرين فى سبب هذه الزيادة .

وشاركتها مكةَ فى تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها واصطياده وتنفيره ، وحَمْل السلاح للقتال بها ، ولا تحِل لُقَطَتُها إلا لمن أَشاد بها ، ونقل ترابها ونحوه منها أو إليها ، ونبش الكافر إذا دُفِن بها . وأن كلاً من مسجد الرسول والمسجد الحرام يقوم مقام المسجد الأَقصى لمن نذر الصلاة أو الاعتكاف فيه ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يُجْزِه الأَقصى وأجزاه المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة ، وإذا نذر المشى إلى بيت المقدس يُخَيَّر بين المشى إليه أو إلى أحدهما ، والذى رَجَّحوه ما اقتضاه كلام البغوى من عدم لزوم المشى فى غير المسجد الحرام .

وإذا نذر تطييب مسجد المدينة والأَقصى ففيه تردد لإمام الحرمين ، واقتضى كلام الغزالى اختصاصه بالمسجدين لأَنا إن نظرنا إلى التعظيم أَلحقناهما بالكعبة أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا . قال السيد[1] : فينبغى الجَزْم فى نذر تطييب القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام . ورحم الله الإمام مالك أَبى عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الأَندلسى المالكى[2] الأَعمى حيث قال :

هنا وكم يا أَهْلَ طَيْبَة قد خَفَى ... فَبِالْقُرْبِ مِن خَيْرِ الوَرَى حِزْتُمُ السَّبْقَا

فلا يتحرك ساكنٌ [ثوى بربوعها][3] ... إلى سواها وإن جار الزمان ولو شَقَّا

فَكَمْ مَلِكٍ رَامَ الوصول لِمِثْلِ ما ... وَصَلْتُمْ فلم يَقْدِرْ ولو مَلَكَ الخَلْقَا

---

(١) لفظ السمهودى (جـ ١ ص ٦٠) : وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغى ألا يتوقف فيما لو نذر تطييب القبر الشريف .

(٢) ليس فى اسمه مالك كما جاء فى ترجمته فى كل من نكت الهيمان وشذرات الذهب فاسمه هو : أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن على بن جابر الهوارى المرِيي (أى نسبة إلى بلدة المرية بالأندلس) عرف بابن جابر ، قدم دمشق وسمع بها على أشياخ عصره وتوجه من دمشق إلى حلب فى أخريات سنة ٧٤٣ هـ . قال الصفدى (نكت الهيمان ص ٢٤٥) : اجتمعت به مرات وسألته عن مولده فقال : سنة ٦٩٨ هـ بالمرية قرأ القرآن والنحو على أبى الحسن على بن محمد بن أبى العيش والفقه لمالك على محمد بن سعيد الرندى وسمع صحيح البخارى من محمد الزواوى وقال الصفدى إنه ينظم الشعر جيداً وأنشدنى منه كثيراً وهو الآن حى يرزق بناحية البيرة . ولقد كتب الصفدى هذا قبل سنة ٧٦٤هـ التى توفى فيها أما ابن جابر فقد توفى سنة ٧٨٠هـ كما جاء فى شذرات الذهب (جـ ٦ ص ٢٦٨) وقال ابن العماد فى ترجمته . كان ابن جابر رفيقاً لأبى جعفر الرعينى وهما المشهوران بالأعمى والبصير كان ابن جابر هذا يؤلف وينظم ، والرعينى يكتب وأورد ابن فضل الله العمرى شيئاً من شعر ابن جابر فى كتابه مسالك الأبصار وكان حريصاً على لقائه فلم يتفق للعمرى ذلك إذ توفى سنة ٧٤٨ هـ ومن مؤلفات ابن جابر شرح الألفية لابن مالك عنى فيه بإعراب الأبيات وله نظم لفصيح ثعلب ونظم لكفاية المتحفظ لابن الأجدابى وشرح على ألفية ابن معطى . هذا ولم يترجم له المقرى فيمن رحلوا إلى المشرق من الأندلسيين .

(٣) بياض بالأصول وما أثبتناه محاولة لتكملة صدر البيت .

فَبُشْرَاكُمُ نِلْتُمْ عِنَايَةَ رَبِّــكُمْ ... فَهَـــا أَنْتُم فى بحـر عِنَايَتِهِ غَرْقَى

تَرَوْنَ رَسُولَ اللهِ فى كل ساعـة ... ومَنْ يَرَهُ فهو السعيدُ بـه حَقًّا

مَتَى جِئْتُمُ لا يُغْلَقُ البَابُ دُونَكُمْ ... وَبَابُ ذوى الإحسان لا يقبل الغَلْقَا

فَيَسْمَعُ شكواكم ويكشف ضُرَّكُمْ ... ولا يَمْنَعُ الإِحْسَانَ ضَرٌّ ولا رِقَّـــا

بِطَيْبَـــة مثواكم وأَكْرَمُ مُرْسَلٍ ... يلاحظكم فَالدَّهْرُ يَجْرِى لكم وَفْقَـا

وكم نِعْمَــةٍ لله فيهـــا عَلَيْكُمُ ... فشكرا ونعم الله بالشكر تُسْتَبْقَى

أَمِنْتُمْ مـــن الدَّجَّال فيها فَحَوْلَهَا ... ملائكةٌ يَحْمُونَ مِنْ دُونِهَا الطُّرْقَـا

كذاك مـــن الطاعونِ أنتم بِمَأْمَنٍ ... فوجه التلالى لا يزال لكم طَلْقَـــا

فلا تنظروا إلا لِوَجْهِ حَبِيبِــكُمْ ... وإن حادت الدُّنْيَا وَمَرَّتْ فلا فَرْقَا

حياةً وَمَوْتاً تحت رُحْمَاهُ أَنْتُـمُ ... وحَشْراً فَسِتْرُ الجاه فوقكم مُلْقَـى

فيا راحِلاً عنهـــا لدنيا تُرِيدُها ... أَتَطْلُبُ ما يَفْنَى وَتَتْرُكُ ما يبقى ؟

أَتخْرُجُ عَـــنْ حَوْزِ النَّبِىِّ وحِرْزِهِ ... إلى غَيْرِه تَسْفِيهُ غَيْرِكَ قَـدْ حقًّا

٤٣٦ ظ

لئن سِرْتَ من فيض المكارم عنده[1] ... فَأَكْرَمُ من خَيْرِ البَرِيَّةِ ما تَلْقَى /

هو الرِّزْقُ مَقْسُومٌ فليس بزائــد ... ولو سِرْتَ حتى كِدْتَ تخترق الأُفْقَا

فَكَمْ قَاعِدٍ قد وَسَّعَ اللهُ رِزْقَـــهُ ... ومُرْتَحِلٍ قد ضاق بين الورى رِزْقَا

فَعِشْ فى حِمَى خَيْرِ الأَنَامِ وَمُتْ بِه ... إذا كُنْتَ فى الدَّارَيْنِ تَطْلُبُ أَن تَرْقَى

إذا تَمَّتَ فيا بين قَبْرٍ وَمِنْبَـــرٍ ... بِطَيْبَةَ فاعْرِفْ أَيْنَ خَيْرٌ الك الأَرْقَى

لقد أَسْعَدَ الرَّحْمَــنُ جَارَ مُحَمَّدٍ ... ومن حال فى تَرْحَالِه فهـو الأَشْقَى

ومن أعظم ما نُظِم فى ذلك وأعجبه قصيدة الإمام الوَلىِّ العارف بالله أبى محمد عبد الله ابن أَبِى عُمَر البِسْكَرِىّ[2] . قال العَلَّامة بدر الدين فَرْحُون[3] أحد أصحاب ناظمها : إن

---

(١) فى الأصول : لئن سرت من كريم أعانه .

(٢) فى تـوم : أبو محمد عبد الله بن أبى عمران السكرى ، والنسبة الأخيرة خطأ وقد سبق للمؤلف ضبطها فى أول الباب الثامن ص ٤٧٨ من هذه المخطوطة : البسكرى ، والاسم كما أورده السمهودى آنفا هو : أبو محمد عبد الله بن أبى عمر وبما أن البسكرى – فيما نرجح – مالكى المذهب لأنه من بلدة بسكرة شرق الجزائر فى المغرب العربى فقد حاولنا ضبط اسمه فى كتب طبقات المالكية مثل الديباج لابن فرحون ونيل الابتهاج للتمبكتى وشجرة النور الزكية لمخلوف ولكننا لم نوفق فى العثور عليه .

(٣) ممن اسمه ابن فرحون اثنان : صاحب الديباج المذهب واسمه برهان الدين أبو الوفا إبراهيم بن نور الدين =

بعض الصالحين رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى المنام ، قال البدر : « وأشك هل كان الشيخ أو غيْرُه ؟ وأنشد هذه القصيدة ، فلما بلغ آخرَها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَضِينَاهَا رَضِينَاهَا » . وخمَّسَها الإمام أبو عبد الله التونسى رحمه الله . وقد رأيت إيرادَ ذلك هنا[1] :

أَعْلَامُ طَيْبَةَ لاتَهِمْ بسِوَاهَـــا   فَحَبِيبُ رَبٍّ العَالَمِينَ ثواها[2]
وَاعمُرْ فُؤَادَكَ دائِمــاً بِهَوَاهَــا   دَارُ الحَبِيبِ أَحَقُّ أَن تَهْــوَاهَـ
وتَحِنُّ من طَرَبٍ إلى ذِكْرَاهَا

لا تُخْلِ خدَّ تُرَابِها مِــنْ قُبْلَــةٍ   وَبِكُلِّ عَامٍ قُمْ إليه بِرِحْلَةٍ[3]
لا تَقْنَعَنَّ مِــنَ المَزَارِ بِمَــرَّةٍ   وَعَلَى الجُفُونِ متى هَمَمْتَ بِزَوْرَةٍ
يَاابْنَ الكِرَامِ عَلَيْك أن تَغْشَاهَــا

اقْطَعْ زَمَانَكَ إن سَعِدْتَ بِبَلْــدَةٍ   حَوَتِ الرَّسُولَ فَتِلْكَ أَطْيَبُ تُرْبَة
جَاوِرْهُ تَأْمَنْ أن تُصَابَ بِشِـدةٍ   فَلَأَنْتَ أَنْتَ إذا حَلَلْتَ بِطَيْبَة
وَظَلَلْتَ تَرْتَعُ فى ظِــلَالِ رُبَاهَا

هى جُنَّتِى مِمَّــا أَخَاف وَجَنَّتِى   وَبِجَـاهِ مَنْ فيها تُخَلَّصُ مُهْجَتِى
وإذا نَظَرْتُ لَهَا فَذَلك بُغْيَتِــى   مَعْنَى الجَمَالِ مُنَى الخَوَاطِرِ والَّتِى
سَلَبَتْ عُقُولَ العاشقين حُلَاهَا

تِلْكَ المَنَازِلُ لاَ نَعِيمَ كَتُرْبِهــا   تِلْكَ المِيَاهُ لنا الشِّفَاءُ بِشُرْبِهَا
يَا طِيبَ نَفْحَتِها وحُسْنَ مَهَبِّهــا   لاَ تَحْسَبِ المِسْكَ الذَّكِيَّ كَتُرْبِهَا
هَيْهَاتَ أَيْنَ المِسْكُ مِنْ رَيَّاهَا

= أبي الحسن على بن محمد أبو القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمرى توفى سنة ٧٩٩ هـ ، انظر شذرات الذهب جـ ٦ ص ٣٥٧ . وابن فرحون الآخر هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون بن اليعمرى المتوفى سنة ٧٦٩ هـ وليس فى اسميهما بدر الدين .

(١) أورد السمهودى القصيدة بطولها دون تخميس فى خاتمة كتابه جـ ٢ ص ٤٥٤ : ٤٥٦ .

(٢) فى القاموس : ثوى المكان وبه يثوى ثواء وثوياً – بالضم – أطال الإقامة به أو نزل .

(٣) عجز البيت فى الأصل . وبكل عام كن لهذا رحلة . وفى البيت على هذه الصورة إقواء ، فضلا عن ركاكة التعبير عند القول : كن لهذا رحلة . ولذلك غيرناه . وبكل عام قم إليه برحلة ، للمحافظة على طلاوة القصيدة .

لِمَ لا تَطِيبُ ثناً وَنكْرُمُ مَنْبتاً والمصطفى حَيًّـا حَوَتْـهُ وَمَيِّتاً
فَنَسِيمُهَا يَحْكِى العَبيرَ إذا أَتَى طَابَتْ فإن تَبْغِ التَّطيُّبَ يا فتى
فَأَدِمْ على الساعات لَثْمَ ثَرَاهَا

لَوْ لَمْ تكُنْ أَزْكَى البلادِ وأَطْهَرَا ما اختارَهـا لرسوله لَمَّـا سَرَى
فبطيبها أَيْقِنْ وخَلِّ من افْتَرَى وابْشِرْ فى الخَبَرِ الصَّحِيحِ مُقَرَّرَا
أن الإله بِطَابَةٍ سَمَّاهَـا /

٤٣٧ و

دارُ الحَبِيبِ لنا فَلُذْ بِرَحِيبِهـا فَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بـدار حَبِيبِهَا
اللهُ شَرَّفهـا به لِنَصِيبِهـا واخْتَصَّها بالطَّيِّبينَ لِطِيبِهَـا
واختارها ودَعَا إلى سُكْنَاهَـا

مَدَّتْ بها رُحْمَى الإلهِ ظِلَالَهَـا من أَجْلِ مَنْ منعَ النُّفُوسَ ضَلَالَهَا
جُلْ فى البِلَادِ فَلَنْ تصيبَ مِثَالَهَا لا كَالْمَدِينَةِ مَنْزِلٌ وكفى لها
شَرَفَاً حُلُولُ مُحَمَّدٍ بِفِنَاهَا

مَنْ لى بأَنْ أَلْقَى الحَبِيبَ وَأَظْفَرَا وأَشُمَّ مِنْ مَثْواهُ مِسْكاً أَذْفَـرَا
وأَرَى التى شُغِفَتْ بهـا مُهَجُ الورى خُصَّتْ[1] بِهِجْرَةِ خَيْرِ مَنْ وطِىءَ الثَّرَى
وأَجَلِّهِمْ قَدْرًا فكيف تَرَاهَا[2] ؟

كَلَفِى بِهَا طَبْعٌ بغير تَكَلُّـفِ صَفَتِ القُلُوبُ لها لأَجْلِ مَنْ اصْطُفِى
وَجَلَالُ تلك الأَرْضِ ما هو بالخَفِى كُلُّ البِلَادِ إذا ذَكَرْتَ كَأَحْرُفِ
فى اسم المدينة لاخلا معناها

هى للقلوب الصافيات حَبِيبَـةٌ وَلأَهْلِهَا والنَّازِلِين رَحِيبَـةٌ
فَاقَتْ جَمِيعَ الأَرْضِ فهى غَرِيبَةٌ حاشا مُسَمَّى القُدْسِ فهى قَرِيبَةٌ
منهـا وَمَكَّة إنَّها إِيَّاهَا

---

(١) رواية السمهودى : حظيت .
(٢) من الجائز أن تقرأ ثراها ، بالثاء المثلثة .

فاجْعَلْ مَزَارَكَ للثَّلاثِ وَظِيفَــةً وَأُمَنْ بِمكَّةَ والمَدِينَــةِ خِيفَــةً
فَكِلاَهُمَا تَدَعُ القُلُوبَ نَظِيفَــةً لاَ فَرْقَ(1) إلاَّ أَنَّ ثَمَّ لَطِيفَــةً
مَهْمَا بَدَتْ يَجْلُو الظَّلاَمَ سَنَاهَا

فَافْهَمْ وأَرجو أَن تُفِيقَ وتَفْهَمَا أَمْرَ الَّذِى هُوَ قَدْ سَمَا فَوْقَ السَّمَا
إن الفضيلةَ حيث أَصبـح منهما جَزَمَ الجَمِيعُ بأَن خَيْرَ الأَرْضِ ما
قَدْ حَاطَ ذَاتَ المُصْطَفَى وحواها

فمن العجائب مُهْجَتِى عنهـا سَلَتْ وهى الَّتِى بِضَرِيحِ أحْمَدَ فُضِّلَتْ
مثل العقود بِقَدْرِ جَـوهرِهَا غَلَتْ ونَعَمْ لقد صَدَقُوا بِسَاكِنِهَا عَلَتْ
كالنَّفْسِ حين زَكَتْ زَكَا مَأْواها

إنى أَقول فلا تَكُنْ ذا غَيْبَــةٍ قِفْ عند حُجْرَتِهِ بِمَوْقِفِ هَيْبَةٍ
فَاسْأَلْ فإنك لَنْ تَرَى ذا خَيْبَةٍ وَبِهَذِهِ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ طَيْبَــةٍ
فَغَدَتْ وكُلُّ الفَضْلِ فى مَعْنَاهَا

مِنْها بَدَا لِلْخَلْقِ وَاضِحُ سُنَّــةٍ فعلى البِلاَدِ لها عَظِيمةُ مِنَّــةٍ
ولها خَصَائِصُ فَضْلِهَا ذو مُكْنَــة حَتَّى لقد خُصَّتْ برَوْضة جَنَّــة
اللهُ شَرَّفَهَا بهـا وحَبَاهَـا

هِىَ غَيْرُ خَافِيَةٍ لِقَلْبِ مُبْصِـرِ فَاغْسِلْ مِنَ الأَهْوَاءِ قَلْبَكَ وَانْظُرْ/ 437ظ
وَابْسُطْ هُنَاكَ الخَدَّ مِنْكَ وَعفِّـرِ مَا بَيْنَ قَبْرٍ لِلنَّبِى ومِنْبَــر
حَيَّا الالَهُ رَسُولَهُ وَسَقَاهَـا

مَحْرُوسَةٌ من كُلِّ رِجْزٍ طارِقِ وَدُخُـولِ دَجَّـالٍ وطَعْنٍ لاَحِق
فَالْمَرْءُ فيهـا ذو فؤادٍ وَاثِـقِ هَذِى مَحَاسِنُهَا فَهَلْ مِنْ عَـاشِق
كَلِفٍ شَحِيحٍ بَاخِـلٍ بنواها

---

(1) فى السمهودى (ج ٢ ص ٤٥٥) : لا غرو .

رَبِّى أَدِمْنِى فى حِمَايَــةِ صَوْنِها ومتى هَمَمْتُ بِغَيْبَةٍ عــن عينها
فَاجْعَلْ مماتى قَبْلَ سَاعَةِ كونهــا إنى لَأَرْهَبُ من تَوَقُّعِ بَيْنِهــا
فَيَظَلّ قَلْبِى مُوجَعاً أَوَّاهـــا

يَا خَيْرَ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمَ مَنْ دُعِى لا تُقْصِ عنها رِحْلَتِى وتَــوَدُّعِى
فمن الخَسَارِ فِراقُ ذاك المَــوْضِعِ وَلَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ حَــالَ مُوَدِّعِ
إلا رَثَتْ نَفْسِى لَهُ وَشَجَاهَـــا

لا تجعلوا عنها الرَّحِيلَ صِنَاعَــةً إنى أَرَى ذَاكَ الرَّحِيلَ إضَاعَــةً
وإذا أَقَمْتُم كان ذلك طَاعَـــةً فَلَكَمْ أَرَاكُمْ قافلين جَمَاعَـــةً
فى إِثْرِ أُخْرَى طالبين ثواها[1]

فِيمَ التَّرَحُّلُ فى المدينة صَوْنُكم[2] وَبِجَاهِ خَيْرِ الخَلْقِ يَحْصُلُ عَوْنُكُمْ
فَالْخَيْرُ مُكْثُكُمُ هُنَــاكَ وَكَوْنُكُمْ قَسَماً لقد أَذْكَى فُؤادِى بَيْنُكُمْ
جَزَعاً وفَجَّر مُقْلَتِى مَيَّــاهــا[3]

ضَيَّعْتُمُ واللهِ كُلَّ جَمِيـــلَةٍ عُودُوا فمـــا خيراتُها بقليلةٍ
مالى إذا لم يقبلوا من حِيــلَةٍ إنْ كان يُزْعِجُكُمْ طِلَابُ فَضِيلَةٍ
فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَــدَى مَثْوَاهَا[4]

أَوْ كَانَ يَدْعُو كُمْ إلى أَن تَرْحَــلُوا جَاهٌ يُنَالُ فَجَــاهُ أَحْمَدَ أَكْمَلُ
أَو نالكم ظَمَأٌ فهـــذا المَنْهَلُ أَو خِفْتُمُ ضُرًّا بِهـــا فَتَأَمَّلُوا
بَرَكَاتِ بُلْغَتِهَـــا فما أَزكاها

فإذا امْرُؤٌ لم يَرْتَحِلْ مـــن شِدَّةٍ فيها وَعَاشَ بها بِأَيْسَرِ بُلْغَــةٍ
فَاقْنَعْ هُنَاكَ ولو بأَدنى لُقْمَـــةٍ أُفٌّ لمن يَبْغِى الكَثِيرَ لِشَهْــوَةٍ[5]
لِرَفَاهَةٍ لم يَدْرِ مـــا عُقْبَاهَـــا

---

(١) فى السمهودى : هواها . (٢) فى م صولكم باللام وأثبتنا ما فى ت .

(٣) لعلها من ميه السيف أى وضعه فى الشمس حتى ذهب ماؤه .

(٤) رواية السمهودى : فالخير كل الخير فى مثواها .

(٥) رواية السمهودى : إلا إذا يبغى الكثير لشهوة .

لا تَرْحَلَـنَّ لِشَهْـوةٍ وتَلَـذُّذِ وانْظُر إلى ذاك الحِمَى وَتَلَـذَّذِ
وبما يقيم النَّفْسَ[1] فاقْنَعْ وَاغْتَذِ فالْعَيْشُ ما يَكْفِى وَلَيْسَ هو الَّذِى
يُطْغِى النُّفُوسَ وَلَا خَسِيسَ مُنَاهَا /

٤٣٨و

لِلهِ مَـنْ لم يَكْتَرِثْ بِمَجَـاعَةٍ فيها وَعَاشَ بها مُـلَازِمَ طَـاعَةٍ
ورأى المُقَامَ بهـا سِنِينَ كساعة يارَبِّ أَسأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قَنَاعَـةٍ
بِيَسِيرِهَا وَتَحَضُّناً[2] بِحِمَـاهَا

هِىَ نِعْمَةٌ فَأَفِضْ عَلَىَّ نَعِيمَهَـا وَتَوَلَّ زَائِرَهَا وأَرْضِ مُقِيمَهَـا
وأَنا السَّعِيدُ إذا رُزِقْتُ قُدُومَهَـا وَرِضَاكَ عَنِّى دَائِمـاً وَلُزُومَهَـا
حتى تُوَافِىَ مُهْجَتِى أُخْـرَاهَـا

سَهَّلْتَ يا رَبِّى عَلَىَّ وُصُولَهَـا وَحَثَثْتُ[3] نَفْسِى أَن تَنَالَ دخُولَهَا
والنَّفْسُ تسأَلُ يا كريم قَبُولَهَا فَأَنا الذى أَعْطَيْتُ نفسى سُؤْلَهَا
وقَبِلْتُ دَعْوَتَها فَيَابُشْرَاهَـا

إن كُنْتَ ذا صِدْقٍ وصاحِبَ هِمَّـةٍ فَاخْدِمْ حِمَاهُ فليس ضائع خِدْمَةٍ
وأَقِمْ فَإِنَّكَ لا تَزَالُ بِنِعْمَـةٍ بِجِوَارِ أَوْفَى العَالَمِينَ بذِمَّـةٍ
وأَعَزِّ مَنْ بالقُرْبِ مِنه يُبَاهَى

مع كُلِّ رَكْبٍ أَمَّ طَيْبَةَ فَانْفُـذِ وَبِمِلْءِ كَفٍّ إن تَيَسَّرَ فَاغْتَـذِ
وَبِكُلِّ عَامٍ فى زيارته خُـذِ مَنْ جاء بالآيات والنور الَّذِى
دَاوَى القُلُوبَ من العَمَى فشفاها

وَلَهُ مِنَ الإِسْرَاءِ أَشْرَفُ رُتْبَـةٍ وهو الشَّفِيعُ لنا الكَرِيمُ المُنْيَـةِ
وهو المُكَرَّمُ باختصاصِ الرُّؤْيَـةِ أَوْلَى الأَنَامِ بِخُطَّةِ الشَّرَفِ الَّتِى
تُدْعَى الوسيلةُ خَيْرُ مَنْ يُعْطَاهَا

---

(١) فى الأصول : وبماذا تقيم فاقنع واغتذ .

(٢) رواية السمهودى : وتحبباً .

(٣) فى الأصول : ورضيت ، وبها ينكسر الوزن إلا إذا حذفنا واو العطف وضعفنا الفعل أى : رضيت نفسى أن تنال دخولها .

كُلُّ المكارم هُـنَّ طَيُّ بُـرُودِهِ   ولقد أضاء الكَوْنَ عند وروده
وَالْبَحْرُ يَقْصُرُ عن مَوَاهِب جُودِهِ   إنسانُ عَيْنِ الكَوْنِ سِرُّ وجُودِهِ
ياسين إكسير الحيـاة طاها

كانت حَمَامُ الغار بَعْض حُمَـاته   والذِّئبُ فى البَيْدَاء بَعْض دُعَاتِهِ
ماذا أُعَدِّدُ مِـن جَلاَلَة ذَاتِـهِ   حَسْبِي فَلَسْتُ أَفِي ببعض صِفَاتِهِ
ولوَ أنَّ لى عَدَدَ الحَصَى أَفْـواهَا

حُكْمُ الشَّفَاعَةِ فِي يديه وأَمْرُهَـا   وغَزَالَةٌ نَادَتْهُ أَذْهَبَ ضُرَّهـا
والرُّوحُ حِينَ أَتَتْهُ شَرَّفَ قَدْرَهَـا   كَثُرَتْ محاسِنُه فأَعجز حَصْرَهَا
فَغَدَتْ وما نَلْقَى لهـا أَشْبَاهَا

الله أرسلـه بكل هدايـة   وحَبَاه فى الدَّارَيْن كُلَّ عِنَـايَة
فلقد حوى فى المجد أبعدَ غاية/   إنى اهتديت مِـن الكتاب بآية
فعَلِمْتُ أَن عُلاَهُ ليس يُضَاهَى

٤٣٨ظ

فَشَهِدْتُ أَن اللهَ خَصَّ مُحَمَّـدَا   فغـدا بأَمـلاك السَّمَاءِ مُؤَيَّدَا
وعلى لِسَانِ الأَنْبِيَاء مُمَجَّـدَا   وَرَأَيْتُ فَضْلَ العَالَمِينَ مُحَـدَّدَا
وفَضَائِلُ المُخْتَـارِ لا تَتَنَاهَى

أَمْدَاحُهُ تَبْقَى على مَرِّ الزَّمَـنْ   كم آيَةٍ فِينـا له مَدْحٌ حَسَنْ
أَعْيَتْ مَدَائِحُهُ الحِسَانُ ذوى اللَّسَنْ   كَيْفَ السَّبِيلُ إلى تَقَصِّى مَدْحَ مَنْ
قال الإِلٰهُ لَهُ وَحَسْبُكَ جاهـا

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ فَخُصَّ وكُرِّما   وبقول ما كَذَبَ الفُؤَادُ لقد سَمَا
وكفـاه مـا قد قاله رَبُّ السَّمَا   إن الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَـا
فيما يَقُولُ يُبَـايِعُـونَ اللهَ

شَهِدَتْ جَمِيـعُ الأَنْبِيَاءُ بِفَضْلِهِ   فَلأَجلِ خَتْمِهِمُ أَتَـوْا من قَبْلِهِ
وله لِوَاءُ الحَمْـدِ خُصَّ بِحَمْلِهِ   هـذا الفَخَارُ فهل سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ
واهاً لِنَشْأَتِه الكَرِيمَـةِ وَاهَـا

يا أُمَّةَ الهـادى ومَنْ كَمِثَالِكُمْ فَجَلَالُ أَحْمَدَ شَاهِدٌ بكمالِكُـمْ
هو سِتْرُكُمْ هو ذُخْرُكُمْ لمـــآلكم صَلُّوا عليه وَسلِّمُوا فَبِذَلِكُـمْ
تُهْدَى النُّفُوسُ لرُشْدِها وغِنَاهَا

ما فى عِبَــادِ اللهِ مِثْـلُ مُحَمَّدِ فَمَقَامُه المَحْمُودُ يُعَرفُ فى غَـدِ
وَلِحَوْضِهِ المَوْرُودِ أَكْرَمُ مَـوْرِدِ صَلَّى عليه اللهُ غَيْرَ مُقَيَّدِ
وعليه مـــن بركاته أَنْمَاهـا

إن الصَّلَاةَ عليــه تُنْجِينَـا غَدَا فإذا هُمُو ذَكروا لَدَيْك مُحَمَّــدَا
غِظْ بالصلاة عليه أَكْبَـادَ العِـدَا وعلى الأكابر آلِهِ سُرْجِ الهُدَى
أَكْرِمْ بِعِتْرَتِهِ وَمَـــنْ وَالاَهَا

أعْزِزْ بــآل مُحَمَّد فَلَدَيْهِـــمُ يُعْطَى المُنَى فالجُودُ مِلْكُ يَدَيْهِمُ
وإليه صَرْفُ ثنائنــــا وإليهـمُ وكذا السلام عليه ثُمَّ عَلَيْهِمُ
وعلى عِصَابَتِهِ التى زَكَّاهَـــا

كانوا إذا التمس السَّمَاحُ سَحَابَهُ ولقد أَتَوْا[1] عند الحوائج بَابَهُ
مَلَكُوا من المَجْدِ الأَثيلِ لُبَــابَهُ أَغْنِى الكِرَامَ أُولى النُّهَى أَصْحَابَهُ/ ٤٣٩و
فِئَةُ التُّقَى ومن اهْتَدَى بِهُدَاهَا

مَدْحِى لِأَحْمَدَ لا حِمَى كَمَـلاذِهِ فإن ارتضاه وجاد لى بِنَفَاذِهِ
فَلَنِعْمَ ما أَنا عائذٌ بِمُعَـــاذِهِ والحَمْدُ للهِ الكريم وهـــذِهِ
نَجَزَتْ وظَنِّى أنــــه يَرْضَاهَا

زاد مُخَمِّسُها الشيخ أبو عبد الله محمد ، عفا الله تعالى عنه بِمَنِّه ولُطْفِه وكَرَمِه آمين :

مُنِحَتْ قَصيدُ البِسْكَرِىِّ قَبُــولَا وسُئِلْتُ فى تَخْمِيسِهَا لِتَطُــولَا
فَأَرَدْتُ فى باب الثَّواب دُخُــولَا وأَطَلْتُ فى نَسْجِ الكَلَامِ ذُيُــولَا
قيل الرِّيَاضُ نَمَتْ فزادَ شَذَاهَا

(١) فى الأصول : غدوا .

غَفَرَ الإِلٰهُ لَهُ ولِي ولمـن قَرَا   وأعَـدَّ فى دارِ النَّعيمِ لنـا القِرَى
وحَبَاهُ أجْرَ المُخْلِصِينَ لنا القِرَى   فعَلَى قَصِيدَتِهِ سَنَا صِدْقٍ يُـرَى
وَكَفَتْهُ رُؤْيَا فى المَنَامِ رَآهَـا

قال الرَّسُولُ له رَضِيتُ فَيَالَهَـا   بُشْرَى بِنِيَّتِهِ الجَمِيلَةِ نَالَهَـا
فإنِ ارْتَضَيْتُ بأن أنَالَ مِثَالَهَـا   فَهِيَ السَّعَادَةُ قـد مُنِحْتُ نَوَالَهَا
وهناك تَظْفَرُ مُهْجَتِى بِمُنَاهَـا

يَارَبِّ بالمُخْتَارِ يَسِّرْ أَمْـرَنَا   وَاغْفِرْ خَطَايَانَا وأذْهِبْ ضُرَّنَـا
وَاجْزِلْ عطايانا واجْمِلْ سَتْرَنَـا   وَاجْعَلْ بِطَيْبَةَ فى حِمَـاه مَقَرَّنَا
وأَجِبْ سُؤَالَ نفُوسِنَا وَدُعَاهَا

يارَبِّ صَلِّ على النَّبِىِّ مُحَمَّـدِ   وَالآلِ والصَّحْبِ الكِرَامِ المَخْتِدِ
القَائِمِـينَ الرَّاكِعِـينَ السُّجَّدِ   بِحُمَاةِ دِينِكَ بالِّلسَانِ وباليَـدِ
والمـالِ حُبًّا للرَّسُولِ وَجَـاهَا

تنبيه : سيأتى فى المعجزات وفى الخصائص أشياء تتعلق بالمدينة الشريفة الكريمة إن شاء الله تعالى ؛

جُمَّاع أبواب بَعْض حَوادِث مِن السَّنةِ الْأولى والثّانية مِن الهِجْرَة

الباب الأول

٤٣٩ظ

فى صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة ببنى سالم بن عوف/

وهى أَوَّلُ جمعةٍ صَلَّاها وأَوَّلُ خُطْبَةٍ خطبها كما جزم به [أبو سَلَمة بن عبد الرحمن[١]] والعيون [نقلاً عن][٢] ابن إسحق ، والبيهقى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : «كان أول خُطْبَة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه بما هو أَهْلُه ثم قال : «[أما بعد][٣] : أيها الناس فَقَدِّموا لأنفسكم [تعْلَمُنَّ[٤]] والله [ليُصْعَقَنَّ][٤] أَحَدُكم ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ ليس لها راعٍ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ له رَبُّه ، وليس له تَرْجُمَانٌ ولا حاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِى فَبَلَّغَكَ وآتَيْتُكَ مالاً وأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ فما قَدَّمْتَ لنفْسِك ؟ فَلَيَنْظُرَنَّ يميناً وَشِمَالاً فلا يَرَى شيئاً ، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَه فلا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فمن استطاع أن يَقِىَ وَجْهَهُ من النَّارِ ولو بِشِقٍّ من تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، ومَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمةٍ طَيِّبَةٍ ، فإِنَّ بها تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِها إلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ ، والسلام [عليكم] وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

ثم خَطَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّةً أُخْرَى فقال : «إن الحَمْدَ لله أَحْمَدُهُ وأَستَعِينُه ، نَعُوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسَيِّئَاتِ أعمالنا ، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلاهَادِىَ له ، وأشهد أَلَّا إله إلَّاالله وَحْدَه لاشريكَ له ، إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله تبارك وتعالى ، قد أَفْلَحَ من زَيَّنَه الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكُفْر ، واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أَحْسَنُ الحديثِ وأَبْلَغُه ، أَحِبُّوا من أَحَبَّه[٥] الله ، أَحِبُّوا اللهَ من كل

---

(١) بياض بالأصول والتكلة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١٨) .

(٢) بياض بالأصول .

(٣) زيادة من ابن هشام والإمتاع للمقريزى (ج ١ ص ٤٦) .

(٤) بياض بالأصول والتكلة من ابن هشام والإمتاع .

(٥) فى ابن هشام : أحبوا ما أحب الله .

قلوبكم ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبُكُمْ ، فإنه من كل ما يَخْلُق الله يَخْتَار وَيَصْطَـفِى قد سَمَّاه اللهُ خِيرَتَه من الأَعمال ومُصْطَفَاهُ من العِبَاد والصَّالِحَ من الحديث ، ومن كل ما أُوتِىَ النَّاسُ من الحَلالِ والحَرَامِ ، فاعْبُدوا اللهَ ولا تُشْرِكوا به شيئاً واتَّقُوهُ حَقّ تُقَاتِه واصْدُقُوا اللهَ صالِحَ ما تقولون بأَفواهكم ، وتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بينكم ، إن الله يَغْضَبُ أن يُنْكَثَ عَهْدُهُ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وروى ابن جرير[1] عن سعيد بن عبد الرحمن الجُمَحِيّ أنه بلغه [عن] خُطْبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة صَلَّاها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف : « الحَمْدُ لله أَحْمَدُهُ وأَسْتَعِينُه ، وأَسْتَغْفِرُهُ وأَسْتَهْدِيه ، وأُومِنُ به ولا أَكْفُرُهُ ، وأُعَادِى من يَكْفُرُه ، وأَشهد أَلَّا إله إلاَّ اللهُ وَحْدَه لاشريك له ، وأَن محمداً عَبْدُه ورسولُه أَرسله بالهُدَى ودين الحَقّ ، والنور والمَوْعِظَة ، على فَتْرةٍ من الرُّسُل ، وقِلَّةٍ من العِلْم ، وضلالةٍ من الناس ، [وانقطاعٍ من الزمان[2]] ، ودُنُوٍّ من الساعة ، وقُرْبٍ من الأَجَل ، مَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشِدَ ، ومن يَعْصِهِمَا فقد غَوَى وفَرَّط وضَلَّ ضَلالاً بعيداً . أُوصِيكُمْ بتقوى الله، فإنه خَيْرُ ما أَوْصَى به المُسْلِمُ المُسْلِمَ أَن يَحُضَّه على الآخرة ، وأَن يَأْمُرَه بتقوى الله عزَّ وجَلَّ ، فاحْذَرُوا ما حَذَّركم اللهُ من نفسه ولا أَفْضَل من ذلك ذِكْراً ، وإن تقوى الله لمن عَمِلَ به على وَجَلٍ ومَخَافَةٍ [مِنْ رَبِّه][2] عَوْنُ صِدْقٍ على ما تَبْغُونَ من أَمر الآخرة ، ومَنْ يُصْلِح [الذى] بينه وبين الله تعالى من [أَمره فى[2]] السِّرِّ والعلانية لا يَنْوِى بذلك إلا وَجْهَ الله يَكُنْ له ذِكْراً فى عاجل أَمْرِه [وذُخراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قَدَّم . وما كان مما سِوَى ذلك يَوَدُّ لو أَنَّ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ أَمَداً بعيداً « وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بالعِبَادِ[3] » هو الذى صَدَقَ قَوْلَه ، وأَنْجَزَ وَعْدَه ، لا خُلْفَ لذلك ، فإنه يقول عزَّ وجَلّ « مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[4] » فاتَّقُوا اللهَ فى عاجِلِ أَمْرِكم[5]] وآجِلِه فى السِّرِّ والعلانية فإنَّه « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ

---

(١) إسناده كما أورده ابن جرير الطبرى فى تاريخه (جـ ٢ ص ٢٥٥) : حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى سعيد بن عبد الرحمن الجمحى .

(٢) زيادة من تاريخ الطبرى الذى نقل عنه المؤلف .

(٣) من الآية الثلاثين من سورة آل عمران .

(٤) من الآية التاسعة والعشرين من سورة ق .

(٥) الأسطر الواقعة بين معقفين ساقطة من ت وم والتكلة من تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٢٥٥ وتفسير القرطبى جـ ١٨ ص ٩٨ و ٩٩ .

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أَجْراً[1] » وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ فقد فاز فوزاً عظيماً . وإن تَقْوَى اللهِ تُوَقِّى مَقْتَه وتُوَقِّى عقُوبَتَه وَتُوَقِّى سَخَطَه وإن تَقْوَى الله تُبَيِّضُ / الوجوه[2] ، وتُرْضِى الرَّبَّ ، وتَرْفَعُ الدَّرَجة . فَخُذُوا بِحَظِّكم ولا تُفرِّطُوا فى جَنْبِ الله ، فقد عَلَّمكم كتابَه ، ونَهَجَ لكم سَبِيلَه ، لِيَعْلَم الذين صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الكاذبين . فَأَحْسِنُوا كما أَحْسَنَ اللهُ إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حَقَّ جِهَادِهِ ، هو اجْتَبَاكُمْ وسَمَّاكم المسلمين « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَةٍ[3] » ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله. فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ تعالى واعملوا لما بعد الموت[4] ، فإنه من يُصْلِحْ ما بينه وبين الله يَكْفِه اللهُ ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يَقْضِى على الناس ولا يَقْضُونَ عليه ، ويَمْلِكُ من الناس ولا يَمْلِكُونَ منه . الله أكبر ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العَلِيِّ العظيم » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال فى الرَّوْض : قَوْلُه صلى الله عليه وسلم : « أَحِبُّوا اللهَ من كل قلوبكم » ، يريد أن تستغرِقَ مَحَبَّةُ الله تعالى جميعَ أجزاء القَلْب ، فيكون ذِكْرُه وَعَمَلُه خارجاً من قلبه خالصاً لله[5]. وتَقَدَّم الكلام على مَحَبَّتِه لعَبْده ، وَمَحَبَّة العَبْدِ لِرَبِّه فى اسمه صلى الله عليه وسلم : « حبيب الله » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذِكْره . . فإنه من كل ما يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِى » قال السهيلى : « الهاء فى قوله : (فإنَّه) لا يجوز[6] أن تكون عائدة على كلام الله تعالى ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ،فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يَخْلُقُ اللهُ يختار ، فالأعمال إذاً كُلُّها من خَلْق الله ، قد اختار منها ما شاء ، قال سبحانه : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ[7] » .

---

(١) من الآية الخامسة من سورة الطلاق .   (٢) فى الأصول : الوجه ، وأثبتنا رواية الطبرى والقرطبى .

(٣) من الآية الثانية والأربعين من سورة الأنفال .   (٤) فى الطبرى لما بعد اليوم .

(٥) زاد السهيلى بعد ذلك (الروض الأنف ج ٢ ص ١٥) : وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده مجاز حسن ، لأن حقيقة المحبة إرادة يقارنها استدعاء للمحبوب إما بالطبع وإما بالشرع ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان فى شرح قوله عليه السلام : « إن الله جميل يحب الجمال » .

(٦) فى ت وم : «لابد» وهذا مناقض للسياق ،والتصويب من السهيلى ج٢ص١٥ (٧) من الآية ٦٨ من سورة القصص .

وقوله : « قد سَمَّاه الله خِيرَتَه من الأَعمال » ، يعنى الذِّكْر وتلاوة القرآن [لقوله سبحانه : « ﴿يختار﴾ فقد اختاره من الأَعمال[1]] . وقَوْلُه : « والمُصْطَفَى من عِبَاده » : أى وسَمَّى المصطفى من عباده بقوله تعالى : « ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[2] » ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى العَمَلِ الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون «من» على هذا للتبعيض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأَنه عمل استخرجه منهم بتوفيقه إياهم ، والتأْويل الأَول أَقرب مأْخذاً . والله أعلم بما أَراد رسولُه[3] » .

وقوله فى أَول الخُطْبَة : « إن الحمدُ لله أَحْمَدُه » ، هكذا برفع الدال [من قوله : الحَمْدُ لله][4] وَجَدْتُهُ مُقَيَّداً مُصَحَّحاً عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأَمر ، كأَنه قال : « إن الأَمر الذى أَذكره » ، وحَذَفَ الهاء العائدة على الأَمر كى لا يُقَدِّم شيئاً فى اللفظ من الأَسماء على قوله : «الحمد لله» . وليس تقديم «إنَّ» فى اللفظ من باب تقديم الأَسماء لأَنها حَرْفٌ مُؤَكِّدٌ لِمَا بَعْدَهُ مع ما فى اللفظ من التَّحَرِّى للفظ القرآن والتَّيَمُّن به [والله أعلم[4]] .

الثانى : اختُلِفَ فى تسمية اليوم بذلك ، مع أنه كان اتفاقاً[5] يُسَمَّى فى الجاهلية : «العَرُوبة» - بفتح المهملة وضَمّ الراء وبالمُوَحَّدَة - قلتُ : قال أبو جعفر النَّحَّاس فى كتابه : «صناعة الكتابة» : لا يعرفه أهل اللغة إلا بالأَلف واللام [إلَّا][6] شَاذًّا ، ومعناه اليوم المُبَيَّن المُعَظَّم من أَعْرَبَ إذا بَيَّن . فقيل سُمِّى بذلك لأَن الخلائق جمعت[7] فيه ، ذكره أَبو حذيفة البخارى فى المبتدا عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف . وقيل لأَن خَلْق آدم جمع فيه .

---

(١) زيادة من السهيل .
(٢) من الآية ٧٥ من سورة الحج .
(٣) هذه الفقرة منقولة أيضا عن السهيل جـ ٢ ص ١٥ .
(٤) زيادة من السهيل .
(٥) فى الأصول : « مع أنه الاتفاق كان » والتصويب من تاج العروس مادة عرب .
(٦) زيادة من تاج العروس فى شرحه لكلمة عروبة .
(٧) فى ت و م : جمع

وروى الإمام أحمد والنسائى وابن خزيمة وابن أبى حاتم عن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدْرى مايوم الجمعة ؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم . قالها ثلاث مرَّات . قالَ فى الثالثة : « هو اليوم الذى جمع فيه أبوكم آدم » . الحديث ، وله شاهد عن أبى هريرة رضى الله عنه ، رواه ابن أبى حاتم بإسناد قوى ، والإمام أحمد مرفوعاً بإسناد ضعيف. قال الحَافِظ / : « وهذا أَصحّ . ويليه ماروواه عبد الرَّزَّاق عن ابن سيرين[1] بسند صحيح إليه ﷺ فى قصة تجميع الأنصار ، مع أسعد بن زُرَارَة . وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العَرُوبَة ، صَلَّى بهم [فيه] وَذَكَّرهم فسَمَّوْهُ يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه » . وقيل « سُمِّىَ بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه » . وبهذا جَزَمَ ابنُ حَزْم فقال : إنه اسم إسلامى لم يكن فى الجاهلية وإنما كان يُسَمَّى العَرُوبة . وفيه نَظَر ، فقد قال أهل اللغة[2] : إن العَرُوبَة اسم قديم كان للجاهلية ، وقالوا : الجمعة هو يوم العَرُوبة . والظاهر أنهم غَيَّروا الأَيام السَّبْعة بعد أن كانت : أَوّل وأَهْوَن وجُبَار ودُبَار ومُؤْنس وعَرُوبَة وشِيَار[3] .

٤٤٠ظ

---

(١) أورد السهيلى (جـ ١ ص ٢٧٠) هذا الحديث بإسناده فقال : ذكر الكشى وهو عبد بن حميد قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة . وهم الذين سمو الجمعة . قال الأنصار : إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك ، فهلموا فلنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلى ونشكر ، أوكما قالوا . فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا . فذبح لهم أسعد شاة فتغدوا وتعشوا منها لقلتهم فأنزل الله عز وجل : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » (سورة الجمعة آية ٩) ، وفى رواية القرطبى لهذا الحديث ذكر تمامه : فهذه أول جمعة فى الإسلام (تفسير القرطبى جـ ١٨ ص ٩٨) .

(٢) قال الزبيدى فى التاج : وفى حديث الجمعة كانت تسمى عروبة وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربى ، يقال يوم عروبة ويوم العروبة والأفصح ألا يدخلها الألف واللام . وعن بعض أئمة اللغة أن أل فى العروبة لازمة قال ابن النحاس لايعرفه أهل اللغة إلا بالألف واللام إلا شاذاً . قال معناه المبين المعظم من أعرب إذا بين ولم يزل يوم الجمعة معظما عند أهل كل ملة . وقيل العروبة اسم يوم الجمعة فى الجاهلية اتفاقا.واختلف فى أن كعب بن لؤى سماه الجمعة لاجتماع الناس إليه فيه ، وبه جزم الفراء وثعلب وغيرهما وصحح . أو إنما سمى بعد الإسلام وصححه ابن حزم . وقيل أول من سماه الجمعة أهل المدينة لصلاتهم الجمعة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم مع أسعد بن زرارة .. ونص السهيلى فى الروض الأنف : أن كعب بن لؤى جد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد فى هذا أبياتا منها :

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته ... إذا قريش تبغى الخلق خذلانا

(٣) أورد القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ ٢ ص ٣٦١ : ٣٦٥) ثلاث روايات فى أسماء أيام الأسبوع عند العرب نقتصر هنا على ذكراثنتين منها : الأولى ما نطقت به العرب المستعربة ،والأصل فى ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال : إن الله عزوجل خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين .. إلى يوم الخميس، ولا ذكر فى هذه الرواية =

وقال الجوهرى : وكانت العرب تسمى يوم الاثنين «أَهْوَن» فى أسمائهم القديمة . فهذا يُشْعِرُ بأَن لها أَسماء وهى هذه المُتَعَارفَة إلى آخرها الآن . وقيل إن أَول من سَمَّى العَرُوبَة «الجمعة». كعب بن لُؤَىّ ، فيحتاج من قال إنهم غَيَّروها إلى الجمعة ، فَأَبْقَوْها على تسمية العَرُوبَة إلى نقل خاص .

الثالث : تَقَدَّم أَن صلاة الجمعة صَلَّتْها الصحابة بالمدينة قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، فقيل ذلك بإذن من النبى صلى الله عليه وسلم لِمَا رواه الدارقطنى عن ابن عباس ، قال : أَذِنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أَن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يجمع بمكة ولا [يبدى[1]] لهم ، فكتب إلى مُصْعَب بن عُمَيْر رضى الله عنه :

= للجمعة والسبت ، وقد ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ». وقال جل وعز : « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا » (الأعراف آية ١٦٣) .. والجمعة ومعناها الجمع واختلف فى سبب تسميته بذلك فقال النحاس لاجتماع الخلق فيه . وهذا ظاهر فى أن الاسم كان بها قديما . وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه . ثم اختلف فقيل سميت بذلك فى الجاهلية، واحتج له بما حكاه أبو هلال العسكرى فى كتابه «الأوائل» أن أول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه جمع قريشا وخطبهم ، فسميت جمعة ، وكانوا لايعرفون قبل ذلك إلا العروبة . وقيل إنما سميت بذلك فى الإسلام ، وذلك أن الأنصار قالوا : إن اليهود يوما يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك إلخ فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة ، على أن السهيلى قد قال فى الروض الأنف : إن يوم الجمعة كان يسمى بهذا الاسم قبل أن يصلى الأنصار الجمعة . أما الرواية الثانية ففيها ما يروى عن العرب العاربة وهو أنهم كانوا يسمون الأحد: أول، لأنه أول أعداد الأيام، ويسمون الاثنين : أهون، أخذاً من الهون والهوينى، وأوهد أيضا أخذاً من الوهدة وهى المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه عن اليوم الأول فى العدد . ويسمون الثلاثاء : جباراً – بضم الجيم – لأنه جبر به العدد . ويسمون الأربعاء : دباراً – بضم الدال المهملة – لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبره ، ويسمون الخميس: مؤنسا لأنه يؤنس به لبركته . قال النحاس: ولم يزل ذلك أيضا فى الإسلام . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتبرك به ولا يسافر إلا فيه وقال : اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها . ويسمون الجمعة: العروبة . وفى لغة شاذة : عروبة بغير ألف ولا لام مع عدم الصرف ، ومعناه اليوم البين أخذا من قولهم : أعرب إذا أبان، والمراد أنه بين العظمة والشرف إذ لم يزل معظما عند أهل كل ملة ، وجاء الإسلام فزاده تعظيما . وقد ثبت فى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها . ويسمون السبت شيارا – بفتح الشين المعجمة وكسرها مع الياء المثناة التحتية – أخذاً من شرت الشىء إذا استخرجته وأظهرته من مكانه ، وإما بمعنى أنه استخرج من الأيام التى وقع فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الأسبوع، وأن ابتداء الخلق الأحد وانتهاءه الجمعة ، وإما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه ، وإلى هذه الأسماء يشير النابغة بقوله :

أؤمِّلُ أن أعيشَ وأن يَوْمِى ... لأوّلَ أَوْ لأهْوَنَ أو جُبارِ

أو التالى دُبار فإن أَفُتْهُ ... فمؤنِس أو عَرُوبَةَ أَوْ شِيارِ

(١) بياض بالأصول بنحو كلمة والتكلة من السهيلى .

« أما بعد فانظر اليوم الذى تَجْهر فيه اليهود بالزبور لَسَبْتِهم ، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة[1] فَتَقَرَّبُوا إلى الله تعالى بركعتين . قال : فَأَوَّلُ من جَمَّعَ مُصْعَب بن عُمَيْر حتى قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فَجَمَّعَ عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك . وفى سنده أحمد بن محمد بن غالب الباهلى[2] ، وهو متهم بالوضع . قال فى الزهر : « والمعروف فى هذا المتن الإرسال ، رَوَيْنَاه فى كتاب الأوائل لأبى عروبة الحَرَّانى» قال : « حَدَّثَنا هاشم بن القاسم حدثنا ابن وَهْب حدثنا ابن جُرَيْج عن سليمان بن موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب به » . وقيل باجتهاد الصحابة ، روى عبد الرَّزَّاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جَمَّعَ أَهْلُ المدينة قبل أن يَقْدَمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تنزل الجُمُعَة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يُجَمِّعُونَ[3] فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مِثل ذلك فَهَلُمُّوا فلنجعل يوماً نُجَمِّعُ فيه فنذكر الله ونصلى ونشكر . فجعلوه يوم العَرُوبَة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارة ، فصَلَّى بهم يومئذ ، وأنزل اللهُ تعالى بعد ذلك : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ[4] » قال الحافظ : وهذا وإن كان مُرْسَلاً فله

---

(١) نسى المؤلف أن يذكر ما قيل فى ضبط كلمة الجمعة . وقد وردت بضم الميم فى الآية التاسعة من سورة الجمعة ، وقال القرطبى فى تفسيره (ج ١٨ ص ٩٧) : قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما الجمعة بإسكان الميم على التخفيف وهما لغتان وجمعهما جمع وجمعات . قال الفراء : يقال الجمعة بسكون الميم والجمعة بضم الميم والجمعة بفتح الميم فيكون صفة اليوم أى تجمع الناس كما يقال ضحكة للذى يضحك . وقال ابن عباس نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرءوها جمعة يعنى بضم الميم . وقال الفراء وأبو عبيد : والتخفيف أقيس وأحسن نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر . وفتح الميم لغة بنى عقيل . وقيل إنها لغة النبى صل الله عليه وسلم . وعن سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم . وقيل لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شىء فاجتمعت فيها المخلوقات . وقيل لتجتمع الجماعات فيها . وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلى ويدعى غلام خليل . روى عن إسماعيل بن أبى أويس وشيبان وقرة بن حبيب وروت عنه طائفة . كان من كبار الزهاد فى بغداد ولكنه كان متهما بوضع الأحاديث . قال النهاوندى لغلام خليل : ما هذه الرقائق التى تحدث بها ؟ قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة . وقال الدارقطنى متروك وقال ابن التمار قال : ما أظهر أبوداود السجستانى تكذيب أحد إلافى رجلين الكديمى وغلام خليل . هذا وقد توفى الباهلى فى سنة ٢٧٥ هـ انظر ترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب (ج ٥ ص ٧٨ : ٨٠ رقم ٢٤٦٥) وميزان الاعتدال للذهبى (ج ١ ص ١٤١ : ١٤٢ رقم ٥٥٧)

(٣) فى ت وم يجمعون ، وفى السهيلى يجتمعون ، ونجتمع ، وفى النهاية (ج ١ ص ١٧٧) : جمعت بالتشديد أى صليت . ومنه حديث معاذ أنه وجد أهل مكة يجمعون فى الحجر أى يصلون صلاة الجمعة .

(٤) سورة الجمعة آية ٩ .

شاهد بإسناد حَسَن ، رواه أبو داود وابن ماجه ، وصَحَّحَه ابنُ خُزَيْمَة وغير واحد من حديث كعب بن مالك قال : « كان أول مَنْ صَلَّى بنا الجُمُعَةَ قبل مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أَسعد بن زُرَارَة » ، الحديث وقد تَقَدَّم ، فَمُرْسَل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة باجتهاد ، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عَلِمَه بالوَحْي وهو بمكة ، فلم يتمكن من إقامتها كما فى حديث ابن عباس والمُرْسَل بعده ، ولذلك جَمَّع بهم أول ماقَدِمَ المدينة كما حكاه ابن إسحق وغيره ، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بخَبَرَ نَبِيّ البيان والتوفيق . وقيل : الحكمة فى اختيارهم الجمعة وقوع خَلْق آدم فيه / ، والإنسان إنما خُلِق للعبادة ، فناسب أن يشتغل بالعبادة فيه ، وكان الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذى يَنْتَفِعُ بها ، فناسب أن يشكر الله على ذلك بالعبادة فيه ، ولهذا تَتِمَّة تأتى فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

٤٤١و

الباب الثانى

فى بناء مَسْجِدِه الأَعْظم وبعض ما وقع فى ذلك من الآيات

تَقَدَّمَ أن ناقته صلى الله عليه وسلم بَرَكَتْ عند باب مسجده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا المنزل إن شاء الله » ، ثم أخذ فى النزول، فقال : « رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ[1] » . وكان مِرْبَداً لِيَتِيمَيْن هما : سَهْل وسُهَيْل ، قال يحيى ابن الحَسَن ، والبلاذرى وغيرهما : « ابنا رافع بن أَبِى عَمْرو بن عائذ بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النَّجَّار ، وبذلك صَرَّح ابن حزم ، وأبو عُمَر ورَجَّحَه ، وكانا فى حِجْر أَسْعد ابن زُرَارة كما فى صحيح البُخَارى عند أكثر رواته . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى بنى النَّجَّار بسبب موضع المسجد ، فقال : « يا بنى النَّجَّار ، ثَامِنُونِى بحائطكم هٰذا » . فقالوا : « والله لا نطلب ثمنه إلا من الله » وفى رواية : فدعا بالغلامَيْن وساومهما بالمِرْبَد ليتخذه مسجداً . فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله . فأَبى أن يقبله منهما هِبَةً حتى ابتاعه منهما ثم بناه مَسْجداً . وكان أسعد بَنَى المِرْبَد مسجداً قبل أن يَقْدَمَ النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى يحيى بن الحَسَن عن النَّوَار بنت مالك[2] أم زيد بن ثابت أنها رأَتْ أسعد ابن زُرَارة قبل أن يَقْدَمَ النبى صلى الله عليه وسلم ، يُصَلِّى بالناس الصلوات الخَمْس ، ويُجَمِّع بهم فى مسجد بناه فى مِرْبَد سهل وسُهَيْل ، ابْنَىْ رافع بن أَبى عَمْرو بن عائذ قالت : « كأَنى أنظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قَدِم صَلَّى بهم فى ذلك المسجد ، وبناه فهو مسجده » ، وذكر البلاذرى نَحْوَه .

وروى الشيخان والبيهقى عن أَنس رضى الله عنه قال : كان المسجدُ جداراً ليس له

---

(١) سورة المؤمنين آية ٢٩ .

(٢) ترجم لها ابن الأثير فى أسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٧ والإصابة ج ٨ ص ٢٠٠ .

سَقْف ، وقِبْلَتُه إلى القُدْس ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنَّخْل بالغَرْقَد أن يُقْطَع ، وكان فيه قبور جاهلية ، فأَمَر بها فنُبِشَتْ وأَمَر بالعِظَام أن تُغَيَّب ، وكان فى المِرْبَد ماء فَسَيَّره حتى ذهب ، وكان فيه خرب[1] فأَمر بها فَسُوِّيَتْ ، فصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةً له ، أى جُعِلت سوارى له فى جهة القِبْلَة فسُقِّفَ عليها وجعلوا عضادتيه حجارة .

وروى ابن عائذ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه وهو عَرِيش اثنى عشر يوماً ثم سُقِّف ، وروى محمد بن الحَسَن المخزومى ، ويحيى بن الحَسَن عن شَهْر بن حوشب قال : « لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبنى المسجد قال : « ابْنُوا لى عريشاً كعَرِيش موشى ثُمَامَات[2] وخشبات وظُلَّة كظُلَّة موسى والأمر أَعْجَل من ذلك » . قيل وما ظُلَّة موسى ؟ قال : « كان إذا قام أصاب رَأْسَه السَّقْفُ . وعَمِل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة فى بناء المسجد ، بنفسه الكريمة ، كما فى الصحيح أنه طَفِقَ ينقل معهم اللَّبِن ترغيباً لهم فى العمل ويقول :

٤٤١ظ اللَّهُمَّ إن الأَجْرَ أَجْـرُ الآخِرَة فَارْحَـمْ الأَنْصَارَ والمهاجرة[3] /

ويُذْكَر أن هذا البيت لعبد الله بن رَوَاحَة ، وعن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اللهم لاخَيْرَ إلا خير الآخرة فارحم المهاجرين والأنصار . وكان لا يقيم الشِّعْر .

وروى محمد بن الحسن المخزومى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فَقَرَّب اللَّبِن وما يحتاجون إليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أورد الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٦٥) ما قيل فى ضبط كلمة خرب : فى سنن أبى داود هى بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء فوحدة جمع خربة مثل كلمة وكلم ، وحكى الخطابى كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة كعنب وعنبة . وجوز الخطابى أنها حرب بضم المهملة وسكون الراء وموحدة وهى الخروق المستديرة فى الأرض ، أو حدب بمهملتين أى مرتفع من الأرض أو جرف بكسر الجيم وفتح الراء وهو ما تجرفه السيول وتأكله الأرض . قال وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المكان المحدوب أو الذى جرفته الأرض أما الخراب فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . ورده ابن حجر فقال : ما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقى فيه وتسوى أرضه ولا ينبغى الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة .

(٢) فى الأصول : لمامات ، وصوابها ثمامات جمع ثمام واحدة ثمامه وهو نبت ضعيف .

(٣) رواية ابن إسحق :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

(ابن هشام جـ ٢ ص ١١٤) .

وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقَوْا أرديتهم وأكسيتهم وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون :

لَئِنْ قَعَدْنَا والنَّبِيُّ يَعْمَـــلُ ذاك إذاً للعَمَـلُ المُضَلَّلُ

وروى البيهقى عن الحَسَن قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أَصحابه وهو معهم يتناول اللَّبِن حتى اغْبَرَّ صَدْرُه . وكان عثمان بن مظعون[1] رجلاً مُتَنَطِّعاً[2] وكان يَحْمِلِ اللَّبِنَة فيُجَافى بها ثَوْبَه ، فإذا وَضَعَها نَفَضَ كُمَّه ونظر إلى ثَوْبِه ، فإن أَصابه شيء من التراب نَفَضَه ، فنظر إليه عَلِيُّ بن أَبى طالب رضى الله عنه فأَنشد يقول :

لا يَسْتَوِى مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدَا يَدْأَبُ فيها قَائِماً وقاعِدَا

ومن يُرَى عن الغُبَارِ حائِدَا

فَسَمِعَها عَمَّار بن ياسِر ، فجَعَل يَرْتَجِز بها وهو لاَ يدْرِى مَنْ يَعْنى بها . فَمَرَّ بعثمان فقال : يا ابن سُمَيَّة ، ما أَعْرَفَنِى بمن تُعَرِّض ، ومعه جريدة[3] ، فقال : لَتَكُفَّنَّ أو لأَعْتَرِضَنَّ بها وَجْهَك . فَسَمِعَه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فغَضِب ثم قال : « إن عَمَّار بن ياسِر جِلْدَةُ ما بين عَيْنَىّ وأَنْفِى فإذا بُلِغ ذلك من المرء فقد أَبلغ .» ووضع يَدَه بين عَيْنَيْه . فكَفَّ الناسُ عن عَمَّار ، ثم قالوا لعَمَّار : إن النبى – صلى الله عليه وسلم – قد غَضِبَ فيك ، ونخاف أن يَنْزِل فينا قرآن . فقال : أَنا أُرْضِيه كما غَضِب . فقال : يا رسول الله مالى ولأَصحابك ؟ قال : « مَالَكَ ولهم ؟ » قال : يريدون قَتْلى ، يَحْمِلون لَبِنةً لَبِنَة ويَحْمِلون عَلَىَّ لَبِنَتَيْن لَبِنَتَيْن . فأَخذ بيده وطاف به فى المسجد ، وجعل يَمْسَح وَفْرَته[4] بيديه من

---

(١) انظر فى ترجمته أسد الغابة (جـ ٣ ص ٣٨٥ : ٣٨٧) هذا ولم يسم ابن إسحق صاحب هذه القصة ونسبها الديار بكرى(تاريخ الخميس جـ ١ ص ٣٤٥) . والسمهودى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ٢٣٥) إلى عثمان بن عفان .

(٢) التنطع كما فى النهاية (جـ ٤ ص ١٥٣) هو كل تعمق قولا وفعلا . وفى التاج : تنطع الصانع فى عمله تحذق فيه . وقال الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٦٨) : إنها من تنطع إذا تغالى وتأنق . ولكنها وردت فى رواية أخرى فى الديار بكرى و السمهودى . وكان رجلا نظيفا متنظفا وتابعهما رفاعة رافع فى كتابه : نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ ص ١٢٧) ، وشرح متنظفا بقوله : أى مترفها . والرواية الأخيرة أوفق فى نظرنا لأن فى نسبة التنطع إلى صحابى جليل سواء أكان عثمان بن مظعون أم عثمان بن عفان مما يمس شرف صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا ما ورد فى الحديث . هلك المتنطعون .

(٣) فى ث وم : حديدة وأثبتنا جريدة كما وردت فى الديار بكرى والسمهودى ، وفى السيرة لابن هشام : عصا .

(٤) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن ، قاله فى النهاية (جـ ٤ ص ٢٢٣) .

التراب ويقول : « ياابْنَ سُمَيَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، تقتلك الفِئَةُ الباغية ، تَدْعُوهم إلى الجَنَّة ويَدْعُونَك إلى النار » ، ويقول عَمَّار : أعوذ بالله من الفِتَن .

وروى عبد الرَّزَّاق بسَنَدٍ على شرط الشيخَيْن عن أم سَلَمَة ، والبخارى والبيهقى عن أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه قال : « لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد ، جَعَل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل كل رجل منهم لَبِنَةً لَبِنَة ، وعَمَّار يحمل لَبِنَتَيْن : لَبِنَةً عنه ولَبِنَةً عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظَهْرَه وقال : « يَابْنَ سُمَيَّة للناس أجْر ولَكَ أجْرَان ، وآخرُ زَادِك شَرْبَةٌ من لَبَن ، وتَقْتُلُك الفِئَةُ الباغية ، تدعوهم إلى الجَنَّة ويدعونك إلى النار » ، وعَمَّار يقول : « أعوذ بالله من الفِتَن » .

وروى أبو يعلى برجال الصحيح إلا أن التابعى لم يسمع عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لَمَّا أسَّس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك فقال : « هذا أمْرُ الخلافة من بَعْدِى » .

٤٤٢و وروى البيهقى / بسند قوى جَيِّد عن سَفِينَة[1] رضى الله عنه نَحْوَه ، وفيه قال : « هؤلاء وُلَاةُ الأمر من بعدى » . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم كانوا يحملون اللَّبِن إلى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فاستقبلت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو عارِضٌ لَبِنَةً على بطنه فظنَنْتُ أنها شَقَّتْ عليه ، فقلت : « يا رسول الله نَاوِلْنِيهَا » . فقال : « خُذْ غَيْرَها ، لاعَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرة » . وهذا كان

---

(١) سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كان أصله من فارس فاشترته وأعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ، واختلف فى اسمه قيل كان اسمه مهران وقيل طهمان وقيل عبس ، وعدد له ابن حجر فى الإصابة (ج ٣ ص ١٠٩) واحدا وعشرين اسما ، وكنيته أبوعبد الرحمن وقيل أبو البخترى . والأول أكثر . روى عنه حشرج بن نباته ، وسعيد بن جمهان . وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لأنه كان معه فى سفر ، فكلما أعيا بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئا كثيراً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة » فبقى عليه . وكان إذا قيل له : ما اسمك ؟ يقول : ما أنا بمخبرك ، سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة فلا أريد غيره . وعن سعيد بن جمهان قال حدثنى سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » .. انظر أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٢٤) .

فى بنائه المَرَّة الثانية، لأن أبا هريرة لم يُسْلِمْ فى الأولى . وروى يحيي بن الحَسَن عن أسامة ابن زيد رضى الله عنهما عن أبيه ، قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حجر ، فلقيه أُسَيْد بن حُضَيْر ، فقال : يا رسول الله أعطنيه . فقال : « اذهب فاحْتَمِلْ غَيْرَه فإنك لست بأفقر إلى الله منى » .

وروى الامام أحمد ويحيي بن الحسن عن طَلْق بن علىّ[1] رضى الله عنه قال : أُتَيْتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يبنى المسجد ، والمسلمون يعملون فيه معه ، وكنتُ صاحبُ علاج وخَلْط طين ، فأخذتُ المِسْحَاة أَخْلِطُ الطين والنبى – صلى الله عليه وسلم – ينظر إلىّ ويقول : « إن هذا الحَنَفِىّ لصاحب طين » . وكان يقول : « قَرِّبُوا اليمامِىّ من الطين فإنه أحسنكم [له] مسكاً وأَشَدُّكم مَنْكِباً » .

وروى يحيي بن الحَسَن من طريق عبدالعزيز بن عمر ، عن يزيد بن السائب ، عن خارجة ابن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسجده سبعين فى ستين ذراعاً أو يزيد ، ولَبِنَ لَبِنَة من بقيع الخبخبة[2] وجعله جداراً وجعل سواريه خشباً شُقَّةً شُقَّة ، وجعل وَسَطَه رحبة ، وبنى بيتين لزوجتيه . » .

وروى يحيي أيضاً عن جعفر / بن محمد عن أبيه قال : كان بناء مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالسميط لبنةً على لبنة ، ثم بالسعيد لَبِنَة ونصف أخرى ، ثم كَثُر الناس فقالوا : « يا رسول الله لو زِيدَ فيه » فَفَعَل ، فبنى بالذَّكر والأُنْثَى وهى لَبِنَتَان مختلفتان ، ١٠١٠ت

---

(١) فى رواية ابن سعد : جاء رجل يحسن عجين الطين وكان من حضرموت، ورواية يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهرى أنه من أهل اليمامة من بنى حنيفة . وفى أسد الغابة أن طلق بن على بن طلق بن عمرو الربعى الحنفى كان من الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا . (جـ ٣ ص ٦٣) .

(٢) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا (جـ ٢ ص ٢٦٤) بقيع الخبجبة . وضبطها قائلا : بفتح الخاء المعجمة ثم باء موحدة وفتح الجيم والباء ثم هاء . قال المجد (الفيروزابادى) : كذا ذكره أبو داود فى سننه . والخبجبة شجر عرف به هذا الموضع . قال السهيلى : وهو غريب وسائر الرواة ذكروه بجيمين انتهى . وليس فى السنن ضبط بل ذكره قبل الجنائز بباب قصة المقداد حين وجد به الدنانير ، ولم يذكر ضبطا ، فلعل المراد به أن الرواية فيها بهذا الضبط ، لكن ضبطه ابن الأثير فى نهايته (وذلك فى جـ ١ ص ٧٩) حيث قال : بقيع الخبخبة بفتح الخاءين وسكون الباء الأولى موضع بنواحى المدينة بخاءين معجمتين بينهما موحدة . وفى القاموس بقيع الجبجب (بجيمين) بالمدينة أو هو بالخاء أوله (أى الخبجبة) والخبجبة شجر عن السهيلى وسمى البقيع به لأنه كان منبتها . وفى التاج : ذكره صاحب المراصد بالجيم وأشار إلى الخلاف . وقد أثبتنا ضبط صاحب النهاية .

وكانوا رفعوا أَساسَه قريباً من ثلاثة أَذْرُع بالحجارة ، وجعلوا طُولَهُ مما يلى القِبْلَة إلى مُؤَخَّرِه مائة ذراع ، وكذا فى العَرْض ، وكان مُرَبَّعاً . [وفى رواية جعفر [1]] : ولم يُسَطَّح فَشكَوا الحَرّ ، فجعلوا خَشَبَهُ وسواريه جذوعاً وظَلَّلُوه بالجريد ثم بالخَصَف[2] ، فلما وَكَف[3] عليهم طَيَّنُوه بالطين ، وجعلوا وَسَطَه رَحَبَة[4] ، وكان جِدَارُه قبل أن يُسَقَّف قامةً وشيئاً .

وروى يحيى عن [أسامة بن] زيد بن حارثة عن أَبيه رضى الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جعل قِبْلَتَه إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب فى مُؤَخَّرِه : باب أَبى بكر وهو فى جهة القبلة اليوم ، وباب عاتكة الذى يُدْعَى باب عاتكة ويقال له باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو باب آل عثمان اليوم ، وهذان البابان لم يُغَيَّرا بعد أَن صُرِفَت القِبلَة ، ولما صُرِفَت القِبْلَة سَدَّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خَلْفَه ، وفَتَح هذا الباب ، وحذاه هذا الباب [أى][5] ومحاذيه هذا الباب الذى سُدّ .

وروى ابن زَبَالة عن جعفر بن محمد أن النبى – صلى الله عليه وسلم – بنى مسجده مرتين : بناه حين قَدِم أقل من مائة فى مائة ، فلما فتح الله عليه خَيْبَر بناه وزاد عليه مثله فى الدور . وروى الزبير بن بَكّار عن أنس رضى الله عنه أنه قال : بنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مسجده أول ما بناه بالجريد ، وإنما بناه باللَّبِن بعد الهجرة بأَربع سنين .

وروى الطبرانى عن أَبى المليح أنه قال : « قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لصاحب البُقْعَة التى زيدت فى مسجد المدينة ، وكان صاحبها من الأَنصار ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم –: « لَكَ بها بَيْتٌ فى الجَنَّة » . قال : فجاء عثمان ، فقال له : لَكَ بها عشرة آلاف

---

(١) زيادة من السمهودى (جـ١ ص ٢٣٩) .

(٢) فى ت وم بالجص والتصويب من السمهودى. وفى النهاية الخصف محركة جمع خصفة وهى الجلة التى يكنز فيها التمر وكأنها فعل بمعنى مفعول ، والخصف بسكون الصاد المهملة وهو ضم الشىء إلى الشىء لأنه شىء منسوج من الخوص (جـ ١ ص ٢٩٧) .

(٣) فى الصحاح : وكف البيت وكفا ووكيفا وتوكافاً أى قطر .

(٤) فى المصباح رحبة المسجد الساحة المنبسطة، قيل بسكون الحاء والجمع رحاب مثل كلبة وكلاب وقيل : بالفتح وهو أكثر ، والجمع رحب ورحبات مثل قصبة وقصب وقصبات .

(٥) بياض بالأصل والتكلة من السمهودى (جـ١ ص ٢٤٠) .

دِرْهَم ، فاشتراها منه ، ثم جاء عثمان إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله اشْتَر منى البُقْعَة التى اشتريتُها من الأنصارى ، فاشتراها منه ببيت فى الجَنَّة . فقال عثمان : إنى اشتريتها بعشرة آلاف درهم ، فوضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَبِنَة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لَبِنَة ، ثم دعا عُمَر فوضع لَبِنَة ، ثم دعا عثمان فوضع لَبِنَة ، ثم قال للناس : « ضعوا » ، فوضعوا .

وروى الإمام أحمد والترمذى وحَسَّنه فى حديث قِصَّة إشراف عثمان يوم الدار ، عن ثمامة ابن حَزَن[1] القُشَيْرِى ، والإمام أحمد والدارقطنى عن الأحنف[2] بن قيس ، أن عثمان رضى الله عنه ، أشرف على الناس فقال : « أَهٰهُنَا / على ؟ » قالوا : نعم . قال : « أَهٰهنا طلحة ؟ » ١٠١١ت قالو : نعم . قال : « أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « مَنْ يبتاعُ بُقْعَة بنى فلان فليزيدها فى المسجد بخَيْرٍ منها فى الجنة ؟ » وفى رواية : « غفر الله له . » فاشتريتُها من صُلْب مالى بعشرين ألفاً فأتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلتُ قد ابتعتُها . فقال : « اجعلها فى مسجدنا ولك أَجْرُها » . قالوا : « اللهم نعم » .

وروى الزبير بن بَكَّار عن نافع بن جبير ، وداود بن قيس ، وابن شهاب وإسماعيل ابن عبد الله الأزدى عن رجل من الأنصار ، والطبرانى بِسَنَدٍ رجاله ثقات ، عن الشَّمُوس بنت النعمان رضى الله عنها ، ويحيى بن الحَسَن عن الخليل بن عبد الله الأسدى عن رجل من الأنصار ، عن ابن عجلان والغرافى – بالغين المعجمة والفاء فى ذيله – عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عُمَر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أقام رهطاً على زوايا المسجد ليُعَدِّل القِبْلَة ، فأتاه جبريل ، فقال : « يا رسول الله ضَعْ القِبْلة وأنت تنظر إلى الكعبة » ، ثم قال بيده [هكذا] فَانماطَ[3] كُلّ جَبَلٍ بينه وبينها فوضع تربيع المسجد ، وهو ينظر إلى الكعبة لاَ يحُول دون نظره شىء . فلما فرغ قال جبريل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قِبْلَتُه إلى الميزاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما وضعت قِبْلة مسجدى هذا حتى رُفِعَتْ لى الكعبة فوضعتها أمامها »

---

(١) فى الأصل ثمامة بن حزم والتصويب من خلاصة الخزرجى ص٤٩ : وهو ثمامة بن حزن آخره نون – القشيرى البصرى مخضرم . روى عن عمر وعثمان وعائشة وروى عنه القاسم بن الفضل وداود بن أبى هند ، وثقه يحيى بن معين .

(٢) فى الأصل الأخنس وهو تحريف

(٣) وردت فى السمهودى فأحاط وفى شرح المواهب فانماط

وقال الإمام مالك رحمه الله كما فى العُتْبِيَّة[1] : « سَمِعْتُ أن جبريل هو الذى أقام لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قِبْلَةَ مسجد المدينة » . وروى البخارى وأبو داود عن نافع ، وأبو داود من طريق ابن عطية ، كلاهما عن ابن عُمَر رضى الله عنهما أن مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت سواريه على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جذوع النَّخْل وأعلاه مُظَلَّل بجريد النَّخْل ، ثم أنها نَخَرَتْ فى خلافة أبى بكر فبناه بجذوع النخل وبجريد النخل ، ولم يزد فيه ، وزاد فيه عُمَر ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللَّبِن والجريد وأعاد عَمَدَهُ خَشَباً ، ثم أنها نَخَرَتْ فى خلافة عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة[2] ، وجعل عَمَدَه من حِجَارة منقوشة وسَقَّفَه بالسَّاج . زاد فى العيون : ونَقَل إليه الحَصْبَاء من العقيق .

وأول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحَكَم بناها بحجارة منقوشة [وجعل لها كُوَى[3]] ، ثم لم يُحْدِث فيه [شيئا] إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه ! فكتب إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال وفُسَيْفِسَاء ورخام وثمانين صانِعاً من الروم والقِبْط من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه ، وولى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان[4] وذلك فى سنة سبع وثمانين ويقال من سنة ثمان وثمانين .

---

(١) العتبية كتاب فى مذهب الإمام مالك ، مصنفه العتبى واسمه محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى عتبة . ينسب إلى جده وليس لآل عتبة بن أبى سفيان . وهوقرطبى أندلسى من أعلام الفقهاء سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل فأخذ بالقيروان عن سحنون وبمصر عن أصبغ بن الفرج . وكان حافظاً للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذى جمع المستخرجة التى كثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة توفى سنة ٢٥٥ هـ وقيل سنة ٢٥٤ هـ ترجم له ابن الفرضى فى تاريخ العلماء والرواة بالأندلس (جـ ٢ ص ٨ و ٩ رقم ١١٠٤) وابن فرحون فى الديباج (ص ٢٣٨ : ٢٣٩) وابن العماد فى الشذرات (جـ ٢ ص ١٢٩) .

(٢) مصحفة فى الأصل : الفضة وصوابها القصة بفتح القاف . وفى التاج القصة : الحجارة من الجص ويكسر عن ابن دريد قال أبو سعيد السيرافى بكسر القاف وغيره يقول بفتحها .

وفى النهاية (جـ ٣ ص ٢٥٨) تقصيص القبور هو بناؤها بالقصة وهى الجص .

(٣) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٣٦٢) .

(٤) قال الطبرى فى تاريخه (جـ ٨ ص ٨٨) قال محمد بن عمر : حدثنى يحيى بن النعمان الغفارى عن صالح بن كيسان قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق بهدم المسجد تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملنى على هدمه وبنائه فهدمناه بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد . وقد حدثت معارضة لهذا العمل أورد أخبارها السمهودى فى الفصل السادس عشر فى الجزء الأول من كتابه (ص ٣٦٣ : ٣٧٢) .

ولم يُحْدِث فيه أَحَدٌ من الخلفاء شيئاً حتى اسْتُخْلِف المهدى . قال محمد بن عُمَر : بَعَث المهدى عبد الملك[1] بن شبيب الغَسّانى ورجلاً[2] من ولَد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن علي ، فمكثا[3] فى عمله سنة ، وزاد فى مُؤخَّرِه مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعَرْضُه مائتى ذراع . وقال على ابن محمد المدائنى[4] : «وَلَّى المهدى جعفر بن سليمان[5] مكة والمدينة واليمامة فزاد فى مكة ومسجد المدينة ، وتَمَّ بناء مسجد المدينة فى سنة اثنتين وستين ومائة . وكان المهدى أتى إلى المدينة فى سنة ستين ومائة قبل الحج فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد ، ويقال إن المأمون عمره أيضاً وزاد فيه . والله أعلم[6] .

ثم لم يزد فيه شيئاً أَحَدٌ من الخلفاء بعد المأمون ، ولم يُعَمِّرُوا إلا مواضع يسيرة ، إلى أن حصل الحريق [فى المسجد النبوى] فى أول شهر[7] رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أول الليل لدخول أبى بكر بن أوحد الفَرَّاش[8] الحاصِلَ الذى فى الزاوية الغربية

---

(١) فى الأصل عبد الله والتصويب من السمهودى (جـ ١ ص ٣٨٠) .

(٢) اسمه عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز .

(٣) توفى عبد الله بن عاصم وولى المهدى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى .

(٤) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى مولى شمس بن عبد مناف ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفى سنة ٢٢٥ هـ من أعلام الأخباريين تستغرق عناوين مؤلفاته فى الفهرست لابن النديم ست صفحات (من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٢) وتتناول أخبار النبى صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والخلفاء والأحداث والفتوح والعرب والشعراء وغيرها ، لم يصلنا منها سوى ما نقله المؤرخون فيما بعد عنها .

(٥) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس .

(٦) لفظ السمهودى (جـ ١ ص ٣٨٢) : وقيل إن المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه أيضاً فى سنة ٢٠٢ هـ قال السهيلي وهو على حاله ،ورزين ينكر ذلك ، ويمكن الجمع بأنه جدده ولم يزد . هذا وينص ابن قتيبة فى كتابه المعارف (ص ٢٤٥) على أنه قرأ على موضع زيادة المأمون ما يلى : أمر عبد الله عبد الله (الأولى نكرة والثانية معرفة لأن المأمون اسمه عبد الله المأمون) بعمارة مسجد رسول الله سنة ٢٠٢ هـ طلب ثواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً . أمر عبد الله عبد الله بتقوى الله ومراقبته وبصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حقوق الله وإحياء ما أماتوا من العدل ، وتصغير ما عظموا من العدوان والجور وأن يطاع الله ويطاع من أطاع الله ويعصى من عصى الله فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ،والتسوية بينهم فى فيئهم ووضع الأخماس مواضعها .

(٧) فى السمهودى (جـ ١ ص ٤٢٧) ليلة الجمعة وفى الذيل على الروضتين لأبى شامة (ص ١٩٤) أن الحريق ابتدأ من زاوية المسجد الغربية من الشمال .

(٨) اسمه فى شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٢٦٣) أبو بكر المراغى ، وذكر السمهودى بأنه أحد القوام بالمسجد الشريف .

لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، وترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق فاشتعلت النار فيه وأعجزه إطفاؤها وعَلِقَتْ بِبُسُطٍ وغيرها مما فى الحاصل وتزايد الالتهاب حتى اتصلت بالسقف بسرعة [ثم دَبَّتْ فى السقوف[1]] آخذةً قِبْلَة فأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة واجتمع معه غالبُ أهلها ، فلم يَقْدِروا على قطعها ، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع[2] سقف المسجد [الشريف] وما احتوى من المِنْبَر النبوى والأبواب والخزائن والمقاصير والصناديق ولم تَبْقَ خَشَبَة واحدة ، وكذا الكتب ، وكُسْوَةُ الحجرة الشريفة . قال القُطْب القسطلانى : وكان عليها حينئذ إحدى عشرة ستارة[3] ، وأزالت النار تلك الزخارف التى لا تُرْضى ، وشوهد من هذه النار صِفَة القهر والعَظَمَة الإلهية مُسْتَوْلِيَة على الشريف والمشروف . وكان هذا الحريق عَقِب ظهور نار الحجاز المُنْذَر[4] بها من أرض المدينة ، وحماية أهلها منها لما التجأوا إلى مسجدها ، فانطفأت عند وصولها لحَرَمِها . قلتُ : وسيأتى بيان ذلك فى المعجزات إن شاء الله تعالى .

وربما خَطَر ببال العوام أن حَبْسَها عنهم ببركة الجِوَار مُوجِبٌ لحَبْسِها عنهم فى الآخرة ، مع اقتراف الأوزار ؟ فاقتضى الحال البيان بلسان الحال الذى هو أفصح من لسان المقال . والنار مُطَهِّرَةٌ لأدناس الذنوب / وقد كان [ذلك] لاستيلاء الروافض حينئذ [على المسجد النبوى والمدينة] ١٠١٢ت

---

(١) زيادة من الذيل على الروضتين لأبى شامة .

(٢) هذا مما نقله المؤلف من كتاب : « عروة التوثيق فى النار والحريق » للقسطلانى ولفظه كما أورده السمهودى : وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف . . وكان عليها إحدى عشرة ستارة .

(٣) قال السمهودى بعد ذلك : ثم ذكر القطب القسطلانى حكماً لذلك وأسراراً لكون تلك الزخارف لم ترضه صلى الله عليه وسلم ولكون القلوب لما لاحظت المساجد الثلاثة بعين التعظيم – ولا يجوز فى ذلك أن تنزل فوق قدرها بل لابد أن يعتقد أن صفة قهره تعالى وعظمته مستولية على الجميع . فوقع الحريق فى الكعبة وبيت المقدس قديماً ثم وقع بهذا المسجد فى هذا الزمان .

(٤) يشير المؤلف هنا إلى ما وقع من الزلازل والطفح البركانى فى سنة ٦٥٤ هـ ببلاد الحجاز وقد ساق خبرها عدد كبير من المؤرخين منهم أبو شامة فى الذيل على الروضتين (ص ١٩٢ : ١٩٣) وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (جـ ٧ ص ١٦ : ١٩) والمقريزى فى السلوك (جـ ١ ق ٢ ص ٣٩٨ : ٣٩٩) وابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٢٦٣) .

وكان القاضى والخطيب منهم ، وأساءوا الأَدب كما بسط ذلك ابن جبير فى رحلته[1] ، ولذا وُجِدَ عَقِب الحريق على جدران المسجد :

لم يَحْتَرِقْ حَـرَمُ النَّبِيِّ لِرِيبَـةٍ   يُخْشَى عَلَيْـهِ ومابه من عَـارِ
لَكِنَّها أَيْـدِى الرَّوَافِضِ لامَسَتْ   تِلْكَ الـرُّسُومَ فَطُهِّرَتْ بالنَّارِ[2]

وَوُجِـدَ أَيضاً :

قُـلْ لِلرَّوَافِضِ بالمَدِينَـةِ مَابِكُمْ   لِقِيَادِكُمْ لِلـذَّمِّ كُلَّ سَفِيـهِ
ما أَصْبَحَ الحَـرَمُ الشَّرِيفُ مُحَرَّقاً   إلا لَسبِّكِمُ الصَّحَابَـةَ فِيـهِ

ولم يَسْلَم من الحريق سوى القُبَّة التى أَحدثها الناصر لدينِ الله لِحفْظ ذخائر الحَرَم . قال المؤرخون : وبقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النَّخْل إذا هَبَّت الرياح تمايل ، وذاب الرصاص من بعض الأَساطين فسقطت ووقع السَّقْف الذى كان على أَعلى الحجرة الشريفة على سقف بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقعا جميعاً فى الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة .

وفى صبيحة الجمعة عزلوا مَوْضِعاً للصلاة وكتبوا بذلك للخليفة المُسْتَعْصِم بالله[أَبى أَحمد عبد الله[3]] بن المُسْتَنْصِر بالله [فى شهر رمضان[3]] ، فوصلت الآلات صُحْبَة الصُّنَّاع مع رَكْب العِراق فى الموسم وابْتُدِىءَ بالعِمَارة أَول سنة خمس وخمسين وستمائة ، وقصدوا إزالة ماوقع من السقوف على القبور الشريفة ، فلم يجسروا على ذلك . واتفق رأى [صاحب المدينة يومئذ وهو[3]] الأَمير منيف بن شيحه [بن هاشم بن قاسم بن

---

(١) أشار إلى ذلك ابن جبير فى رحلته (ص ١٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٨ م) بقوله : وفى يوم الجمعة المذكور وهو السابع من محرم شاهدنا من أمور البدعة أمراً ينادى له الإسلام : يالله ! يا للمسلمين ! وذلك أن الخطيب وصل للخطبة فصعد منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو على ما يذكر على مذهب غير مرضى ، هذا وقد قام ابن جبير (٥٣٩ هـ - ٦١٤ هـ) بثلاث رحلات من الأندلس إلى المشرق وحج فى كل واحدة منها وقد بدأها فى سنة ٥٧٨ هـ . انظر ترجمته فى الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ ج ٢ ص ١٦٨ : ١٧٤) .

(٢) روى هذان البيتان فى الذيل على الروضتين (ص ١٩٤) والنجوم الزاهرة (ج ٧ ص ٣٦) :

لم يحترق حرم النبى لحادث   يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنها أيدى الروافض لامست   ذاك الجناب فطهرته النار

(٣) زيادة من السمهودى (ج ١ ص ٤٢٩ : ٤٣٠) .

مهنىء الحسينى[1]] مع رأى أكابر الحَرَم الشريف أن يُطَالَع الإمام المستعصِم بالله بذلك فيفعل مايصل إليه أمره . فأرسلوا بذلك فلم يصل جوابه لاشتغاله وأهل دولته بإزعاج التتار لهم واستيلائهم على أعمال بغداد فى تلك السنة . فتركوا الرَّدْم على حاله ولم يَنْزِل أَحَدٌ هناك . زاد المجد اللغوى : ولم يَجْسُرْ أَحَد على التَّعَرُّض لهذه العظيمة[2] التى دون مرامها تَزِلُّ الأقدام ولا يتأتى من كل أحد بادىء بدئه الدخول [فيه] والإقدام . ووصلت[3] الآلات من صاحب اليمن [يومئذ وهو الملك] المُظَفَّر شمس الدين يوسف بن المنصور عُمَر بن رسول[4] . ثم عُزِل صاحب مصر ، وتولى مكانَه مملوك أبيه المظفر سيف الدين

(١) زيادة من السمهودى غير أن أمير المدينة ابتداء من حوالى سنة ٦٣٥ هـ كان جماز بن أبى فليتة كما فى الترجمة العربية لمعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور (القاهرة سنة ١٩٥١ م جـ ١ ص ١٧٧) . وتناول ابن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤ هـ فى نهاية كتابه : مختصر تاريخ الخلفاء (بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ص ١٢٩ ومابعدها) بيوت الملك والإمارات من الإسلام الآن . وقال فى ص ١٣٠ : ومنهم أمير المدينة المنورة وهى (أى الإمارة) فى بنى حسين وهى الآن فى بنى جماز بن شيحه . ولم يتيسر لنا الرجوع إلى مخطوطات المطرى وابن النجار وغيرهما فى تاريخ المدينة لتحقيق اسمه .

(٢) ذكر هذا الحريق عبد الرزاق بن أحمد الفوطي البغدادى (٦٤٢ هـ - ٧٢٣ هـ) فى الجزء الأول من كتابه : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة (بغداد سنة ١٣٥١ هـ ص ٣١٦) فقال : وفى شعبان (سنة ٦٥٤ هـ) وقع حريق بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم وحجرته بالمدينة أيضاً واحترق المنبر الذى كان من عهده وسقف حجرته وسبب ذلك أن القيم أشعل المصابيح فوقعت منه شرارة نار على ثوبه فاحترق ، ثم تعدت النار إلى قفص من أقفاص القناديل فالتهبت المشاقة التى فيه ، فانزعج القيم وشده ، وبيده إبريق فيه زيت فصبه على النار ظناً منه أنه ماء فازدادت النار التهاباً . فلما بلغ الخليفة المستعصم ذلك أرسل قاضى القضاة سراج الدين النهرقلى وعدة من العدول وأصحبهم مالا لعمارة ما احترق ، فساروا إلى هناك وعمروا ما خرب وأعادوه إلى أحسن مما كان وملكت بغداد وهم هناك . وقيل إن القاضى توفى بقية السنة ودفن بالبقيع . وأشار إلى كل من النار والحريق التاج السبكى فى طبقات الشافعية (جـ ٥ ص ١١٢ : ١١٣) حيث قال : كان لظهور النار بالمدينة النبوية دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة وظهرت تلك النار فى الحرة يبصرها أهل المدينة وسالت الجبال نيراناً واستمرت فوق الشهر . وهى مما أخبر بها المصطفى صلوات الله عليه حيث يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الإبل ببصرى » . وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى فى الليل أنه رأى أعناق الإبل فى ضوئها . وقال السبكى عن حريق المسجد النبوى الشريف إنه وقع فى مستهل رمضان وكان ابتداؤه من زاويته الغربية فأحرقت سقوفه كلها وذاب رصاصها ووقعت بعض أساطينه واحترق سقف الحجرة النبوية . وفى البداية والنهاية لابن كثير (جـ ١٣ ص ١٩٢) ما ذكره ابن الساعى عن هذه النار وماقاله شيخ حرم المدينة بأنها آية عظيمة وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة . ثم أورد ابن كثير فى ص ١٩٣ ما قاله أبو شامة عن حريق المسجد النبوى الذى عده منذراً بما أعقبه من الأحداث مشيراً بذلك إلى سقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ . انظر أيضاً تاريخ عمر بن الوردى (جـ ٢ ص ١٩٥) وتاريخ الخلفاء للسيوطى (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ص ٣٠٩) .

(٣) هذه عبارة المطرى التى نقلها المؤلف وقبلها : وصلت الآلات من مصر وكان المتولى عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحى (من سنة ٦٥٥ هـ إلى سنة ٦٥٧ هـ) .

(٤) أشار إلى هذا على بن الحسن الخزرجى فى كتابه العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (جـ ١ ص ١٢٨ - القاهرة سنة ١٩١١ م) وذلك بقوله : وهذه السنة (أى سنة ٦٥٦ هـ) تولى السلطان أمر الحرم الشريف وأقام منارته وخدمة جوامك خدامه .

قُطُز المُعِزِّى واسمه الحقيقى محمود بن ممدود ، وأمه أُخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأَبوه ابن عَمِّه ، أُسِر عند غَلَبة التتار ، فبيعَ بدمشق ، ثم [انتقل بالبيع إلى] مصر ، وتَمَلَّك فى ثامن عشر[1] ذى القعدة من سنة سبع [وخمسين وستمائة] . وفى شهر رمضان من سنة ثمان أَعَزَّ الله تعالى الإسلام على يده بوقعة عين جالوت . ثم قُتِل بعد الموقعة بشهر وهو داخل إلى القاهرة .

وكان العمل بالمسجد الشريف فى تلك السنة من باب السَّلَام إلى باب الرحمة [المعروف قديماً بباب عاتكة] ومن باب جبريل إلى باب النساء . وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بِيبَرْس / الصالحى البندقدارى ، فحصل منه اهتمام بأَمر المسجد فَجَهَّز الأَخشاب والحديد والرصاص ، ومن الصُّنَّاع ثلاثة وخمسين صانعاً ، ومايَمُونُهم ، وأنفق عليهم قبل سفرهم وأرسل معهم الأَمير جمال الدين مُحْسِن الصالحى وغيره ، ثم صار يُمِدُّهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات . فعُمِل فى أيامه باقى سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف إلا السقف الشمالى فإنه جعل سقفاً واحداً .

١٠١٤ت

ولم يزل المسجد على ذلك حتى جُدِّدَ السَّقْف الشرقى والسَّقْف الغربى اللذان عن يمين صحن المسجد وشِمَاله وذلك فى سنتى خمس وست وسبعمائة فى أوائل دولة الملك الناصر محمد ابن قلاون الصالحى ، فَجُعِلا سَقْفاً واحداً شبه[2] السقف الشَّمالى [أى سقف الدُّكاك[3]] . ثم فى سنة تِسْعٍ وعشرين وسبعمائة أَمر الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين [فى المُسَقَّف القِبْلى[4]] متصلين بمُؤَخَّرِه فاتسع مُسَقَّفُهُ بهما وعَمَّ نَفْعُهُمَا . ثم حصل فى هذين الرواقين خَلَل فجَدَّدَهُما الملك الأَشرف بَرْسِبَاى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة من مال جوالى قبرص . وجَدَّد الأَشرف أَيضاً شيئاً من السقف الشامى [مما يلى المنارة السنجارية[5]] .

ثم حصل خَلَل فى سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد فى دولة الظاهر

---

(١) جاء فى جـ ١ ص ٩٦ من بدائع الزهور لابن إياس (بولاق سنة ١٣١١ هـ) أن قطز تسلطن فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة الحرام سنة ٦٥٧هـ .

(٢) فى الأصل : نسبة .

(٣) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٤٣٣) .

(٤) بياض بالأصل والتكلة من السمهودى .

(٥) زيادة من السمهودى .

جقمق ، فجدّد ذلك فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة . ثم جَدَّد السلطان الملك الأَشرف قايتباى كثيراً من سقف المسجد ، ثم احترق المسجد النبوى ثانياً فى الثلث الأَخير من ليلة الثالث[1] والعشرين من شهر رمضان ، سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وذلك أن رئيس المُؤَذِّنين [وصَدْر المدرسين] شمس الدين محمد بن الخطيب قام يُهَلِّل حينئذ بالمنارة الشرقية[2] اليمانية المعروفة بالرَّيِّسيَّة ، ، وصَعِد المُؤَذِّنون بَقِيَّة المنائر وقد تراكم الغَيْم وحصل رَعْدٌ قاصف ، فسقطت صاعقة أصاب بعضُها هلال المنارة المذكورة فسقط شرقىّ المسجد لَهَبٌ كالنار وَانْشَقَّ رَأْس المئذنة ، وتوفى الرَّيِّس لحينه صعقاً . وأصاب ما نزل من الصاعقة سَقْفَ المسجد الأعلى [بين المَنَارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقباً كالتُّرْس] فَعلِقَت النار فيه وفى السقف الأَسْفَل ، ففُتِحت أبواب المسجد ونودى بأَن الحريق فى المسجد .

فاجتمع أمير المدينة قَسْطَل بن زُهَيْر الجَمَّازى[3] وأهلها بالمسجد الشريف ، وصعد أَهْلُ النَّجْدَةِ منهم بالمياه لإطفاء النار وقد التهبت سريعاً فى السَّقْفَيْن ، وأخذت فى جهة الشمال والغرب ، فعجزوا عن إطفائها وكادت أن تدركهم فهربوا . وسقط بعضهم فهلك ، ونَجَا بعضهم مع من حالت النار بينه وبين الأَبواب إلى صحن المسجد . وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً . وعظمت النار جداً حتى صارت كبحر لُجِّىٍّ من نار ، ولها زفير وشهيق وأَلْسُن تصعد فى الجو ، وصارت ترمى بشرر كالقَصْر / وَيَسْقُط بالبيوت المجاورة ومع ذلك فلا تؤثر فيها . وحمل بعض خزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ما بادروا بإخراجه ، وذلك كله فى نحو عشرة أدراج [فأَصابها الشرر فأَحرقها] . وأخبر أمير المدينة قَسْطَل الجَمَّازى أن شخصاً من العرب الصادقين رأى [فى المنام] قبل ذلك بِلَيْلَة أن السماء فيها جَرَادٌ مُنْتَشِر ثم أعقبته نار عظيمة ، فأَخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ النار وقال : « أمسكها عن أُمتى » .

١٠١٥ت

---

(١) فى السمهودى (ج ١ ص ٤٥٥) : أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان . وفى بدائع الزهور لابن إياس (ج ٢ ص ٢٠٩) ما يؤيد التاريخ الذى ذكره السمهودى .

(٢) فى الأصل : الشريفة والتصويب من السمهودى .

(٣) ذكر السمهودى أن اسمه هو السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازى ، وحقق اسمه مترجم معجم الأنساب للمستشرق زامباور بأنه قسيطل على صورة التصغير (ج ١ ص ١٧٨) وذلك نقلا عن تحقيق مستقل لكتاب السمهودى . وقد أثبتنا الاسم كما أورده المؤلف شمس الدين الشامى .

قال السيد : وأخبرنى جماعة أنهم شاهدوا أشكال طيور بيض تحوم حول النار كالذى يَكُفُّها عن بيوت الجيران[1] ، مع هرب كثير منهم لما رأوا تساقط الشَّرَر . وخرج بعضهم من باب المدينة لعِظَم ماشاهدوه من الهَوْل وظنوا أنهم قد أُحيط بهم ، ثم خمدت النار ثانى يوم وأرسلوا للسلطان قايتباى يُعْلِمونه بذلك فاهتمّ بذلك رحمه الله تعالى الذى أهَّله لهذا الأمر وعَمَر المسجد الشريف والحجرة الشريفة العمارة المُحْكَمَة الموجودة فى زماننا[2].

تَنْبِيهاتٌ

الأول : اخْتُلِفَ فى اسم أَبى اليَتِيمَيْن اللذين كان المسجد لهما فقال [موسى ابن عقبة : هما ابنا رافع بن عَمْرو بن أَبى عَمْرو[3]] ، وقال الزهرى وابن اسحق هما ابنا عمرو. قال فى العيون إنه الأشهر . وحاول السهيلى التوفيق بين القولين فقال : « هما ابنا رافع بن عَمْرو[4] » ، فعلى هذا نُسِبا إلى جَدِّهما . قال الحافظ : « والأرجح هو قول الزهرى وابن إسحق » .

الثانى : ذكر ابن إسحق أنهما كانا فى حِجْر مُعَاذ بن عَفْرَاء ، وقال أبو ذَرّ الهَرَوِىّ

---

(١) ذكر ابن إياس فى كتابه بدائع الزهور (ج ٢ ص ٢٠٩) خبر هذا الحريق فى أحداث سنة ٨٨٦ هـ وأضاف أن أهل المدينة عاينوا عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التى حول المسجد ، وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان (قايتباى) ذلك بكى ، وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى هذا المكان الشريف .

(٢) ذكر ذلك ابن إياس بقوله : « ثم أن السلطان شرع فى تجديد المسجد الشريف فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن بأن يتوجه إلى المدينة وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة وإعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المحرم – وكانت قبل ذلك من الخشب – وتغيير المنبر والمآذن التى كانت بالحرم ، ثم توجه ابن الزمن إلى هناك وشرع فى البناء حتى انتهى من العمل فى أواخر سنة ٨٨٧ هـ ، فجاء غاية فى الحسن من أجل الأبنية وأعظمها ، حتى قيل إن السلطان صرف على بنائه نحواً من مائة ألف دينار وجدد معالمه وتناهى فى زخرفته إلى الغاية » .

هذا ويبدو أن جانباً على الأقل من هذه التجديدات ظل باقياً إلى ما بعد منتصف القرن الماضى (الميلادى) فقد ذكر الرحالة السويسرى بوركهارت الذى حج فى سنة ١٨١٥ م منتحلا اسم الشيخ إبراهيم المهدى وزار المدينة أنه لا يعتقد إذا كان المسجد النبوى قد أصابه تغيير مادى منذ عهد السمهودى وبعد الحريق الذى وقع سنة ٨٨٦ هـ انظر كتابه : رحلات فى بلاد العرب (لندن سنة ١٨٢٩ م ص ٣٣٠) . وذكر ريتشرد بيرتون فى رحلته إلى الحجاز التى بدأ بها فى خريف سنة ١٨٥٢ م أن المسجد السادس كما هو قائم الآن تقريباً شيده السلطان قايتباى فى سنة ٨٨٨ هـ ، انظر الفصل ١٧ الذى عقده عن تاريخ المسجد النبوى فى كتابه : حجة إلى المدينة ومكة (لندن سنة ١٨٥٥ م وقد رجعنا إلى طبعة لندن سنة ١٩٢٤ م ج ١ ص ٣٦٨) .

(٣) فى الأصل : « فقال جمع ما سبق » والتصويب من السهيلى (ج ٢ ص ١٢) الذى ساق نسب سهل وسهيل هكذا : هما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وأضاف أن سهيلا شهد بدراً والمشاهد كلها ومات فى خلافة عمر ، وأن سهلا لم يشهد بدراً وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل .

(٤) أورد ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٦٥ وما بعدها) سياقة أبى عمر لنسبهما إذ قال : سهل بن رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة . . . والاختلاف فى عمرو وعائذ .

أحد رواة الصحيح : أسعد [بن زرارة] بإثبات الألف [فى أسعد] . قال الحافظ والسيد : «وهو الوجه» . وقال ابن زَبَالة ويحيى إنهما كانا فى حِجْرأَبى أيوب.وقد يُجْمَع باشتراك مَنْ ذُكِر فى كونهما فى حُجُورهم ، وبانتقال ذلك بعد أسعد بن زُرَارة إلى مَنْ ذُكِر واحداً بعد واحد ، سيا وقد روى محمد بن الحَسَن المخزومى عن ابن [أبي] فُدَيْك[1] قال : « سَمِعْتُ بعض أهل العلم يقولون إن أسعد توفى قبل أن يبنى رسول الله المسجد ، فباعه رسول الله من سهل وسهيل » .

الثالث : فى الصحيح أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسل إلى مَلأ بنى النَّجَّار بسبب موضع المسجد ، فقال : « يا بنى النَّجار ثَامِنُونِى بحائطكم هذا » ، فقالوا : « والله لا نطلب ثمنه إلا من الله » . وفى رواية : « فدعا بالغلامَيْن فساومهما بالمِرْبَد يتخذه مسجداً » . ووقع فى رواية ابن عُيَيْنَة : « فكَلَّم عَمَّهما ، أى الذى كانا فى حِجْره ، أن يبتاعه منهما » ، فقال : « ما تصنع به ؟ » فلم يَجِدْ بُدًّا من أن يَصْدُقَهما ، فأخبرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراده ، فقالا : « نحن نعطيه » ، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه . أخرجه الجندى[2].

وذكر ابن زَبَالة ، ويحيى ، أن أبا أيوب قال : يا رسول الله أنا أُرْضِيهُمَا . وذكر ابن عُقْبَة أن أسعد عَوَّضهما عنه نَخْلا ، / قال : وقيل ابتاعه منهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . وطريق الجمع بين ذلك كما أشار إليه الحافظ أنهم لما قالوا : « لا نطلب ثمنه إلا من الله » سأل عَمَّن يختص بمِلْكه منهم ، فعَيَّنوا الغُلَامَيْن ، فابتاعه منهما أو من وَلِيِّهما إن كانا غَيْرَ بَالِغَين[3] ، وحينئذ فيُحْتَمَل أن الذين قالوا : « لا نطلب ثَمَنَه إلا من

١٠١٦ت

(١) فى الأصل : ابن فريك بالراء والتصويب من الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ١ ص ٣١٦) واسمه هو : محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك دينار الديلمى المدنى محدث المدينة . قال البخارى توفى سنة ٢٠٠ هـ روى عن ابن أبى ذئب والضحاك ابن عثمان وابن الفضل وخلق ، وروى عنه عبد بن حميد وأحمد بن الأزهر وسلمة بن شبيب.قال النسائى ليس به بأس ، انظر أيضاً خلاصة الخزرجى ص ٢٧٩ .

(٢) روى البلاذرى فى فتوح البلدان (ص ١٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٠١ م) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى فى مسجد أسعد بن زرارة ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت فى يده ليتيمين فى حجره يقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، فعرض عليه أن يأخذها ويغرم عنه لليتيمين ثمنها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(٣) زاد الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٦٤) : ولا ينافيه وصفهما باليتم لأنه باعتبار ما كان ، أو كانا يتيمين وقت المساومة وبلغا وقت التبايع .

[الله [1]] تَحَمَّلُوا عنه للغُلَامَيْن بالثمن . فقد نقل ابن عُقْبَة أن أسعد بن زُرَارة عَوَّضَ الغُلامَيْن عنه نخلاً له فى بياضَة . وتَقَدَّم أن أبا أيوب قال : أنا أُرْضِيهما ، فأَرضاهما ، وكذلك مُعَاذ بن عفراء ، فيكون بعد الشِّراء . ويُحْتَمَل[2] أن كُلاًّ من أسعد ، وأبى أيوب وابن عفراء أرضى اليَتيمَيْنِ بشىء فنُسِبَ ذلك لكل منهم .

وقد رُوِىَ أن اليتيمين امتنعا من قبول عِوَض ، فيُحْتَمَل ذلك على بدء الأَمر ، ولكن قال الواقدى : إنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من بنى عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فلعله رَغِب فى الخير ، فدفع العَشَرة مع أُولئك، أو أنه صلى الله عليه وسلم أَخذ أولاً بعض المِرْبَد فى بنائه الأَول سَنَةَ قدومه ، ثم أَخذ بعضاً آخر لما سَبَق أنه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أَبى بكر فى إحداهما ومن الآخرين فى الأُخرى[3].

الرابع : ذكر السيد[4] أن قول النبى صلى الله عليه وسلم لعَمَّار : « تقتلك الفئة الباغية » . كان فى البناء الثانى؛لأَن البيهقى روى فى الدلائل عن أَبى عبد الرحمن السُّلَمى أنه سمع عبد الله بن عَمْرو بن العاص يقول لأَبيه عَمْرو : « قد قتلنا هذا الرجل،وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال » . قال : « أى رجل ؟ » قال : « عَمَّار بن ياسر ، أَمَا تَذْكُر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ، وكنا نحمل لَبِنَةً لَبِنَة ، وعَمَّار يحمل لَبِنَتَيْن لَبِنَتَيْنِ ، ؟ فَمَرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال :[5] « تحمل لَبِنَتَيْن

(١) زيادة يقتضيها السياق ومثبتة فى روايات هذا الخبر .

(٢) ابتداء من كلمة «يحتمل» حتى كلمة «الأخرى» هو مما أورده الزرقانى فى شرحه على المواهب ناقلا إياه عن مؤلف هذا الكتاب شمس الدين الشامى مع التصريح بنسبته إليه .

(٣) ثم أضاف الزرقانى : « وذكر البلاذرى أن العشرة التى دفعها من مال أبى بكر كانت ثمن أرض متصلة بالمسجد لسهل وسهيل وعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه لهما ثمنها فأبى . وجمع البرهان : بأنهما قضيتان وأرضان كلتاهما لليتيمين فاشترى كل واحدة بعشرة ، إحداهما المسجد والأخرى زيادة فيه ، وأدى ثمنهما معاً أبو بكر . والواحدة عاقده عليها أسعد بن زرارة والأخرى معاذ بن عفراء . أما ما ذكر من شراء أبى يوب منهما فيحمل على المجاز على (اعتبار) أنه كان متكلماً بينهما أو عقد معهما بطريق الوكالة أو الوصية ، أو أنها أرض ثالثة ، وفيه بعد » .

(٤) النص التالى فى ص ٢٣٦ من الجزء الأول من وفاء الوفا للسيد السمهودى .

(٥) فى الأصل: « فذكر نحو رواية الصحيح » وأثبتنا بدلا من هذه العبارة ما جاء فى النص الذى نقله المؤلف عن السمهودى (جـ ١ ص ٢٣٦) . وفى رواية أخرى للحديث عن عكرمة عن ابن عباس : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عنه ويقول « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار »، أخرجه البخارى ولم يذكر «تقتله الفئة الباغية» وأخرجها أبو بكر البرقانى والإسماعيلى (تيسير الوصول جـ ٣ ص ٨٧) .

لبنتين وأنت تُرْحَض[1] ؟ أَمَا إنك ستقتلك الفِئَة الباغية ، وأنت من أهل الجَنَّة » .
فدخل عَمْرو بن العاص على معاوية :فقال : « قتلنا هذا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : » فقال معاوية : « اسكت فوالله ما تزال تَدْحَضُ[2] فى بَوْلِك ، أَنَحْنُ قتلناه ؟ إنما قتله عَلِيّ وأصحابه جاءوا به حتى أَلْقَوْه بيننا . قال السمهودى :] « وهو يقتضى أن هذا القول لعَمَّار كان فى البناء الثانى للمسجد ؛ لأن إسلام عَمْرو بن العاص كان فى السنة الخامسة للهجرة . »

الخامس : فى بيان غريب ما سبق : « المِرْبَد » – بكسر الميم – : الموضع الذى يُجْعَل فيه التَّمْر . « الملأ » – بفتح الميم واللام – : أشراف الناس ورؤساؤهم ومُقَدَّمُوهم الذين يُرْجَع إلى قولهم . « النَّجَّار » : بالنون والجيم .« ثَامِنُونِى »[3] : أى بايعونى وقاولونى. « الحائط » هنا : البستان ، وتَقَدَّم أنه كان مِرْبَداً فلعله كان أولاً حائطاً ثم خَرِبَ فصار مِرْبَداً ، ويؤيده قوله : لِيُتَّخَذَ مسجداً . « النَّوَّار[4] » : بفتح النون وتشديد الواو بعد الألف راء . « عايد » : بالمثناة التحتية والذال المعجمة. « الجِدَار » ككِتَاب : الحائط . « الغَرْقَد » بالغين المعجمة والراء والقاف والدال المهملة :ضَرْبٌ من شَجَر العِضَاه ، واحده غَرْقَدَةٌ .« خِرَب » بكسر الخاء/المعجمة وفتح الراء وبالمُوَحَّدَةَ [جَمْع خِرْبَة وهى الموضع الخراب[5]] ، وفى لفظ بالحاء المهملة وسكون الراء والمثلثة : [حَرْث] . « العَرِيش » : السَّقْف وما يُسْتَظَلُّ به ، وهو المراد هنا . « ثمامات » : جمع ثُمَام بضم المثلثة : نَبْتٌ ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حُشِيَ

١٠١٧ت

---

(١) من رحض بالبناء للمجهول : رحض المحموم رحضاً عرق حتى كأنه غسل جسده .

(٢) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٥) فى حديث معاوية قال لابن عمرو : لا تزال تأتينا بهنة تدحض بها فى بولك . أى تزلق ، ويروى بالصاد المهملة أى تبحث فيها برجلك .؛

(٣) فى حديث بناء المسجد فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٥) : ثامنونى بحائطكم ، أى قرروا معى ثمنه وبيعونيه بالثمن. يقال ثامنت الرجل فى البيع أثامنه قاولته فى ثمنه وساومته على بيعه واشترائه .

(٤) لم نعثر على هذه الكلمة فى المعجمات بتشديد الواو إلا إذا كانت بضم النون، فالنوار هو الزهر واحدته نوارة . أما النوار بفتح النون والواو مع عدم تشديد الواو فهو المرأة النفورمن الريبة، وكاسم علم هى بهذا الضبط . والمؤلف يشير إلى النوار بنت مالك بن صرمة من بنى عدى بن النجار وهى أم زيد بن ثابت الأنصارى الفقيه الفرضى كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم . روت عنها أم سعد بنت أسعد بن زرارة (أسدالغابة جـ ٥ ص ٥٥٧) .

(٥) زيادة من معجمات اللغة لتوضيح مراد المؤلف .

به أو سُدَّ [به[2]] خِصَاص[1] البيوت [الواحدة ثُمَامَة[2]] . « العِضَادتان » : تثنية عِضَادة – بكسر العين المهملة والضاد المعجمة وبعد الألف دال مهملة – : جانب الباب[3] . « طَفِقَ » : جعل[4] « الحِمَال[5] » : بكسر الحاء المهملة من الحَمْل ، والذى يُحْمَل من خَيْبَر : [التَّمْر . أى أنَّ[6]] هذا فى الآخرة أَفْضَلُ من ذاك وأَحْمَدُ عاقِبَةً ، كأَنه جمع حِمْل أَو حَمْل ويجوز أن يكون مصدر حَمَلَ أَو حَامَل . « خَيْبَر » : يأْتى الكلام عليها فى غَزْوَتِها . « أَرديتهم » : جمع رداء . « مُتَنَطِّعاً » – بميم مضمومة فمثناة فوقية فنون مفتوحتَيْن فطاء مهملة مكسورة فعين مهملة : مِن تَنَطَّع إذا تَعَمَّق وتَغَالى وتَأَنَّق . « الوَفْرَة » : بواو مفتوحة ففاء فراء : الشَّعَر المُجْتَمِعُ على الرأس ، أو ما مال على الأُذُنَيْن منه أو ما جاوز شَحْمَة الأُذنين ثم الجُمَّة ثم اللِّمَّة .[7] « وَيْحَ » : كلمة تَرَحُّم وتَوَجُّع ، يقال لمن وقع فى هَلَكَة لا يَسْتَحِقُّها ، وقد يقال بمعنى المَدْح والتَّعَجُّب، وهى منصوبة على المصدر[8]. « الحَبْحَبَة » : بحاءَيْن مهملتَيْن بعد كل مُوَحَّدَة [وهى] فى الأَصل جَرْى الماء قليلا قليلاً كالحَبْحَب [والحَبْحَبَة] الضعف وسَوْق الإِبل ومن النَّار اتقادُها والبطيخ الشامى الذى يُسَمِّيه أَهل العراق الرَّقِّىّ والفُرْس تُسَمِّيه الهندى . « بالسَّمِيط » أى على لَبِنَة واحدة ، والسَّمِيطُ من

(١) الخصاص جمع خص . وفى النهاية (ج ١ ص ٢٩٧) الخص بيت يعمل من الخشب والقصب وجمعه خصاص وأخصاص سمى به لما فيه من الخصاص وهى الفرج والأنقاب .

(٢) زيادة من الصحاح الذى نقل عنه المؤلف ، وثمامات التى زادها المؤلف هى جمع الجمع .

(٣) فى التاج ، عضادتا الباب: هما الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

(٤) طفق بمعنى أخذ فى الفعل وجعل يفعل وهى من أفعال المقاربة ، قاله فى النهاية .

(٥) فى حديث بناء مسجد المدينة بيت من الشعر لم يذكره المؤلف وهو :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وهذا البيت لعبد الله بن رواحة . وفى المواهب قال ابن شهاب الزهرى : ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمثل بشعر تام غير هذا، وقيل إن الممتنع عليه إنشاء الشعر لا إنشاده . وانظر أيضاً فى هذا الصدد السيرة الحلبية (ج ٢ ص ٦٨) وشرح المواهب (ج ١ ص ٣٦٧) .

(٦) زيادة من النهاية (ج ١ ص ٢٦٠) التى نقل عنها المؤلف .

(٧) فى فقه اللغة للثعالبى (ص ٩٣) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر ، واللمة : ما ألم بالمنكب منه وجمعه لمم ولمام ، والجمة ما غطى الرأس من الشعر وجمعه جمم وجمام .

(٨) أضاف ابن الأثير الذى نقل عنه المؤلف : وقد ترفع وتضاف ولا تضاف : يقال ويح زيد وويحاً له وويح له . وفى التاج قال أكثر أهل اللغة إن ويلا تقال لمن وقع فى هلكة أوبلية لا يترحم عليه وويح تقال لكل من وقع فى بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها . ورفعه على الابتداء ونصبه بإضمار فعل . وزاد الزمخشرى فى الفائق (ج ٣ ص ١٨٧) كأنه قيل – فى حديث عمار – ترحم ابن سمية أى أترحمه ترحماً . وفى القاموس أصل ويح وى وصلت بحاء مرة فقيل ويح وبلام مرة فقيل ويل وبباء مرة فقيل ويب وبسين مرة فقيل ويس وهى فيما عدا ويل بمعنى الترحم .

النَّعْل : الطَّاق الواحد [لا رقعة فيها[1]] . « السَّوَارى » : جمع سارِيَة وهى الاسطوانة . « السَّعْد » [ثُلْثُ اللَّبِنَة والسُّعَيْد كزُبَيْر رُبْعُها] [2] . « وكَفَ » : سال ماؤه[3] . « الخَصَف » بخاء معجمة فصاد مهملة مفتوحتين : المنسوج من الخُوص [4] . «الشَّمُوس » – بفتح الشين المعجمة وضم الميم وبالواو والسين : [بنت النُّعْمَان بن عامر بن مجمع[5]] من الأنصار . « الرَّحَبَة » – بالراء والحاء المهملة والموحدة المفتوحات ، قال فى الصحاح : رَحَبَةُ المسجد بالتحريك ساحته والجمع رَحَب وَرَحَبَات وَرِحَاب . « الزوايا » جمع زاوية : الناحية . « انْمَاطَ » : بالنون والميم والطاء المهملة بعد الألف : أى تَنَحَّى . « نَخِرَتْ » – بالنون المفتوحة والخاء المعجمة المكسورة والراء : يَبِسَتْ وَتَفَتَّتَتْ . « المَنْقُوشَة » – بميم مفتوحة فنون فقاف فواو فشين معجمة : المُلَوَّنة بلَوْنيْن أَو أَلوان . « السَّاج » – بسين مهملة وجيم مُخَفَفَّة : نوع من الشجر . « القَصَّة » – بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة المفتوحة فتاء تأْنيث : [الحجارة من الجِصّ[6]] . « الفُسَيْفِسَاء » قال فى النور : / بضم الفاء ١٠١٨ت الأولى وفتح السين المهملة فتحتية ساكنة ففاء مكسورة ثم سين مهملة أُخرى ممدودة ،

---

(١) السميط هو الآجر القائم بعضه فوق بعض وكالسميط كزبير ، ونعل سمط وسميط وأسماط لا رقعة فيها ليست بمخصوفة ، عن القاموس والتاج والصحاح .

(٢) بياض بالأصل والتكلة من القاموس المحيط .

(٣) وكف البيت والدمع إذا تقاطر . يكف وكفاً ووكيفاً ووكفاناً أى سال وقطر قليلا قليلا .

(٤) الخصف بالتحريك جمع خصفة وهى ضم الشىء إلى الشىء لأنه منسوج من الخوص ، قاله فى النهاية (ج ١ ص ٢٩٧) .

(٥) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٤٨٨) لأن الشموس هذه هى التى يقصدها المؤلف حيث سبق له أن ذكرها وأغفل إثبات اسمها هنا كاملا . وقد روى سويد بن عامر ، وعتبة بن ربيعة عنها أنها قالت : نظرت إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر ،أوالصخرة حتى يهصره الحجر وأنظر إلى بياض التراب على بطنه حتى أسسه ويقول : إن جبريل يؤم الكعبة . وكان يقال أقوم مسجد قبلة مسجد قباء . أخرجه الثلاثة واستشكل ابن الأثير هذا الحديث قائلا : قولها يؤم الكعبة فيه نظر فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسس مسجد قباء لم تكن القبلة إلى الكعبة إنما كانت إلى بيت المقدس ثم حولت إلى الكعبة بعد ذلك

(٦) زيادة من القاموس لتوضيح مراد المؤلف وكذلك من التاج وهى بفتح القاف وبكسرها . وفى التاج الجص بالفتح ويكسر ، وكسر الجيم أفصح ، هو ما يبنى به. ونقل فى اللسان عن ابن دريد الكسر فقط وفى المعرب للجواليقى : لا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية وأنها فارسية معربة (ص ١١ و ٩٥) .

هكذا سُمِع الناس ينطقون به وكذا رأيتُه مُحَرَّراً بخط كمال الدين بن العديم [1] فى تاريخه فى غير موضع ، وكذا رأيته مضبوطاً بالقَلَم فى مطالع ابن فرفود [2] ، وهو فصوص صغار من ألوان الزجاج تُلْصَق بالحائط وتُطْلَى بماء الذهب ، وهى كثيرة بجامع دمشق وبيت المقدس [وهى غاية [3]] فى الحُسْن والبهجة .

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة كمال الدين العقيلى الحلبى المعروف بابن العديم ولد سنة ٥٨٦ هـ وتوفى سنة ٦٦٠ هـ وقيل سنة ٦٦٦ هـ وتاريخه الذى يشير إليه المؤلف هو بغية الطلب فى تاريخ حلب أو مختصره الذى أسماه مؤلفه : زبدة الحلب من تاريخ حلب . وكان ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ معاصراً له وترجم له ترجمة مطولة فى معجم الأدباء (ج ١٦ ص ٥ : ٥٧) صدرها بإشارات إلى سير الأعلام من بيت أبى جرادة الذى ينتمى إليه ابن العديم . وقد ترجم له أيضاً ابن شاكر وأبو الفداء وابن الوردى وصاحب النجوم الزاهرة وحسن المحاضرة وشذرات الذهب .

(٢) لم نوفق فى ضبط اسمه فى المؤلفات الخاصة بتاريخ الفنون الإسلامية .

(٣) بياض بالأصل بنحو كلمة أو كلمتين أكملناها بما يقتضيه السياق .

الباب الثالث

فى بِنَائه صلى الله عليه وسلم حُجَر نِسائه رَضِيَ الله عَنْهُنَّ

قال فى الروض : « كانت بيوته صلى الله عليه وسلم تسعة : بعضها من جريدٍ مُطَيَّن بالطين وسَقْفُها من جريد ، وبعضها من حجارة مَرْضُومَة بعضها فوق بعض ، وسقفها من جريد أيضاً [1] » . قال الحافظ الذهبى فى « بُلْبُل الروض » : « لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بُنِيَ له تسعة أبيات حتى بنى المسجد ولا أَحْسَبُهُ فَعَل ذلك ، إنما كان يريد بيتاً واحداً لسَوْدَة أم المؤمنين رضى الله عنها . ولم يَحْتَجْ إلى بيت آخر حتى بَنَى لعائشة رضى الله عنها فى شوّال سنة اثنتين ، وكان صلى الله عليه وسلم بناها فى أوقات مختلفة » . انتهى .

وتقدم فى الباب الثانى أنه صلى الله عليه وسلم بنى لِزَوْجَيْه : سَوْدَة وعائشة رضى الله عنهما ، على نَعْت بناء المسجد ؛ لأن عائشة كانت زَوْجَهُ حينئذ ، وإن تَأَخَّر الدخولُ بها ، ثم بنى بَقِيَّة الحُجَر عند الحاجة إليها .

قال محمد بن عُمَر الأسلمى : « كانت لحارثة بن النعمان [2] رضى الله عنه منازل قُرْب المسجد وَحَوْلَه ، وكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أَهْلاً نزل له حارثة عن منزل ، أى مَحَلّ حُجْرَة حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه » . « قال محمد بن عُمَر : « حَدَّثنا عبد الله بن يزيد الهُذَلِيّ قال : رَأَيْتُ بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هَدَمَها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك ، كانت بيوتاً من اللَّبِن ، ولها حُجَر من جريد مَطْرُورَة [3] بالطِّين ، عَدَدْتُ تسعة أبيات بِحُجَرِها ، وهى ما بين بيت عائشة إلى الباب الذى يلِي باب النبى صلى الله عليه وسلم إلى منزل

(١) الروض الأنف جـ ٢ ص ١٣ .

(٢) هو كما فى أسد الغابة (جـ ١ ص ٣٥٨ : ٣٥٩) حارثة بن النعمان بن نقع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار الأنصارى الخزرجى ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من فضلاء الصحابة .

(٣) فى النهاية (جـ ٣ ص ٣٤) فى حديث عطاء : إذا طررت مسجدك بمدر فيه روث فلا تصل فيه حتى تغسله السماء . أى إذا طينته وزينته ، من قولهم رجل طرير أى جميل الوجه .

أسماء بنت حَسَن [اليوم] [١] . قال : ورأيتُ بيت أم سَلَمة [زوج النبي صلى الله عليه وسلم[٢]] وحجرتها من اللَّبِن ، فسألت ابن ابنها فقال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَةَ الجَنْدل بَنَتْ أم سَلَمة حجرتها بلَبِن . فلما قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم / نَظَر إلى اللَّبِن ١٠١٩ت ودَخَل عليها أول نسائه فقال : « ما هذا البناء ؟ » فقالت : « أردتُ يا رسول الله أن أكُفَّ أبْصَارَ الناس » . فقال : « يا أم سَلَمة إن شَرَّ ما ذهب فيه مالُ المسلم البنيان » .

قال محمد بن عُمَر : فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث مُعَاذ بن محمد الأنصارى فقال : « سَمِعْتُ عَطَاء الخُرَاسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أَنَس[٣] يقول وهو فيما بين القبر الشريف والمنبر المنيف : أدْرَكْتُ حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم [من جريد على أبوابها المسوح من شَعَر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقْرأ ، يأمرنا بِهَدْم حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم[٤]] ، فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً من ذلك اليوم . [قال عطاء :] « فسَمِعْتُ سعيد بن المُسَيَّب يقول يومئذ : « والله لَوَدِدْتُ أنهم تركوها على حالها ، ينشأ ناشِئٌ من أهل المدينة ويَقْدَم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، فيكون ذلك مما يُزَهِّد الناس فى التفاخر والتكاثر» قال معاذ : « فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه قال عمران بن أبى أَنَس : كان فيها أربعة أبيات بِلَبِن ، لها حُجَر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مُطَيَّنة لا حُجَر لها ، على أبوابها مسوح الشَّعَر ، ذَرَعْتُ الساتر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع وعظم الذراع أو أدنى من العظم . فأما ما ذُكِر من البُكَاء يومئذ فلقد رَأَيْتُنِى فى المسجد وفيه نَفَر من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن [بن عوف] ، وأبو أُمَامة بن سهل بن حنيف ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وإنهم لَيَبْكُون حتى أخضلوا لِحَاهم من الدمع .وقال يومئذ أبو أُمَامَة : « لَيْتَها تُرِكَتْ فلم تُهْدَم حتى يَفْصُلَ الناسُ

---

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ٣٢٦) . هذا وفى الأصل ساق المؤلف نسب أسماء على أنها بنت حسن بن عبد الله ابن عباس واقتصر السمهودى على القول بأنها بنت حسن ولم نعثر فيما لدينا من المراجع على سياقة هذا النسب .

(٢) زيادة من السمهودى .

(٣) فى الأصل ابن أبى أنيس والتصويب من خلاصة الخزرجى (ص ٢٥٠) : وهو عمران بن أبى أنس القرشى العامرى المصرى ، روى عن أبى هريرة وسهل بن سعد ، وروى عنه يزيد بن أبى حبيب البصرى وابن إسحق والليث ، وثقه أبو حاتم . وقال ابن يونس توفى بالمدينة سنة ١١٧ هـ .

(٤) زيادة من السمهودى .

عن البناء [1] ويَرَوْا مارَضِيَ اللهُ لِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم ، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده » وروى ابن سعد ، والبخارى فى الأَدب ، وابن أَبى الدنيا ، والبيهقى فى الشُّعَب عن الحَسَن البَصْرِى قال : « كنت وأَنا مُراهِق أَدخل بيوت أَزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فأَتناول سقفها بيدى » [2] وروى البخارى فى الأَدب ، وابن أَبى الدنيا ، والبيهقى عن داود بن قيس قال : « رأَيت الحُجَر من جريد النخل تُغَشَّى من خارج بمسوح من الشعر ، وأَظن عَرْضَ البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من سِتّ أَو سَبْع أَذرع ، وأَحْزِرُ البيت من الداخل عَشْر أَذرع ، وأَظُنُّ سُمْكَهُ بين الثَّمَانِ والسَّبْع » .

وروى محمد بن الحسن المخزومى عن محمد بن هِلَال قال : « أَدْرَكْتُ بيوت أَزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت من جريد مستورة بمسوح الشَّعَر ، مستطيرة فى القِبْلَة وفى المشرق وفى الشام ، ليس فى غربى/ المسجد منها شىء ، وكان باب عائشة يُوَاجِه الشام وكان بمصراعٍ واحد من عرعر أَو ساج » . وروى ابن مَنْدَه عن بشر بن صُحَار العبدى [3] قال : « كنتُ أَدخل بيوت أَزواج النبى صلى الله عليه وسلم فأَنال سقفها » . وروى ابن سعد عن عمرو بن دينار ، وعُبَيْد الله بن أَبى مرثد قالا : « لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم على بيته من حائط ، فكان أَول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب رضى الله عنه » . قال عبيد الله « كان جداره قصيراً ثم بناه عبد الله بن الزبير » .

١٠٢٠ت

تنبيهات

الأَول : روى البخارى فى تاريخه وفى الأَدب عن أَنس رضى الله عنه ، والبيهقى فى المدخل عن المغيرة بن شعبة قال : « كان أَصحاب رسول الله صلى الله عليه

(١) فى رواية : حتى ينقص الناس من البنيان .

(٢) زاد فى رواية الخبر : وكان لكل بيت حجرة وكانت حجره من أكسية من خشب عرعر . هذا ودخول الحسن البصرى تلك البيوت فى خلافة عثمان ذلك لأنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ابناً لمولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة ، وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر بن الخطاب فدعا له بقوله : اللهم فقهه فى الدين وحببه إلى الناس . وكان والده من جملة السبى الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من الفرس. والأحاديث التى رواها الحسن البصرى عن على أخرجها جماعة من الحفاظ كالترمذى والنسائى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم وهى ما بين الحسن والصحيح

(٣) فى أسد الغابة (جـ ١ ص ١٨٦) أن عبدان بن محمد ذكره فى الصحابة وقال بإسناده عن سلم بن قتيبة عن بشر بن صحار قال رأيت ملحفة النبى مورسة وأدركت مربط حماره وكنت أدخل بيوته فأنال سقفها ، أخرجه أبو موسى . ويرى ابن الأثير أنه من أتباع التابعين ذلك لأن « رؤيته للملحفة لاتصيره صحابياً إذ لو كان كل من رأى من آثار النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً كان صحابياً لكان أكثر الناس صحابة . وسلم بن قتيبة من المتأخرين لا يقضى له إدراك التابعين فكيف بالصحابة ؟

وسلم يقرعون بَابَه بالأظافير تأدبا وإجلالاً ، وقيل إن بابه لم يكن له حَلَق يُطْرَق بها . قال السهيلي : الأول أَوْلى .

الثاني : في غريب ما سبق : « الرَّضَمْ » – بفتح الراء والضاد المعجمة وتُسَكَّن– : حِجارة مجتمعة بعضها فوق بعض، الواحدة رَضْمَة . « بَنّى » . بفلانة دَخَل عليها ، وقال ابن السِّكِّيت زُفَّت إليه ، وأصله أن الرجل إذا تزوج بنى للعروس بيتاً وجهزه بما يحتاج إليه ، أو بُنِى له تكريماً ، ثم كَثُر.حتى كُفِيَ به عن الجِماع . « الحُجَر » : غُرَف البيوت . « المُسُوح » : جمع مِسْح وهو البَلَاس [(١)] . « مستطيرة » في القِبْلة أي مُنْتَشِرَة . « المِصْرَاع » من الباب : الشطر ، وهما مِصْرَاعان . « العَرْعَر » بفتح العينين وبالرَّاءَيْن المهملتين– قال في الصحاح : شجرُ السَّرْو [(٢)] . « السَّاج » بالسين المهملة والجيم : ضَرْبٌ من الخشب ، عظيمٌ من الشَّجَر ، يُجْلَب من الهند ، وجَمْعُها ساجات [(٣)] . قال الزمخشري : الساج خَشَبٌ أسود رزين يُجْلَب من الهند ولا تكاد الأرض تُبْلِيه ، والجمع سيجان مثل نار ونيران . « مطرورة » بالطين – بالطاء المهملة المُشَالَة – أي مُطَيَّنَة به . « دُومَة الجَنْدَل » دُومَة – بضم الدال المهملة ، والجَنْدَل بالجيم والنون والدال المهملة [حِصْن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طَيِّىء على سبع مراحل من دمشق] [(٤)] . « الأُفُق » بِضَمَّتَيْن : الناحية . « يَنْشأ » : يحدث وَيَتَجَدَّد . « أخْضَل » لِحْيَتَه ، بخاء فضاد معجمتين : بَلَّها . « مُرَاهِق » : مقارب الاحتلام . « أنال » أدرك وأبلغ. [(٥)] « المُغَشَّى » : المُغَطَّى المستور .

---

(١) المسح بكسر الميم وسكون السين المهملة فحاء مهملة وجمعه مسوح وهو البلاس بفتح الباء الموحدة كسحاب وهو ثوب من الشعر غليظ وجمعه بلس بضمتين وبائعة بلاس كشداد . قال الراجز لامرأته .

إن لا يكن شيخك ذا غراس   فهوعظيم الكيس والبلاس

قال أبوعبيدة : هو مما دخل في كلام العرب من كلام فارس . انظر المعرب للجواليقي (ص ٤٦ و ٥١) وتعليقات محققه المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، وكذلك التاج في مادتى م س ح ، و ب ل س .

(٢) في التاج العرعر كجعفر شجر السرو فارسية (ومع ذلك لم أعثر عليها في المعرب للجواليقي ولا في كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لإدى شير الكلدانى) وقيل هو الساسم أو الشيزى أو شجر عظيم جبلى لا يزال أخضر يسميه الفرس السرو وقال أبو حنيفة (الدينورى) : العرعر ثمر أمثال النبق . . يحلو فيؤكل ، واحدته عرعرة وبه سمى الرجل .

(٣) في التاج : الساج شجر يعظم جداً ويذهب طولا وعرضاً وله ورق يتغطى به الرجل والورقة منه تكنه من المطر وله رائحة طيبة مع رقة ونعومة . وفي المصباح : الساج ضرب عظيم من الشجر ، الواحد ساجة وجمعها ساجات .

(٤) زيادة من معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ١٠٦ : ١٠٩) وانظر أيضاً معجم البكرى (ج ٢ ص ٥٦٤ : ٥٦٥) . وفي فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٦٨ : ٧٠) قال الواقدى : كان النبي صلى الله عليه وسلم غزا دومة الجندل في سنة ٥ هـ فلم يلق كيداً ، ووجه خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى بدومة الجندل في شوال سنة ٩ هـ . وبعد إسلام خالد بعشرين شهراً . ثم غزاها خالد مرة أخرى في خلافة أبي بكر عندما ارتد أكيدر .

(٥) أنال يتعدى إلى مفعولين : أنال فلاناً الشيء أي أعطاه إياه ، وأدرك الشيء لحقه وبلغه وناله، أي أنه يتعدى لمفعول واحد، ولذلك فإنه لا يؤدى معنى أنال .

الباب الرابع

فى بَدْء الأَذان وبعض ما وَقَع فيه من الآيات

روى الشيخان والترمذى والنَّسَائى عن ابن عُمَر ، وابن إسحق ، وإسحق بن راهويه ، وأبو داود بسند صحيح صَحَّحَه النووى عن محمد بن عبد الله / بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه ، وأبو داود بسَنَدٍ صحيح عن ابن عُمَر عن أَنَس بن مالك عن عمومة له من الأَنصار رضى الله عنهم ، وإسحق بن راهويه عن الشَّعْبِى مُرْسَلا بسَنَد حَسَن ، وعبد الرَّزَّاق وأبو داود عن عُبَيْد بن عُمَيْر أحد كِبَار التابعين ، وابن أَبِى شَيْبَة ، وأبو داود ، وابن خُزَيْمَة ، وأبو الشيخ ، والدارقطنى ، والبيهقى ، والطحاوى عن عبد الرحمن ابن أَبِى لَيْلَى قال : « حَدَّثَنَا أصحابُنا – ولفظ ابن أَبى شيبة وابن خزيمة والطحاوى والبيهقى : حدثنا ، أَصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين قَدِم المدينةَ إنما كان يَجْمَع للصلاة حين مواقيتها بغير دَعْوَة ، فلما كَثُر الناس اهْتَمَّ النبى صلى الله عليه وسلم كيف يجمع الناس للصلاة ؟ فاستشار الناس ، فقيل له : انْصِبْ رَايَةً عند حضور الصلاة إذا رَأَوْهَا أَعْلَم بعضُهم بعضاً ، وَذُكِرَ له القُنْع[1] يعنى شَبُّور[2] اليهود ، وفى لفظ : البوق ، وفى لفظ : القرن الذى يَدْعُونَ به لصلاتهم ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر اليهود » ، فَذُكِرَ له الناقوس فقال : « هومن أمر النصارى » ، فقالوا : لو رفعنا ناراً ، فقال : « ذلك للمجوس » .

١٠٢١ت

---

(١) فى النهاية (جـ ٣ ص ٢٨١) فى حديث الأذان أنه اهتم للصلاة كيف يجمع لهـا الناس فذكر له القنع – بضم القاف وتسكين النون فعين مهملة – فلم يعجبه ذلك . فسر القنع فى الحديث ، أنه الشبور وهو البوق . وهذه اللفظة – وهى القنع اختلف فى ضبطها ، فرويت بالباء والتاء والثاء والنون ، وأشهرها وأكثرها النون . قال الخطابى : سألت عنها غير واحد من أهل اللغة فلم يثبتوه لى على شيء واحد . فإن كانت الرواية بالنون صحيحة فلا أراه سمى إلا لإقناع الصوت به وهو رفعه ، يقال أقنع الرجل صوته ورأسه إذا رفعه . ومن يريد أن ينفخ فى البوق يرفع رأسه وصوته . قال الزمخشرى أو لأن أطرافه أقنعت إلى داخله أى عطفت . وقال الخطابى : وأما القبع بالباء المفتوحة فلا أحسبه سمى به إلا لأنه يقبع فم صاحبه أى يستره أو من قبعت الجوالق والجراب إذا ثنيت أطرافه إلى داخل . قال الهروى : القبع بالباء هو البوق . وأنكره الأزهرى وقيل بالمثلثة ولم يسمع من غير أبى عمر الزاهد ويجوز أن يكون من قثع فى الأرض قثوعاً إذا ذهب فسمى به لذهاب الصوت به . قال الخطابى وقد روى القتع بالتاء وهو دود يكون فى الخشب ، الواحدة قتعة . قال ومدار هذا الحرف على هشيم وكان كثير اللحن والتحريف على جلالة محله فى الحديث .

(٢) الشبور هو البوق ويرى ابن الأثير فى النهاية (جـ ٢ ص ٢٠٢) أن اللفظة عبرانية .

وفى حديث عُمَر عند الشيخَيْن وغيرهما : فقال عُمَر : « أَوَلاَ تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة [1] ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابِلَال قُمْ فَنَادِ بِالصلاة » . فانصرف عبد الله بن زَيْد ، وهو مُهْتَمّ لِهَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُرِىَ الأذان فى منامه . قال : طاف بى وأنا نائم [2] رجل عليه ثَوْبَان أَخْضَران يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت له : يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلتُ : نَدْعُو به إلى الصلاة . قال : أَفَلَا أَدُلُّك على ما هو خَيْرٌ من ذلك ؟ قلتُ : بَلَى . فقال : تقول : « الله أكبر ، الله أكبر – وفى لفظ الشعبى : إيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فَمُرْهُ أن يقول : – الله أكبر ، الله أكبر – أشهد ألاَّ إله إلا الله ، أشهد ألاَّ إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله ، حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح ، حَيَّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » . – وفى رواية إسحق بن راهويه : فقام على جِذْم [3] حائط ، وفى رواية : فقام على المسجد فأَذَّن – قال : ثم استأخر عَنِّى غير بعيد ثم قال : تقول إذا أقيمت الصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله ، حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح / قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » . وفى رواية : « فأَذَّن ثم قَعَد قَعْدَة ، ثم قام فقال مِثْلَها إلا أنه يقول : قد قامت الصلاة ، فلما أصبحت أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه بما رأيت ، ولولا أن يقول الناس ، لَقُلْتُ إنى كنت يقظاناً غير نائم » .

١٠٢٢ت

وفى حديث ابن عُمَر رضى الله عنه عند ابن ماجة أن عبد الله بن زيد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً . وفى حديثه أيضا عند ابن سعد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يجعل شيئا يَجْمَع به الناس للصلاة فذُكِر عنده البوق وأَهْلُه فكرهه ، وذُكِر الناقوس ، وأهلُه فكرهه ، حتى أُرِىَ رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد الأذانَ ، وأُرِيَهُ عمر

---

(١) هذه رواية مسلم (جـ ٤ ص ٧٦ بشرح النووى) وفى البخارى (جـ ١ ص ٢٤٩) بزيادة لفظ «منكم» وهى رواية الكشميهنى .

(٢) فى ابن هشام (جـ ٢ ص ١٢٨) طاف بى هذه الليلة طائف .

(٣) جذم حائط أى بقية حائط أو قطعة من حائط ، قاله فى النهاية (جـ ١ ص ١٥٢) .

ابن الخطاب تلك الليلة[1] فأما[2] عُمَر رضى الله عنه فقال : إذا أصبحتُ [أخبرت][1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الأنصارى فطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فأخبره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى » . وفى رواية : « لقد أَراكَ اللهُ خيراً ، فَقُمْ مع بِلالَ فَأَلْقِ عليه ما رأيت » . وفى رواية « فَمُرْ بِلالاً فَلْيُؤَذِّن فإنه أَنْدَى منك صوتاً » فقُمْتُ مع بِلال فجعلتُ أُلْقِيه عليه ويُؤَذِّن به . فسَمِع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فخرج يَجُرّ رداءه [وهو[3]] يقول : « والذى بَعَثَكَ بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل الذى رأى» .

وفى حديث أبى عُمَيْر بن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رآه فَكَتَمه عشرين يوماً . وفى حديث عُبَيْد بن عُمَيْر : « فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خَشَبَتَيْن للناقوس إذ رأى فى المنام : « لا تجعلوا الناقوس بل أَذِّنوا » ، فذهب عُمَر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالذى رأى ، وقد جاء الوَحْى فما راع عُمَرَ إلا بِلال يُؤَذِّن . قال عبد الله بن زيد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعُمَر: « ما مَنَعَكَ أن تخبرنى ؟ » فقال : سبقنى عبد الله بن زيد فاسْتَحْيَيْتُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلِلَّه الحمد فذلك أَثْبَت » . قال الزهرى ، ونافع بن جُبَيْر ، وابن المُسَيَّب : وبقى ينادى فى الناس : « الصلاة جامعة » . للأمر يحدث فيحضرون له يُخْبَرون به[4] وإن كان فى غير وقت صلاة . وروى ابن ماجة عن شيخه أبى عبيد محمد بن عبيد ، بن ميمون المدنى[5] قال : أخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد قال فى ذلك شِعْراً

أَحْمَــــدُ اللهَ ذا الجَلَالِ والإ ... كْرَام حَمْداً على الأذان كَثِيرَا
إذ أتـــانى به البشير من اللـ ... ـــه فَأَكْرِمْ بــه لَدَىَّ بَشِيرَا
فى لبـــالٍ وَالَى بِهِنَّ ثلاثٌ ... كُلَّما جَــاء زادنى تَــوْقِيرا /

١٠٢٣ت

(١) ساقطة من ت والتكلة من طبقات ابن سعد (ج ٢ ص ١٢ و ١٣) التى نقل عنها المؤلف .
(٢) فى الأصل : فأمر والتصويب من ابن سعد .
(٣) زيادة من البداية والنهاية (ج ٣ ص ٢٣٢) .
(٤) زاد فى الأصل بعد « فيحضرون له يخبرون به » : الصلاة جامعة ، وهذا تكرار لما سبق .
(٥) روى عن الدراوردى وروى عنه البخارى وابن ماجة . قال ابن حبان فى الثقات: ربما أخطأ ، قاله فى خلاصة الخزرجى (ص ٢٨٩) .

قال الحافظ ابن كثير :[1] « وهذا الشِّعْر غريب ، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاثَ ليالٍ حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قلتُ : سَنَدُهُ منقطع وأبو بكر الحكمى مجهول . وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رجل من اليهود تاجراً إذا سمع المنادى ينادى بالأذان قال : « أحرق الله الكاذب » . فبينما هو كذلك إذ دخلت جارية بشعلة من نارفطارت شرارة منها فى البيت فأحرقته .

وروى ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ عن السُّدِّى قال : « كان رجل من النصارى إذا سمع المنادى ينادى : أشهد أن محمداً رسولُ الله قال : أحرق الله الكاذب : فدخلت خادمة ذات ليلة من الليالى بنارٍ وهو نائم وأهْلُه نيام فأحرقت البيت واحترق هو وأهله » .

وروى مسلم عن سهيل بن أبى صالح قال : أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا [أو صاحب لنا [2]] فناداه مُنَادٍ من حائط باسمه ، فأشرف [الذى معى][2] على الحائط ، فلم يَرَ شيئاً ، فذكرت ذلك لأبى ، فقال [لو شَعَرْتُ أنك تَلْقَى هذا لم أُرْسِلْكَ ولكن[3]] إذا سَمِعْتَ صوتاً فَنَادِ بالصلاة ، فإنى سَمِعْتُ أبا هريرة يُحَدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الشيطان إذا نُودِىَ بالصلاة وَلَّى وله حُصَاص »[4] .

وروى البيهقى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « إذا تَغَوَّلَتْ لأحدكم الغيلان فَلْيُؤَذِّن فإن ذلك لا يَضُرُّه » . وروى البيهقى عن الحَسَن أن عُمَر بَعَث رجلاً إلى سعد ابن أبى وَقَّاص ، فلما كان ببعض الطريق عَرَضَتْ له الغول ، فأخبر سَعْداً فقال : « إنا كُنَّا نُؤْمَر إذا تَغَوَّلَتْ لنا الغُول أن ننادى بالأذان » . فلما رَجَع إلى عُمَر عَرَض له أن يسير معه ، فنادى بالأذان ، فذهب عنه ، فإذا سكت عَرَض له ، فإذا أَذَّن ذهب عنه .

---

(١) هذا فى البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٣٢ .

(٢) زيادة من صحيح مسلم (جـ ٤ ص ٩٠ و ٩١ بشرح النووى) .

(٣) ساقطة من الأصل والتكلمة من صحيح مسلم الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) وروى النسائى أنه قال : عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان . وقال النووى : ولذلك ينبغى أن يؤذن أذان الصلاة إذا عرض للإنسان شيطان . والحصاص كما فى النهاية (جـ ١ ص ٢٣٤) شدة العدو وحدته ، وقيل هو أن يمصع بذنبه ويصر بأذنه ويعدو وقيل هو الضراط . وفى رواية أخرى للحديث أوردها النووى فى شرحه على صحيح مسلم (جـ٤ ص ٩١) : إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لايسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل حتى إذا ثوب للصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى .

تنبيهات : الأول : الأذان لُغَةً :الإعلام ، قال الله تعالى : (وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ)[١] واشتقاقه من الأَذَنِ بِفَتْحَتَيْنِ وهو الاستماع[٢] ، وشرعاً : الإعلام بوقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة .

الثانى : فى بعض أسرار الأذان وبدائعه ، قال القاضى : « الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملةٌ على نَوْعَيْه من العقليات والسمعيات ، فَأَوَّلُهُ إثبات الذات ، وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها ، وذلك بقوله : « الله أكبر » ، وهذه اللفظة مع اختصارها دَالَّةٌ على ما ذكرناه ، ثم صَرَّح بإثبات الوحدانية ونَفْى ضدها من الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عُمْدَةُ الإيمان والتوحيد المُقَدَّمَةِ على كل وظائف الدين ثم صَرَّح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية ، وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع ، وتلك المقدمات من باب الواجبات . وبعد هذه القواعد كَمُلَت[٣] العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى . ثم دعاهم إلى ما دعاهم الله إليه من العبادات ، فدعاهم إلى الصلاة ، وعَقَّبَها بعد إثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل . ثم دعا إلى الفَلَاح ، وهو الفَوْز والبقاء فى النعيم المُقِيم ، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء ، وهى آخر تراجم عقائد الإسلام . ثم كَرَّر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها ، وهو مُتَضَمِّن لتأكيد الإيمان ، وتكرار ذِكْره[٤] عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان ، وليدخُلَ المُصَلِّى فيها على بَيِّنَةٍ من أمره وبَصِيرة بإيمانه ، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعَظَمة حق من يعبده وجزيل

١٠٢٤ت

---

(١) من الآية الثالثة من سورة التوبة .

(٢) قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات (جـ ١ ص ٦ قسم اللغات) : الأذان الإعلام وأذان الصلاة معروف ويقال فيه الأذان والأذين والإيذان وقال الأزهرى الأذان اسم من قولك آذنت فلاناً بكذا أوذنه إيذاناً أى أعلمته إعلاماً ، إعلام الصلاة ، ويقال أذن المؤذن تأذيناً وأذاناً أى أعلم الناس بوقت الصلاة فوضع الاسم موضع المصدر ، قال : واصل هذا من الأذن كأنه يلقى فى آذان الناس بصوته ما إذا سمعوه علموا أنهم قد ندبوا إلى الصلاة . وقوله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبى » فقوله أذن بكسر الذال وقوله كأذنه بفتح الذال معناه ما استمع والله تعالى لا يشغله سمع عن سمع

(٣) فى الأصل « كانت » والتصويب من شرح النووى على مسلم (جـ ٤ ص ٨٩) وقد أورد النووى هذه الفقرة بطولها من كلام القاضى عياض فى الأذان .

(٤) فى الأصل : وتكرار ذلك وأثبتنا نقل النووى .

ثوابه » . انتهى كلام القاضى قال النووى : « وهو من النفائس الجليلة [وبالله التوفيق[1]]

قلتُ : قد أَلَّف الإمام الحافظ برهان الدين البقاعى[2] رحمه الله جزءاً لطيفاً فى أسرار الأَذان سَمَّاه . « الإيذان بفتح أسرار التَّشَهُّد والأَذان » . وأنا مُورِدٌ هنا ما ذكره فى الأذان لِيُسْتَفَاد فإنه نفيس جدا .

قال رحمه الله بعدأن أورد أحاديث بعض الأذان والتشهد : « مقصودُه ـ أى الأذان ـ الإعلام بـأوقات الصلاة تنبيهاً على أن الدين قد ظَهَر ، وانتشر عَلَمُ لوائه فى الخافقين واشتهر ، وسار فى الآفاق على الرءوس فَبَهَر ، وأَذَلَّ الجبابرة وقَهَر [و] . أَعْلَمَ أنه لما كان الدين المحمدى دين الإسلام الذى لا يَقْبَلُ الله من أَحَد ديناً غَيْرَه ، قد عَلَا على كل دين ، فَظَهَرَ كُلُّ مُخَالِف ، وخفقت راياته بعد أن كانت خَفِيَّة ، وانتشرت أعلام أَلْوِيَتِهِ بعد أن كانت مَلْوِيَّة ، وبِعُتَاةِ أهل الأَباطيل مَطْوِيَّة . وقد كان الشِّرْكُ منذ أزمان فى غاية الظهور ، والباطل هو المعمول به والمشهور ، فَنَاسَبَ أن يُصَرَّح بأَذَانِهِ ، ويُشْدَى به على غاية إعلانه ، ولما كانوا يشركون به سبحانه ، ويَتَعَبَّدُون بسواه ، كان نَسَب الأُمور البَدَائِه بالتنبيه على تَفَرُّدِهِ / بالكِبْرِيَاء ، وتَوَحُّدِه بالعَلَاء ، فقال بادئاً بالاسم الأعظم ، الدَّالّ على الذَّات ، المُسْتَجْمع لجميع الكمالات : « الله » أى المَلِك الذى لا كُفْء له ولا سَمِىّ ، ولا ضِدّ ولا نظير ، وأتى بالخَبَر نَكرةً لِيَدُلّ على إسناده إليه على الإطلاق ، وأنه لا خَفَاء فى انفراده بذلك ، فقال : « أكبر » ، ولم يَذْكُرْ مُتَعَلَّقاً ، ذَهَاباً بالتعميم إلى أعلى الغايات وأنْهَى النهايات ولما كان قد طال ما قَرَّر الشِّرْكُ فى الأذهان ، وَصَالَ به أَهْلُ الطُّغْيَان ، اقتضى الحالُ تَأْكِيدَ ذلك ، ولأجل هذا ثَنَّى التكبيرَ فى الإقامة مع أنها فَرَادَى .

١٠٢٥ت

---

(١) زيادة مما يقله النووى عن عياض .

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعى الشافعى المحدث المفسر المؤرخ ولد سنة ٨٠٩ هـ وتوفى سنة ٨٨٥ هـ أخذ عن أساطين عصره كابن الجزرى وابن ناصر الدين وابن حجر وبرع وتميز وانتقد حتى على شيوخه وصنف تصانيف عديدة منها : المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران ، وتنبيه الغبى بتفكير عمر بن الفارض وابن عربى وتناولته الألسن بسبب هذا التأليف وكثر الرد عليه فمن رد عليه السيوطى بكتابه : تنبيه الغبى بتبرئة ابن عربى ، انظر شذرات الذهب (جـ ٧ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ١ ص ١٠١ : ١١١) ترجمة وصمه فيها بكل قبيح وقد جمعت أهاجى الشعراء فيه فى مجلد ومنها :

لك الحمد الجزيل بلا امتنان ... وفضل بالعطاء بلا نزاع
فطهر قلبنا من كل غل ... وجنبنا الخبيث من البقاع

هذا وقد سبق السخاوى الطعن فى معاصريه .

« ولما كان المراد [من] جميع كلمات الأذان مُجَرَّدَ الإعلام بالوقت وبهذه المقاصد المُرَاد بها نَسْخُ ما عداه ، قال مُؤَكِّداً من غير عَطْف لشىء من الجُمَل : « الله أكبر » . ولما كان الحال من جميع الأكوان شديد الاقتضاء ، لم يُذْكَر التأكيد لتطاول أزمان الشِّرْك قال مُلَذِّذاً لأسماع الموجودات ، ومُرْوِياً لعِطَاش أكباد الكائنات : « الله أكبر » . ولما تَمَّ تقرير ذلك فى الأذهان ، وعُلِم عِلْماً تاماً أن التوحيد قد عَلَا ، وقهَر جميعَ الأديان ، ارتقب كُلُّ سامعٍ ما يُقَال بعده ، فقال مبتدئاً دَوْراً جديداً من هذا الإعلام[1] لمزيد التقرير عند جميع الأنام : « الله أكبر » .

« فلما عُلِم أن ذلك إلى غير نهاية ، ولاحَدَّ تَقِفُ عنده كُلُّ غاية ، قال مُتَرْجِماً لما أَنْتَجَه ، مُلَقِّناً لكل سامعٍ ما وَجَبَ عليه من الجواب ، مُسِرًّا[2] بذلك بَعْضَ الأسرار ، إعلاماً بما كان من حال هذا الدِّين فى أول الأمر ، بُرْهاناً على حُسْن هذا التأكيد : « أَشْهَدُ » أى أَعْلَمُ عِلْماً قَطْعِيًّا أنى فى مُرِيد بَصَرى كالناظر إلى مَحْسُوس هو فى غاية الجَلَاء : « أَلاَّ إله إلاَّ الله » . ولما كان المَقَام كما مَضَى شَدِيدَ الاقتضاء للتأكيد قال ثانياً : « أَشْهَدُ أَلاَّ إله إلا الله » .

« فلما أَخَذ المَقَامُ حَظَّهُ من التأكيد ، ولم يَحْتَجْ إلى مَزِيد ، فتَلَقَّى ذلك بالقَبُول العَبِيد ، فَثَبَتَتْ رسالةُ الذى أَتَى بهذا الدِّين ، وجاهد به الجاحدين ، حتى قَهَرَهُم وَحْدَه صاغِرِين أجمعين ، قال على طريق النتائج المُسَلَّمَة : « أشهد أن مُحَمَّداً » - ذاكراً أَشْهَرَ أسمائه وأطيبها وأظهرها - « رسولُ الله » ، مُخَصِّصاً وَصْفَ الرِّسَالةِ الذى هو بين الحَقِّ والخَلْق ، لأن المَقَامَ داعٍ إليه ، ومَقْصُورٌ عليه ، ثم أَتْبَعَ ذلك ما اقتضاه الحال من تأكيده فى تَعْظِيمه وتَمْجِيده فقال : « أَشْهَدُ أن محمداً رسولُ الله » . فلما أَخَذَ المَقَامُ حَظَّه من التأكيد للإعلام ، بما كان فيه للإسلام من الشدائد والآلام ، أَتْبَعَه ما اقتضاه الحال ، من رَفْع الصَّوْت بهذا المقال مُشِيراً / مع ذلك إلى أن باطِنَ الدِّين وظَاهِرَهُ سواء ، ليس فيه حقيقة تُخَالِفُ شريعة ، وخاصة أن[3] المُتَشَرِّعَ به يجب عليه أن يكون مِثْلَ

١٠٢٦ت

(١) فى الأصل : هذه الأعلام .

(٢) أسر إليه حديثاً أى صله وأعلمه وهو المقصود وليس أسره بمعنى كتمه .

(٣) فى الأصل : وخاصاً على .

الشَّرْعِ ، ظَاهِرُه وبَاطِنُه سواء ، لا نِفَاق فيه بوَجْهٍ أَصْلا ، فقال : « أَشهد ألا إله إلا الله » .

« فلما استقرَّ فى الأَذهان سِرُّ هذا الإِعلان ، أَتْبَعَهُ ما اقتضى الحال من الشهادة للآتى بهذا الدِّين من صِدْق المَقَال ، فى دَعْوَى الإِرسال ، فقال : « أَشهد أن محمداً رسولُ الله » ، ثم أَكَدَّه كما مضى فقال : « أَشهد أن محمداً رسولُ الله » . ولما ثَبَتَ ذلك ، وَانْجَلَتْ دَيَاجِير تلك الأمور الحَوَالِك ، فَتَيَسَّرَ السُّلُوكُ لكل سالك ، فى أَشرف المسالك قال ذا كِراً لما آثرته الرسالة من الخلاص من أَشْرَاك الضلالة ، والرَّدّ على طُرُقها المَيَّالة ، وأَودِيتها المُغْتَالَة : « حَيَّ على » - أَى هَلُمُّوا أَقْبِلُوا جِهَاراً غَيْرَ خائفين من أَحَد - إلى « الصلاة » ، بادئاً بما هو نِهَايَةُ الدِّين ، الجَامِع لِشَمْلِه ، المُمَيِّزُ لِأَهْلِه .

« ولما كان الناظر لذلك الحال ، يستدعى عَجَباً من الوصول إلى هذا المـآل ، قال مُؤَكِّداً : « حَيَّ على الصلاة » . فلما تَقَرَّر ذلك كان كأَنه قيل : هل من عَمَل غيرها ؟ فقال : « حَيَّ على الفَلَاح » ، فكان ذلك ، مع أَنه دعاءٌ إلى كل عمل يوجب الفوز والظَّفَر بكل مُرَاد مُؤَكِّداً للدُّعَاء إلى الصلاة على أَبلغ وَجْه .

« ولا شَكَّ أَنه أَحْسَن مما ورد فى بعض الآثار الموقوفة فى المُوَطَّأ ، رواية محمد بن الحَسَن ، وجاء مع عبد الرَّزَّاق عن ابن عُمَر رضى الله عنهما ، وصَرَّح الحُفَّاظ بأَنه لم يَثْبُتْ عن النبى صلى الله عليه وسلم [قَوْلُه : « حَيَّ على خَيْرِ العَمَل » ، لأَنه مع كونه لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم[1]] فقد صار شعار الرَّوَافِض لا يشمل جميع الأَعمال الصالحة ، وكان الوارد فى الصحيح أبلغ من وجهين : من جهة أنه شاملٌ لكل [خير] ، ومن جهة التعبير عن ذلك باللازم الذى هو الغاية المترتبة على العمل تحبيباً فيه ، وتشويقاً إليه ، مع أنه كان يقوله بعد : « حَيَّ على الفلاح » .

« ولما كان تطاول الصَّوْلَة بالإِذلال والقَهْر ، مُوجِبًا لاستبعاد الإقبال على كل عمل من أَعمال الشَّرْع على سبيل القَهْر ، أَكَّدَ هذا الكلام الدَّاعى إلى كل خير لهذا وللإشارة

(١) زيادة من م ومقصود البقاعى أن إضافة الشيعة لعبارة « حى على خير العمل » فى أذان الصلاة معناها أن ما سبقها لا يشمل جميع الأعمال الصالحة . وتاريخ الأذان فى مصر وما استحدثه الشيعة فيه فصله المقريزى فى خططه (ج ٤ ص ٤٤ : ٤٩) من طبعة المليجى بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

إلى أنه لِحُسْنِه جَدِيرٌ « بالتأكيد ، وأَهْلٌ لأَن يُعْرَف بمقدار لجلالة آثاره ، فقال : « حَيَّ على الفلاح » ، وفيه إشارة إلى أن الأمر خطير ، والطريق صَعْب ، فلابُدَّ من التَّأَهُّب له بأعظم الزَّاد ، لتحصل الراحة فى المآل والمَعَاد »

« ولما كان المَدْعُو قد يكون نائماً ، وكان النوم قد يكون خيراً ، إما بأن يكون القَصْدُ به رَاحةَ البَدَن للتَّقَوِّى على الطاعة ، أو/ أن يكون للتَّخَلِّى عن المعصية ، وكان أكثر ما يكون ذلك فى آخر الليل ، كان التثويب[1] خاصًّا بأذان الصبح ، فقال فيه : « الصلاة » — التى هى أعظم الفلاح ، ومن أعظم مقاصد هذا الأذان الإعلامُ بوقتها والدُّعَاءُ إليها — « خَيْرٌ من النوم » . ولما كان مَنْ يَغْلِبُهُ النوم مُحْتاجاً إلى الإزعاج ، أكَّد ذلك بالتكرير ، فقال : « الصلاة خير من النوم » . ولما كان للصبح أذانَان كان التثويب ربما كان فى الأول ، فكان دُعَاءً إلى قيام الليل الذى شُرِّع له ذلك الأذان ، كما بَيَّن سِرَّه فى بعض الروايات فى قوله : « لِيَرْجِعَ قائِمُكُمْ وَيُنَبِّهَ نائِمُكُم » . وربما كان فى الثانى ، فكان دُعَاءً إلى فَرْض الصبح ، وهو بالأول أنسب ، لأن الفَرْضَ له حَاثٌّ يَحُثُّ عليه ، وداعٍ مُلِحٌّ يدعو إليه ، وهو الوجوب الذى مَنْ أَخَلَّ به عُوقِب ، ومَنْ جاوز حَدَّهُ لِيمَ وعُذِّب .

« ولما تَمَّ الدِّينُ بجُمْلَته ، وكَمُل أصلاً وفرعاً ، قولاً ونيةً وعَمَلا ، بِرُمَّتِه ، عَلَّل الدُّعاءَ إليه مُرَغِّباً مُرَهِّباً ، بقوله ، مُذَكِّراً بما بَدَأَ الأَمْرَ به ، لاستحضار عظمته التى أظهر بها الدِّين ، وأَذَلَّ بها المعتدين ، بعد أن كانوا على ثقة من أنه لاغالب لهم ، « الله أكبر » ، ثم أكَّد بمسيس الحاجة إلى ذلك فى الترغيب والترهيب ، فقال : « الله أكبر » . فلما تَمَّ الأمر ، وَجَلَا التشويق والزَّجْر ، لم تَدْعُ حَاجَةٌ إلى تربيع التكبير هنا كما كان فى الأول ،

---

(١) جاء فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٧) : « إذا ثوب بالصلاة فائتوها وعليكم السكينة » . والتثويب ههنا إقامة الصلاة والأصل فى التثويب أن يجيء الرجل مستصرخاً ، فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر ، فسمى الدعاء تثويباً لذلك . وكل داع مثوب وقيل إنما سمى تثويباً من ثاب يثوب إذا رجع ، فهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة وأن المؤذن إذا قال حى على الصلاة فقد دعاهم إليها ، وإذا قال بعدها الصلاة خير من النوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها . ومنه حديث بلال : قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أثوب فى شىء من الصلاة إلا فى صلاة الفجر وهو قوله : « الصلاة خير من النوم » ، مرتين . وأورد الزبيدى فى التاج كلام ابن الأثير وأضاف : والتثويب الصلاة بعد الفريضة . ويقال تثوب إذا تطوع أى تنفل بعد المكتوبة ولا يكون التثويب إلا بعدها وهو العود للصلاة بعد الصلاة .

فختَم بما بدأ به من التوحيد إعلاماً بأنه لا يُقْبَل شيء من الدِّين إلا به مُقَارِنا له من ابتدائه إلى انتهائه ، فقال : « لا إله إلا الله ».

« ولما كان [قد] وصل إلى حَدٍ لا مَزِيد عليه ، لم يَحْتَجْ إلى تأكيد ، حتى ولا بلفظ الشهادة إعلاماً بأنه ليس وراء هذا إلا السيف لو تَوَقَّف عنه ، أو ما عَانَدَ فيه . ولما كان من أجَلّ ما يُرادَ بالأذان - كما مضى - الإعلام بظهور الإسلام على جميع الأديان ، وأنه قد أوْرَق عُودُه ، وزكا وجودُه ، وثَبَتَ عَمُودُه ، وعَزَّ أنصارُه وجنودُه ، جاء على سبيل التعديد ، والتقرير والتأكيد ، من غير عاطفٍ ولا لافِتٍ عن هذا المُرَاد ولا صارِف تنبيهاً على أن كُلَّ جُمْلَةٍ منه رُكْنٌ برأسه ، مُسْتَقِلٌ بذلك بنفسه ، مُعْرِبٌ عما هو المُرَاد من الإظهار بالتّعْدَاد .

« هذا ما شرحه الله تعالى لعباده من الأَذَان فى حال النوم واليقظة ، فى الليل والنهار ، على وفاء لامزيد عليه ، كما صَرَّح به فى قوله -صلى الله عليه وسلم- : « اللهم رَبَّ هذه الدعوة التامَّة ، فمن زاد حَرْفاً فما فوقه فقد أساء / وتَعَدَّى وظَلَم » . ومن الواضح البَيِّن أن المعنى فى إجابة السامع لألفاظه بها الإيذان باعتقاده ، والإذعان لمُرَادِه ، وأنه تخصيص الجواب فى الدعاء إلى الصلاة والفَلَاح ، بالحوقلة ، والمراد بها سؤال المعونة على تلك الأفعال الكرام بالتَّبَرُّؤ[1] من القدرة على شيء بغير تقدير الله ، رَدًّا للأمر إلى أهلِه ، وأخْذًا له من مَعْدِنِه وأَصْلِه ، والإقامة فرادى ، لأنه لما ثَبَت بالأذان أَمْرُ الوحدانية والرسالة ، وعَلِم المَدْعُوُّ ما نُسِب إليه ، صار الأَمْرُ غَنِيًّا عن التأكيد ، فلم يَحْتَجْ إلى غير الإعلام بالقيام إلى ماقد دُعِىَ إليه ، وأُعْلِم بوقته ، وأُكِّد التكبير بما ذُكِر فى الأذان نَوْعَ تأكيد لما تَقَدَّم من مزيد الاهتمام والإقامة لإسراع مَنْ عنده بَعْضُ غَفْلَةٍ أو تَوَانٍ » . انتهى .

1028ت

الثالث : اختُلِف فى السنة التى فيها شُرِع [الأذان] . قال الحافظ : « والرَّاجح أنه فى السنة الأولى ، وقيل بل فى الثانية » .

الرابع : قول ابن عُمَر : فقال عُمَر : « أَوَ لاتبعثون رجلاً منكم يُنَادِى بالصلاة) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابِلال قُمْ فنادِ بالصلاة » . قال

---

(1) فى الأصل : تبرأ .

النووي[1] : هذا الدعاء دُعاء إلى الصلاة غير الأَذان وكان قد شُرِّع قبل الأَذان. قال الحافظ : والظاهر أَن إشارة عُمَر بإرسال رجل ينادى بالصلاة كان عَقِب المشاورة فيما يفعلونه ، وأَن رؤيا عبدالله ابن زيد كانت بعد ذلك .. وكان اللفظ الذى يُنَادِى به بلال [هو] « الصلاة جامعة » ، كما رواه ابن سعد ، وسعيد بن منصور عن سعيد بن المُسَيَّب مُرْسلاً . وقد وقع للقاضى أَبي بكر العربى هنا كلامٌ غير مُحَرَّر طَعَنَ فيه فى صحة حديث ابن عُمَر الثابت فى الصحيح » وقد بسط الحافظ الكلام على رَدِّه .

الخامس : روى الطبرانى أَن أَبا بكر الصدِّيق رضى الله عنه رأَى الأَذان ، وسَنَدُه واهٍ ، ووقع[2] فى الوسيط للغزالى أَنه رآه بضعة عشر رجلاً . وعبارة الجيلى فى شرح التنبيه : أَربعة عشر رجُلا وأَنكره ابن الصلاح[3] [فقال لم أَجد هذا بعد إمعان البحث[4]] ثم النووى [فى تنقيحه فقال : هذا ليس بثابت ولا معروف وإنما الثابت خروج عُمَر يَجُرُّ رداءه][4] ، ونقل مغلطاى [5] عن بعض كتب الفقهاء أَنه رآه سبعة عشر رجلاً من الأَنصار . قال الحافظ : « الحق أَنه لايثبت شىء من ذلك إلا لعبد الله بن زيد ، وقصة عُمَر جاءت فى بعض الطرق » .

وروى الحافظ ابن أَبى أُسامة عن كثير بن مُرَّة [6] أَن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) قال النووى فى شرحه لهذا الحديث الذى أخرجه مسلم (جـ ٤ ص ٧٦) : قال القاضى عياض : ظاهره إنه إعلام ليس على صفة الأذان الشرعى بل إخبار بحضور وقتها ، وهذا الذى قاله محتمل أو متعين فقد صح فى حديث عبد الله بن زيد فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما أنه رأى الأذان فى المنام فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عمر فقال : يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فهذا ظاهره أنه كان فى مجلس آخر .

(٢) هذا ما نقله المؤلف عن المواهب للقسطلانى .

(٣) هو الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، تقى الدين بن الصلاح (٥٧٧ هـ - ٦٤٣ هـ) من أئمة التفسير والفقه والحديث وأسماء الرجال له كتاب الفتاوى وعلوم الحديث وأدب المفتى والمستفتى وغيرها وكان شيخاً لابن خلكان الذى ترجم له فى وفياته (جـ ١ ص ٣١٢ : ٣١٣) كما ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٢٢١ : ٢٢٢) .

(٤) زيادة من شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٧٧) .

(٥) هو مغلطاى بن قليج بن عبد الله علاء الدين البكجرى (٦٨٩ هـ - ٧٦٢ هـ) تولى مشيخة الحديث بالقاهرة بالبيبرسية والضرغتمشية والناصرية . له الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم وشرح البخارى وإكمال تهذيب الكمال والمؤتلف والمختلف وشرح قطعة من سنن ابن ماجه . ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (ص ٧٧ بغداد سنة ١٩٦٢ م) والسيوطى فى حسن المحاضرة (جـ ١ ص ١٦٨) وابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٦ ص ١٩٧) .

(٦) هو كثير بن مرة الحضرمى الحمصى أبو القاسم الرهاوى ، تابعى ، أدرك سبعين بدرياً ، روى عن معاذ وأبى الدرداء وعبادة ابن الصامت وطبقتهم ، وروى عنه خالد بن معدان ومكحول وسليم بن عامر وعبد الرحمن بن جبير ويزيد بن أبى حبيب وثقه العجلى وقال النسائى : لا بأس به . قال أبو مسهر مات فى خلافة عبد الملك ، انظر تذكرة الحافظ (جـ ١ ص ٤٩) وخلاصة الخزرجى ص ٢٧٣ .

قال أوَّلُ : من أَذَّن بالصلاة جبريل في السماء فسمعه عُمَر وبلال ، فسَبَق عُمَر بلالاً ، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ثم جاء بلال ، فقال : « سَبَقَك بها عُمَر » . وسَنَدُه/ واهٍ جداً ، في سنده سعيد بن سِنان [1] ، قال الذهبي في المغنى : « متروك مُتَّهم » . ١٠٢٩ت

السادس : وردت أحاديث تَدُلّ على أن الأَذان شُرِع بمكة قبل الهجرة ، منها للطبراني عن عبد الله بن عُمَر رضى الله عنهما ، قال : « لما أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إليه : بالأَذان ، فنزل به ، فعَلَّمه بلالاً ، وفى سَنَدِه ، طَلْحَة بن زيد الرَّقِّى [2] هالك . قال الحافظ أبو الفرج بن رجب : [3] هذا حديث موضوع بهذا الإسناد بغير شك ، قلت : وبغيره أيضاً . ولابن شاهين [4] عن على [بن أبي طالب] : « عَلِمَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأَذان ليلةَ أُسْرِى به وفُرِضَتْ عليه الصلاة » [5] ، وفى سَنَدِه حصين بن مُخَارِق [6] ، وهو وَضاع . وللدار قطنى فى الأَفراد ، وعن أنس رضى الله عنه « أن جِبْريل أَمَرَ النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأَذان حين فُرِضت الصلاة » ، وسَنَده ضعيف .

ولابن مَرْدَوِيه من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : « لما أُسْرِىَ بى أَذَّن جبريل ،

---

(١) هو أبو سنان سعيد بن سنان الشيبانى الكوفى نزيل الرى روى عن طاوس والضحاك وروى عنه الثورى وابن المبارك وأبو نعيم وسمع منه أبو داود الطيالسى فرد حديثه . قال أحمد : ليس بالقوى ، وثقه الدارقطنى ويحيى بن معين وأبو حاتم وقال النسائى ليس به بأس ، توفى قبل سنة ١٦٠ هـ . انظر ميزان الاعتدال (جـ ٢ ص ١٤٣ رقم ٣٢٠٧) وخلاصة الخزرجى (ص ١١٨) .

(٢) فى الأصل طلحة بن يزيد والتصويب من الذهبى والخزرجى ، وهو طلحة بن زيد الرقى وقيل الكوفى وقيل الشامى نزيل واسط ، روى عن ثور بن يزيد الكلاعى وهشام بن عروة وإبراهيم بن أبى عبلة والأوزاعى وروى عنه شيبان بن فروخ وجماعة . قال البخارى منكر الحديث وقال النسائى متروك وقال ابن حبان منكر الحديث جداً لا يحل الاحتجاج بخبره وقال أحمد وعلى بن المدينى يضع . انظر ميزان الاعتدال (جـ ٢ ص ٣٣٨ : ٣٣٩ رقم ٤٠٠٠) وخلاصة الخزرجى (ص ١٥٢) .

(٣) هو الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب البغدادى الدمشقى الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ له مصنفات عديدة منها شرح الترمذى والأربعين النووية والبخارى حتى كتاب الجنائز ، وكتاب اللطائف فى الوعظ والقواعد الفقهية وطبقات الحنابلة الذى جعله ذيلا على طبقات أبى يعلى الفراء . ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة (جـ ٢ ص ٣٢١) وابن فهد فى لحظ الألحاظ (ص ١٨٠ : ١٨٥) والسيوطى فى ذيل طبقات الحفاظ (ص ٣٦٧ : ٣٦٨) وابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٦ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) .

(٤) هو عمر بن أحمد بن عثمان أبو حفص الواعظ المعروف بابن شاهين (٢٩٧ هـ - ٣٨٥ هـ) له مصنفات فى التفسير والتاريخ والزهد . ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (جـ ١١ ص ٢٦٥ : ٢٦٧ رقم ٦٠٢٨) .

(٥) أخرجه البزار فى مسنده عن محمد بن عثمان بن مخلد عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب . كما فى المواهب وشرحها (جـ ١ ص ٣٧٧ : ٣٧٨) .

(٦) هو حصين بن مخارق بن ورقاء أبو جنادة ، روى عن الأعمش قال الدارقطنى : يضع الحديث ، ونقل ابن الجوزى أن ابن حبان قال : لا يجوز الاحتجاج به ، قاله الذهبى فى ميزان الاعتدال (جـ ١ ص ٥٥٤ رقم ٢٠٩٧) .

فَظَنَّتِ الملائكة أنه يُصَلِّى بهم ، فقَدَّمنى فصَلَّيْت » ، وفى سنده من لا يُعْرَف . وقال الذهبى فى مختصر الإمام ، أصل الإلمام [1] لابن دقيق العيد : « هذا حديث منكر بل موضوع » .

وللبَزَّار وغيره من حديث قال : « لما أراد الله عز وجل أن يُعَلِّم رسولَه الأَذَان أتاه جبريل بدابَّة يقال لها البُرَاق فركبها [حتى أتى الحجاب الذى يلى الرحمن ، فبينما هو كذلك إذ خرج مَلَكٌ من الحجاب ، فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : والذى بَعَثَك بالحق إنى لأَقرب الخلق مكاناً وأن هذا المَلَك ما رأيته منذ خُلِقت قبل ساعتى هذه فقال المَلَك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا أكبر ، أنا أكبر [2]] » فذكر بقية الأَذَان ، وفى آخره : « ثم أخذ المَلَك بيده فَأَمَّ أهل السماء ..» وفى إسناده زياد ابن المنذر [3] وهو متروك أيضاً . وقال ابن معين : عدو الله كذَّاب . وقال الذهبى : « هذا

---

(١) هكذا فى الأصل ، وعنوان كتاب ابن دقيق العيد هو : الالمام الجامع لأحاديث الأحكام ، وهو الذى قال فيه الإدفوى فى الطالع السعيد : لو كملت نسخته فى الوجود ، لأغنت عن كل مصنف فى ذلك موجود ، وقال صاحب الشذرات : له كتاب الإلمام فى الحديث وشرحه وسماه الإمام . وابن دقيق العيد هو تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب القشيرى المنفلوطى المصرى (٦٢٥هـ – ٧٠٢هـ) تفقه على والده بقوص وكان مالكى المذهب ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعى فحقق المذهبين وأفتى فيهما وسمع الحديث وولى القضاء بمصر ، ودرس الحديث فى الكاملية ، ومن مصنفاته عدا كتاب الإلمام : الاقتراح فى أصول الدين ، وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح عمدة الأحكام وغيرها ، وقال ابن عبد السلام : تفخر ديار مصر برجلين فى طرفيها : ابن منير بالإسكندرية وابن دقيق العيد بقوص . وقال الذهبى فى معجمه : " هو قاضى القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها الإمام العلامة الحافظ القدوة الورع شيخ العصر كان علامة فى المذهبين المالكى والشافعى عارفاً بالحديث وفنونه سارت بمصنفاته الركبان . وقال التاج السبكى : لم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة .

هذا وقد أورد له السبكى فى طبقات الشافعية (ج ٦ ص ٢ : ٢٢) ترجمة مطولة وكذلك الإدفوى فى الطالع السعيد (ص ٣١٧ : ٣٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م) وأورد كل منهما خطبة كتاب الإلمام بطولها كما أورد له أشعاراً من نظمه ومع ذلك فإنهما لم يزودانا بثبت كامل لمصنفاته . ولابن دقيق العيد تراجم مختصرة فى فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٨٤ : ٤٩٢ القاهرة سنة ١٩٥١ م) والبداية والنهاية (ج ١٤ ص ٢٧) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٥ : ٦) وفى النجوم الزاهرة (ج ٨ ص٢٠٦ : ٢٠٧) قال ابن تغرى بردى فى ترجمته المختصرة له إنه استوفاها فى كتابه المنهل الصافى وهى فى الجزء المخطوط الذى لم ينشر بعد .

(٢) تكملة جزء من الحديث نقلا عن المواهب اللدنية .

(٣) هو أبو الجارود زياد بن المنذر الهمدانى الكوفى الأعمى سرحوب الخراسانى العبدى توفى سنة بعد ١٥٠ هـ . قال ابن معين كذاب ، وقال النسائى وغيره متروك . وقال ابن حبان : كان رافضياً يضع الحديث فى الفضائل والمثالب ، وإليه ينسب الجارودية ، انظر ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٩٣ : ٩٤ رقم ٢٩٦٥) وأشار إليه ابن النديم فى الفهرست فى كلامه عن الزيدية (ص ٢٥٣) وكتبت عنه كتب الفرق مثل النوبختى فى فرق الشيعة (ص ٢١ طبعة النجف سنة ١٩٣٦ م) والأشعرى فى مقالات الإسلاميين) . ج ١ ص ٧٣ طبعة استنبول سنة ١٩٢٨ م والفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٢ و٢٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨ م (والشهرستانى فى الملل والنحل ق ١ ص ٣٢٣ تحقيق بدران القاهرة سنة ١٩٥١ م) وأشار إليه المقريزى فى الخطط (ج ٤ ص ١٧٥) .

من وَضْعِه » . وقال ابن كثير : « هذا الحديث الذى زعم السهيلى أنه صحيح هو منكر ، تَفَرَّد به زياد بن المنذر الذى تُنْسَب إليه الفِرقة الجارودية من الرافضة وهو من المتهمين ، ولو كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَمِعَه ليلة الإسراء لأمر به بعد الهجرة » . ولابن شاهين من طريق زياد المذكور ، قال : « قلت لابن الحنفية : كنا نتحدث أن الأَذان كان رؤيا ، فقال : هذا والله الباطل ، لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عُرِجَ به بُعِثَ إليه مَلَك عَلَّمه الأَذَان » . قال [الحافظ ابن حجر[1]] : « هذا باطل ويمكن على تقدير صحته أن يُحْمَل على تعدّد الإسراء ، فيكون ذلك وقع بالمدينة ، وأما قول القرطبي لا يلزم / من كونه سمِعه ليلةَ الإسراء أن يكون مشروعاً فى حقه ، ففيه نَظَر لقوله فى أوله : « لما أراد الله أن يُعَلِّم رسوله الأذان » ، وكذا قول المحب الطبرى ، يُحْمَل الأَذَان ليلة الإسراء على المعنى اللغوى وهو الإعلام ، [وهذا] فيه نَظَر أيضاً لتصريحه بكيفيته المشروعة فيه » .

١٠٣٠ت

ولابن شاهين من طريق زياد أيضاً عن الباقر عن أبيه عن أبى رافع عن على رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ياعلىّ إن الله عَلَّمنى الصلاة والأَذان ، أتانى جبرَيل بالبُرَاق ؛ » . وزياد [رَاوِيه] كَذَّاب . ولأبى الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نزل الأذان على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فَرْض الصلاة » ، وفى سنده عبد العزيز بن مروان[2] ، وهو تالف . قال الحافظ : « والحق أنه لا يَصِحّ شىء من هذه الأَحاديث ، وقد جزم ابن المنذر « أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُصَلِّى بغير أذان ، منذ فُرِضَت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة وإلى أن وقع التشاور فى ذلك على ما جاء فى حديث عبد الله بن عُمَر ثم فى حديث عبد الله بن زيد » ـ انتهى كلام ابن المنذر . وقد حاول السهيلى الجمع بينهما فتكلف وتَعَسَّف والأَخذ بما صَحّ أَوْلَى ، فقال بانياً على صحته الحكم فى مجىء الأَذان على لسان الصحابى فى المنام فَقَصَّه فوافق ما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَمِعه فقال : « إنها لرؤيا حَقّ » ، وعُلِم حينئذ أن مراد الله بما أُرِيَه فى السماء أن يكون

---

(١) زيادة من شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٧٨) .

(٢) عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى أبو الأصبغ الأمير ، والد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، روى عن أبى هريرة وروى عنه ابنه وعلى بن رباح وثقه ابن سعد والنسائى توفى سنة ٨٦ هـ . انظر ميزان الاعتدال (جـ ٢ ص ٦٣٥ رقم ٥١٢٨) وخلاصة الخزرجى (ص ٢٠٤) .

سُنَّة في[1] الأَرض ، وقَوَّى ذلك عنده موافقته [رؤيا] عُمَر [للأَنصارى] لأَن السكينة تنطق على لسان عمر » . . انتهى .

ويؤخذ منه عدم الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى أضيف إليه عُمَر للتقوية التى ذكرها . ولكن قد يقال : فلِمَ اقتصر على عُمَر ؟ فيمكن أن يجاب ليصير فى معنى الشهادة . وقد جاء فى رواية ضعيفة سَبَقت ما ظاهره أن بلالاً أيضاً رأَى ، لكنها مُؤَوَّلة ، فإن لفظها : « سَبَقَكَ بها عُمَر » ، يحمل المراد بالسَّبْق على مباشرة التأذين برؤيا عبد الله بن زيد .

السابع : قال السهيلى[2] : « اقتضت الحكمة الإلهية أَن يكون الأَذان على لسان غير النبى -صلى الله عليه وسلم- من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله تعالى بعبده والرفع لِذِكْرِه ، فلأَن يكون ذلك على لسان غيره أَنْوَه به وأَفخَمَ لشأْنه ، وهذا معنى بيِّن ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ[3] ﴾ ، فمِنْ رَفْعِ ذِكْرِه أن أشار به على لسان غيره » . انتهى كلام السهيلى - وهذا حَسَن بديع .

١٣٠١ت الثامن : من أَغرب ما وقع فى بدء / الأَذان ما رواه أبو الشيخ من طريق عبد العزيز ابن مروان - وهو تالف - عن عبدالله بن الزُّبير قال : « أُخِذَ الأَذان من أذان إبراهيم عليه السلام ﴿ وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بالحَجِّ ﴾[4] الآية ، قال : « فَأَذَّن النبى -صلى الله عليه وسلم- » ، وما رواه أبو نُعَيْم بِسَنَدٍ فيه مجاهيل عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : « أن جبريل نادى بالأَذان لآدم عليه السلام حين أُهْبِط من الجنة » .

التاسع : ذكر بعضهم مناسبة اختصاص بلال بالأَذان دون غيره ، كونه لما عُذِّب ليرجع عن الإسلام كان يقول : أَحَد أَحَد ، فجُوزِى بولاية الأَذَان المشتمل على التوحيد من ابتدائه إلى انتهائه .

العاشر : اسْتُشْكِلَ إثبات حُكْم الأَذَان برؤيا عبدالله بن زيد ، ورؤيا غير الأَنبياء لا يَنْبَنِى عليها حكم شرعى . وأُجيب باحتمال مقارنة الوحى لذلك بأَنه -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) فى الأصل : منه . والتصويب من السياق ومن السهيلى (ج ٢ ص ٢٠) .

(٢) ما نقله المؤلف عن السهيلى هنا تلخيص للمعنى الذى أراده السهيلى وليس بلفظه .

(٣) الآية الرابعة من سورة الشرح .

(٤) سورة الحج آية ٢٧ .

أُمِر بمقتضاها لينظر أَيُقَرُّ على ذلك أم لا ، ولاسيما لما رأى نَظْمَها يُبْعِد دخول الوسواس فيه ، ويؤيد الأول حديث عُبَيْد بن عُمَيْر ، أحد كبار التابعين : « أن عُمَرَ لما رأى [1] الأذان جاء ليخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فوجد الوَحْيَ قد ورد بذلك فما راعه إلا أذان بلال » . فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : « سَبَقَكَ بذلك الوَحْيُ » . وهذا أَصَحّ كما حكاه الداودى [2] عن ابن إسحق « أن جبريل أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد بثمانية أيام » .

الحادى عشر : قيل إن الحكمة فى تثنية الأذان وإفراد الإقامة أن الأذان إعلام للغائبين مُتَكَرِّر ليكون أوصل إليهم ، بخلاف الإقامة فإنها للحاضرين ، ومن ثَمَّ اسْتُحِبَّ أن يكون الأذان فى مكان عالٍ بخلاف الإقامة ، وأن يكون الصوت فى الأذان أرفع منه فى الإقامة .

الثانى عشر : فى بيان غريب ما سبق : « بَدْء » الأذان ، بفتح الموحدة وسكون الدال [المهملة] وبالهمزة ، أى ابتداؤه . « الحِين » : الزمان قَلَّ أو كثر [3] . « يَتَحَيَّنُون » الصلاة أى يطلبون حِينَها . « المواقيت » جمع ميقات وهو الوقت المضروب للفعل . « الدَّعْوَة » : بالفتح الأذان . « القُنْع » : بضم القاف وسكون النون هو البُوق - بضم الموحدة - شيء مجوف يُنْفَخُ فيه . « الشَّبُّور » : بشين معجمة مفتوحة فموحدة مضمومة

---

(١) الأصوب : أن عمر لما أرى الأذان .

(٢) قال ابن فرحون فى الديباج المذهب (ص ٣٥) هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى الأسدى من أئمة المالكية بالمغرب كان فقيهاً متقناً له حظ من اللسان والحديث والنظر ، انتقل من طرابلس إلى تلمسان ، له كتاب النامى فى شرح الموطأ والواعى فى الفقه والنصيحة فى شرح البخارى والإيضاح فى الرد على القدرية وغير ذلك . لم يتفقه فى أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه ، وقد أخذ عنه أبو عبد الملك البونى وأبو بكر بن محمد بن أبى زيد ، توفى بتلمسان سنة ٤٠٢ هـ وقبره عند باب العقبة . وفى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٧٨) أنه توفى سنة ٤٣٠ هـ . وذكر مخلوف الذى نقل ما جاء فى الديباج أنه توفى سنة ٤٤٠ هـ . انظر شجرة النور الزكية (جـ ١ ص ١١٠ : ١١١ رقم ٢٩٣) .

(٣) الحِين بكسر الحاء المهملة هو كما فى القاموس المحيط وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر - أما الحَين بفتح الحاء وإسكان المثناة التحتية فهو الهلاك - وفى تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٣٢٢) : قال الفراء : الحين حينان : حين لا يوقف على حده ، والحين الذى ذكر الله جل ثناؤه : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، ستة أشهر ، قال ابن العربى (وهو القاضى أبو بكر بن العربى صاحب أحكام القرآن وليس محيى الدين بن عربى) : الحين المجهول لا يتعلق به حكم (شرعى) والحين (الوقت) المعلوم وهو الذى تتعلق به الأحكام (الشرعية) ويرتبط به التكليف . وأكثر (الوقت) المعلوم منه ، ومالك يرى فى الأحكام والأيمان أعم الأسماء والأزمنة . والشافعى يرى الأقل وأبو حنيفة توسط فقال ستة أشهر ... والمعول على المعنى بعد معرفة مقتضى اللفظ لغة .

مُشَدَّدَة وهو البوق . « النَّاقُوس » : آلة من النحاس يُضْرَب فيُصَوِّت « حَيَّ » على الصلاة : أَقْبِلُوا . « الفلاح » : أى الفَوْز ، أى هَلُمُّوا إلى طريق النجاة والفَوْز . « أندى » صوتاً منك ، أى أَمَدّ وأبعد / وأرفع غاية ، وقيل أَحْسَن وأَعْذَب . « أَلْقِهِ » عليه أى عَلِّمْه إياه . ١٠٣٢ت
فما « رَاعَ » عُمَر أى ما شعر عُمَر أى ما أَعْلَمه[1] « لَدَيَّ » : بفتح اللام وتشديد التحتية أى عندى ، وإلىّ بذلك تابع[2] « التوقير » : التعظيم . « الحُصَاص » بحاء مضمومة فصادين مهملتين : الضراط ، وقيل شدة العَدْو ، ويفعل ذلك الشيطان لئلا يسمع الأذان [فيُضْطَر[3]] إلى الشهادة يوم القيامة . « الغيلان » : واحدها غول ، والغيلان جنس من الجن كانت العرب تَزْعُم أنها تتراءى للناس فى الفلاة فتَتَمَثَّل فى صُوَر شَتَّى فَتَغُولُهم أى تُضِلُّهم عن الطريق وتُهْلِكُهُمْ ، فنفاه صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا غُول [ولا صَفَر[4]] » [وقيل قوله : لا غول[4]] ، ليس نَفْيًا [لعَيْن الغول [4]] ووجوده وإنما فيه إبطال زَعْم العرب فى تَلَوُّنِه بالصور المختلفة واغتياله ، فيكون المعنى بقوله : لا غُول أنها لا تستطيع أن تُضِلَّ أحداً [5] . ومنه الحديث : « إذا تَغَوَّلت[6] الغيلان فبادروا بالأذان » ، أى ادفعوا شَرَّها بذكر [الله][7] ، وهذا يَدُلّ على أنه لم يُرِدْ بِنَفْيِها عَدَمَها .

---

(١) فى الأصل : « أى ما أشعره » والتصويب من شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٧٨) إذ نقل عبارة المؤلف ونسبها إليه قائلا : قاله الشامى ، ثم أضاف : فحقيقة الروع هنا منتفية واستعمل فى لازمه لأن من فزع من الشىء استشعر وجوده ولكن قد لا يحصل من الشعور العلم فتدرج فى البيان ففسره لغة ثم مراداً . هذا والروع الذى ذكره الزرقانى هو بفتح الراء بمعنى الفزع أما الروع بالضم فهو القلب والعقل كما فى الصحاح وكليات أبى البقاء (ص١٩٧) وفى القاموس المحيط : راع لازم متعد ، راع يروع روعاً فزع وراع الأمر فلاناً أفزعه . وفى النهاية (جـ٢ ص ١١١) : ومنه حديث ابن عباس فلم يرعنى إلا رجل آخذ بمنكبى أى لم أشعر ، وإن لم يكن من لفظه كأنه فاجأه بغتة من غير موعد ولا معرفة فراعه ذلك وأفزعه . هذا ومن معانى راع الإعجاب : راع الشىء فلاناً أعجبه .

(٢) « إلى بذلك تابع » ، هكذا فى الأصل .

(٣) بياض فى الأصل بنحو كلمة أو أكثر والتكلة مستمدة من شرح النووى على صحيح مسلم (جـ ٤ ص ٩٢) حيث جاء فيه : قال العلماء : وإنما أدبر الشيطان عند الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة » . قال القاضى عياض : وقيل إنما يشهد له المؤمنون من الجن والإنس ، فأما الكافر فلا شهادة له . قال : ولا يقبل هذا من قائله لما جاء فى الآثار من خلافه . قال : وقيل إن هذا فيمن يصح منه الشهادة ممن يسمع . . إلخ .

(٤) زيادة من النهاية (جـ ٣ ص ١٧٦) .

(٥) زاد ابن الأثير فى النهاية : ويشهد له الحديث الآخر : لا غول ولكن السعالى . . . . والسعالى سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل .

(٦) التغول هو التلون .

(٧) ليست فى الأصل والتكلة من النهاية .

الباب الخامس

فى مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضى الله عنهم

قال أبو عُمَر ، وأقَرّه فى العيون ، والفتح ، ونقله فى كتاب الصيام عن أصحاب المغازى : « كانت المؤاخاة مَرّتَيْن : الأُولى : بين المهاجرين بعضهم بعضاً قبل الهجرة على الحق والمواساة فآخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أبى بكر وعُمَر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة . وروى أبو يَعْلَى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صالح الأَسدى وهو ثِقَة عن زيد بن حارثة أنه قال : « إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – آخى بينى وبين حمزة بن عبد المطلب ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير بن العَوّام وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبدمناف] وبلال ، وبين مُصْعَب بن عُمَيْر وسعد بن أبى وَقّاص ، وبين عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعد بن أبى زيد [بن عَمْرو بن نُفَيْل] وطلحة بن عبيد الله ، وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم . وروى الحاكم والخِلْعى عن ابن عُمَر رضى الله عنهما قال : « آخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أصحابه ، فآخى بين أبى بكر وعُمَر ، وفلاناً ، حتى بقى على رضى الله عنه تَدْمَع عيناه ، فقال : يا رسول الله آخَيْتَ بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « أما ترضى أن أكون أخاك ؟ » قال : بلى يا رسول الله رَضِيت . قال : « فأنت أخى/ فى الدنيا والآخرة » . ١٠٣٣ت

الثانية : قال أنَس بن مالك رضى الله عنه : « حالف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين المهاجرين والأنصار فى دارنا » رواه الإمام أحمد والشيخان وأبوداود . وروى الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسى ، والبخارى ، وأبو داود [السجستانى] وأبو الشيخ ، والطبرانى عن ابن عباس مُخْتَصَراً ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طريق عنه مُطَوّلاً ، وابن سعد والحاكم وصححه عن الزبير بن العَوّام ، وابن سعد عن الزهرى ، وإبراهيم التيمى ، وضمرة ابن سعيد ، قالوا : لما قَدِم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة آخى بين المهاجرين

والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواساة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام .
قال ابن عباس رضى الله عنهما : « فآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة ، وبين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن الحارث[1] ، وبين عمر ابن الخطاب وعِتْبان بن مالك ، وبين الزبير بن العوام وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش - ويقال بينه وبين عبد الله بن مسعود ، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وبين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع ، وقال لسائر أصحابه : « تَوَاخَوا وهذا أخى » - يعنى على ابن أبى طالب .

قام المسلمون على ذلك حتى نزلت سورة الأنفال ، وكان مما شَدَّ الله عَقْدَ نبيه قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ » « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كريمٌ[2] » .

فأَحْكَمَ اللهُ بهذه الآيات العَقْد الذى عَقَد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، يتوارث الذين آخوا دون من كان مقيماً بمكة من ذوى الأرحام والقرابات . فمكث الناس على ذلك العَقْد ما شاء الله . فلما كان بعد بدر أنزل الله تعالى الآية الأخرى فنسخت ما كان قبلها ، فقال تعالى : « وَالَّذِين آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا / ١٠٣٤ت وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عليمٌ[3] » وانقطعت المؤاخاة فى الميراث ورجع كل إنسان إلى نَسَبِه وَوَرِثَه ذوو رَحِمِه .

وروى الخرائطى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «قال المهاجرون : « يا رسول الله

---

(١) فى الأصل طلحة بن عبيد الله ، والتصويب من سيرة ابن هشام (جـ٢ ص١٢٤) وجوامع السيرة لابن حزم (ص ٩٦) .
(٢) الآيات ٧٢ و٧٣ و ٧٤ من سورة الأنفال .
(٣) سورة الأنفال آية ٧٥ .

ما رأينا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عليهم أَحْسَنَ مواساةً فى قليلٍ ولا أَحْسَنَ بذلاً من كثير ، [لقد] كَفَوْنَا الْمَئُونَة ، وأشركونا فى المَهْنَأَ حتى لقد خَشِينا أن يذهبوا بالأجر كُلِّه » . قال : «لا ما أَثْنَيْتُمْ عليهم ودعوتم [الله] لهم[1] » .

وروى مسلم والنَّسَائى والخرائطى عن ابن عُمَر رضى الله عنهما قال : «لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » . قال الزهرى ، وإبراهيم التيمى ، وحمزة بن سعيد ، كما رواه ابن سعد[2] عنهم : « كانوا تسعين رجلاً : خمسة وأربعون رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار » . ويقال : « كانوا مائة : خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار » . قال ابن إسحق ، وسُنَيْد[3] بن داود ، وأبو عُمَر ، وأبوالفَرَج : «آخى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين نفسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ» ، قال أبوعُمَر : « وقال له : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » .

وروى أبو بكر الشافعى عن أبى أُمَامَة رضى الله عنه قال : « لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس آخى بينه وبين عَلِىّ ، وبين حمزة بن عبد المطلب وأُسَيْد ــ بضم الهمزة وفتح السين ــ ابن حُضَيْر ــ بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة ــ ، وبين جعفر ابن أبى طالب وهو بأرض الحبشة ومُعَاذ بن جَبَل » . واسْتُشْكِل ذلك ويأتى جوابه فى ثالث التنبيهات إن شاء الله ، « وبين أبى بكر وخارجة ــ بالخاء والجيم المعجمة ــ ابن زيد ، وبين عمر بن الخطاب وَعِتْبَان بن مالك ــ بعين مهملة مكسورة ففوقية ساكنة فموحدة وقد تُضَمّ العين ــ وبين عثمان بن عَفَّان وأَوْس بن ثابت بن المنذر أخى حَسَّان بن ثابت ، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك » ، وذكر أبو الفَرَج بدل كعب بن مالك ، أُبَىّ بن كعب ، وقيل أُبَىّ بن كعب وسعيد بن زيد ، وبين الزبير بن العوام وسَلَمة ابن سلامة بن وَقْش ــ بفتح الواو وسكون القاف وبالشين المعجمة ــ كما ذكروا فى حديث

---

(1) أخرجه أيضاً الإمام أحمد عن يزيد عن حميد عن أنس .

(2) فى طبقات ابن سعد (جـ ٢ ص ٣) .

(3) فى الأصل : « سند أبى داود » والتصويب من خلاصة الخزرجى (ص ١٣٧) وهو سنيد ــ بنون مصغراً ــ ابن داود المصيصى أبو على المحتسب صاحب التفسير ، روى عن حماد بن زيد وشريك وابن المبارك وروى عنه أبو زرعة وأبو بكر الأثرم ، وجاء فى التهذيب أن أبا حاتم ذكره فى شيوخه وقال بغدادى صدوق وقال ابن أبى عاصم مات سنة ٢٢٠ هـ .

الزبير السابق أنه وَاخَى بين سعد بن أبى وَقَّاص ومحمد بن مسلمة ، وبين سعيد بن زيد وأُبَىّ بن كعب ، وبين عبد الرحمن بن عوف / وسعد بن الربيع » . ١٠٣٥ت

وروى البخارى فى أوائل [كتاب] البيوع بَسَند وعَلَّقه فى باب كيف آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، والإمام أحمد والشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَاخَى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فعَرَض سَعْد على عبد الرحمن أن يناصفه أَهْلَه ومَالَه . قال سعد : أنا أكثر أهل المدينة مالاً فأُقْسِمُ لك نصف مالى وانظر أَىَّ زَوْجَتَىَّ هَوِيت ، نزلت لك عنها ، فإذا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَها . فقال عبد الرحمن : بارك الله عَزَّ وجَلّ لك فى أهلك ومالك دُلُّونِى على السوق[١] ، فاشترى وباع ، وسيأتى الحديث فى المعجزات إن شاء الله تعالى . [وَوَاخى] بين أبى عُبَيْدة بن الجراح وأبى طلحة [زيد بن سهل الأنصارى النجارى[٢]] ، فهذا أَصَحّ مما ذكره ابن إسحق وأبو عُمَر إلا أن يكون آخى بين أبى عُبَيْدة وسعد بن مُعَاذ . وذكر سُنَيْد أنه واخى بين سعد بن أبى وقاص ومحمد بن مَسْلَمة [بن خالد بن عدى الأَوْسى[٣]] وبين سعد بن زيد وأُبَىّ بن كعب ، وبين مصعب بن عُمَيْر وأبى أيوب ، وبين عَمَّار بن ياسر وحُذَيْفَة بن اليَمَان ، وقيل بين عَمَّار وثابت بن قيس [بن الشَّمَّاس[٤]] لأَن حذيفة إنما أسلم زمان أُحُدُ ، وبين أبى حُذَيْفَة بن عُتْبَة [ابن ربيعة[٤]] وَعَبَّاد ــ بموحدة ودال مهملة ــ ابن بِشْر ــ بكسر الموحدة وبالشين المعجمة ــ [ابن وَقْش[٤]] ، وبين أبى ذَرّ الغِفَارى والمنذر بن عمر [المُعْنِق لِيَمُوت[٤]] .

وأنكر ذلك محمد بن عُمَر الأَسلمى لأَن أبا ذَرّ إنما قَدِم المدينة [بعد بدر وأُحُد[٥]] ، وعنده طُلَيْب ــ بالتصغير ــ ابن عُمَيْر والمنذر بن عَمْرو ، وسيأتى الجواب عن ذلك فى ثالث التنبيهات إن شاء الله تعالى . [وَوَاخَى] بين عبد الله بن مسعود وسَهْل بن حُنَيْف ، وبين

---

(١) صحيح البخارى كتاب البيوع (جـ ٣ ص ١١٢ و ١١٣) .

(٢) زيادة من أسد الغابة (جـ ٥ ص ٣٣٤) .

(٣) زيادة من أسد الغابة (جـ ٤ ص ٣٣٠) .

(٤) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٢٥ و ١٢٦) .

(٥) بياض بالأصل بنحو كلمتين والتكلة من الإصابة (جـ ٧ ص ٦٢) .

سَلْمان [الفارسى[1]] وأبى الدرداء [عُوَيْمِر بن ثعلبة[1]] كما فى صحيح البخارى عن أبى جُحيْفَة [وهب بن عبد الله[2]] رضى الله عنه ، وأنكر ذلك محمد بن عُمَر لأن سَلْمان إنما أسلم بعد وقعة أُحُد ، وأول مشاهده الخندق ، ويأتى الجواب عن ذلك .

[وَوَاخَى] بين بلال [بن رباح مولى أبى بكر[3]] وأبى رُوَيْحَة - بضم الراء وفتح الواو وبعدها تحتية ساكنة فحاء مهملة - واسمه عبد الله بن عبد الرحمن الْخَثْعَمِى ، وبين حاطب بن أبى بَلْتَعَة - بموحدة فلام ساكنة ففوقية فعين مهملة - وعُوَيْم - بلفظ تصغير عام - ابن ساعدة ، وبين عبد الله بن جَحْش وعاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح - بفتح الهمزة وسكون القاف فلام فحاء مهملة ، وبين عُبَيْدَة بن الحارث [ابن المطلب ابن عبد مناف[4]] وعُمَيْر بن الحُمَام - بضم الحاء المهملة - ، وبين الطفيل بن الحارث أخى عُبَيْدَة ، وسُفْيان بن نَسْر - بفتح النون وسكون المهملة / كما ضبطه الأمير ، وقيل بالتصغير[5] - ابن زيد [بن الحارث الخزرجى[6]] ، وبين الحصين بن الحارث أخى عُبَيْدة وعبد الله بن جُبَيْر - بلفظ تصغير جبر - « [ابن النعمان الأوسى[7]] ، وبين عثمان ابن مظعون - بالظاء المعجمة المُشَالة - [ابن حبيب بن وهب القرشى الجُمَحِى»[8]] والعباس ابن [عُبَادة بن] نَضْلَة - بالنون والضاد المعجمة ، وذكر سُنَيْد بَدَل العباس أبا الهيثم ابن التَّيِّهان - بفتح الفوقية وكَسْر التحتية المُشَدَّدَة ، وبين عُتْبَة بن غزوان - بغين مفتوحة فزاى ساكنة معجمتين - ومُعَاذ بن مَاعِص - بعين فصاد مهملتين ويقال فيه ناعص - [ابن قيس بن خَلْدَة بن عامر بن زُرَيْق[9]] ، وبين صَفْوَان [بن وهب بن ربيعة

١٠٣٦ت

(١) زيادة من ابن هشام (ج٢ ص ١٢٥ و ١٢٦)

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٢٦ وكتب السيرة .

(٤) فى الأصل : أبى عبيدة والتصويب وسياقة النسب من أسد الغابة (ج ٣ ص ٣٥٦) وانظر أيضاً ترجمة أخويه : الطفيل والحصين وورد ذكر الثلاثة فى الإصابة وجوامع السيرة .

(٥) قال فيه محمد بن حبيب بشر بالباء الموحدة والشين المعجمة وعن ابن اسحق أيضاً بشير بزيادة ياء تحتها نقطتان وقال ابن ماكولا : الصواب : نسر .

(٦) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٢٢) .

(٧) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ١٣٠) .

(٨) زيادة من جوامع السيرة ص ٤٧ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٩) زيادة من جوامع السيرة ص ١٤٠ ومن أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٨٣) ولكن فى ماعص وناعص فى الأخيرة مصحفة بالضاد المعجمة .

القرشى الفهرى وهو المعروف[1] بـ] ابن بيضاء ورافع بن المُعَلَّى - بلفظ اسم المفعول من العُلُوّ بالعين المهملة - [ابن لَوْذَان بن حارثة[2]] ، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله ابن رَوَاحة ، وبين ذى الشِّمَالين [بن عبد عَمْرو بن نضلة بن غُبْشَان[3]] ويزيد بن الحارث[4] وبين أَبى سَلَمَة بن عبد الأَسد - بالمهملة - وسَعْد بن خَيْثَمة - بخاء معجمة فتحتية فثاء مثلثة ، وبين عامر[5] بن أَبى وَقَّاص وخُبَيْب - بخاء معجمة مضمومة فموحدة مفتوحة - ابن عَدِىّ[6] ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطْبة - بلفظ تأنيث قُطْب - ابن عامر ، وبين شَمَّاس - بشين معجمة مفتوحة فميم مُشَدَّدَة فألف فسين مهملة - ابن عثمان وحنظلة بن أَبى عامر[7] ، وبين الأَرقم بن أَبى الأَرقم وطلحة بن زيد الأَنصارى ، وبين زيد بن الخَطَّاب ومَعْن بن عَدِىّ ، وبين عَمْرو بن سُرَاقة وسَعْد بن زيد الأَشهلى ، وبين عاقِل - بعين مهملة وبعد الأَلف قاف - ابن البُكَيْر - بموحدة تصغير بَكْر - ومُبَشِّر بن عبد المُنْذِر ، وبين عبد الله بن مَخْرَمة وفَرْوَة بن عَمْرو البياضى ، وبين خُنَيْس - بخاء

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢٧) وبيضاء أمه اسمها دعد . وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين رافع بن العجلان .

(٢) زيادة بن جوامع السيرة ص ١٤٠ ، وقيل اسمه الحارث بن المعلى أبو سعيد الأنصارى . انظر أسد الغابة جـ ١ ص ٣٤٨) .

(٣) ذو الشمالين واسمه عمير وسياقة نسبه أوردها كل من ابن حزم فى جوامع السيرة (ص ١١٨) وابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٢ ص ١٤١) وهناك اختلاف بعد غبشان وذو الشمالين خزاعى حليف لبنى زهرة ، وهو غير ذى اليدين ذلك يسمى الخرباق وهو من بنى سليم . وكان ذو الشمالين أعسر ، شهد بدراً وقتل بهـا .

(٤) هو يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك . . الخزرجى وهو المعروف بابن قسحم وهى أمه وأم أخيه عبدالله بن قسحم (ضبطت فى القاموس المحيط على وزن قنفذ) ونص ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ١٠٧) على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين يزيد بن الحارث وذى الشمالين وأضاف أنه شهد بدراً وقتل بها ولا عقب له .

(٥) فى الأصل عمر والتصويب من الرياض النضرة (جـ ٢ ص ٢٩٣) وأسد الغابة (جـ ٣ ص ٩٧) وهو أخو سعد ابن أبى وقاص لأبيه وأمه .

(٦) هو حبيب بن عدى بن مالك بن عامر أحد بنى جحجبى الأوسى شهد بدراً وأسر فى بعث الرجيع وصلب بالتنعيم بمكة وهو القائل إذ قرب ليصلب :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

من أبيات ، وهو أول من سن الركعتين عند القتل . انظر جوامع السيرة ص١٧٦ : ١٧٨ وأسد الغابة جـ ٢ ص ١١١ : ١١٣ .

(٧) هو حنظلة بن أبى عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك الأوسى ، وكان أبوه أبو عامر قد ترهب فى الجاهلية وتنسك ولما جاء الإسلام فر إلى مكة ثم قدم مع قريش يوم أحد محارباً ومات كافراً سنة ٩ هـ أما ابنه حنظلة فكان من سادات المسلمين واستشهد يوم أحد جنباً ، فغسلته الملائكة . ولذلك سمى حنظلة غسيل الملائكة . انظر ابن هشام وجوامع السيرة (ص ١٥٩ : ١٦١) وأسد الغابة (جـ ٢ ص ٦٧ : ٦٨) .

معجمة مضمومة ونون مفتوحة فتحتية ساكنة فسين مهملة – ابن حُذَافة ، والمُنْذِر بن محمد ابن عُقْبَة بن أُحَيْحَة – بمهملتين – تصغير أَحَّة[1] ، وبين أَبى سَبْرَة – بسين مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة – ابن أَبى رُهْم – وهو بضَمّ الراء وسكون الهاء ، وعُبَادة بن الخَشْخَاش – بخاءين الأُولى مفتوحة وشينين الأُولى ساكنة مُعْجَمَات ، كما ذكره الأَمير ، وبين مِسْطَح – بميم مكسورة فسين مهملة فطاء مفتوحة وحاء مهملتين – ابن أُثَاثَة – بالضم ومثلثتين مُخَفَّفَة – وزيد بن المزين – ضبطه الدارقطنى والأَمير بضم الميم وفتح الزاى وآخره نون مُصَغَّر ، وشَدَّد أَبو عُمَر بِخَطِّه التحتية – والله أعلم ، وبين أَبى مَرْثَد – بفتح الميم وسكون الراء فثاء مثلثة – الغَنَوى – بالغين المعجمة المفتوحة والنون – وعُبَادة بن الصامت ، وبين عُكَّاشة بعين مهملة مضمومة فكاف تشديدها أَفصح من تخفيفها – ابن مِحْصَن – بكسر الميم ، – والمُجَذَّر – بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الذال المعجمة المفتوحة ثم راء – ابن ذِياد – بكسر الذال المعجمة / وتخفيف التحتية فى آخره دال مهملة ، وقيل إنه بفتح أوله وتشديد ثانيه – ، وبين عامر بن فُهَيْرَة – بالتصغير – والحارث بن الصِّمَّة – بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم ، – وبين مِهْجَع – بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الجم – مَوْلَى عُمَر ، وسُرَاقة بن عَمْرو بن عطية .

١٠٣٧ ت

تَنْبِيهَاتٌ

الأَول : قال فى الروض[2] : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أَصحابه حين نزلوا المدينة لتذهب عنهم وَحْشَة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأَهل والعشيرة ويشد أَزر بعضهم ببعض ، فلما عَزَّ الإِسلام واجتمع الشَّمْل وذهبت الوَحْشة [أَنزل الله سبحانه : « وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ[3] » أَعنى فى الميراث[4]] ، ثم جعل المؤمنين كلهم إِخوة يعنى فى التوادّ وشمول الدعوة » .

الثانى : اخْتُلِف فى ابتدائها فقيل بعد الهجرة بخمسة ، أَشهر ، وقيل بتسعة ، وقيل وهو يبنى المسجد ، وقيل قبل بنائه ، وقيل بسَنَة ، وقيل بثلاثة أَشهر وقيل بدر ، وتقدم عن

---

(١) فى الاشتقاق لابن دريد (ص ٧٨) : أحيحة تصغير أحة والأحة هو ما يجده الإنسان فى قلبه من حرارة غيظ وحزن . وفى القاموس والتاج : الأحاح بالضم العطش والغيظ وحزازة الغم أو حرارته . وقال الفراء فى صدره أحاح وأحيحة من الضغن والغيظ والحقد . (٢) الروض الأنف (ج ٢ ص ١٨) .

(٣) من الآية ٧٥ من سورة الأنفال . (٤) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف ، وفى الأصل : أبطل المواريث .

أنس بن مالك أن ذلك كان فى داره ، وذكر أبو سعد النيسابورى فى الشرف أن ذلك كان فى المسجد . فالله أعلم .

الثالث : أنكر الواقدى مواخاة سَلْمَان لأَبى الدرداء لأن سَلْمان إنما أسلم بعد وقعة أُحُد ، وأول مشاهده الخندق . وأجاب الحافظ بأن التاريخ المذكور [هو] للأُخوة الثانية وهو ابتداء الأُخوة ، واستمر صلى الله عليه وسلم يُجَدِّدها بحسب من يدخل فى الإسلام ويحضر إلى المدينة ، وليس باللازم أن تكون المؤاخاة وقعت وقعةً واحدة حتى يرد هذا التعقيب . وبما أجاب به الحافظ يجاب به عن مؤاخاة أَبى ذَرّ والمنذر بن عَمْرو ، وعن مؤاخاة حُذَيْفة وعَمَّار ، وعن مؤاخاة جعفر ومُعَاذ بن جَبَل ، ويقال بأن مُعَاذ أُرْصِد لمؤاخاة جعفر حتى يَقْدَم .

الرابع : نقل محمد بن عُمَر ، عن الزُّهْرِى أنه أنكر كُلَّ مؤاخاة وقعت بعد بدر ، ويقول : قَطَعَتْ بَدْرُ المواريث . قال الحافظ رحمه الله تعالى : وهذا لا يدفع المؤاخاة من أصلها ، وإنما يدفع المؤاخاة المخصوصة التى كانت عُقِدَتْ بينهم ليتوارثوا بها .

الخامس : أنكر الحافظ أبو العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعَلِىّ رضى الله عنه . قال لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً ولتتألَّف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاته لأحد ولا لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى . قال الحافظ : « وهذا رَدٌّ للنَّص بالقياس وإغفال عن / حكمة المؤاخاة لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة ، فَوَاخَى بين الأَعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأَعلى بالأدنى ، وبهذا تظهر [حكمة[1]] مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ، لأنه هو الذى كان يقوم بعَلِىّ من عهد الصِّبا قبل البعثة واستمرّ ، وكذلك مؤاخاة حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة لأن زيداً مولاهم ، فقد ثَبَتَتْ إخوتهما وهما من المهاجرين ، وفى الصحيح فى عُمْرَة القضاء أن زيداً قال : « إن ابنة حمزة ابنة أخى » . وأخرج الحاكم وابن عبد البَرّ بسَنَدٍ حَسَن عن أَبى الشعثاء[2] عن ابن عباس رضى الله عنهما

(١٠٣٨ ت)

---

(١) زيادة من شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٧٣) .

(٢) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد البصرى أحد الأعلام وصاحب ابن عباس روى عنه قتادة وأيوب وعمرو بن دينار وطائفة ، قال أحمد والبخارى توفى سنة ٩٣ هـ وقال الواقدى وابن سعد مات سنة ١٠٣ هـ . وهناك راو آخر له نفس الكنية وهو سليم بن أسود بن حنظلة المحاربى أبو الشعثاء الكوفى روى عن عمر وابن مسعود وحذيفة وأبى ذر توفى سنة ٨٢ هـ . انظر فى ترجمة الأول الذى يقصده المؤلف تذكرة الحفاظ (جـ ١ ص ٦٧ : ٦٨) وفى ترجمة الثانى خلاصة الخزرجى (ص ١٢٧)

قال : آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير بن العَوَّام وعبد الله بن مسعود ، وهما من المهاجرين ، وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة ، وابن تيمية يُصَرِّح بأَن أَحاديث المختارة أَصَحّ وأَقوى من أَحاديث المسْتَدْرَك ، قلتُ : يأْتى الكلام مبسوطاً على أُخُوة النبي صلى الله عليه وسلم فى ترجمة على رضى الله عنه عند ذكر تراجم العشرة إن شاء الله تعالى .

السادس : روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حِبَّان عن شُعْبَة بن التوأَم - بفتح الفوقية والهمزة - أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا حِلْفَ فى الإسلام» ، زاد شعبة بن التوأَم : «ولكن تَمَسَّكوا بحِلْف الجاهلية» . انتهى . «وأَيُّما - وفى لفظ : كل - حِلْف كان فى الجاهلية لم يَزِدْهُ الإسلام إلا حِدَّة وشِدَّة ، وما يَسُرُّنى أَن لى حُمْر النَّعم وأَنى نقضتُ الحلف الذى كان فى دار الندوة» .

وروى البخارى فى الكفالة وفى الاعتصام ، ومسلم فى الفضائل ، وأبو داود فى الفرائض عن عاصم بن سليمان الأَحول قال : «قلت لأَنس بن مالك : أَبَلَغَكَ أَن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا حِلْفَ فى الإسلام ؟ قال : قد حالف النبى صلى الله عليه وسلم بين قريش والأَنصار فى دارى[1]» . قال الطبرانى : ما استدلّ به أَنَس على إِثْبَات الحلْف لا يُنَافى الأَحاديث السابقة فى نفيه ، فإِن الإِخاء المذكور كان فى أَول الهجرة ، وكانوا يتوارثون به ، ثم نُسِخَ من ذلك الميراث ، وبقى مالم يُبْطِلْه القرآن وهو التعاون على الحق والنصر والأَخذ على يد الظالم ، كما قال ابن عباس : «إلا النصر والنصيحة» ، ويوصى به فقد ذهب الميراث[2] .

---

(١) وأخرجه أبو داود بلفظ : فى دارنا مرتين أو ثلاثاً . وروى أحمد والترمذى وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رفعه : «أوفوا بحلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً فى الإسلام» .

(٢) لخص الدياربكرى فى تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٥٣) موضوع المؤاخاة بقوله : نقل ابن حجر فى شرح صحيح البخارى عن ابن عبد البر أن المؤاخاة كانت مرتين : الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين خاصة . وروى الحاكم النيسابورى حديثاً يدل على ما قاله ابن حجر وهو حديث أبى عمرو قال : آخى النبى عليه الصلاة والسلام بين أبى بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وفى رواية بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة . فقال على : يا رسول الله آخيت بين أصحابك فمن أخى ؟ قال : أنا أخوك . وفى رواية : أنت أخى فى الدنيا والآخرة . وهؤلاء كلهم من المهاجرين . والثانية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكانت قبل وقعة بدر ، وبعد بدر أنزل الله تعالى : «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة فى الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه .

وقال الخَطَّابي : قال ابن عيينة : حالف بينهم أى آخى بينهم ، يريد أن معنى الحِلْف فى الجاهلية معنى الحلف فى الإسلام جارٍ على / أحكام الدين وحدوده ، وحلف الجاهلية جارٍ على ما كانوا يتواضعونه بينهم ، فَبَطَلَ منه ما خَالَفَ حُكْمَ الإسلام وبَقِيَ ما عدا ذلك على حاله .

١٠٣٩ت

والحِلْف ـ بكسر الحاء المهملة وسكون اللام بعدها فاء ، قال فى النهاية[1] : أصله المُعَاقدة والمُعَاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق ، فما كان منه فى الجاهلية على الفِتَن والقتال بين القبائل والغارات ، فذلك الذى ورد النهى عنه [فى الإسلام] بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا حِلْفَ فى الإسلام » . وما كان منه فى الجاهلية على نَصْر المظلوم وصِلَة الأرحام كحِلْف المُطَيَّبين وما جرى مُجْرَاه فذلك الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : « وأَيُّما حِلْف كان فى الجاهلية لم يَزِدْهُ الإسلام إلا شِدَّة » ، يُرِيد من المُعَاقدة على الخير ونُصْرة الحق [وبذلك يجتمع الحديثان وهذا هو الحِلْف الذى يقتضيه الإسلام والممنوع منه ما خالف حُكْم الإسلام[2]] والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٢) زيادة من النهاية التى نقل عنها المؤلف ، وأضاف ابن الأثير قائلا : وقيل المحالفة كانت قبل الفتح ، وقوله : « لا حلف فى الإسلام » قاله زمن الفتح (أى فتح مكة) ، فكان ناسخاً .

الباب السادس

فى قِصَّة تحويل القِبْلَة

روى ابن إسحق[1] وابن سعد[2] ، وابن أَبى شيبة ، وعَبْد بن حُمَيْد ، والستة[3] ، وأَبو داود فى ناسخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أَبى حاتم ، والدارقطنى ، والبيهقّى عن البَرَّاء بن عازب ، وابن إسحق وابن أَبى شيبة ، وأَبو داود والنحاس فى ناسخهما ، وابن جرير وابن المنذر وابن أَبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأَبو داود فى ناسخه عن أَبى العالية مُرْسَلاً ، ويحيى بن الحَسَن العلوى فى أَخبار المدينة عن رافع بن خَدِيج رضى الله عنه ، والإمام مالك ، وعَبْد بن حُمَيْد والشيخان ، وأَبو داود فى ناسخه ، والنسائى ، ويحيى ابن الحَسَن ، عن عثمان بن محمد بن الأَخنس ، وعَبْد بن حُمَيْد ، وابن المنذر عن قتادة ، والزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن ، وابن سعد عن محمد بن عبد الله بن جَحْش ، وابن جرير عن مجاهد ، يزيد بعضهم على بعض : «أَن أَول ما نُسِخ من القرآن القِبْلَة ، وذلك أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه» . وقال ابن جُرَيْج ، كما عند ابن جرير : «صَلَّى النَّبى صلى الله عليه وسلم أَول من صلى إِلى الكعبة ثم صُرِف إِلى بيت المقدس وهو بمكة فصَلَّى ثلاث حِجَج ثم هاجر» . ولما هاجر إِلى المدينة وكان أَكثر أَهلها اليهود أَمره الله سبحانه وتعالى أَن يستقبل صَخْرَة بيت المقدس ، فعَرَّض اليهود بذلك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس. وكان يُعْجِبه أَن تكون قِبْلَته قِبَل البيت ، لأَن اليهود قالوا / : «خالفنا محمد ويتبع قِبْلَتَنا» . ١٠٤٠ت

---

(١) فى ابن هشام جـ ٢ ص ١٧٦ و١٧٧ .

(٢) فى الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٦ : ٩ .

(٣) أحاديث تحويل القبلة أخرجها الستة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى ، كما أخرجها مالك وأحمد والدارى . هذا وقد أخرجها البخارى فى صحيحه فى كل من كتاب الصلاة (جـ ١ ص ١٧٦ : ١٧٧) وفى كتاب التفسير (جـ ٦ ص ٤٩ : ٥١) ، وفى صحيح مسلم (جـ ٥ ص ٩ : ١١ بشرح النووى) .

وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : «وَدِدْتُ أن الله عزّ وجَل صرفنى عن قِبْلَة يهود إلى غيرها» ، فقال جبريل عليه السلام : «إنما أنا عَبدٌ مثلك لا أَمْلِك لك شيئاً إلا ما أُمِرْتُ به ، فادْعُ الله تعالى» . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويُكْثِر النَّظَرَ إلى السماء ينتظر أمر الله تعالى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً أُمَّ بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، فى بنى سَلِمَة — بكسر اللام — فصنعت له طعاماً ، وحانت صلاة الظهر ، فصَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد هناك الظهر ، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صَلِّ إلى البيت ، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب . فَتَحَوَّل النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء ، فهى القبلة التى قال الله تعالى (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا[1]) فسُمِّى ذلك المسجد مسجد القِبْلَتَيْن . وكان الظُّهْر يومئذ أربعاً : اثنتان إلى بيت المقدس واثنتان إلى الكعبة ، فخرج عَبَّاد بن بشر[2] رضى الله عنه ، وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمر على قوم من الأنصار ببنى حارثة — بالحاء المهملة والثاء المثلثة — وهم راكعون فى صلاة العَصْر ، فقال : «أشهد بالله لقد صَلَّيْت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل البيت» . فاستداروا .

قال رافع بن خَدِيج : «وأتانا آتٍ ونحن نصلى فى بنى عبد الأشهل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمِرَ أن يوجه إلى الكعبة ، فأدارنا إمَامُنَا إلى الكعبة ودُرْنا معه» . قال ابن عُمَر : «وبينما الناس بقُبَاء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت — قال ابن طاهر المقدسى هو عَبَّاد بن بشر أيضاً — فقال : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنْزِل عليه قرآن ، وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاسْتَقْبِلوها[3] ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة» .

وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى قِبَل بيت المقدس

---

(١) من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢) ترجم إبن الأثير فى أسد الغابة (حـ ٣ ص ٩٩ و ١٠٠) لاثنين بهذا الاسم : عباد بن بشر بن قيظى وهو الذى ورد إسمه فى حديث نويلة بنت أسلم ، والآخر عباد بن بشر بن وقش والأول من بنى حارثة والثانى من بنى عبد الأشهل وكلاهما من الأنصار وينسب إلى كل منهما حديث تغيير القبلة وإبلاغه إلى قومهما .

(٣) روى فاستقبلوها بكسر الباء وفتحها والكسر أصح وأشهر وهو الذى يقتضيه تمام الكلام بعده ، قاله النووى فى شرحه على صحيح مسلم (جـ ٥ ص ١٠) .

وأَهْلُ الكتاب فلما وَلَّى وَجْهَه قِبل البيت أنكروا ذلك . وقال المنافقون : «حَنَّ محمد إلى أرضه» . وقال المشركون : «أراد محمد أن يجعلنا قِبْلَةً له ووسيلة ، وعرف أن ديننا أَهْدَى من دينه ، ويوشك أن يكون على ديننا» .

وقال اليهود للمؤمنين : ما صرفكم عن قِبْلة موسى ويعقوب وقبلة الأنبياء ؟ والله إن أنتم إلا قوم تفتنون . وقال المؤمنون : لقد ذهب مِنَّا قومٌ ماتوا وما ندرى أكُنَّا نحن / ١٠٤١ت وهم على قِبْلة أو لا . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وكَرْدَم[1] بن عَمْرو ، وكَعْب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحَجَّاج بن عَمْرو حليف كعب بن الأشرف ، والربيع وكِنَانة ابنا [الربيع بن] أبي الحُقَيْق - بلفظ تصغير حق - فقالوا : «يا محمد ما وَلاَّكَ عن قِبْلَتِكَ التى كنت عليها وأنت تَزْعُم أنك على مِلَّة إبراهيم ودينه ؟ إرجع إلى قبلتك التى كنت عليها نَتَّبِعك ونُصَدِّقك» . وإنما يريدون بذلك فِتْنَتَه عن دينه ، فأنزل الله عزوجل: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ) - الجُهَّال واليهود والمشركون [والمنافقون[2]] (مَا ولاَّهُمْ) - أي صرفهم - (عَنْ قِبْلَتِهِم) - التى كانوا على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالَّة على الاستقبال من الإخبار بالغيب - (الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) - أى الجهات كلها ، فيأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء لااعتراض عليه - (يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ) - هدايته - (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[3]) - دين الإسلام ، أى ومنهم أنتم ، دَلَّ على هذا (وَكَذَلِكَ) أى كما هديناكم إليه (جعَلْنَاكُمْ) يا أمة محمد (أُمَّةً وَسَطاً) خياراً عدولاً (لِتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) يوم القيامة أن رُسُلَهم بلَّغَتْهُم (ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) أنه بَلَّغَكُم (وَمَا جَعَلْنَا) صَيَّرنا (القِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا) أولاً وهى جهة بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى إليها تَأَلُّفاً لليهود فصلَّى إليها ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حُوِّل (إِلاَّ لِنَعْلَمَ) عِلْمَ ظهور (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) فيصَدِّقه (مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى يرجع إلى الكفر شكًّا

---

(١) فى الأصل فردم بالفاء وكذلك فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٧٦ طبعة التجارية) والتصويب من الاشتقاق (ص ٢٨١) والكردمة عدو بفزع فيه ثقل وبطء .

(٢) زيادة من تفسير القرطبى (ج ٢ ص ١٤٨) .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٢ .

فى الدين وظناً أن النبىَّ فى حيرة من أمْرِه ، وقد ارْتَدَّ لذلك جماعة (وَإِنْ) مُخَفَّفَة من الثقيلة واسمها محذوف ، أى وإنَّها[1] (كانت) التولية إليها - (لَكَبِيرَةً) شَاقَّة على الناس (إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ) منهم (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم) أى صَلاَتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليها لأن سبب نزولها السؤال عمَّن مات قبل التحويل (إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ) المؤمنين (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ[2]) فى عدم إضاعة أعمالهم ، والرأفة شِدَّة الرحمة وقَدَّم الأبلغ للفاصلة .

(قَدْ) للتحقيق (نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ) أى تَصَرُّف وجهك فى جهة السماء تَطَلُّعاً إلى الوَحْى ، وتَشَوُّقاً للأمر باستقبال الكعبة وكان يَوَد ذلك لأنها قِبْلة إبراهيم ولأنه أدْعَى إلى إسلام العرب (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) نُحَوِّلَنَّك (قِبْلَةً تَرْضَاهَا) تُحِبُّها (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) استقبل فى الصلاة ناحية المسجد الحرام أى الكعبة (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ) خطاباً للأمة / (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) فى الصلاة (شَطْرَهُ) (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى التَّوَلِّى إلى الكعبة (الْحَقُّ) الثابت (مِنْ رَبِّهِمْ) لِمَا فى كُتُبهم من نَعْت النبى صلى الله عليه وسلم من أنه يَتَحَوَّل إليها (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ[3]) [قرئت] بالتاء أى أيها المؤمنون من امتثال أمره ، وبالياء أى اليهود من إنكار القِبْلَة .

١٠٤٢ت

(وَلَئِنْ) لام قَسَم (أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ) على صِدْقِك فى أمر القِبْلَة (مَا تَبِعُوا) أى لم يَتَّبِعوا (قِبْلَتَكَ) عِناداً (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قَطْعٌ لِطَمَعِه فى إسلامهم وطَمَعِهِمْ فى عَوْدِه إليها (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) أى اليهودقبلة النصارى وبالعكس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعونك إليها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوَحْى (إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ[4]) أى إن اتَّبَعْتَهم فَرْضاً .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : تصوير ما ذُكِر من تحويل الرجال مكان النساء وتحويل النساء مكان الرجال أن الإمام يتحول من مكانه فى مُقَدَّم المسجد إلى مُؤَخَّره ، لأن من استقبل

---

(١) ذهب الفراء إلى إن « أن » واللام بمعنى ما وإلا ، والبصريون يقولون هى إن الثقيلة خففت . وقال الأخفش أى وإن كانت التولية لكبيرة (تفسير القرطبى جـ ٢ ص ١٥٧) .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ . (٣) سورة البقرة آية ١٤٤ . (٤) سورة البقرة آية ١٤٥ .

الكعبة بالمدينة فقد استدبر بيت المقدس ، وهو لو دار كما هو مكانه لم يكن خَلْفَه مكان يَسَع الصفوف ، فلما تَحَوَّل الإمام تحولت الرجال حتى صاروا خَلْفَه ، وتحولت النساء حتى صِرْنَ خلف الرجال . وهذا يستدعى عَمَلًا كثيرا فى الصلاة . ويُحْتَمَل أن ذلك وقع قبل تحريم العمل الكثير ، كما كان قبل تحريم الكلام ، ويحتمل أن يكون اغْتُفِر العمل المذكور لأجل المصلحة المذكورة ، أو لم يَتَوَالَ الخطأُ عند التحويل بل وقعت متفرقة .

الثانى : اختُلِف فى تاريخ تحويل القِبْلة ، فقال البَرَاء بن عازب كما عند البخارى[1] : كان على رأس ستة عَشَر أو سبعة عَشَر شهراً . وقال ابن عباس كما عند ابن إسحق[2] ، وأبى داود فى ناسخه سبعة عشر شهراً . وكذا قال عَمْرو بن عَوْف[3] كما عند البزار والطبرانى . وقال ابن عباس أيضاً كما عند ابن أبى شيبة وأبى داود فى ناسخه ، والطبرانى والزهرى كما عند البيهقى ، وسعيد بن المُسَيَّب كما عند الإمام مالك وأبى داود فيه ، وابن جرير وقتادة كما عند عَبْد بن حُمَيْد ، وابن المنذر «على رأس ستة عَشَر شهراً» . وقال أَنَس بن مالك كما عند البزار ، وابن جرير تسعة عشر شهراً . قال الحافظ : «فطريق الجمع بين رواية ستة عشر وسبعة عشر شهراً ، ورواية الشَّكّ فى ذلك : أن من جَزَم بستة عشر لَفَّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألْغَى[4] الأيام الزائدة ، ومن جزم بسبعة عشر عَدَّهُما معاً ، ومن شَكَّ تَرَدَّد / فى ذلك ، وذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الأول بلا خلاف وكان التحويل ١٠٤٣ت بعد الزوال فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور ، ورواه الحاكم بسَنَدٍ صحيح عن ابن عباس . وقول ابن حِبَّان : سبعة عَشَر شهراً وثلاثة أيام مَبْنِىٌّ على أن القدوم كان فى ثانى ربيع الأول ، وأسانيد رواية ثلاثة عشر وثمانية عشر وتسعة عشر شهراً ، وعشرة أشهر ، ورواية شهرين ، ورواية سنتَيْن هى أسانيد ضعيفة،

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١٧٧ ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) فى الأصل عمرو بن عبود والتصويب من الخزرجى (ص ٢٤٨) وشرح المواهب (ج ١ ص ٣٩٩) ، والراوى هو عمرو بن عوف الأنصارى حليف بنى عامر بن لؤى صحابى بدرى روى عنه المسور بن مخرمة .

(٤) فى الأصل «إلى» والتصويب من شرح المواهب (ج ١ ص ٤٠٠) .

والاعتماد على [الثلاثة[1]] الأول .

الثالث : اختُلِف فى أى شهر كان [تحويل القِبْلَة] . فقال محمد بن حبيب[2] : فى نصف شعبان ، وهو الذى ذكره النووى فى الروضة وأقَرَّه ، مع كونه رَجَّح فى شرحه على صحيح مسلم رواية ستة عشر شهراً لكونها مجزوماً بها عند مسلم[3] . ولا يستقيم[4] أن يكون ذلك فى شعبان إلا بإلغاء شَهْرَىْ القدوم والتحويل . وجَزَم [موسى] بن عُقْبَة بأن التحويل كان فى جمادى الآخرة[5] .

الرابع : اختُلِف فى أى صلاة كان التحويل ، ففى الصحيح[6] عن البَرَاء بن عازب أن أول صلاة صَلَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى صلاة العصر ، والأكثر على أنها صلاة الظهر . قال الحافظ : والتحقيق أن أوَّل صلاة صَلَّاها فى بنى سَلِمَة - بكسر اللام - الظهر ، وأوَّل صلاة صَلَّاها بالمسجد النبوى العصر ، وأما الصبح فهو لأهل قُبَاء .

الخامس : اختُلِف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وهو بمكة ، فروى ابن ماجه عن طريق أبى بكر بن عَيَّاش عن البَرَاء أنه قال : «صَلَّيْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً ، وصُرِفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة بشهرين» . وظاهره أنه كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس مَحْضاً . وحكى الزهرى خِلَافاً فى أنه جعل الكعبة خَلْفَ ظَهْره أو أنه جعلها بينه وبين بيت المقدس ، وعلى الأول فكان يجعل الميزاب خَلْفَه ، وعلى الثانى كان يَصَلِّى بين الرُّكْنَيْن اليمانِيَّيْن .

---

(1) إضافة من شرح المواهب (جـ ١ ص ٤٠٠) .

(2) هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية مولى بنى العباس توفى سنة ٢٤٥ هـ وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر أورد ابن النديم فى الفهرست (ص ١٥٥) ثبتا مطولا بمؤلفاته أكبرها كتاب القبائل والأيام الكبير ويقع فى نحو أربعين جزءاً فى كل جزء مائتا ورقة ، ومنها كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها نشره وستنفلد فى سنة ١٨٥٠ م وكتاب المحبر بالحاء المهملة والموحدة المشددة وهى مصحفة فى الفهرست بالخاء المعجمة وقد طبع فى حيدراباد سنة ١٣٦١ هـ ويشتمل على خلاصات تاريخية عن السيرة والخلفاء ، وهو الذى يشير إليه المؤلف .

(3) لم يجزم النووى بذلك فى شرحه على صحيح مسلم وإنما اكتفى بما أخرجه مسلم فى صحيحه من رواية البراء بن عازب التى نص فيها على ستة عشر شهراً (جـ ٥ ص ٩ : ١١) .

(4) هذا كلام الحافظ ابن حجر .

(5) أفاض الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٩٩ : ٤٠٦) فى تمحيص الروايات الخاصة بالتحديد الزمنى لتحويل القبلة .

(6) يقصد المؤلف صحيح البخارى والحديث فى جـ ١ ص ١٧٧ .

وزعم ناسٌ أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة ، فلما قَدِم المدينةَ استقبل بيت المقدس ، ثم نُسِخ . قال الحافظ : «وهذا ضعيف ويلزم منه دَعْوَى النَّسْخ مَرَّتَيْن ؛ والأول أَصَحّ لأنه يجمع بين القَوْلَيْن . وقد صَحَّحه الحاكم وغَيْرُه . وحَمَل أبو عُمَر هذا القول على الثاني ويؤيده [فى] حَمْلِه على ظاهره إمامةُ جبريل ، ففى بعض طُرُقه أن ذلك كان عند البيت . وروى ابن جرير وغيره بسَنَدٍ جَيِّد قَوِيّ عن ابن عباس قال : «لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس» إلى آخره / ، وظاهِرُه أن استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة ، لكن روى الإمام أحمد من وجه آخر عن ابن عباس قال : «كان النبى صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وهو بمكة نحو بيت المقْدس والكعبة بين يَدَيْه» . ورواه ابن سعد[1] أيضاً وسَنَدُه جَيِّد قَوِيّ والجمع بينهما ممكن بأن يكون أُمِر لما هاجر أن يستمر على الصلاة إلى بيت المقدس .

١٠٤٤ت

وقوله فى حديث ابن عباس الأول : «أمره الله» يَرُدّ قَوْلَ من قال : «إنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى إلى بيت المقدس باجتهاد» ، كما رواه ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . وعن أبى العالية أنه صَلَّى إلى بيت المقدس يَتَأَلَّف [بذلك] أَهْلَ الكتاب ، وهذا لا ينبغى إلا بتوقيف .

السادس : الذين ماتوا قَبْل فَرْض الصلاة وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس : بمكة من قريش[2] [١] عبد الله بن شهاب [٢] والمطلب بن أزهر ، الزُّهْرِيّان ، [٣] والسكران ابن عَمْرو العامرى . وبأرض الحبشة منهم : [٤] حَطَّاب بن الحارث الجُمَحِيّ - حَطَّاب بالحاء المهملة - [٥] وعمرو بن أمية الأسدى ، [٦] وعبد الله بن الحارث السهمى[3] ،

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦ وإسناده كما أورده ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس .

(٢) أورد الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٤٠٤) أسماء هؤلاء العشرة وقد وضعنا لهم أرقاما وراجعنا أسماءهم فى معجمات الصحابة .

(٣) يشترك فى هذا الاسم أربعة عشر رجلا ترجم لهم ابن الأثير فى أسد الغابة وليس فيهم من هو من بنى سهم سوى عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى وكان من مهاجرة الحبشة ولكنه لم يمت بها بل استشهد يوم الطائف وقيل استشهد يوم اليمامة (أسد الغابة ج ٣ ص ١٣٩) هذا ولم نعثر فى تراجم السهميين الذين ذكر ابن إسحق أسماءهم بين من هاجروا إلى الحبشة (ابن هشام ج ١ ص ٣٥٠ : ٣٥١) أحداً ممن مات بالحبشة منهم .

[٧] وعُرْوَة بن عبد العُزّى ، [٨] وعَدِىّ بن نَضْلة – بالنون والضاد المعجمة – العَدَوِيّان – ومن الأنصار بالمدينة : [٩] البَرَاء بن معرور – بمهملات – ، [١٠] وأسْعَد بن زُرَارة . فهؤلاء العَشَرة مُتَّفَق عليهم ، ومات فى المدة أيضا إياس بن مُعَاد الأشهلى لكنه مختلف فى إسلامه .

السابع : وقع فى رواية زهير بن معاوية فى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه فى صحيح البخارى وغيره : أنه مات على القبلة – أى قبلة بيت المقدس من قبل أن تُحوَّل [قِبَل البَيْت[١]] – رجالٌ قُتِلوا [فلم نَدْرِ مانقول فيهم[٢]] . قال الحافظ : « ذِكْرُ القتل لم أَرَه إلا فى رواية الزهرى وباقى الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط ، ولم أجد فى شىء من الأخبار أن أحداً من المسلمين قُتِل قبل تحويل القبلة ، لكن لايلزم من عدم الذكر عدم الوقوع ، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة فتُحْمَل على أن بعض المسلمين مِمَّن لم يشتهر قُتِل فى تلك المدة فى غير الجهاد ولم يُضْبط لقلة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك » . قال : « ثم وجدت فى التاريخ ذكر رجل اختُلِف فى إسلامه وهو سويد بن الصامت[٣] » فذكر ماتقدم فى بدء إسلام الأنصار . ثم قال الحافظ : « فيُحْتَمل أن يكون هو المراد » قال : وذكر لى بعض الفضلاء أنه يجوز أن يُرَاد من قُتِل بمكة من المُسْتَضْعَفِين كأبوى عَمَّار فقلت يحتاج إلى ثبوت أن / قتلهما بعد الإسراء ١٠٤٥ت

الثامن : فى بيان غريب ماسبق : « حِجَج » ، بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم الأولى وكسر الثانية [أى سنين] « قِبَل » البيت – بكسر القاف وفتح الموحدة – أى جهته . « مَعْرُور[٤] » بعين مهملة . « حانت » الصلاة دنا وَقْتُها .

---

(١) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ٢ ص ١٤٨) .

(٢) زيادة من شرح المواهب. وأضاف الزرقانى (جـ ١ ص ٤٠٥) : فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : «وما كان الله ليضيع إيمانكم» .

(٣) هو سويد بن الصامت بن خالد الأنصارى الأوسى من بنى عمرو بن عوف قدم مكة حاجاً أو معتمراً فتصدى له رسول الله ودعاه إلى الله عزوجل وإلى الإسلام فقال له سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان فقال رسول الله أعرضها على فعرضها عليه فقال إن هذا الكلام حسن والذى معى أفضل منه : قرآن أنزله الله على ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج فكان رجال من قومه يقولون إنا لنراه مات مسلماً (أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٧٨) .

(٤) معناها اللغوى كما ذكره إبن دريد فى الاشتقاق (ص ٤٦٤) : معرور مفعول من قولهم عره بشر يعره عرا إذا لطخه به وفلان يعره الناس أى ينتابونه .

جُمَّاع أبواب بَعْض أمُورٍ دارَتْ

بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَبَينَ الْيهُودِ والْمنافِقِينَ

ونُزُولِ صَدرٍ مِن سُورَةِ الْبَقَرةِ وَغيرِهِ مِنَ الْقرآنِ فى ذٰلكَ

الباب الأول

في أخذ الله سبحانه وتعالى العهد عليهم في كُتُبهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم ، إذا جاءهم ، واعتراف جماعة منهم بنُبُوَّتهِ ،
ثم كُفْر كثير منهم بَغْياً وعِنَاداً

فذكرت أحاديث كثيرة في أول الكتاب وأذكر ما لم أذكر هناك . قال الله سبحانه وتعالى «يا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ[1] » روى ابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية ، قال الله تعالى للأحبار من يهود : « اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » أي من بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه : « وأَوْفُوا بِعَهْدِي » الذي أخذت في أعناقكم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم «أُوفِ بِعَهْدِكُمْ[2] » يقول : أَرْضَ عنكم وأُدْخِلْكُم الجنة . وروى ابن جرير عن أبي العالية في الآية قال : يقول : « يا مَعْشَر أهل الكتاب ، آمِنُوا بما أنزلتُ على محمد مُصَدِّقاً لما معكم لأنهم يجدونه عندهم مكتوباً في التوراة والإنجيل ، ولاتكونوا أَوَّلَ كافر به ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ[3] » أي لاتخلطوا الصِّدْق بالكذب « وتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[4] » أي لاتكتموا الحَقَّ وأنتم قد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولُ الله . وروى عبْد بن حُمَيْد عن قتادة قال : «لاتلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون

---

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٢) أوف بعهدكم أي بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم وقال أبو العالية : عهده إلى عباده دين الإسلام وأن يتبعوه (تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٣) .

(٣) من الآية ٤٢ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٤٢ من سورة البقرة .

أن دين الله الإسلام ، وأن اليهودية والنصرانية بِدْعَة ليست من الله تعالى : « وتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون » أنه رسول الله « يَجدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَينْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لهمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ[1] » وروى / ١٠٤٦ت ابن جرير عن السُّدِّى فى قوله « وتَكْتُمُوا الحَقَّ » قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وَصَفَ الله محمداً فى التوراة ، أكحل العَيْن، رَبْعَة ، جَعْد الشَّعْر ، حَسَن الوجه ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَده أحبار يهود ، فغَيَّروا صِفَتَه فى كتابهم وقالوا : لانَجِد نَعْتَه عندنا ، وقالوا : نَجِد النبىَّ الأُمِّىَّ طويلاً أزرق سَبْط الشَّعَر ، وقالوا للسِّفْلَة : « ليس هذا نَعْت النبى الذى يُحَرِّم كذا وكذا » كما كتبوه ، وغَيَّروا نَعْتَ هذا كما وُصِف ، فلَبَّسوا بذلك على الناس . وإنما فعلوا ذلك لأن الأَحبار كانت لهم مأْكلة يُطْعِمهم إياها السِّفْلَة لقيامهم على التوراة ، فخافوا أن يُؤْمِنَ السِّفْلة فتقطع تلك المـأْكلة .

وروى البيهقى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله عنهم قالوا : « كانت العَرَب تَمُرّ باليهود فيؤذونهم ، وكانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم فى التوراة فيسأَلون الله تعالى أن يَبْعَثَه فيقاتلون معه العرب ، فلما جاءهم كفروا به حين لم يكن من بنى إسرائيل » . وروى ابن إسحق وابن جرير ، وابن المُنْذِر ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأبو نُعَيْم عنه من طُرُق ، وعَبْد بن حُمَيْد ، وابن جرير ، وأبو نُعَيْم عن قتادة : أن يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مُشْرِكى العرب من أَسَد وغَطَفان وجُهَيْنة وعُذْرَة يستفتحون يَدْعُون الله على الذين كفروا ويقولون : « «اللهمّ إنا نستنصر بِحَقّ محمد النبى الأُمِّىّ إلا نصرتَنا عليهم » ، فيُنْصَرُون . وكانوا يقولون : « اللهمّ ابْعَث النبىَّ الأُمِّىّ الذى نجده فى التوراة الذى وَعَدْتَنا أنك باعثُه فى آخر الزمان » . فلما جاءهم ماعَرَفُوا ، كفروا به حَسَداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عايه وسلم . فقال لهم مُعَاذ بن جَبَل ،

---

(١) من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

وبِشر بن البَرَاء أخو بنى سَلِمَة[1]: «يامعشر يهود اتَّقُوا الله وأَسْلِمُوا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أَهْلُ شِرْك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه [لنا] بصفته .

وروى ابن جرير ، وابن المُنْذِر عن ابن جُرَيْج عن بعض من أَسْلَم من أهل الكتاب ، قال : « والله لَنَحْنُ أَعْرَف برسول الله منا بأبنائنا من أجل الصِفَة والنَّعْت الذى نجده فى كتابنا ، أما أبناؤنا فلا نَدْرى ما أَحْدَث النساء » / وروى ابن إسحق ، والبيهقى ، ١٠٤٧ت وأبو نُعَيْم عن أُم المؤمنين صَفِيَّة بنت حُيَىّ رضى الله عنها أنها قالت : « لم يكن أَحَدٌ من وَلَد أَبِى وعَمِّى أَبِى ياسِر أَحَبَّ إليهما مِنِّى ، لم أَلْقَهُمَا قَطّ مع وَلَد لهما إلا أخذانى دونه . فلما قَدِم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قُبَاء قرية بنى عَمْرو بن عَوْف غَدَا إليه أَبِى ، حُيَىّ ابن أَخْطَب وعَمِّى أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسَيْن ، فوالله ماجاءانا إلا مع مَغِيب الشمس ، فجاءانا بأمر أَبِى كَبْشَة [كَالَّيْن كَسْلاَنَيْن[2]] ساقِطَيْن يمشيان الهُوَيْنَى فهَشِشْتُ إليهما كما كنت أَصْنَع ، فوالله مانَظَر إلىّ واحِدٌ منهما ، فَسَمِعْتُ عَمِّى أَبا ياسِر وهو يقول لأَبِى حُيِّى بن أَخْطَب : أَهُوَ هُوَ ؟ قال : نعم . قال : أَتَعْرِفُه بِنَعْتِه وصِفَتِه ؟ قال : نعم والله . قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيت » .

وذكر ابن عُقْبَة عن الزُّهْرِى قال : « إن أَبا ياسِر بن أَخْطَب حين قَدِم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينةَ ذهب إليه فَسَمِع منه وحادثه ثم رَجَع إلى قومه فقال : ياقَوْم اطيعونى فإن الله تعالى قد جاءكم بالذى تنتظرونه فَاتَّبِعُوه ولا تُخَالفوه . فانطلق أخوه حُيَىّ بن أَخْطَب ، وهو يومئذ سَيِّد يهود ، وهما من بنى النَّضِير ، فجلس إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسَمِع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مُطَاعاً . فقال : أَتَيْتُ من عند رجل والله لاأزال له عَدُوًّا . فقال له أخوه أبوياسر : يا ابن [أم] أَطِعْنِى فى هذا الأَمر واعْصِنِى فيما شئت بعد لأمهلك . فقال : والله لا أُطِيعُك . فاستحوذ عليه الشيطان ، وتَبِعَه قَوْمُه على رأْيه » .

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائد المسند عن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه ،

---

(١) فى الأصل : داود بن سلمة وليس فى أسد الغابة ولا فى الإصابة من يسمى بهذا الإسم ، والتصويب من ابن هشام حـ ٢ ص ١٧٣ .

(٢) زيادة من ابن هشام حـ ٢ ص ١٤٠ .

أنه قد جاء جَرْمَقَانِىّ[1] إلى أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-فقال : أَيْنَ صاحِبُكُم هذا الذى يَزْعُم أنه نَبِىّ ، لئن سَأَلْتُه لأَعلمنى نبىٌّ هو أو غير نبى . ثم قال الجَرْمَقَانِىّ : « هذا والله الذى جاء به موسى » ، الجَرْمَقَانِىّ بجيم مفتوحة فراء ساكنة فميم مفتوحة فقاف فألف فنون ، منسوب إلى الجرامقة . قال فى الصحاح : قَوْمٌ بالمَوْصِل أصلهم من العَجَم ، وقال غيره : وجرامقة الشام أنباطها .

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن حَبْراً من أحبار اليهود دخل على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فوافقه يقرأ سورة يوسف فقال : « يا محمد مَنْ عَلَّمَكَها ؟ » قال : « الله عز وجل عَلَّمَنِيها » ، فعَجِب الحَبْر لِمَا سمع / منه . فرجع إلى اليهود فقال : « إن محمداً ليقرأ القرآن ، كما أُنْزِل فى التوراة » . فانطلق جماعةٌ منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتَم النبوة بين كَتِفَيْه ، فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف ، فتعجبوا منه وأسلموا عند ذلك .

١٠٤٨ت

وذكر محمد بن عُمَر الأسلمى أن النُّعْمَان السَّبَئِىّ[2] وكان من أحبار يهود اليمن فلما سمعوا برسول الله-صلى الله عليه وسلم-قَدِم عليه فسأله عن أشياء ، ثم قال له : « إن أبى كان يَخْتِمُ على سِفْر ويقول : « لا تَقْرَأْهُ على يهود حتى تسمع بنبىٍّ قد خرج بيثرب ، فإذا سَمِعْتَ به فافْتَحْهُ » . قال النعمان : « فلما سمعتُ به فَتَحْتُ السِّفْر فإذا فيه صِفَتُكَ كما أَراكَ الساعة ، وإذا فيه ماتُحِلّ وماتُحَرِّم ، وإذا فيه أنك آخر الأنبياء ، وأُمَّتُكَ آخر الأُمَم ، واسمُكَ أحمد ، وأُمَّتُكَ قُرْبَانُهم دِمَاؤُهُمْ ، وأَنَاجِيلُهم صدُورُهم ، لايَحْضُرونَ قِتَالاً إلاوجبريل معهم ، وَيَتَحَنَّنُ اللهُ تعالى عليهم كَتَحَنُّنِ الطَّيْر على أَفْرَاخِهِ ، ثم قال لى : إذا سَمِعْتَ به فاخْرُج إليه وصَدِّقْهُ » . وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُحِبُّ أن يُسْمِعَ

(١) جرمقانى ضبطت فى القاموس المحيط واللسان : بضم كل من الجيم والميم ، كما وردت أيضاً بهذا الضبط فى المعرب للجواليقى (ص ٩٤) وهو مخالف لضبط المؤلف .

(٢) النعمان السبئى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى قومه قتله الأسود العنسى الذى تنبأ فى حركة الردة ، نقل هذا ابن الأثير فى أسد الغابة (حـ ٥ ص ٢٥) عن كتاب الردة للواقدى .

أصحابَه حديثَه . فأتاه يوماً فقال : « يا نُعْمان حَدِّثْنا » ، فابتدأ الحديث من أوَّلِه ، فرأى رسولَ الله ـصلى الله عليه وسلم ـيبتسم ، ثم قال : « أشهد أنى رسولُ الله » . ويُقال إن النعمان هذا هو الذى قتله الأسود العَنْسِىّ الكَذَّاب وقَطَّعَه عضواً عضواً ، والنعمان يقول : « أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله ، وأنك كَذَّاب مُفْتَرٍ على الله عز وجل » . ثم حَرَّقه بالنار ، والآثار فى هذا كثيرة لا تُحْصَى .

الباب الثانى

فى إسلام عبد الله بن سَلَام بن الحارث أَبى يُوسُف[1]

وهو من ذرية سيدنا يوسف الصِّدِّيق عليه السلام حليف القواقل من الخزرج ، الإسرائيلى ثم الأنصارى رضى الله عنه . كان اسمه الحُصَيْن فَغَيَّره النبى –صلى الله عليه وسلم– وكان عالِم أهل الكتاب ،وكان إسلامه فى اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أَبى أَيوب أول ماقدِم ، كما فى رواية عبدالعزيز بن صُهَيْب عند البيهقى . وروى ابن إسحق عن رجل من آل عبد الله بن سَلَام رضى الله عنه قال : « لما قَدِم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–نزل بقباء فى بنى عَمْرو بن عَوْف . فأَقبل رجل حتى أَخبر بقدومه .. » الحديث . وفيه : « فخرجتُ إلى رسول الله/ صلى الله عليه وسلم– فأَسلمت ورجعت إلى أهل بيتى . قال الحافظ عماد الدين بن كثير[2] : « فَلَعَلَّه رآه أول ما رآه بقُبَاء واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النَّجَّار والله أَعلم » .

١٠٤٩ت

وروى البخارى والبيهقى عن أَنَس ، وابن إسحق عن رجل من آل عبد الله بن سَلَام ، والإمام أَحمد ، ويعقوب بن سفيان عن عبد الله بن سَلَام ، والبيهقى عن موسى بن عُقْبَة وعن ابن شهاب ، قال : لما سَمِعْتُ برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعرفت صفته واسمه وهيئته [وزمانه] الذى كنا نَتَوكَّفُ له[3] ، فكنت مُسِرًّا بذلك صامتاً عليه حتى قَدِم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المدينة ، فلما قَدِمنزل بقباء فى بنى عَمْرو بن عوف ، فأَقبل

---

(١) قصة إسلامة فى سيرة ابن هشام (حـ٢ ص١٣٨و١٣٩) وشرح السهيلى (حـ ٢ ص ٢٥ و ٢٦) والبداية والنهاية (حـ ٣ ص ٢١٠ : ٢١٢) وأخرج البخارى فى صحيحه (حـ ٥ ص ١١٩ : ١٢٠) ثلاثة أحاديث فى مناقبه ، وترجم له ابن الأثير فى أسد الغابة (حـ ٣ ص ١٧٦ : ١٧٧) وابن حجر فى الإصابة (حـ ٤ ص ٨٠ : ٨١ رقم ٤٧١٦) وقد نافح عن عثمان يوم الدار وتوفى بالمدينة سنة ٤٣ هـ .

(٢) فى البداية والنهاية (حـ ٣ ص ٢١٠) .

(٣) فى الأصل نتوقع والتصويب من ابن هشام وابن كثير ، وتوكف الخبر انتظر وكفه أى وقوعه . قاله فى النهاية (حـ ٤ ص ٢٢٨) .

رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعَمَّتِي خالدة بنت الحارث تحتى جالسة . فلما سَمِعْتُ الخَبَر بقدوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَبَّرْتُ . فقالت عَمَّتِي حين سمعت تكبيرى : « لو كُنْتَ سمعت بموسى بن عمران ما زدْتَ » . قلت لها : « أى عَمَّة وهو ، الله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعِث بما بُعِث به » . فقالت له : « يا ابن أخى ، أهو النبي الذى كُنَّا نُخْبَر أنه يُبْعَث مع نَفَس[1] الساعة ؟ » قلت لها : « نعم » . قالت : « فذاك إذًا » . قال : « فخرجت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما تَبَيَّنْتُ وَجْهَه عرفت أنه ليس بوجه كَذَّاب ، فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام ، وأَطْعِمُوا الطعام ، وصِلُوا الأَرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »

[وعند البيهقى عن أنس قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتى النبى[2]] فقال : « إنى سائلك[3] عن خلال لا يعلمهن إلا نبى : ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ وماهذا السواد الذى فى القمر ؟ قال : «أخبرنى بِهِنَّ جبريل آنفاً . قال : « جبريل » ؟ قال : «نعم» . قال « عدو اليهود من الملائكة » . « [ثم قرأ[4] : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ[5])] قال : « أما أول أشراط الساعة : فَنَارٌ تخرج على الناس من المَشْرِق [تسوقهم[4]] إلى المَغْرِب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد حوت ، وأما الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، وأما السواد الذى فى القمر : فإنهما كانا شَمْسَيْن. قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ[6]) فالسواد الذى رأيت هو المَحْو » . فقال : « أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسولُ الله » . ثم رجع إلى أهل بيته فأمرهم فأسلموا وكتم إسلامه . ثم خرج إلى رسول الله ـ صلى الله / عليه وسلم ـ فقال : « يارسول ١٠٥٠ت

---

(١) فى النهاية (ح ٤ ص ١٦٤) : بعثت فى نفس الساعة أى بعثت وقد حان قيامها وقرب إلا أن الله أخرها قليلا فبعثى فى ذلك النفس ، فأطلق النفس على القرب .

(٢) زيادة من البداية والنهاية (ح ٣ ص ٢١١) .

(٣) فى الأصل : إنى سائلك عن ثلاث وفى لفظ خلال ، وعدتها أربع وليست بثلاث .

(٤) زيادة من البداية والنهاية (ح ٣ ص ٢١١) .

(٥) من الآية ٩٧ من سورة البقرة .

(٦) من الآية الثانية عشرة من سورة الإسراء .

الله ، إن اليهود قدعلمت أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، وأنهم قوم بُهْت ، وأنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بَهَتُونِى ، وقالوا فِىَّ ما ليس فِىَّ ، فأُحب أن تُدْخِلَنِى بعض بيوتك» . فأدخله رسول الله بعض بيوته ، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال : « يا معشر يهود يا ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله قد جئتكم بالحق فأَسْلِموا » . فقالوا : ما نعلمه . فقال : « أى رجل فيكم الحُصَيْن ابن سَلَام ؟ » قالوا : « خَيْرُنا وابنُ خَيْرِنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا » . فقال : « أرأيتم إن أسلم » قالوا : « أعاذه الله من ذلك » . فقال : « يا ابن سَلَام اخْرُج إليهم » فخرج عبد الله فقال : « أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لَرَسُولُ الله حقاً ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة : اسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله وأومِن به وأُصَدِّقُه وأَعْرِفُه . قالوا : « كَذَبْتَ أنت شَرُّنا وابنُ شَرِّنا » ، وانتقصوه . قال : « هذا الذى كنتُ أخاف يا رسول الله ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ أنهم قَوْمٌ بُهْت ، أَهْلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفجور ؟ » قال : « وأَظْهَرْتُ إسلامى وإسلامَ أهل بيتى ، وأَسْلَمت عَمَّتى خالدة بنت الحارث وحَسُنَ إسلامُها » .

[بيان غريب ما سبق[1]]

« نَفَس الساعة » بفتح النون والفاء ، أى بُعِثْتُ وقد حان وقت قيامها وقَرب ، إلا أن الله أخَّرها قليلاً ، فبَعَثَنِى فى ذلك النَّفَس ، فأطلق النَّفَس على القُرْب . وقيل معناه : أنه جَعَل للساعة نَفَساً كَنَفَس الإنسان ، أراد : أنى بُعِثْتُ فى وقتٍ قريب مِنها أُحِسُّ فيه بنَفَسها كما يُحَسُّ بنَفَس الإنسان إذا قَرُب [المرءُ] منه . يعنى بُعِثْتُ فى وقتٍ بانت أشراطُها فيه وظهرت علاماتها [2] . « نَزَع » إلى أبيه فى الشَّبَه أى ذَهَبَ . « بُهْت » : جَمْع بَهُوت من بناء المبالغة فى البُهْت مثل صَبُور وصُبُر ، ثم سُكِّن تخفيفاً ، والبُهْت الكذب [والافتراء [3]] .

(١) زيادة عن الأصل جرياً على عادة المؤلف فى شرح غريب ما يذكره .

(٢) هذا الشرح نقله المؤلف عن النهاية (حـ ٤ ص ١٦٤) وقد أوردنا جانباً منه فى حاشية سابقة . وأضاف ابن الأثير : ويروى فى نسم الساعة ، وعنده (حـ ٤ ص ١٤١) أن النسم أول هبوب الريح الضعيفة أى بعثت فى أول أشراط الساعة وضعف مجيئها ، وقيل هو جمع نسمة أى بعثت فى ذوى أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة كأنه قال فى آخر النشو من بنى آدم . .

(٣) زيادة من النهاية غير أن كلمة بهت لا تعنى فحسب الكذب أو الافتراء بل الباطل الذى يتحير من بطلانه كما نص على ذلك الفيروزابادى فى القاموس ، وابن الأثير فى النهاية . كما تفيد أيضاً الحيرة والانقطاع .

الباب الثالث

فى موادعته صلى الله عليه وسَلَّم اليهود ، وكَتْبِه بينه وبينهم كتاباً بذلك ، ونَصْبِهم العداوة له ولأصحابه حَسَدًا وعدوانًا ، ونَقْضِهم للعَهْد

قال ابن إسحق[1] : « وكتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كتاباً بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيه يهود وعاهدهم وأَقَرَّهم على دينهم وأموالهم واشترط / عليهم وشرط لهم » . ١٠٥١ت
أى لَمَّا امتنعوا من اتباعه ، وذلك قبل الإذن بالقتال وأَخْذ الجزية مِمَّن أَبَى الإسلام ، وذكر ابن إسحق نسخة الكتاب وهو نحو ورقتَيْن[2] بغير إسناد ، ورواه أَبو عُبَيْد[3] فى كتاب الأموال[4] بسَنَد جَيِّد عن الزُهرى ، ولعلِّ أَذكره فى أبواب مكاتباته — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ١١٩) .

(٢) من ص ١١٩ إلى ص ١٢٣ من الجزء الثانى من سيرة ابن هشام .

(٣) هو أبوعبيد القاسم بن سلام اللغوى الفقيه الأديب . أورد ابن النديم فى الفهرست (ص١٠٦) ثبتاً بمؤلفاته . وحبذا لونشر غريب المصنف وغريب الحديث . توفى بمكة سنة ٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ فى خلافة المعتصم . ترجم له ابن خلكان (جـ ١ ص ٤١٨ : ٤١٩) والقفطى فى إنباه الرواة (جـ ٣ ص ١٢ : ٢٣) كما ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (جـ ١٢ ص ٤٠٣ : ٤١٦ رقم ٦٨٦٨) والتاج السبكى فى طبقات الشافعية (جـ ١ ص ٢٧٠ : ٢٧٤) .

(٤) فى النسخة المطبوعة من كتاب الأموال التى نشرها المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى فى القاهرة ١٣٥٣ هـ يستغرق نص هذا الكتاب بين المهاجرين والأنصار واليهود الصفحات من ص ٢٠٢ إلى ٢٠٦ وقد راجعناه على ما أورده محمد بن إسحق فى سيرة ابن هشام وابن كثير فى البداية والنهاية (حـ ٣ ص ٢٢٤ : ٢٢٦) وحقق النص بالرجوع إلى مصادر مختلفة محمد حميد الله الحيدر ابادى فى كتابه : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة (القاهرة سنة ١٩٤١م ص ١ : ٧) وقد رقم ما جاء فيه إلى مواد بلغت عدتها ٤٧ مادة وتوجد بعض الاختلافات والزوائد بين هذه النصوص فضلا عن أخطاء غير قليلة فيما جاء فى البداية والنهاية طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .

ونورد فى هذه الحاشية نص هذه الوثيقة الهامة التى هى أولى وثائق التاريخ الإسلامى كما أوردها باسنادها أبوعبيد القاسم ابن سلام الذىاعتمد عليه حميد الله إلى حد كبير فى تحقيق نصها كما يتضح من الحواشى التى ذيل بها النص .

قال أبوعبيد : حدثنى يحي بن عبدالله بن بكير ، وعبدالله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد قال : حدثنى عقيل ابن خالد عن ابن شهاب (الزهرى) أنه قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب :

« هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم ، فحل =

وروى ابن عائذ عن عَرْوَة بن الزبير : أن أول من أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من اليهود أبوياسر بن أخطب أخو حُيَيّ بن أخطب ، فسَمِع منه ، فلما رجع قال لقومه:

= معهم وجاهد معهم : إنهم أمة واحدة دون الناس : المهاجرون من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين ، وبنوعوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين — ثم ذكر هذا الشرط لكل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار وهم : بنو الحاوث بن الخزرج ، وبنو ساعدة ، وبنوجشم ، وبنو النجار ، وبنو عمرو بن عوف ، وبنو النبيت ، وبنو الأوس إلى أن قال : — وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا (أى مثقلا بالدين) منهم أن يعينوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة [أى عطية] ظلم أو إثما أو عدوانا أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعه ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن سلم المؤمنين واحد ولا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضاً ، وأن المؤمنين يبىء [أى يكف] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله [هذه المادة فى ابن هشام وليست فى كتاب الأموال] ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتبط مؤمناً قتلا [عن بينة] فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول بالعقل وأن المؤمنين عليه كافة [ولا يحل لهم إلا قيام عليه] ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، فمن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل ، وأنكم ما اختلفتم فيه من شىء فإن حكمه إلى الله والرسول ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف ومواليهم وأنفسهم أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم إلامن ظلم أو أثم فإنه لايوتغ إلانفسه وأهل بيته وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف — وكذلك ليهود كل من بنى الحارث وبنى جشم وبنى ساعدة والأوس — وإنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد [وأنه لا ينحجز على ثأر جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم] وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة [وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأثم أمرؤ بحليفه] وإن النصر للمظلوم وإن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة [وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلابإذن أهلها] وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث [أو اشتجار] يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله [وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره] وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم فإنهم يصالحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين وعلى كل أناس حصتهم من النفقة وإن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم [على مثل ما لأهل هذه الصحيفة] مع البر المحسن [وعند حميد الله : مع البر المحض] من أهل هذه الصحيفة ، وإن بنى الشطبة بطن من جفنة وإن البر دون الإثم فلا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره [وأنه] لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن [بالمدينة] إلا من ظلم وأثم وأن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن . [عند حميد الله بدلا من الجملة الأخيرة : وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم] » .

قال أبو عبيد : قوله بنو فلان على رباعتهم : الرباعة هى المعاقل وقد يقال فلان على رباعة قومه إذا كان المتقلد لأمورهم والوافد على الأمراء فيما ينوبهم . وقوله : إن المؤمنين لايتركون مفرحا فى فداء أو عقل ، المفرح : المثقل بالدين . يقول: فعليهم أن يعينوه إن كان أسيراً فك من إساره وإن كان جنى جناية خطأ عقلوا عنه . وقوله : ولا يجير مشرك مالا لقريش ، يعنى اليهود الذين كان وادعهم يقول فليس من موادعتهم أن يجيروا أموال أعدائه ولا يعينوهم عليه . وقوله من اعتبط مؤمناً قتلا فهو قود . الاعتباط أن يقتله بريئاً محرم الدم . وأصل الاعتباط فى الإبل أن تنحر بلا داء يكون بها . وقوله إلا أن يرضى أولياء المقتول بالعقل فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم الخيار فى القود أو الدية إلى أولياء القتيل . وهذا مثل حديثه الآخر : =

« أطيعونى فإن هذا هو النبي الذى كُنَّا ننتظره » فعصاه أخوه ، وكان مطاعاً فيهم ، فاستحوذ عليهم الشيطان فأطاعوه .

وروى أبو سعيد النيسابورى فى الشرف عن سعيد بن جبير قال : « جاء ميمون بن يامين ، وكان رأس يهود ، إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « يا رسول الله ابعَثْ إليهم واجعلنى حَكَماً بينهم فإنهم يرجعون لى » فأدخله داخلاً ، ثم أرسل إليهم ، فأتَوْه ، فخاطبوه ، فقال : « اختاروا رجلاً يكون حَكَماً بينى وبينكم » . قالوا : « قد رَضِينا ميمون ابن يامين » . فلما خرج إليهم قال : « أشهد أنه رسول الله » . فأبَوْا أن يُصَدِّقوه . وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لو آمن بى عَشَرة من أحبار يهود لآمن بى كل يهودى على وجه الأرض » .

وروى ابن أبى حاتم وأبوسعيد النيسابورى وزاد فى آخره قال : « وقال كعبٌ : اثنى

« ومن قتل له قتيل فهو بأحدالنظرين إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية » . وهذا يرد قول من يقول : ليس للولى فى العمد أن يأخذ الدية إلا بطيب نفس من القاتل ومصالحة منه له عليها . وقوله : ولا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً أو يؤويه : المحدث : كل من أتى حدا من حدود الله فليس لأحد منعه من إقامة الحد عليه . وهذا شبيه بقوله الآخر : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره . وقوله لا يقبل منه صرف ولا عدل : الصرف التوبة والعدل الفدية . قال أبو عبيد : وهذا أحب إلى من قول من يقول الصرف الفريضة والعدل النافلة لقول الله تبارك وتعالى : « ولا يؤخذ منها عدل » فكل شيء فدى به شيء فهو عدله : وقوله : وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، فهذه النفقة فى الحرب خاصة فقد شرط عليهم المعاونة على عدوه ونرى أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذى شرطه عليهم من النفقة . ولولا هذا لم يكن لهم فى غنائم المسلمين سهم . وقال أبو عبيد : وقوله : وإن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين ، إنما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم إياهم على عدوهم بالنفقة التى شرطها عليهم . فأما الدين فليسوا منه فى شيء ألا تراه قد بين ذلك فقال : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . وقوله : ولا يوتغ إلا نفسه أى لا يهلك غيرها . يقال : قد وتغ الرجل وتغاً إذ وتغ فى أمر يهلكه ، وقد أوتغه غيره .

[قال أبو عبيد] : وإنما كان هذا الكتاب — فيما نرى — حدثان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب . وكانوا ثلاث فرق : بنو قينقاع وكانوا حلفاء عبد الله بن أبى [بن سلول] . فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة . ثم بنو النضير ثم بنو قريظة . فكان من إجلائه أولئك وقتله هؤلاء ما قد ذكرناه فى كتابنا هذا . (انتهى ما ذكره أبو عبيد فى شرح كتاب الموادعة) .

هذا وما أوردناه بين معقفين هو من رواية ابن إسحق إلا إذا ذكرنا أنه من تحقيق حميد الله للنص . وقد ذكر ابن كثير فى ختام ما نقله عن ابن إسحق أن أبا عبيد القاسم بن سلام تكلم عليه فى كتاب الغريب وغيره بما يطول . ولعله يقصد كتاب غريب الحديث . هذا وقد ترجم بعض المستشرقين نص كتاب الموادعة فى مؤلفاتهم ولكنهم أخطأوا فى ترجمة كلمة حرمة التى وردت فى النص : لاتجار حرمة بغير إذن أهلها أو وليها . كما صنع موير فى حياة محمد (أدنبرة سنة ١٩٢٤ م ص ١٨٤) وتلاه مونتجومرى واط فى كتابه محمد فى المدينة (أكسفورد سنة ١٩٥٦ م ص ٢٢٤) إذ ترجماها : أنثى أو امرأة مع أن حرمة هنا هو كما فسرها ابن الأثير فى النهاية (جـ ١ ص ٢٢٠) . ما لا يحل انتهاكه .

عشر»، وتصديق ذلك فى [سورة [المائدة :(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عشَر نَقِيباً[1]) قال الحافظ : فعلى هذا فالمُراد عشرة مختصة ، وإلاَّ فقد آمن به صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة ، وقيل المعنى : «لو آمن فى الزمان الماضى كالزمن الذى قبل قدوم النبى – صلى الله عليه وسلم – المدينة أو حال قدومه . » قال الحافظ : «والذى يظهر أنهم [وهم] الذين كانوا حينئذ رؤساء فى يهود ، ومن عداهم كان تَبَعاً لهم ، فلم يُسْلِم منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام ، وكان من المشهورين بالرياسة فى يهود [بنى قينقاع] عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . ومن بنى النَّضير : أَبو ياسر – بتحتية وسين فراء مهملتين – ابن أَخْطَبْ – بخاء مجعمة فطاء مهملة فمُوحَّدة – وأخوه حُيَىّ ابن أخطب ، وكعب بن الأَشرف وأَبو رافع

١٠٥٢ت سلام بن الربيع بن أَبى الحُقَيْق[2] – بقافين مُصَغَّر . ومن بنى قَيْنُقَاع : سعد بن حُنَيْف ،[3] وفِنْحَاص – بفاء مكسورة فنون ساكنة فحاء مهملة فألف فصاد مهملة – ورفاعة بن زيد [ابن التابوت][4] . ومن بنى قُرَيْظَة : الزَّبِير – بفتح الزاى – ابن بَاطَى[5] [بن وَهْب] ، وكعب بن أسد[6] [وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الأَحزاب][7] وشمويل ابن زيد ، فهؤلاء لم يثبت أحد منهم ، وكان كل منهم رئيساً فى اليهود ، لو أَسْلم لتَبِعه جماعة ، فيحتمل أن يكونوا المراد . وروى أَبو نُعَيْم فى الدلائل من وجه آخر عن أَبى هريرة رضى الله عنه بلفظ :«لو آمن بى الزَّبِير بن بَاطَى وذووه من رؤساء لأَسلموا كلهم . » وأَغرب السهيلى فقال : لم يُسْلِم من أَحبار اليهود إلاَّ اثنان : عبد الله بن سَلَام ، وعبد الله ابن صورى . قال الحافظ : كذا قال ، ولم أَرَ لعبد الله بن صورى إسلاماً من طريق صحيحة ، فإنما نسبه السهيلى فى موضع آخر لتفسير النَّقَّاش .

---

(١) من الآية ١٢ من سورة المائدة .

(٢) فى الأصل رافع ابن أبى الحقيق . وفى ابن هشام (جـ ٢ ص ١٣٦) ذكر ابن إسحق من بنى النضير اليهود الذين كانوا يحقدون على النبى : كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وأخاه سلام . قال ابن إسحق وهو أبو رافع الأعور الذى قتله أصحاب رسول الله بخيبر ، وهذا الأخير هو الذى يقصده المؤلف .

(٣) فى الأصل : عبد الله بن حنيف وليس بين يهود بنى قينقاع سوى : سعد بن حنيف وعبد الله بن صيف ممن تقارب أسماؤهم ما ذكره المؤلف .

(٤) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٣٧) .

(٥) فى الأصل باطا وكتبناها بالياء كما فى القاموس المحيط .

(٦) فى الأصل كعب بن أسعد والتصويب من ابن هشام .

(٧) زيادة من ابن هشام .

قال ابن إسحق: «ونصَبَت بعد ذلك أحبار يهود لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - العداوةَ بَغْياً وحَسَداً وضِغْنًا لما خَصَّ الله تعالى به العرب من اصطفاء رسوله منهم. وكانت أحبار يهود، هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم وَيَتَعَنَّتُونَه ويأْتونه باللَّبْس لِيَلْبِسوا الحَقَّ بالباطل، وكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه، إلا قليلاً من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها».

وذكر ابن إسحق وغيره أسماء اليهود، ولا حاجة بى هنا إلى ذكرهم، بل من جاء ذِكْرُه فى كتابى تكلمت عليه، وكانوا ثلاث قبائل: قَيْنُقاع - بفتح القاف وتثليث النون وبالعين المهملة، ويجوز صَرْفُه على إرادة الحَىّ وتَرْك صَرْفِه على إرادة القبيلة أو الطائفة - وهم الوسط من يهود المدينة. وإذا قلت: بنو قينقاع فالوجه الصَّرْف، وقُرَيْظَة - بقاف مضمومة فظاء معجمة مشَالة، وهو أخو النضير والوسط من يهود المدينة، والنَّضِير - بضاد معجمة ساقطة وزن كريم. وحاربته الثلاثة، ونقضوا العهد الذى بينه وبينهم، فَمَنَّ على بنى قينقاع، وأَجلى بنى النضير، وقتل بنى قُرَيْظة، وسَبَى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير، وسورة الأَحزاب فى بنى قُرَيْظَة، وسيأْتى بيان ذلك مُفَصَّلاً فى المغازى إن شاء الله تعالى.

الباب الرابع

فى سؤال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح

١٠٥٣ت روى الإمام أحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن جرير وابن / المُنْذِر وغيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « كنتُ أمشى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى حَرْث المدينة – وفى لفظ حرث الأنصار وفى لفظ فى نخل – وهو مُتَوَكِّىء على عَسيب – وفى لفظ ومعه جريدة – إذ مَرَّ اليهود – وفى لفظ إذ مَرَّ بنَفَرٍ من اليهود – فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه ، لا يُسْمِعكم ما تكْرَهون – وفى لفظ لا يستقبلكم بشىء تكرهونه – فقال بعضهم لبعض : لنسألَنَّهْ ، فقام إليه رجل – وفى لفظ : فقاموا إليه فقالوا : « يا محمد » – وفى لفظ « يا أبا القاسم ما الروح ؟ » – وفى لفظ : « فأَخْبِرْنَا عن الروح ، كيف تُعَذَّب الروح الذى فى الجَسَد ؟ وإنما الروح من الله عزَّ وجَلَّ » فسكَت – وفى لفظ : فما زال مُتَّكِئًا على العسيب ، فعلمت أنه يُوحَى إليه ، فتأخرت[1] فلما نزل الوحى قال : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمِرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً[2]) . وفى رواية عند ابن جرير بسَنَدٍ رجالُه ثِقات عن مغيرة[3] عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه : فقالوا : « هكذا نجده فى كتابنا . فقال بعضهم لبعض : « قد قلنا لكم : لا تسألوه » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : دَلَّ حديث ابن مسعود على أن نزول هذه الآية كان بالمدينة

وروى الإمام أحمد والترمذى وصَحَّحَه ، والنسائى وابن حِبَّان عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود : اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فنزلت :

---

(١) فى رواية : نقمت مقامى .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٣) إسناد الحديث عن الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود .

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) . قالوا : « أوتينا عِلْما كثيراً . أوتينا التوراة ، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً » . فأنزل الله عز وجل (قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[1] سَنَد رجاله رجال صحيح مسلم ، ورواه ابن إسحق من وجه آخر نحوه ، وسبق فى باب امتحان المشركين رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأشياء لا يعرفها إلا نبي .

وروى ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) ، فلما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا : يا محمد ، بلغنا أنك تقول : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) أَفَعَنَيْتَنَا أم عَنَيْتَ قَوْمَك ؟ قال : « لا بل عَنَيْتُكُم » . فقالوا : « إنك تتلو / أنّا أوتينا التوراة وفيها تِبْيَان كل شىء » . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عَمِلْتُم به انتفعتم » ، وأنزل الله عز وجل : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالبَحرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[2]) . ودَلَّ حديث ابن مسعود ، وأثر عطاء أن الآية نزلت بمكة ، وجُمِع بينهما وبين حديث ابن مسعود رضى الله عنه بتعدد النزول ، ويُحْمَل سكوته فى المرة الثانية على توقع مزيد بيان فى ذلك إن ساغ ذلك ، وإلا فما فى الصحيح أَصَحّ . وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى الإتقان[3] : « إذا استوى الإسنادان فى الصحة فيرجح أحدهما بكون [راويه[4]] حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات » ، ثم ذكر [مثالاً له[4]] حديث ابن مسعود وحديث ابن عباس المذكورين .

١٠٥٤ت

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ .
(٢) سورة لقمان آية ٢٧ و ٢٨ .
(٣) (جـ١ ص ٣٢ : ٣٣)
(٤) زيادة من الإتقان .

ثم قال : « فهذا - أى حديث ابن عباس - يقتضى أن الآية نزلت بمكة ، والحديث الأول خلافه . وقد رجح أن ما رواه البخارى[1] أصح من غيره ، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة .

الثانى : قال أبو نعيم : « قيل من علامات نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فى الكتب المُنَزَّلَة أنه إذا سُئِل عن الروح ، فَوَّض العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها ، وأمسك عما خاضت فيه الفلاسفة وأهل المنطق القائلون بالحَدْس والتخمين ، فامتحنه اليهود بالسؤال عنها ليقفوا منه على نعته المُثْبَت عندهم فى كتابهم ، فوافق كتابه ماثبت فى كتبهم »

الثالث : قال ابن التين : « اختُلِف فى الروح المسئول عنها فى هذا الخبر على أقوال : الأول : روح الإنسان ، الثانى : روح الحيوان . الثالث: جبريل . الرابع : عيسى . الخامس : القرآن . السادس : الوحى . السابع : ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة . الثامن : ملك له سبعون ألف وجه[2] لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة[3] يُسَبِّح الله تعالى [بتلك اللغات كلها] ويخلق الله سبحانه وتعالى من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة ، وقيل ملك رجلاه فى الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش . التاسع : خَلْق كَخَلْقِ بنى آدم يأكلون ويشربون ، لا يَنْزِلُ مَلَكٌ من السماء إلا نزل معه مَلَكٌ منهم . وقيل هو صِنْفٌ من الملائكة يأكلون ويشربون » . قال الحافظ : « وهذا إنما يُجْمَع من كلام أهل التفسير فى معنى لفظ « الروح » الوارد فى القرآن لا خصوص هذه الآية ، فَمَنْ الذى فى القرآن : [١] (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ[4]) ، [٢] (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا - / إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ ١٠٥٥ت

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى كتاب التفسير (حـ٦ ص١٦٢) وإسناده : حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود . ويفهم منه أن سؤال اليهود عن الروح وقع فى المدينة . وفى بيان المكى والمدنى فى الإتقان قال السيوطى (حـ١ ص١٥) استثنى من سورة الإسراء المكية «ويسألونك عن الروح» لما أخرج البخارى عن ابن مسعود ، أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الروح .

(٢) فى الأصل ١١,٠٠٠ والتصويب من الحديث الذى أخرجه ابن جرير عن على بن أبى طالب (تفسير ابن كثير حـ٣ ص ٦١) .

(٣) فى الأصل ألف ألف لغة والتصويب من تفسير ابن كثير . وفى تفسير القرطبى (حـ ١٠ ص ٣٢٤) رواية عطاء عن ابن عباس : الروح ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة .

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٣ .

أَمْرِنَا[1]) ، [٣] (يُلْقِى الرُّوحَ مِنَ أَمْرِهِ[2]) ، [٤] (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ[3]) ، [٥] (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلَائِكَةُ صَفًّا[4]) ، [٦] (يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ[5]) ؟ فالأول : جبريل ، والثانى القرآن ، والثالث الوَحْى ، والرابع القوة ، والخامس والسادس مُحْتَمِل لجبريل أو غيره ، ووقع إطلاق الروح على عيسى .

وروى إسحق بن راهويه بِسَنَدٍ صحيح عن ابن عباس قال : « الروح من الله ، وخَلْقٌ من خَلْقِ الله ، وصُوَر كبنى آدم ، لا يَنْزِل مَلَكٌ إلا ومعه أَحَدٌ من الروح » . وقال الخَطَّابى : « حَكَوْا فى المراد بالروح فى الآية أقوالاً ، وقال الأكثرون : سألوه عن الروح التى تكون بها الحياة فى الجَسَد . وقال أهل النظر : « سألوه عن مسلك الروح وامتزاجها بالجَسَد ، وهذا هو الذى استأثر اللهُ بعِلْمِه . وقال القرطبى : « الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان ؛ لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ، ولا نجهل أن جبريل مَلَك وأن الملائكة أرواح » . وقال الإمام فخر الدين[6] : « المختار أنهم سألوه عن الروح الذى هو سبب الحياة ، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه ، وبيانه : أن السؤال عن الروح يحتمل [أن يكون] عن ماهيَّتِها ، وهل هى مُتَحيِّزَة أم لا ، وهل هى حَالَّة فى مُتَحَيِّز أم لا ، وهل هى قديمة أو حادثة ، وهل تَبْقَى بعد انفصالها من الجسد أو تَفْنَى ، وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من تَعَلُّقَاتِها ؟ » قال : « وليس فى السؤال ما يُخَصِّص أحد هذه المعانى إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهيَّة ، وهل الروح قديمة أو حادثة ؟ والجواب يَدُلُّ على أنها شىء موجود مغاير للطبائع والأخلاط وتركيبها ، فهى جوهر بسيط مُجَرَّد لا يَحْدُث إلا بمُحْدِث ، وهو قوله تعالى : « كن فكان » . قال : هى موجودة مُحْدَثَة بأمر الله عزوجل ، وتكوينه ، ولها تأثير فى إفادة الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نَفْيُها .

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) سورة غافر آية ١٥ .

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢ .

(٤) سورة النبأ آية ٣٨ .

(٥) سورة النحل آية ٢ .

(٦) يقصد المؤلف الإمام فخر الدين الرازى المعروف بابن الخطيب (٥٤٤ هـ - ٦٠٦ هـ) .

الرابع : تَنَطَّع قوم « فتباينت أقوالهم فى الروح ، فقيل هى النَّفَس الداخل الخارج، وقيل الحياة ، وقيل جسم لطيف يحل فى جميع البدن ، وقيل هى الدم ، وقيل هى عَرَض ، حتى قيل : إن الأقوال بلغت المائة ، ونقل ابن مندة عن بعض المتكلمين أن لكل نبى خمسَ أرواح ، وأن لكل مؤمن ثلاثاً ، ولكل حَىٍّ واحدة .

الخامس : قال القاضى أبو بكر بن العربى : « اختلفوا فى الروح والنفس ، فقيل متغايران وهو الحق ، وقيل هما شىء / واحد ، وقد يُعَبَّر بالروح عن النفس وبالعكس ، ١٠٥٦ت كما يُعَبَّر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس ، وقد يُعَبَّر عن الروح بالحياة حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء بل إلى الجُهَّال مجازًا[1] .

قال تلميذه السُّهَيْلى : يعنى على مغايرة الروح والنفس قوله [تعالى] : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى[2]) ، وقوله تعالى : (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَافِى نَفْسِكَ[3]) ، فإنه لا يصح جَعْل أحدهما موضع الآخر ، ولولا التغاير لسَاغَ ذلك .

السادس : فى قوله تعالى : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) ، قال الإمام فخر الدين الرازى : « يُحْتَمَل أن يكون المراد بالأمر هنا الفِعْل كقوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ[4]) أى فِعْله ، فيكون الجواب : الروح من فِعْل رَبِّى ، إن كان السؤال : هل هى قديمة أو حادثة ؟ فيكون الجواب : أنها حادثة » .. إلى أن قال : « ولهذا سَكَت السلف عن البحث فى هذه الأشياء والتَّعَمُّق فيها » . وقال الإسماعيلى : « يُحْتَمَل أن يكون جوابًا وأن الروح من جملة أمر الله وأن يكون المراد : اختص الله عز وجل بعلمه ولا سؤال لأحد عنه » .

---

(١) لفظ ابن العربى فى تفسيره أحكام القرآن (ح ٢ ص ٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ ﻫ). بعد أن أورد حديثى ابن مسعود وابن وهب : « ومعنى هذا أن الأنبياء لا يتكلمون مع الخلق فى المتشابهات ولا يفيضون معهم فى المشكلات وإنما يأخذون فى البين من الأمور المعقولات ، والروح خلق من خلق الله تعالى جعله الله فى الأجسام فأحياها به وعلمها وأقدرها وبنى عليها الصفات الشريفة والأخلاق الكريمة وقابلها بأضدادها لنقصان الآدمية فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها وإذا أراد معرفتها وهى بين جنبيه لم يستطع لأنه قصر عنها وقصر به دونها . وقال أكثر العلماء إنه سبحانه ركب ذلك فيه عبرة كما قال : «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» . ليرى أن البارى لا يقدر على جحده لظهور آياته فى أفعاله . ويتضح من هذا أن ما نقله المؤلف عن ابن العربى مخالف لما ذكره ابن العربى فى أحكام القرآن ولكن هناك تفسير آخر مطول لابن العربى اسمه أنوار الفجر ، يقع فى ثمانين ألف ورقة ، ذكر ابن فرحون أن تأليفه استغرق عشرين سنة ، فلعل نقل الشامى من هذا الكتاب .

(٢) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٣) سورة المائدة آية ١١٦ .

(٤) سورة هود آية ٩٧ .

وقال السهيلى بعد أن حكى ما المراد بالروح فى الآية : « وقالت طائفة : الروح الذى سألت عنه اليهود هو روح الإنسان . ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يُجِبْهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم على سؤالهم ، لأنهم سألوه تَعَنُّتًا واستهزاءً ، فقال الله عزوجل : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) ، ولم يَأْمره أن يُبَيِّنَه لهم . وقالت طائفة : بل أخبرهم وأجابهم بما سألوه ، لأنه قال لِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) ، وأَمْرُ الرَّبِّ هو الشرع والكتاب الذى جاء به ، فمن دخل فى الشَّرْع وتَفَقَّه فى الكتاب والسُّنَّة عرَف الروح ، فكان معنى الكلام ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه ، فإنه من أَمْرِ ربِّى أى من الأمر الذى جِئْتُ به مُبَلِّغًا عن الرَّبِّ ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفتها من جهة الطبيعة ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأى والمعرفة ، وإنما تُعْرَفُ من جهة الشَّرْع . فإذا نظرتَ إلى ما فى الكتاب والسُّنَّة من ذِكْرِها نحو قوله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ[1]) أى من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه وتعالى ، وإلى ما أَخْبَر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن « الأَرْواح جنودٌ مُجَنَّدة » ، وأنها تتعارف وتَتَشَامّ فى الهواء ، وأنها تُقْبَضَ من الأجساد / بعد الموت ، وأنها تُسْأَل فى القبر فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتنعم وتُعَذَّب ، وتلتذ وتتألم ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فإنك تعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجسام فى كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجسام خُلِقت من طين وحمأٍ مسنون[2] ، فهو أصلها ، والأَرْواح خُلِقت من ماء كما قال الله سبحانه وتعالى ، ويكون النَّفْخ المتقدم المضاف إلى المَلَك ، والملائكة خُلِقَتْ من النور كما جاء فى الصحيح وإن كان قد أضاف النَّفْخ إلى نفسه سبحانه وتعالى وكذلك أضاف قَبْض الأرواح إلى نفسه فقال : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا[3]) ، وأضاف ذلك إلى المَلَك أيضاً فقال : (قُلْ

١٠٥٧ظ

---

(١) سورة السجدة آية ٩ .

(٢) من الآية السادسة والعشرين من سورة الحجر وشرح القرطبى (فى ج ١٠ ص ٢٤ من تفسيره) الآية ٢٩ من نفس السورة : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » بقوله أى سويت خلقه وصورته ، والنفخ بإجراء الريح فى الشىء، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم وحقيقته إضافة خلق إلى خالق فالروح خلق من خلقه، أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً كقوله : ارضى وسمائى وبيتى وناقة الله وشهر الله ، ومثله : « وروح منه » (سورة النساء آية ١٧١) . هذا وقد أورد القرطبى فى تفسير الآية الأخيرة ثمانية أجوبة (ج ٦ ص ٢٢ و ٢٣) .

(٣) سورة الزمر آية ٤٢ .

يَتَوَفَّاكُمْ ملَكُ المَوْتِ الذى وُكِّل بِكُمْ[1] » ، والفِعْل مضاف إلى الملَك مَجازًا وإلى الرَّبِّ حقيقةً .

فالروح إذًا جسم ولكنه من جنس الريح ، ولذلك سُمّى روحًا من لفظ الريح ، ونَفْخَةُ المَلَك فى معنى الرِّيح ، غير أنه ضُمَّ أوله لأنه نورانى ، والريح هواءٌ مُتَحَرِّك . وإذا كان الشَّرْع قد عَرَّفنا من معانى الروح وصفاتها هذا القَدْر ، فقد عَرَّف من جهة أَمْرِها كما قال سبحانه وتعالى : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً[2]) ، وقوله : « مِنْ أَمْرِ رَبِّى[2]) ، أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر ربكم ، يدل على خصوص ، وعلى ما قدَّمنا من أنه لا يَعْلَمُه إلا من أخذ معناه من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه فى الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوا عنها ، فقد أحالهم على موضع العلم بها .

السابع : قال ابن القَيِّم : ليس المراد بالأمر هنا الطلب اتفاقًا ، وإنما المراد به المأمور ، والأمر يُطْلَق على المأمور ، كالخَلْق على المخلوق ، ومنه (لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ[3]) الآية .

الثامن : قال ابن بَطَّال : « معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله عز وجل بعلمه بدليل هذا الخبر » ، قال : « والحكمة فى إبهامه اختبار الخَلْق ليُعَرِّفهم عَجْزَهم عن علم مالا يدركونه حتى يضطرهم إلى رَدّ العلم إليه » . وقال القرطبى : « الحكمة فى ذلك إظهار عجز المرء ، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحَقّ من باب أَوْلَى » .

التاسع : ثَبَتَ عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لا يُفَسِّر الروح أى لا يُعَيِّن المراد بها فى الآية . وممن رأى الإمساك عن الكلام فى الروح أستاذ الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد رحمه الله تعالى ، كما فى عوارف المعارف[4] / عَنْهُ بعد أن نقل كلام الناس فى الروح ، وكان الأَوْلَى الإمساك عن ذلك ، والتَّأَدُّبَ بأَدب النبى صلى الله عليه

١٠٥٨ت

(١) سورة السجدة آية ١١ .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣) سورة هود آية ١٠١ .

(٤) صاحب كتاب عوارف المعارف هو شهاب الدين أبو حفص السهروردى (٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ) .

انظر ابن خلكان (جـ١ ص ٣٨٠ : ٣٨١)

وسلم . ثم نقل عن الجُنَيْد أنه قال : « [الروح شَيْءٌ][1] استأثر الله عز وجل بعلمه ، ولم يُطْلِعْ عليه أحداً من خَلْقِهِ فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود » .

وعلى ذلك جرى ابن عطية وجَمْعٌ من أهل التفسير ، وأجاب من خَاضَ فى ذلك بأن اليهود سألوا عنها سؤال تَعْجيز وتغاليظ لكونه يُطْلَق على أشياء ، فأضمروا بأنه بأى شىء أجاب ؟ قالوا : ليس هذا المراد ، فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهم وأجابهم جواباً مُجْمَلاً مطابقاً لسؤالهم المُجْمَل .

وقال فى العوارف : « ويجوز أن يكون كلامهم فى ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المُنَزَّلة حيث حُرِّم تفسيره وجُوِّز تأويله[2] ، إذ لا يسوغ التفسير إلا نقلاً ، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذِكْر ما تتحمل الآية (من المعنى] من غير القطع بأنه المراد . وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وَجْهٌ ومَحْمَل .[3] قال : وظاهر الآية المنع من القول فيها ، فختم الآية بقوله : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) أى اجعلوا حكم الروح من الكثير الذى لم تؤتوه فلا تسألوا عنه فإنه من الأسرار .

العاشر : نقل ابن منده فى كتاب الروح له عن الإمام الحافظ المطلع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار محمد بن نصر المَرْوَزِىّ أنه نقل الإجماع على أن الروح مخلوقة ، وإنما نُقِل القول بقِدَمِها عن بعض غُلَاة الرافضة والمُتَصَوِّفة .

الحادى عشر : اختُلِف هل تفنى عند فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية ؟ على قولين أَرْجَحُهُما [الثانى] عند الجمهور .

الثانى عشر : ذكر بعض المفسرين أن الحكمة فى سؤال اليهود عن الروح أن عندهم فى التوراة أن روح بنى آدم لا يعلمها إلا الله عز وجل ، فقالوا : نسأله فإن فَسَّرها فهو نبى ، وهو معنى قولهم : لا يجىء بشىء تكرهونه .

---

(١) زيادة من كتاب السهروردى الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) فى الأصل : « ويجوز أن يكون معنى خاص فيما سلك سبيل التأويل لا التفسير » ونظراً لاضطراب هذه العبارة أثبتنا لفظ السهروردى الذى نقل عنه المؤلف .

(٣) فى الأصل : « فمن ثم يكون القول فيه » والعبارة هنا مبتورة . وأثبتنا ما جاء فى عوارف المعارف .

الثالث عشر : جنح ابن القَيِّم فى كتاب الروح إلى ترجيح أن المراد بالروح المسئول عنها فى الآية ما وقع فى قوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفًّا)[1] وأما أرواح بنى آدم فلم يقع تسميتها فى القرآن إلا نَفْساً . قال الحافظ : « كذا قال ولا دلالة فى ذلك لما رَجَّحه ، بل الراجح الأَوَّل : » فقد روى ابن جرير من طريق العَوْفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه القصة أنهم قالوا : أَخْبِرْنَا عن الروح ، وكيف يُعَذَّب الروح الذى فى الجَسَد ؟ إلى آخر [ما قالوا وقد] تَقَدَّم بتمامه .

الرابع عشر : قال بعضهم : ليس فى الآية دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لم يُطْلِع نَبِيَّه على حقيقة الروح ، بل يُحْتَمَل أن يكون أَطْلَعه ، ولم يأمره أن يُطْلِعهم ، وقد قال فى عِلْم الساعة نحو هذا كما سيأتى مبسوطاً فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

١٠٥٩ت

الخامس عشر : وقع فى الصحيح فى العِلْم[2] والاعتصام[3] والتوحيد ، وكذا عند مسلم[4] : إذ مَرَّ بِنَفَرٍ ، عند ابن حَجَر من وجه آخر : إذ مررنا على يهود ، ووقع فى التفسير : إذ مَرَّ اليهودُ ، بالرفع على الفاعلية ، ويُحْتَمَل هذا الاختلاف على أن الفريقين تَلَاقَوْا فَيَصْدُق أن كلاًّ مَرَّ بالآخر .

السادس عشر : فى بيان غريب ما سبق : « حَرْث » : بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة ، ووقع عند البخارى فى كتاب العلم[5] : [خَرِب] بخاء معجمة مفتوحة فراء مكسورة . « يَتَوَكَّأُ » : يعتمد . « عَسِيب » : بعين فسين مهملتين وآخره موحدة

---

(١) سورة النبأ آية ٣٨ .

(٢) صحيح البخارى (جـ ١ ص ٧١ : ٧٢) .

(٣) صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٧٣ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (جـ ١٧ ص١٣٦ : ١٣٨) وجاء فيه : غير أن فى حديث وكيع «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» وفى حديث عيسى بن يونس : « وما أوتوا » من رواية ابن خشرم .

(٥) صحيح البخارى جـ١ ص٧١ وجاء فيه : فى خرب المدينة وخرب جمع خربة والخربة موضع الخراب ، ولكن النووى فى شرحه على صحيح مسلم يقول (جـ ١٧ ص ١٣٧) : الخرب جمع خراب .

بوزن عظيم وهو جريدة [النخل[1]] التى لا خوص عليها[2] . قال ابن فارس : العسبان من النخل كالقضبان من غيرها « يَهُود » : هذا اللفظ معرفة تدخله الألف واللام تارةً وتارةً يَتَجَرَّد ، وحذفوا منه ياء النِّسْبَة تَفْرِقةً بينه وبين مفرده ، كما قالوا : زنْج وَزنْجِىّ .

---

(١) زيادة من النهاية .

(٢) فى القاموس والتاج : العسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، وجمعه أعسبة وعسب بضمتين وعسوب وعسبان وعسبان بالضم والكسر . وفى التهذيب العسيب جريد النخل إذا نحى عنه خوصه ، والعسيب فويق الكرب الذى لم ينبت عليه الخوص من السعف ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف .

الباب الخامس

فى تَحَيُّرِهم فى مُدَّة مُكث هذه الأُمة لَمَّا سَمِعُوا الحروف المُقَطَّعة فى أوائل السُّور

قال ابن إسحق – فيما ذُكِر لى عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله بن رئاب –[1] « إن أبا ياسر بن أَخْطَب مَرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة (الٓمٓ ذَلِكَ الكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى للمُتَّقِينَ[2]) ، فأَتَى أخاه حُيَىّ بن أَخْطَب فى رجال من يهود ، فقال : تَعَلَّمُوا ، والله لقد سمِعْتُ محمداً يتلو فيما أُنْزِل عليه : (الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ) فقالوا : أنت سَمِعْتَه ؟ قال : نعم . فمشى حُيَىّ بن أخطب فى أُولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : « يا محمد، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أُنْزِل عليك (الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلَى » . قالوا : « أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ قال : « نعم » . قالوا : « لقد بَعَثَ اللهُ قَبْلَكَ أنبياء أنبياء ما نَعْلَمُه بَيَّن لِنَبِىٍّ منهم [ما] مُدَّة مُلْكِه وما أَجَلُ[3] أُمَّتِه غيرك » . فقام[4] حُيَىّ بن أخطب ، وأَقْبَلَ على مَنْ معه فقال لهم : « الأَلِف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون فى دين [نَبِىٍّ[5]] إنما مُدَّةُ مُلْكِه وأَجَل أُمَّتِه إحدى وسبعون سنة ؟ » ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « [يا محمد][6] هل مع هذا غيره ؟/ » قال : « نعم » ١٠٦٠ت

---

(١) فى الأصل ربان وكذلك فى أسد الغابة (جـ ١ ص ٢٥٦) وفى تفسير ابن كثير (جـ ١ ص ٣٨) وهو تصحيف وصوابه رئاب كما فى القاموس والتاج حيث جاء فيهما : رئاب بن النعمان بن سنان وهو جد جابر بن عبد الله الخزرجى السلمى الصحابى . وقد ورد مصححاً فى جوامع السيرة (ص ٧٠) وفى الإصابة (جـ ١ ص ٢٢٢ رقم ١٠٢١) وجاء فى الاشتقاق لابن دريد (ص ١١٩) رئاب مهموز من قولهم رأبت الشىء أرأبه رأباً إذا أصلحته .

(٢) الآية الأولى والثانية من سورة البقرة .

(٣) فى الأصل : وأكل أمته ، وكذلك فى ابن هشام (جـ ٢ ص ١٧١ طبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م) والسياق ينفيه ، كما أنها وردت : أجل أمته فى تفسير ابن كثير (جـ ١ ص ٣٨) .

(٤) فى الأصل : فقال .

(٥) زيادة من ابن كثير .

(٦) زيادة من ابن هشام .

قال : ماذا ؟ قال (المص)[1] قال : « هذا أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ » قال : « نعم » . [قال : وما ذاك[2]؟] قال : [الر [3]] قال : « هذه أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان ،فهذه إحدى وثلاثون ومائتا [سنة] فهل مع هذا غيره يا محمد؟» قال: «نعم»[المر][4]. قال : « هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة » . ثم قال« : [لقد] لُبِّسَ علينا أمْرُك يا محمد حتى ما ندرى أقليلاً أُعْطِيتَ أم كثيراً » . ثم قاموا عنه ، فقال : أبو ياسر لأخيه ولمن معه من الأحبار : « ما يدريكم [5] لَعَلَّه قد جُمِع هذا كله لمحمد : إحدى وسبعون [وإحدى وستون ومائة][6] ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون »[7] . فقالوا : لقد تشابه علينا أمْرُهُ . فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم : (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْه آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[8]

[قال ابن إسحق[9]] : « وقد سَمِعْتُ مَنْ لا أَتَّهِم من أهل العلم [يذكر] [9] أن هؤلاء الآيات أُنْزِلَتْ فى أهل نَجْرَان حين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن عيسى بن مَرْيَم . وقد حَدَّثنى محمد بن أبى أُمَامة بن سَهْل بن حُنَيْف أنه سَمِع أن هؤلاء الآيات إنما أُنْزِلَنَ فى نَفَرٍ من يهود ولم يُفَسِّر ذلك لى ، فالله أعلم أى ذلك كان[10] » .

---

(١) الآية الأولى من سورة الأعراف .
(٢) زيادة من ابن كثير .
(٣) من الآية الأولى من سورة يوسف .
(٤) من الآية الأولى من سورة الرعد .
(٥) فى الأصل : ما يدريك .
(٦) ساقطة من الأصل والتكلة من ابن هشام وابن كثير .
(٧) فى الأصل سبعمائة وأربع وستون وحاصل الجمع يوضح الخطأ .
(٨) سورة آل عمران آية ٧ .
(٩) زيادة من ابن هشام .
(١٠) علق ابن كثير فى تفسيره (ج ١ ص ٣٨ و ٣٩) على هذا الخبر بقوله : فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبى وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التى ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم . والله أعلم .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى البخارى فى تاريخه وابن جرير من طريق ابن إسحق عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث السابق ، فبَانَ سَنَد ابن إسحق بذلك . ورواه يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد ،عن عِكْرِمة ، عن أبي سعيد . ورواه ابن المنذر من وجه آخر عن ابن جرير مُفَصَّلاً .

الثانى : قال السُّهَيْلى[1] : « وهذا القول من أخبار يهود ، وما تَأَوَّلُوه من معانى هذه الحروف مُحْتَمَل حتى الآن أن يكون من بعض ما دَلَّتْ عليه هذه الحروف المُقَطَّعة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُكَذِّبهم فيما قالوا من ذلك ولا صَدَّقَهم . وقال فى حديث آخر : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم ،وقولوا آمَنَّا بالله وبرسوله » . وإذا كان فى حَدّ الاحتمال وَجَبَ أي يُفْحَص عنه فى الشريعة ،هل يُشير إلى كتاب أو سُنَّة ؟ فوجدنا فى التنزيل (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ[2]) ووجدنا فى حديث زمل الخزاعى حين قَصَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم رُؤْيا قال فيها : « رأيتُكَ يا رسول الله على مِنْبر له سَبع درجات ، وإلى جَنْبك ناقة عجفاء كأنك تبعثها » . ففَسَّر له النبى صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التى أنذر بها ، وقال فى المنبر ودرجاته : « الدنيا سبعة آلاف سنة / بُعِثْتُ فى آخرها ألفاً » والحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد رُوِى موقوفًا عن ابن عباس من طُرُقٍ صِحَاح أنه قال : « الدنيا سبعة أيام كل يوم منها ألف سَنة » ، وبُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها ، وقد مضت [منه][3] سنون أو قال مئون : [قال السهيلى[4]] : ولكن إذا قلنا : إنه عليه الصلاة والسلام بُعِث فى الألف الأخيرة بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعد إلى الحروف المُقَطَّعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك : « ألَم يسطع نَصّ حق كُرِه » ، ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد ، فنجد «ق» مائة و«ر» مائتين و«س» ثلثمائة فهذه ستمائة و «ع» سبعين ، و«ص» ستين ، فهذه سبعمائة وثلاثون ، و«ن» خمسين و «ك» عشرين ، فهذه ثمانمائة و «م» أربعين و«ل» ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و«ى» عشرة و«ط»تسعة و«ا» واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ،

١٠٦١ت

---

(١) الروض الأنف (جـ٢ ص ٣٥ و٣٦) . (٢) سورة الحج آية ٤٧ .
(٣) زيادة من السهيلى . (٤) فى الأصل : ثم قال ، وهذا مما يوحى للقارئ بأن القائل هو راوى الحديث السابق .

و« ح » ثمانية و « هـ » خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة . ولم يُسَمِّ الله عز وجل فى أوائل السُّوَر إلا هذه الحروف ، فليس يَبْعُد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين لِمَا قدمناه فى حديث الألف السابع الذى بُعِث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . غير أن الحساب يُحْتَمَل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته ، وكُلٌّ قريبٌ بعضُه من بعض ، فقد جاءت أشراط[1] الساعة ولكن لا تأْتيكم إلا بَغْتَة . وقد رُوِى أن المتوكل العباسى سأل جعفر بن عبد الواحد القاضى ، وهو عباسى أيضاً ، عَمَّا بَقِىَ من الدنيا فحَدَّثَه بحديث رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أحسنت أُمتى فبقاؤُهُ يَوْمٌ من أيام الآخرة وذلك ألف سنة ، وإن أساءت فنصف يَوْم » ، ففى هذا الحديث تَتْمِيم للحديث المتقدِّم وبيانٌ له ، إذ قد انقضت الخمسمائة والأُمة باقية والحمد لله[2] » . هذا آخر كلام السهيلى ، وفيه مناقشات من الزهر والفتح مع زيادتها من غيرها .

الأُولى : قوله : وجدنا فى حديث زمل الخزاعى إلخ صوابه : ابن زمل ، وسَمَّاه بعضهم : عبد الله ، وبعضهم : الضَّحَّاك ، وبعضهم : عبد الرحمن ، وصَوَّب الحافظ فى الإصابة[3] الأَول ، وقوله الخزاعى صوابُه الجهنى كما ذكره فى الزهر . الثانية : قوله : وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفاً . إلخ ، اقتصر على ضَعْفه ، قال [ابن حجر] فى الفتح : إسناده ضعيف جداً ، وقال فى الإصابة : « تَفَرَّد برواية [حديثه] سليمان بن عَطَاء القرشى الحَرَّانى عن مسلم[4] بن عبد الله الجُهَنِىّ » . انتهى . قُلْتُ : وسليمان بن عطاء[5] قال الذهبى فى المغنى :

---

(١) فى الأصل فقد جاء أشراطها .

(٢) يقع هذا النص الذى نقله المؤلف عن السهيلى فى « ج ٢ ص ٣٧ » من الروض الأنف .

(٣) فى الإصابة (ج ٤ ص ٧٣ : ٧٤) وفى القاموس المحيط : عبد الله بن زمل بكسر الزاى وإسكان الميم ، جهنى تابعى مجهول غير ثقة . وقول الصغانى : صحابى ، غلط . وقال ابن حجر فى الإصابة : عبد الله بن زمل الجهنى ذكره ابن السكن وقال : روى حديث « الدنيا سبعة آلاف سنة » بإسناد مجهول وليس بمعروف فى الصحابة ، ثم ساق الحديث وفى إسناده ضعف ، قال : وروى عنه بهذا الإسناد أحاديث مناكير . ويقال اسمه الضحاك ويقال عبد الرحمن والصواب الأول والضحاك غلط ، فإن الضحاك بن زمل (هو رجل) آخر من أتباع التابعين .

(٤) فى الأصل سلمة وأثبتنا ما ذكره ابن حجر فى نهاية ترجمته لعبد الله بن زمل ، إذ قال : تفرد برواية حديثه سليمان بن عطاء عن مسلم بن عبد الله الجهنى ، غير أن الذهبى فى ميزان الاعتدال ذكره باسم مسلمة الجهنى .

(٥) فى ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٢١٤ : ٢١٦) قال الذهبى : سليمان بن عطاء الحرانى روى عن مسلمة الجهنى . وقال أبوحاتم : ليس بالقوى واتهمه ابن حبان وغيره . وقال البخارى : فى حديثه بعض المناكير . وعند ابن حبان عن سليمان ابن عطاء عن مسلمة الجهنى عن أبى مشجعة عن ابن زمل (ضبطها محقق ميزان الاعتدال بفتح الزاى) قال . . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا فقص ابن زمل ما رآه وعبره رسول الله بأن الدرجات السبع : الدنيا سبعة آلاف سنة .

١٠٦٢ت « هالك اتُّهم بالوضع » . وقال الحافظ فى التقريب : « منكر الحديث »/. وأورده ابن الجوزى فى الأحاديث الواهية ، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث . وقال ابن الأثير : « ألفاظه مصنوعة مُلَفَّقَة » .

وروى ابن عدى عن أنس مرفوعاً : « عُمْر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة » . وفى سنده العلاء ابن زَيْدَل »[1] وهو المتهم به . ورواه ابن عساكر من طريق أبى على الحسين ابن داود البلخى ، قال الخطيب : « ليس بثقة ، حديثه موضوع » . وقال الحاكم : « روى عن جماعة لا يَحْتَمِل سِنُّه السماعَ منهم ، وله عندهم العجائب يُسْتَدَلُّ بها على حاله » . وفى سَنَدِه أيضاً أبو هاشم الأَيلى . ورواه الحاكم ، والترمذى الحكيم فى نوادره ،[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وفى سَنَدِه صالح بن محمد ، عن يَعْلَى بن هِلَال ، عن ليث بن مجاهد .

الثالثة : قوله : « فقد رُوِى موقوفاً عن ابن عباس من طُرُقٍ صِحَاح » ، قلت : لم أقف له إلا من طريق واحد غير صحيح ، رواه ابن جرير[3] فى مقدمة تاريخه ، ومنه أخذ السهيلى من طريق يحيى بن يعقوب وهو أبو طالب القاصّ[4] الأنصارى ، قال البخارى : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : مَحَلُّه الصدق . وذكره ابن حِبَّان فى الثقات وقال :

---

(١) فى الأصل العلاء بن زندك والتصويب من ميزان الاعتدال (جـ ٣ ص ٩٩) وهو : العلاء بن زيدل الثقفى بصرى روى عن أنس بن مالك ، يكنى أبا محمد ، تالف .

(٢) الاسم الكامل لكتاب الحكيم الترمذى هو : نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول طبع فى استنبول سنة ١٢٩٣ هـ وعليه شرح بقلم مصطفى بن إسماعيل الدمشقى عنوانه : مرقاة الوصول إلى نوادر الأصول .

(٣) أورد ابن جرير الطبرى فى تاريخه (جـ ١ ص ٦ : ١١) روايات مختلفة عن عمر الدنيا منها ما روى عن كعب وعن وهب بن منبه وغيرهما وأخرج عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، أى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة . ثم أضاف ابن جرير : إن أولى القولين اللذين ذكرت فى مبلغ قدر مدة جميع الزمان اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر منهما عن كعب بالصواب وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس الذى روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وإذ كان ذلك كذلك وكان الخبر عن رسول الله صحيحاً أنه أخبر عن الباقى من ذلك فى حياته أنه نصف يوم وذلك خمسمائة عام كان معلوماً أن الماضى من الدنيا إلى وقت قول النبى عليه السلام ماروبناه عن أبى ثعلبة الخشنى عنه وكان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة أو نحواً من ذلك . والله أعلم .

(٤) جاء فى ميزان الاعتدال (جـ ٤ ص ٤١٥) : يحيى بن يعقوب أبو طالب القاص ، روى عن إبراهيم التيمى . قال أبو حاتم محله الصدق وقال البخارى منكر الحديث ، كوفى روى عن عبد الأعلى عن إبراهيم التيمى وهو خال أبى يوسف القاضى ، روى عنه أبو تميلة .

يُخْطِىء . الرابعة : ما ذكره فى عدد الحروف مبنى على طريقة المغاربة : السين بثلثمائة ، والصاد بستين ، وعند المشارقة : السين سِتُّون والصاد تسعون . فيكون المقدار عندهم ستمائة وثلاثة وتسعون ، وقد مَضَتْ وزيادة عليها فإنه فى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة[1] فالجملة على ذلك من هذه الحيثية باطلة .

الخامسة : ثَبَت عن ابن عباس الزَّجْر عن عدد أبى جاد ، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السِّحْر . قال الحافظ : « وليس ببعيد فإنه لا أَصْلَ له فى الشريعة » . السادسة : قال القاضى أبو بكر بن العربى شيخ السهيلى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتَيْن » ، وأشار بالسَّبَّابة والوُسْطَى . قيل الوُسْطَى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبْع إِصْبَع[2] ، وكذلك الباقى من البعثة إلى قيام الساعة » . قال : « وهذا بعيد ، ولا يُعْلَم مقدار الدنيا ، فكيف يَتَحَصَّل لنا نصف سُبْع أَمَد مجهول ؟ فالصواب الإعراض عن ذلك » . وقال القاضى فى الإكمال : « حاول بعضهم فى تأْويله أن نسبة ما بين الإصبعَيْن كنسبة ما بقى من الدنيا إلى ما مضى ، وأن جملتها سبعة آلاف سنة ، واستند إلى أخبار لا تَصِحّ ، وذكر ما أخرجه أبو داود فى تَأَخُّر هذه الأُمة نصف يوم وفَسَّره بخمسمائة سنة ، فيُؤْخَذ من ذلك نصف سُبْع ، وهو قريب مما يلى السَّبابة ، والوُسْطَى فى الطول » . قال : « وقد ظهر / عدم صحة ذلك ١٠٦٣ت لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار ولو كان ذلك ثابتاً لم يقع خلافُه » . انتهى .

وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد القاضى[3] إلى هذا الحين نحو الأربعمائة سنة . وقال ابن العربى أيضا فى فوائد رحلته : « ومن الباطل علم الحروف المُقَطَّعة فى أوائل السُّوَر ، وقد تَحَصَّل لى فيها عشرون قولاً وأزيد ، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل فيها إلى

---

(١) هذا يدل على أن المؤلف كتب هذا سنة ٩٣٥ هـ أى قبل وفاته بسبع سنوات .

(٢) فى الأصل : نصف سبعها والزيادة من السهيلى (ج ٢ ص ٣٧) وقد أضاف السهيلى قائلا : كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . وقد مضت الخمسمائة من وفاته (أى وفاة الطبرى سنة ٣١٠ هـ) إلى اليوم بنيف عليها . وليس فى قوله : لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ما ينفى الزيادة على النصف ، ولا فى قوله : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ما يقطع به على صحة تأويله . وقد قيل فى تأويله غير هذا وهو : أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ولا شرع غير شرعه ، مع التقريب لحينها كما قال سبحانه : « اقتربت الساعة وانشق القمر » (الآية الأولى من سورة القمر) « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » (الآية الأولى من سورة النحل) .

(٣) القاضى أبو بكر بن العربى توفى سنة ٥٤٢ هـ وإلى وقت كتابة المؤلف لكتابه أى قبل وفاته سنة ٩٤٢ هـ يحسن به أن يقول إلى ما يقرب من الأربعمائة سنة .

فَهْم » إلى آخر ما ذكره . وقد ذكرته مع فوائد أُخرى فى الكلام على هذه الحروف فى كتابى : « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز » . لا توجد مجموعة فى غيره .

السابعة : قال الحافظ : « وأما عدد الحروف فإنما جاء عن بعض اليهود ، وعلى تقدير أن يكون ما ذُكِر فى عدد الحروف فَلْيُحْمَل على جميع الحروف الواردة ولا يحذف المُكَرَّر فإنه ما من حرف إلا وله سِرٌّ يَخُصُّه، أو يُقْتَصَرعلى حذف المكرر من أسماء السُّوَر ولو تكررت الحروف فيها ، فإن السور التى ابتُدِئت بذلك تِسْعٌ وعشرون سورة ، وعدد حروف الجميع ثمان وستون حرفاً [1] وهى : الٓمٓ: ستة ،وحٰمٓ: سبعة [2] ، والٓر: خمسة ، وطٰسٓمٓ : ثنتان والٓمٓصٓ وكهيعصٓ وطه وطسٓ ويسٓ وصٓ وقٓ ونٓ . فإذا حُذِف ما كُرِّر من السُّوَر وهى خمس من الٓمٓ وست[3]من حمٓ ، وأربع من الٓر وواحدة من طسٓمٓ ، بقى أربع عشرة سورة [3] عددحروفها ثمان وثلاثون حرفاً . فإذا حسبت عددها بالجُمَّل المَغْرِبى بلغت ألفين وستمائة وأربعة وعشرين ، وأما بالجُمَّل المَشْرِقى فتبلغ ألفاً وسبعمائة وأربعة وخمسين . قال الحافظ : « ولم أذكر ليُعْتَمَد عليه وإنما ليُتَبَيَّن أن الذى جنح إليه السهيلى لا ينبغى الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه » .

الثامنة : فى جامع مَعْمَر عن مجاهد وعِكْرِمة فى قوله تعالى : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [4] ﴾ لا يدرى كم مضى ولا كم بقى إلا الله عز وجل .

التاسعة : ما نقله عن جعفر بن عبد الواحد[5] ، فهو شىء موضوع لا أصل له ، ولا يُعْرَف إلا من جهته ، وهو مشهور بوضع الحديث عند الأئمة ، مع أنه لم يسبق له سَنَد بذلك ، والعَجَب من السهيلى كيف سكت عليه مع علمه بحاله .

---

(١) جملة الحروف الموجودة فى أوائل السور هى ٧٥ وليست ٦٨ حرفا .

(٢) فى الأصل ستة وصوابها سبعة فالحواميم هى غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

(٣) نسى المؤلف أن يذكر المر فى أول سورة الرعد . والجملة فى نظرنا بعد حذف المكرر هى اثنان وثلاثون حرفاً وليست ٣٨ .

(٤) سورة المعارج آية ٤ .

(٥) هو جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القاضى توفى سنة ٢٥٧ هـ . قال الدارقطنى : يضع الحديث وقال أبو زرعة : روى أحاديث لا أصل لها ، وقال ابن عدى : يسرق الحديث ويأتى بالمناكير عن الثقات . قال الخطيب : عزله المستعين عن القضاء ونفاه إلى البصرة لأمر بلغه عنه (ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٤١٢ : ٤١٣ رقم ١٥١١) .

الباب السادس

فى سَبَب نزول سورة الإخلاص

روى أبو الشيخ فى العظمة عن أنس بن مالك ، وابن أبى حاتم ، وابن عدى ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس والطبرانى فى السنة عن الضَّحَّاك ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة ، أن رَهْطاً من اليهود منهم / كعب بن الأشرف وحُيَىّ بن أخطب ، جاءوا ١٠٦٤ت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : « يا محمد ، هذا الله خَلَقَ الخَلْقَ فمن خَلَقَ الله ؟ » فغَضِب النبى صلى الله عليه وسلم حتى انْتُقِع لَوْنُه ، ثم ساوَرَهم غَضَباً لِرَبِّه ، فجاء جبريل فَسكَّنَه وقال : « خَفِّضْ عليك يا محمد » ، وجاءه من الله عز وجل بجواب ما سألوه [عنه] فأنزل الله تعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد(1)) ، أصل أَحَد هنا واحد ، لأنه بمعنى الواحد ، قُلِبَت الواو هَمْزَة ، وهو دَالٌّ على جميع صفات الجلال ، كما دَلَّ الله على جميع صفات الكمال ، إذ الواحد الحقيقى ما يكون مُنَزَّهَ الذات عن اتحاد التركيب والتَّعَدُّد ، وما يستلزمه أحدهما كالجسمية والتَّحَيُّز (اللهُ الصَّمَد) : المقصود فى الحوائج على الدوام ، أوهو الذى قد انتهى فى سؤدده ، فيصمد الناس إليه فى حوائجهم ، والخلائق يفتقرون إلى رحمته ، أو هو مَنْ لا جَوْفَ له ، أو هو الكامل فى جميع صفاته ، أو الذى لا يطعم ولا يخرج منه شىء ،

---

(1) جاء فى أسباب النزول للواحدى (ص ٣٤٥ : ٣٤٦ طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ هـ) قال قتادة والضحاك ومقاتل : جاء ناس من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : صف لنا ربك فإن الله أنزل نعته فى التوراة ، فأخبرنا من أى شىء هو ومن أى جنس هو ؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة وهل يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة . . وعن أبى العالية عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك.فأنزل الله تعالى هذه السورة . هذا وقد أورد ابن كثير فى تفسيره (جـ ٤ ص ٥٦٥ : ٥٧١) مختلف ما روى فى سبب نزولها وفضلها . وأفرد لها ابن تيمية كتاباً فى ١٤٠ صحيفة عنوانه : تفسير سورةالإخلاص (القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ) أفاض فيه فى تناول كل ما يتعلق بها . كما صنف كتاباً آخر فى فضلها أسماه : « جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » . (القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ) رد فيه على سؤال عما قيل فى فضلها مع أن كلام الله واحد بالنسبة إليه عز وجل .

أو الباقى بعد فناء خَلْقه ، والله تعالى هو الموصوف بهذا على الإطلاق ، فإنه مُسْتَغْنٍ عن غيره مطلقاً ، وكل ما عداه يحتاج إليه فى جميع جهاته ، وتعريفه بصمديته بخلاف أحديته . وتكرر الاسم الكريم للإشعار بأنه من لم يتصف به لم يستحق الألوهية ، وإخلاء الجملة من العاطف ؛ لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها .

(لم يَلِدْ) : المفعول محذوف أى لم يلد أحداً ، والأصل يَوْلِد ، حُذِفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة ولام مكسورة فصار مثل « يَعِد » . (وَلَمْ يُولَد) : النائب عن الفاعل محذوف أى لم يَلِدْه أحد ، وثبتت الواو فى يُولَد لأنها لم تقع بين ياء مفتوحة وكَسْرة . ولما كان الرَّبُّ سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته قديماً ، موجوداً قبل وجود الأشياء ، وكان كل مولود مُحْدَثاً انتفت عنه الوالدية ، ولما كان لا يشبهه أحَدٌ من خَلْقِه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد ، انتفت عنه الوالدية ، ومن هذا قوله تعالى : (أنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ[1]) ، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ) : أى لم يكن له أحَدٌ يكافئه أى يماثله من صاحبة وغيرها « وله » متعلق بـ « كُفُواً » وقُدِّم عليه لأنه مَحَطّ القصد ، وأخَّر « أحَد » وهو اسم « يَكُنْ » عن خبرها رعايةً للفاصلة[2] . ولاشتمال هذه السورة مع قِصَرها على جميع المعارف الإلهية والرَّدّ على من ألْحَد فيها ، جاء فى الحديث أنها تَعْدِل ثُلُثَ القرآن فإن مقاصده محصورة فى بيان الأحكام والقصص ، ومن عدلها أعتبر المقصود بالذات[3] . / قال ابن إسحق : « فلما تلاها عليهم ، قالوا : « فَصِفْ لنا يا محمد رَبَّك كيف خَلْقُه ، كيف ذَرْعُه[4] ، كيف عَضُدُه ؟ » فغَضِب النبى صلى الله عليه وسلم أشَدَّ من غضبه الأول ، وساورهم غَضَباً لِرَبِّه . فأتاه جبريل ، فقال له مثل مقالته وجاءه

١٠٦٥ت

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠١ .

(٢) قال القرطبى (جـ ٢٠ ص ٢٤٦) فى تفسير : « ولم يكن له كفواً أحد » أى لم يكن له مثلا أحد ، وفيه تقديم وتأخير ، تقديره ولم يكن له أحد كفواً . فقدم خبر كان على اسمها لينساق أواخر الآى على نظم واحد .

(٣) قال بعض العلماء : إنها عدلت ثلث القرآن لأجل هذا الاسم وهو « الصمد » فإنه لا يوجد فى غيرها من السور وكذلك « أحد » ، وقيل إن القرآن أنزل أثلاثاً : ثلثاً منه أحكام وثلثاً منه وعد ووعيد وثلثاً منه أسماء وصفات وقد جمعت « قل هو الله أحد » الأثلاث وهو الأسماء والصفات » ودل على هذا التأويل ما فى صحيح مسلم من حديث أبى الدرداء عن النبى عليه السلام أنه قال : « إن الله جل وعز جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن » وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص . عن تفسير القرطبى (جـ ٢٠ ص ٢٤٧) .

(٤) فى ابن هشام : ذراعه ولكن رواية المؤلف أصح فالذرع هو القياس بالذراع .

من الله تعالى بجواب ما سألوه عنه . (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[1]) ، أى ما عرفوه حَقَّ معرفته وما عَظَّموه حق عَظَمته حين أشركوا به وشَبَّهُوه بخَلْقِه . « والأَرْضُ جميعاً » ، جميعاً : حال ، أى السَّبْع ، « قَبْضَتُه » أى مقبوضة له أى فى مِلْكِه وتَصَرُّفِه يوم القيامة ، « والسمواتُ مَطْوِيَّات » أى مجموعات[2] ، « بيمينه » أى بقدرته سبحانه وتعالى عما يُشْرِكون معه .

تنبيه : كذا ذكر ابن إسحق سبب نزول هذه الآية[3] . وروى الشيخان[4] وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه فى سبب نزولها غير ذلك .

---

(١) سورة الزمر آية ٦٧ .

(٢) قال القرطبى (جـ ١٥ ص ٢٧٨) فى تفسير قوله تعالى : « والسموات مطويات بيمينه » ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب ، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر بمعنى المضى والذهاب .

(٣) قال الواحدى فى أسباب النزول (ص ٢٧٨) : عن أبى الشيخ عن ابن أبى عاصم عن ابن نمير عن أبى معاوية عن الأعمش عن علقمة عن عبد الله قال . أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، بلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فأنزل الله تعالى : وما قدروا الله حق قدره .الآية ، ومعنى هذا أن الله تعالى يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق قدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه فخوطبنا بما نتخاطب فيما بيننا لنفهم ألا ترى أن الله تعالى قال : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة . أى يقبضها بقدرته .

(٤) فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير (جـ ٦ ص ٢٢٥) .

الباب السابع

فى إرادة شأس بن قَيْس إيقاع الفتنة بين الأَوْس والخزرج لَمَّا رأى كَلِمَتَهم مُجْتَمِعَة

روى ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن زيد بن أسلم مُطَوَّلاً ، والفريابى وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس مُخْتَصَراً ، وابن المنذر عن عِكْرِمة ، وابن جرير وابن أبى حاتم عن السُّدِّى كذلكِ واللفظ للأَول ، قال : كان شأس بن قَيْس شيخاً قد عَسَا[1] ، عظيمَ الكُفْر ، شديدَ الضِّغْن على المسلمين ، شديدَ الحَسَد لهم ، فَمَرَّ على نَفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأَوس والخزرج فى مجلس قد جَمَعهم يَتَحَدَّثُون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلْفَتِهم وجماعتهم وصَلاَح داتِ بَيْنِهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية . فلما أن جاء الإسلام اصطلحوا وأَلَّف الله بين قلوبهم . فقال : « لقد اجتمع مَلأُ بنى قَيْلَة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع مَلَؤُهُمْ [بها] من قرار » . فأَمَرَ فَتىً شابًّا من يهود كان معه فقال : « اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعَاث وما كان قَبْلَه[2] وأَنْشِدْهُم بَعْضَ ما كانوا تَقَاوَلوا فيه من الأَشعار[3] . ففعل ، فأَنشدهم بعض ما قاله أحد الحَيَّيْن فى حَرْبهم[4] ، فكأَنَّهم دَخَلَهُمْ من ذلك [شىء[5]]

---

(١) فى النهاية (جـ ٣ ص ٩٦) عسا – بالسين المهملة أى كبر وأسن . وفى القاموس كذلك : عسا الشيخ يعسو عسواً وعسواً وعساء وعسياً أسن وكبر ، وعلى ذلك فليس صحيحاً ما كتبه ناشر سيرة ابن هشام فى التجارية سنة ١٩٣٧ م جـ ٢ ص ١٨٣ : عسا : اشتد وقوى، يريد أنه تمكن فى كفره فصعب إخراجه عنه .

(٢) فى الواحدى (ص ٨٥) : وما كان فيه .

(٣) زاد ابن إسحق (ابن هشام جـ ٢ ص ١٨٣) وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلى أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعاً . وهناك تفصيل أوفى عن يوم بعاث فى الأغانى (جـ ١٧ ص ١١٨ وما بعدها ، القاهرة سنة ١٩٧٠ م) وفى وفاء الوفا السمهودى (جـ ١ ص ١٥٢ : ١٥٦) .

(٤) فى الأصل : فى ذلك . ونظراً لورود كلمة ذلك فيما بعد ، أثبتنا عبارة الواحدى .

(٥) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ١٥٥) .

فقال الحَيّ الآخرون : وقد قال شاعرنا [في يوم كذا][1] : كذا وكذا [فقال الآخرون : وقد قال شاعرنا في يوم كذا : كذا وكذا][2] . فتكلَّم القومُ عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تَوَاثَب رجلان من الحَيَّيْن : أَوْس بن قَيْظِي [أحد بني حارثة بن الحارث][3] من الأَوْس ، وجَبَّار بن صَخْر [أحد بني سَلِمَة [3]] من الخزرج ، فتَقَاوَلا ، ثم قال أَحَدُهما لصاحبه : « إن شِئْتُمْ رَدَدْنَاها الآن جَذَعَة » . فغَضِب الفريقان جميعاً ، وقالوا[4] : « قد فعلنا ، مَوْعِدُكم الظاهرة — والظاهرة الحَرَّة — السِّلاحَ السِّلاحَ » . فخرجوا إليها . [فانْضَمَّت الأَوْس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية][5] .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله / عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من ١٠٦٦ت أصحابه حتى جاءهم فقال : « يا مَعْشَر المسلمين : اللهَ اللهَ ، أَبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أَظْهُرِكم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أَمْرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكُفْر ، وأَلَّف به بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كُفَّاراً ؟ » فعَرَف القومُ أنها نَزْغَةٌ[6] من الشيطان ، وكَيْدٌ من عَدُوِّهم ، فأَلْقَوْا السلاحَ من أيديهم وبَكَوْا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بَعْضُهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطِيعين ، قد أَطْفَأَ الله عنهم كَيْدَ عَدُوِّهم : عَدُوّ الله شَأْس بن قَيْس ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شهيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يا أَهْلَ الكِتَابِ

---

(١) زيادة من رواية عكرمة في أسباب النزول ص ٥٨ .

(٢) زيادة من رواية عكرمة .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٨٤) .

(٤) هذه رواية زيد بن أسلم أما رواية عكرمة فقد جاء فيها : فنادى هؤلاء يا آل أوس ونادى هؤلاء يا آل خزرج ، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال (الواحدى ص ٨٥) .

(٥) زيادة من رواية زيد بن أسلم في الواحدى (ص ٨٦) .

(٦) في سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ١٨٤ طبعة التجارية سنة ١٩٣٧ م) نزعة — بالعين المهملة وصوابها بالغين المعجمة ففي النهاية (جـ ٤ ص ١٣٧) : نزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغاً (من باب منع) أى أفسد وأغرى ، ونزغه بكلمة سوء أي رماه بها وطعن فيه ، والنزغة الطعنة والنخسة ومنه نزغة الشيطان التي يقصد بها إغراءه على ارتكاب المعاصي .

لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[1] ﴾

وأنزل الله فى أَوْس بن قَيْظِى ، وجَبَّار بن صَخْر ، ومن كان معهما من قومهما الذين صَنَعوا ما صَنَعوا ما أَدْخَل عليهم شأْس من أمر الجاهلية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[2] » .

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق : « شَأْس » : بشين معجمة فهمزة ساكنة فسين مهملة . « عَسَا » بعين فسين مهملتين أى كَبِرَ وأَسَنّ . « الضِّغْن » بكسر الضاد المعجمة : الحِقْد . « قَيْلَة » ـ بفتح القاف وسكون التحتية : [أم الأوس والخزرج[3]] . « بُعَاث » بعين مهملة ومثلثة ـ وتَقَدَّم الكلام عليها مبسوطاً فى أبواب بَدْء إسلام الأنصار . « جَبَّار » : بالجيم وتشديد المُوَحَّدة . « جَذَعَة » بفتح الجيم والذال المعجمة : أى أحدثنا الحرب[4] . « الحَرَّة » بفتح الحاء المهملة والراء المُشَدَّدَة : [وهى الأرض ذات الحجارة السُّود][5] . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٠ ، ١٠١ وفى تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ١٥٥) : « يا أيها الذين آمنوا » يعنى الأوس والخزرج ، « إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » يعنى شأساً وأصحابه . وتلا ذلك فى القرطبى وفى أسباب النزول للواحدى (ص ٨٦) : قال جابر بن عبد الله : ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ إلينا بيده فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا ، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخراً من ذلك اليوم .

(٣) زيادة من القاموس المحيط .

(٤) جاء فى التاج : من المجاز أعدت الأمر جذعاً أى جديداً كما بدا ، وفى الأساس للزمخشرى (جـ ١ ص ١١٣) : وطفئت حرب بين قوم فقال أحدهم : إن شئتم أعدناها جذعة . أى أول ما يبتدأ فيها .

(٥) زيادة من النهاية (جـ ١ ص ٢١٥) .

الباب الثامن

فى سَبَب نزول قَوْلِه تَعَالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِين قَالُوا إنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياء[1]) وَقَوْلِهِ تعالى : (إذ قالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بشَرٍ مِنْ شَىْءٍ[2])

روى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ، وابن جرير عن السُّدِّىّ ، وابن جرير عن عِكْرِمة أن أبا بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه دَخَل بيت المِدْرَاس[3] بعد نزول قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَنًا[4]) فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يُقَال له / فِنْحاص [بن عَازُورَاء[5]] وكان من علمائهم وأحبارهم . فقال أبو بكر : وَيْلَكَ[6] يا فِنْحَاص : « اتَّقِ اللهَ عزَّ وجلّ وأَسْلِمْ ، فوالله إنك لَتَعْلَم أن محمداً رسولُ الله [قد جاءكم بالحق من عند الله] [7] تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة[8] » . فقال فِنْحاص لَعَنه الله : « والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فَقْر ، وإنه إلينا لَفَقِير ، وما نَتَضَرَّعُ إليه كما يَتَضَرَّع إلينا ، وإنَّا عنه لأغنياء [وما هو عنَّا بغَنِىّ[9]] ولو كان عَنَّا غَنِيًّا ما استقرض منا أموالنا كما يَزْعُم صاحِبُكم ، ينهاكم عن الرِّبا ويُعْطِيناه

١٠٦٧ت

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨١ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٣) فى الأصل بيت المقدس والخطأ فيه واضح وبيت المدراس هو البيت الذى يدرس فيه اليهود ما يتعلق بديانتهم . وفى الكتب الخاصة بالديانة اليهودية تنطق هذه الكلمة بالشين المعجمة ويقصد بالمدراش التفسير العبرى للعهد القديم .

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

(٥) تكلمة الاسم من تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٢٩٤) ومن أسباب النزول للواحدى (ص ٩٨) .

(٦) فى سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ١٨٧) : ويحك .

(٧) زيادة من ابن هشام والواحدى .

(٨) زاد ابن هشام: الإنجيل وهذه رواية ابن إسحق وهى تدل على عدم الإلمام باليهودية فاليهود لا يعترفون بالإنجيل . ولقد كان كل من المؤلف والواحدى دقيقاً فى اقتصارهما على ذكر التوراة ، إذ كان النقاش محصوراً بين الصديق واليهود .

(٩) زيادة من ابن هشام .

ولو كان عَنَّا غَنِيًّا ما أعطانا الرِّبا » . فغَضِبَ أبو بكر فضَرَب وَجْهَ فِنْحاص ضَرْبةً شديدة وقال : « والذى نَفْسِى بيده لولا العَهْد الذى بيننا وبينك لضَرَبْتُ عُنُقَكَ أى عَدُوَّ الله » .

فذهب فِنْحَاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما فعل بى صاحبُك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « ما حَمَلَك على ما صَنَعْت ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله [إن عدو الله[1]] قال قولاً عظيماً [إنه] زَعَم أن الله عز وجل فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غَضِبْتُ لله مما قال فضربتُ وَجْهَه . فجَحَد [ذلك[2]] فِنْحَاص ، وقال : ما قُلْتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحَاص [رَدّاً عليه[2]] وتصديقاً لأبى بكر رضى الله عنه : (لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ ما قَالُوا وقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ[3]) ونزل فى أبى بكر الصِّدِّيق ، وما بَلَغه فى ذلك من الغَضَب : (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ من قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ[4]) .

وروى ابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ عن السُّدِّى فى قوله تعالى : (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِى جَاء بِهِ مُوسَى[5]) . قال فِنْحاص اليهودى : ما أنزل الله على محمد من شىء . قال السُّدِّى : والمشهور أنها نزلت فى مالك بن الضَّيْف . وروى ابن جرير ، وابن المنذر عن عِكْرِمة فى الآية قال : نزلت فى مالك بن الضَّيْف . وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جُبَيْر ، وابن جرير عن محمد بن كعب القُرَظِى قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضَّيْف ، ومعه جماعة فخاصم النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية : فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأْتِينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً . فأنزل الله عز وجل : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٨٧) .
(٢) زيادة من ابن هشام .
(٣) سورة آل عمران آية ١٨١ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٨٦ .
(٥) سورة الأنعام آية ٩١ .

السَّماء فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ / مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّناتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً[1]) . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْشُدُكَ بالذى أنزل التوراة على موسى أَمَا تجد فى التوراة أن الله يَبْغَض الحَبْر السَّمينَ ؟ » وكان حَبْراً سميناً . فغَضِب وقال : [والله[2]] ما أنزل الله على بَشَرٍ من شئ . [فقال له أصحابه الذين معه : وَيْحَك ! ولا على موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بَشَر من شئ[2]] فأنزل الله عَزَّ وجَلَّ [نقضاً لقولهم ورَدّاً عليهم[2]] : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَئٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِى جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثم ذَرْهُمْ فى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[3]).

١٠٦٨ت

---

(١) سورة النساء آية ١٥٣ .

(٢) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ٧ ص ٣٧) .

(٣) سورة الأنعام آية ٩١ .

الباب التاسع

فى سؤالهم عن أشياء لا يعرفها إلاَّ نَبِىّ وجوابه لهم وتصديقهم إيَّاه بِأَنَّه أَصَاب وتَمَرُّدهم عن الإيمان به

روى ابن إسحق والطيالسى والفَرْيابى والإمام أَحمد ، وعَبْد بن حُمَيْد ، وابن جرير ، والبيهقى ، وأَبو نُعَيم عن غيرهم بسَنَدٍ حَسَن عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والبخارى فى تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أَبى حاتم من طريق آخر عنه مختصراً ، قال : « حَضَرَتْ عِصَابَةٌ من اليهود نَبِىَّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أَبا القاسم حَدِّثْنا عن خِلَالٍ نسأَلك عنها لا يعلمها إلا نَبِىّ . قال : « سَلُونى عَمَّا شئتم ولكن اجعلوا لى ذِمَّة الله عز وجل ، وما أَخذ يعقوب على نبيه لئن حدثتكم شيئاً لَتُبَايِعُنِّى » . قالوا : فذلك لك . قالوا : أَربع خلال نسأَلك عنها : أَخْبِرْنا أَىّ طعامٍ حَرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أَن تنزل التوراة ؟ وأَخْبِرْنا كيف ماء الرجل من ماء المرأَة ، وكيف الأُنثى منه والذكر ؟ وأَخْبِرْنا كيف هذا النبى الأُمِّىّ فى النوم ومن يليه من الملائكة ؟ وأَخْبِرْنا ما هذا الرَّعْد ؟ فأَخذ عليهم عَهْدَ الله وميثاقه : « لئن أَخبرتكم لتبايِعُنِّى » . فأَعْطَوْه ما شاء من عهد وميثاق . قال : فأَنْشُدُكم بالله الذى أَنزل التوراة على موسى : هل تعلمون أَن إسرائيل مَرِضَ مَرَضاً طال سَقَمُه فنَذَر لئن عافاه الله عَزَّ وجَلّ لَيُحَرِّمَنّ أَحَبَّ الطعام والشراب ، وكان أَحَبُّ الطعام إليه لُحْمَانَ الإبل وأَحَبُّ الشرابِ إليه أَلبانَها » ، وفى رواية : كان يسكن البادية فاشتكى عِرْق النِّسا ، فلم يجد شيئاً يداويه إلا لحوم الإبل وأَلبانها . فقالوا : اللهم نعم ، اللهم اشهد . وقال : « أَنشُدُكم بالله الذى لا إله إلا هو هل تعلمون أَن ماء الرجل أَبيض غليظ ، وأَن ماء المرأَة أَصفر رقيق ، فأَيهما عَلَا كان الوَلَد والشَّبَه بإِذْنِ الله عَزَّ وجَلَّ : إن عَلَا ماءُ الرجل كان ذكراً بإِذْنِ الله تعالى ، وإن عَلَا ماءُ المرأَة كان أُنْثَى بإذن الله تعالى » . قالوا : اللهم نعم اللهم اشهد . / قال : « فأُنشدكم بالله الذى أَنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أَن النبىَّ ١٠٦٩ت

الأُمِّيّ تنام عَيْنُه ولا ينام قَلْبُه[1] ؟ قالوا : اللهم نعم اللهم اشهد . قالوا : أنت الآن حَدِّثْنَا مَنْ وَلِيُّكَ من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نُفَارِقُك قال : « وَلِيِّي جبريل ، ولم يبعث الله عز وجل نَبِيًّا قَط إلا وهو وَلِيُّه » . قالوا : فعندها نُفارِقُك ، لو كان وَلِيُّك سواه من الملائكة لا تَّبَعْنَاك وصدَّقناك . قال : « فما يمنعكم أن تُصَدِّقونى ؟ » قالوا : هذا عَدُوُّنا من الملائكة . فأنزل الله عز وجل : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ[2]) الآية . ونزلت : (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ[3]) . وفى رواية : فقالوا : يا أبا القاسم نسألك عن خمسة أشياء . وذكر نحو ما تَقَدَّم . وزاد : قالوا : أَخْبِرْنا عن هذا الرَّعْد . قال : « مَلَكٌ من ملائكة الله عز وجل ، مُوَكَّلٌ بالسحاب ، بيده ــ أو قال : فى يده ــ مِخْرَاق[4] من نار يَزْجُر به السحاب فيسوقه حيث أمره الله » . قالوا : فما هذا الصوت ؟ قال : « صوته » . قالوا : صَدَقْتَ .

وروى الإمام أحمد ، والبزار ، والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن يهودياً قال : يا محمد مِمَّ يُخْلَق الإنسان ؟ قال : « يا يهودى ، يُخْلَق من كُلٍ من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، أما نُطْفَةُ الرجل فنُطْفَةٌ غليظة منها العَظْم والعَصَب ، وأما نُطْفَةُ المرأة فنُطْفَة رقيقة منها اللَّحم والدَّمُ » . فقال اليهودى : هكذا كان يقول من كان قبلك .

وروى الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم وصَحَّحَه ، والبيهقى ، وأبو نعيم عن صَفْوَان بن عَسَّال ــ بعين فسين مشددة مفتوحتين مهملتين ــ قال : «قال يهودى لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبى فنسأله . فقال له صاحبه : لا تَقُلْ نبيّ فإنه لو سمعك تقول نبى كان له أربعة أَعْيُن ، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله عز وجل :

---

(١) فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٦٨) قال : « أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان » ؟ فقالوا : اللهم نعم . قال : « فكذلك نوى تنام عينى وقلبى يقظان » .

(٢) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة آية ٩٠ .

(٤) فى النهاية (ج ١ ص ٢٩١) : المخراق فى الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب . وجمعه مخاريق ومنه حديث على : البرق مخاريق الملائكة .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ[1]) فقال : « لا تُشْرِكوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النَّفْسَ التى حَرَّم الله إلا بالحق ولا تَزْنُوا ولا تَسْرِقوا ولا تَسْحَرُوا ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله ولا تأْكلوا الربا ولا تقذفوا مُحْصَنَة ولا تَفِرُّوا من الزَّحْف وعليكم [يا معشر[2]] اليهود خاصَّةً أَلاَّ تعدوا فى السبت » . فقَبَّلا يَدَيْه ورجْلَيْه وقالا : « نشهد أنك نَبِيّ » . قال : « فما يمنعكما أن تُسْلِما ؟ » فقالا : « إن داود دعا الله أَلَّا يزال فى ذُرِّيته نَبِيّ ، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا يهود » .

وروى مسلم عن ثَوْبان رضى الله عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء حَبْرٌ من اليهود فقال : أين الناس يوم تبدل الأَرض / غير الأَرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى ظلمة دون الجسر » . قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » . فقال : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد نون » . قال : « فما غذاؤهم على أثره ؟ قال : « يُنْحَر لهم ثور الجنة الذى كان يأْكل من أطرافها » . قال : فما شرابُهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلا » . قال : صَدَقْت .

١٠٧٠ت

قال : « وجئتُ أسأَل عن شيء لا يعلمه أَحَدٌ من أهل الأَرض إلا نَبِيّ أو رجل أو رجلان ، جئت أسأَل عن الوَلَد . قال : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فَعَلا مَنِيُّ الرجل مَنِيِ المرأة فَذَكَرٌ بإذن الله عز وجل ، وإذا عَلاَ مَنِيُّ المرأة مَنِيَ الرجل فأُنثى بإذن الله عز وجل » . قال اليهودي : صَدَقْتَ وإنك لَنَبِي . ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه سأَلنى عن هذا الذى سأَلنى عنه ، وما أَعلم شيئاً منه حتى أنبأَنى الله عز وجل» .

وروى ابن أَبى شيبة ، وأحمد بن منيع ، وعَبْد بن حُمَيْد ، والنسائى فى الكبرى ، والطبرانى بسَنَدٍ صحيح عن زَيْد بن أَرْقَم رضى الله عنه قال : جاء رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال : يا أبا القاسم أَتزْعُم أن أهل الجنة يأْكلون ويشربون ؟ وقال

(١) سورة الإسراء آية ١٠١ والحديث بطوله فى تفسير القرطبى (جـ ١٠ ص ٣٣٥ : ٣٣٦ وجـ١ ص ٤٣٩ : ٤٤٠) .

(٢) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ١٠ ص ٣٣٥) .

اليهودى لأصحابه : إن أقرَّ بها خَصِمْتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُؤْمِن بشجر المِسْك ؟ » قال : نعم . قال : « وتَجِدُها فى كتابكم ؟ » قال : نعم . قال : « والذى نفسى بيده إن أحدهم لَيُعْطَى قوة مائة رجل إلى المطعم والمشرب والجِمَاع » . فقال اليهودى : الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حاجتُهُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ من جلودهم مثل ريح المِسْك ، فَتَضْمُر بُطُونُهم » .

وروى سعيد بن منصور وأبو يَعْلَى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والبزار ، والحاكم ، والبيهقى ، وابن جرير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يهودىٌّ فقال : يا محمد أَخْبِرْنى عن النجوم التى رآها يوسف عليه السلام ساجدةً له ما أسماؤها ؟ فلم يُجِبْهُ بشىء . فنزل عليه جبريل فأخبره [بأسمائها[1]] . فبعث إلى اليهودى[2] وقال له : « أَتُسْلِم إن أَخْبَرتُك [بأسمائها ؟ » قال : نعم[3]] فقال : « [هى[4]] : حرثان وطارق والذَّيَّال وذو الكنفات وذو الفَرْغ ووَثَّاب وعَمُودَان وقَابِس والضَّرُوج والمُصَبِّح والفَلِيق والضياء والنور . رآها [يوسف عليه السلام[5]] فى أُفُق السماء ساجدةً له » . فقال اليهودى : هذه والله أسماؤها . قال / الحَكَم بن ظُهَيْر أحد رواته : الضِّيَاء هو الشمس وهو أبوه ، والنور هو القمر وهى أمه . قال الحافظ فى حاشية كتبها على مجمع الزوائد : رأيت فى نُسْخَة مُصَحَّحة [أنه] من ضعفاء العُقَيْلى . ١٠٧١ت

بيان غريب ما سبق : « حرثان »[6] بمهملة مفتوحة ثم مثلثة . « الذَّيَّال » : بمعجمة ثم

---

(١) زيادة من تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٤٦٨) .

(٢) هذا اليهودى يقال له بستانة كما فى تفسير القرطبى (جـ ٩ ص ١٢١) وتفسير ابن كثير والبداية والنهاية له (جـ ١ ص ١٩٩) .

(٣) زيادة من تفسير ابن كثير والبداية والنهاية .

(٤) زيادة من البداية والنهاية وتفسير القرطبى وميزان الاعتدال (جـ ١ ص ٥٧٢) .

(٥) زيادة من تفسير القرطبى .

(٦) أسماء هذه الكواكب مصحفة ومغلوطة فى المراجع التى رجعنا إليها وهى تفسير القرطبى وتفسير ابن كثير والبداية والنهاية له وميزان الاعتدال وقد صححنا عدداً منها نقلا عن القاموس والبعض الآخر نقلا عن حاشية الشيخ محمد قطة العدوى ومحمد الصباغ اللذين قاما بتصحيح طبعة بولاق الكشاف سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م . وأثبتنا ضبط المؤلف كما أورده فى صلب كلامه وذكرنا التصويبات فى الحواشى . وحرثان فى حاشية الكشاف (جـ ١ ص ٢٧٨) صوابها جريان بفتح الجيم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية منقول من اسم طوق القميص .

تحتية ثقيلة . « الكنفات[1] » بنون ففاء وآخره مُثَنَّاة . «القَرْغ[2]» [بفاء وراء ثم غين معجمة[3]] . « عَمُودَان» [بلفظ تثنية عمود[4]] . « قابِس[5] » : بقاف ومُوَحَّدة ثم مهملة . « الضَّرُوج » : بفتح الضاد المعجمة وآخره جيم[6] . « المُصَبِّح[7] » : بضَمّ الميم ثم فتح المهملة ثم مُوَحَّدة مُثَقَّلَة ثم مهملة . [الفَلِيق] : [بالفاء واللام والمثناة التحتية فقاف[8]]

---

(١) الكنفات صوابه كما فى حاشية الكشاف ذو الكتفين بلفظ تثنية كتف نجم كبير وهى نجوم غير مرصودة هذا توضيح ما نقل عن الشهاب [الخفاجى] .

(٢) صوابه ذو الفرغ وفى القاموس المحيط : فرغ الدلو المقدم والمؤخر منزلان للقمر كل واحد كوكبان بين كل كوكبين فى المرأى قدر رمح .

(٣) بياض بالأصل والتكلة نقلا عن ضبط القاموس .

(٤) بياض بالأصل والتكلة من حاشية الكشاف .

(٥) بقاف وموحدة وسين مهملة منقول من وصف مقتبس النار عن حاشية الكشاف .

(٦) صوابه الضروح بالحاء المهملة فى آخره كما فى نسخ الكشاف وأبى السعود بهذا الضبط .

(٧) ما يطلع قبل الفجر .

(٨) زيادة عن الأصل وهذا الضبط من حاشية الكشاف وجاء فيها أن الفليق نجم منفرد . هذا وقد أورد السيوطى فى كتابه « مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن » (ص ٢١ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) أسماء هذه الكواكب فى تفسيره لأحد عشر كوكباً وأضاف قائلا كما ورد فى حديث مرفوع أخرجه الحاكم فى مستدركه . وقد وردت أسماؤها مضبوطة ويبدو لنا أن الضبط منقول عن حاشية الكشاف فى طبعة بولاق . هذا ولم نعثر على أسماء هذه الكواكب فى الفصول التى عقدها محمد بن أحمد ابن يوسف الكاتب الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ فى كتابه مفاتيح العلوم (طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ) ص ١٢٢ وما بعدها) عما يتعلق بالنجوم .

الباب العاشر

فى رجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم فى عقوبة الزانى وما ظهر فى ذلك من كِتْمانِهم ما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فى التوراة من حكمه وصِفَة نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم

روى ابن إسحق وابن جرير ، وابن المنذر ، والبيهقى فى السُّنَن عن أَبى هريرة رضى الله عنه ، وعبد الرَّزَّاق ، وأحمد ، وعَبْد بن حُمَيد ، وأَبو داود ، وابن جرير ، والبيهقى فى الدلائل من وجه آخر عنه ، وأحمد ، ومسلم ، وأَبو داود ، والنَّحَّاس فى ناسخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أَبى حاتم عن البَرَاء بن عازِب ، والشيخان عن ابن عُمَر ، وابن جرير ، والطبرانى عن ابن عباس ، وعَبْد بن حُمَيْد فى مُسْنَدِه ، وأَبو داود ، وابن ماجه وابن المنذر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما :

أَن أَحبار يهود اجتمعوا فى بيت المِدرَاس حين قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد زَنَى رَجُلٌ بعد إحصان بامرأَة من يهود [قد أحصنت[1]] ـ قال جابر : من أَهل فَدَك ، كتب أَهلها إلى أُناس من يهود المدينة « أَن سلوا محمداً عن ذلك ، فإن أَمركم بالجَلْد فخذوه عنه وإن أَمركم بالرَّجْم فلا تأْخذوه عنه » . انتهى . قال أَبو هريرة : فلما اجتمعوا فى بيت المِدْرَاس قال : ابعثوا بهذا الرجل وبهذه المرأَة إلى محمد ، وفى لفظ : اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه بُعِث بتخفيف[2] ، فإن أَفتانا بفُتْيَا دون الرَّجْم قَبِلْناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فُتْيَا نَبِىٍّ من أَنبيائك . وفى رواية : فقالوا : وَلُّوه الحُكْمَ فيهما فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِية ـ وهى الجَلْد بِحَبْلٍ من ليف مَطْلِىٍّ بقار ثم تُسَوَّد وجوههما ،

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٩٢) .

(٢) أى بعث بتخفيف العقوبة .

ثم يُحْمَلان على حِمارين[1] وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحِمَارَين[1] — فاتَّبِعوه فإنما هو مَلِكٌ سَيِّد قوم ، وإن هو حَكَم فيهما بالرَّجْم فإنه نَبِيٌّ فاحذروه على ما فى أيديكم أن يَسْلُبَكُمُوه[2]

فأَتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فى أصحابه ، فقالوا : « يا أبا القاسم / هذا رجل قد زَنَى بعد إحصانه بامرأة قد أُحصنت فاحكم فيهما فقد وَلَّيْنَاكَ الحكم فيهما[3] » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَجدون فى التوراة ؟ » قالوا : نفضحهما ويُجْلَدان . وفى رواية قالوا : دَعْنا من التوراة وقُلْ ما عندك . فأفتاهم بالرَّجْم ، فأنكروه . فلم يُكَلِّمْهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى بيت مِدْرَاسِهم ، فقام على الباب فقال : « يا مَعْشَرَ يهود أَخْرِجُوا إلىَّ علماءكم » . فأَخرجوا إليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسِر بن أخطب ، ووَهْب بن يهوذا ، فقالوا : إن هؤلاء علماؤنا .

1072

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْشُدُكم اللهَ الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زَنَى بعد إحصان ؟ قالوا : يُحَمَّم[4] ويُجَبَّب[5] . فقال عبد الله بن سَلاَم : كذبتم إن فيها آية الرَّجْم . فَأَتَوْه بالتوراة فنشروها فوضع [أحدهم[6]] يده على آية الرَّجْم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال عبد الله بن سَلاَم : ارفع يَدَك . فرفعها فإذا آية الرَّجْم تلوح . قال : صَدَقَ محمد . وفى رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقسم عليهم بالله عز وجل سكت شابٌّ منهم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أَلَظَّ[7] به [المسألة[8]] ، فقال : إذ نشدتنا فإنا نجد فى التوراة الرَّجْم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(1) فى الأصل بصيغة المفرد وأثبتنا صيغة المثنى كما فى ابن هشام (ج ٢ ص ١٩٣) .

(2) فى الأصل : يسلبكم .

(3) فى الأصل : ماترى فى رجل وامرأة منهم زنيا؟ وهذه عبارة مقتضبة لم يرد فيها ذكر الإحصان ورواية ابن إسحق أوضح .

(4) من حمم الرجل أى سود وجهه وفى النهاية (ج ١ ص ٢٦١) فى حديث الرجم أنه مر بيهودى محمم أى مسود الوجه من الحممة الفحمة وجمعها حمم .

(5) فى الصحاح التجبيه أن يقوم الإنسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور قال فيقومون فيجبون تجبية رجل واحد قياماً لرب العالمين والتجبية تكون فى حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والآخر أن ينكب على وجهه باركاً وهو السجود .

(6) زيادة يقتضيها السياق .

(7) فى النهاية (ج ٤ ص ٥٨) ألظ بالشىء يلظ إلظاظاً إذا لزمه وثابر عليه .

(8) زيادة من ابن هشام .

« فما أوَّلُ ما رخصتم أمر الله عز وجل ؟ » قال : زنى رجل ذو قرابة من مَلِكٍ من ملوكنا فأُخِّرَ عنه الرَّجْم . ثم زنى رَجُلٌ فى أُسْرَة[1] من الناس فأرادوا رَجْمَه فحال قَوْمُه دونه وقالوا : والله لا يُرْجَم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فَتَرْجُمه ، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم . وفى رواية أن الزِّنَى كَثُر فى أشرافنا ، فكُنَّا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحَدّ ، فقلنا : تَعَالَوْا حتى نجعل شيئاً ونُقِيمُه على الشريف والوضيع . فأجمعنا على التحميم والجَلْد ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرِفون إنك نبى مُرْسَل ولكنهم يَحْسُدُونك .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أوَّلُ من أحْيَا أمْرَك إذ أماتوه قديماً بالشهوة » . فجاءوا بأربعة [شهود] فشهدوا بأنهم رَأَوْا ذكره فى فَرْجها مِثْل المِيل فى المُكْحُلَة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فرُجِما عند باب مسجده ، وفى رواية بالبلاط . قال ابن عُمَر : فرأيتُ الرجلَ يُجْنِئ[2] على المرأة لِيَقِيهَا الحجارة ، وفى لفظ : فكنت فيمن رَجَمهما فلقد رأيتُه يَقِيها الحجارَة بنفسه .

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق : « بيت المِدْرَاس » : بكسر الميم [وهو البيت] الذى يقرأ فيه أهل الكتاب[3] كُتُبهَم . « التَّجْبِيه » : بفتح / الفوقية وسكون الجيم وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم هاء ، فُسِّرَ الحديث بالجَلْد والتحميم والمخالفة فى الركوب قال ثابت بن قاسم : وقد يكون معناه التعيير والإغلاظ من جَبَهْتُ الرجل أى قابلته بما يكره ، وضبطها بعضهم بمثناة فى آخره وقبلها حركة ، وأَصْلُه البروك وهو بعيد هنا . « صوريا » : بصاد مهملة مضمومة وآخره ياء وألف . « ياسِر » : بتحتية وسين مهملة . « أخطب » : بوزن أفعل التفضيل من الخُطْبَة . « أنْشُدكم بالله[4] » : أذَكِّرُكم أو سألْتُكم به مُقْسِماً عليكم .

1073ت

---

(1) فى النهاية (جـ 1 ص 31) زنى رجل فى أسرة من الناس . الأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم .

(2) فى النهاية (جـ 1 ص 180) : يجنئ عليها أى يكب ويميل عليها ليقيها الحجارة من أجنأ يجنىء إجناء . وفى رواية أخرى فلقد رأيته يجانئ عليها مفاعلة من جانأ يجانئ ، ويروى بالحاء المهملة .

(3) تعريف المؤلف هنا للمدراس غير مانع لأنه يشمل النصارى وهم أهل كتاب مع أن المدراس خاص باليهود وحدهم دون النصارى .

(4) يقال : نشدتك الله ونشدتك بالله ونشدتك الرحم وبالرحم .

« تلوح » : تبدو . « أَلَظَّ » به لازمه . « النِّشْدة[1] » : بكسر النون من المناشدة . « الأُسْرَة » : القُوَّة « البَلاط » - بفتح الموحدة : الحِجَارة المفروشة ، وموضع بالمدينة وهو المراد هنا .
« يُجْنِيء عليها[2] » : يُكِبُّ [ويميل] عليها .

---

(١) نشد من باب نصر نشد الضالة ينشدها نشداً ونشدة ونشداناً بكسرهما طلبها وعرفها ، عن القاموس المحيط .

(٢) أثبتنا هنا ضبط ابن الأثير فى النهاية على اعتبار أن الفعل رباعى ولكن الثلاثى منه من باب فتح يؤدى نفس المعنى فى اللسان يقال أرادوا ضربه فجنأت عليه أقيه بنفسى وإذا أكب الرجل على الرجل يقيه شيئاً قيل أجنأ ، وجنأت المرأة على الولد أكبت عليه ، عن التاج . ثم أورد الزبيدى حديث الرجم بلفظ يجنأ عليها .

الباب الحادى عشر

فى سؤاله لهم أن يَتَمَنَّوْا المَوْتَ إن كانوا صادقين فى دَعَاوَى ادَّعُوها

قال الله عز وجل : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[1]) روى ابن جرير عن أبى العالية أنه قال : « قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نَصَارَى ، وقالوا نحن أبناء الله وأحِبَّاؤُه[2] » . فأنزل الله تعالى الآية الأُولى فلم يفعلوا . وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآية الأُولى لما نزلت قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كنتم فى مقالتكم صادقين قولوا اللهم أَمِتْنَا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غَصَّ بِرِيقه فمات مكانه » ، فَأَبَوْا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم ، فنزل : (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ[3]) يعنى عماته أيديهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية : « والله لن يَتَمَنَّوْه أبداً » . وروى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم من طريق آخر عنه ، قال : « لو تَمَنَّى اليهود الموت لَشَرِقَ أحَدُهم بِرِيقه » . وروى الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن مَرْدَوِيه ، وأبو نُعَيْم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن اليهود تَمَنَّوْا المَوْتَ ، لماتوا وَلَرَأَوْا مقاعدهم من النار .

---

(١) سورة البقرة آية ٩٤ .

(٢) فى هذا اقتباس من الآية ١٨ من سورة المائدة : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) .

(٣) سورة البقرة آية ٩٥ .

الباب الثانى عشر

فى سِحْرِهم إيّاه صلى الله عليه وسلم

١٠٧٤ت روى الشيخان والإسماعيلى ، وابن مَرْدَويه ، والبيهقى عن عائشة رضى الله / عنها ، والإمام أحمد ، وعَبْد بن حُمَيْد ، والبخارى ، والنسائى عن زيد بن أرْقَم ، وابن مَرْدَوِيه عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه ، وابن سعد ، والبيهقى ، وابن مَرْدَويه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن سعد عن عُمَر بن الحكم مُرْسَلاً،قال عُمَر بن الحكَم : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُدَيْبِيَة [فى ذى الحجة[١]] ودخل المُحَرَّم سنة سَبْع جاءت رؤساء يهود [الذين بَقُوا فى المدينة مِمَّن يُظْهر الإسلام وهو منافق[١]] إلى لَبِيد بن الأَعْصَم ، وكان حليفاً فى بنى زُرَيْق وكان ساحراً [قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسِّحْر وبالسموم[١]] فقالوا له : يا أبا الأعصم أنت أَسْحَرُنا ، وقد سَحَرْنا محمداً فلم نصنع شيئاً [وأنت ترى أثَره فينا ، وخِلافَه دينَنَا ، ومن قتل منا وأَجْلَى[١]] ونحن نجعل لك على ذلك جُعْلاً [على أن تسحره لنا سِحْراً يَنْكَوُه[١]] فجعلوا له ثلاثة دنانير [على أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]] .

وقالت عائشة رضى الله عنها فى رواية عبد الله بن عُمَيْر : سحررسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بنى زُرَيْق . وفى رواية ابن عُيَيْنَة : رجل من بنى زُرَيْق حليف يهود وكان منافقاً . وفى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عند ابن سعد : إنما سَحَرَه بنات أَعْصَم أخوات لَبيد [وكُنَّ أَسْحَر من لبيد وأَخْبَث[٣]] وكان لبيد هو الذى ذهب به فأدخاه تحت رَاعُوفَة البئر[٤] ، فلما[٥] عَقَدُوا تلك العُقَد أنكر رسول الله صلى الله عليه

(١) زيادة من طبقات ابن سعد (جـ ٤ ص ١١) الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) زاد ابن سعد : فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر ، فعقد فيه عقداً وتفل فيها تفلا وجعله فى جب (وفى رواية فى جف) طلع نخلة ذكر ثم انتهى به حتى جعله تحت راعوفة البئر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أنكره حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله .

(٣) زيادة من طبقات ابن سعد (جـ ٤ ص ١١) الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) راعوفة البئر كما فى النهاية (جـ ٢ ص ٨٧) هى صخرة تترك فى أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقى عليها . وقيل هى حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقى عليه ، ويروى بالثاء المثلثة راعوثة والمشهور بالفاء .

(٥) يلى ذلك فى الأصل : حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، وهذه العبارة لا تأتلف مع ما سبقها وأثبتنا بدلا منها تكلة رواية عبد الرحمن بن كعب بن مالك كما نقلها المؤلف عن طبقات ابن سعد .

وسلم تلك الساعة بَصَرَه ، ودَسَّ بناتُ أَعْصَم إحداهن فدخلت على عائشة رضى الله عنها [فَخَبَّرتها عائشة أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بَصَره[1]] ثم خرجت إلى أخواتها [وإلى لبيد[2]] فأخبرتهم بذلك . فقالت إحداهن : « إن يَكُنْ نَبياً فَسَيُخْبَر وإن يَكُ غَيْرَ ذلك فسوف يُدَلِّهُهُ هذا السِّحْر حتى يذهب عقله » .

وفى رواية فى الصحيح [عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِر[3]] حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهنّ » . قال سفيان وهذا شَرّ ما يكون إذا كان كذا .

وفى مُرْسَل يحيى بن يعمر عن عبد الرَّزّاق : حتى أنكر بَصَرَه ، فدخل عليه أصحابه يعودونه فخرجوا من عنده وهم يرون أنه لمـا به [مطبوب] . وفى رواية عمرة عن عائشة عند البيهقى : فكان يذوب وما يدرى ما وَجَعُه فاشتكى لذلك أياماً . وفى رواية أبى ضمرة عند الإسماعيلى : مكث أربعين ليلة . وفى رواية وهيب عند الإمام أحمد : ستة أشهر ، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله عز وجل ثم دعا ثم قال : « يا عائشة أَشَعَرْتِ أن الله أَفْتَانى فيما اسْتَفْتَيْتُه فيه ؟ » قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أتانى رجلان — وفى حديث ابن عباس : جبريل وميكائيل — فقعد أحدهما عند رأسى — قال الدمياطى هو جبريل — والآخر عند رِجْلَىّ . ثم قال أحدهما لصاحبه — وفى حديث ابن عباس : فقال ميكائيل : ياجبريل إن صاحبك شاكٍ . قال : أجل . قال : وما وَجَع الرجل ؟ فقال : / مطبوب . قال : ومَنْ طَبَّه ؟ قال لَبِيد بن الأَعْصَم اليهودى . قال : فبماذا ؟ قال : « فى مُشْط ومُشَاطَة — وفى لفظ : مُشْطٍ ومُشَاقة وجُفّ طَلْعِ نخلةِ ذَكَر » .

1075ت

وفى حديث عائشة من طريق ابن عيينة ، « فقال الذى عند رأسى » . قال الحافظ : « وكأنها أصوب » . وفى حديث ابن عباس عند البيهقى قال : وأين هو ؟ قال : فى بئر

---

(1) ساقطة من الأصل والتكملة من طبقات ابن سعد (جـ ٤ ص ١١ و ١٢) .

(2) زيادة من ابن سعد .

(3) زيادة من صحيح البخارى كتاب الكهانة والسحر (جـ ٧ ص ٢٥١) .

ذى أروان – وفى لفظ : بئر ذِرْوَان – وفى حديث ابن عباس عند ابن مَرْدَويه : وهو بئر ميمون فى كُدْيَة[1] تحت صخرة فى الماء . قال : فما دواء ذلك ؟ قال : تُنْزَح البئر ثم تُقْلَب الصخرة فتؤخذ الكدية فيها مثال إحدى عشرة عُقْدَة فتُحْرَق فإنه يَبْرأ بإذن الله تعالى[.] فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا وعَمَّاراً[2] . وفى حديث آخر : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أُنَاسٍ من أصحابه إلى البئر ، فنظر إليها ، وعليها نَخْل ، فدخل رجل فاستخرج جُفَّ طَلْعَة [ذكر] من تحت الراعوفة ، فإذا فيها مُشْط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا وَتَر [معقود[3]] فيه إحدى عشرة عُقْدَة مُغرزة بالإبَر ، فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين : سورة الفَلَق وسورة الناس [وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العُقَد وأمر أن يُتَعَوَّذَ بهما[4]] فجعل كلما قرأ آية انْحَلَّتْ عُقْدَة ، وكلما نَزَع إبرة وجد لها أَلَمًا ويجد بعدها راحة . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أُنْشِط من عِقَال[5] .

قالت عائشة : فلما رجع قال : لكأَنَّ ماءها نُقَاعَةُ الحِنَّاء وكأَنَّ رءوس نخلها الذى يشرب ماءها قد التوى سَعَفُه كأنَّه رءوس الشياطين . قلت : يا رسول الله أَفَلاَ استخرجته ؟ قال : « لا » – وفى رواية من حديث عائشة فى الصحيح وغيره : فقلت يا رسول الله أفَلا[6] – قال سفيان : أى تَنَشَّرْتَ[7] – فقال : « أما والله » – وفى رواية : « أَمَّا أنا فقد عافانى الله وشفانى ، وَخَشِيتُ أن أُثَوِّرَ – وفى رواية أُثِيرَ – على الناس منه شَرّاً » . وأَمَر بها فَدُفِنَتْ . فقيل يا رسول الله لو قتلته فقال : « ما وراءه من عذاب أَشَدّ » . وفى رواية : فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف فعفا عنه ولم يقتله[8] .

---

(١) فى النهاية (ج ٤ ص ١١) الكدية هى القطعة الغليظة الصلبة التى لا يعمل فيها الفأس . وأكدى الحافر إذا بلغها .

(٢) فى تفسير القرطبى (ج ٢٠ ص ٢٥٣) أنه أرسل أيضاً الزبير بن العوام .

(٣) زيادة من تفسير القرطبى .

(٤) زيادة من طبقات ابن سعد .

(٥) زاد القرطبى : وجعل جبريل يرقى رسول الله فيقول : باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك .

(٦) وفى لفظ : هلا .

(٧) فى النهاية (ج ٤ ص ١٤٤) من النشرة بالضم وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أى يكشف ويزال فيقال قد نشرت عنه تنشيراً .

(٨) فى طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١١) أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل إلى لبيد بن الأعصم فقال له : « ما حملك على ما صنعت فقد دلنى الله على سحرك وأخبرنى ما صنعت ؟ » فقال : حب الدنانير يا أبا القاسم .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : السِّحْر يُطْلَق ويراد به الآلة التى يُسْحَر بها ، ويطلق ويراد به فِعْل الساحر ، وتكون الآلة تارةً معنى من المعانى فقط كالرُّقَى والنَّفْث فى العُقَد ، وتارةً تكون بالمحسوسات. وتارةً تجمع الأمرين الحسى والمعنوى وهو أبلغ .

الثانى : اختُلِف فى السحر ، فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له ، وهو اختيار أبى جعفر الأستراباذى من الشافعية ، وأبى بكر الدارمى من الحنيفة ، وابن حزم الظاهرى وطائفة . قال النووى : « والصحيح أن للسحر / حقيقة ، وبه قطع الجمهور ، وعليه عامة العلماء ، ١٠٧٦ت ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة » انتهى . ولكن محل النزاع : هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا ؟ فمن قال إنه تخييل فقط ، منع . وقيل إن له حقيقة . واختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يُغَيِّر المزاج فيكون نوعاً من الأمراض ، وينتهى إلى حالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذى عليه الجمهور ، الأول . وذهبت طائفة قليلة إلى الثانى .

فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمُسَلَّم به ، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف ، فإن كثيراً ممن يَدَّعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه . وذكروا قوماً أنكروا السحر مُطْلَقاً وكأنهم عنوا القائلين بأنه تخييل وإلا فهذه مكابرة[1] . قال المازرى : جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة ، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر ، ولأن العقل لا ينكر أن الله تعالى قد يخرق العادة عند نُطْق الساحر بكلام مُلَفَّق أو تركيب أجسام أو بمزجٍ بين قُوًى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك ما يقع من حُذَّاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضَّارّ منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً . وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى فى قوله : « يُفَرِّقُونَ بِهِ بينَ المَرْءِ وزَوْجِهِ[2] » لكَوْن المَقَام مَقَامَ تهويل ، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لَذَكَرَه . قال المازرى : « والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك ، والآية ليست نصاً فى منع الزيادة ولو قلنا إنها ظاهرة فى ذلك » .

---

(١) فى الأصل : وذكر قوماً أنكروا السحر مطلقاً وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل وإلا فهى مكابرة ، وعبارة المؤلف على أية حال غامضة .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

ثم ذكر الفرق بين السِّحْر والمُعْجزة والكرامة ، وقد ذكرته فى أبواب المعجزات .

الثالث : قال النووى : « عمل السحر حرام وهو من الكبائر بإجماع ، وقد عَدَّه النبي صلى الله عليه وسلم من السبع المُوبِقات ، ومنه ما يكون كُفْراً ، ومنه مالا يكون كُفْراً بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فِعْل يقتضى الكُفْر فهو كفر كالتَّعَبُّد للشياطين أو الكواكب . وأما تَعْلِيمُه وتَعَلُّمُه فحرام ، فإن كان فيه مايقتضى الكفر اسْتُتِيبَ منه [متعاطيه] ولا يُقْتَل . فإن تاب قُبِلَتْ تَوْبَتُه ، وإن لم يكن فيه مايقتضى الكُفْر عُزِّر . وعن الإمام مالك : السَّاحِر كافر يُقْتَل ولا يُستَتَاب ، بلَ يَتَحَتَّم قَتْلُه كالزِّنْدِيق . قال القاضى : «وبِقَوْلِ مالك قال أحمد ، وجماعة من الصحابة والتابعين » . انتهى . وإلى ذلك جنح البخارى.

الرابع : قال الحافظ : « أجاز بعض العلماء تَعَلُّمَ السِّحْر لأحد أمرين : إما لِتَمَيُّز ما فيه من كُفْر من غَيْرِه ، وإما لإزالته عَمَّن وقع / فيه . فأما الأَوَّل فلا محذور فيه إلا من جهة ١٠٧٧ت الاعتقاد ، فإذا سَلِم الاعتقاد فمعرفة الشيء معرفةً مجردة لاتستلزم مَنْعاً ، كمن يعرف عبادة أهل الأوثان ، لأن كيفية مايعرفه السَّاحِر إنما هى حكاية قَوْلٍ وفِعْلٍ ، بخلاف تعاطيه والعَمَل به . وأما الثانى فإن كان لايَتِمّ كما زَعَم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكُفْر أو الفِسْق فلا يحل أصلاً ، وإلا جاز للمعنى المذكور ، ولهذا مزيد بَسْط يأتى إن شاء الله فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

الخامس : لَبِيد - بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم مهملة - ابن الأعصم بوزن أحمر بمهملتين - وصُفِ فى رواية بأنه من يهود بنى زُرَيْق[1] . وفى رواية [أخرى] بأنه رجل من بنى زُرَيْق حليف يهود[2] ، وكان منافقاً . ويُجْمَع بينهما بأن من أطلق أنه يهودى نظر إلى ما فى نفس الأمر ، ومن أطلق عليه منافقاً نظر إلى ظاهر أمره . قال أبو الفرج : وهذا يدل على أنه أسلم نفاقاً وهو واضح .

السادس : فى مدة مُكْثِه صلى الله عليه وسلم مَسْحُوراً : وقع فى رواية أبى ضَمْرَة عند الإسماعيلى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم مَكَثَ أربعين ليلة . وفى رواية وُهَيْب عن

---

(١) هذه رواية هشام عن أبيه عن عائشة فى صحيح البخارى (جـ ٧ ص ٢٥١) .

(٢) هذه رواية الزهرى عن ابن المسيب وعروة فى طبقات ابن سعد (جـ ٤ ص ١٢) .

هشام عند الإمام أحمد ستة أشهر . ويمكن الجمع بينهما بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تَغَيُّر مِزَاجه والأربعين يوماً من استحكامه . قال السهيلى[1] : لم أقف على شىء من الأحاديث المشهورة على قَدْر المدة التى مَكَثَ صلى الله عليه عليه وسلم فيها من السحر ، حتى ظَفِرْتُ به فى جامع مَعْمَر [بن راشد[2]] عن الزُّهْرى قال : « سُحِر رسول الله صلى الله عليه وسلم سَنَة [يُخَيَّل إليه أنه يفعل الفِعْل ولا يفعله[3]] » . وقد وجدناه موصولاً بإسنادٍ صحيح فهو المعتمد .

السابع : قوله : « فدعا الله عز وجل ثم دعا الله عز وجل » : قال الإمام النووى : « فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره [وحُسْن[4]] الالتجاء إلى الله تعالى فى رفع ذلك[5] » . قال الحافظ : « سَلَكَ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القضية مَسْلَكَىْ التفويض وتعاطى الأسباب ، ففى أول الأمر فَوَّضَ وسَلَّم لأمر رَبِّه ، واحتسب الأَجْر فى صبره على بلائه . ثم لما تمادى ذلك وخَشِى من تماديه أن يَضْعُفَ عن عبادته جنح إلى التداوى ثم إلى الدعاء . وكل من المَقَامَيْن غايةٌ « فى الكمال » .

الثامن : وقع فى حديث ابن عباس عند ابن سعد[6] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً وعَمَّاراً لاستخراج السحر . وفى رواية عائشة فى الصحيح[7] : أنه صلى الله عليه وسلم تَوَجَّه إلى البئر مع جماعة . وعند ابن سعد[8] عن عُمَر بن الحَكَم مُرْسَلاً : « فَدَعا جُبَيْر بن إياس الزُّرَقى فَدَلَّه على مَوْضِعِه / فى بئر ذَرْوَان [تحت أُرعوفة البئر فخرج جُبَيْر ١٠٧٨ت

(١) الروض الأنف (جـ ٢ ص ٢٤ و ٢٥) ولفظ السهيل : غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة كم لبث رسول الله بذلك السحر حتى شفى منه ثم وقعت على البيان فى جامع معمر بن راشد .
(٢) التكملة من السهيل .
(٣) زيادة من الصحيحين ولفظ مسلم يفعل الشىء .
(٤) زيادة من شرح النووى على مسلم (جـ ١٤ ص ١٨٦) الذى نقل المؤلف عنه .
(٥) فى رفع ذلك ، من عند المؤلف ولم ترد فى كلام النووى .
(٦) طبقات ابن سعد (جـ ٤ ص ١٢) .
(٧) صحيح البخارى (جـ ٧ ص ٢٥١) .
(٨) ابن سعد (جـ ٤ ص ١١) .

حتى[1]] استخرجه . قال ابن سعد[2] : ويقال : إن الذى استخرج السِّحْر [بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]] قيس بن مِحْصَن الزُّرَقِى . ويُجْمَع بأنه أعان جُبَيْراً على ذلك وباشره بنفسه فنُسِب إليه .

التاسع : فى بيان غريب ما سَبَق : « الحُدَيْبِيَة » : يأتى الكلام عليها فى غزوتها . « الحليف » المُعَاهِد . « بنوزُرَيْق » : بتقديم الزاى تصغير أزرق . « أَشَعَرْتِ ؟ » أَعَلِمْتِ ؟ « مطبوب » : مَسْحُور . يقال : طُبَّ الرجل ـ بالضَّمِّ ـ إذا سُحِر وكَنَوْا بالطِّبِّ عن السِّحْر تفاؤلاً [بالبُرْء[4]] كما كَنَوْا بالسَّلِيم عن اللَّدِيغ . وقال القرطبى فى المُفْهِم : « إنما قالوا للسحر طِبٌّ ، لأن أصل الطِّبِّ الحِذْق بالشىء والتَّفَطُّن له ، فلما كان كل من عَالَج المَرَض والسِّحْرَ إنما يأتى عن فِطْنَة وحِذْق ، أُطْلِقَ على كل منهما هذا الاسم . « مُشْط[5] » : معروف وتقدم الكلام عليه فى شرح غريب قصة المعراج . « مُشَاطَة » . ما مُشِط من الرأس . « مُشَاقة[6] » قيل مُشَاقة الكَتَّان . وقيل المُشَاقة هى المُشَاطة بعينها ، والقاف تُبْدَل من الطَّاء لِقُرْب المَخْرَج وهما بمعنى واحد . « جُفٌّ[7] » : بالجيم والفاء وهو الغشاء الذى يكون على الطَّلْع . « الطَّلْع » : يطلق على الذكر

---

(١) زيادة من ابن سعد . (٢) ابن سعد (جـ ٤ ص ١٢) . (٣) زيادة من ابن سعد .

(٤) زيادة من النهاية (جـ ٣ ص ٣٠) وفى الأضداد للأصمعى والسجستانى وابن السكيت (بيروت سنة ١٩١٢ م ص ٢٣٧) : الطب : السحر والمداوى من السحر وغيره . وفى كتاب الأضداد فى اللغة لابن الأنبارى (القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ص ٢٠١ : ٢٠٢) : الطب من الأضداد يقال الطب لعلاج السحر وغيره من الآفات والعلل ويقال الطب للسحر ، ورجل مطبوب إذا كان مسحوراً . . . قال علقمة بن عبدة :

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... خبير بادواء النساء طبيب

فالطبيب ههنا الحاذق وإنما قيل للمعالج طبيب لحذقه قال عنترة :

إن تغدفى دونى القناع فإننى ... طب بأخذ الفارس المستلئم

وقال الآخر :

وكنت كذى سقم تبغى لنفسه ... طبيباً فلما لم يجده تطببا

وفى التاج : ومن المجاز الطب بمعنى السحر . قال ابن الأسلت :

ألا من مبلغ حسان عنى ... أطب كان داؤك أم جنون

(٥) فى القاموس وشرحه : المشط مثلثة الأول واقتصر الجوهرى على الضم وهو أفصح لغاته وهو آلة يمتشط أى يسرح بهـا الشعر والجمع أمشاط كقفل وأقفال . وفى النهاية (جـ ٤ ص ٩٦) المشاطة هى الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند تسريحه بالمشط .

(٦) فى النهاية المشاقة هى المشاطة . وهى أيضاً ما يتقطع من الإبريسم والكتان عند تخليصه وتسريحه . والمشق جذب الشىء ليطول .

(٧) الجف وعاء الطلع وهو الغشاء الذى يكون فوقه ويروى أيضاً فى جب طلعة . قاله فى النهاية وفى الفائق (جـ ١ ص ٢٠٠) جفها وعاؤها إذا جف ، وجبها جوفها ومنه جب البئر وهو جرابها .

والأُنثى ، فلهذا قَيَّدَه بالذَّكَر ، وفى رواية فى الصحيح بتنوين طَلْعَةٍ [ذَكَرٍ[1]] فهو صفة ألحقت إلى ذَكَرٍ . «بئر ذَرْوَان[2] » : بالذال المعجمة وزن مَرْوَان. وفى رواية « ذى أَرْوَان» وهى الأَصل فسُهِّلَت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت ذَرْوَان . وفى رواية السهيلى[3] : ذى روان بإسقاط همزته [وهو] غلط. «الرَّاعُوفة » : كذا لأكثر رواة الصحيح بزيادة ألف خِلافاً لابن التِّين حيث زَعَم أن رعوفة[4] للأَصيلى فقط وهو المشهور فى االلغة . وفى لغة أرعوفة. وفى رواية عند أحمد « رعوثة » ، بثاء مثلثة بدل الفاء وهى لغة أخرى معروفة . وفيها لغة أخرى « زَعُوبَة » بالزاى والموحدة ، وهما بمعنى واحد . والراعوفة حَجَرٌ يُوضَع عند رأس البئر لايُسْتَطَاعُ قَلْعُه ، يقوم عليه المُسْتَقِى ، وقد يكون فى أسفل البئر إذا احْتُفِرَتْ ، يجلس عليها الذى يُنَظِّف البئر ، وهو حجر يُوجَد صلباً لا يستطاع قَلْعُه . « أفتانى فيما استفتيته فيه : أجَابَنِى فيما دَعَوْتُه ، فأطلق على الدعاء استفتاء لأَن الداعى طالب ، والمُجِيب مُسْتَفْتَى ، والمعنى: أجابنى عما سألته عنه ؛ لأَن دعاءه كان الله أطلعه على حقيقة ما هو فيه لما اشتد عليه الأَمر . « أُنْشِطَ من عِقال » : بضم الهمزة . وفى رواية إسقاط الأَلف ، أى حُلّ كما قال فى النهاية[5] ، وكثيراً مايجىء فى الرواية « كأَنما نَشِطَ من عِقال » وليس بصحيح ، يقال : نَشَطْتُ العُقْدَةَ إذا عَقَدْتَها ، وأَنْشَطْتُها وانتشطتها إذا حَلَلْتَها . انتهى. قال فى البارع[6] تقول العرب : « كأَنما أُنْشِط من عقال » ، بضم الهمزة . ويقال فى المَثَل[7] للمريض يُسْرِع

---

(١) بياض بالأصل بنحو كلمة والتكلة من صحيح البخارى (ج ٧ ص ٢٥١) من حديث هشام عن أبيه عن عائشة .

(٢) فى وفاء الوفا للسمهودى (ج ٢ ص ٢٥٢) : بئر ذروان بفتح الذال المعجمة وسكون الراء عند رواة البخارى كافة . وذروان بئر فى بنى زريق قال الجرجانى رواة مسلم كافة بئر ذى أروان . ووقع عند الأصيلى بئر ذى أوان بغير راء . قال عياض وتبعه المجد (أى الفيروزابادى) هو وهم فإن ذا أوان موضع آخر على ساعة من المدينة وهو الذى بنى فيه مسجد الضرار .

(٣) فى النسخة المطبوعة بالقاهرة سنة ١٩١٤ م من الروض الأنف للسهيلى (ج ٢ ص ٢٤) ورد اسم هذه البئر بالألف ذى أروان .

(٤) وردت هذه الكلمة فى صحيح البخارى (ج ٧ ص ٢٥١) بدون ألف : رعوفة . مع أنهـا فى القاموس : راعوفة البئر أو أرعوفتها صخرة تترك فى أسفل البئر إذا احتفرت تكون هناك ليجلس المستقى عليهـا حين التنقية أو تكون على رأس البئر يقوم عليهـا المستقى وهى بهذا الضبط والمعنى فى الصحاح والفائق والنهاية وزاد ابن الأثير رعوثة وزعوبة .

(٥) النهاية (ج ٤ ص ١٤٥) .

(٦) كتاب البارع فى اللغة هو لأبى على القالى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ صاحب كتاب الأمالى بناه على حروف المعجم .

(٧) فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ٥٢ المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هـ) .

١٠٧٩ت بُرْؤُه ، والمَغْشِيّ عليه تُسْرِع إفاقته فى أمر / شَرَع فيه عزيمته : « كأنَّما أُنْشِط من عِقال » ، ويقال نشط[1] » ، انتهى . فأثبت ما فى الرواية لغةً ، وهو أعرف باللغة من صاحب النهاية : « تَنَشَّرْت[2] » : ظاهر صحيح البخارى أنه من النُّشْرَة ، ويحتمل أنه من النَّشْر بمعنى الإخراج فيوافق رواية من رواه بلفظ « أفأخرجته ؟ » ورواية « أفلا » وحُذِف المفعول للعلم به ويكون المُرَاد بالمُخْرَج ما حواه الجُفّ لا الجُفّ نفسه ، ليتأكد الجَمْع المتقدم ذِكْرُه . والنُّشْرَة ضَرْبٌ من العلاج يُعَالَج به من يُظَنّ أن به سِحْراً أو مَسًّا . قيل للنُّشْرَة ذلك لأنه يُكْشَف بها عنه ما خالطه من الداء . والله أعلم .

(١) لم نعثر فى المعجمات على نشط بمعنى أنشط كما يقول المؤلف غير أن الزبيدى فى التاج قال : أنشطه أوثقه هكذا فى النسخ . وأضاف بأنه قد تقدم آنفاً أن النشط هو الإيثاق ، والإنشاط هو الحل فإن صح ما ذكره المصنف فيكون هذا من باب الأضداد . وقد بحثنا عن هذه المادة فى كتب الأضداد للأصمعى والسجستانى وابن السكيت وابن الأنبارى فلم نعثر عليها .

(٢) فى النهاية (جـ ٥ ص ١٤٤) : ومنه الحديث : فلعل طباً أصابه ثم نشره بقل أعوذ برب الناس أى رقاه ، والحديث الآخر : هلا تنشرت . وفى القاموس وشرحه : ومن المجاز النشرة بالضم رقية يعالج بها المجنون والمريض وقد نشر عنه إذا رقاه وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أى يكشف ويزال وفى الحديث أنه سئل عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان . وفى النهاية أنه لم يخرج فى سفر إلا قال حين ينهض من جلوسه : اللهم بك انتشرت ، أى ابتدأت سفرى . وكل شىء أخذته غضاً فقد نشرته وانتشرته ومرجعه إلى النشر ضد الطى .

الباب الثالث عشر

فى معرفة بعض طُغَاة المنافقين الذين انضافوا إلى اليهود وبعض أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم

سَرَد ابن إسحق وجماعة أسماء المنافقين ، وأنا ذَاكِرٌ هنا بعض من نزل القرآن الكريم بكشف حاله ، وأُقَدِّم قبل ذلك معنى النِّفاق . النفاق : اسم إسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو فِعْل المنافق الذى يَسْتُر كُفْرَه ويُظْهِر إيمانه كما يَتَسَتَّر الرجل بالنَّفَق الذى هو السَّرَب[1] ، فقيل هو اشتقاقه من هذا . وقيل من قولهم نافق اليربوع إذا دخل فى قاصعائه وخرج من نافقائه وبالعكس . وذلك أن اليربوع له جِحَرَة [2]أربعة : النافِقاء[3] والقاصِعاء[4] والرَّاهِطَاء[5] والدَّامَّاء[6]، فهو يُرَقِّق أقصى النافقاء ويكتمها ويظهر غيرها .

---

(١) السرب المسلك فى خفية.قاله فى النهاية (جـ ٢ ص ١٥٥) وفى القاموس النفق محركة سرب فى الأرض لا مخلص إلى مكان. وانتفق: دخله .

(٢) الجحر للضب واليربوع والحية والجمع جحرة مثل عنبة قاله فى المصباح ويجمع أيضاً على جحور وأجحار .

(٣) فى الصحاح : النافقاء إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج . والجمع النوافق والنفقة مثال الهمزة . ونفق اليربوع تنفيقاً ونافق أى أخذ فى نافقائه ومنه اشتقاق المنافق فى الدين .

(٤) فى التاج : القاصعاء جحر لليربوع يحفره ويدخله فإذا فزع ودخل فيه سد فه لئلا يدخل عليه حية أو دابة ، وقيل هى باب جحره ينقبه بعد الداماء فى مواضع أخر . وقيل فم جحره أول ما يبتدئ فى حفره ومأخذه من القصع وهو ضم الشيء على الشيء . وقيل قاصعاؤه تراب يسد به باب الجحر والجمع قواصع . قال الجوهرى فى الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا ألفى التأنيث بمنزلة الهاء .

(٥) فى التاج : الراهطاء والرهطاء كخيلاء والرهطة كهمزة نقل الجوهرى الأولى والثالثة من جحرة اليربوع التى يخرج منها التراب ويجمعه وهى أول حفيرة يحتفرها. زاد الأزهرى بين القاصعاء والنافقاء يخبأ فيهـا أولاده . قال أبو الهيثم : الراهطاء التراب الذى يجعله اليربوع على فم القاصعاء وما وراء ذلك وإنما يغطى جحره حتى لا يبقى إلا على قدر ما يدخل الضوء منه . قال : وأصله من الرهط الجلد الذى يقطع سيوراً يصير بعضهـا فوق بعض تتوق به الحائض . وفى القاصعاء مع الراهطاء فرجة يصل بهـا إليه الضوء .

(٦) فى القاموس : دم اليربوع جحره غطاه وسواه والداماء إحدى جحرة اليربوع وتراب يجمعه ويخرجه من الجحر فيسوى به بابه والجمع دوام .

فإذا قصد من غيرها من الجُحْر ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها أى خرج . وقيل إنها نافذة بعضها إلى بعض ، فمن أيِّها قصد خرج من الأُخرى . فكذلك المنافق يدخل فى الإيمان من جهة ويخرج من جهة أُخرى فاشتقاقه من فعل اليربوع . وقيل اشتقاقه من صورة النافقاء لا من فعل اليربوع ، وذلك أن النافقاء ظاهره مدخل وباطنه مخرج ومَهْرَب ، فكذا المنافق ظاهِرُه إيمان وباطنه كُفْر ، ومحل النفاق القلب[1] .

ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أسلم بَشَر كثير مِمَّن أراد الله عز وجل هدايتَه . وانضاف إلى اليهود أُنَاسٌ من الأَوس والخزرج ممن كان عَسًا فى الجاهلية ، فكانوا أهل نِفَاق على دين آبائهم من الشِّرْك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فتظاهروا بالإسلام /واتخذوه جُنَّةً من القتل ونافقوا فى السِّرّ ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجحودهم الإسلام .

١٠٨٠ت

وقد ذكر الله أخبارهم فى سورة براءة وغيرها . فمن المنافقين : الجُلَاس[2] ـ بجيم مضمومة فلام مُخَفَّفَة فألِف فسين مهملة ـ ابن سُوَيْد بن الصامت . قال ابن إسحق : وكان مِمَّن تَخَلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك . وروى ابن إسحق ، وابن أبى حاتم عن كعب بن مالك ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ، وعبد الرَّزَّاق ، وابن سعد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ عن عُرْوَة قالوا : لما نزل القرآن فيه ذِكْرُ المنافقين قال الجُلَاس : «والله لئن كان هذا الرجل صادقاً [على إخواننا الذين هم ساداتُنا وخيارُنا[3]] لنحن شَرٌّ من الحمير» . فسمعها عُمَيْر بن سعد رضى الله عنه ، وكان فى حجر جُلَاس خَلَفَ على أمه بعد أبيه . فقال له عُمَيْر : « والله يا جُلَاس إنك [لَأَحَبُّ][4] الناس إلَىَّ وأحسنه

---

(١) فى التعريفات للشريف الجرجانى (ص ١٦٦) النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب .

(٢) فى الاشتقاق (ص ١٦١) الجلاس من الجلس والجلس ، الغلظ والعلو فى الأرض والعرب تسمى نجداً الجلس لارتفاعها ، وكل غليظ فهوجلس . وترجم له ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ١ ص ٢٩١ : ٢٩٢) فقال هو الجلاس بن سويد ابن الصامت بن خالد بن عطية بن خوط . . الأنصارى الأوسى . له صحبة وله ذكر فى المغازى . وقصته مع عمير بن سعد مشهورة فى التفاسير وقد اعترف بذنبه وحسنت توبته .

(٣) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ٨ ص ٢٠٦) .

(٤) بياض بالأصل بنحو كلمة والتكلة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٤١) .

عندى يَدًا وأَعَزّه عَلَىّ أن يُصِيبَه شىءٌ يكرهه ، ولقد قُلْتَ مقالةً لئن رَفَعْتُها عليك ـ لأَفْضَحَنَّك ولئن صَمَتُّ لَيَهْلِكَنَّ دينى ولَإِحداهما أَيْسَرُ علىّ من الأُخرى » . فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ما قال له جُلَاس . فأَرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فحلف جُلَاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كَذَب عَلَىَّ عُمَيْر وماقلتُ ما قال عُمَيْر . فقال عُمَيْر : « بل والله قُلْتَه فَتُبْ إلى الله تعالى ، ولولا أن ينزل قرآن فيجعلنى معك ما قلته » . فجاء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكتوا لا يتحرك أَحَد . وكذلك كانوا يفعلون لا يتحركون إذا نزل الوَحْى ، فَرُفِع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لهم وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ[1]) فقال [جُلَاس] : « قد قُلْتُه وقد عَرَض الله عَلَىَّ التوبة فأَنا أَتوب » . فقُبِل ذلك منه ، وكان هَمَّ أَن يلحق بالمشركين . [وقال ابن سيرين لما نزلت هذه الآية : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بأُذن عُمَيْر وقال[2]] : « يا غُلَام وَفَتْ أُذُنك [وصدَّقك ـ ربُّك »[2]] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذُكِر فى سبب نزول هذه الآية شىءٌ آخر : وهو قول عبد الله بن أُبَىّ فى غزوة المُرَيْسِيع : « والله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل : سَمِّنْ كَلْبَك يأْكُلْك[3] . والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ » . فسعى بها زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَرسل خَلْفَ ابن أُبَىّ فحلف بالله ما قاله ، / ١٠٨١ت فأَنزل الله تعالى الآية . رواه ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أَبى حاتم عن قَتَادة . وسيأْتى بيان ذلك فى غزوة المُرَيْسِيع إن شاء الله تعالى .

الثانى : روى محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر ، أَن الجُلَاس تاب وحَسُنَت تَوْبَتُه ، ولم ينزع عن خَيْرٍ كان يصنعه إلى عُمَيْر ، وكان ذلك مما عُرِفت به توبته .

---

(١) سورة التوبة آية ٧٤ . (٢) زيادة من أسد الغابة جـ ٤ ص ١٤٤ .

(٣) مجمع الأمثال للميدانى جـ ١ ص ٢٢٥ : ٢٢٦ .

ومن المنافقين : نَبْتَل[1] - بنون مفتوحة فموحدة ساكنة ففوقية مفتوحة فلام - ابن الحارث ، وكان رجلاً جسيماً ، أَدْلَم ، ثائر شَعر الرأس أحمر العينين ، اسفع الخدين ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أَحَبَّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نَبْتَل بن الحارث» .

وروى ابن إسحق[2] عن بعض بنى العَجْلَان أنه حُدِّث أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : «إنه يجلس إليك رجل أَدْلَم ثائر شعر الرأس أَسْفَع الخَدَّيْن أحمر العينين كأنهما قِدْران من صُفْر ، كَبِدُه أغلظ من كَبِد الحِمَار ، يَنْقُل حديثَك إلى المنافقين فاحْذَرْه» . وكانت تلك صفة نَبْتَل بن الحارث يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلس إليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين . وهو الذى قال لهم : «إنما محمد أُذُن ، مَنْ حَدَّثه بشىء صَدَّقَهُ» . فأنزل الله تعالى : «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قل أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[3]» .

تنبيه : فى بيان غريب ما سَبَق : «الأَدْلَم» : بدال مهملة الأسود الطويل . «ثائر شعر الرأس» : منتشر الشعر . «أَسْفَع الخَدَّيْن» : السُّفْعَة - بالضم : سَوَادٌ مُشْرَبٌ بحُمْرَة أو زُرْقة[4] «الصُّفْر» بضم الصاد المهملة وبالفاء : النُّحَاس .

ومنهم[5] : مِرْبَع - بميم مكسورة فراء ساكنة فموحدة مفتوحة فعين مهملة - ابن قَيْظِىّ - بقاف فتحتية فظاء معجمة مُشَالَة - وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامِدٌ إلى أُحُد : «لا أُحِلُّ لك يا محمد

---

(١) فى القاموس النبتل كجعفر : الصلب الشديد .

(٢) ابن هشام (ج ٢ ص ١٤٣) .

(٣) سورة التوبة آية ٦١ .

(٤) فى التاج : السفعة من اللون سواد ليس بالكثير وقيل سواد مع لون آخر وقيل سواد مع زرقة وصفرة وقيل سواد أشرب حمرة . قال الليث : ولا تكون السفعة فى اللون إلا سواداً أشرب حمرة .

(٥) رواية ابن إسحق فى ابن هشام (ج ٢ ص ١٤٥) وأشار ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٤٣) إلى قصة مربع بن قيظى فى ترجمته لولده مرارة بن مربع وقال بأنه كانت لمرارة وإخوته زيد وعبد الله وعبد الرحمن صحبة . وترجم الصفدى المربع ترجمة موجزة فى نكت الهميان (ص ٨٨) .

إن كنتَ نبياً أن تَمُرَّ فى حائطى[1] » . وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : « والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غَيْرَك لَرَمَيْتُكَ به » . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البَصَر » .

ومنهم عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول ، وسَلُول هى أم أُبَىّ[2] وهو أُبَىّ بن مالك العَوْفِى أحد بنى الحُبْلَى[3] . وكان / رأس المنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : « لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ » فى غزوة بنى المُصْطَلق . وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين[4] بأسرها . وقَدِم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ وعبد الله بن أُبَىّ سيد أهلها لايختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان ، لم يجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غَيْرِه حتى جاء الإسلام . وكان قومه قد نظموا له الخرَزَ لِيُتَوِّجُوه ثم يُمَلِّكوه عليهم ، فجاءهم الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم [وهم على ذلك] فلما انصرف قَوْمُه عنه إلى الإسلام ضَغِنَ ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه مُلْكاً . فلما أن رأى قومه قد أَبَوْا إلا الإسلام دخل فيه كارِهاً مُصِرًّا على نِفاق وضِغْن .

١٠٨٢ ت

وروى ابن إسحق ، والإمام أحمد ، والشيخان عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما . قال : رَكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم حِماراً عليه إكاف فوقه قطيفة فَدَكِيَّة مُخْتَطمة بحبل من ليف . قال : وأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَه يعود سعد بن عُبَادة فى بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بَدْر ، فمربعبد الله بن أُبَىّ وذلك قبل أن يُسْلِم وهو فى

---

(١) زاد فى أسد الغابة : بغير إذنى . والحائط كما فى النهاية (ج ١ ص ٢٧١) : هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط وهو الجدار وجمعه حوائط .

(٢) فى الأصل : وهى أمه والتصويب من السهيلى (ج ٢ ص ٥٠) وأضاف السهيلى : وهى خزاعية .

(٣) بنو الحبلى من بطون الخزرج وفى الاشتقاق (ص ٤٥٨) سمى بذلك لعظم بطنه . وفى السهيلى : اسم الحبلى : سالم ، والنسب إليه حبلى بضمتين .

(٤) أخرج البخارى فى كتاب التفسير فى صحيحه (ج ٦ ص ٢٦٧ : ٢٧٢) عدة أحاديث عن هذه السورة يوضح أولها السبب فى نزولها . فعن زيد بن أرقم قال : كنت فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولو رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمى أو لعمر فذكره للنبى فدعانى فحدثته فأرسل رسول الله إلى ابن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبنى رسول الله وصدقه فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط فجلست فى البيت فقال لى عمى : ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ومقتك فأنزل الله تعالى « إذا جاءك المنافقون » فبعث إلى النبى فقرأ فقال . إن الله قد صدقك يا زيد . والقصة بطولها فى أسباب النزول (ص ٣٢٠ : ٣٢٢) . وتفسير القرطبى (ج ١٨ ص ١٢٠ وما بعدها) . وابن كثير فى تفسيره (ج ٤ ص ٣٦٨ وما بعدها) .

ظِلٍّ أُطُمٍ وفى مجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدة الأوثان ، واليهود فى مجلسِ عبد الله بن رواحة . فلما غَشِيت المجلس عجاجة الدَّابَّة خَمَّر عبدُ الله بن أُبَىّ أَنْفَه بردائه وقال : لا تُغَبِّروا علينا . فسَلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف فنزل فدعاهم إلى الله فقرأ عليهم القرآن [وحَذَّر وبَشَّر وأنذر[1]] فقال له عبد الله بن أبى : «يا أيها المرء إنه لا أَحْسَنَ من حديثك هذا إن كان حَقًّا فلا تؤذونا به فى مجلسنا ،وارجع إلى رَحْلِك فمن جاءك فاقصص عليه» . قال : فقال ابن رواحة : «بلى يا رسول الله فَاغْشَنَا به فى مجالسنا فهو والله مما نُحِبّ» . فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون . فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضهم حتى سكتوا . فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل إلى سعد بن عُبَادة ، فقال له : «أى سعد ألم تسمع ما قال أبو حُبَاب ؟» يريد عبد الله بن أُبَىّ . فقال سعد : «يا رسول الله اعْفُ عنه واصْفَحْ فلقد أعطاك الله ما أعطاك ، ولقد اجتمع أهل البُحَيْرَة على أن يُتَوِّجُوه فيعصبوه ، فلما رُدَّ ذلك بالحق الذى أعطاك / شَرِق ، فذلك الذى فعل به ما رأيت[2] » .

١٠٨٣ت

وعن أنس رضى الله عنه قال : قلت : يانَبِىَّ الله لو أتيت عبد الله بن أُبَىّ ؟ فانطلق إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فركب حِماراً ، وانطلق المسلمون [يمشون][3] ، وهى [أرض[4]] سَبِخَة . فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إِلَيْكَ عَنِّى فوالله لقد آذانى نَتْنُ حِمَارِك . فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أَطْيَبُ ريحاً منك .

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٢١٩) .

(٢) أورد ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٩٧) هذا الخبر فى ترجمته لابن عبد الله بن أبى بن سلول ، واسمه عبد الله وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم . وقال عبد الله لرسول الله : والله هو الذليل وأنت العزيز يا رسول الله إن أذنت لى فى قتله قتلته فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أحد أبر بوالده منى ولكنى أخشى أن تأمر به رجلا مسلماً فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى على الأرض حيا حتى أقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال النبى بل نحسن صحبته ونترفق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبته . فلما مات أبوه سأل ابنه عبد الله النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه . هذا وقد قتل عبد الله شهيداً يوم اليمامة فى حرب مسيلمة الكذاب.

(٣) زيادة من أسباب النزول للواحدى (ص ٢٩٣) .

(٤) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ١٦ ص ٣١٥) .

فغَضِب لعبد الله رجل من قومه فشتمه ، وغَضِب لكُلٍّ واحدٍ منهما أصحابُه ، فكان بينهم ضَرْبٌ بالجَرِيد ــ وفي لفظ بالحديد ــ والأَيدى والنِّعَال ، فبلغنا أنه أُنْزِل فيهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا[1]) . رواه الشيخان[2] .

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن أُبَىّ حين رأى من خلاف [قومه[3]] ما رأى :

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ويَصْرَعْكَ[4] الذين تُصَارِعُ
وهل يَنْهَضُ البازى بغَيْرِ جَنَاحِه وإن جُذَّ[5] يَوْماً رِيشُه فهو واقِعُ[6]

ومنهم أبو عامر الفاسق واسمه : عبد عمرو بن صيفى بن النعمان[7] الأَوسى أَحَد بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وهو أبو حَنْظَلَة غَسِيل الملائكة . وكان أبو عامر قد تَرَهَّب فى الجاهلية ولَبِس المسوح ، فكان يقال له الراهب[8] . وكان شريفاً مُطاعاً فى قَوْمِه فشقى بشرفه وضَرِّه .

ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أتاه أبو عامر قبل أن يخرج إلى مكة فقال : يا محمد ما هذا الدين الذى جئت به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جئت بالحنيفِيَّة دين إبراهيم» . قال : فإنى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(٢) رواه البخارى عن مسدد ورواه مسلم عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٢١٩) .

(٤) رواية ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٢٣ ليدن سنة ١٩٠٤ م) . ويعلوك .

(٥) فى ابن قتيبة : قص .

(٦) قال ابن هشام (جـ ٢ ص ٢١٩) . بأن البيت الثانى عن غير ابن إسحق . وقبل هذين البيتين :

ولم أر مثل الحق أنكره امرؤ ولا الضيم أعطاه امرؤ وهو طائع

نقله المستشرق ديمومبين عن الآمدى فى تحقيقه لمقدمة كتاب الشعروالشعراء لابن قتيبة التى نشر نصها العربى مع الترجمة الفرنسية مع مقدمة وتعليقات فى باريس سنة ١٩٤٧ م (ص ٢٢ و ٧١) . والبيتان اللذان أوردهما المؤلف شمس الدين الشامى نقلا عن ابن هشام (جـ ٢ ص ٢١٩) . ذكرهما ابن قتيبة فى كتابه : الشعر والشعراء ، وقدم لهما بقوله : وقد يختار (الشعر) ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره أو لأن شعره قليل عزيز كقول عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق :

(٧) هذا نسبه كما ساقه ابن الكلبى وتمامه : ابن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة الأنصارى . وعند ابن إسحق : أبو عامر عمرو بن صيفى بن زيد بن أمية بن ضبيعة . (أسد الغابة جـ ٢ ص ٦٧) .

(٨) سبب تسميته بالفاسق أنه خرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقاً للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق» . (ابن هشام جـ ٢ ص ٢١٦ : ٢١٧) .

«لَسْتَ عليها [لأنك أَدْخَلْتَ فيها ما ليس منها[1]] . قال : بل أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها . قال : «ما فعلت بل جئت بها بيضاء نَقِيَّة» . فقال أَبو عامر : أَمات الله الكاذبَ [منا[1]] طريداً وحيداً . وإنما قال ذلك يُعَرِّض برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خرج من مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أَمات اللهُ الكاذبَ منا كذلك» . فكان ذلك هو عَدُوّ الله فخرج إلى مكة . فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، خرج إلى الطائف فلما أَسلم أَهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً[2]

[تم بحمد الله الجزء الثالث من السيرة الشامية

حسب التجزئة الموضوعة لنشر الكتاب]

(١) زيادة من تفسير القرطبى (جـ ٧ ص ٣٢٠) .

(٢) أوجز المؤلف هنا قصة أبى عامر الراهب ولعله آثر بسط القول فيها فى باب المغازى .

مراجع التحقيق والتعليق

فى التفسير والحديث :

١ ـ الكَشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى بتحقيق محمد قطة العدوى ، ومحمد الصَّبَّاغ ـ بولاق سنة ١٢٨١ هـ فى مجلدين .

٢ ـ شرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندى ، تحقيق نصر الهورينى ـ بولاق سنة ١٢٨١ هـ .

٣ ـ تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ـ دار الكتب بالقاهرة (١٩٣٤ـ١٩٥٠ م) فى عشرين جزءا .

٤ ـ تفسير ابن كثير ـ مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة فى أربعة أجزاء ـ طبعة غير مؤرخة.

٥ ـ أحكام القرآن للقاضى أبى بكر بن العربى ـ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ فى جزءين .

٦ ـ أسباب النزول للواحدى ـ مطبعة أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ .

٧ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى الحلبى (١٩٥٧ـ١٩٥٩ م) ٤ أجزاء .

٨ ـ تفسير سورة الإخلاص لتقى الدين بن تيمية ـ المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .

٩ ـ جواب أهل العلم والإيمان لتقى الدين بن تيمية ـ المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

١٠ ـ الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى فى جزءين ـ مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

١١ ـ مُفْحِمات الأقران فى مُبْهَمَات القرآن لجلال الدين السيوطى ـ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

١٢ ـ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .

١٣ ـ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تحقيق على محمد الضَّبَّاع فى جزءين ـ مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

١٤ ـ صحيح البخارى فى تسعة أجزاء ـ طبعة منير الدمشقى بالقاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

١٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووى فى ١٨ جزءاً ـ طبعة محمود توفيق ، القاهرة ـ طبعة سنة ١٣٤٩ هـ.

١٦ ـ سنن أبى داود ـ طبعة التجارية بالقاهرة .

١٧ ـ مسند أبى داود الطيالسى ـ طبعة حيدراباد بالهند سنة ١٣٢١ هـ .

١٨ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الدَّيْبَع الشيبانى ـ الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٠ ـ ١٣٣١ هـ فى ثلاثة أجزاء .

١٩ ـ اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للجلال السيوطى فى جزءين ـ المطبعة الحسينية القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

٢٠ ـ مختصر ابن أبى جَمْرَة مع حاشية الشنوانى ـ طبعة مصطفى الحلبى ـ القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

٢١ ـ كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق لعبد الرءوف المناوى ـ بولاق سنة ١٢٨٦ هـ .

٢٢ ـ مختصر سنن أبى داود ومعالم السنن للخطابى ـ تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقى ـ القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ .

٢٣ ـ الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير ـ تحقيق أحمد شاكر ـ مطبعة حجازى ـ القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

٢٤ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ـ تحقيق البجاوى وأبى الفضل ـ عيسى

الحلبى (١٩٤٥-١٩٤٩ م) فى ثلاثة أجزاء .

٢٥ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير - المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة ١٣١١ هـ فى أربعة أجزاء .

السيرة والتاريخ ومعجمات التراجم :

٢٦ - سيرة ابن هشام - طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة فى أربعة أجزاء - سنة ١٩٣٧ م .

٢٧ - الروض الأُنُف للسهيلى فى جزءين - المطبعة الجمالية - القاهرة سنة ١٩١٤ م .

٢٨ - طبقات ابن سعد - القسم الخاص بالسيرة فى أربعة أجزاء - لجنة نشر الثقافة الإسلامية - القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

٢٩ - شرح السيرة رواية ابن هشام لأبى ذر الخُشَنى - تحقيق برونله - مطبعة أمين هندية فى جزءين - القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٣٠ - جوامع السيرة لابن حزم - تحقيق عباس والأسد ومراجعة أحمد شاكر - المعارف بالقاهرة - طبعة غير مؤرخة .

٣١ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس - طبعة القُدْسى فى جزءين القاهرة سنه ١٣٥٦هـ .

٣٢ - مغازى رسول الله للواقدى - طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

٣٣ - الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى الترمذى مع حاشية إبراهيم البيجورى - بولاق سنة ١٢٩٠ هـ .

٣٤ - كتاب المعراج لعبد الكريم بن هوازن القشيرى - تحقيق على حسن عبد القادر - القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٣٥ - الشفا فى حقوق المصطفى للقاضى عياض بشرح الخفاجى ومُلّا على القارىء فى أربعة مجلدات - الأزهرية سنة ١٣٢٧ هـ .

٣٦ - المواهب اللدنية للقسطلانى بشرح الزرقانى فى ٨ مجلدات - الأزهرية سنة ١٣٢٨ هـ .

٣٨ - زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية على هامش شرح المواهب .

٣٩ - إمتاع الأسماع للمقريزى الجزء الأول تحقيق محمود شاكر - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٤١ م .

٤٠ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكرى فى جزءين - المطبعة الوهبية - القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ .

٤١ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون لبرهان الدين الحلبي، فى ٣ أجزاء - القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ .

٤٢ - تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى - فى ١٣ جزءاً - المطبعة الحسينية - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٤٣ - الكامل فى التاريخ لعز الدين بن الأثير - فى ١٢ جزءاً - بولاق سنة ١٢٩٠ هـ .

٤٤ - البداية والنهاية لابن كثير - فى ١٤ جزءاً - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ .

٤٥ - نهاية الأرب للنويرى - فى ١٨ جزءاً - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م .

٤٦ - نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز لرفاعة رافع الطهطاوى - مطبعة المدارس الملكية - القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .

٤٧ - مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى لمحمد حميد الله - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٤١ م .

٤٨ - فتوح البلدان للبلاذرى - مطبعة الموسوعات - القاهرة سنة ١٣١٩ هـ .

٤٩ - مروج الذهب للمسعودى فى مجلدين - بولاق سنة ١٢٨٣ هـ .

٥٠ - أخبار مكة للأزرقى فى جزءين - تحقيق رشدى الصالح ملحس - مكة سنة ١٣٥٢هـ .

٥١ - وفاء الوفا فى أخبار دار المصطفى للسمهودى - فى مجلدين - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٥٢ - قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعلبي - بولاق سنة ١٢٨٦ هـ .

٥٣ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى، من ج ٥ إلى ج ١٠ - حيدر اباد سنة ١٣٥٨ - ١٣٥٩ هـ .

٥٤ ـ مختصر تاريخ الخلفاء لابن الساعى ـ بولاق سنة ١٣٠٩ هـ .

٥٥ ـ العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية للخزرجى ـ فى جزءين ـ القاهرة سنة ١٩١١ م .

٥٦ ـ تاريخ عمر بن الوردى ـ فى جزءين ـ المطبعة الوهبية ـ القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .

٥٧ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة، المنسوب لابن الفوطى ـ بغداد سنة ١٣٥١ هـ .

٥٨ ـ السلوك للمقريزى ٣ أجزاء فى ٩ أقسام ـ لجنة التأليف ـ القاهرة سنة ١٩٣٤ ـ ١٩٧٢ م .

٥٩ ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ـ دار الكتب ـ فى ١٣ جزءاً ـ القاهرة سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٧٠ م .

٦٠ ـ حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى ـ فى جزءين ـ مطبعة الموسوعات ـ القاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

٦١ ـ تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين لجلال الدين السيوطى ـ طبعة منير الدمشقى ـ القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .

٦٢ ـ الذيل على الروضتين لأبى شامة ـ تحقيق الكوثرى ـ القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

٦٣ ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، جـ ١ ، ٢ مطبعة الموسوعات ـ القاهرة سنة ١٣١٩ هـ .

٦٤ ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس فى ٣ أجزاء ـ بولاق سنة ١٣١١ هـ ـ ١٣١٢ هـ .

٦٥ ـ نفح الطيب للمقرى ـ فى أربعة أجزاء ـ بولاق سنة ١٢٧٩ هـ .

٦٦ ـ أزهار الرياض فى أخبار عياض للمقرى ـ فى ثلاثة أجزاء ـ لجنة التأليف ـ القاهرة سنة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ م .

٦٧ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

٦٨ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ـ فى خمسة أجزاء ـ المطبعة الوهبية ـ القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ .

٦٩ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ، فى ٨ أجزاء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥ هـ .

٧٠ ـ الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى، فى جزءين ـ القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

٧١ ـ ميزان الاعتدال للذهبى ، فى ٤ أجزاء تحقيق البجاوى ـ مطبعة عيسى الحلبى ـ القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

٧٢ ـ المشتبه فى الرجال : أسمائهم وأنسابهم للذهبى فى جزءين تحقيق البجاوى ـ مطبعة عيسى الحلبى ـ القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

٧٣ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى فى أربعة أجزاء ـ حيدر اباد سنة ١٣٣١ هـ .

٧٤ ـ ذيل تذكرة الحفاظ للدمشقى ـ دمشق سنة ١٣٤٧ هـ ، ولحظ الألحاظ لابن فهد .

٧٥ ـ خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى ـ المطبعة الخيرية ـ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .

٧٦ ـ حلية الأولياء لأبى نُعَيْم الأصبهانى ، فى عشرة أجزاء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٣٥٨ هـ .

٧٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، فى ١٤ جزءاً ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٩٣١ م .

٧٨ ـ تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضى ـ فى جزءين ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٧٩ ـ الأنساب للسمعانى ـ طبعة زنكية فى مجموعة جيب التذكارية ـ ليدن سنة ١٩١٢ م .

٨٠ ـ معجم الأدباء لياقوت ـ طبعة فريد رفاعى ـ فى ٢٠ جزءاً ـ القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

٨١ ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٨٢ ـ إنباه الرواة للقفطى فى ٣ أجزاء ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ـ دار الكتب القاهرة سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م .

٨٣ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ فى مجلدين ـ المطبعة الميمنية ـ القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

٨٤ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكُتبى فى جزءين ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٨٥ ـ الطالع السعيد فى أسماء الرواة والفضلاء بأعلى الصعيد للإدفوى ـ القاهرة سنة ١٩١٤ م.

٨٦ ـ نَكْت الهمْيَان فى نُكَت العميان للصفدى ـ تحقيق أحمد زكى ـ القاهرة سنة ١٩١١ م

٨٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووى ، طبعة منير الدمشقى ـ القاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

٨٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، فى ستة أجزاء للتاج السبكى ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

٨٩ ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ـ القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .

٩٠ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتى ـ على هامش الديباج .

٩١ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز، لعبد الله بن عبد الحكم ـ القاهرة سنة ١٩٢٧ م .

٩٢ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى، فى جزءين، تحقيق برجستراسر ـ القاهرة سنة ١٩٣٢ م .

٩٣ ـ تاج التراجم فى طبقات الحنفية لابن قَطْلُوبُغَا ـ بغداد سنة ١٩٦٢ م .

٩٤ ـ الفوائد البهية فى تراجم طبقات الحنفية لأبى الحسنات اللكنوى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

٩٥ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ـ القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

٩٦ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ، فى ١٢ جزءاً ـ طبعة القدسى ـ القاهرة سنة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .

٩٧ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ للسخاوى ـ دمشق سنة ١٣٤٨ هـ .

٩٨ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٩٩ ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروسى ـ بغداد سنة ١٩٣٤ م .

١٠٠ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، فى ٨ أجزاء ـ طبعة القدسى ـ القاهرة سنة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١ هـ .

١٠١ ـ شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد بن أحمد مخلوف ، فى جزءين ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة سنة ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ هـ .

١٠٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، ج ١ تحقيق لاوست والدهان ـ دمشق سنة ١٩٥١ م .

١٠٣ ـ الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان لأحمد الحفنى القنائى ـ بولاق سنة ١٣٢١ هـ .

كتب الأدب :

١٠٤ ـ ديوان الهذليين فى قسمين ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ م .

١٠٥ ـ شرح ثعلب لديوان زهير بن أبى سلمى ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٤٤ م .

١٠٦ ـ شرح ديوان حسان للبرقوقى ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة سنة ١٩٢٩ م .

١٠٧ ـ شرح ديوان جرير للصاوى ـ القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

١٠٨ ـ شرح ديوان الفرزدق للصاوى ـ القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

١٠٩ ـ ديوان الأخطل وذيوله ـ تحقيق الأب صالحانى ـ بيروت سنة ١٨٩٠ ـ ١٩٣٦ م .

١١٠ ـ شرح الأنبارى على المفضليات للضبى ـ تحقيق لَيَل ـ بيروت سنة ١٩٢٠ م .

١١١ ـ كتاب المعارف لابن قتيبة ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ م .

١١٢ ـ الميسر والقِدَاح لابن قتيبة ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

١١٣ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

١١٤ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ تحقيق دى غوى ـ ليدن سنة ١٩٠٤ م .

١١٥ ـ مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ تحقيق النص العربى مع ترجمته إلى الفرنسية لديموبين ، باريس سنة ١٩٤٧ م .

١١٦ ـ الكامل فى اللغة والأدب للمبرد فى جزءين ـ مطبعة التقدم العلمية ـ القاهرة سنة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ هـ .

١١٧ ـ شرح المقصورة الدريدية ـ طبع الجوائب ـ القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .

١١٨ ـ الاشتقاق لابن دريد ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

١١٩ ـ الأغانى للأصبهانى ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٧٠ م فى ١٧ جزءاً وطبعة الساسى سنة ١٩٠٧ م .

١٢٠ ـ الأمالى للقالى ، جزءان ، والذيل والتنبيه ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٢٦ م .

١٢١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ـ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، فى ٧ أجزاء ـ لجنة التأليف ـ القاهرة سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٣ م .

١٢٢ ـ مجمع الأمثال للميدانى ـ المطبعة الخيرية ـ فى جزءين ـ القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .

١٢٣ ـ التصحيف والتحريف للحسن بن عبد الله العسكرى ـ ج ١ ـ مطبعة الظاهر ـ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

١٢٤ ـ ديوان عمر بن الفارض ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

١٢٥ ـ صبح الأعشى ، فى صناعة الإنشا للقلقشندى ـ فى ١٤ جزءاً ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٩ م .

كتب اللغـــة :

١٢٦ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادى ـ فى ٤ أجزاء ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٣٣ م .

١٢٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ـ فى عشرة أجزاء ـ القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .

١٢٨ ـ لسان العرب لابن منظور ـ فى عشرين جزءاً ـ بولاق سنة ١٣٠٣ هـ .

١٢٩ ـ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ـ فى مجلدين ـ بولاق سنة ١٢٨٢ هـ .

١٣٠ ـ المصباح المنير للفيومى ـ فى جزءين ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة سنة ١٩٠٩ م .

١٣١ ـ فقه اللغة للثعالبى ـ بيروت سنة ١٨٨٥ م .

١٣٢ ـ شرح التبريزى لكتاب الألفاظ لابن السكيت ـ تحقيق شيخو ـ بيروت سنة ١٨٩٥ م .

١٣٣ ـ أساس البلاغة للزمخشرى ـ فى جزءين ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

١٣٤ ـ الأفعال لابن القوطية ـ تحقيق على فوده ـ القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

١٣٥ ـ الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ـ طبعة القدسى ـ القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

١٣٦ ـ فرائد اللغة الجزء الأول فى الفروق للأب لامنس ـ بيروت سنة ١٨٨٩ م .

١٣٧ ـ المذكر والمؤنث للفراء ـ تحقيق مصطفى الزرقا ـ حلب سنة ١٣٤٥هـ .

١٣٨ ـ كفاية المتحفظ لابن الأجدابى ـ حلب سنة ١٣٤٣ هـ .

١٣٩ ـ الكليات لأبى البقاء الكَفَوِى ـ بولاق سنة ١٢٨١ هـ .

١٤٠ ـ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ـ جـ ١ ـ استنبول سنة ١٣١٧ هـ .

١٤١ ـ الأضداد للأصمعى والسجستانى وابن السكيت ـ تحقيق هَفْنَر ـ بيروت سنة ١٩١٢ م

١٤٢ ـ الأضداد فى اللغة لمحمد بن القاسم الأنبارى ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة سنة ١٣٢٥هـ

١٤٣ ـ المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى ـ تحقيق أحمد شاكر ـ دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .

١٤٤ ـ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى ـ تحقيق النعسانى ـ القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

١٤٥ ـ الألفاظ الفارسية المعربة لإدى شير الكلدانى ـ بيروت سنة ١٩٠٨ م .

١٤٦ ـ درة الغوّاص فى أوهام الخواص للحريرى مع شرح الخفاجى ـ مطبعة الجوائب القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .

١٤٧ ـ كشف الطرة عن الغرة للشهاب الألوسى المفسر ـ دمشق سنة ١٣٠١ هـ .

١٤٨ ـ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ فى جزئين ـ بولاق سنة ١٢٩١ هـ .

١٤٩ ـ حاشية الدمنهورى على متن الكافى فى علمى العروض والقوافى ـ بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

كتب البلدان والخطط :

١٥٠ ـ البلدان لليعقوبى ـ تحقيق دى غوى ـ ليدن سنة ١٨٩١ م .

١٥١ ـ الأعلاق النفيسة لابن رُسْته ـ تحقيق دى غوى ـ ليدن سنة ١٨٩١ م .

١٥٢ ـ مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ـ تحقيق دى غوى ـ ليدن سنة ١٨٨٥ م .

١٥٣ ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى البشارى ـ تحقيق دى غوى ـ ليدن سنة ١٩٠٦ م .

١٥٤ ـ صفة جزيرة العرب للهمدانى ـ تحقيق بُلَيْهِد النجدى ـ القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

١٥٥ ـ معجم ما استعجم للبكرى ـ تحقيق مصطفى السقا ـ لجنة التأليف ـ ٤ أجزاء ـ القاهرة سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م .

١٥٦ ـ معجم البلدان لياقوت ـ ٨ أجزاء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٩٠٦ م .

١٥٧ ـ خِطط المقريزى ـ طبعة المليجى ـ ٤ أجزاء ـ القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

١٥٨ ـ الخطط الجديدة لعلى مبارك ـ ٢٠ جزءاً ـ بولاق سنة ١٣٠٦ هـ .

١٥٩ ـ بلدان الخلافة الشرقية بقلم جى لوسترانج ـ أكسفورد سنة ١٩٠٥ م والترجمة العربية ـ بغداد سنة ١٩٥٤ م .

١٦٠ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى ـ ٥ أجزاء ـ دار الكتب القاهرة سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠ م .

١٦١ ـ رحلة ابن جبير ـ القاهرة سنة ١٩٠٨ م .

فى الفقه والتصوف والفرق :

١٦٢ ـ الوجيز فى فقه الإمام الشافعى للغزالى ـ جزءان ـ القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

١٦٣ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمى ـ جزءان ـ بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .

١٦٤ ـ إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى ـ تحقيق أبى الوفا المراغى ـ القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .

١٦٥ ـ كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق محمد حامد الفقى ـ القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

١٦٦ ـ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للغزالى ـ القاهرة ـ طبعة غير مؤرخة .

١٦٧ ـ إحياء علوم الدين للغزالي ـ ٤ أجزاء ـ مطبعة عيسى الحلبي ـ القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

١٦٨ ـ عوارف المعارف للسهرودى بهامش الإحياء .

١٦٩ ـ الرسالة فى علم التصوف للقشيرى ـ مطبعة التقدم العلمية ـ القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ .

١٧٠ ـ مقالات الإسلاميين للأشعرى ـ جزءان ـ استنبول سنة ١٩٢٨ م .

١٧١ ـ فِرَق الشيعة للنونجتى ـ النجف ـ سنة ١٩٣٥ م .

١٧٢ ـ الفَرْق بين الفِرَق للبغدادى ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

١٧٣ ـ الملل والنحل للشهرستانى ـ تحقيق بدران ـ مجلدان ـ القاهرة سنة ١٩٥١ م .

متنوعات وفهارس :

١٧٤ ـ بلوغ الأرب لمحمود شكرى الألوسى ـ ٣ أجزاء ـ القاهرة سنة ١٩٢٤ م .

١٧٥ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى ـ جزءان ـ المطبعة الميمنية ـ القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .

١٧٦ ـ عجائب المخلوقات للقزوينى بهامش حياة الحيوان للدميرى .

١٧٧ ـ تعطير الأنام فى تعبير المنام لعبد الغنى النابلسى ـ جزءان ـ المطبعة الأزهرية ـ القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .

١٧٨ ـ الفهرست لابن النديم ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

١٧٩ ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع بقلم إدوارد فانديك ـ مطبعة الهلال ـ القاهرة سنة ١٨٩٦ م .

دراسات للمستشرقين :

١٨٠ ـ محمد « صلى الله عليه وسلم » فى المدينة بقلم مونتجومرى واط ـ أكسفورد سنة ١٩٥٦ م .

١٨١ ـ الإسلام والكوميديا الإلهية بقلم آسين بلاثيوس ـ مدريد سنة ١٩١٩ م وترجمه من الإسبانية إلى الإنجليزية هـ . سذرلاند ـ لندن سنة ١٩٢٦ م .

١٨٢ ـ فلسطين فى عهد المسلمين بقلم جى لوسترانج ـ أكسفورد سنة ١٨٩٠ م .

١٨٣ ـ المغازى الأولى ومؤلفوها بقلم هوروفتز ـ ترجمة حسين نصار ـ القاهرة سنة ١٩٤٩ م.

١٨٤ ـ رحلات فى بلاد العرب بقلم بوركهارت ـ لندن سنة ١٨٢٩ م .

١٨٥ ـ حجة إلى المدينة ومكة بقلم ريتشارد بيرتون ـ لندن سنة ١٨٥٥ م .

١٨٦ ـ علم التاريخ عند المسلمين بقلم فرانز روزنتال ـ ليدن سنة ١٩٥٢ م والترجمة العربية ـ بغداد سنة ١٩٦٣ م .

١٨٧ ـ عالم الإسلام بحوث لتكريم فليب حِتّى تحرير كريتزيك ووِنْدَر ـ لندن سنة ١٩٦٠ م

١٨٨ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى بقلم زامباور ـ هانوفر سنة ١٩٢٧ م . والترجمة العربية نشرتها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ جزءان ـ القاهرة سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م

١٨٩ ـ الموسوعة الإسلامية ـ الطبعة الأولى ـ ليدن سنة ١٩١٣ ـ ١٩٣٨ م والطبعة الثانية ابتداء من سنة ١٩٥٤ م .

بيـــان
عن المؤلفات التي وردت فيها قصة
الاسراء والمعراج

لقد اضطررنا إلى حذف كثير من الشروح والتعليقات وتراجم الأعلام فى هذا الجزء جَرْيًا على النهج المُقَرَّر فى تحقيق أجزاء السيرة الشامية ، ولعله أيضاً من قبيل التَّخَفُّف من حواشٍ كثيرة قد تَحْجبُ القارئَ عن المؤلف، ولكننا مع ذلك نَسْتَثْنِي فيما يلى ما يتعلق بقصة الإسراء والمعراج :

انظر فى بيانها سيرة ابن هشام (جـ ٢ ص ٢ : ١٥) وشرحها للسُّهَيْلى فى الروض الأُنُف (جـ ١ ص ٢٤٢ : ٢٥٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ جـ١ ص ١٩٧ إلى ٢٠٠) وعيون الأثر لابن سيد الناس (جـ ١ ص ١٤٠ : ١٤٤) والبداية والنهاية لابن كثير (جـ ٣ ص ١٠٨ : ١١٧) وإمتاع الأسماع للمقريزى (جـ ١ ص ٢٩) وتاريخ الخميس للديار بكرى (جـ ١ ص ٣٠٦) . وأفاض فيها المفسرون بالمأثور فى تفسيرهم للآية الأُولى من سورة الإسراء، وتفسيرهم لسورة النجم مثل ابن جرير الطبرى وابن كثير . وأوضحتها كتب الحديث وفى مقدمتها صحيحا البخارى ومسلم وشروحهما . وتناولها القاضى عياض فى كتابه الشفا وشرحه للخفاجى (جـ ٢ ص ٢٣٠ : ٣٦٦) وزاد المعاد لابن القيم والمواهب اللدنية للقسطلانى وشرحها للزرقانى (جـ ٦ ص ٢ : ١٢٨) والخصائص الكبرى للسيوطى .

وممن أفرد الإسراء والمعراج بالتأليف : النَّجْم الغَيْطى فى المعراج الكبير (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) وعبد الكريم بن هوازن القشيرى صاحب الرسالة القشيرية وذلك فى كتاب المعراج (القاهرة سنة ١٩٦٤ م) .

هذا وللإسراء والمعراج تفسير سُنِّى وتفسير صوفى ، كما عُنِى المسلمون بنقد الأحاديث المَرْوِيَّة عن قصة المعراج والنص على المقبول منها والمردود ، وفى مقدمة هؤلاء ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى .

وممن توافر على دراسة الإسراء والمعراج من المستشرقين : المستشرق الإسبانى آسين بلاثيوس الذى نشر فى مدريد سنة ١٩١٩ م كتابًا ضخمًا عنوانه : « الأخرويات الإسلامية فى الكوميديا الإلهية ، لدانتى أَلِّيجيرى » . نُشِرت له ترجمة إنجليزية فى لندن سنة ١٩٢٦ م ، وقد أورد فيه من الحجج التاريخية ما دَلَّل به على تَأَثُّر الشاعر الإيطالى الكبير دانتى (سنة ١٢٦٥ م - ١٣٢١ م) بقصة المعراج الإسلامية ، وأنها هى التى أوحت إليه بنظم قصته الشعرية . وقد عارض المتعصبون لأصالة عبقرية دانتى من الإيطاليين نظرية بلاثيوس . غير أن هذه النظرية قد أصبحت حقيقة مقررة كما أوضحها أخيرًا المستشرق الإيطالى فرانشسكو جَابْرِييلى فى مقال له بعنوان : « ضوء جديد على دانتى والإسلام » نشره فى مجلة ديوجين وهى المجلة الدولية للفلسفة والدراسات الإنسانية الربع سنوية (العدد السادس سنة ١٩٥٤ م ص ٦١ : ٧٣ من النسخة الإنجليزية) .

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب

٢٢٩٨ / ١٩٧٣

مطابع الأهرام بكورنيش النيل